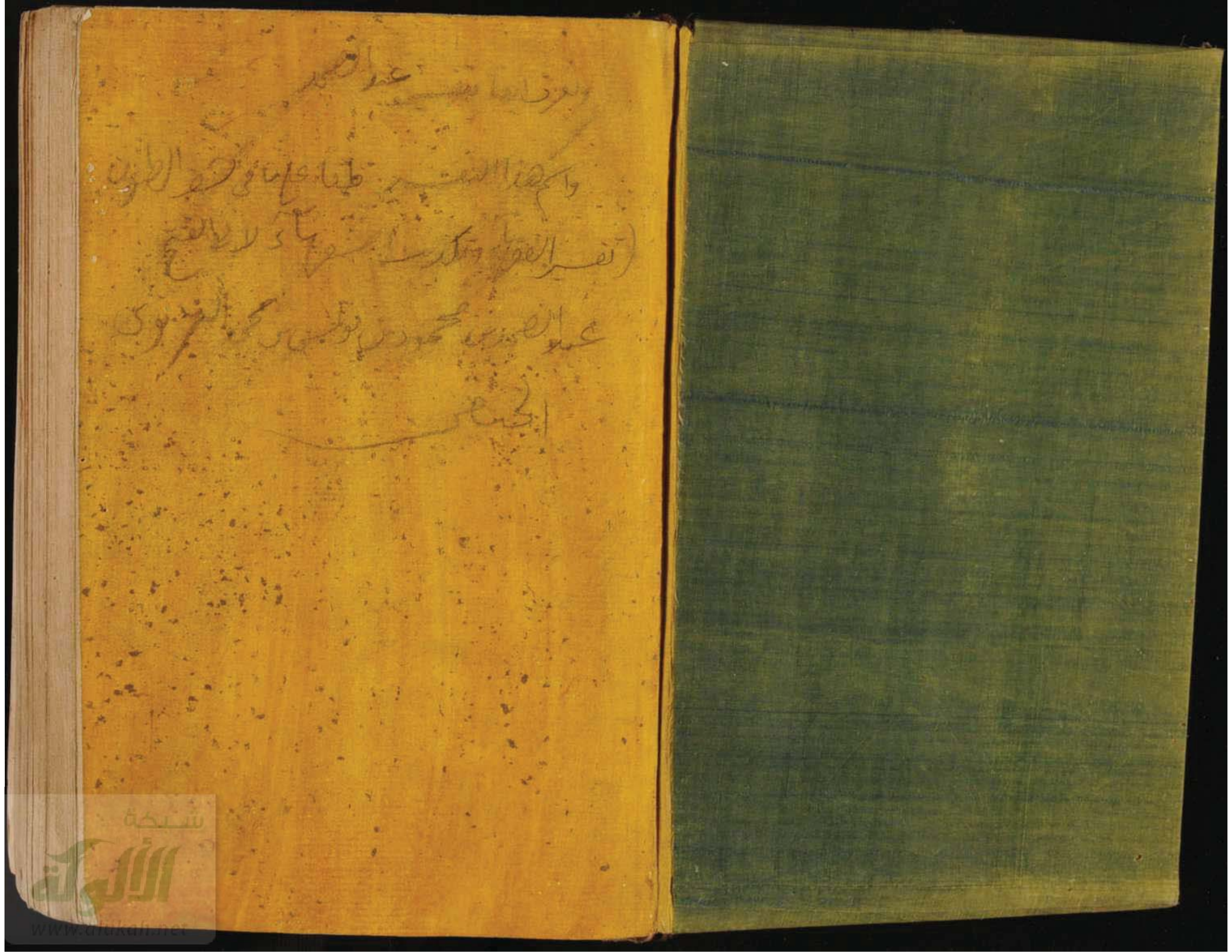


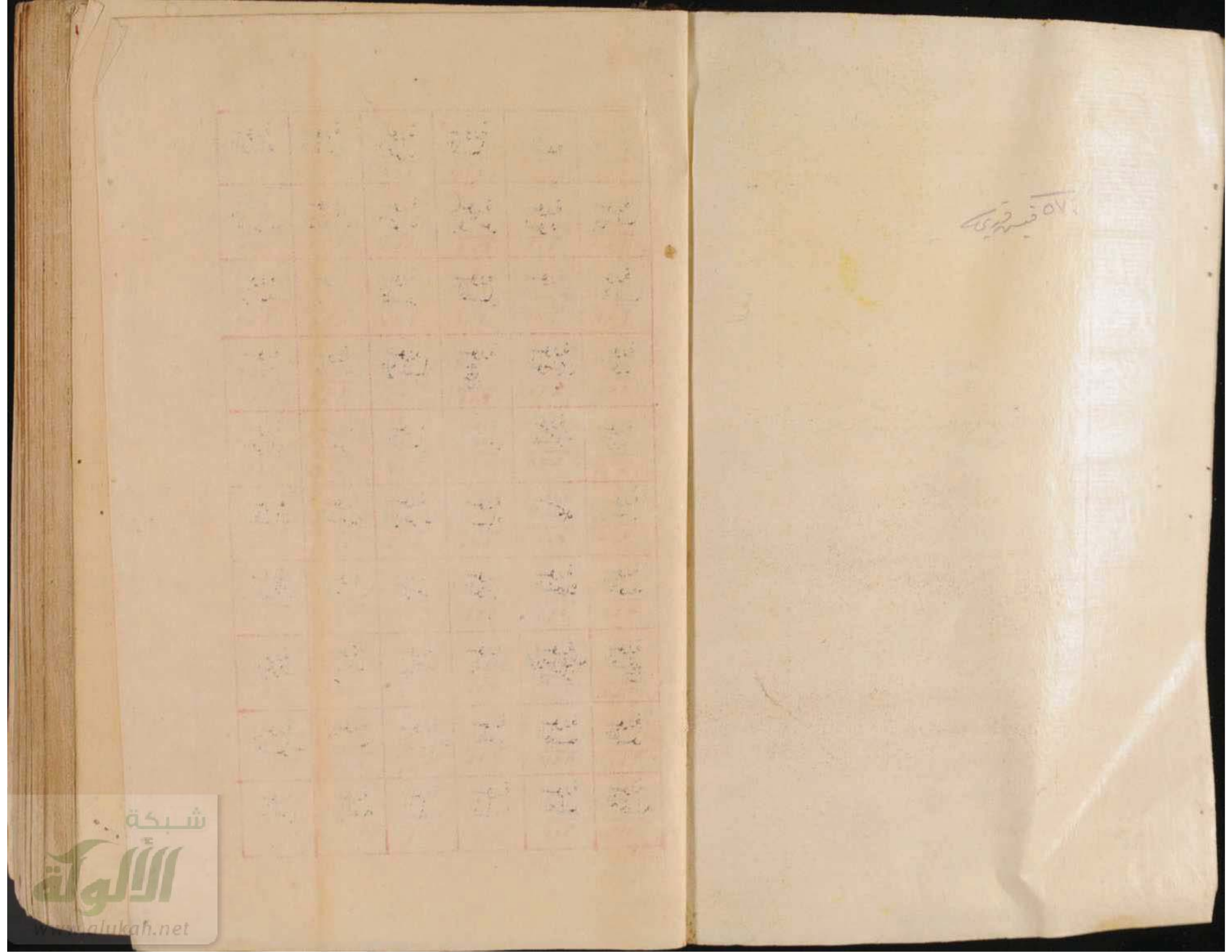
مخطوطة

تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء

المؤلف

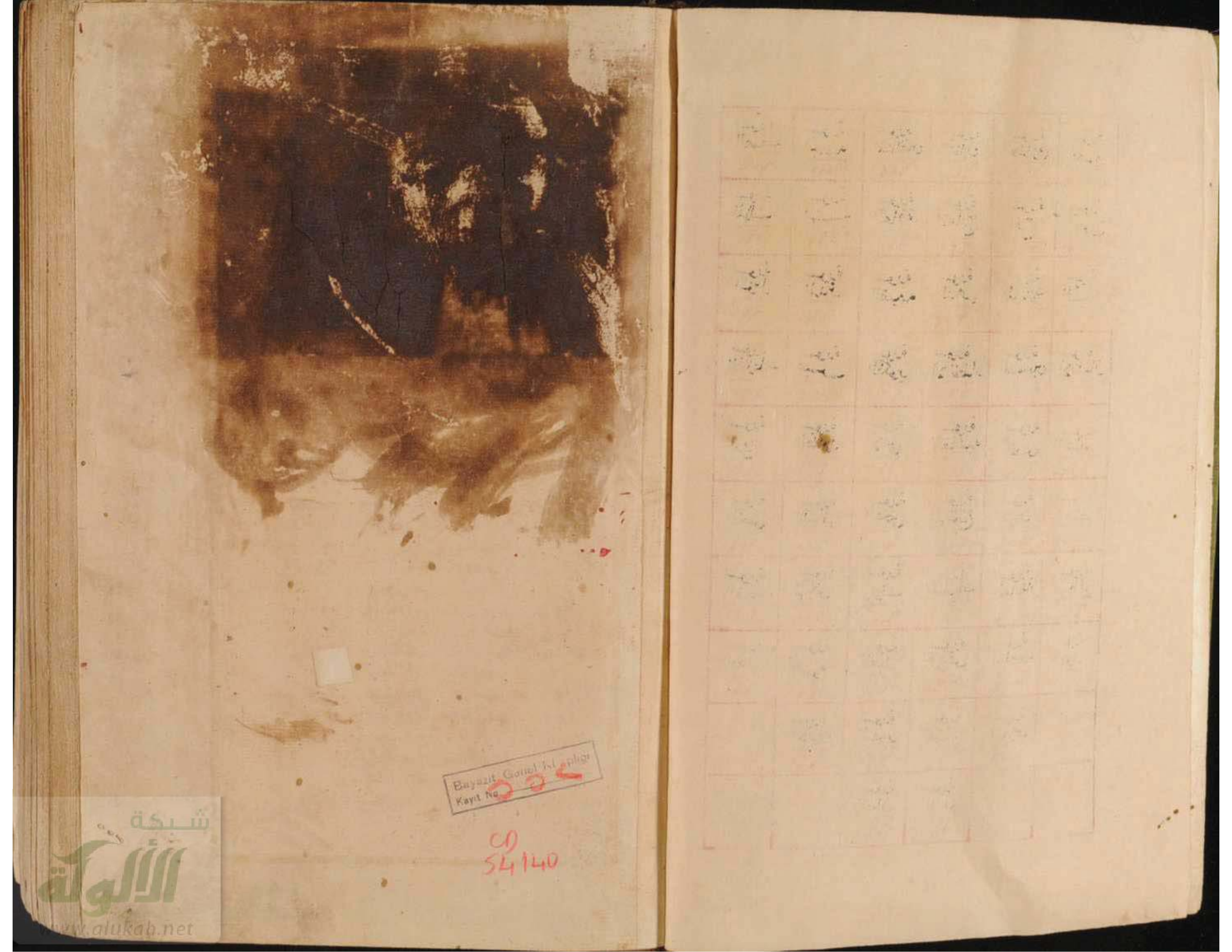
عبدالصمد بن محمود بن يونس (الغزنوي)





سورة الفاتحه ٢	سورة البقره ٣	سورة العمران ١٠٥	سورة النساء ١٤٦	سورة المائده ١٧٦	سورة الانعام ٢٠٧
سورة الاعراف ٢٤٦	سورة الانفال ٢٦٥	سورة التوبة ٢٧٨	سورة يونس ٣٠١	سورة هود ٣١٤	سورة يوسف ٣٢٨
سورة الرعد ٣٤٥	سورة ابراهيم ٣٥٢	سورة الحجر ٣٥٧	سوره النحل ٣٦٣	سورة بنى اسرائيل ٣٧٢	سورة الكهف ٣٨٢
سورة مريم ٣٤٢	سورة طه ٣٩٨	سورة الانبياء ٤٠٦	سورة الحج ٤١٣	سورة المؤمنين ٤٢١	سورة النور ٤٢٥
سورة الفرقان ٤٣٣	سورة الشعرا ٤٣٧	سورة النمل ٤٤٢	سورة القصص ٤٥٠	سورة العنكبوت ٤٥٨	سورة الروم ٤٦٤
سورة لقمان ٤٦٨	سورة السجده ٤٧١	سودة الاحزاب ٤٧٤	سورة السباء ٤٨٤	سورة الملائكه ٥٠٠	سورة يس ٥٠٥
سورة الصافات ٥١٠	سوره ص ٥١٨	سورة الزمر ٥٢٧	سورة المؤمن ٥٣٣	سورة السجده ٥٣٩	سورة الشورى ٥٤٥
سورة الزخرف ٥٥٠	سورة الدخان ٥٥٦	سورة الجاثيه ٥٥٩	سورة الاحقاف ٥٦١	سورة محمد صلى الله عليه وسلم ٥٦٤	سورة الفتح ٥٦٩
سورة الحجرات ٥٧٤	سورة ق ٥٧٨	سورة الذاريات ٥٨٢	سورة الطور ٥٨٤	سورة النجم ٥٨٧	سورة القمر ٥٩١
سورة الرحمن ٥٩٤	سورة الواقعه ٥٩٨	سورة الحديد ٦٠٣	سورة المجادله ٦٠٧	سورة الحشر ٦١١	سورة الممتحنه ٦١٦

سورة الصف ٦١٩	سورة الجمعه ٦٢١	سورة المنافقين ٦٢٢	سورة التغابن ٦٢٤	سورة الطلاق ٦٢٦	سورة التحريم ٦٢٩
سورة الملك ٦٤١	سورة ن ٦٤٤	سورة الحاقة ٦٤٧	سورة المعارج ٦٤٩	سورة نوح ٦٤١	سورة الجن ٦٦٣
سورة المزمل ٦٦٦	سورة المدثر ٦٤٨	سورة القيمه ٦٥١	سورة الدهر ٦٥٤	سورة المرسلات ٦٥٧	سورة النباء ٦٥٩
سورة النازعات ٦٦١	سورة عبس ٦٦٣	سورة التكوير ٦٦٥	سورة الانفطار ٦٦٧	سورة المطففين ٦٦٨	سورة الانشقاق ٦٧٠
سورة البروج ٦٧٢	سورة الطارق ٦٧٣	سورة الاعلى ٦٧٤	سورة الغاشيه ٦٧٥	سوره الفجر ٦٧٦	سورة البلد ٦٧٨
سورة الشمس ٦٧٩	سورة الليل ٦٨٠	سورة الضحى ٦٨١	سورة الم نشرح ٦٨٢	سودة التين ٦٨٣	سورة العلق ٦٨٤
سورة القدر ٦٨٥	سورة لم يكن ٦٨٦	سورة زلزلت ٦٨٧	سورة العاديات ٦٨٨	سورة القارعة ٦٨٩	سورة التكاثر ٦٩٠
سورة العصر ٦٩١	سورة الهمزه ٦٩١	سورة الفيل ٦٩٢	سورة قريش ٦٩٢	سورة الماعون ٦٩٣	سورة الكوثر ٦٩٣
	سورة الكافرون ٦٩٤	سورة النصر ٦٩٥	سورة تبت ٦٩٥	سورة اخلاص ٦٩٦	
		سورة الفلق ٦٩٨	سورة الناس ٧٠٠		


Bayazit Genel Kütüphanesi
Kayıt No
54140
شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم الحمد لله الذي اكرمنا
بالنور المبين وهدانا بالحق اليقين كتاب الله العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد [illegible] حفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
[illegible] كتابه [illegible] به الاهوا ولا تشبع منه العلما ولا يخلق على كثرة الرد
ولا تنقضي عجايبه فهو البحر ما بقي الدهر [illegible] سبحانه [illegible]
تحلون حلاله [illegible] ويعظمون احكامه للخارجين عن الحق [illegible]
في الباطل ذلك [illegible] والله ذو الفضل العظيم [illegible]
[illegible] كتاب الله سبحانه [illegible] ومن ترابه
[illegible] الاولون [illegible] والفوايد
المستنبطة [illegible] الاصول [illegible] فاحتجتم الى ذلك [illegible] ترجع الى
[illegible] الدين [illegible] والاعود [illegible]
الله تعالى على ايمتنا المتقدمين رحمة الله عليهم اجمعين بتوفيقه اياهم بتحقيق النظر
العلم [illegible] على غوامضه ودقايقه واحاطة [illegible] ومتشابهه وفضايله وغرايبه ورخصه
وعزايمه ومجمله ومفسره وعمومه وخصوصه ومطلقه ومقيده وناسخه ومنسوخه واستعاراته
وحقايقه واوامره ونواهيه لما امكنهم تدوين كتب الفقه وتاسيس قواعده ومن تامل
[illegible] علم ان كثيرا من مصنفاتهم من افراد الكتب مبنى على اية واحدة من كتاب الله تعالى ومنها
ما هو مبنى على اثنين وثلاث وكيف يتفق مثل ما صنفوه مع حسن ذلك وكثرته الا لمن تستحكم
[illegible] الاصول التي لا تسع خلافها احسن الاستحكام ولهذا ما صارت كتبهم في الحجة كالجبال
[illegible] هم الذين سابقوا بعد عصر الصحابة الى كتبهم التي الفوها فبينوا فيها مواضع نصوص من
الشريعة ومواقف الاجتهاد وعرضوا اخبار الاحاد على الكتاب والسنن المتواترة واجماع
الامة فما وافق منها هذه الاصول الثلثة قبلوه وما خالفها طرحوه او تاولوه ثم اختار واحد
المجتهدين من ايمتنا وايمة المجتهدين احسنها واشبهها بالحق واصوبها اذ كان لا يسعهم القول
[illegible] مع اختلافها فتدبروا وتناظروا الترجيح بعض الاقوال على البعض على يقين منهم ان حجج الشرع
لا يرد عليها الخلاف والنقض فمن رام تخطيتهم في واحدة من مسايلها عاد خطاؤها عليه ان تامل
واحسن التامل ومن لم يكن احد بعقيم به باطل وعلم به يتدبر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله [illegible] والصلاة على نبي الرحمة وامام الحكمة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الاكرم
سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى اله الطيبين الطاهرين ونحن نصر الله اعزاه نقل في هذا الكتاب الذي
املينا [illegible] الفكرة وحاور الفطنة ثم عرف حقه الله تعالى علينا وعليه بان نبعد على زيادة
دلايل التوحيد واكرمه بحيازة شواهد النبوة ومعرفة الحلال والحرام من احكام الملة الحنيفية
السمحة السهلة ووفقه للوقوف على تنزيه الله تعالى عن صفات المحدثين وتنزيه انبيايه و
رسله صلوات الله عليهم عن زلات المسيين حفظا للدين وردا على الملحدين هذا بصاير للناس
وهدى ورحمة لقوم يوقنون ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله
ذو فضل على العالمين قال الشيخ الامام ركن الاسلام شمس الايمة وسراج الانام ابو الفتح
عبد الصمد بن قاضي القضاة الشهيد الامام محمود بن يونس قدس الله روحه واطال بقاء الشيخ



الامام في معنى قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم انه تعليم منه سبحانه عباده ليذكروا
اسمه عند افتتاح القراة وغيرها تبركا به ومعناه والله اعلم ابدا باسم الله لان حرف البا مع
ساير حروف الجر لا تستغني عن فعل مضمر او مظهر فكان ضمير البا في هذا الموضع الامر وفي نسق
تلاوة السورة دليل عليه وهو قوله تعالى اياك نعبد معناه قولوا اياك نعبد وانما حذف
لفظ الابتدا في اول التسمية لان الحال ينبي عنه لان القارى مبتدى والحذف في هذا الموضع
في كلام العرب ابلغ من الاثبات لانك اذا حذفت احتمل اللفظ الخبر بذات واحتمل
الامر الا ترى ان القوم اذا اجتمعوا لروية الهلال فراه واحد منهم قال لاصحابه الهلال و
الله يريد به رايته انا وانظروا انتم وكذلك قول بعض الرماة القرطاس اى اصبت
القرطاس واختلف الناس في اشتقاق الاسم فاكثر اهل اللغة على انه مشتق من السمو
وهو الرفعة ومعنى الاسم التنويه على الشي والدلالة عليه وقوله سميت الرجل اى رفعت
ذكره قال بعضهم انه مشتق من السمة وهي العلامة فكان الاسم علامة للمسمى وانما لم يكتب
لبسم الله بالالف لايثار التخفيف بسبب كثرة الاستعمال كما اسقطوا الالف الثانية من الرحمن
واما الله قال بعضهم هو اسم علم لا اشتقاق له مثل قولك فرس ورجل وجبل ومعناه
عند اهل اللسان المستحق للعبادة ولذلك سميت العرب اصنامهم الهة لاعتقادهم
استحقاقها العبادة وقال بعضهم هو من قولهم اله الرجل الى فلان ياله الها اذا
فزع اليه من امر نزل به فالهه اى اجاره وامنه ويقال للمالوه اليه اله كما
قالوا للموتم به امام ولما يلتحف به لحاف فالاصل في هذا الاسم اله كما قال
الله تعالى حكاية عن اولاد يعقوب قالوا نعبد الهك واله ابايك ثم ادخلوا عليه الالف و
اللام للتعريف فصار الاله ثم استثقلوا اجتماع الهمزتين وهي الاصلية والمجتلبة فحذفوا احدى
الهمزتين وهي الاصلية اذ لم يمكنهم حذف المجتلبة لانهم اجتلبوها لحاجتهم اليها فبقيت
اللام الاصلية مع لام التعريف ولم يكن بينهما حرف اخر فادغمت احداهما في الاخرى فصار
الله ومعناه ان الخلق يالهون ويتضرعون اليه في الحوايج والشدايد وقال بعضهم هو مشتق
من الوله وهو التحير والاصل فيه ولاه فابدلت الواو همزة كما قالوا في وسادة اسادة وفي
وشاح اشاح فصار اله ثم ادخلت عليه الالف واللام للتعريف والمعنى في ذلك ان كل قلب اذا
فكر فيه جل جلاله تحير لانه لا مثل له فيعتقده ونحوه عن امير المومنين رضي الله عنه انه قال الله
المستتر عن ادراك الابصار المحتجب عن الاوهام الاخر سبحانه ذهب الى انه من لاه يليه ولاه يلوه
اذا استتر جعل المصدر منه اسما قايما مقام الفاعل ثم جعلت الواو والياء التي في المصدر الفا لانفتاح
ما قبلها فصار لاه ثم ادخل عليه حرف التعريف واما الرحمن الرحيم فهما اسمان ماخوذان من الرحمة
ووزنهما من الفعل نديم وندمان من المنادمة وفعلان ابلغ من فعيل وهو ابنية المبالغة لا يكون
الا في الصفات كقولك شبعان وغضبان وسكران ولهذا صار اسم الرحمن مختصا بالله تعالى
لا يوصف به غيره واسم الرحيم مشترك لا يوصف به غير الله تعالى وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرحيم العاطف على جميع خلقه بادرار الرزق عليهم والرحيم الرفيق
الشفيق بالمومنين خاصة في الدنيا والعقبى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هما اسمان رقيقان احدهما ارق
من الاخر ولو قال اسمان لطيفان لكان احسن ولكن عنى بالرقة الرحمة والرحمة من الله تعالى هي الانعام على
الخلق ومن الادميين رقة القلب وانما تسمى النعمة رحمة لانها تكثر عند رقة القلب وانما جمع والله اعلم

بين الاسمين ومعناهما جميعاً من الرحمة لانهاية في الرحمة والاحسان بعد الاحسان اذ لا تبلغ رحمة احد رحمة
الله تعالى يقول الرجل انا جاد مجد وفلان ضارب ضرب وبعدا وسحقا ونحو ذلك يريد به الكثير والتاكيد
ولا خلاف بين المسلمين ان بسم الله الرحمن الرحيم من القران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب في
اوايل الكتب في اول الاسلام باسمك اللهم حتى نزل بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزل قوله
تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن فنزلت قصة سليمان عليه السلام في سورة
النمل فكتب حينئذ بسم الله الرحمن الرحيم واختلف اهل العلم في انها اية من سورة فاتحة الكتاب
ام لا فقال قراء الكوفة هي اية منها وابى ذلك اهل المدينة واهل البصرة وليس عن ايمتنا المتقدمين
رواية منصوصة في ان البسملة اية من هذه السورة او ليست منها الا ان الشيخ ابا الحسن الكرخي
كان يقول ان مذهبهم في ترك الجهر بها في الصلوة للاخبار الواردة فيها يدل على انها ليست
اية منها عندهم لانها لو كانت اية منها لجهروا بها كما جهروا بساير اي السورة وقيل لو كانت
اية في نفس هذه السورة لوجب ان تكون قبلها مثلها لتكون احديهما افتتاحا بالسورة والاخرى
اية منها واتفق السلف ان البسملة ليست من اوايل السور الا الشافعي رحمه الله فانه
زعم انها اية من كل سورة وما سبقه الى هذا القول احد ولا خلاف ان التسمية ليست باية
تامة في سورة النمل وان ابتدا الاية هنالك من قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن
الرحيم ومع انها ليست باية تامة في سورة النمل لا يمتنع ان يكون لها حكم الاية التامة في
غيرها الا ترى ان قوله الرحمن الرحيم في اضعاف فاتحة الكتاب اية تامة وليست باية تامة
في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم عند الجميع وكذلك قوله تعالى الحمد لله رب العالمين اية
تامة من فاتحة الكتاب وهي بعض اية من قوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وروي
عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم اية فاصلة بين السور
والله اعلم سورة فاتحة الكتاب مكية عند ابن عباس وعامة المفسرين ومدنية عند مجاهد
وقتادة وهي سبع ايات بلا خلاف في جملتها واختلفوا في اثنين منها قال اهل الكوفة بسم الله
الرحمن الرحيم اية منها وقوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم الى اخر السورة اية واحدة وقال اهل
المدينة والبصرة صراط الذين انعمت عليهم اية وما بعده اية والصحيح والله اعلم ما قاله اهل
المدينة والبصرة لما رواه ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
يقول الله تعالى قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما
سالني فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله عز وجل حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم
قال الله تعالى اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله تعالى مجدني عبدي واذا قال
اياك نعبد واياك نستعين قال الله تعالى هذه الاية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سال
والاستدلال من هذا الخبر من وجهين احدهما انه بدا بذكر الحمد دون التسمية والثاني انه جعل
اياك نعبد واياك نستعين واسطة ولا تكون واسطة الا وان تكون كلمات الثنا قبله
ثلثا وكلمات الدعا بعده ثلثا قوله عز وجل الحمد لله رب العالمين ثنا اثنى الله تعالى به على نفسه
تعليما لخلقه ومعناه قل يا محمد او قولوا الشكر لله تعالى سيد كل ذي روح دب ودرج في الارض
ومن اهل السما والحمد والشكر نظيران يقال الحمد لله شكرا الا ان الحمد اعم من الشكر من حيث
ان فيه معنى المدح من المنعم عليه وغير المنعم عليه ولا يكون الشكر الا من المنعم عليه والشكر
اعم من الحمد من حيث انه يكون باللسان والقلب والجوارح والحمد لا يكون الا باللسان ويتبين

الفرق بينهما بنقيضيهما فنقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران والرب في اللغة اسم
من ربيت الشي ويصلحه يقال للسيد العبد رب ولزوج المراة رب وللمالك رب ولا يقال الرب
معرفا بالالف واللام الا لله تعالى والله سبحانه هو المربي والمحول من حال الى حال من نطفة الى
علقة ثم الى مضغة ثم الى غير ذلك الى اجل مسمى والعالمين اسم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر و
الرهط وغير ذلك وهو اسم لمن يعقل مثل الجن والانس والملايكة لانك لا تقول رايت عالما من الابل و
الغنم الا انه انما حمل اسم العالم في هذه السورة على كل ذي روح دب ودرج لتغليب العقلا على غيرهم
عند الاجتماع كما قال الله تعالى والله خلق كل دابة من ما فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي
على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشا الاية وربما يقال للسموات وما دونها
من ما احاطت به عالم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تعالى ثمانية عشر
الف عالم وان دنياكم منها عالم وفتحت نون العالمين وكل نون جمع اذا كان هجاين للمعادلة لان
هذه النون لا تقع الا بعد واو ساكنة مضموم ما قبلها او ياء ساكنة مكسور ما قبلها فلو ضمت لالتقت
ضمتان ولو كسرت لالتقت كسرتان فلم يبق غير الفتح الرحمن الرحيم الرازق الغفار مالك يوم الدين
قاضي يوم الحساب والجزا يوم يدان الناس باعمالهم لا قاضي يومئذ غيره وقرى ملك يوم الدين بغير
الف وترجيح الاول انه عبارة عن ملك الحقيقة والثاني كناية عن الولاية والقدرة وترجيح الثاني
انه يقال مالك الثوب ومالك الدار ولا يقال ملك الا لملك من الملوك وتخصيص يوم الدين الاية لان الله
تعالى لا ينازعه احد في ملك ذلك اليوم كما قال جل ذكره لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اياك
نعبد واياك نستعين اي قولوا اياك نوحد ولك نطيع ونخضع وبك نستعين على
عبادتك وبك نستوثق على طاعتك واياك اسم للمضمر المنصوب اذا تقدم لا يحسن ادخاله في
غير المضمرات وانتصاب موضعه لوقوع الفعل عليه تقديره نعبدك وحكي عن الخليل انه قال
اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فاضافه الى الظاهر وهو قبيح مع جوازه فان قيل
لم قدم اياك على نعبد وهلا اخر فقال نعبدك فالجواب عنه ان العرب اذا ذكرت شيين قدمت
الاهم فالاهم نحو قولك ضربت زيدا اذا كان بالضرب اعنى وزيدا ضربت اذا كان زيد اهم
وهم به اعنى ثم ذكر المعبود في هذه الاية اهم من ذكر العبادة فقدمه عليها والكاف من اياك في
محل الخفض لانه بمنزلة عصاك ورقاك واجاز الفرا ان يكون الكاف في محل النصب اذا جعل
ايا عمادا لا اسما لانه لا يقوم بنفسه فان قيل لم عدل عن المغايبة الى المخاطبة قلنا مثله كثير في
القران وكلام العرب قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة اهدنا
الصراط المستقيم ارشدنا الطريق القايم الذي ترضاه وهو الاسلام وهذا دعا ومسلة خرج
على لفظ الامر لان الامر لمن هو دونك والمسلة لمن فوقك فان قال قايل ما معنى قولكم
اهدنا وانتم مهتدون قلنا قال الكلبي ومقاتل هذا سوال منا في مستقبل الزمان عند دعوة
الشيطان وعن عبد الله بن مسعود انه قال خط لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا و
بجنبه خطوطا وقال ان هذا الصراط المستقيم وان هذه السبل وعلى راس كل طريق شيطان يدعو
ويقول هلم الى الطريق ونزل بهذا قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
وروي عن علي رضي الله عنه ان معنى قوله تعالى اهدنا اي ثبتنا على الصراط المستقيم لا
تقلب قلوبنا بمعصيتنا ونظيره قوله تعالى في قصة ابرهيم عليه السلام اذ قال له ربه اسلم
اي اثبت على الاسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هو استدعا الهدى الى الطاعات

وزاد في عين المعاني عن الخدري اربعين الف عالم وعن مقاتل بن حيان ثمانين الف عالم وعن الضحاك ثلثمائة وستون عالما عراة حفاة لا يعرفون خالقهم وستون عالما يلبسون الثياب ويعرفون رب الارباب

والاخلاص والاحكام واما الاسلام فقد سبق به الافضال واما السراط بالسين والزاى في القراة
القريب يخرج بعض هذه الحروف من بعض صراط الذين انعمت عليهم اى طريق الذى مننت عليهم بمعرفتك
قلوبهم على الاسلام حتى ماتوا وهم انبياؤه عليهم السلام واهل طاعته رحمهم الله غير المغضوب
عليهم ولا الضالين غير طريق اليهود الذين غضبت عليهم وخذلتهم بمعصيتهم ولم تحفظ قلوبهم حتى
تمسكوا الاسلام ولا طريق النصارى الذين ضلوا عن الاسلام وانما عرف ان المراد بالمغضوب عليهم
اليهود وبالضالين النصارى بالكتاب والسنة قال الله تعالى في قصة اليهود فباؤا بغضب على غضب وقال عز
من قايل في قصة النصارى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وروى ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو بوادى القرى من المغضوب عليهم فقال عليه السلام اليهود ومن الضالين قال عليه السلام
النصارى واما امين فليس من السورة ولكن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقوله
امر به على ما روى عنه عليه السلام انه قال لقننى جبريل عليه السلام بعد فراغى من فاتحة الكتاب
امين وقال انه كالطابع على الكتاب وفيه لغتان امين بالقصر والتخفيف كما قال الشاعر تباعد عنى
فطحل اذ دعوته امين فزاد الله ما بيننا بعدا وآمين بالمد والتخفيف كما قال الاخر يا رب لا تسلبنى
حبها ابدا ويرحم الله عبدا قال آمينا وهو لغة بالسريانية معناه اللهم اسمع واستجب كما يقال صه
ومه ومعناه اسكت وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن معنى امين فقال عليه السلام رب افعل وعن ابن عباس رضى الله عنه ان معناه كذلك
فليكن والله اعلم سورة البقرة مدنية الا آية واحده وهو قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله فانها نزلت بمنى وهى كالمدنية ايضا لنزولها بعد الهجرة وعدد آى هذه السورة مايتان و
ثمانون وست ايات كوفى وسبع بصرى وخمس حجازى بسم الله الرحمن
الرحيم الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين اية واحدة عند الجميع الا عند الكوفيين
فانه عندهم ايتان الاولى منهما قوله تعالى الم واختلف الناس في الم وساير حروف الهجاء في
اوايل السور روى عن عمر وعثمان وابن مسعود رضى الله عنهم انهم قالوا ان الحروف المقطعة من
المكتوم الذى لا يفسر وقد فقههم الشعبى على ذلك فقال ان لله تعالى سرا في كتبه وان سره في
القران هو الحروف المقطعة واكده محمد بن السايب الكلبى لما روى ان رهطا من اليهود منهم كعب
بن الاشرف وحيى بن اخطب وجدى بن اخطب وغيرهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له حيى بلغنا يا محمد انك قرات الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فان كنت صادقا فيما تقول
فان منتهى ملك امتك الى احدى وسبعين سنة لان الالف في حساب الجمل واحد واللام ثلاثون
والميم اربعون فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حيى وهل غير هذا فقال نعم المص
فقال حيى هذا اكثر لان الصاد سبعون فهى احدى وثلثون ومائة فهل غير هذا قال نعم الر فقال
حيى هذا اكثر لان الرا مايتان فهى احدى وثلثون ومايتا سنة فهل غير هذا قال نعم المر
فقال حيى وهذا اكثر وهى احدى وسبعون ومايتا سنة ثم قال خلطت علينا يا محمد فلا
ندرى ابالقليل ناخذ ام بالكثير فانزل الله تعالى هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات
هن ام الكتاب واخر متشابهات وعن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى الم ان معناه
انا الله اعلم اى ان كل حرف قايم مقام كلمة وقال في قوله تعالى الر انا الله ارى وفى المر انا
الله اعلم وارى وفى المص انا الله اعلم وافصل وقال في كهيعص الكاف من كافى والهاء من
هادى والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وعن ابن مسعود رضى الله عنه

الله قال هو اسم الله الاعظم ويقال الالف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم
اسمه مجيد ومعناه الله اللطيف المجيد انزل الكتاب ويقال الالف هو الله تعالى واللام جبريل
عليه السلام والميم محمد عليه الصلوة والسلام معناه الله تعالى انزل جبريل عليه السلام
بهذا القران وقد نطقت العرب بالحرف الواحد دليلا على الكلمة التى هو منها قال الشاعر قلنا
لها قفى لنا قالت قاف لا تحسبى انا نسينا الايجاف اراد بالقاف وقفت وقال الكلبى
هذا قسم اقسم الله تعالى به ان هذا الكتاب الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الكتاب
الذى عند الله وجواب القسم لا ريب فيه وعن قتادة رضى الله عنه ان الحروف المقطعة اسما
للسور تعرف كل سورة بما افتتحت به وعن مجاهد انه قال هى فواتح افتتح الله تعالى بها كتابه
وعن ابى عبيدة هى شعار السور وعن قطرب ان المشركين كانوا لا يسمعون القران
كما قال الله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه اراد الله تعالى
ان يسمعهم الحروف المقطعة ليستمعوا الى ذلك فيسكتوا طمعا في الظفر بما يحبون فيقيم النبى
صلى الله عليه وسلم الحجة عليهم وعنه ايضا ان الكفار كانوا يقولون قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه فلا نفهم ما تقول واراد الله تعالى ان يبين لهم ان هذا القران مولف من الحروف
المقطعة التى ركبت عليها السنتهم فما لهم لا يفقهون المراد بذكر بعض الحروف تمام الحروف
كما يقول الرجل علمت ولدى ا ب ت ث لا يريد به هذه الحروف الاربعة وعلى هذا تفسير
ساير الحروف المقطعة في القران فان قيل كيف يجوز ان يكون الحرف الواحد مستجمعا لجهات
مختلفة قيل يجوز في كلام العرب خاصة الا ترى انهم يقولون للجماعة امة وللدين امة
وللرجل الواحد امة وللقامة امة وكذلك اسم المولى ونحو ذلك وكذلك الم وان كان ثلثة
احرف لا يستنكر اختلاف معانيها على صحة التاويل وهذه الحروف موقوفة لانها هجاء وحروف
التهجى لا حظ لها في الاعراب فيوقف كل حرف على نية السكت والابتداء بما يليه كما يفعل بالعدد في
قولهم احد اثنان ثلاثة فاذا ادخلوا الواو حركوه لانه صار في حد الاسماء فيقال الف ولام و
ميم وكذلك العدد قال الشاعر اذا اجتمعوا على الف وواو وياء هاج بينهم قتال قال اخر
اقبلت من عند زياد كالخرف تخط رجلاى بخط مختلف يكتبان في الطريق لام الف قال
القاضى الامام اختلفوا في محل هذه الحروف فقال قوم محلها رفع بالابتداء وذلك خبره والكتاب
صلة لذلك كما تقول زيد ذلك الرجل لا شك فيه فزيد مبتدا وما بعده من الجملة خبر عنه وهذا
اذا صح التاويل في الم ويحتمل ان يكون الف لام ميم خبرا مقدما على ذلك الكتاب تقديره ذلك
الكتاب الذى وعدت ان اوحيه اليك الم اى هذه الحروف ومن ابطل محل الحروف جعل ذلك
ابتداء والكتاب خبره والم كالصلة فيكون لذلك الكتاب معنيان احدهما ان ذلك بمعنى هذا اى
هذا الكتاب لا شك فيه وقد يستعمل ذلك موضع هذا كما قال خفاف بن ندبة اقول له والرمح ياطر
متنه تامل خفافا اننى انا ذلكا اى اننى هذا والثانى على الاضمار كانه قال هذا القران ذلك
الكتاب الذى وعدت في التورية والانجيل على لسان موسى وعيسى عليهما السلام ان اوحيه اليك او
هذا القران ذلك الذى في اللوح المحفوظ فان قيل ما معنى قوله تعالى لا ريب فيه وقد ارتاب فيه كثير
من الناس قيل معناه والله اعلم لا شك فيه للمتامل فيه انه شىء لم يختلقه محمد صلى الله عليه وسلم
من تلقاء نفسه او لا ينبغى ان يشك فيه لانه معجز ويحتمل ان يكون معناه لا ترتابوا فيه كما في قوله

الايجاف سير الخيل والابل سرعة يقال وجف فاجف

تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال و يحتمل لا شك فيه عند المومنين وانما انتصب لا ريب فيه
لتعميم النفي الا ترى انك تقول لا رجل في الدار تنصب اللام فيكون نفياً عاماً واذا قلت لا
رجل في الدار بالرفع والتنوين جاز ان يكون في الدار رجلان او ثلثة و قال سيبويه لا مع ما
بعدها شي واحد كخمسة عشر وهي علة لنصب ما بعدها قوله عز وجل هُدًى لِلْمُتَّقِينَ بيانا للمتقين
الشرك والكبائر والفواحش والمتقي من جعل قلبه في الوقاية وهو الحفظ من الشهوات والمعاصي لان
اتقى كان في الاصل وتقى على وزن افتعل من الوقاية فان قيل ما معنى تخصيص المتقين في الاية و
القران هدى للمتقين وغير المتقين قيل تخصيص الشي بالذكر لا يدل على نفي ما عداه وفايدة التخصيص
تشريف المتقين لان منفعة البيان راجعة اليهم كما قال عز وجل انما انت منذر من اتبع الذكر وقال عز
من قايل انما انت منذر من يخشاها وموضع هدى نصب على الحال اما من قوله تعالى ذلك الكتاب كانه
قال ذلك الكتاب هاديا واما من قوله تعالى لا ريب فيه في حال هدايته ويجوز ان يكون موضعه رفعا على
اضمار هو او فيه قوله عز وجل الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
قال ابن عباس معناه الذين يقرون بغيب القران انه من الله تعالى يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويقيمون
الصلاة بحق شرايطها وما يجب من حق الله تعالى فيها في مواقيتها ومما اعطيناهم من الاموال يؤدون
زكوتها الى الفقرا وقال قتادة يصدقون بموعود الله الذي وعد به في القران من البعث والحساب
والجنة والنار قال عطا الغيب هو الله تعالى قال رضي الله عنه الايمان على ضربين لغوي وشرعي
فاللغوي هو التصديق فقط مجردا كقوله تعالى وما انت بمومن لنا اي بمصدق والشرعي الاقرار
باللسان والتصديق بالقلب في كل ما يلزم تصديقه من الله تعالى وكتبه ورسله فما لم يوجدا معا لم يكن قايله موحدا على الحقيقة وحقيقة الغيب ما لا يدرك بالحواس الخمس ويحتاج في اثباته
الى الاستدلال وعلى الايمان به يستحق المدح لان ما ادرك عيانا وحسا لا مدح في الاقرار
بوجوده وفي الاية دلالة وجوب الصلوة والزكوة لان الله تعالى جعلهما من صفات المتقين
كما جعل الايمان بالغيب وهو الايمان بالله تعالى وبالبعث والحلال والحرام من شرايط التقوى
ويجوز ان يكون اقامة الصلوة من تقويم الشي بالحقيقة ومنه قوله عز وجل واقيموا الوزن
بالقسط يقال قام بالامر واقامه اذا جا به معطيا حقوقه ويجوز ان يكون معنى اقامتها
اداوها على ما فيها من قيام وغيره فعبر عنها بالقيام لان القيام من فروضها وان كانت
تشتمل على فروض غيره كقوله تعالى فاقروا ما تيسر من القران واراد به الصلوة التي فيها القراة
وقوله تعالى وقران الفجر اراد به القراة في صلوة الفجر وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين فذكر ركنا
من اركانها الذي من فروضها واقامة الصلوة قيام القوم لها يقال ليل قايم اي يقام فيه و
نهار صايم اي يصام فيه ويحتمل معنى قوله تعالى ويقيمون اي يديمون لقول العرب في الشي
الدايم الجاري قايم وفي فاعله مقيم ويقال فلان يقيم ارزاق الجند ويجوز ان يكون معنى اقامة
الصلوة الاشتغال بها عن غيرها يقال قامت السوق اذا حضر اهلها ومنه قامت الصلوة
واما الرزق في اللغة فهو الحظ والنصيب قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي
حظكم من هذا الامر التكذيب به وعن السدي انه قال في تفسير قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون
هو نفقة الرجل على اهله ويقال هو الجهاد والظاهر انه الزكوة لان الله تعالى قرن بين الصلوة
والزكوة في مواضع من كتابه واقامة الصلوة طهارة الابدان واعطا الزكوة طهارة الاموال

حرامه

وبالاموال قوام الابدان وقيل الايمان بالغيب حظ قلبك واقامة الصلوة حظ بدنك والانفاق
من الرزق حظ مالك قوله عز وجل وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ زيادة في وصف المتقين معناه الذين يصدقون بالقران الذي انزل
اليك وبالتورية والانجيل وساير الكتب المنزلة من قبلك وبالبعث الذي فيه جزا الاعمال
يقرون وروى انه لما نزل قوله تعالى الذين يومنون بالغيب الى اخر الاية قالت اليهود نحن امنا
بالغيب ونقيم الصلوة وننفق مما رزقنا الله فانزل الله تعالى والذين يومنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك الاية فتبرؤا من ذلك قال الصادق رضي الله عنه انما قال وبالاخرة هم يوقنون
ولم يقل يومنون لان الايقان توكيد الايمان واليقين بالاخرة يقين خبر ودلالة وبصيرة
معاينة عند الروية ويسمى البعث آخرة لانها اخرت الى فنا الدنيا قوله عز وجل أُولَئِكَ عَلَى
هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ اهل هذه الصفة الذين سبق ذكرهم على بيان من الله
تعالى في الدنيا وهم الناجون السعدا الباقون في الجنة والمفلح في اللغة كل من اصاب خيرا واصل
الفلح القطع ومنه يسمى المكاري فلاحا والاكار فلاحا لانهما يقطعان الارض ويقال الحديد بالحديد يفلح
بالحديد قال الشاعر افلح بما شيت فقد يدرك بالضعف وقد يخدع الاريب معناه اقطع حيلتك
بما شيت ويقال اصل الفلاح البقا والظفر ثم اخذ منه القطع والله اعلم قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ فصل ثان من فصول هذه السورة لان
ما قبل هذا كان في ذكر المومنين وهذه الاية والتي بعدها في ذكر الكفرين ومعنى هذه الاية والله اعلم
ان الذين جحدوا بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم مستو عندهم اخوفتهم بالقران ام لم تخوفهم لا
يصدقون بنبوتك والكفر بالله تعالى نقيض الايمان به وكفر النعمة نقيض شكر النعمة واصل الكفر
الستر يقال كفرت الشي اذا غطيته ويسمى الليل كافرا لانه يغطي الاشيا بظلمته ويسمى الزارع كافرا
لانه يغطي البذر بالارض قال الله تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته اي الزراع فكان الكافر يستر نعمة
الله عليه بجحوده وانكاره والسوا الاعتدال يقال هذا وهذا سوا اي معتدلان ويقال لوسط
الطريق سوا لانه تعتدل اليه المقادير وقد يقام المصدر مقام الاسم يقال رجل عدل وصوم اي عادل
وصايم والانذار ابلغ من التخويف لانه اعلام بموضع المخافة يقال انذرته فنذر اي اعلمته
موضع المخافة وحذرته فعلم فحذر وتحقيق الهمزتين في قوله أأنذرتهم تشبث باصل الكلمة
لان الف الاستفهام دخل على الف القطع واما تطويل الهمزة الاولى مع تحقيق الثانية في أأنذر
فلكراهة الجمع بين الهمزتين على صفة واحدة لما في ذلك من الثقل كما قال الشاعر تطاولت
فاستشرفته فرايته فقلت له آأنت زيد الارانب واما تحقيق الهمزة الاولى وجعل
الثانية بين بين اعني بين الهمزة والالف وكذا في قوله سال سايل وفي رووف بين بين
على ما يعتقده القرا فللتخفيف ايضا وكذلك اسقاط احدى الهمزتين من الاصل للتخفيف لان
فيما بعد اللفظ الاول دليل الاستفهام وهو قوله تعالى ام لم تنذرهم كما قال الشاعر لعمرك ما ادري
وان كنت داريا بسبع رمين الجمر ام بثمان شعيب بن سهم ام شعيب بن منقر فان قال قايل اخبر الله تعالى في
هذه الاية عن الكفرين انهم لا يومنون وقد امن كثير منهم فما معنى الاية فالجواب عنه
ان الاية نزلت في قوم مخصوصين وهم روسا اليهود حيي بن اخطب واصحابه على ما روينا
عن الكلبي وفي اول هذه السورة وقال مقاتل نزلت في مشركي قريش عتبة بن ربيعة وشيبة
بن ربيعة وابي جهل ويجوز تخصيص الاية بالاية كما قال الله تعالى الزانية والزاني ثم قال

تك

والكافر الحر ومغيب الشمس والدرع
والما في قوله عز وجل كما يعجب الكفار
من الكفار الغيور

تعم

فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وبالسنة كما قال الله تعالى والسارق والسارقة
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا قطع في ثمر ولا كثر وبالقياس كقياس العبيد على الاماء في تنصيف
الجلد تخصيصا من قوله الزاني وبالاجماع كقوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين ثم اجمعنا على
ان العبيد لا يورثون من ابائهم وبالاستدلال كقول الله تعالى في هذه الاية ختم الله على
قلوبهم ويجوز ان يكون قوله تعالى لا يؤمنون في جميع الكفار وايمان بعضهم لا يؤدي الى المناقضة ٥
قوله عز وجل **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب
عظيم** اي طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير وعلى اذانهم فلا يسمعون الحق وعلى ابصارهم غطاء فلا
يبصرون الهدى ولهم عذاب عظيم يخلص وجعه الى قلوبهم يصغر عنده كل عذاب في الدنيا والختم في اللغة
على ثلثة معان احدها الطبع وهو تاثير الوسم كنقش الخاتم والثاني المنع من ان يدخله شيء والثالث
الفراغ من الشيء كقوله تعالى ختامه مسك واما القلوب فهي جمع القلب وهي الافئدة وسمي القلب قلبا
لتقلبه بالخواطر وبالعزم على الامور قال الشاعر ما سمي القلب الا من تقلبه ٥ والمرء يخلق طورا بعد
اطوار ٥ واما قوله تعالى وعلى سمعهم وحد السمع وقد علل بين الجمعين لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع
ويقال معناه على مواضع سمعهم لان السمع لا يختم وانما يختم موضع السمع ولكن حذف المضاف واكتفى
بالمضاف اليه لدلالة الحال عليه يقال اصحاب فلان عدل اي ذووا عدل وقيل اراد سمع كل واحد
بعينه كما يقال ايتني براس كبشين يراد كل واحد منهما كما قال الشاعر كلوا في نصف بطنكم تعيشوا ٥ (تعفوا)
فان زمانكم زمن خميص ٥ وقراءة الرفع للغشاوة على معنى ان قوله وعلى ابصارهم كلام مبتدا
فاما قراءة النصب فعلى اضمار وجعل كما قال الشاعر يا ليت زوجك قد غدا ٥ متقلدا سيفا ورمحا ٥
اي حاملا رمحا والعذاب هو ايصال الالم الى الحي مع الهوان ولهذا لا نقول فيما يفعل الله تعالى
بالبهايم والاطفال عذاب لهم لانه لا يفعل بهم على سبيل الهوان والعظيم على وجهين عظيم في الجسم
وعظيم في المقدار وهو فعيل بمعنى فاعل فان قيل اذا ختم الله على قلوبهم وعلى اسماعهم ومنعهم عن الهدى
فبماذا يستحقون العقوبة في العقبى قلنا هؤلاء القوم المخصوصون الذين انزل الله تعالى فيهم هذه الاية
كان الله تعالى يسر عليهم السبيل في الابتدا فلو جاهدوا لوفقهم كما قال في اية اخرى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا ولكن لما لم يجاهدوا وعاندوا واختاروا الكفر عاقبهم الله تعالى في الدنيا
بالختم على قلوبهم وفي الاخرة بالعذاب العظيم كما قال الله تعالى في موضع اخر بل طبع الله عليها بكفرهم
وعن صفية بنت حيي قالت رجع ابي وعمي من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما لصاحبه
ما ترى في هذا الرجل قال انه نبي قال فما ترى في اتباعه قال ارى ان لا اتبعه واظهر له العداوة الى
الموت فان قيل فما معنى دعوة من علم الله تعالى انه لا يؤمن قيل لصحة العلم بانه يقدر ان يؤمن
ولو علم انه لا يقدر كما علم انه لا يؤمن لما كان يدعوه ولكان دعوة هذا محالا عند قوم لانه تكليف ما لا
يطاق وصوابا عند قوم لاقامة الحجة قوله عز وجل **ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم
الاخر وما هم بمؤمنين** اول فصل ثالث من فصول هذه السورة اذ هذا الفصل الى اخره ثلثة
عشر اية في ذكر المنافقين وهم عبد الله بن ابي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس ومن تابعهم
كانوا يقولون لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم امنا بالذي امنتم به ونشهد ان صاحبكم حق صادق
فيما يقول وانا نجده في التورية بنعته وصفته ولم يكونوا كذلك فاذا خلا بعضهم الى بعض ما نزل الله
تعالى فيهم هذه الايات فكلمة من للتبعيض فكانه قال بعض الناس او من الناس ناس يقولون صدقنا بالله و
بيوم البعث وليسوا بمصدقين لانهم يضمرون خلاف ما يظهرون والناس اسم جمع لا واحد له من

لفظه

لفظه كالنساء والخيل والابل ولو كان جمع انسان لقيل اناسين مثل سرحان وسراحين وانما سمي
الناس ناسا لانهم يونسون اي يبصرون كما قيل للجن جن لاجتنانهم واستتارهم وسمي يوم
القيمة اخرا لانه لا يجي الا بعد انقضا ايام الدنيا وقيل اخر يوم من ايام الدنيا وهو يوم لا يجي بعده
ليل والبا في قوله تعالى بمؤمنين لتاكيد النفي لانك اذا قلت ما زيد باخيك ولم يسمع السامع ما
علم انك ناف بخلاف قولك ما زيد اخاك وانما وحد الفعل في اول الاية وجمع الضمير في اخرها
لان لفظ من موحد ومعناه يصلح للذكر والمؤنث والاثنين والجماعة فعدل تارة الى اللفظ
وتارة الى المعنى كما في قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن الى اخر الاية وقوله تعالى ومن
يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا لان اللفظ مبهم وفي الاية دليل ان القول المجرد لا يكون
ايمانا لان الله تعالى نفى منهم الايمان بهذه الاية وصرح بكفرهم حيث قال ان المنافقين لكاذبون
والله اعلم قوله عز وجل **يخادعون الله والذين امنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون**
قال ابن عباس يكذبون الله والمؤمنين ويخالفونهم في ضمايرهم وما يكذبون الا انفسهم لانه اذا علم
كذبهم فكانهم في الحقيقة هم الذين كذبوا انفسهم وما يعلمون ان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله
عليه وسلم على كذبهم فان قال قايل ما وجه مخادعة الله تعالى بعد ان لا يخفى عليه شيء وما وجه مخادعة
المؤمنين ومخادعة انفسهم قلنا اما الاول ففيه جوابان احدهما ان المخادعة هو الاخفا يقال للبيت
الذي يخزن فيه المال مخدع ويقال انخدعت الضبة في جحرها وقال عليه السلام الحرب خدعة
والله تعالى لا يخادع في الحقيقة لان المنافقين لا يخلون من احد وجهين اما ان يكونوا عارفين بالله
تعالى فيعلمون ان الله لا يخادع ولا يلبس بشيء او غير عارفين وذلك ابعد اذ لا يصح ان يقصدوه
ولكن اطلق عليهم اسم المخادعة لما فعلوا فعل المخادعين على معنى انهم اعتقدوا ان الله تعالى العفو
عنهم والمغفرة لهم في اظهارهم الايمان واضمارهم الكفر فكانهم خادعوه لان الانسان اذا اظهر لاخر
خلاف ما اضمر لان يقع مراده منه فقد خادعه فاذا وجد منهم هذا المعنى اطلق عليهم هذا الاسم و
يجوز مثل هذا يقال للمرائي ويل فلان ما اجراه على الله فكانه خادعه ولذلك قيل نفاعلون ولو
كان يصح لهم خداعهم لقيل يخدعون الله تعالى والثاني يخادعون رسول الله فحذف الرسول صلى
الله عليه وسلم لدلالة المضاف اليه اذ علم من طريق العقل استحالة مخادعة الله تعالى نظيره
قوله تعالى واسال القرية اي اهل القرية واما وجه مخادعة المؤمنين ففيه اجوبة احدها انهم
يظهرون الاسلام تقية والثاني يظهرونه ليكرموهم ويبجلوهم ويتولوهم كما يتوالى المؤمنون
بعضهم بعضا والثالث انهم كانوا يظهرون لهم الايمان ليفشوا اليهم اسرارهم فينقلونها الى اعدائهم
واما وجه مخادعتهم انفسهم اي ضرر ذلك راجع اليهم وهذا معروف في اللغة يقال فلان
اراد ان يخدع فلانا فخدع نفسه اي لم تنفذ حيلته فيه ورجعت مضرتها عليه وقرئ وما
يخادعون بالالف والمعنيان متقاربان الا انه اتى بالالف ليعطف لفظه على شكلها و
المفاعلة قيل تختص بها الواحد كالمناولة والمضايقة والمعافاة والمسافرة والمعاقبة و
الشعور هو العلم الدقيق الذي يتولد من الفطنة وهو من شعار القلب ومنه سمي الشاعر شاعرا
لانه تفطن لما يدق من المعنى والوزن ومنه الشعر لدقته ويقال ما شعرت به اي ما علمت
وليت شعري ما صنع فلان اي ليت علمي قوله عز وجل **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا
ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون** تمام العشر في قول الكوفيين خاصة معناه في قلوبهم شك
ونفاق فزادهم الله تعالى شكا ونفاقا ولهم عذاب اليم مؤلم موجع لقولهم انهم مؤمنون

ولتبنوا المؤمنين والمرض الضعف والفتور يخاف منهما الهلاك وسمي المريض مريضا لما حل به من
الآفة ويقال وعد مريض وكلام مريض وسمي النفاق مرضا لانه يهلك صاحبه اولانه صاحبه يضطرب
في الدين يوالي المؤمنين بالقول والكفار بالقلب كحال المريض الذي هو مضطرب بين الحيوة والموت
او المريض ممنوع من التصرف وكذا الشاك يمنعه شكه من المضي في الامر وقيل ان الشك الم القلب
والمرض الم البدن فسمي الشك مرضا لما فيه من الهم والحزن والفاء في قوله تعالى فزادهم الله لمعنى
المجازاة وقيل على وجه الدعا ومعنى الزيادة انهم لما ازدادوا شكا عند نزول الايات فكان الله تعالى
زادهم شكا لكون الايات سببا لشكهم كما قال الله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا او كسر الرا على قول بعض القرآة بعض العرب في قدور ولفظ الفعيل بمعنى المفعل
كما قال الشاعر امن ريحانة الداعي السميع * يؤرقني واصحابي هجوع * اراد بالسميع المسمع
وليس في العذاب شي غير الالم لكن ذكر اليم تاكيدا ونعتا لشدة العذاب ومن قرا يكذبون
بالتثقيل فمعناه بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم واللفظان متقاربان لان المنافقين كانوا
كاذبين بقولهم مكذبين بقلوبهم قال الله تعالى ويل يومئذ للمكذبين وقال ان الفجار لفي جحيم اراد
بالفجور الكذب وبعض اهل النحو يجعل ما وكانوا صلة فيقولون ولهم عذاب اليم يكذبهم و
الاولى اعمال الحروف ما وجد لها مساغ اي ولهم عذاب اليم بالشي الذي كانوا يكذبون به
قوله عز وجل واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون تمام العشر عند غير
الكوفيين معناه واذا قيل للمنافقين لا تفسدوا في الارض بالمعاصي والمداهنة وتعويق الناس عن دين
محمد صلى الله عليه وسلم قالوا انما نحن عاملون بالطاعة ومصلحون بالمداهنة لانهم كانوا يقولون نحن
لا نعادي الكفار ولا المؤمنين نداري نأتي هؤلاء بوجه حتى اذا كانت الغلبة لاحد الفريقين لا
يصيبنا من دايرتهم شي ومن ضم القاف من قيل وغيض وسيق واشباهها فقصده استيفا
علامة ما لم يسم فاعله والفساد ضد الصلاح وهو ترك الطاعة ومجاوزة الحدود قوله عز وجل
الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون اي بل انهم هم العاملون بالمعصية والمفسدون
فالمداهنة ولكن لا يعلمون انهم كذلك وكلمة الا للاستفهام والتنبيه واصلها لا دخلت عليها الف
الاستفهام واخرجتها من حد الجحد الى حد التقرير والتحقيق كما في قوله جل ذكره اليس ذلك بقادر على
ان يحيي الموتى ولكن كلمة موضوعة لنفي خبر متقدم واثبات خبر متاخر وهي مبنية على ثلثة احرف
لا وهي للنفي والكاف يوقفها المخاطبة ما بعدها والنون بعد الكاف لتثبيت خبر وهي كلمة تخفف
وتثقل فاذا ثقلت نصبت ما بعدها واذا خففت رفعت قوله عز وجل واذا قيل لهم امنوا كما
امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ينصرف
الى منافقي اهل الكتاب على ما قاله مقاتل ومجاهد فاما ما ذكر الكلبي عن ابن عباس ان الاية
نزلت في اليهود اراد باليهود هؤلاء المنافقين عبد الله بن ابي ومن تابعه اذ كانوا من اليهود و
معنى الاية واذا قيل للمنافقين صدقوا بقلوبكم كما صدق اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا
انصدق كما صدق الجهال يقول الله عز وجل الا انهم هم الجهال بتركهم التصديق في السر و
لكن لا يعلمون انهم جهال والالف في انؤمن للاستفهام ومعناها الانكار والسفه في اللغة
خفة الحلم يقال ثوب سفيه اذا كان رقيق النسج واختلف القراء في قوله السفهاء الا انهم من
حقق الهمزتين على اصل الكلمة ومنهم من خفف الثانية فجعلها بين الواو والهمزة ومنهم من
يجعل الثانية واوا خالصة ومنهم من يخفف الاولى ويحقق الثانية وكل ذلك لاستثقال

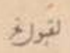
الجمع بين الهمزتين قوله عز وجل واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون قال الكلبي من سبب نزول الاية ان ابا بكر وعمر و
عليا رضي الله عنهم مروا بعبد الله بن ابي واصحابه من المنافقين فقال عبد الله بن ابي
لاصحابه انظروا كيف ارد هؤلاء الجهال عنكم فتعلموا مني كيف اكلمهم واغلبهم فاخذ بيد ابي
بكر وقال مرحبا بسيد بني تيم ثاني اثنين وصاحبه في الغار وصفيه من امته الباذل نفسه
وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي القوي في امر الله تعالى الشديد الغضب
لله تعالى الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا
بسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم خصه الله تعالى بالنبوة فاكرمه
بها الباذل نفسه وماله ودمه السابق الى الهجرة فقال له علي يا عبد الله اتق الله ولا تنافق
فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال لم تقول هكذا والله اني لمؤمن بالله ورسوله كايمانكم و
تصديقكم ثم افترقوا فقال عبد الله بن ابي لاصحابه كيف رايتم ردي هؤلاء عنكم قالوا لا نزال
بخير ما عشت لنا ورجع ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه
بما قال لهم وبما ردوا عليه فنزلت هذه الاية ومعناها والله اعلم اذا اجتمع المنافقون مع
المؤمنين قالوا للمؤمنين صدقنا كما صدق اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واذا خلوا الى شياطينهم
قال ابن عباس الى رؤسائهم في الضلالة قال الاخفش وابو عبيدة كل عات متمرد فهو شيطان و
قال الكلبي واذا خلوا الى كهنتهم وهم خمسة رهط من اليهود ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان
تابع له كعب بن الاشرف في المدينة وابو بردة في اسلم وابن السوداء في الشام وعبد الدار في
جهينة وعوف بن عامر في بني اسد قالوا لهم انا على دينكم انما نحن مستهزءون باصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم باظهار قول لا اله الا الله محمد رسول الله ومعنى دخول الى في قوله تعالى واذا خلوا
الى شياطينهم بمعنى مع وقيل انه بمعنى الاختصاص والغاية يقال خلوت الى فلان اذا خلوت
معه في خاص من الامور وجعلته غايتك في حاجتك فاما خلوت بفلان اذا خلوت معه في شي
ما وقد يكون معناه سخرت منه والشيطان فيعال من الشطن والشطن البعد كانه قيل بعد
من الخير وقد يسمى الحبل الطويل المضطرب شطنا فكانه يسمى الشيطان شيطانا لانه شطن عن الخير و
اضطرب وقيل الشيطان فعلان من قولهم شاط يشيط اذا غضب وهلك والنون زايدة قال
قطرب الشياطين جمع شيطان وعلى هذا القصح قراة الحسن وما تنزلت به الشياطون قال الله تعالى
الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون اي يجازيهم على هزوهم بالعذاب و
يمهلهم ويتركهم في ضلالتهم يترددون ويتحيرون قال الكسائي يقال مد في الشر وامد في
الخير قال يونس المد في معنى التردد والمداد في معنى الاعطا قال الزجاج مده في الغي وامده
قال الاخفش يمدهم اي يمد لهم بحذف اللام كما يقال الغلام يلعب الكعاب اي يلعب بالكعاب
فحذفت الباء والطغيان مجاوزة الحد قال الله تعالى انا لما طغى الما والعمه التحير يقال رجل عمه و
عامه اي متحير متردد تردد الاعمى في طريقه قال رؤبة بن العجاج ومهمه اطرافه في مهمه *
اعمى الهدى بالجاهلين العمه * فان قال قايل كيف يجوز الاستهزا من الله تعالى بعباده والاستهزا
قبيح فيما بيننا قيل له قد بينا ان المراد بالاستهزاء من الله تعالى المجازاة وقد يسمى جزاء الذنب باسمه
كما قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال عز من قائل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه والثاني
ليس باعتدا ولا سيئة قال عمرو بن كلثوم * الا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا *

ومعلوم انه لم يتمدح بالجهل ولكن جرى على عادتهم في ازدواج الكلام ومقابلته ومعنى المجازاة
من الله تعالى انه اطلع المومنين على ضمايرهم في الدنيا واباح لهم الاستهزا بهم ولم يامر بقتالهم كما امر
بقتال المشركين فاغتر المنافقون بالامهال في الدنيا فكان كالمستهزا بهم اذ كان وبال فعلهم راجعا
اليهم واضاف الله تعالى فعل المومنين الى نفسه كما يقال قطع الامير اللص وفتح عمر السواد وقال
الكلبي الاستهزاء ان يفتح لهم باب الى الجنة وهم في جهنم فيقال لهم تعالوا فيقبلون نحوه يسبحون
في النار والمومنون على الارايك ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى الباب سد عنهم ويفتح لهم باب اخر
في مكان اخر فيقبلون نحوه يسبحون في النار فاذا انتهوا الى الباب سد عنهم والمومنون على الارايك
ينظرون اليهم كما قال الله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وقال مقاتل الاستهزا يكون
على الصراط حين يذهب المومنون فيطفا نور المنافقين كما قال الله تعالى في سورة الحديد يوم يقول
المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا
فان قال قايل ما وجه الحكمة في ان الله تعالى امر بقتال الكفار المعلنين بالكفر ولم يامر بقتال المنافقين
مع انهم في الدرك الاسفل من النار وخالف بين احكامهم واحكام ساير المظهرين للشرك في الدنيا
واجراهم مجرى المسلمين في التوارث والانكحة وغير ذلك قيل له عقوبات الدنيا ليست موضوعة على مقادير
الاجرام والماثم وانما هي على ما يعلم الله من المصالح فيها وعلى هذا اجرى الله احكامه فاوجب رجم المحصن الزاني
ولم يزل عنه الرجم بالتوبة وكذلك حد قاطع الطريق لا يسقط عنه بالتوبة بعد القدرة عليه والكفر
اعظم من الزنا وقطع الطريق ولو كفر رجل ثم تاب قبلت توبته قال الله عز وجل قل للذين كفروا ان
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وحكم الله تعالى على القاذف بالزنا بالجلد ثمانين ولم يوجب بالقذف بالكفر
وهو اعظم من الزنا الحد واوجب على شارب الخمر الحد ولم يوجبه على شارب الدم واكل الميتة ولهذا
قال علماونا رحمهم الله لا يجوز اثبات الحدود بالقياس وما ذكر الله تعالى من امر المنافقين في هذه الاية
واقرارهم على ما لهم من غير امر بقتالهم اصل فيما ذكرناه الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم اقام بمكة
بعد ما بعثه الله تعالى ثلث عشرة سنة وامر ان يدعو المشركين الى توحيد الله تعالى وتصديق رسوله
بالرفق واللين والقول اللطيف كما قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال
عز من قايل ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ثم فرض الله تعالى
القتال بعد الهجرة لعلمه عز وجل بالمصلحة في كلا الحالين ومن ما يويد هذا قوله عليه السلام امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله فاخبر عليه السلام بوقوع العصمة لهم بقولهم في الدنيا وبقي ان حسابهم على الله في الاخرة
قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
للحق والله اعلم اهل هذه الصفة هم الذين اختاروا الكفر على الايمان فما ربحوا في تجارتهم وما كانوا
مهتدين اي ما هم بمهتدين من الضلالة والاشتراء في اللغة ترك الشي الى الشي وهو عند الفقهاء ابدال مال
بمال قال الكلبي باعوا الهدى الذي كانوا عليه من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بالضلالة
التي دخلوا فيها من التكذيب به وقيل كل مولود يولد على الفطرة فلما كانت ولادته على الايمان ثم
كفر بعد البلوغ فقد اشترى الكفر بالايمان والتجارة لا تربح وانما يربح فيها لكن يقال خسر بيع فلان و
ربحت تجارته على طريق التوسع كما يقال ليلك قايم ونهارك صايم وما كانوا كانوا زايدة في الكلام
ومعناه التاكيد كما قال الله تعالى قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا وقيل وما كانوا طالبين
للهدى قوله عز وجل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب

ستره الله تعالى بهذا الحكم الى يوم الجزا اي حين لا ينفعه

الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون اول مثل ضربه الله تعالى في القران هذا
يقول مثل المنافقين في تجملهم بظاهر الاسلام وحقنهم دماءهم واموالهم بما اظهروه كمثل رجل
يكون في مفازة في ليلة مظلمة يخاف على نفسه من شر السباع فيوقد نارا فيامن بها السباع فلما
اضاءت النار ما حول المستوقد طفيت النار فبقي في الظلمة كذلك المنافق يخاف على نفسه وعياله من
قتل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فيتكلم بكلمة الاسلام ريا للناس فيحقن بها دمه وماله و
يناكح المسلمين ويوارثهم فيكون له نور بمنزلة نور نار المستوقد فاذا بلغ اخرعمره لم يكن لايمانه
اصل في قلبه ولا حقيقة في عمله سلب نور الايمان عند الموت فيبقى في ظلمة الكفر والعمى كما كان اعمى
القلب في الدنيا والمثل والمثل والمثال والشبه والشبه والشبيه نظاير في اللغة وحقيقة المثل
تشبيه الشي بالشي كقولهم البقي بطل تشبيه للشي في امساكه نفسه عن الحرام بالفرس المحجم
الذي يمسكه اللجام عما يريد الاقدام عليه والاستيقاد استفعال من الايقاد وهو التماس
ضيا النار ويجوز ان يكون معنى استوقد اوقد كما قال الله تعالى فاستجاب لهم ربهم معناه
اجاب ويجوز والنار والنور واحد في الضوء الا ان في النار الضوء مع الحرارة والاحتراق
والنور الضوء الخالص والنار مونثة سماعا لا لعلة اوجبت ذلك يدل عليه ثبوت الهاء في
تصغيرها وقول القتيبي النور ما نظرت به والنار المذكورة في نورهم مكان الالف في اذهب يقال
ذهب به واذهبه بمعنى واحد ومعنى الترك في ظلمة الكفر الخذلان فان قيل لم شبه الجماعة
بالواحد قلنا زعم القتيبي ان الذي في هذه الاية بمنزلة الذين لانه اسم ناقص لا يتم الا بصلة
يتناول الواحد والاثنين والجمع كمن وما قال الشاعر وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم
كل القوم يا ام خالد وفي الاية ما يدل على ان معناه الجمع وهو قوله تعالى وتركهم في ظلمات
لا يبصرون وقد يجوز تشبيه فعل الجماعة بفعل الواحد كما في قوله تعالى تدور اعينهم كالذي
يغشى عليه من الموت الا ان الفعل هاهنا محذوف لدلالة الحال عليه قوله عز وجل صم
بكم عمي فهم لا يرجعون معناه والله اعلم صم لا يسمعون الحق بكم لا يتكلمون بخير
عمي لا يبصرون الهدى اي بقلوبهم كما قال الله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
كانوا يبصرون باعينهم وقيل صم يتصاممون بكم يتباكمون عمي يتعامون وانما اطلق لفظ
الصمم عليهم ونحوه لان الله تعالى انما خلق السمع والبصر واللسان لينتفع الناس بها فمن
لا ينتفع بها فكانه فقدها ويقال في الاية تقديم وتاخير تقديرها وما كانوا مهتدين صم بكم
عمي فهم لا يرجعون مثلهم كمثل الذي استوقد نارا قوله عز وجل او كصيب من السماء فيه
ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت
والله محيط بالكافرين مثل اخر ضربه الله تعالى يقول اي مثل المنافقين مع محمد صلى الله عليه
وسلم والقران كصيب كمطر ينزل من الله تعالى ليلا على قوم في مفازة فيه ظلمات اي بيان
الفتن وابتلا المومنين بالشدة اي في الدنيا ورعد زجر وتخويف وبرق تبيان وتبصرة ووعد
يجعل اصحاب المطر اصابعهم في اذانهم من الصواعق من هول الرعد حذر الموت مخافة
البوايق والهلاك وكذلك المنافقون كانوا يجعلون اصابعهم في اذانهم من بيان القران
ووعده ووعيده وما فيه من الدعا الى الجهاد مخافة ان يقتلوا في الجهاد ويقال مخافة ان
تميل قلوبهم الى ما في القران وعن الحسن رضي الله عنه انه كان يقول في الاية تشبيه الا
بالصيب لان الصيب يحيي الارض والاسلام يحيي الكفار كما قال الله تعالى اومن

كان ميتاً فأحييناه وتشبيه اضمار المنافقين الكفر بظلمات المطر وتشبيه الزجر عن الكفر و
المعاصي بالرعد وتشبيه اظهار المنافقين الايمان بالبرق والصواعق هي الدعاء الى الجهاد
ومعنى والله محيط بالكافرين اي عالم بالمنافقين وجامعهم في النار وحرف او في او كصيب هذه
الآية ليس هو بشك اذ لا يجوز الشك من الله عز وجل لكنه للاباحة والتخيير كما يقال جالس
الفقهاء او اصحاب الحديث او اصحاب النحو اي ان جالست واحداً من الفرق الثلث فحسن كذلك
تمثيل المنافقين ان مثلتموهم بالمستوقد فذلك مثلهم وان مثلتموهم بالصيب فذلك مثلهم وان
مثلتموهم بهما فهما مثلاهم ويجوز ان يكون او بمعنى الواو كما قال الشاعر وقد زعمت ليلى بأني فاجر
لنفسي تقاها او عليها فجورها معناه وعليها فجورها وحرف الكاف في قوله كصيب يدل على ان
المثل مضمر يقال هذا كزيد وعمرو ويراد به المثل وما لاصحاب مضمر ايضاً بدلالة الحال كأنه قال او كاصحاب
الصيب لاستحالة تشبيه الحيوان بالصيب وتمثيل العاقل بغير العاقل والصيب اسم
من صاب يصوب اذا نزل فسمي المطر الصيب لانه ينزل من السماء قال الشاعر فلست لانسي ولكن
لملاك تنزل من جو السماء يصوب واختلفوا في تقدير صيب في اللغة قال البصريون هو على فيعل
ولا يوجد هذا المثال الا في المعتل نحو سيد وميت وقال الكوفيون هو على وزن فعيل فقدم الياء واخر
الواو والدليل على ذلك ان جمعه افعلا مثل هين واهونا على مثال شديد واشدا واما الرعد فهو
اسم ملك يسوق السحاب سمي صوته باسمه لانه سببه والبرق ضربه السحاب بمخراق
من حديد تنقدح منه النار روي هذا المعنى عن علي وابن عباس رضي الله عنهم والصواعق
جمع صاعقة وهي الصوت وبرق قطعة من النار لا يأتي على شيء الا احرقته وانتصاب
الحذر لنزع الخافض معناه من حذر الموت كما في قوله تعالى واختار موسى قومه
سبعين رجلاً اي من قومه ويجوز ان يكون مفعولاً له على معنى يفعلون ذلك لحذر الموت
والاحاطة على وجهين احاطة علم واحاطة قدرة وهي ادراك الشيء بكماله ومنه سمي الحايط
حايطاً لانه يحوط ما فيه قوله عز وجل يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم
مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان
الله على كل شيء قدير معنى الآية والله اعلم يقرب البرق يختلس ابصار المسافرين ويذهب
بها من شدة ضوئه ونوره وكذلك البيان من القرآن يكاد يذهب بابصار ضلالة المنافقين
فيأخذهم الى الله تعالى ليقبلوا الدين ويقال معناه اذا تكلم منافق بكلمة الاخلاص يكاد نورها
يخطف بصيرة الذكر في عينيه لاعتقاده خلاف ما تلفظ به كلما اضاء للمسافرين البرق مشوا
في ضوء البرق واذا اظلم عليهم بقوا في الظلمة كذلك المنافقون لما آمنوا مشوا فيما بين المؤمنين
ليقبل ايمانهم بلسانهم فلما ماتوا بقوا في ظلمة القبر فكان كلما ظهر للمنافقين دلائل نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم باعزاز الله تعالى الاسلام واهله مالوا اليه واذا اصاب اهل
الاسلام نكبة من النكبات كيوم احد وبير معونة شكوا في امر محمد صلى الله عليه وسلم و
ثبتوا على كفرهم ولو شاء الله لذهب بسمع المسافرين بالرعد وابصارهم بالبرق كذلك لو
شاء لذهب بسمع المنافقين وابصارهم بزجر القرآن ووعيده والبيان الذي فيه وجعلهم
صماً عمياً في الحقيقة عقوبة لهم على فعلهم ان الله على كل شيء من اذهاب السمع والبصر
قدير قادر ولفظ كاد يستعمل بغير حرف ان ولفظ المقاربة والمداناة لا يستعمل الا مقروناً
بحرف ان وفي الخطف لغتان خطف يخطف بكسر العين من الفعل الماضي ونصبها في المستقبل


لقوارع

ويستعمل على الفعلين والافصح ما نزل به كتاب الله تعالى ويقال ضاء الشيء يضوء واضاء
يضيء اذا ظهر نوره والمجاز ما نطق به كتاب الله تعالى يقال ظلم واظلم بمعنى واحد
والمجاز بالالف وروى عن اسباط عن السدي انه قال هرب رجلان من المنافقين
من المدينة الى المشركين فاصابهما من المطر ما ذكره الله تعالى في هذه الآية فيه ظلمات
ورعد وبرق فكان كلما لمع لهما البرق مشيا في ضوئه واذا لم يلمع لم يبصرا واقاما
مكانهما فجعلا يقولان يا ليتنا نصبح فنأتي محمداً صلى الله عليه وسلم فنضع ايدينا في يده
فنسلم فلما اصبحا اتياه واسلما وحسن اسلامهما فضرب الله تعالى امر هذين المنا
مثلاً للمنافقين الذين كانوا بالمدينة قوله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي
خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون فصل رابع من فصول هذه السورة يشتمل
على اربعة اشياء الامر والتوحيد ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم والاحتجاج على الناس بصحة نبوته
صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما عنى بالناس جميع بني ادم من اليهود والنصارى و
عبدة الاوثان والمنافقين وغيرهم فهو خطاب للكفار بالتوحيد والمنافقين بالاخلاص والموحدين
المخلصين بالطاعة والثبات عليها يعني وحدوا واخلصوا واطيعوا ربكم الذي خلقكم من
نطفة نسماً ولم تكونوا شيئاً وخلق الذين من قبلكم من القرون الماضية لكي تتقوا المعاصي فتعبدوه
حق عبادته قال الزجاج في اعراب يا ايها ان اي اسم مبهم مبني على الضم لانه منادى مفرد و
الناس صفة لازمة اي تقول يا ايها الرجل اقبل ولا يجوز يا الرجل لان يا للتمييز بمنزلة التعريف
في الرجل ولا يجمع بين يا وبين الالف واللام فيوصل باي الى الالف واللام ياي وها للتنبيه و
هي لازمة لاي عوض من الاضافة في اي لان الاصل في اي ان يكون مضافة الى الاستفهام والخبر
وقال محمد بن علي الحكيم رحمه الله يا ندا القلوب وها ندا النفوس لان النفس قد تستولي
على القلب فتامره بالسوء كما قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء واي اسم مضمر بين الندائين
والناس كشف عن الاسم المضمر وبيان الصنف الذي دعى جل وعلا من خلقه والعبادة هي الخضوع
باعلا مراتب الخضوع مع التعظيم باعلا مراتب التعظيم ولهذا لا تحسن عبادة غير الله عز وجل
ومنه يقال طريق معبد اي مذلل لكثرة سلوك الناس وبعير معبد اذا كان مطلياً بالقطران مذللا
لا يمتنع على احد والخلق ايجاد الشيء على التقدير والترتيب لا على مثال سبق وقيل ان الخلق هو
التقدير قال الشاعر ولانت تفري ما خلقت وبعض الناس يخلق ثم لا يفري معناه لانت
تقطع ما تقدر وكلمة لعل للرجا والطمع كما قال الله تعالى في قصة فرعون فقولا له قولاً ليناً
لعله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما وانا عالم وراء ذلك بما يؤول اليه امر
فرعون وقد علم الله تعالى انه لا يتذكر ولا يخشى ولو اطلع موسى عليه السلام على ذلك لكان داعية
له الى الوهن ولكنه رجاه في رشده ليكون الطمع له في دعوته فكذلك لما كانت عواقب اعمال
العباد مغيبة عنهم رجاهم بالتوقع ليكون ذلك اوكد في اجتهادهم لان الانسان وان يناهى
في العبادة لا يعلم انه اتقى النار لجواز ان يكون اخل بواجب او اتى بقبيح وقال بعضهم معنى
الآية اعبدوا ربكم متعرضين للتقوى وهذا كما يقول القائل اذا جاء الى باب السلطان انما
جئت هاهنا لعلي اجد عملاً كذا اي متعرضاً لذلك العمل قوله عز وجل الذي جعل لكم الارض
فراشاً والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا
تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون في اثبات توحيد الله عز وجل بمعناه هو الذي جعل

ثقفين

رض



وقيل اعبدوا الذي جعل لكم الأرض بساطا ومناما ووطاء ولم يجعلها حزنة غليظة لا يمكن الاستواء
عليها والسماء سقفا قال ابن عباس رضي الله عنهما كل سماء مطبقة على الأخرى كالقبة وسماء الدنيا ملتزقة
أطرافها بالأرض وأنزل من السماء أي من السحاب ماء يعني المطر وقيل من نحو السماء فأنبت من المطر
ألوان الثمرات رزقا لكم طعاما لكم فلا تجعلوا لله أندادا أمثالا ونظراء وأنتم تعلمون أن الله تعالى
خالق هذه الأشياء وأن غيره لا يستطيع أن يخلق شيئا منها وأن ليس للأصنام عليكم نعمة تستحق
بها عبادتكم وفي هذه الآية ذكر النعم التي يستحق الله تعالى بها العبادة من خلقه كأنه قال اعبدوا
ربكم لأجل أنه خلقكم ولأجل أنه جعل لكم الأرض فراشا وقال علي رضي الله عنه سميت الأرض أرضا
لأنها تأرض ما في بطنها أي تأكل وقيل لأنها تتأرض بالحوافر والأقدام والتأرض التصدي والتعرض
والسماء من السمو وهو العلو وكل علا وما أظلك فهو سماء ويقال سمي السحاب سماء لكونه قريبا من السماء
إذ السحاب أقصى ما يعلو مقدار فرسخ أو فرسخين ألا ترى أنك ترى الشمس في أعالي الجبال و
من دونها سحاب يمطر وذهب بعضهم إلى أن الله تعالى ينزل المطر من السماء إلى السحاب ومن السحاب
إلى الأرض وقال بعضهم يخلق الله المطر في السحاب ثم ينزل من السحاب إلى الأرض وإنما أطلق
اسم البناء على السماء دون الأرض لأن خلقها بعد خلق الأرض قال الله تعالى ثم استوى إلى السماء وهي
دخان ومن في قوله تعالى من السماء لابتداء الغاية كما يقال خرجت من الكوفة إلى البصرة ومن من
الثمرات للتبعيض كما يقال ما أنا من أحد وكقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان و
الأنداد جمع الند والند يحتمل لوجوه ثلاثة أحدها المثل وذلك منفي لأن المثل يوجب المماثلة في
القدم وكانوا مقرين بأن الله تعالى خالق الأشياء كلها كما قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله وقال أبو عبيدة معناه الضد وذلك منفي لأن التضاد إنما يصح بين الأعراض كالسواد
والبياض والحيوة والموت وقيل معناه المثل الذي يضاد في الفعل وذلك منفي لاستحالة استقامة
أحواله مع مضاد له في أفعاله كما قال الله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وأطلق اسم
الفراش لا يتناول الأرض وإنما سمي بهذا تقييدا كقوله تعالى والجبال أوتادا وقوله تعالى و
جعل الشمس سراجا ولذلك قال الفقهاء إن من حلف لا ينام على فراش فنام على الأرض أو حلف
لا يقعد في سراج فقعد في الشمس لا يحنث لأن الأيمان محمولة على المعتاد المتعارف في الأسماء
ونظائر ذلك كثيرة في كثير من الأحكام والمطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده لا يتجاوز به
موضعه وفي هذه الآية دلالة على التوحيد وإثبات الصانع الحكيم الذي لا يشبهه شيء والقادر
الذي لا يعجزه شيء من ارتفاع السماء ووقوفها بغير عمد ثم دوامها على طول الدهر غير متزايلة
ولا متغيرة كما قال جل ذكره وجعلنا السماء سقفا محفوظا وكذلك ثبات الأرض ووقوفها على غير
سند فيه أعظم الدلائل على التوحيد وعلى قدرة خالقها لأنه لا يعجزه شيء لأن الخلائق كلهم لو اجتمعوا
على أن يقيموا أجساما في الجو من غير أن يكون تحته ما يقله ويعمده أو فوقه ما يعلقه لم يمكنهم فإن
كان الجسم فيه أدنى ثقل نزل وإن لم يكن فيه ثقل تحرك عن مكانه إما صعدا أو إلى إحدى
الجهات الأربع وفي الآية دليل على أن الأرض بسيطة لا كرة مدورة على ما يقوله المنجمون
وبعض المتكلمين قوله عز وجل **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة
من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** في إثبات النبوة إذ النبوة
مرتبة على التوحيد المعنى إن كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنه ليس بنبي
وأن محمدا صلى الله عليه وسلم يختلقه من تلقاء نفسه فجيئوا بسورة من مثل ما نزلناه

وهو القرآن يعني سورة من التورية والإنجيل والزبور فقابلوها بالقرآن لتعلموا أن محمدا صلى الله
عليه وسلم لم يختلقه من تلقاء نفسه وهذا إذا كان خطابا لليهود خاصة على ما ذهب إليه الكلبي وعلى
هذا معنى قوله شهداءكم أي استعينوا بأحباركم ورهبانكم والظاهر أن هذا خطاب للعرب كلهم
على معنى فاختلقوا سورة مثل القرآن كقوله تعالى بعشر سور مثله مفتريات وأن قوله تعالى وادعوا
شهداءكم أي استعينوا بآلهتكم قال الزجاج معناه ادعوا من استطعتم طاعته ورجوتم معونته
في الإتيان بسورة مثله وقيل إن الهاء في مثله عائد إلى النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قال من قائل فأتوا
بسورة من بشر مثله أو من أمي مثله لا يحسن الكتب إن كنتم صادقين أن الله يبعث الوحي وقوله تعالى فأتوا
أمر تعجيز لأن الله تعالى علم عجز العباد عنه ولكنه أراهم ذلك في أنفسهم والسورة الفضيلة والرفعة ومنه
سور البناء قال النابغة ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب * إلا أن جمع
سورة البناء سور على وزن بسرة وبسر وجمع سورة القرآن سور على وزن ظلمة وظلم ومن همز السؤر
جعلها قطعة ولذلك يقال سؤر السباع للقطعة الباقية مما شربت وقال أبو عبيدة سميت السورة
سورة لانقطاعها من الأخرى كسورة البناء والشهيد في الحقيقة المعين وإلى هذا ذهب ابن عباس حيث
فسر قوله تعالى شهداءكم أعوانكم وقيل سمى الله تعالى الأصنام شهداء على زعم المشركين أنها تشهد و
تشفع لهم عند الله تعالى وفي دلالة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الآية أنه قصد إلى قوم البلغاء
عقلاء فصحاء شعراء هم الغاية في العلم باللغة العربية فحاجهم بكلام من لغتهم ليجعل عجزهم عن مثله حجة
عليهم ودلالة على إبطالهم وكفرهم وتوبيخهم بذلك وقرعهم به وأمهلهم المدة الطويلة وقال لهم فليأتوا
بحديث مثله إن كانوا صادقين يخبرهم أن عجزهم إنما هو عن النظم مع أنه ولد بين أظهرهم ونشأ معهم
لم يغب عنهم ولم يفارقهم في سفر ولا حضر وهو من مشهوريهم وأعلامهم في النسب وأهل البيت
ليس يخفى أحواله ومتحرها نه عليهم وهم أهل الحمية والأنفة يأتي الرجل منهم القبيلة بسبب الكلمة
ويبذلوا أموالهم وآباءهم وأبناءهم وأنفسهم لإطفاء نوره ولم يتعاطوا معارضته بسورة ولا خطبة
ولا أرجوزة أكثر ما اعتقدوا بدانه أساطير الأولين وأنه سحر كل ذلك دليل على أنه من عند الله تعالى
الذي لا يعجزه شيء وأنه ليس من مقدور مثله وكانت هذه معجزة باقية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
إلى قيام الساعة وفضيلة على سائر الأنبياء قبله صلوات الله عليهم لأن معجزاتهم تقضت بانقضائهم
وإنما يعلم كونها من طريق الأخبار وهذه معجزة باقية كل من اعترض عليها بعد فرماه بالعجز
عنده فيتبين حينئذ له لزوم الحجة به وقيام الدلالة عليه كما كان حكم من كان في عصره والوجه
الآخر في الدلالة أنه معلوم عند المؤمنين بالنبي صلى الله عليه وسلم وعند الجاحدين لنبوته أنه كان
من أتم الناس عقلا وأكملهم حلما وأفضلهم رأيا ما طعن عليه أحد في كمال العقل ووفور الحلم
وصحة الفهم وجودة الرأي وغير جائز على من كان هذا وصفه أن يدعي أنه نبي الله تعالى قد أرسله
صلى الله عليه وسلم إلى خلقه كافة ثم يجعل علامة نبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة صدقه كلاما يظهره
ويقرعهم بالعجز عنه مع علمه بأن كل واحد منهم يقدر على مثله فيظهر حينئذ كذبه وبطلان دعواه
فدل على أنه لم يتحداهم بذلك ولم يقرعهم بالعجز عنه إلا وهو من عند الله تعالى لا يقدر العباد عليه
قوله عز وجل **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
أعدت للكافرين** إن لم تأتوا بمثله ولن تأتوا به أبدا أي لم تقدروا عليه فاحذروا واخشوا
النار التي حطبها الناس إذا صاروا إليها والحجارة قبل أن يصيروا إليها خلقت وهيئت للكافرين
قوله عز وجل فإن لم تفعلوا شرط دخل على حرف الجحد ولن تفعلوا نسق عليه وجوابه فاتقوا وهو

خبر عن زمانية الوقت القابل لانه لم يبق بعدها ما مضى ولن يبقى بعدها ما بقى والوقود اسم لكل ما اوقدت
به النار كالوضوء والطهور والغسول وقيل مصدر من وقدت النار وقودا ووقودا كالقبول
والقول بالضم والفتح جميعا وذكر الحجارة ههنا تعظيم لامر النار لانها لا تاكل الحجارة الا اذا كانت
قطيعة هايلة ويقال فايدة الحجارة ان تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم كما روى في
الخبر انه يكون مع كل انسان في النار حجر معلق في عنقه حتى اذا طفا على وجه النار رسبه الحجر الى
اسفل ويقال ان المراد بالحجارة حجر الكبريت لان لها خمسة اشيا ليست لغيرها احدها انه اسرع
وقودا والثانى ابطا خمودا والثالث انتن رايحة والرابع اشد حرا والخامس الصق بالبدن
وروى انه لما نزل قوله تعالى وقودها الناس والحجارة قال الكفار هذه النار وقودها الناس فما
بال الحجارة فنزلت اعدت للكفرين وفي ذكر الوقود اشارة الى انهم لا يصيرون فحما وتبقون
حطبا كما قال الله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وفي هذه الاية دلالة على ان الكفار
لم يعارضوا النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقع ذلك منهم في المستقبل وذلك اخبار بالغيب وجد مخبره على
ما هو به ولا تعلق هذا بالحجار النظم بل هي قاعدة بنفسها في تصحيح نبوته صلى الله عليه وسلم كما لو قال لهم
الدليل على صحة قولى انكم مع صحة اعضايكم وصحة جوارحكم لا يقع من احد منكم ان يمس راسه او ان
يقوم من موضعه فلم يقع ذلك منهم مع سلامة اعضايهم وجوارحهم وتقريعهم به مع حرصهم على تكذيبه
كان ذلك دليلا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وانه لا يصح كونه الا من قبل القادر الحكيم الذى صرفهم
عن ذلك الى كل الحال فان قيل كيف قال الله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار واتقا النار واجب
بغير هذا الشرط قيل له العقاب لا يتحتم على المكذب بالنبي صلى الله عليه وسلم الا اذا ظهرت المعجزة
وقامت الحجة عليه فكانه قال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد قامت الحجة عليكم فاتقوا النار
فان قيل كيف خص الله تعالى الكفرين بكون النار معدة لهم والنار معدة لهم ولغيرهم قيل له اختلف
في الجواب عنه قال بعضهم اراد به نارا مخصوصة وتلك النار غير معدة لغيرهم اذ النار دركات
كما قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقال بعضهم ليس اذا خص الكفار بالذكر
في هذه الاية ما يدل على ان النار غير معدة لغيرهم الا ترى ان الله تعالى خص الناس والحجارة
بالذكر في هذه الاية وان كان غيرهم وقود النار كما قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم ومعلوم انهم كانوا يعبدون النحاس والحديد والذهب والفضة كما كانوا يعبدون
الحجر قال تعالى لما ذكر الله تعالى في هذه الاية الوعيد للكفار بالنار والحجارة فرق المومنون من
وعيد الله تعالى فبشرهم الله تعالى بالجنة وما اعد لهم فيها من الثواب بقوله عز وجل وبشر الذين
امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من
ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج
مطهرة وهم فيها خالدون معنى الاية والله اعلم فرح قلوب الذين صدقوا وعملوا
الصالحات بان لهم بساتين تجرى من تحت شجرها ومساكنها وغرفها انهار الماء والخمر و
العسل واللبن كلما اطعموا واطعموا من الجنة من الوان الثمر على مقدار البكر والعشيات
قالوا هذا الذى اطعمنا من قبل اذا اتوا بكرة قالوا هذا الذى اوتينا عشية واذا اتوا به
عشية قالوا هذا الذى اوتينا به بكرة فاذا طعموا وجدوا طعمه غير الطعم الذى وجدوا
من قبل واتوا به متشابها في المنظر مختلفا في الطعوم في النهاية في التعجب والدلالة على الحكمة
ان ترى تفاحة فيها طعم كل فاكهة فترى الطعوم مختلفة والصور متفقة ويقال

معنى

معنى قوله تعالى هذا الذى رزقنا من قبل اى في دار الدنيا لان لونه يشبه لون ثمار الدنيا
فاذا اكلوا وجدوا طعمه غير ذلك والاول اصح لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه
قال ليس في الجنة شى يشبه ما في الدنيا الا الاسما وذهب بعضهم الى معنى قوله تعالى متشابها
اى يتشابه بها في الاسم ويقال يشبه بعضه بعضا في الجودة والحسن ولهم فيها ازواج مطهرة
اى لهم مع نعيم الجنة نسا وجوار مهذبة في الخلق والخلق لا يحضن ولا يتغوطن ولا يلدن
ولا يحتجن الى ما يتطهر منه ولا يحسدن ولا يغرن ولا ينظرن الى غير ازواجهن طهرن من كل دنس
وعيب وهم فيها مع هذه الكرامات دايمون لا يموتون ولا يخرجون منها ابدا والبشارة المطلقة
هى الخبر السار الذى يحدث عنه الاستبشار والسرور وان كان قد يستعمل مقيدا فيما يسوء كما
قال الله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ولهذا قال علماونا فيمن قال اى عبد بشرنى بقدوم فلان فهو حر
فبشره جماعة من عبيده واحدا بعد واحد ان الاول يعتق دون غيره لان البشارة حصلت
بخبره خاصة بخلاف ما اذا قال اى عبد اخبرنى بقدوم فلان فاخبروه واحدا بعد واحد يعتقون
جميعا الا ترى ان الناس يقولون قد ظهر لنا تباشير هذا الامر يعنون اوله الذى يقع به السرور والفرح
ومنه سمى الغلام بشيرا تفاولا بالخير دون الشر ويسمى ما يعطى المبشر على الخبر السار بشرى هذا حكم
الاطلاق لفظ البشارة فاما اذا استعمل مقيدا بالشر كان عبارة عن الخبر فيكون معنى قوله تعالى فبشرهم
اى اخبرهم بعذاب اليم ومن الناس من يقول ان اصله فيما يسر ويسوء لان معناه ما يظهر اولا في بشرة الوجه من
سرور او غيره الا انه كثر فيما يسر فصار الاطلاق اخص بالخير منه بالشر وموضع ان لهم نصب معناه
بان لهم جنات فلما سقطت البا افضى الفعل الى ان فنصب ويجوز ان يكون موضعه خفضا على المعنى
على ما ذهب اليه بعض النحويين وموضع جنات نصب بان الا ان تا جماعة المونث في الخفض والنصب
على حالة واحدة كيا الجمع في قولهم رايت الزيدين ومررت بالزيدين وسميت الجنة جنة لان الشجر
يجنها اى يسترها ومعنى من تحتها من تحت شجرها اذ لو كانت الانهار تجرى من تحت ارضها لم تكن
للراى ظاهرة ولا في ذكرها فايدة مع ما جا في الخبر ان انهار الجنة تجرى في غير شق ولا اخدود والزوج
ضد الفرد وهو اسم للواحد الذى له قرين يشتمل على الذكر والانثى قال الله تعالى ويا ادم اسكن انت
وزوجك الجنة ولفظ المطهرة يجمع الطهارة كلها وهو ابلغ في الكلام من الطاهر لان التطهير التكثير
والطهارة عبارة عن النظافة وفي الاية دليل على ان العمل غير الايمان لان الشى لا يعطف على نفسه
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل ما بال اهل الجنة عملوا في عمر قصير بعمل اهل الجنة
خلدوا في الجنة وما بال اهل النار عملوا في عمر قصير بعمل اهل النار خلدوا في النار قال كل واحد من
الفريقين يعتقد على انه لو عاش ابدا عمل ذلك العمل قوله عز وجل ان الله لا يستحى ان يضرب
مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا
فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين
فصل منفصل عن الاول لفظا متصل به معنى ووجه الاتصال على ما قال ابن عباس وابن مسعود ان
ذكر في قصة المنافقين مثلين فقالوا ان الله اعلا واجل من ان يضرب هذه الامثال فانزل الله تعالى
هذه الاية والثانى انه جل ذكره ذكر البعوض وعنى به مثلا اخر للمنافقين لان البعوضة تحيى ما دامت
جايعة فاذا شبعت هلكت فكذلك المنافقون يحيون ما افتقروا فاذا استغنوا بطروا وهلكوا
قال الله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فكان الله تعالى قال كيف استحيى من ضرب
المثل في المنافقين وانا اضربهم بالبعوض الذى هو مثلهم والثالث ان الله تعالى نهى في الاية



المتقدم من اتخاذ الانداد لله تعالى وانزل قوله تعالى ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له وانزل مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا
فوصف الهتهم بالعجز عن استرداد ما يسلبهم الذباب وقال المشركون ان رب محمد صلى الله عليه
وسلم يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فانزل الله تعالى هذه الآية انه يقول لا يستحيي ان يضرب المثل
بالبعوض والذباب وان البعوض والذباب مع صغرهما يعجز الهتهم ويقهرانها ومعنى الآية
على ما قاله الكلبي لا يمتنع او لا يترك وقال مقاتل لا يخشى الحيا ان يصف الحق شبها ما بعوضة فما
اكبر منها مثل الذباب وغيره وقيل ان معنى فما فوقها اي في الصغر يقال فلان صغير فيقال او فوق
ذلك اذا بولغ في الوصف لان الغرض في الآية تقليل المثل في الاوثان اذ البعوضة نهاية في الصغر
والحقارة والخفة وبها يضرب المثل فاما المومنون فيعلمون ان المثل حق من ربهم واما الكافرون
فيقولون اي شي اراد الله تعالى بذكر البعوض والذباب مثلا فقال الله تعالى قل يا محمد يضل بالمثل
كثيرا من الناس اي يخذلهم ويهلكهم ويرشد بالمثل ويوفق لمعرفته كثيرا وما يضل به الا
الخارجين من الطاعة قال الكلبي هم اليهود في هذه الآية وقال قتادة فسقوا فاضلهم الله
على فسقهم والاستحيا ضد الوقاحة وهو الكف عن المساوي والقبايح بخلق كريم في المستحيي و
انما قال في هذه الآية لا يستحيي لان الله تعالى لا يضرب المثل الا بالحق والله تعالى لا يستحيي من الحق
لان الكريم لا يقتضي الامتناع عن وصف ما اقتضت الحكمة ايجاده وتدبيره ولا يكون وصف مثل
ذلك موضع الاستحيا ومن قرا يستحي بيا واحدة فلان اللفظ اذا كثر استعماله تطرق عليه التغيير
وقد يكون الاستحيا بمعنى ابقاء الحيوة كما قال الله تعالى ويستحيون نساءكم اي يستبقونهن للخدمة
وقوله تعالى مثلا ما قيل ان ما نكرة معناه ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا شيا من الاشيا بعوضة
فما فوقها كما قال الله تعالى كما لدي عتيد اي شي لدي عتيد وذهب الزجاج الى ان الاصح ان تكون ما زايدة
في الكلام مؤكدة كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم قال لا اعراب لها فيتخطاها الناصب
الى ما بعدها ويقال انما نصب بعوضة على معنى ما بين بعوضة الى ما فوقها فاذا القي بين
والى نصب كقولهم مطرنا ما زبالة فالثعلبية اي ما بين زبالة الى الثعلبية ويقال هي احسن الناس
ما قرنا فقدما يريد ما بين قرن الى قدم وقوله تعالى فاما يعرف معناه من مهما ولذلك يقتضي الجواب
بالفا كان معناه مهما يكن المومنون فيعلموا وكذلك قوله تعالى فاما السايل فلا تنهر اي مهما كان
السايل فلا يكن منك نهي والحق وضع الشي في موضعه واما مثلا في قوله تعالى بهذا مثلا نصب على
القطع عند الكوفيين عنوا به قطع الاضافة اي بهذا المثل فلما قطعت الالف واللام انتصب على
القطع وقال البصريون منصوب على الحال اي ما اراد الله تعالى بالمثل في هذه الحالة واصل الضلال
الهلاك يقال ضل الما في اللبن اي صار مستهلكا واكثر ما يستعمل الضلال في سلوك الطريق فمن سلك
الطريق المستقيم فهو معتقد ومن عدل عنه الى غيره عدولا يهلك به فهو ضال واصل الفسق الخروج
يقال فسقت الرطبة من قشرها اذا خرجت وقد اختلفوا في اضافة الضلال الى الله تعالى ابتدا قال
بعضهم يجوز لانه هو المالك للهدى ولا يستحقه احد عليه يعطي من يشا فضلا منه ويخذل من يشا
عدلا منه وقال بعضهم لا يجوز اضافة الاضلال الى الله تعالى ابتدا وانما يضل مجازاة للكفر كما قال الله
تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقال عز من قايل ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقال في هذه الآية
وما يضل به الا الفاسقين وهذا قول اختاره جماعة من الايمة وقال الزجاج معنى قوله يضل به كثيرا
اي يدعو به الخلق الكثير الى التصديق فيكذب به الكفار فيضلون به ويزداد المومنون به هداية

عذاب

صواب فيعلمون

لة

بالت

بالتصديق وذهب بعض الناس الى معنى قوله تعالى يضل به كثيرا اي يسميهم ضلالا كما يقال فسقت
فلانا قال الله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم اي سماه ضالا قال الكميت
وطايفة قد اكفروني بحبكم وطايفة قالوا مسي ومذنب قوله عز وجل الذين ينقضون عهد
الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك
هم الخاسرون نعت للفاسقين عند اهل التفسير ومن جعله كلاما مبتدا وقف على الفاسقين ثم استانف
الذين ينقضون عهد الله اي يتركوا امره ووصيته من بعد تغليظه وتوكيده والعهد ما اخذه
الله تعالى على النبيين صلوات الله عليهم ومن اتبعهم ان لا يكفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته
وصفته كما قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين وقيل اراد به العهد الذي اخذ من بني ادم من
ظهورهم حين قال الست بربكم قالوا بلى وقيل عهد الله تعالى هو الاستدلال على توحيده فان كل ذي
تمييز اذا تفكر في نفسه علم ان الله تعالى خالقه فكان عليه الايمان فاذا امتنع من الاستدلال بالعقل
فكانه نقض العهد ومعنى قوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل اي يقطعون الرحم الذي
امرهم الله تعالى بصلته فقتلوا انفسهم واخرجوا فريقا من ديارهم وقال مقاتل رحمه الله الرحم
الذي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم فان العرب كانت من ولد اسمعيل عليه السلام واليهود
من ولد اسحق عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم امروا ان يومنوا بجميع الانبيا
عليهم السلام فامنوا ببعض ولم يومنوا ببعض وقد امر الله تعالى بالوصل ويقال يقطعون حبلهم
من حبل المسلمين ويصلون حبلهم بحبل الكفار ويفسدون يعصون ويامرون غيرهم بالمعصية و
الكفر اهل هذه الصفة هم المغبونون في الاخرة غبنوا انفسهم واموالهم واهليهم وخدمهم و
منازلهم في الجنة وورثهم المومنون قال ابن عباس وذلك انه ليس من مومن ولا كافر الا وله اهل
ومنزل وخدم في الجنة فان اطاع الله تعالى اتى اهله ومنزله وخدمه وان عصى الله تعالى غبن اهله
ومنزله وخدمه وورثهم المومنون قال الله تعالى قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
وقال في صفات اهل الجنة اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
والنقض افساد ما ابرمته من غزل او بنا او غير ذلك والعهد المتقدم الى الانسان في امر والوصية
اليه ومنه عهد الامرا الى الولاة والميثاق هو الذي يوثق به الشي كما ان الميقات اسم للشي
يوقت به والمصداق ما يصدق به القول والخاسر الذي ذهب راس ماله والخسران ذهاب
راس المال قوله عز وجل كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه
ترجعون راجع الى قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم ومعنى الآية كيف تجحدون وحدانية الله
تعالى بعد قيام الحجة عليكم بوجوب طاعته وكثرة انعامه عليكم وقد كنتم نطفا في اصلاب ابايكم فاحياكم
في ارحام امهاتكم واخرجكم نسما صغارا ثم يميتكم عند انقضا اجالكم ثم يحييكم للبعث ثم اليه
ترجعون في الآخرة فيجزيكم باعمالكم قال الزجاج كيف استفهام في معنى التعجب والانكار كانه
جل وعلا يقول للخلق وللمومنين الا يتعجبون انهم يكفرون بالله تعالى وقد ثبتت حجة الله
تعالى عليهم باقرارهم ان الله تعالى خلقهم ولم يكونوا شيا كما قال الله تعالى هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا والعرب تسمي كل امر خامل ميتا وكل امر مشهور حيا والاحيا
اول نعمة انعم الله تعالى بها على العباد وقيل انما سمى الله تعالى النطف في الارحام امواتا لانها
لا تكون ميتة الا بعد مفارقتها الحي على تاويل قوله صلى الله عليه وسلم ما ابين من الحي فهو ميت
وقيل كنتم امواتا اي ترابا كما قال الله تعالى هو الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم من طين

امر

نعت

ثم

واحسانه اليكم

وقد تسمى الارض ميتة والواو في قوله تعالى وكنتم للحال ويجوز اضمار قد اذا كان في الكلام دليل
عليه كما في قوله تعالى او جاوكم حصرت صدورهم اى قد حصرت صدورهم وعن ابى صالح في
قوله تعالى ثم يحييكم قال في القبر ثم اليه ترجعون للبعث وهذا احد التاويلات لما فيه من
اثبات المسايلة في القبر وفي الآية مايدل على ذلك لان قوله تعالى ثم اليه ترجعون يقتضي التراخي عن
قوله تعالى ثم يحييكم فاما على التاويلين الاولين فغير مستنكر ان يكون احدى الحالات مسكوتا عنها
الا ترى انه عام في من اميت في الدنيا ثم احيى وفي من مات ولم يحي في الدنيا قال الله تعالى الم تر الى
الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت الآية وقال في قوم موسى عليه السلام فاخذتكم
الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون فان قيل كيف يجوز ان يكون
الخطاب في هذه الآية لليهود على ما قال الكلبي رحمه الله وهم لم يكفروا بالله تعالى قيل لما انكروا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وزعموا ان القران الذى لا ياتى به الا الله تعالى انه من عند غير الله
فقد كفروا بالله تعالى قوله عز وجل هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء
فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم يذكر نعمة اخرى ذكرها الله تعالى ليعبدوه
لها ومعنى الآية قدر خلقها لكم اذ الاشيا كلها لم يخلق في ذلك الوقت لان الاشجار والثمار والدواب
ونحوها خلق وقتا بعد وقت ثم عمد وقصد الى خلق السما كما يقال قد فرغ الامير من بلد كذا
ثم استوى الى بلد كذا والاستوا اذا عدى بالى كان معناه القصد وعن ابن عباس رضى الله
عنهما ان معناه صعد امره فاما الاستوا على الشئ كما في قوله تعالى ثم استوا على العرش فمعناه الاستيلا
وهو استوا ملك وقدرة لا الاستوا الذى هو من مجموع وقعود قال الشاعر قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق وقال الكلبي في هذه الآية معنى استوا الى السما صعد وهو قول اهل
التشبيه فسواهن خلقهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم من خلقهن وغير ذلك من مصالح
العباد وما يوول اليه من عواقب امورهم عليم اى عالم والغرض من الآية والله اعلم ان الذى
خلق لكم ما في الارض جميعا وخلق السموات قادر على ان يحييكم بعد الموت فان خلق السموات و
الارض اعظم من خلقكم روى ان الله تعالى لما ذكر البعث في الآية المتقدمة عرف اليهود ذلك
فسكتوا وانكروا المشركون وقالوا من يستطيع ان يحيينا بعد الموت فانزل الله تعالى هذه الآية
ولفظ السما في الآية واحد ومعناه الجمع فجمع ما بعده على المعنى ويجوز ان يكون واحدا يراد به الجمع
كما يقال كثر الدرهم والدينار في ايدى الناس ويجوز ان يكون السما جمعا واحدها سماوه كما يقال
جرادة وجرادات وجراد فان قيل هذه الآية يقتضى ان خلق السما بعد خلق الارض وقد قال الله تعالى
في آية اخرى مايدل على ان خلق السما قبل خلق الارض حيث قال جل ذكره ءانتم اشد خلقا ام السما
بناها رفع سمكها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها قيل مجموع الآيتين يقتضى ان خلق الارض
كان قبل خلق السما الا ان بسط الارض كان بعد خلق السما لان معنى دحاها بسطها بعد ما كانت
ربوة مجتمعة الاجزاء وذكر ان الله تعالى كان ولا مكان ثم خلق الهوا وهو المكان ثم خلق العرش
كما قال تعالى وكان عرشه على الما وسئل ابن عباس رضى الله عنهما على اى شئ كان الما قال على متن
الريح روى في الخبر ان الله تعالى خلق تحت الريح جوهرا كيف شا ثم جعل فيه ما ثم جرت الريح
على الما فتحرك الما فظهر على الما زبد وارتفع منه دخان فجعل الله تعالى الزبد ارضا والدخان سما
كما قال الله تعالى ثم استوى الى السما وهى دخان خلق الله تعالى الارض في يومين وقضى السما سبع
سموات في يومين وبارك في الارض ودحاها في يومين فكان خلق الارض وبسطها في اربعة

ايام

ايام سوا للسايلين والله اعلم قوله عز وجل واذ قال ربك للملايكة انى جاعل في الارض
خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك قال انى اعلم ما لا تعلمون عطف على معنى الآيات المتقدمة لان فيما سبق تعريضا بذكر
النعم نحو قوله تعالى الذى خلقكم وفي قوله هو الذى خلق لكم وهذه الآية في ذكر نعمة ابتدا خلق انبيا آدم
عليه السلام كانه قال جل ذكره واذكر يا محمد اذ قال ربك للملايكة حين اراد ابتدا خلق ادم عليه السلام
انى جاعل في الارض خليفة اى خالق في الارض ادم عليه السلام وذريته قالوا اتجعل فيها من يعصيك
ويصب الدما ونحن ننزهك من السوء ونصلى لك ونطهر انفسنا لك ويقال معنى نقدس لك اى
ننسبك الى القدس وهو الطهارة واللام زايدة كما في قوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم قال الله
تعالى انى اعلم ما لا تعلمون اى اعلم انه سيكون فيهم انبيا صلوات الله عليهم وقوم صالحون يرحمهم
الله يسبحون بحمدى ويقدسون لى ويطيعون امرى والقصد في هذا والله اعلم ما روى ان الله
تعالى لما خلق الارض جعل سكانها الجن بنى الجان على ما قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال
من حما مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم وجعل سكان السموات الملايكة لكل سما ملايكة
على حدة لاهل كل سما عبادة اهون من التى فوقها فالتى هى فوق اشد عبادة واكثر تسبيحا وصلوة
من الذين تحتهم ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك لله تعالى ساجد او قايم او راكع وكان ابليس
مع جند من الملايكة في سما الدنيا من اهون اهل السموات عملا وكان رييسهم وكان اسمه عزازيل
وكانوا خزان الجنان معهم مقاليد الجنان وكان يقال لهم الجن اشتق لهم اسم من الجنة فلما افسد
الجن بنو الجان فيما بينهم وسفكوا الدما وعملوا بالمعاصى بعث الله تعالى ابليس مع جنده فهبطوا
الى الارض واجلوا منها الجن بنى الجان والحقوهم بجزاير البحور وسكن ابليس مع الجند الذين معه
في الارض وخففت العبادة عنهم واسوا المقت فيها فلما اراد الله تعالى ان يخلق ادم عليه السلام
وذريته قال للملايكة الذين كانوا مع ابليس في الارض انى جاعل في الارض خليفة اى انى رافعكم
منها فوجدوا من ذلك وجدا شديدا فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها كما فعلت الجن بنو الجان ونحن
نسبح بحمدك الى آخر الآية وذهب بعض اهل العلم الى ان قول من يقول خففت العبادة عن
الملايكة واه ضعيف لان الله تعالى وصف الملايكة بخلاف ذلك حيث قال جل ذكره يسبحون الليل
والنهار لا يفترون وقال عز من قايل وهم لا يسامون واذ اسم معناه الوقت يوذن بوقوع الفعل
فيما مضى من الزمان ومحله نصب باضمار الفعل قبله واما اذا فاسم يستعمل للوقت في المستقبل
والملايكة جمع ملاك كما قال الشاعر فلست لانسى ولكن لملاك ثم طرحت حركة الهمزة على الساكن
قبلها فصار ملك ويقال ان ملكا كان في الاصل مالكا من الالوك وهى الرسالة كما قال الشاعر
وغلام ارسلته امه بالوك فبذلنا ما سال وقال آخر ابلغ النعمان عنى مالكا انه قد طال
حبسى وانتظارى فقدمت اللام واخرت الهمزة ومعنى الملك الرسول يقال الكنى الى فلان اى
ارسلنى اليه وقيل ان الملايكة جمع على مفاعلة كالمعالبة والمساععة والخليفة اسم لمن يحكم في الارض
بالعدل كما قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ويقال معنى الخليفة الخلفا وهو
فعيل بمعنى فاعل لان بنى ادم خلفوا الملايكة في الارض ويقال انما سمى ادم عليه السلام وذريته
خلفا لانه اذا انقرض منهم امة خلفهم اخرى ودخول الها في الخليفة للمبالغة والتاكيد وهو اسم
اذا اطلق تناول من يخلف الغير ويتبع مقامه في جميع ما اسند اليه فاذا كان قايما مقام الغير في
بعض الامور قيل انه خليفته في كذا فيقيد الخلافة في الامر الذى هو قايم فيه مقامه والسفك

والسبح واحد وهو الصب الا ان السفك اكثر ما يستعمل في صب الدما والتسبيح التفعيل من
السباحة وذلك ان يفيض الانسان في ذكر الله تعالى كافاضة السابح بجوارحه في لجة البحر و
يقال اصل التسبيح التبعيد لان الذي يسبح يباعد بين طرفيه والمسبح يبعد اسم الله عن الشريك
والولد وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سبحان الله براءة الله من السوء و
تسمى الصلوة سبحة يقال فرغت من سبحتي اي من صلوتي وتسبيح الملايكة قولهم سبحان ذي الملك
والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت سبحان الحي الذي لا يموت والتقديس التطهير
ويقال للسطل القدس لانه يتطهر منه ومنه بيت المقدس اي المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب
ويسمى الاسقف المقدس كانهم يقولون هو مطهر يتمسحون به ويتبركون والالف في قوله تعالى اتجعل الف
ايجاب كما قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده قال جرير الستم خير من ركب المطايا واندى
العالمين بطون راح اي انتم خير من ركب المطايا ويقال ان قول الملايكة اتجعل فيها استفهام
بمعنى الاستعلام والتعرف عن الحكمة لا على وجه التعجب والانكار لكن على التالم والتوجع
وقال الله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من وجه المصلحة في خلقي وما يكون فيهم من الخير والرشد
وحسن التدبير والحفظ ما لا تعلمون انتم ويقال معناه اعلم ان فيكم اشرارا ايضا مثل ابليس
ومن تابعه كما ان في بني ادم اشرارا ويقال معناه اني ابتلي من تظنون انه مطيع فيودي الابتلا
الى المعصية نحو ما ابتلي به ابليس فعصى وابتلي من تظنون به المعصية فيطيع والله اعلم
وقد روي في بعض الروايات ان الملايكة لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها خرجت نار من
الحجب فاحرقت عشرة الاف منهم واعرض الرب عز وجل عن من بقي منهم حتى طافوا حول الكرسي
سبع سنين يقولون لبيك اللهم لبيك اعتذارا اليك قوله عز وجل وعلم ادم الاسما
كلها ثم عرضهم على الملايكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين المعنى والله
اعلم الهم الله تعالى ادم عليه السلام اسما الاجناس كلها من الدواب والطيور والامتعة حتى البقر
والبعير والشاة حتى القصعة والسكرجة قال ابن عباس ومجاهد علمه الله تعالى جميع اللغات على
اختلافها ويقال علمه اسما معاني كل جنس هذا يصلح لكذا وهذا يصلح لكذا لان الفايدة في المعنى دون
مجرد الاسما وقوله تعالى ثم عرضهم على الملايكة يعني اصحاب الاسما فقال اخبروني باسما هولا الاجناس
ان كنتم صادقين في مقالتكم ودعواكم علما بالخليقة لانها تفسد في الارض او تغير وجعلها الادمة
هو كالون مشبه بلون التراب وذكر الخليل ان الادمة في الناس بشرة من سواد وانما قال ثم عرضهم
لان الذوات فيهم من يعقل لان الله تعالى علمه اسما الملايكة واسما من يكون في ذريته من الانبيا صلوات
الله عليهم واسما الجن فغلب في الاية اسم العقلا كما قال الله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه الاية وفي
حرف ابي بن كعب ثم عرضها وفي ابن مسعود ثم عرضهن فان قال قايل قوله عز وجل انبئوني امر
تكليف ام لا وهل يجوز تكليف ما لا يطاق قلنا من الناس من استدل بهذه الاية على جواز تكليف
ما لا يطاق والصحيح ان هذا ليس بتكليف لكنه تنبيه للملايكة على انهم لما عجزوا عن معرفة باطن ما شا هدوه
كانوا عن معرفة باطن ما غاب عنهم وهو امر الخليقة ابعد واعجز وهذا كمن يلقي المسلة على من
يتعلم العلم منه فيقول اخبرني بجواب هذه المسلة ولا يريد بذلك ان يامره بجواب المسلة لانه يعلم
ان الذي القى عليه المسلة لا يعلم جوابها ولكن ليقصد بذلك ان يقرر عند من القى المسلة عليه انه
لا يعرف جوابها ليكون اشد حرصا على تعلم تلك المسلة قوله عز وجل قالوا سبحانك لا علم لنا الا
ما علمتنا انك انت العليم الحكيم اي قالت الملايكة تنزيها لك ربنا من ان يكون احد يعلم الغيب

انت

سواك لا علم لنا بعلم ما تلك الا ما علمتنا انك العليم بخلقك الحكيم في امورك اذ حكمت ان تجعل في الارض
خليفة سوانا ولو اقتصروا على قولهم لا علم لنا لكان كافيا في الجواب الا انهم قالوا الا ما علمتنا
ليتضمن هذا الجواب الاعتراف بالتعليم وقوله تعالى انك انت العليم الحكيم اي انك انت العليم
من غير تعليم فاما الحكيم فهو الذي يدرك الاشيا بحقايقها ويضعها في مواضعها فيحكمها قوله عز وجل
قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات و
الارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون اي قال الله تعالى يا ادم اخبر الملايكة باسما هذه
الاجناس فلما اخبرهم ادم عليه السلام قال الله تعالى للملايكة الم اقل لكم اني اعلم سر اهل السموات
والارض واعلم ما اظهرتم من الطاعة لله تعالى وما اضمر ابليس من المعصية لله تعالى في الامر بالطاعة
لادم عليه السلام وذلك ان الله تعالى لما صور ادم عليه السلام وراه ابليس قال للملايكة الذين معه
ارايتم هذا الذي لم تروا من الخلايق مثله ان امركم الله بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع امر
ربنا ونفعل ما يامرنا فاضمر الخبيث في نفسه لان فضلت عليه لاهلكنه وان فضل علي لا
اطيعه فذلك قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وفي هذه الاية دلالة على شرف العلم و
فضيلته لان الله تعالى لما اراد اعلام الملايكة فضيلة ادم عليه السلام علمه الاسما بمعانيها
حتى اخبر الملايكة بها ولم تكن الملايكة علمت منها شيا مما علمه ادم عليه السلام فاعترفوا له
بالفضل فامرهم الله تعالى بالسجود لادم عليه السلام تعظيما لعلمه واحتراما له كما قال جل ذكره
في الاية التي بعد هذه الايات وهي قوله عز وجل واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا
الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين عطف على ما تقدم والمعنى واذكروا اذ قلنا
للملايكة الذين كانوا في الارض اسجدوا لادم قال قتادة سجدة تحية وتكرمة له وعبادة لله
لا لاجل ادم عليه السلام قال كسجود اخوة يوسف له عليه السلام كما قال الله تعالى وخروا
له سجدا وذلك ان التحية بالسجود كانت جايزة لمن يستحق ضربا من التعظيم كالمصافحة و
المعانقة فيما بيننا فاما العبادة فلا يكون الا لله تعالى والحكمة في امر الله تعالى للملايكة بالسجود
لادم عليه السلام اظهار فضيلته لفضل علمه واظهار ما في نفس ابليس من المعصية لله
تعالى ثم نسخ السجود لغير الله تعالى لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لو جاز لاحد ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها وذهب بعض الناس
الى ان السجود كان لله تعالى وكان ادم بمنزلة القبلة لهم وليس ذلك بشي لانه يوجب الا
يكون لادم عليه السلام بذلك حظ من التفضيل والتكرمة وهذا خلاف ظاهر القران قال الله
حكاية عن ابليس قال اسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي واما قوله
فسجدوا الا ابليس يقول سجدت الملايكة كلهم الا الذي صار ابليس وكان ابليس في السما
اسمه عزازيل فلما غضب الله عليه قال يا ابليس كما يقال يا خبيث وقوله ابى اي امتنع عن السجود
واستكبر اي تعظم في نفسه وكان من الكافرين في علم الله تعالى علم الله في الازل انه يختم
له بالكفر وقيل معناه صار من الكافرين كما في قوله تعالى فكان من المغرقين والسجود في اللغة
عبارة عن الانحنا والميلان يقال سجدت النخلة اذا مالت وقد اختص في الشريعة بفعل
مخصوص يتضمن التعظيم لله تعالى وهو وضع الجبين على الارض في الصلوة وعند قراة ايات
السجود والاستكبار رفع النفس فوق منزلتها واسم ابليس اعجمي معرب لذلك لا ينصرف
عند نحاة البصرة وقال الكوفيين هو افعيل من ابلس اي يئس من رحمة الله كادريس من درس

لا اطيعنه غ

على وجه التحية غ

يدرس فللتعريف والهمزة الداخلة في الافعال لم ينصرف بخلاف الاكليل وظاهر الآية يقتضي ان
ابليس كان من الملائكة لان الله تعالى استثناه منهم والى هذا ذهب بعض اهل العلم وقال انما
قال جل ذكره في آية اخرى الا ابليس كان من الجن لانه كان من خزان الجنان اشتق لهم اسم
من الجنة وقيل سموا جنا لاستتارهم عن ابصار الناس ويقال معنى قوله تعالى كان من الجن اى
كان ضالا كما ان الجن كانوا ضالين فجعله منهم كما قال في قصته وكان من الكافرين وذهب
جماعة من اهل العلم الى ان ابليس كان من الجن بني الجان ومن الجنة لم لا انه كان مخلوقا من
النار كما قال تعالى حكاية عنه خلقتني من نار وخلقته من طين وله نسل وذرية والملائكة مخلوقون
من النور لا نسل لهم ولا ذرية وانما قال الا ابليس لانه امر مع الملائكة في السجود لادم عليه
السلام فسجد المامورون كلهم الا هو ويجوز ان يكون هذا الاستثنا منقطعا كقوله تعالى
ما لهم به من علم الا اتباع الظن قال الشاعر وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس
وقيل سبب كونه مع الملائكة ان الملائكة لما حاربت الجن سبي ابليس صغيرا فنشا مع الملائكة
فلما خلق الله تعالى ادم عليه السلام وامر ابليس بالسجود له امتنع وكفر وعاد الى اصله وقد
رجح القاضي ابو عاصم هذا القول الاخير بان قال ان الملائكة رسل الله تعالى ولا يجوز عليهم
الفسوق والكباير فكيف الكفر قوله عز وجل وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا
مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ معناه والله اعلم قلنا
يا ادم اجعل الجنة ماوى نفسك وزوجك وكلا من الجنة موسعا عليكما حيث شئتما بلا عناء
ولا تقربا هذه الشجرة بالاكل منها فتكونا من الظالمين لانفسكما لاكلكما من الشجرة قال ابن عباس بعث
الله عز وجل ملائكة من السما الى ادم ومعهم سرير من ذهب فحملوه على السرير حتى صعدوا به
الى السما ضحوة يوم الجمعة فانزلوه وسط الفردوس ولباسه النور وعليه اكليل من ذهب
مكلل بالدر والياقوت وعليه خلخالان مكللان بالدر والياقوت ومنطقة مكللة وسواران
مكللان قال الضحاك دخل ادم عليه السلام الجنة عند الضحوة واخرج منها ما بين
الصلوتين ومكث فيها نصف يوم من ايام الآخرة وهو خمسماية عام والزوج في اللغة
القرين كان الاصمعي يوثر ترك الها في الزوجة ويرى ان اكثر كلام العرب عليه والرغد
العيش الواسع الكثير الذي لا يعييك طلبه والظلم وضع الشي في غير موضعه من ذلك
قولهم من اشبه اباه فما ظلم اى ما وضع الشبه في غير موضعه ويقال الظلم ادخال
الضرر على من لا يستحقه من غير عوض وقد اختلفوا في الشجرة المذكورة في الآية
قال الكلبي كانت الشجرة احسن اشجار الجنة عليها كل نوع من الاطعمة ابتلاه الله
بها ونهاه عن اكلها وعن ابن عباس انها كانت شجرة الحنطة اى السنبلة روي في بعض
الروايات ان الحبة منها ككلية البقرة الين من الزبد واحلا من الشهد واشد بياضا من الثلج و
عن علي كرم الله وجهه انها كانت شجرة الكرم وهي رواية اخرى عن ابن عباس وعن قتادة انه قال هي
شجرة التين ومنهم من قال شجرة العلم او شجرة الخلد على ان ابليس قال لهما من اكل منها علم الخير
والشر او علم علم الملائكة وقال من اكل منها لم يمت واختلفوا في كيفية اكل ادم عليه السلام من
تلك الشجرة واصح الاقاويل والله اعلم ان ادم عليه السلام اخطا في الاستدلال والتاويل ولم
يتعمد ارتكاب المنهي عنه لانه لا يجوز على الانبيا صلوات الله عليهم ان يقصدوا الى فعل المنهي
مع العلم بالنهي فيخرجون به عن ولاية الله تعالى ويستحقون الغضب منه لانهم لا يامنون ان يكون

ذلك

١٥

ذلك الفعل كبيرة واذا استحقوا الغضب من الله لم يجب على الناس متابعتهم ولا النظر في معجزاتهم
بل وجب عليهم التبري منهم فظهر ان ادم عليه السلام لم يرتكب النهي مع العلم بالنهي ولكن اخطا
في التاويل ووجه خطايه في التاويل ان الله تعالى قد كان نهاه عن اكل جنس تلك الشجرة الا ان
الاشارة بالنهي الى شجرة معينة فحسب ادم عليه السلام انه لم ينه عن جنس تلك الشجرة و
انما نهي عن الشجرة التي وقعت الاشارة اليها وكانت الاشارة بالنهي الى شي بعينه ويكون
المراد به تعميم ذلك الجنس بالنهي كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ الذهب باحدى يديه
والحرير بالاخرى وقال هذان محرمان على ذكور امتي حل لاناثها لم يرد بهذا تحريم عين
ما كان وضعه على كفه فقط انما اراد تحريم ذلك الجنس فان قال قايل كيف صح هذا التاويل
وقد ذكر ابليس ادم النهي حيث قال له ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين ولا
تكون في التذكير ابلغ من هذا قيل له لا يجوز ان يقال ان ادم عليه السلام واقع الذنب حين
قال له ابليس هذا القول اذ لو اكل في تلك الحالة للغرض الذي ذكره ابليس لكان الله تعالى يعا
تبه على الاكل لهذا الغرض اكثر مما يعاتبه على نفس الاكل فلما عاتبه الله تعالى على نفس الاكل ولم
يعاتبه على ذلك بل ادم لم ياكل من الشجرة حين قال له ابليس ذلك ولكن لما امتنع من الاكل من تلك الشجرة
المشار بالنهي اليها قال ابليس لادم عليه السلام وحوا ان لم تاكلا من هذه الشجرة بعينها فكلا
من جنسها فان الله تعالى انما نهاكما عن عين تلك الشجرة فاكلا من جنس تلك الشجرة ولم ياكلا
من عينها ويحتمل انه لما وافق غرور ابليس ووسوسته في نفسه حين اغتر بقوله فاغفل النهي
او نسيه او تاول انه نهي كراهية او نحو ذلك وهذا الضرب من السهو والاغفال غير موضوع عن
الانبيا صلوات الله عليهم لعظم اخطارهم وارتفاع اقدارهم ولما شاهدوا من الايات والبينات ولا
القدرة والايمة وقد قال الله تعالى يا نسا النبي لستن كاحد من النسا الى ان قال من تاب منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وذلك لعظم اخطارهن وقال عليه السلام اني اوعك كما
يوعك رجلان منكم ومثل هذا السهو والغفلة لا يمكن التحفظ منه وليس بخارج عن قدرة العباد الا ان
الله تعالى وضعه بلطفه ورحمته عن المومنين كما وضع ساير الصغاير ولو اخذهم به لكان عدلا فان
قيل كيف يصح ولكم ان ما فعله ادم كان صغيرة ولم يكن كبيرة وقد عاقبه الله تعالى بنزع اللباس
منه وبالاخراج من الجنة وبالاهباط الى الارض قيل عنه جوابان احدهما ما ذكرنا ان الانبيا صلوات
الله عليهم يوخذون بما لا يوخذ به ساير المومنين والثاني ان ذلك لم يكن عقوبة لكن كان محنة
وابتلاء اذ الله تعالى لا يعاقب انبياءه عليهم السلام وان كان قد يمتحنهم كما يمتحنهم بالامراض و
الاسقام ويدل على ذلك قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات الى ان قال قلنا اهبطوا منها جميعا فاخبر
انه امره بالهبوط بعد التوبة والتايب لا يجوز ان يعاقبه الله تعالى فان قيل ان كان ما فعله
صغيرة لا يجب به العقوبة فلم ذا تاب عليه السلام قيل ان الصغيرة يجب التوبة عنها وان وقعت
مغفورة لانه اذا ترك التوبة منها مع العلم بانها معصية كان مصرا عليها والاصرار على المعصية
نوع ادمان على المعصية فان قيل اذا وقعت الصغيرة مغفورة فما معنى تاب الله عليه وكيف
غفر له قلنا ان الله تعالى يفعل الغفران كما اخبر الله تعالى عن ابرهيم عليه السلام والذي اطمع
ان يغفر لي خطيتي يوم الدين وان كانت خطيئة ابرهيم عليه السلام مغفورة قوله عز وجل فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ
عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ
وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ المعنى والله اعلم استزلهما الشيطان عن الجنة ويقال زلا بإغواء الشيطان

اياهما لكانه ازلهما فاخرجهما مما كانا فيه من رغد العيش وراحة النفس وجوار الرب
عز وجل وقلنا لادم وحوا عليهما السلام وابليس والحية والطاوس انزلوا من السماء
الى الارض بعضكم لبعض عدو فابليس عدو لادم عليه السلام وذريته وعداوته لهم كفر
وهم اعدا ابليس وعداوتهم له ايمان والحية تلدغ عقب ابن ادم وابن ادم يشدخ راسها
لان ابليس كان في راسها قال النبي صلى الله عليه وسلم الود يتوارث والبغض يتوارث
ويجوز ان يكون المراد بالعداوة العداوة التي بين بني ادم ولكم في الارض مستقر مقام وثبوت
ومنفعة الى منتهى الاجال واما قراة حمزة فازالهما اي من الزوال اي نحاهما والازلال في معنى
الايقاع في الزلل يقال ازللت فلانا فزل وازلته فزال والهبوط الانحطاط من الرتبة الرفيعة
والمتاع اسم لما يستمتع به والحين والزمان في اللغة واحد فان قيل كيف وسوس ابليس لادم
عليه السلام وكان ادم في الجنة وابليس اخرج منها حين امتنع من السجود وكان لا يتمكن من
دخول الجنة بعد ذلك قيل اختلفوا في هذا قال بعضهم لم يدخل ابليس الجنة خوفا من رضوان
لكن اتى باب الجنة فناداهما ولم يكن محجوبا من السموات وقيل كان ادم وحوا يخرجان
الى باب الجنة نتنزههما وقال عامة المفسرين انه دخل في راس الحية وذكر الكلبي كيفية
هذه القصة قال لما نظر ابليس الى ما اكرم الله ادم عليه السلام حسده فاحتال ان يفتنه
فعرض نفسه على كل دابة تدخل الجنة ان يدخل في صورتها فابت عليه حتى اتى الحية وكانت
احسن دابة في الجنة خلقا وكانت كهيئة البعير تمشي على اربع قوايم فيها من كل لون فلم يزل
بها يستدرجها حتى اطاعته فدخل بين لحييها فقام في راسها فنادى يا ادم ويا حوا فلجاباه
قال ماذا امركما ربكما وماذا نهاكما عنه فقالا امرنا ان ناكل من شجرة الفردوس كلها غير الشجرة الواحدة
التي في وسط الجنة كيلا نموت فقال لهما ان الله تعالى قد علم انكما لستما تموتان موتا ولكن علم
انكما متى اكلتما من هذه الشجرة كنتما ملكين تعلمان الخير والشر او كنتما من الخالدين وقاسمهما بالله
اني لكما لمن الناصحين فقال لهما ايكما اكل قبل صاحبه كان هو المسلط على صاحبه فابتدرا الى
الشجرة فسبقت حوا ادم عليه السلام فقال لها ادم عليه السلام ويحك اما تعلمين ان الله تعالى قد
نهانا عنها فقالت اما تعلم سعة رحمة الله تعالى فاكلت منها واطعمت ادم فلما وصل الى بطونهما
تهافت عنهما لباسهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قيل انما لم يتهافت ثياب حوا اولا
لانها كانت تبعا لادم عليه السلام ثم اهبط الله تعالى ادم عليه السلام بالهند وحوا بجدة بساحل
مكة وابليس بساحل ايلة والحية باصبهان ورد الله تعالى قوايم الحية الى بطنها وجعل رزقها
التراب وروي في بعض الاخبار ان ابليس دخل الجنة وهو في الجنة فسال الطاوس عن الشجرة التي
نهى الله ادم عليه السلام عنها فدله عليها ثم اتى ادم عليه السلام واقسم انها شجرة الخلد
القصة الى ان قال غضب الله تعالى على الطاوس واهبطه بميسان ومسخ منه صوته ورجليه ومثل
هذه الاشيا لا تعلم الا من طريق الخبر فما صح الرواية فيه قيل به وما لم يصح رد والله اعلم
قوله عز وجل فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم معناه
تلقف واخذ ويقال الفهم وهو المراد من الاخذ والكلمات اعترافهما بالذنب واستغفارهما
كما قال الله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية فتاب عليه اي قبل الله تعالى توبته وقد تاب
الله عز وجل عليهما لكن الاختصار على ذكر ادم عليه السلام في الاية على طريق الايجاز والتغليب
للذكور انه هو التواب اي القابل للتوبة المتجاوز عن ذنوب العباد الرحيم بمن مات على

التوبة ومن قرا فتلقى ادم بنصب ادم ورفع كلمات جعل الفعل للكلمات والتلقي هو
الاستقبال في كل من تلقاك فقد تلقيته ومن تلقيته فقد تلقاك والتوبة في اللغة هو العود
والرجوع يقال تاب واب بمعنى واحد فالعبد يتوب الى الله تعالى في مقام العبيد ذلة
وطاعة وتسليما والله تعالى يتوب على العبد بعوده عليه بالعطف والرحمة والستر والمدد
روي عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الكلمات نزل
بها جبريل عليه السلام وهي سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت سوا وظلمت نفسي
فاغفر لي وارحمني وانت خير الراحمين سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت سوا
وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت
سوا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم وهو رواية ابن عباس رضي الله عنهما
قوله عز وجل قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون خطاب لادم وحوا عليهما السلام خاصة بالهبوط من الجنة الى
السما لانه يعقبه قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى وهو خطاب لهما ولولدهما خاصة فاما الهبوط
الاول فهو من السما الى الارض وقد بيناه ويجوز ان يكون تكرار الامر بالهبوط للتاكيد او لان
الثاني بالفاظ اخر ليست من الفاظ الاول كما يقال اذهب اذهب وعجل عجل ويقال اذهب
سالما واذهب معافا مصاحبا ونحو ذلك وقوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى يقول ان ياتكم
مني بيان وهو الكتب والرسل فمن تبع كتابي ورسولي فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم
من اهوال يوم القيمة ولا هم يحزنون على ما خلفوا من امور الدنيا في الاخرة والاصل في اما ان ما
على طريق الشرط والجزا الا ان النون ادغمت في الميم وما صلة في الكلام معناه التاكيد و
النون الموكدة في قوله تعالى ياتينكم لا تدخل في الفعل الا ان يكون فيه موكد قبله يقول
لياتينك ولا يقال زيد ياتينك بغير اللام والاتباع هو ان يتلو الشي الشي ومنه قول الناس
دين الله الاتباع دون الابتداع اي دين الله الاخذ بما جا به النبي صلى الله عليه وسلم وجميع
الانبيا دون الابتداع والنصب في قوله تعالى هداي لان الاصل في يا الاضافة الحركة لانها
حرف في موضع اسم مضمر الا انها حذفت في قوله هذا غلامي ونحو ذلك للتخفيف لان اليا من
حروف المد واللين وقد سكن ما قبل اليا في هداي فلم يكن بد من تحريك يا الاضافة فجعل
حظها من الحركة ما كان لها في الاصل وهو الفتح والحزن هو غلظ الهم من قولهم للارض
الخشنة الغليظة ارض حزنة وفي الاية تحذير من صغير المعاصي وكبيرها لان الله تعالى اهبط
نبيه عليه السلام من جنة كان انعم الله عليه بها فاهبطه منها من اجل صغيرة من الصغاير
فكيف بمن اجترا على الله تعالى وارتكب كباير ما نهي عنه وفيها احسن وعد لمن اتبع هدى الله
تعالى فاطاعه ولزم تقواه لان الله تعالى جمع في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون مع
قلة الحروف صنوف النعم كلها لا احد اسعد ممن لا يخاف ولا يحزن ومن دخل الجنة فقد
سلم من جميع الافات فليس يخاف ووصل الى جميع اللذات فليس يحزن على شي نسال الله
رحمته ونعوذ به من عقابه قوله عز وجل والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون معناه والذين جحدوا بدلايلنا وكذبوا برسلنا وكتبنا اولئك اصحاب النار هم
فيها مقيمون دايمون وللايات معنيان احدهما ما ذكرناه والثاني الدلايل العقلية التي هدى
الله تعالى العقل الى معرفتها والاصحاب جمع الصاحب والصحبة هي المقارنة الا ان اسم الصاحب

فلانا ه

لايقع على الطلاق الا اذا طالت صحبته فاما اذا قلت صحبته معه فانه يقال صحب فلان يوما
او كذا والكفر وحده يوجب خلوده في النار وكذا التكذيب وحده لكن ذكرهما الله تعالى في الآية
للتعظيم والتهويل اذ لايكون احدهما في انسان الا ومعه صاحبه وفي هذه الايات من اول ما ذكر
الله تعالى خلق آدم عليه السلام الى هذه الآية زيادة دليل على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ كان صلى الله عليه وسلم من قبيلة وبلدة لا يعرف اهلها شيا من هذه القصة على حقها و
صدقها بل كان بين ظهراني قوم وليسوا من اهل الكتاب ولا من شانهم الفحص عن هذه الامور
نشا بحضرتهم وهو امي لم يقرا الكتب ثم اخبر علما اهل الكتاب بهذه القصص على وجهها
ولم يقدروا على تكذيبه في شي منها وفي الآية دليل على ان الجنة والنار لا يفنيان خلاف قول
الجهمية لان الخلود مصرح به في هذه الآية والآية التي قبل هذه يقتضي ان لا يخافوا التبعة
ولا يحزنوا على فوت النعم قوله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون ابتدا فصل من ذكر
النعم وهو اطول من الفصول التي تقدمت لانه ينتهي الى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا
تقولوا راعنا وهذه الآية خطاب لليهود والنصارى كلهم لان الله تعالى نسبهم الى ابيهم
الاعلى كما قال في آية اخرى يا بني آدم واما اسرائيل فقد قال ابن عباس انه يعقوب بن اسحق بن
ابرهيم صلوات الله عليهم واسرائيل لغة عبرانية فاسرا في لغة العبرانية هو العبد وايل
هو الله عز وجل ويقال الاسرا هو الخالص من كل شي وايل هو الله تعالى فكانه سمي صفوة الله
تعالى ومعنى الآية يا اولاد يعقوب احفظوا منتي التي مننت بها عليكم بان انجيتكم من آل
فرعون وظللت عليكم الغمام وانزلت عليكم المن والسلوى وجعلت فيكم انبيا صلوات
الله عليهم وملوكا وغير ذلك من النعم التي لا تحصى واكثر هذه النعم كانت لابايهم لكن العرب
تذكر مثل هذا وتريد به الآبا يقولون هزمناكم يوم كذا يعنون به اباهم وقيل ان النعمة
ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وقت اختلافهم في الدين ليدلهم على الحق المبين
والامر بذكر النعمة امر بعرفانها بالقلب والاقرار بها باللسان اذ لا سبيل لاحد الى
ذكر كل ما انعم الله تعالى عليه سوى الاعتراف بالعجز عن اداء شكره فاما العهد المذكور
في الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الله تعالى عهد الى بني اسرائيل في التورية اني باعث
من بني اسمعيل نبيا اميا فاتبعوه فمن اتبعه وصدق بالنور الذي ياتي به غفرت له ذنوبه
وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اجرا له باتباعه ما جا به موسى عليه السلام والانبيا
صلوات الله عليهم من بني اسرائيل واجرا باتباعه ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان
يكون المراد بالعهد قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين وقوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني
اسرائيل الى اخر الآية فاما معنى قوله فاياي فارهبون اي فاخشوني في كتمان بعث محمد
صلى الله عليه وسلم وصفته وترك اتباعه وبني اسرائيل في موضع نصب لانه ندا مضاف
والمنادى في موضع النصب لان معناه ناديت واسرائيل في موضع خفض بالاضافة الا انه
فتح اخره لانه لا ينصرف لمعنى العجمة والمعرفة وفتح اليا في نعمتي لالتقا الساكنين لان الذي
بعدها ساكن وهو لام المعرفة ويجوز حذف اليا في اللفظ عند التلاقي والوفا هو
اتمام العاقد بايفا المعقود عليه يقال درهم واف اي تام وفيه لغتان اوفى ووفى وبالالف
افصح وبها ورد القرآن ونصب اياي بالامر كانه في المعنى فارهبون وحذفت اليا من اخر

الامر

١٧

الامر لانها فاصلة الى اخر الآية والرهبة والخوف نظيران الا ان ضد الرغبة الرهبة وضد الخوف
الامن فكانت الرهبة خوف على شريطة كما ان الرغبة رجا بامل قوله عز وجل وآمنوا بما انزلت
مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون
وصية من الله تعالى لهم بعد ان ذكرهم نعمته يقول صدقوا بهذا القرآن الذي انزلت موافقا
لما معكم من التورية والانجيل وساير الكتب ولا تكونوا اول فريق يكفر به ولا تختاروا باياتي
عرضا يسيرا يعني الدنيا واياي فاخشون في محمد صلى الله عليه وسلم وسبب هذا الخطاب
ما روي انه كان لعلما اليهود رياسة وماكلة ووظايف من سفلة اليهود فكانوا يخافون
ان اسلموا ذهبت رياستهم فقيل لهم لا تكونوا اول كافر به فيتبعكم العوام والها في قوله
كافر به عايدة الى ما انزلت ويجوز ان تكون عايدة الى قوله تعالى لما معكم لانهم كتموا بعث محمد
صلى الله عليه وسلم وصفته في التورية فاذا كفروا بالتورية والثمن كل ما يعطى مكان الشي
من بدل او مبدل الا ان من شان الثمن والمبيع عروض والثمن دراهم الا ان يقيد الثمن بالبا و
اذا كان كلاهما عروضا يقيد احدهما بالبا ايهما كان وكذلك اذا كان كلاهما ثمنا من احرف

اذا ذكرا المبيع صح

والفايدة في قوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به وان كان الكفر قبيحا في الاول والاخر ان السابق
الى الكفر يقتدى به غيره فيكون اعظم لماثمه وجرمه كقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم

لهم

وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وقوله
من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وروي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ان على قابيل بن ادم عليه السلام القاتل كفلا من الاثم في كل قتيل
ظلما لانه اول من سن القتل وقال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر
من عمل بها الى يوم القيمة لا ينقص من اجورهم شي ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيامة لا ينقص من اوزارهم شي قوله عز وجل ولا تلبسوا
الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون قال ابن عباس معناه لا تخلطوا الصدق
بالكذب ويقال خلط الحق بالباطل هو ايمانهم ببعض ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم وكفرهم
ببعضه ويقال الحق ما تركوه على حاله والباطل ما حرفوه من التورية وتكتموا الحق
يحتمل ان يكون جزما على النهي على معنى ولا تكتموا الحق وهو بعث النبي صلى الله عليه
وسلم وصفته في التورية ويحتمل ان يكون قوله تعالى وتكتموا نصبا على معنى وان تكتموا اي ولا
تجمعوا بين اللبس والكتمان كما قال الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا
فعلت عظيم اي لا تجمع بين النهي عن خلق واتيان مثله وقوله تعالى وانتم تعلمون اي تفعلون ذلك
على علم منكم وبصيرة وهذا ابلغ في الوعيد لان من ارتكب المعصية مع العلم بانها معصية كان ذلك اقبح
منه ممن ارتكبه وهو لا يعلم بقبحه وكونه معصية واصل اللبس الستر والتغطية يقال في الامر لبست
الامر على فلان البسه بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل اذا اعميت عليه ويقال في الثوب
لبست الثوب البسه بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل قوله عز وجل واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين امر معطوف على النهي لفظا يحتمل وجهين احدهما ان
الصلوة كانت معهودة للمسلمين يومئذ وكذلك الزكوة كانت معلومة عندهم فامر اليهود باقامة
الصلوة المعهودة في شريعتنا وايتا الزكوة المعلومة والثاني يجوز ان يكون الصلوة مجملة يومئذ
في شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وكان فعل النبي صلى الله عليه وسلم بيانا لذلك الاجمال وهكذا حال



سائر ما ورد في القرآن مجملا فانه يكون بيانه موكولا الى النبي صلى الله عليه وسلم اذ لولا ذلك لكان
الله يتولى بيانه في القرآن ومعنى واركعوا مع الراكعين اي صلوا مع المصلين من اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم في الجماعات الى الكعبة ولا تصلوا وحدانا وقد تسمى الصلوة ركعة يقال
ركعت ركعة اي صليت وفرغت من ركعتي اي من صلوتي والفايدة في تكرار ذكر الصلوة والله
اعلم لئلا يتوهم متوهم ان الصلوة لا تجب الا على من تجب عليه الزكوة ويقال ان اليهود كانوا
يصلون بغير ركوع فامروا بالركوع في الصلوة وحقيقة الزكوة ما يجب اخراجه من المال على التوظيف
الذي توجبه الشريعة وهو في اللغة عبارة عن النماء والزيادة يقال نمى الزرع اذا كثر ريعه و
زكت النفقة اذا بورك فيها والتزكية التطهير ومنه نفس زاكية فاخراج الزكوة سبب للطهارة
والزيادة كما قال الله تعالى وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون والركوع
في اللغة عبارة عن الانحناء والميلان يقال ركعت النخلة اذا مالت قوله عز وجل اتأمرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون خطاب لعلماء اليهود
قال ابن عباس كان الرجل من اليهود يقول لصهره وقرابته واخوانه من الرضاعة من المسلمين اثبت
على ما انت عليه مما يامرك به محمد صلى الله عليه وسلم فان امره حق فانزل الله تعالى هذه الاية
وروي ان جماعة من اليهود كانوا يخبرون مشركي العرب قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بان
رسولا سيظهر يدعوا الى الله تعالى والى الحق وكانوا يحثونهم على اتباعه واجابة دعوته فلما
بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فانزل الله تعالى هذه الاية مذكرا
لهم ما كان منهم يقول اتامرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتتركون انفسكم فلا
تتبعوه وانتم تقرؤون الكتاب التورية وتعلمون ما فيها من البشارة به ووجوب اتباعه افلا
تعقلون انه حجة عليكم والف الاستفهام في اول هذه الاية يقتضي التوبيخ والانكار كما
في قوله تعالى اتاتون الذكران من العالمين وقوله تعالى اتتركون فيما هاهنا امنين والبر
هو اتساع الخير يقال لما بين البحرين بر لانه اشد اتساعا من البحر وتسمى المفازة برية لا
تساعها والنسيان السهو ضد الذكر الا ان بين النسيان والسهو فرقا وهو ان النسيان
عزوب الشيء عن النفس بعد حضوره والسهو قد يكون عما كان الانسان عالما به وعما لم يكن
عالما به وقد يكون النسيان بمعنى الترك كما قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا ذكر الله
فخذلهم والتلاوة هي القراءة واصلها الاتباع لان الحروف يتلو بعضها بعضا والعقل قد
يكون بمعنى الشد يقال عقلت البعير اعقله اذا شددت ركبته وما يعقل به عقال ويسمى
العقل عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وقيل ان العقل علوم مخصوصة من جملتها العلم
بالحسنات والسيئات فسمي العقل عقلا لانه يعقل العلوم المكتسبة ولا يجوز ان يقال في
اسماء الله تعالى عاقل لانه لا يكتسب علما بشيء فيقيدت بعض علومه ببعض ولانه لا يعقله
شيء عن فعل القبيح ولكن لا يختار القبيح مع استغنائه عن فعله لعلمه بانه قبيح قوله عز وجل
واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين يقول استعينوا
بالصبر على طاعة الله تعالى وفعل الصلوة على ما يذهب عنكم من الرياسة ويفوتكم من الماكلة
باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولم يذكر في الاية مستعانا عليه وانما ذكر المستعان به
لان الاستعانة بالشيء يقتضي مستعانا عليه لا محالة فالمستعان عليه ذهاب العز و
الرياسة وفوت الماكلة والرشى والمرافق ويقال هو الشدة والمشقة التي تلحق المسلمين

ع

ينبع غ

في الطاعة وقال مجاهد الصبر في الاية هو الصوم وسمي الصوم صبرا لان صاحبه يحبس نفسه
عن الطعام والشراب ويسمى شهر رمضان شهر الصبر وقيل حمل هذه الاية على الصوم اولى من
حملها على الصبر الذي هو نقيض الجزع لان الذي يليق بالصلوة والزكوة الصوم دون الصبر الذي
هو نقيض الجزع فاما قوله تعالى وانها لكبيرة يحتمل ان الهاء كناية عن الصلوة لانها اشرف
الطاعات ويحتمل ان تكون كناية عن الاستعانة ويحتمل ان تكون المراد بها الصبر والصلوة
جميعا كما قال الله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه فاكتفى بذكر احدهما دلالة على الاخر
قال الشاعر ومن يك امسى بالمدينة اهله فاني وقيار بها لغريب اي غريبان والكبيرة
الثقيلة الشديدة لان ما يكبر يثقل وما يثقل يشق حملها والخاشعون المتواضعون الذليلة
قلوبهم قال الخليل رحمه الله تعالى يقال خشع اذا رمى ببصره الى الارض واختشع اذا طاطا
راسه للسجود والخشوع والخضوع نظيران الا ان الخضوع يكون بالبدن والخشوع
بالبصر والصوت والقلب كما قال الله تعالى خاشعة ابصارهم وخشعت الاصوات
للرحمن ان تخشع قلوبهم والصبر حبس النفس عما ينازع اليه والاستعانة طلب المعونة
والصلوة بما فيها من تلاوة الكتاب والوقوف بذلك على الوعد والوعيد والمواعظ البليغة
تسهل على النفس ترك الرياسة وتسهل الانقياد للطاعة قوله عز وجل الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون معناه والله اعلم الذين يستيقنون انهم
ملاقوا ربهم في الاخرة وانهم اليه راجعون فيجزيهم بما علموا لانهم لو كانوا شاكين كانوا ضلالا
كفرين وقد يذكر الظن بمعنى العلم كما قال دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم
في الفارسي المسرد اي ايقنوا والظن في اللغة هو الشك الذي يقوى احد طرفيه على الاخر الا ان علم
غير العيان يجوز ذكره بلفظ الظن وان قام في النفس حقيقته لانه يبدو في النفس كالظن ثم يقوى
حتى يصير يقينا وملاقاة الله رويته ويقال معناه ملاقوا جزاء ربهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه قوله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على
العالمين امرهم الله تعالى لهم بتذكير النعمة وانما تكرر خطاب بني اسرائيل في القرآن بذكر النعمة
على طريق التوكيد كما قلنا في قوله تعالى قلنا اهبطوا ويحتمل ان يكون المراد باللفظ الاول القوم الذين
كانوا في بني اسرائيل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالثاني اباء هؤلاء القوم واسلافهم
لان الله تعالى عطف على هذه الاية قوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون واراد به اباءهم وقوله
تعالى فضلتكم اي بالكتب والرسل على عالمي زمانكم قبل مبعث عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله
عليه وسلم والتفضيل زيادة احد الشيئين على الاخر بالخير قوله عز وجل واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون
احذروا عذاب يوم لا تغني نفس مؤمنة عن نفس كافرة ولا يقبل منها شفاعة لنفس كافرة ولا يؤخذ
منها عدل فدية ولا هم يمنعون مما يراد بهم من العذاب والجزاء والمكافاة والمقابلة نظاير يقال جزى
عني اي قضى عني وناب عني ومنه قولهم جزيت دين فلان اي قضيت دينه والمتجازي المتقاضي
فاما اجزاني فمعناه كفاني روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال البدنة تجزي عن سبعة
بغير همز وروي تجزي مهموز والاصل في هذا كله الجزاء وهو مقابلة الاحسان بالاحسان والشر بالشر
فكان المراد بالاية يوم لا تقابل نفس المكروه بما يدفعه عنها وتقدير قوله تعالى لا تجزي اي لا تجزي
فيه وحذف حرف الظرف سائغ يقول اتيتك اليوم اي اتيتك في اليوم والشفاعة التماس خير لغيره

وحمله غ

حمله غ

اخشع غ

اودفع مضرة عنه اذا كان درجة الشفيع عند المشفوع اليه اعظم من درجة المشفوع له والاصل
فيها الشفع الذى هو بمعنى الزوج فسميت الشفاعة شفاعة لان الذى ياتى الشفيع قد شفع نفسه
بغيره على سبيل الاستعانة به على قضا الحاجة يقال شفع اذا التمس قضا الحاجة وشفعه اذا
اجابه الى ملتمسه ومراده ويقال انه مشفع اى معد ما يعينه على قضا الحاجة وقد كانت اليهود
يزعمون ان اباهم الانبيا صلوات الله عليهم ابراهيم واسحق ويعقوب يشفعون لهم عند الله فايسهم
الله من ذلك بهذه الاية وقال الضحاك لا يتكلم في ذلك اليوم احد عند انشقاق السما وزفرة جهنم
ونشر الكتب وسقوط الخلايق على الركب حتى ينقضى ذلك الوقت ثم تجى الرحمة وترجع الافيدة و
العقول فحينيذ تقوم الشفعا ودليله لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
من قرا بالتا فلان الشفاعة مونثة ومن قرا باليا فلان تانيثه ليس بحقيقى كما في قوله عز وجل
فمن جاه موعظة من ربه والعدل الفدية والفرق بين العدل والعدل ان العدل هو مثل الشى
من جنسه والعدل بدله قد يكون من جنسه وقد يكون من غير جنسه كما قال الله تعالى
او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما والنصرة العون تقول العرب نصر الغيث البلاد
اى اعانها على الخصب والسعة قال الخليل النصرة هى عون المظلوم روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال انصر اخاك ظالما او مظلوما فمعنى نصرته مظلوما ان تدفع الظلم
عنه ومعنى نصرته ظالما ان تمنعه عن الظلم فتدفع بذلك الفعل العقاب عنه قوله عز وجل
وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ
نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ معطوف على الاية قبله وهى قوله تعالى يا بنى اسرايل
اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واذكروا اذ نجيناكم من ال فرعون واذ فرقنا بكم البحر واذ وعدنا
موسى واذ فعلنا واذ فعلنا كل ذلك تعداد النعم عليهم احتجاجا وتذكيرا ليتنبه الغافل ويترك
العالم المعاند العناد واللجاج خاطب الله تعالى بهذه الاية الابنا وكانت النجاة من فرعون
لاباهم فاعتد ذلك منة عليهم لانهم نجوا بنجاة اباهم ومآثر الابا مفاخر الابنا ومعنى الاية
والله اعلم خلصناكم من حرب فرعون واتباعه واهل دينه يولونكم ويكلفونكم شدة العذاب
يذبحون ابناكم الصغار ويستبقون اناثكم الصغار والكبار للاستخدام وفي انجاه الله تعالى
اياكم نعمة من ربكم عظيمة ويحتمل ان يكون قوله تعالى ذلكم منصرفا الى الذبح والاستخدام فيكون
معنى البلا الشدة والمحنة واما الانجا فهو التخليص يقال نجاه وانجاه اذا خلصه ويقال
للمكان المرتفع نجوة لان الصاير اليه يتخلص من كثير من المضار والال والاهل واحد الا ان الال
يستعمل في اتباع الروسا خاصة وفرعون اسم لملوك العمالقة كما يقال لملك الروم قيصر ولملك الفرس
كسرى ولملك الترك خاقان ولملك اليمن تبع واسم فرعون الوليد بن مصعب ويقال مصعب بن الريان
والسوم الايلا يقال سمت فلانا سيمة حسنة او سيئة اذا اوليته ذلك والسيما العلامة والسو
جمع الافات والادوا والذبح فرى الاوداج واصله الشق فاما التذبيح فللتكثير والمبالغة والاستحيا
الاستبقا قال صلى الله عليه وسلم اقتلوا شيوخ الكفار واستحيوا شرخهم اى استبقوا شبانهم
وهم الذين يصلحون للخدمة وذهب بعضهم الى ان معنى قوله يستحيون من الحيا الذى هو الرحم
فان القوم كانوا ينظرون الى فروج نسا بنى اسرايل ليعلموا هل بهن حبل ام لا حتى ان من يكون
بها الحبل لا تملك كتمانه والاصل البلا من الابتلا وهو الاختبار والاختبار تارة يكون بالنعمة
وتارة بالشدة والدليل على ان البلا يذكر ويراد به النعمة قوله تعالى وليبلى المومنين منه بلاء

حسنا

حسنا قال الاحنف بن قيس البلا ثم الثنا اى الانعام ثم الشكر وقال زهير جزى الله بالاحسان
ما فعلا بكم فابلاهما خير البلا الذى يبلو اى يختبر واراد به النعمة وسبب قتل فرعون
ابنا بنى اسرايل ما روى انه راى في المنام كان نارا اقبلت من بيت المقدس فاهلكت مصر و
احرقت القبط ولم يمس بنى اسرايل فلما اصبح هاله ذلك فجمع السحرة والكهنة والعرافين فسالهم
عن ذلك فقالوا انه يكون من البلد الذى منه هولا القوم من يخرب ملكك على يده فامر فرعون
بان يذبح كل ابن يولد من بنى اسرايل اراد بذلك ان ينجو من قضا الله فلم ينفعه قوله عز وجل
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ معطوف على اذ التى قبلها
ومعنى الاية والله اعلم فرقنا بكم البحر يمينا وشمالا وذلك حين خرج موسى عليه السلام مع بنى اسرايل
الى البحر فاوحى الله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر
فانجيناكم خلصناكم من الغرق واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون اليهم حين غرقوا وهذا اعظم
النعمة واوضح الحجة لانهم شاهدوا ما صنع الله بهم وبعدوهم وقيل معنى تنظرون اى تعلمون
ذلك كانكم كنتم تنظرون وهذا مثل قولهم دور ال فلان تنظر الى دور ال فلان اى هى بازايها
لان الدور يعلم انها لا تبصر وقد روى في الخبر ان بنى اسرايل سالوا موسى عليه السلام ان يدعو
ربه ليريهم اياه فسال موسى عليه السلام ربه فلفظهم البحر فنظروا اليهم والى فرعون
فعرفوه فلم يقبل البحر بعد ذلك غريقا الا لفظه والفرق الفصل بين الشيين اذا كان بينهما
فرجة وسمى البحر بحرا لاتساعه وانبساطه يقال فلان بحر في العلم وفلان بحر في المال
اذا اكثر علمه او ماله والغرق هو الرسوب في الما والنظر هو الاقبال الى الشى بكل وجه
ولهذا يسمى الاقبال بالوجه على الشى نظرا وسمى الفكر نظر القلب لما فيه من الاقبال على المعنى
المتفكر فيه بالقلب ويسمى الاحسان نظرا لما فيه من الاقبال على من احسن اليه وقيل ان
النظر هو التحديق بالبصر نحو الشى التماسا لروريته كما قال الله تعالى في شان الاصنام وتراهم
ينظرون اليك وهم لا يبصرون لان احداقهم كانت اليه بالصورة فان قيل لم لم يعط الله
كل نبى عليه السلام وكل امة مثل هذه الايات العظام من فرق البحر ونحو ذلك قيل ان الله
انما اعطى الايات والاعلام على حسب ما يرى للخلق من المصلحة في ذلك وكان في قوم موسى
عليه السلام من البلادة ورداة الفهم ما كان لا يمكنهم الاستدلال على نبوة موسى بالايات
الخفية الا ترى انهم بعد ما عبروا البحر مروا على قوم كانوا يعبدون الاصنام فقالوا لموسى
عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم الهة واما العرب والمسلمون ففيهم من جودة القريحة
والذكا بحيث يمكنهم الاستدلال بالايات الخفية فلم يحتاجوا في الاستدلال على نبوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مشاهدة فلق البحر ونحو ذلك والله اعلم قوله عز وجل
وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ معناه
اى اذكروا اذا خبر الله تعالى موسى عليه السلام ان يوتيه الالواح فيها التورية على راس ثلثين يوما
من ذى القعدة وامره ان يصومها فصامها فوجد من فيه خلوفا فاستاك فامره الله تعالى
بصوم عشر اخرى من اول ذى الحجة كما قال الله تعالى في اية اخرى وواعدنا موسى ثلثين ليلة
واتممناها بعشر فقال السامرى في الايام العشرة يا بنى اسرايل قد مضت الثلثون ولم يرجع
الينا موسى وانكم قد استعرتم من نسا قوم فرعون حليهن حين سار بكم من ارض مصر
فلما لم تردوا عليهن حليهن لم يرد الله علينا موسى فهاتوا ما معكم من حليهن حتى نحرق

فلعل الله يرد علينا موسى فجمعوا الحلي وكان السامري صايغاً فاتخذ من ذلك عجلاً ونفخ
فيه التراب الذي كان اخذ من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام وكان ذلك الفرس
فرس الحيوة ما وضع حافره على موضع الا اخضر فصار العجل جسداً له خوار فعبدوه
فذلك قوله ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون يقول ضارّون انفسكم بعبادة
العجل قال ابن عباس صار عجلاً جسداً لحماً ودماً وشعراً ويقال ان سبب الفتنة
وعد الله تعالى موسى اربعين فاخبرهم فلما مضت عشرون يوماً من الميعاد قالوا قد تمت
اربعون عنوا بها الايام والليالي فامرهم السامري بجمع الحلي فاتخذ لهم العجل فان قيل
كيف يجوز ان يقضي الله من الذهب عجلاً جسداً له خوار على يدي رجل يريد اغواء الناس
واضلالهم عن دين الله تعالى انما يفعل الله مثل هذه الاشياء معجزة للانبياء صلوات الله
عليهم فلو جاز مثل هذا على يد غيرهم لبطلت المعجزات قلنا لا يمتنع ان يكون الله تعالى اجرى
في التراب الماخوذ من حافر فرس جبريل عليه السلام انه اذا القي على شيء صار ذلك الشيء حيواناً
فلم يكن هذا الفعل على وجه نقض العادة حتى يكون شبه المعجزة وذهب بعضهم الى ان
السامري كان حين صاغ لهم العجل جعل فيه خروقاً فكانت الريح تقع في تلك الخروق
فيسمع لها مثل الخوار فكان يوهمهم ان ذلك الصوت خوار وفي الجملة ان الله تعالى
ركب فيهم من العقل ما لو تفكروا لعلموا ان العجل لا يصلح ان يكون الهاً فاستدلوا على
كذب المدعي فلم يكن الموضع موضع الاشتباه والمواعدة مفاعلة من وعد يعد والوعد
هو الخبر عن خير ينال المخبر في المستقبل او شر ينزل به الا انه غلب استعمال الوعيد في
الشر والوعد في الخير قال الشاعر وانى اذا اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي و
منجز موعدي ٥ من قرا وعدنا بغير الف فلان الله تعالى هو المنفرد بالوعد والوعيد و
من قرا بالالف فلفظ المفاعلة يستعمل بين الاثنين والوجه في ذلك ان الوعد من الله تعالى
خبر ومن موسى عليه السلام قبول واتباع فجرى مجرى المواعدة وقد تكون المفاعلة من
واحد كما يقال سافر ونافق واسم موسى عليه السلام في اصل لغة القبط موشى لان مو ماء
وشا شجر سمي بهذا الاسم لوجوده في التابوت بين الماء والشجر والعجل والعجول ولد
البقرة وفي الآية تعجيب من فعلهم اذ كانوا في مقدار هذه المدة اليسيرة اتخذوا العجل
الها في غيبة موسى عليه السلام عنهم ثم منّ الله تعالى عليهم بالعفو كما قال جل ذكره ثم عفونا
عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون يقول تركناكم من بعد عبادتكم العجل فلم نستاصلكم
لكي تشكروا الله تعالى على العفو والنعمة والعفو في اللغة المحو ومنه يقال عفا الاثر و
عفته الريح كما قال الشاعر ٥ عفت الديار محلها فمقامها ٥ فكل من استحقت عليه عقاباً
فتركته فقد عفوته والشكر هو عرفان النعمة ويقال هو الاعتراف بالنعمة باظهارها قوله
عز وجل واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون معناه اي اعطينا
موسى عليه السلام التورية وما يفرق به بين الحق والباطل من الآيات لكي تهتدوا بما في التورية
من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفته ويجوز ان يكون الفرقان هو الكتاب
بعينه الا انه اعيد ذكره لبيان انه يفرق بين الحق والباطل وقد سمى الله تعالى التورية
فرقاناً في موضع آخر كما قال الله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وسمى الله تعالى نصر
المومنين يوم بدر على الكفار فرقاناً بقوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان اراد به يوم

بدر

بدر وفي هذه الآيات كلها دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان هذه الاقاصيص لم تكن
من علوم العرب ولا كان النبي صلى الله عليه وسلم قرا كتبهم فلم يكن يعلم الا من طريق الوحي
قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا
الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب
الرحيم اي اذكروا حين قال موسى عليه السلام لقومه بعد ما رجع من الجبل واعطاه الله التورية
يا قوم انكم اضررتم بانفسكم بعبادتكم العجل فارجعوا الى خالقكم وليقتل بعضكم بعضاً اي الذين
لم يعبدوا العجل الذين عبدوه كما قال الله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وقال الله عز وجل فسلموا
على انفسكم ويقال فاقتلوا انفسكم اي استسلموا للقتل ذلكم يعني التوبة والقتل خير لكم من
ايثار الحيوة الدنيا لان حيوة الدنيا تفنى ولا تبقى فاذا اثرتم الحيوة الدنيا حصلتم بعد
الحيوة الدنيا على عقاب دايم لا ينقطع واذا قتلتم انفسكم كما امرتم انقضت شدة القتل
عنكم عن سرعة ثم تحصلون بعد ذلك على نعيم دايم لا يفنى ولا يبيد وفي قوله تعالى فتاب
عليكم اختصار كانه قال تعالى ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم تجاوز عنكم حين جعل القتل
كفارة لذنوبكم ورفع القتل عن من بقي منكم فلم نستاصلكم انه هو المتجاوز عن ذنوب
العباد الرحيم بالتائبين روي في الخبر ان موسى عليه السلام لما خاطبهم بما ذكر الله
في هذه الآية قالوا قد فعلنا يا موسى فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل وليرضون بالقضا
قالوا نعم فاصبحوا من الغد بافنية بيوتهم كل بني اب على حدة فاتاهم هرون عليه السلام
والاثنا عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل بايديهم السيوف فقتلوا من لقوا وكان هارون عليه
السلام يتقدم الى القوم وهم جلوس بافنية بيوتهم يقول هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين
السيوف فاتقوا الله تعالى واصبروا فلعن الله رجلاً حل حبوته او قام من مجلسه او مد
طرفه اليهم او اتقاهم بيده او رجله فيقولون آمين فجعلوا يقتلونهم الى المسا وقام موسى
عليه السلام يدعو ربه لما شق عليه من كثرة الدما وشدة الاصوات حتى نزلت التوبة فقيل لموسى
عليه السلام ارفع السيف فاني قد قبلت توبتهم جميعاً من قتل منهم ومن لم يقتل وجعلت ذلك
القتل لهم شهادة وغفرت لمن بقي منهم فكان القتلى سبعين الفا والقاتلون اثنا عشر الفاً
فان قيل كيف يحسن ان يتعبدهم الله تعالى بقتل انفسهم قلنا لا ينكر احد حسن التعبد
بالقتل الاترى انه اذا جاز ان يمتحنهم الله تعالى بالامراض والاسقام جاز ان يمتحنهم
بالقتل انفسهم كما ابتلى الله تعالى ابرهيم عليه السلام بذبح ولده ثم فداه عليه السلام بذبح
عظيم وقال عز من قائل ان هذا لهو البلاء المبين وكان السبب في امر بني اسرايل بقتلهم
انفسهم والله تعالى اعلم انه كان في القوم من عرف بطلان عبادة العجل الا انهم لم ينهوا
الاخرين عن عبادة العجل لخشية وقوع القتل فيما بينهم فابتلاهم الله تعالى بما تركوا النهي
عن المنكر لاجله قوله عز وجل واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون نزلت في سبعين رجلاً اختارهم موسى عليه السلام
لميقات الله تعالى عز وجل كما قال الله تعالى في سورة الاعراف واختار موسى قومه سبعين
رجلاً لميقاتنا روي انه عليه السلام لما انتهى بهم الى الجبل امرهم ان يمكثوا في اسفل الجبل
وصعد هو فاعطاه الله تعالى الالواح فيها التورية فلما رجع اليهم قالوا لن نصدقك حتى
نرى الله جهرة عيانا وعلانية فاخذتهم الصاعقة نزلت نار من السما فاحرقتهم ويقال



سمعوا صوتاً فماتوا وانتم تنظرون الى اسباب الموت والرؤية جهرة هي الرؤية على وجه
لا يكون بين الرائي والمرئي ساتر ولا حجاب يقال فلان يجاهر بالمعاصي اذا كان لا يستتر بها و
الصاعقة في اللغة اسم لما يصعقون منه اي يهلكون ويفزعون وهي في هذه الآية عذاب
مهلك قوله عز وجل ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ يقول احييناكم
من بعد هلاككم لكي تشكروا الحياة بعد الموت والبعث في اللغة اثارة الشيء عن محله يقال
بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث فان قيل كيف يجوز ان يقبل التوبة بعد الموت ولو
جاز ذلك لجاز قبول التوبة يوم القيامة وما انكرتم على من قال بالرجعة في دار الدنيا قبل
البعث بعد الموت في دار المحنة كالانتباه من النوم والافاقة من الجنون والغشي لان الله
تعالى ردهم الى التكليف في دار الدنيا ولا بد لذلك من غاية يقع عندها الثواب والعقاب
قلنا ان تلك الغاية هي يوم القيامة فلو قبل التوبة يوم القيامة وكانت تلك الدار دار المحنة
لم يكن بد من دار اخرى تكون غاية لدار المحنة فاما الرجعة الى دار الدنيا فانما انكرناها في الخلق
كلهم من قبل ان فيها اعلاما للراجع انه يرجع وهذا لا يجوز لان فيه اغراء بارتكاب الذنوب
وفيه الاعتماد على وقت الرجعة لتكون التوبة فيه قوله عز وجل ﴿وظللنا عليكم الغمام و
انزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون﴾ معناه سترنا عنكم الشمس بالسحاب الابيض كان يقيهم حر الشمس في التيه
وكان يدلى لهم بالليل عمود من السماء من نور فيسير معهم بالليل حيث ساروا مكان القمر وانزل
الله تعالى عليهم المن وهو الترنجبين ويقال الترنجبين ويقال هو شيء حلو كان يسقط على الشجر
كالشهد المعجون بالسمن كان الرجل منهم يأخذ كل غداة صاعاً يكفيه يومه وليلته فاذا اخذ
اكثر من ذلك دود وفسد فاذا كان يوم الجمعة اخذ كل انسان منهم صاعين فانه لم يكن يأتيهم
يوم السبت فقالوا يا موسى قتلنا ذا المن بحلاوته فادع لنا ربك يطعمنا لحماً فدعا عليه السلام
فانزل الله تعالى عليهم السلوى طيراً كبيراً كهيئة السماني كلوا من طيبات ما رزقناكم اي قيل
لهم كلوا من حلال ما رزقناكم وهذا على طريق الاضمار كما قال الله تعالى والذين اتخذوا من دونه
اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا اي قالوا ما نعبدهم وقال عز من قائل فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم اي يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله عز وجل وما ظلمونا ايجاز واختصار
المعنى ما ظلمونا بمخالفتهم امرنا وذلك انهم امروا ان لا يرفعوا من السلوى شيئاً لغد فرفعوا
منه مخافة ان ينفد فذهب عنهم ذلك فذلك قوله تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
رفعوا حتى منع عنهم وهذا كله كان في التيه حين ابوا على موسى عليه السلام دخول مدينة
الجبارين فحرم الله تعالى عليهم تلك المدينة اربعين سنة يتيهون في الارض والتظليل في
اللغة هو الستر من العلو والغمام السحاب سمي السحاب بهذا الاسم لانه يستر السماء قال الله عز وجل
ثم لا يكن امركم عليكم غمة يقول امراً مستوراً وسمي السحاب سحاباً لانه ينسحب في الجو اي
يجري فيه وحقيقة المن ما يمن الله تعالى به على عباده من غير نصب ولا تعب والسلوى جمع
لا واحد له وذكر الخليل ان واحده سلواه والطيب ما يستطيبه الانسان وروى ابو
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام
ولولا حواء لم تخن امرأة زوجها قوله عز وجل ﴿واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث
شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾

معناه

معناه وقد قلنا لبني اسرائيل بعد انقضاء اربعين سنة من اول مكثهم في التيه على لسان يوشع
بن نون عليه السلام بعد موت موسى وهارون عليهما السلام ادخلوا هذه القرية يعني مدينة
اريحا بقرب بيت المقدس فكلوا منها رغداً كثيراً واسعاً بلا حساب ولا عناء وادخلوا باب المدينة
ويقال باب مسجد ايليا وهو مسجد بيت المقدس ركعاً منحنين متواضعين وقولوا حطة اي قولوا مسألتنا
حطة قال ابن عباس امروا ان يستغفروا ربهم وعن عكرمة انه قال امروا ان يقولوا لا اله الا الله
ويقال معناه قولوا ان ما قيل لنا حق وهذه الكلمات كلها تحط الذنب فمعنى ان تقولوا حطة نغفر لكم
خطاياكم ذنوبكم وسنزيد الذين لا ذنب لهم احساناً يقول زيادة ثواب على اعمالهم من التفضل عليهم بما لم
يستحقوا كما قال الله عز وجل ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله ويقال سنزيد المحسنين الاحسان على ما
سلف من الاحسان من انزال المن والسلوى وتظليل الغمام والعرب تسمي البلدة قرية لان القرية انما
سميت قرية لاجتماع الناس فيها والحط هو وضع الشيء من الظهر او الدابة ومن قرأ حطة بالنصب فالمعنى
حط عنا ذنوبنا حطة والغفر الستر اصله من المغفر سمي به لانه يستر الرأس وقرئ يغفر لكم بالياء والتاء
على فعل ما لم يسم فاعله الا ان النون اليق بما قد سبق من اللفظ لان ابتداء الآية واذ قلنا ادخلوا وأما
الخطايا فهي جمع خطيئة وقرئ خطيئاتكم قوله عز وجل ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فانزلنا
على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾ معناه الذين عصوا وكفروا لما امرهم الله تعالى به ان
يقولوه فقالوا حطة سمقاثا اي حنطة حمراء بلغتهم قالوا هذا القول استهزاء وتبديلاً مكان القول الذي
امروا به وهو ما قال الله عز وجل وقولوا حطة وقال الحسن رضي الله عنه امروا ان يقولوا حطة فقالوا
حنطة امروا ان يدخلوا الباب ركعاً فدخلوا زحفاً ويقال متزحفين خالفوا في الدخول كما خالفوا في
القول فانزل الله تعالى عليهم رجزاً عذاباً قيل انه الطاعون قال الكلبي اخذهم موتان وهو نوع من
الطاعون فمات منهم اربعة وعشرون الفاً في ساعة واحدة ويقال هلك منهم سبعون الفاً فجأة
وقيل نزلت بهم نار فاحرقتهم لتبديلهم ما امروا به قوله عز وجل ﴿واذ استسقى موسى لقومه
فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل اناس مشربهم
كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين﴾ معناه استدعى موسى عليه السلام
ان يسقى قومه حين استغاثوا به وقت ما اصابهم من العطش حال نزولهم في الارض القفرة بعد
غرق فرعون فقلنا اضرب بعصاك الحجر قال ابن عباس رضي الله عنهما امره الله تعالى ان يأخذ حجراً
خفيفاً مثل رأس الانسان فيضربه بعصاه فضرب فانفجر منه اثنتا عشرة عيناً لاثني عشر سبطاً
لكل سبط منهم عين يشربون منها لا يخالطهم فيها غيرهم وذلك للعصبية التي كانت بين الاسباط
قد علم كل سبط موضع شربهم كانوا اذا ارتحلوا استمسك الحجر فحملوه واذا نزلوا وضعوه
فانفجر كلوا واشربوا من رزق الله اي قيل لهم كلوا واشربوا ولا تسرعوا الى الفساد في الارض
عاصين والاستسقاء طلب السقي كما يقال استنصر اي سأل النصرة والانفجار الانشقاق وسمي
الفجر فجراً لانه ينشق من الظلام وسمي الفاسق فاجراً لانه يشق عصا المسلمين واما قوله تعالى في
آية اخرى فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً الانبجاس في اللغة اول ما يتقاطر من الماء ويشق
والانفجار خروج السيلان فكان الانبجاس في اول القصة والانفجار في آخرها والانبجاس اقل
من الانفجار وقرئ عشرة بتسكين الشين وكسرها وكلاهما لغتان عيناً نصب على التمييز والعثو
والعيث اشد الفساد واعاجيج والله اعلم في الآية بين لفظ العثو والفساد وان كان
معناهما واحداً على جهة التوكيد كما يقال كذب ومين وظلم وجور واختلف اهل التفسير



في الحجر الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية قال بعضهم كان الله تعالى امر موسى عليه السلام بان ياخذ هذا الحجر من اسفل البحر حين ترفيه مع قومه وقال بعضهم انه كان من الجنة ويقال كان حجرا من احجار الارض جعله الله تعالى معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا يستنكر من محدث الحجر ان يحدث الله تعالى فيه ما شا كما شا وكيف شا والله اعلم قوله عز وجل وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ قال اهل التفسير وذكره الله لما طالت المدة على بني اسرايل في التيه واجموا ما كانوا فيه من النعمة والخير عادوا في المسلة لموسى عليه السلام فقالوا لن نستطيع ان نصبر على طعام واحد عنوا به المن والسلوى سموهما طعاما واحدا لان غذاهم كان في كل يوم على صفة واحدة وهذا كالرجل يقول طعامي في كل يوم واحد وان كان يتناول في كل يوم الوانا من الاطعمة ويريد بالواحد اذا احبس نفسه على الوان منها معلومة وقال بعضهم ارادوا بالطعام الواحد المن خاصة فان السلوى كان قد ذهب عنهم ويجوز ان يكون عنوا بالواحد طعام السما اي كل ما نطعم ينزل من السما ولا نطعم ما ينبت من الارض فادع لنا ربك اي سل لاجلنا خالقك يخرج لنا مما تنبت الارض اي من نباتها ثم بينوا الجنا فقالوا من بقلها واراد وا به البقول كلها وقثايها وارادوا جميع ما يخرج من القثا البزر من البطيخ ونحو ذلك ويقال القثا نوع من الخيار واحده قثاة وفومها ارادوا به الحنطة والخبز ويقال لساير الحبوب التي تختبز الفوم ويقول الرجل لجاريته فومي لنا اي اختبزي وقيل ان الفوم هو الثوم ابدلت الثا بالفا كما قالوا للقبر جدث وجدف قال لهم موسى عليه السلام اتستبدلون الذي هو ادنى اي اوضع واخس في المقدار بالذي هو اشرف وهو المن والسلوى اهبطوا مصرا قال ابن عباس اراد به مصر فرعون الذي خرجوا منه فكرهوا ذلك ويقال هذا خطاب من الله تعالى على لسان يوشع بن نون امرهم بنزول قرية اريحا وقت خروجهم من التيه فان لكم بمصر ما سالتم من البقول والقثا وغيره ذلك ثم قطع الله تعالى السوال والجواب في هذه الآية بكلام من عنده فقال عز من قايل وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي وضعت والزمت واثبتت عليهم الذلة وهي الجزية على وجه الصغار والمسكنة اي الفقر يرى كل رجل من اليهود عليه زي الفقر وان كان غنيا وقد يرى المكثر المثري منه الفقر مخافة ان تضاعف عليه الجزية ويقال المسكنة فقر القلوب يقول النبي صلى الله عليه وسلم الغنى غنى القلب وباوا بغضب من الله اي رجعوا بغضب استحقوه من الله تعالى بصنيعهم ذلك بانهم كانوا يجحدون بدلالة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير الحق بلا جرم منهم قتلوا زكريا ويحيى وغيرهما من الانبيا صلوات الله عليهم ذكر الكلبي رحمه الله انهم قتلوا في يوم واحد ثلثماية نبي عليهم السلام وقام سوق بقلهم في اخر النهار ذلك الغضب والذل والمسكنة بما عصوا الله تعالى في السبت وغيره وما كانوا يتجاوزون الحدود وركوبهم المعاصي والدعا في اللغة هو الطلب ممن يملك الضر والنفع ويقال الدعا الندا وسمي الطلب من الله تعالى دعا لانه يدخل فيه حرف الندا تقول يا رب ويا الله ويا رحمن وقوله تعالى يخرج جزم على نية الجزا لان فعل الله تعالى لا يكون جوابا لمسلة موسى عليه السلام فمعناه

منهم غ

ادع لنا ربك ان دعوته يخرج والبقل هو العشب الذي يخرجه الارض بالربيع وانما خص الربيع بذكر لان الارض انما تخرج ذلك بالربيع في الغالب وقوله تعالى ادنى يقرا بالهمز وغير الهمز فمن قرا بالهمز فاصله من الدناة وهي الخسة ومن قرا بغير الهمز فيجوز انه ترك الهمز للتخفيف ويجوز ان يكون معناه بغير الهمز اقرب من الدنو اي اقل قيمة يقال ثوب مقارب اي قليل القيمة ويقال هو ادون فقدمت النون وحولت الواو الفا كقولهم اولى من الويل وقوله تعالى مصرا يقرا بالالف وغير الالف فمن قرا بالالف اراد مصرا من الامصار اي مصر كان ومن قرا بغير الالف عنى به مصرا بعينه فلم يصرفه لانه اجتمع فيه المعرفة والتانيث من حيث انه اراد به البقعة واذا اجتمعت فيه العلتان لم يصرفه فاذا زالت احدى العلتين صرف واصل المصر القطع يقال مصرت الشي اذا قطعته وقيل اصله الفصل وسمي المصر مصرا لانه فصل عن غيره بالابنية والذلة والذل والمذلة الصغار واصل الجميع هو السهولة الا ان الذل هو السهولة عن قهر والذلة هي السهولة عن مسامحة والمسكنة مفعلة من السكون والمسكين الذي اسكنه الفقر اي قلل حركته واصل باء من المباءة وهي المحل قال الله تعالى ولقد بوانا بني اسرايل مبوا صدق اي احللناهم ويقال فلان تبوا منزلا اي حل منزلا وقيل اصله من بوا اي سوا كما روي عن عبادة بن الصامت انه قال جعل الله تعالى غنايم بدر لنبيه صلى الله عليه وسلم خاصة فقسمها بينهم عن بواء اي سوى بينهم في القسم فعلى هذا يكون معنى قوله تعالى وباوا بغضب من الله اي استووا في الغضب من الله تعالى والنبي اصله الهمز من النباء وهو الخبر هكذا قرا بعضهم ومن ترك الهمز اثر التخفيف لكثرة الاستعمال ويجوز ان يكون ماخوذا من نبا ينبو اذا ارتفع والنبوة الرفعة كالنشزة من الارض وترك الهمز اجود على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما قيل له يا نبي الله قال لست بنبي الله ولكني نبي الله تعالى وقتل الانبيا صلوات الله عليهم لم يكن خذلانا لهم وانما اراد الله تعالى ان يبلغ الانبيا عليهم السلام درجة رفيعة لا يوصل اليها الا بالقتل فان قيل في الآية اثبات الغضب والذلة لليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومن يكون منهم الى يوم القيامة وهم لم يقتلوا الانبيا عليهم السلام وانما قتل اباوهم فكيف يكون معنى قوله تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق قلنا هولا اليهود يتولون اباهم الذين قتلوا الانبيا عليهم السلام وقد قصدوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم فكانهم هم الذين قتلوا الانبيا عليهم السلام وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لليهود الستم تتولون الذين قتلوا الانبيا بغير الحق فقالوا اما قتل اباونا الا انبيا الزور وقوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اخبر الله تعالى في هذه الآية بعد قوله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباوا بغضب من الله ان من امن منهم ومن غيرهم من النصارى والصابيين وعمل صالحا فله اجره عند ربه ولا يواخذ بمتقدم فعله ولا بفعل ابايه وسلفه قال ابن عباس معنى الآية ان الذين امنوا بموسى عليه السلام والتورية ولم يتسموا باليهودية والذين امنوا بعيسى عليه السلام والانجيل ولم يتسموا بالنصرانية والذين تسموا باليهودية او النصرانية والصابيين من امن منهم فلهم اجرهم وقال القتيبي معنى الآية ان الذين امنوا بالسنتهم ولم تومن قلوبهم كانه قال ان الذين امنوا

اسرايل

نوا



تابوا والذين هادوا ويقال معنى قوله تعالى من امن بالله الثبات على الايمان من المومنين
في مستقبل عمرهم كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ومعناه استيناف الايمان
في اليهود والنصارى والصابيين ويقال ان قوله تعالى من امن راجع الى الذين هادوا ومن بعدهم
كانه قال ان الذين امنوا ومن امن من الذين هادوا والنصارى والصابيين والصابيون
فرقة من النصارى الين قولا منهم يحلقون اوساط روسهم قال ابو حنيفة رحمه الله هم من اهل
الكتاب تحل مناكحتهم وذبايحهم انما هم يعظموا الكواكب السبعة ولا يعبدونها وقال ابو يوسف
ومحمد ليسوا من اهل الكتاب ولا تحل للمسلمين ذبايحهم ولا مناكحة نسايهم لانهم يعبدون
الكواكب السبعة ويقولون انها مدبرات وان الله تعالى جعل تدبير العالم اليها وعابد الكواكب
كعابد الوثن وفي الحقيقة لا خلاف بين ابو حنيفة وصاحبيه وانما اختلفوا لاشتباه حال لهم
والله اعلم قوله تعالى من امن بالله واليوم الاخر اي صدق بالله تعالى وبيوم البعث
ولا يكون الايمان بالله تعالى الا بالايمان بانبيا الله صلوات الله عليهم وكتبه و
رسله وكانه قال من امن بالله تعالى وبجميع ما انزل الله تعالى وعمل الطاعات المفروضات
فلهم جزا اعمالهم عند ربهم ولا خوف عليهم فيما يستقبلهم من امر الاخرة ولا هم يحزنون
على ما خلفوا من الدنيا ومعنى هادوا اي صاروا يهودا يقال هاد يهود هودا اذا صار يهوديا
وقد اختلفوا في اشتقاق هذا اللفظ قيل انه مشتق من الهود الذي هو التوبة كما قال الله
تعالى انا هدنا اليك اي تبنا اليك وقيل ان اشتقاقه من الميل يقال هاد اذا مال عن الطريق
وقد قيل انهم سموا يهودا على طريق النسبة الى اكبر اولاد يعقوب عليه السلام وهو يهوذا الا
ان العرب اذا عربت اسما غيرت بعض حروفها والنصارى لفظ جمع اختلفوا في واحده قيل
واحده نصران كما يقال سكران وسكارى وندمان وندامى وقيل نصري مثل بعير مهري وابل مهارى
وزيدت في النصراني يا النسبة كقولهم لذي اللحية لحياني ولعظيم الرقبة رقباني واختلفوا في اشتقاق
هذا الاسم قيل انهم سموا نصارى لان اصلهم من قرية يقال لها ناصرة كان ينزلها عيسى عليه السلام
وامه رضي الله عنها وقيل سموا نصارى لنصرهم عيسى عليه السلام حين قال من انصاري الى الله و
قيل لتناصرهم واما الصابيون فهو اسم مشتق من صبا اذا خرج من دين الى دين وصبا ناب البعير اذا
طلع وصبات النجوم اذا ظهرت كما روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل المسجد في اول اسلامه
وكان في المسجد اهل مكة فقالوا صبات يا عمر قال لم اصبا ولكني اسلمت ومن قال الصابين بغير الهمز
يجوز انه ترك الهمز للتخفيف ويجوز ان يكون من صبا يصبوا اذا مال كما قال الله تعالى اصب اليهن اي
امل اليهن وذكر اخر الاية بلفظ الجمع لان اصل من لفظ من لفظ الوحدان ومعناه معنى الجمع فحمل
على المعنى فان قيل اذا كان المومن عاملا لنفسه فما معنى اعطاه اجره قيل لما حمل على نفسه المشقة
وحرمها ما نازعته اليه من الشهوة فاجره في الاخرة عوض ما فاته من اللذات في الدنيا قوله عز
وجل وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا
فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ عطف على ما تقدم من الآيات التي هي خطاب لبني اسرايل انما كان قوله وباوا بغضب من
الله الى هذه الاية معترضا في خلال الكلام ومعنى هذه الاية والله اعلم واذكروا اذ اخذنا ميثاقكم على
العبادة واقامة الطاعات بفطرة العقول وبعثة الانبيا صلوات الله عليهم فقبلتموه واقررتم
به ثم اعرضتم من بعد ذلك قال ابن عباس هما ميثاقان فالاول حين اخرجهم من صلب ادم عليه
السلام كالذر كما قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم والثاني هو الميثاق

الذى

الذي اخذ عليهم في التورية وساير الكتب كما قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من كتاب وحكمة والمراد به في هذه الاية الميثاق الثاني فانهم لا يذكرون الاول وقال
مجاهد وقتادة الطور الجبل اي جبل كان وقال ابن عباس هو من الجبال ما انبت خاصة ومعنى خذوا
ما اتيناكم اي اعملوا به بجد ومواظبة في طاعة الله تعالى واذكروا ما فيه من الثواب والعقاب
يسهل عليكم القبول فتتقوا المعاصي قال الكلبي وذكر انه لما اتاهم موسى عليه السلام بالتورية فراوا
ما فيها من التغليظ كبر ذلك عليهم فابوا ان يقبلوا فامر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع
من اصله حتى قام على روسهم مثل الظلة وكان العسكر فرسخا في فرسخ والجبل مثل ذلك فاوحى الله
الى موسى عليه السلام ان قل لهم اقبلوا التورية بما فيها والا رميتهم بهذا الجبل فرضختهم به فلما راوا
ان لا مهرب لهم قبلوا التورية وما فيها وسجدوا من المهابة والفزع وجعلوا ادمهم سجودا يلاحظون
الجبل مخافة ان يقع عليهم قال ابن عباس فمن اجل ذلك سجد اليهود على انصاف وجوههم
ومن هذا قيل ان من ما من الله تعالى على هذه الامة ان فرض عليهم الفرايض واحدة بعد واحدة
حتى استقرت الواحدة في قلوبهم فرض عليهم الاخرى كيلا يشق عليهم قوله عز وجل ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ يقول اعرضتم من بعد
اخذ الميثاق فلولا من الله تعالى عليكم ورحمته بتاخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين في
العقوبة قال ابو العالية افضال الله عز وجل الايمان ورحمته القران فاما التولي عن الشي
فهو تركه وهجره وصرف الوجه عنه وتولي الشي هو الحصول في اقرب المراتب منه قوله عز وجل
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ المعنى والله
اعلم عرفتم الذين جاوزوا الحد الذي حد لهم في الاصطياد في يوم السبت فصيرناهم قردة خاسئين
صاغرين مبعدين عن رحمة الله تعالى وذلك ان مدينة يقال لها ايلة على ساحل البحر بين المدينة
والشام كانت مسكن بني اسرايل وكانوا امروا ان لا يصيدوا في يوم السبت وكانت الحيتان
تجتمع فيه لامنها في ذلك اليوم فاذا ذهب السبت لا ياتيهم كذلك فحفروا اخبية للجمعة حيث
يدخل السمك حظيرة حبسوا السمك فيها يوم السبت واخذوا منها ليلة الاحد ويوم الاحد وقالوا
نحن لا نصطاد يوم السبت فمسخهم الله قردة فمكثوا كذلك ثلثة ايام ثم اهلكوا كما قال الله تعالى
واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى اخر القصة روي عن ابن مسعود انهم لم يلدوا
بعد ما مسخوا قال وكذلك الممسوخ لا يكون له نسل ولا ذرية وقال ابن عباس كانوا رجالا ونساء
فمسخهم الله تعالى الذكر ذكرا والانثى انثى وكانوا يتعاوون وكانت تسيل دموعهم لم ياكلوا و
لم يشربوا ولم يتناسلوا ثم اهلكهم الله تعالى بحاث ريح فهبت بهم والقتهم في الماء وما
مسخ الله تعالى امة الا اهلكها وحكي عن مجاهد انه قال لم تمسخ صورهم وانما مسخت قلوبهم
وعامة المسلمين على خلافه قال الله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وليس تحويل الصور اعظم من
انشا العنصر فمن امن بابتداع الجواهر والاجرام ماذا عليه ان يومن بانقلاب الصور واما قول
الله تعالى فقلنا لهم كونوا فامر تحويل من صورة الى صورة ويجوز ان يكون ذلك بكلام سمعوه و
السبت يوم من ايام الجمعة سمي سبتا لان الله تعالى خلق الاشيا قبله ولم يخلق فيه شيا فسبت يوم
الفراغ للناس ولا يجوز ان يكون يوم الفراغ لله تعالى اذ الفراغ والشغل لا يجوز ان على الله تعالى
انما يجوز على من يفعل الفعل بالة ويشغل الته ببعض الاعمال ويفرغها عن بعض الاعمال وقيل سمي
سبتا لاسبات الخلق فيه لكلال الله تعالى وذلك انه لما خلق الله تعالى السموات والارض اقبل

في السنا على نفسه فاطرق كل شي من خلقه من العرش الى الثرى والقردة جمع القرد والخسو الطرد والابعاد يقال خسات الكلب خسا اى بعدته فبعد قوله عز وجل **فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين** اى جعلنا المسخة ويقال العقوبة وهو ما حل بالقوم من التشوية وتغيير الخلقة ويقال القرية ويقال القردة نكالا للامم التى تراها والامم الذين يكونون بعدها وموعظة للذين يتقون الشرك والكباير والفواحش فيلزمون ما هم عليه من التقوى والنكال الفضيحة الشاهرة من العقوبة اصله المنع يسمى العقاب الزجور عن الفعل نكالا ويسمى الامتناع عن القسم نكولا ويقى يدى الشي امامه وخلف الشي وراه ويقال معنى ما بين يديها اى من عقوبة الاخرة وما خلفها من فضيحتهم في دنياهم فيذكرون بها الى قيام الساعة وعن ابن عباس ان معناه لما قبل تلك القرية من القرى ولما بعدها من القرى والموعظة الزجر عن ما يدعو هوى النفس اليه اى ينزع عنه العقل وقيل هى بيان الشر العاقبة وهذه الآيات كلها احتجاج من الله تعالى عليهم بنعمه المترادفة واخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن عناد سلفهم وكفرهم مرة بعد اخرى مع ظهور الآيات وتعزية الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما راى من جحودهم وكفرهم وليكون وقوفه على اخبارهم حجة عليهم وتنبيها لهم وتحذيرا ان يحل بهم ما حل بمن قبلهم من ابايهم واسلافهم وموعظة للمتقين قوله عز وجل **واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين** مقدم في التلاوة على قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها مؤخر عنه في النظم والنزول لان قتل النفس كان قبل ذبح البقرة ومعنى هذه الآية والله اعلم واذكروا اذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة يعنى ليضرب المقتول الذى وجد فيما بين اظهركم ولا تدرون من قتله ببعض تلك البقرة فيحيى فيخبركم من قتله قالوا اتتخذنا هزوا سخرية قال امتنع بالله ان اكون من المستهزءين **والقصة في هذا** ما ذكر ان بنى اسرايل قيل لهم في التورية ايما قتيل بين قريتين فليقس الى ايهما اقرب ثم ليوخذ اهل تلك القرية وليحلف خمسون شيخا من شيوخهم بالله ما قتلوه ولا علموا له قاتلا فعمد رجلان اخوان من بنى اسرايل الى ابن عم لهما اسمه عاميل فقتلاه لكى يرثاه وكانت لهما ابنة عم شابة حسنة مثلا في بنى اسرايل فخافا ان ينكحها ابن عمها فلذلك قتلاه ايضا ثم حملاه فالقياه الى جانب قرية فاصبح اهل القرية والقتيل بين اظهرهم لا يدرون من قتله فاخذ اهل القرية فجاوا الى موسى عليه السلام فقالوا ادع لنا الله ان يطلعنا على قاتله فدعى فاوحى الله تعالى اليه عليه السلام ان مرهم ان يذبحوا بقرة فقال موسى عليه السلام ان الله يامركم الآية والبقرة اسم للمونث في هذا الجنس واسم الذكر منه الثور وهذا جنس خالف صيغة اسم الانثى منه صيغة اسم الذكر فهو كالناقة والجمل والرجل والمراة والجدى والعناق ومعنى اعوذ الجا ويقال فلان عايذ قومه اى ملجا قومه **وقد روى** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقول اعوذ بالله فقال صلى الله عليه وسلم عذت بمعاذ والجهل نقيض العلم وفي الآية دلالة على جواز ورود الامر بشى مجهول الصفة مع تخيير المامور في فعل ما يقع عليه الاسم منه لان الله تعالى امرهم بذبح بقرة مجهولة لم يعينها لهم في الابتدا ولا وصفها **روى** الحسن رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفسى بيده لو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها

لاجزت

٢٤

لاجزت عنهم ولكن شددوا على انفسهم بالمسيلة فشدد الله عليهم بالمنع وفي الآية دليل وجوب الامر وانه لا يصار الى الندب الا بدلالة اذ لم يلحقهم الذم الا بترك الامر المطلق في غير ذكر وعيد او بادلة وفيها دليل ان الاستهزا لا يصدر الا من جاهل لان من استهزا بغيره لا يخلوا اما ان يستهزئ بخلقته او بفعله فان كان يستهزئ به لاجل خلقته فذلك ليس بموضع استهزا وان كان يستهزئ به لاجل فعله فلا ينبغى ان يستهزئ به بل يجب ان ينبهه على قبح فعله ليرتدع وينزجر عن فعله **فان قيل** قولهم لنبيهم عليه السلام اتتخذنا هزوا كان كفرا منهم او لم يكن **قلنا** هذا على التفصيل ان كان قصدهم بهذا القول نسبته الى السخرية بلا سبب فقد كفروا بذلك وان كان قصدهم استخبارهم بذلك لما سبق منهم من العصيان لم يكفروا وقال بعضهم انما قالوا هذا القول لموسى عليه السلام لان موسى عليه السلام قال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا البقرة ولم يقل الله يامركم بذلك ليكون ماذا فقالوا اتتخذنا هزوا اى استهزاء بنا واى اتصال الذبح للبقرة بما ترافعنا اليك فيه قوله عز وجل **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تومرون** المعنى والله اعلم قالوا ان لم يكن ما تامرنا به استهزا وكان حقا فادع لنا ربك يبين لنا ما هذه البقرة كبيرة ام صغيرة ليس في السوال بيان ان المسئول عنه السن وانما تبين ذلك بالجواب وهو قوله تعالى انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اى ليست هى بكبيرة قد ولدت بطونا كثيرة ولا صغيرة لم تلد وسط ونصف بين الصغيرة والكبيرة قد ولدت بطنا او بطنين فافعلوا ما تامرون به من الذبح واشتقاق الفارض من فرضت تفرض فروضا اذا كبرت والبكر الفتى من الحيوان وهو الذى لم يصب ولم يصب واذا اصيب كان الاول للاصابة والعوان الوسط من الشي يقال حرب عوان للوسط منه ويقال في المثل ان العوان لا تعلم الخمرة اى ان المراة البالغة تحسن التخمر فلا تعلم قوله عز وجل **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفرا فاقع لونها تسر الناظرين** وذلك انهم رجعوا في السوال لموسى عليه السلام فقالوا ادع لنا ربك على اى لون هى قال انه يقول انها بقرة شديدة الصفرة قال مجاهد كانت صفر الظلف والقرن وقال الاخفش معنى قوله صفرا سودا كما في قوله تعالى جمالات صفر اى سود كما قال الشاعر تلك خيلى وتلك منه ركابى هن صفر اولادها كالزبيب والقول الاول اصح عند عامة المفسرين لان السود لا توكد بالفاقع وانما توكد بالحالك يقال في المبالغة في الوصف اصفر فاقع واحمر قانى واسود حالك واخضر ناضر وابيض ناصع ويقال ابيض يقق فهو فاقع لونها اى صاف لونها وهذا نعت للاصفر الشديد الصفرة تسر الناظرين اى تعجب من نظر اليها وذلك لتمام خلقتها وكمال حسنها ونصوع لونها والسرور هو لذة في القلوب عند حصول نفع او توقع نفع فاما اللون فهو معروف قال الخليل هو الذى يتعاقب على الجسم تعاقب التضاد وقال ابن دريد اللون هو الذى يفصل بين كل شيئين كما قال الله تعالى واختلاف السنتكم والوانكم وموضع ما في قوله تعالى ما لونها رفع لان تاويله الاستفهام كانه قال اى شى لونها والكسر في قوله انها لان ما بعد القول يذكر بمنزلة الكلام المبتدا يقال قلت زيد منطلق الا في لغة بنى سليم فانهم يقولون زيدا منطلقا كما يقال ظننت وفي الآية جواز النسخ قبل وقوع الفعل بعد التمكين منه لان قوله تعالى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اقتضى ذبح اى بقرة كانت وعلى اى صفة شاوا وقد كانوا متمكنين من ذلك فلما قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى فقال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر نسخ التخيير الذى اوجبه الامر الاول في ذبح اى بقرة كانت وصار الامر مقصورا على ما كان منها بهذه الصفة فيما امروا في اول هذه القصة خصه الله تعالى باية اخرى يجوز تخصيص العموم بالدلالة ثم نسخ الله التخيير الذى كان في ذبح اى لون شاوا منها بهذه الآية حيث قال عز من قايل انها بقرة صفرا فاقع لونها تسر الناظرين **فان قيل** كيف امروا بذبح البقرة دون غيرها **قيل** لان القربان انما يكون من ثلاثة

وكذا قيل التمكين منه عندنا خلافا للمعتزلة كذا في المدارك

الواع من الغنم والبقرة والابل وكانوا لا يحلون لحم الابل بل يحرمونه كما قال الله تعالى كل الطعام كان
حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قيل انه لحوم الابل فما كان لحم الابل محرما عليهم وكان ذبح
البقر افضل من ذبح الغنم خصت البقرة بالذبح فان قيل لم استقصوا في السؤال والبحث عن صفة
البقرة ولو عمدوا الى ادنى بقرة لاجزأت قيل لانهم امروا بذبح البقرة لاعجوبة وهي بيان حال القتيل
لهم فحسبوا انه لا تظهر تلك الاعجوبة الا من بقرة مخصوصة كما ان العجايب التي كانت تظهر لبني اسرائيل
من عصى موسى عليه السلام لم تظهر من الضرب بساير العصي وعلى انه يحتمل ان القوم جعلوا القول
بالعموم كما جعل بعض الناس اليوم فظنوا ان ذلك امر بذبح بقرة مخصوصة فعادوا في السؤال مرة
بعد اخرى قوله عز وجل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء
الله لمهتدون مراجعة منهم في معنى الامر بذبح البقرة اي عرف لنا ما صفة هذه البقرة عاملة او غير عاملة
ليسقط السؤال ان المسؤول عنه العمل او غير العمل وانما يظهر ذلك بالجواب المذكور في الاية التي بعد هذه الاية
وقوله تعالى ان البقر تشابه علينا يقول تشاكل واشتبه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى
القاتل ويقال لمصيبون عين البقرة والتذكير في البقر يحتمل ان المراد به جنس البقر وقيل ان العرب
تذكر مثل هذا اللفظ وتؤنثه يقول هذا بقر وهذه بقر وهذا نخل وهذه نخل ومن قرا ان الباقر فالباقر
جمع البقر كما يقال الجمع للجمل جامل يجعلونه اسما للجنس ومن قرا تشابه علينا بتشديد الشين وضم الهاء
اراد تتشابه بحذف التاء الثانية لاجتماع التاءين كما في قوله تعالى لعلكم تذكرون وفي الاصل تتذكرون
ومن قرا يشابه بالياء والتشديد اراد يتشابه ادغم التاء في الشين واجود القراءات تشابه علينا بتخفيف
الشين وفتح الهاء وفي الاية بيان ان الكلام اذا قرن بالاستثناء كان اقرب الى النجح لان في ذكر الا
استعانة بالله تعالى وتفويض الامر الى الله عز وجل والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيته وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لولا انهم استثنوا لما وجدوها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال لولا انهم استثنوا لما اهتدوا الى اخر قوله عز وجل قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير
الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا
يفعلون معناه قال لهم ان الله تعالى يقول انها بقرة ليست بذلول اي لم يذللها العمل لا تثير الارض ولا
تسقي الحرث اي ليست بجرارة ولا ناضحة لا يقلب الارض للزراعة ولا يسقى عليها الزرع سليمة من العيوب
ليس فيها لون يفارق ساير لونها قالوا الان بينت الصفة التي كنا نطلب بالصدق فذبحوها وما كادوا
يفعلون ذلك ارادوا ان لا يذبحوها لان كل واحد منهم خشي ان يكون القاتل من قبيلته وقيل ارادوا ان
لا يذبحوها لغلاء ثمنها وروي انهم وجدوا بقرة على هذه الصفة عند رجل بار بوالدته كان يصلي ثلث الليل
وينام ثلث الليل ويجلس ثلث الليل عند راس امه يقول لها ان لم تقدري على القيام فسبحي الله تعالى
وهللي وكانت بقية بركات لابائه لم يبق منهم غيرها فلما سألوه ان يبيعهم اياها للذبح ابى عليهم
ثم فعلوا في الثمن حتى اعطوه مثل مسكها ذهبا فباعها لهم فذبحوها وعن وهب بن منبه ان ملكا
جاء صاحب البقرة فقال لا تبعها الا بملء مسكها ذهبا وفي بعض الايات ان هذه البقرة كانت لرجل
يبيع الجوهر فجاءه ابليس يوما من الايام بجراب من اللؤلؤ يساوي مايتي الف فعرض عليه بماية الف
فلما اتفق العقد وجد الجوهري مفتاح الصندوق تحت راس ابيه وهو نايم فذهب ليوقظه ليرفع
المفتاح ثم قال في نفسه كيف اوقظ ابي لربح ماية الف فرجع فقال ان ابي نايم ثم قال اذهب
فاوقظه فاني ابيعك بخمسين الفا فذهب ليوقظه فلم يحتمل قلبه حتى رجع فلم يزل اللعين يحط
من الثمن حتى بلغ عشرة دراهم فلم يوقظ الرجل اباه وترك ذلك الشرا فجعل الله تعالى في ماله البركة

حتى

حتى اشتروا بقرته بملء مسكها ذهبا والله اعلم الذلول الدابة المرتاضة المحبسة للعمل والذلول في
الدواب بمنزلة الذليل في الناس يقال رجل ذليل بين الذل ودابة ذلول بينة الذل والاثارة تقليب
الارض للزراعة والحرث الارض المهياة للزراعة اذا بذرتها او غرستها وقال الخليل الحرث هو قذف
الحب في الارض للزراعة واما الزرع فهو الانبات والانما قال الله تعالى افرايتم ما تحرثون انتم تزرعونه
ام نحن الزارعون وقيل في معنى قوله تعالى لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي ليست بذلول وهي
تثير الارض ولا تسقي الحرث وعلى هذا استحسن ابو حاتم الوقف على الذلول ثم ابتدا وقال تثير الارض والاول
اصح عند عامة المفسرين رحمهم الله والله تعالى اعلم والوشي والشية خلط لون بلون يقال ثوب
موشي اذا كان مختلط الالوان ونصب لا شية على النفي ولو قرئ لا شية بالرفع والتنوين لجاز وفي الاية
دلالة على جواز العمل بالظاهر مع تجويز ان يكون في الباطن خلافه لان المسلمة من العيوب لا تعرف
من طريق الحقيقة وانما تعلم من جهة الظاهر بالاجتهاد وغلبة الظن مع جواز ان يكون بها عيب باطن
قوله عز وجل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون قد ذكرنا ان هذه
الاية مقدمة في النزول مؤخرة في التلاوة وتقديره واذكروا اذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها و
اتيتم موسى عليه السلام فسالتموه ان يدعو الله تعالى ليطلعكم على قاتله فقال لكم موسى عليه السلام ان
الله يامركم ان تذبحوا بقرة ونظير هذه الاية قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا مقدم في التلاوة على قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم موخر عنه في النزول لان الاول ناسخ والثاني منسوخ ولا يكون الناسخ الا بعد المنسوخ
وذهب بعض المفسرين الى ان قوله تعالى واذ قتلتم نفسا موخر في التلاوة والتنزيل جميعا لان حرف الواو
لا يوجب الترتيب وفي الاية ما يدل عليها لان الهاء في قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كناية عن مذكور
سابق وليس ها هنا مذكور سابق الا البقرة فكانه قال ببعض البقرة التي سبق ذكرها والترتيب في
الاخبار لا يقتضي وقوع المخبر على حسب ترتيب الخبر الا ترى ان الرجل يقول اعطيت زيدا الف درهم اذ
بنى داره لا يريد به ان العطية كانت قبل البناء ومعنى قوله تعالى فادارأتم اختلفتم وتدافعتم والقى
بعضكم القتل على البعض من الدرء وهو الدفع يقال درات فلانا اذا دفعته ودارته اذا لاينته
واصل ادارأتم تدارأتم ثم ادغمت التاء في الدال لقرب مخرجهما فلما ادغمت سكنت فاجتلبت لها
الف الوصل للابتداء وعلى هذا اداركوا فيها واثاقلتم واطيروا ومعنى قوله والله مخرج ما كنتم تكتمون
اي مظهر ما كنتم تخفون من امر القاتل وفي الاية دلالة ان ما يقصد العبد ستره من خير او شر فان الله
سيظهره كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان عبدا اطاع الله تعالى من وراء سبعين حجابا
لاظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية قوله عز وجل فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي
الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون المعنى اي قلنا لهم اضربوا المقتول ببعض البقرة اي ببعض
منها قال الكلبي رحمه الله بفخذها الايمن وقال ابن جبير بعجب الذنب يقال ان الارض لا تاكله وعليه
يركب الخلق يوم القيامة وقال الضحاك اراد بعضها بلسانها وقال السدي بالبضعة التي بين
كتفيها وهذا من الاختلاف الذي لا فائدة فيه وفي الاية اضمار كانه قال قلنا اضربوه ببعضها فضربوه
فحيي المقتول وروي انه لما ضربوه جلس واوداجه تشخب دما فسالوه من قتلك فقال فلان وفلان
لابني عم له ثم اضطجع فمات واخذا فقتلا يقول الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى اي كما احيي
عاميل فكذلك يحيي ساير الموتى ويريكم عجايب قدرته لتعلموا احيا الموتى وغير ذلك ويقال لكي
تعقلوا ما امرتم به وتعينتم عنه واراد بهذا عقلا مخصوصا لان القوم كانوا عقلا اذ يستحيل



خطاب الله تعالى لغير العقلاء وكان الله تعالى قادرا على احيا المقتول بغير هذه الاسباب
الا ان الله تعالى امرهم بضرب المقتول بشئ فاتوا حياته لاحياء الميت بالميت اكد دلالة واتم
قدرة وروي عن ابي عبيدة السلماني انه ذكر قصة البقرة ثم قال لم يورث القاتل ثم
مضت السنة ان لا يورث قاتل بعد صاحب البقرة وعن ابي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال القاتل لا يرث وهذا الخبر تلقته الامة بالقبول كقوله صلى الله
عليه وسلم لا وصية لوارث وقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا على
خالتها الخبر ولا خلاف بين الامة ان من قتل اخاه عمدا وله اخ اخر ان القاتل يلزمه
القصاص قال الله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل فلو كان
القاتل وارثا لكان له نصيب من الدم فكان لا يجب القصاص واجمعت الامة على وجوبه واذا
لم يرث احد بدلي الدم لم يورث الدية في قتل الخطا وحكم ساير الاموال حكم الدية لان دية
المقتول يقضى منها ديونه وينفذ وصاياه وقال عثمان البتي قاتل العمد لا يرث فاما قاتل
الخطا فوارث وذهب مالك الى ان قاتل العمد لا يرث فاما قاتل الخطا لا يرث الدية ويرث
ساير الاموال وفي الاية دلالة على ان من التبس عليه امر من الامور وسال الله تعالى ان يكشف
له ذلك او ساله حاجة اخرى فان سبيله ان تقدم على سواله نوعا من القربة حتى يكون دعاؤه اقرب
الى الاجابة فان بني اسرايل كانوا يعدون القربان من افضل القرب حتى جعلوا القربان بيت مذبح
على جبل وكان لا يدخل ذلك البيت الا حبارهم فامرهم الله تعالى بتقديم هذه القربة ليتبين لهم امر القتيل
بعد ذلك وجعل ذلك تعليما لساير الناس والله اعلم قوله عز وجل ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها
لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون معناه وذلك ان الله تعالى لما اخبر عما انعم
به على بني اسرايل واتاهم من الايات التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قال فقد عجبا من قسوتهم و
طغيانهم ثم قست قلوبكم يقول غلظت ويبست قلوبكم من بعد احيا الميت ويقال من بعد هذه الايات
التي تقدمت من مسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وخروج الانهار من الحجر وغير ذلك فهي كالحجارة
في الشدة واليبس بل اشد يبسا وغلظا ثم اعذر الله تعالى الحجارة وعاب قلوبهم اخبر ان من الحجارة
ما يكون فيه رطوبة منافية لليبس وان منها ما يحدث الله تعالى فيها من امر فلا يمتنع من ارادة
الله تعالى وبنوا اسرايل مع كثرة نعمة الله عليهم وكثرة ما اراهم من الايات يمتنعون من طاعته
ولا تلين قلوبهم لمعرفة حقه فذلك قوله عز وجل وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار يقول ان من
الحجارة لحجرا تنفجر منه العيون وان منها لحجرا يتصدع فيخرج منه الماء لما يكون دون الانهار
وان منها لما يتردى من اعلا الجبل الى اسفله من مخافة الله تعالى قال بعضهم اراد الله تعالى بذكر
الجبل الذي تجلى الله له حين كلم موسى عليه السلام وقيل لا يهبط شي من الجبال بغير سبب ظاهر
الا هو مجعول فيه التمييز قال الله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية
الله معناه لو جعلنا في الجبل تمييزا ثم انزلنا القران عليه لرايته خاشعا وقال بعضهم معناه وان منها
لما يهبط من خشية الله اي بخشية الله تعالى كما قال الله تعالى يحفظونه من امر الله اي بامر الله فكان
الله تعالى اراد بهذه الاية الجبال التي في السماء من البرد كما قال عز وجل وينزل من السماء من جبال فيها من
برد والله تعالى ينزل البرد من السماء خشية ليخوف بذلك عباده وقال بعضهم ان من الحجارة ما يدعو
المتفكر فيه الى خشية الله تعالى لما فيه من الايات والدلالات على الله تعالى واضاف الخشية الى

الحجر

الحجر اذ كان التفكر فيه هو الداعي الى الخشية وهذا كما يقال ان فلانا لمزوما لي ينطق الناس اي اذا راى
الناس ماله قالوا ما اكثر مال فلان وما احسن ماله ويقال ان لفلان ناقة تاجرة اي انها لحسنها تعرض
نفسها للبيع من يريد شراها وقال بعضهم هذا على طريق المثل اي من الحجارة ما كانه يهبط من خشية الله تعالى
لانقياده لامره تعالى حتى لو حصل في كل من هو عاقل لدل ذلك على خشيته من الله تعالى وهذا كقوله
جدارا يريد ان ينقض معناه كانه يريد ان ينقض كما قال الشاعر وهو جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت
سور المدينة والجبال الخشع وانما نزل القران على لغة العرب وعلى ما يتفاهمونه فيما بينهم فمن
تعلق بشي من هذا ليطعن عليه فانما يطعن على لغة العرب وقوله وما الله بغافل عما تعملون
تهديد ووعيد اي ان الله تعالى لا يخفى عليه شي من اعمالكم واذا علم اعمالكم جازاكم عليها فاحذروه
والقسوة في اللغة الصلابة في كل شي وهي في القلوب ذهاب اللين والرحمة والخشوع وقيل هو ان
ييبس القلب عن المعاني من خشية الله ومن شفقة الخلق وخوف ادوفي قوله تعالى او اشد قسوة
يحتمل ان يكون للتخيير كما يقال جالس الحسن او ابن سيرين اي ان شبهت قسوة قلوبهم بالحجارة
كان تشبيها لهم ان شبهت بما هو اشد قسوة كان تشبيها لهم ويحتمل ان يكون بمعنى بل كما في
قوله تعالى الى ماية الف او يزيدون وقوله تعالى كلمح البصر او هو اقرب ويحتمل ان يكون بمعنى
واو النسق كقوله تعالى ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن او ابائهن ومعناه واباىهن ويحتمل ان يكون معناه من قلوبهم ما هو كالحجارة في
القسوة ومنها ما هو اشد قسوة منها وذلك كقوله ما اطعمته الا حلوا او حامضا ويحتمل
ان يكون للابهام على العباد والله تعالى عالم بذلك غير شاك فيه وهذا كالرجل يقول لصاحبه كلت
خبزا او تمرا لا يشك القايل في ايهما اكل ولكنه لا يريد ان يبينه لصاحبه وانما شبه الله قلوب
القوم بالحجر دون الحديد والصفر والله اعلم ان الحديد والصفر تلينهما النار والحجارة
لا تلينها النار واما القراءة في قوله تعالى او اشد قسوة من قرا بالنصب فلانه في موضع الخفض
الا انه على وزن افعل ففتح ومن قرا بالرفع فعلى اضمار هي فاما تعملون يقرا بالتاء والياء
والتاء اليق بالاية لان الاية كلها على لفظ مخاطبة الحاضرين والغفلة والسهو واحد الا ان
الغفلة هي ذهاب الشي عن النفس بعد حضوره قوله عز وجل افتطمعون ان يؤمنوا لكم
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون
خطاب للمومنين كلهم داخل في قصة اليهود التي قصها الله على المومنين والمعنى والله اعلم
كيف ترجون ايها المومنون ان يصدقكم اليهود فيما اتى به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم
وقد كانت طايفة من اليهود ممن هو في مثل حالهم من اصنافهم يسمعون كلام الله تعالى
ويعلمون انه حق ثم يعاندون فيحرفونه ويبدلونه من بعد ما فهموه وهم يعلمون ما غيروا
منه قال الكلبي عني بالفريق السبعين الذين ساروا مع موسى عليه السلام الى طور سينا
لما اخذتهم الرجفة واحياهم الله بدعا موسى عليه السلام قالوا يا موسى اسمعنا كلام
الله تعالى فطلب موسى عليه السلام ذلك فاجابه الله عز وجل قال مرهم ان يتطهروا و
يطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ثم خرج بهم موسى عليه السلام حتى اتى الطور فلما
غشيهم الغمام سمعوا صوتا كصوت الشبور فوقعوا لله تعالى سجدا فسمعوا كلام
الله تعالى يقول اني انا الله ربكم لا اله الا انا الحي القيوم لا تعبدوا الها غيري ولا تشركوا

والخضوع

الشبور على وزن التنور البوق
الشبور على وزن ... من شي

بي شيا واوصيكم ببر الوالدين وان لا تحلفوا بي كاذبا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا يقتل بعضكم بعضا
ولا تشهد بعضكم على بعض شهادة زور واطعموا المساكين وصلوا القرابة ولا تظلموا اليتيم و
لا تقهروا الضعيف فلما سمعوا الكلام طارت ارواحهم من اجسادهم ثم ردت اليهم فقالوا
ياموسى انا لا نطيق ان نسمع كلام الله تعالى ربنا عز وجل فكن انت بيننا وبين ربنا تعالى حجة
فلما رجعوا قال فريق منهم في اخر حكايته ثم قال لنا فان لم تستطيعوا ان تتركوا ما نهيتكم عنه فافعلوا
وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالفريق الذي ذكر الله عنه في هذه الآية علماء اليهود وتحريفهم
التورية تاويلهم على غير الوجه الذي انزله الله تعالى والالف في ابتدا هذه الآية استفهام و
تجري مجرى انكار الطمع والطمع تعليق النفس بما يتوقع من النفع والفريق والنفر والطايفة
والحزب واحد وهو قطعة من الناس والتحريف تغيير الكلام عن معناه الى معنى قريب الشبه به
ويقال هو تغيير الامر عن طريقه الى جهة حرف والحرف الحد المايل ومنه تحريف الطعنة اذا
املتها الى شق والغرض من الآية والله اعلم تعزية اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ان اليهود
ان جحدوا وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهم سابقة في الكفر والتحريف وفي الآية
دلالة على ان العالم بالحق المعاند فيه ابعد من الرشد واقرب الى الياس من الصلاح من
الجاهل لان قوله تعالى افتطمعون ان يومنوا لكم يفيد زوال الطمع في رشدهم لمكابرتهم
الحق بعد العلم قوله عز وجل وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى
بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
اختلف المفسرون في هذه الآية قال اكثرهم ان المراد بهذه الآية المنافقون من اهل الكتاب في وقت
موسى عليه السلام فانه كانت في قوم موسى عليه السلام منافقون كما في امتنا وقال بعضهم المراد
بهذه الآية المنافقون من هذه الامة وانما ذكرهم الله مع اليهود في هذا الموضع لانه كان
ذكرهم في اول السورة ولان اكثر منافقي هذه الامة كانوا من اليهود قبل مبعث نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وكانوا بعد مبعثه مع اليهود في السر حزبا واحدا في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلهذا جاز ان يذكرهم معهم فذلك قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا
امنا يقول اذا لقي المنافقون المخلصين قالوا لهم امنا كايمانكم واذا خلا بعضهم الى بعض
يقول اذا خلا المنافقون الى رؤسايهم في الكفر قالت لهم رؤساوهم اتخبرون المومنين
بانهم على الحق لتكون لهم الحجة عليكم عند الله تعالى في الدنيا والاخرة اذ كنتم مقرين بصحة
امرهم ولم تتبعوهم على دينهم افلا تعقلون ان ذلك حجة لهم عليكم ومن قال ان المراد بالآية
المنافقون في هذه الامة اراد برؤسا الكفار كعب بن الاشرف وغيره كانوا يقولون
لعبد الله بن ابي واصحابه من المنافقين اذا اقررتم بصحة نبوة هذا النبي الامي صلوات الله
عليه وسلامه وان ذكره في التورية حتى تاكدت حجة مستعيذة عليكم عند الله تعالى يريدون
بذلك صرف المسلمين عن الدين وكتمان بعث النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وربما
كانوا يقولون للمنافقين اتكم تحدثون الناس بما فتح الله تعالى على يدي محمد صلى الله عليه
وسلم في المغازي من اطعام الخلق الكثير بالطعام اليسير وسقي الخلق العظيم من قدح ماء

ذهبت خ

لا يغترا صابعه واخباره يوم بدر بمصارع القتلى قبل ان قتلوا وكان النبي صلى الله عليه
قال لهم قبل القتال هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فقتل كل انسان في الموضع الذي اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم انه مصرعه فكان من حضر من المنافقين العرو واتبع النبي صلى الله
عليه وسلم اذا رجع الى موضعه اخبر بما شاهد من النبي صلى الله عليه وسلم من مثل هذه الامور
فقالت لهم رؤسا اليهود الا تعلمون ان مثل هذه الاخبار حجة عليكم في الدنيا والاخرة وهذا
من تمويه اهل الكتاب وقصدهم كتمان صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واما التحديث
والتحدث ماخوذان من الحديث وهو الاخبار عن حوادث الزمان واصل الفتح هو فتح المغلق ثم
استعمل في مواضع كثيرة من فتح البلدان كما يقال فتح المسلمون دار الحرب وفي فتحك على من
يستقربك كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم التبست عليه القراة في الصلوة فلما فرغ قال
لابي هلا فتحت علي وقد يكون الفتح بمعنى الحكم كما في هذه الآية قوله تعالى بما فتح الله
عليكم اي قضى الله عليكم وكما في قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ويسمى القاضي
الفاتح بلغة عمان وقد يكون الفتح بمعنى النصرة يقال استفتح فلان اذا طلبت منه النصرة
قال الله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يطلبون النصرة عليهم والمحاجة
والمناظرة واحد وهو مجادلة كل واحد من الخصمين لاقامة الحجة على خصمه قوله عز وجل
أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ معناه يقول اولا يعلم المنافقون
ان الله يعلم ما يسرون فيما بينهم من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويعلنون مع اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم من التصديق به اولا يعلم رؤسا الكفر ما يسرون من صفة محمد صلى
الله عليه وسلم في كتابهم ويعلنون من جحدها عند القوم والاسرار في اللغة هو اخفا ما
في النفس والاعلان هو اظهار ما في النفس قوله عز وجل وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ
إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ معناه من اليهود من لا يحسن قرآة الكتاب وكتابته الا ان يجد
روساهم بشي فيقبلونه يظنون انه الحق وذلك القول في نفسه كذب والاماني على ثلاثة اوجه
قد تذكر والمراد بها الاكاذيب ومنه قول عثمن رضي الله عنه ما تمنيت منذ اسلمت اي ما كذبت
وتذكر ويراد بها ما يتمناه الانسان ويشتهيه يعني انهم يقولون ما لا يعلمون قال ابو العالية
يتمنون على الله تعالى ما ليس لهم وهذا اللفظ مستعمل في كلام الناس يقال للذي يقول ما لا حقيقة
له وهو يجده هذا امني وهذه امنية وقد تذكر ويراد بها الامنية التي هي التلاوة ومنه قوله تعالى
اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي اذا تلا القران القى الشيطان في تلاوته فيكون معنى الاماني
في هذه الآية على هذا القول اي من القوم اميون لا يعرفون من التورية شيا سوى تلاوته و
انهم لا يظنون ظنا من غير يقين وقد اختلفوا في ماخذ الامي قال بعضهم ماخوذ من الامة و
هو منسوب الى ما عليه جبلة الامة الامية وقيل ماخوذ من الام وهو الذي يكون على اصل ولادة
الام لم يتعلم الكتابة ولا القراة قوله عز وجل فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ
هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ
نزلت هذه الآية في علماء اليهود الذين غيروا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية فكتبوها آدم
سبطا طويلا وكانت الصفة فيها انه اسمر ربعة فبدلوا وقالوا للسفلة هذا من عند الله نزل في
التورية يقول الله عز وجل الويل لهولاء الذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم ينسبون ذلك الى
الله عز وجل ومعنى الويل الشدة في العذاب ويقال هو الهلاك وهذه كلمة تستعمل في كل من وقع

ولام
ثم
نى
لون

في الهلاك ويقال معنى الويل الحزن ويكنى عنه بويس وويح ويقال معنى الويل القبح وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا
قبل ان يبلغ الى قعره وفي بعض الاخبار ان الويل واد في جهنم تسيل فيه صديد اهل النار و
معنى قوله تعالى ليشتروا به ثمنا قليلا اي عرضا يسيرا من الدنيا وهو ما كان لعلمائهم من
المآكلة والهدايا من اغنيائهم واما اعادة ذكر الويل في الاية فللتاكيد الحق الله بهم
ثلاث ويلات فيما غيروا من الكتاب ومعنى قوله تعالى مما يكسبون اي يصيبون من الهدايا
والفضول واصل الويل في اللغة حكايات صوت الصارخ اذا اصابته نازلة كما قال الله
تعالى يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا وقال عز من قايل يا ويلتنا ما لهذا الكتاب واما
اضافة الكتابة الى اليد في الاية ولا تكون الكتابة الا باليد فلتحقيق اضافة الفعل الى
الفاعل مثال ذلك قول الناس لمن ابتدع مذهبا او اخترع قولا لم يسبق اليه هذا شيء
تقولته انت وهذا قولك ومذهبك يريدون بذلك انك قلت هذا القول من تلقاء نفسك
والكسب هو طلب الرزق وحقيقته الفعل الذي تستجلب به المنفعة او يستدفع به المضرة
ولهذا لا يجوز ان يوصف الله تعالى بالمكتسب في ظاهر قوله تعالى ليشتروا به ثمنا
قليلا دلالة انه لا يجوز اخذ الاجرة على تعليم الكتاب قوله عز وجل وقالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون
على الله ما لا تعلمون معناه قالت اليهود لن تصيبنا النار الا اياما قليلة قال ابن عباس رضي الله عنهما
في رواية الكلبي رحمة الله عنوا بذلك الايام التي عبدوا فيها العجل وقد اختلفوا في مقدار ايام عبادتهم
العجل قال بعضهم عشرة ايام وقيل سبعة ايام ويقال اربعون يوما وقيل ان هذا لا يصح لان العجل كان
عبده اباؤهم وقد تابوا من ذلك وروي عن عكرمة عن ابن عباس انهم عنوا بهذا القول سبعة ايام
مقدار عدد ايام الدنيا قالوا نعذب اياما قليلة ثم يشفع لنا اباؤنا وعن مجاهد انه قال كانت
اليهود يقول الدنيا سبعة الاف سنة والعذاب مكان كل الف سنة يوم وقيل ان مذهبهم كان مذهب
جهم كانوا لا يرون الخلود في النار قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم اعهد الله اليكم عهدا ان لا يعذبكم
الا هذا المقدار فلن يخلف الله عهده وعده ام يقولون على الله تعالى الكذب وما لا علم لكم به وروي انه
يقال لهم عند مضي الاجل يا اعداء الله تعالى قد مضى الاجل وبقي الابد فيوقنون بالخلود وينقطع رجاؤهم
والمس في اللغة الجمع بين الشيئين على نهاية القرب ولفظ المعدودة للقليل كما قال الله تعالى وشروه بثمن
بخس دراهم معدودة اي قليلة وكذلك قوله تعالى في اية الصيام اياما معدودات معناه والله اعلم
لم يكلفكم تعالى الصوم على ما يشق ويصعب عليكم انما كلفكم اياما معلومة وقد احتج مشايخنا رحمهم الله
من الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المستحاضة تدع الصلوة ايام اقرايها وعن قوله
صلى الله عليه وسلم دعي الصلوة ايام اقرايك ان اقل الايام ثلاثة واكثرها عشرة يقال لما دون الثلاثة
يوم ويومان وفيما زاد على العشرة احد عشر يوما وليس لاحد ان يعترض على هذا الاستدلال بقوله
تعالى في اية الصيام اياما معدودات اراد بها الشهر كله لان ظاهر لفظ الايام الثلاث الى العشر
على ما بيناه الا انه قد يذكر ويراد به الزيادة كما يقال ايام بني امية وايام الحجاج وقد فسر الله
عز وجل ايام الصيام بالشهر فاعتقد بذلك التفسير فاما ايام الحيض فمبهمة ولا بد ان تكون محصورة
لان الاحكام تختلف بحال الحيض والطهر فكان حمل اللفظ على ظاهره وحقيقته اولى والاتخاذ هو جعل
الشيء على والاخلاف هو نقض العهد بالفعل والالف في قوله عز وجل اتخذتم همزة استفهام معناه

التوبيخ في الاعلام لهم ولغيرهم ان الامر ليس كما قالوا وانهم يقولون بغير علم والاصل في قوله اتخذتم ااتخذتم
بهمزتين لكن حذفت الهمزة الاصلية للتخفيف ومن قرا اتخذتم بكسر الالف فلان فيما بعده ذلك دليل الاستفهام
وهو قوله تعالى ام يقولون على الله ما لا تعلمون قوله عز وجل بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون رد من الله تعالى على اليهود قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
يقول الله عز وجل ليس كما يقولون من كسب سيئة يعني الشرك واحاطت به خطيئته اي سدت عليه طريق
النجاة ومات على الشرك وقال السدي اراد بالسيئة الذنوب التي وعد الله تعالى عليها العقاب واما الخطيئة
فهي الشرك ولا بد من ان تكون الخطيئة اكبر من السيئة لان ما احاط بغيره كان اكبر منه وقوله تعالى فاولئك
اصحاب النار اي اهل هذه الصفة اصحاب النار هم فيها مقيمون دايمون واصل بلى بل وهو لرد الكلام المنفي
واثبات كلام اخر مبتدا وانما زيدت اليا في اخره ليحسن عليها الوقف وقال بعضهم اصله بل الخفيف
قال الفراء بلى جواب النفي بالايجاب كما ان نعم جواب الايجاب واذا قال قايل اما لي عليك درهم على طريق الاستفهام
فقلت بلى يجب عليك درهم واذا قلت نعم لا يجب عليك شيء كانه ذهب الى ان نعم اعادة للفظ السوال من المجيب
واما بلى فهو لاثبات كلام مبتدا قال الله تعالى الست بربكم قالوا بلى وقال عز من قايل فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا قالوا نعم والاحاطة الاحداق والارادة بالشيء والخطيئة والسيئة في اللغة واحد وقد تعلق من الاية
استحقاق النار بكسب السيئة واحاطتها به وكان الجزاء مستحقا بوجود الشرطين غير مستحق بوجود احدهما
وهذا يدل على ان من عقد اليمين على شرطين من طلاق او عتق او غيرهما انه لا يحنث بوجود احدهما دون
وجودهما قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
اخبر الله عز وجل ان الذين اقروا وصدقوا بتوحيد الله تعالى وبنبوة رسله عليهم السلام وعملوا الصالحات
فيما بينهم وبين ربهم اي ادوا الفرايض اهل هذه الصفة في الجنة خالدون مقيمون دايمون والاصحاب
السواكن يقال صاحب الدار وساكن الدار وروي انه اذا سكن اهل الجنة الجنة واهل النار النار جيء
بالموت على صورة كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا اهل الجنة هذا الموت يذبح ويقال لاهل
النار يا اهل النار هذا الموت يذبح فيطلعون اليه فيعرفونه لانهم كلهم راوه وذاقوه فيذبح بين الجنة
والنار فلو مات احد من اهل الجنة فرحا لمات اهل الجنة حين امنوا من الموت ولو مات احد من
اهل النار حزنا لمات اهل النار حين ايسوا من الموت وقرروا في النار قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا
للناس حسنا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون راجع الى
قصة اليهود لان الله تعالى خاطب الناس كلهم في اول هذه السورة بقوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم ثم
خاطب بني اسرائيل بزيادة نعمة عليهم تارة عدل من خطاب الخلق الى خطاب بعضهم وتارة عدل من خطاب
الكفار الى خطاب المومنين ومن ذكر المخلصين الى ذكر المنافقين لان الغرض من هذه الايات كلها ان
نصير الناس كلهم امة واحدة وتكون كلمتهم كلمة واحدة ومعنى هذه الاية والله اعلم واذكروا اذ
كلفنا بني اسرائيل لا تعبدون الا الله تعالى اي امرناهم باخلاص العبادة لله تعالى وان يحسنوا بالوالدين
احسانا برا بهما وعطفا عليهما وقيل تقدير قوله تعالى وبالوالدين احسانا ووصيناهم بالوالدين احسانا
وهذا احسن من الاول لانه لا يقال احسن بالوالدين وانما يقال احسن الى الوالدين فاما قوله تعالى وذي
القربى اي ووصيناهم بصاحب القرابة بصلة الرحم واليتامى والمساكين اي الاحسان الى اليتامى والمساكين
وقولوا للناس حسنا اي قولا ذا حسن فعدل عن المغايبة الى المخاطبة كما قال الشاعر هو كثير اسيئي بنا
او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت قال الكلبي ومقاتل في معنى قوله حسنا قولوا ايضا

الرؤساء من اليهود المحرفة قولا حقا وصدقا ويبينوا لهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في التورية ولا
يكتموها وادوا الصلوة بحقوقها كما فرض الله تعالى واعطوا الزكوة ثم اعرضتم ايها اليهود عن الميثاق
الذي اخذنا عليكم الا قليلا منكم وهو عبد الله بن سلام ومن اسلم معه من اليهود وانتم معرضون
على الاعراض تاركون لما اخذنا عليكم من المواثيق وقال الزجاج عنى بقوله تعالى توليتم اوايلهم الذين
اخذ عليهم الميثاق واما قوله تعالى وانتم معرضون خطاب للذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم اي انتم كاوايلكم في الاعراض عن العهد الذي اخذ عليكم والاخذ هو نقل الشي من يد المعطي الى
يد غيره وكان المراد بالاية اعطوا الميثاق اخذ الله تعالى عليهم الميثاق والميثاق عهد مؤكد باليمين
او بالوعيد وقرئ لا يعبدون بالياء والتاء وهما قريبتان في المعنى يقال قل لفلان يركب وقل له تركب
ورفع قوله تعالى لا تعبدون لانه جواب القسم وقيل تقديره ان لا تعبدون فلما اسقطت ان
رفعت والاحسان في اللغة هو النفع الحسن وقد اختلفوا في القول الحسن في هذه الاية قال بعضهم
هو عام للناس كلهم كانوا متعبدين بذلك من الكافر والمسلم وقيل ان ذلك على معنى قوله تعالى ادع
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن والاحسان المذكور في الاية انما
هو الدعاء اليه والنصح فيه لكل احد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك كله حسن وعن ابن عباس
وقتادة ان هذه الاية منسوخة بالامر بالقتال وقد قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا
من ظلم فاباح الجهر بالسوء في الظالم وقد امر الله تعالى بلعن الكفار والبراءة منهم والانكار على
اهل المعاصي وهذا مما لا يختلف فيه شرايع الانبياء صلوات الله عليهم تعالى هذا قوله تعالى وقولوا للناس
حسنا على احد وجهين اما ان يكون خاصا في المسلمين ومن لا يستحق التكبير واما ان يكون عاما في
الدعاء الى الله تعالى على وجه النصيحة والقربى والقرابة واحدهم ولادة يرجع اليها بالاضافة
في العادة فانه ما من نفسين الا وبينهما قرابة الا ان القرابة اذا بعدت لم تعتد بها في العادة
واذا قربت اعتدت بها واليتامى جمع اليتيم وهو الذي لا اب له ممن لا يبلغ الحلم واسم اليتيم لا يستعمل
في الادميين الا فيمن فقد اباه ولا يستعمل في الدواب الا فيمن فقد امه والمساكين جمع المسكين
وهو الذي اسكنه الفقر ماخوذ من السكون والايتاء الاعطاء يقال آتيته اعطيته واتيته مقصورا
اذا جيته والقلة عدة النقص من عدة ولا يتبين ذلك الا بالاضافة ونصب قليلا على الاستثناء
معناه استثني قليلا منكم والاعراض هو الذهاب عن مواجهة الشي الى عرضه وفي الاية دلالة
وجوب الاحسان الى الوالدين مومنين كانا او كافرين ووجوب صلة الرحم والاحسان الى اليتامى
والمساكين لان الله تعالى قرن ذكر كله بالتوحيد المذكور في اول الاية قوله عز وجل واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون
بيان ميثاق النهي فاما الاية التي قبل هذه الاية بيان ميثاق الامر ومعنى هذه الاية والله اعلم
واذكروا اذ اخذنا ميثاق اسلافكم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام لا يصبون دماءكم اي لا
يقتل بعضكم بعضا ولا يخرج بعضكم بعضا من دياركم ثم اقررتم اي اعترفتم بان هذا العهد قد
اخذ عليكم وعلى اوايلكم وبذلتموه من انفسكم وانتم ايها الباقون المخاطبون شاهدون على من
تقدمكم باخذنا منهم الميثاق وبما بذلوه من انفسهم ويجوز ان يكون معنى قوله تعالى لا تسفكون
دماءكم اي لا يقتل احد منكم غيره فيقتل به فيكون في معنى من قتل نفسه وهذا كقوله صلى الله
عليه وسلم اشد الناس اثما من سب ابويه فقيل يا رسول الله كيف يسب الانسان ابويه قال
يسب غيره حتى يسب ذلك ابويه واحتمال اللفظ للمعنيين يوجب ان يكون عليهما جميعا و

النفس

والنفس تضاف الى صاحب النفس اضافة الغير اليه ونظيره قوله تعالى ولا تخرجون انفسكم من دياركم
قوله تعالى فاقتلوا انفسكم وقوله عز من قايل فسلموا على انفسكم والدار اسم للعرصة والابنية والمحلة
وكل موضع نزل فيه القوم فهو دارهم هكذا قاله الخليل رحمه الله وقال بعضهم الدار المنزل الذي يجمع
ابنية المقام بخلاف المنزل الذي يكون للارتحال والاقرار والاعتراف واحد وهو الايجاب بتحقيق
والشاهد هو المخبر عن مشاهدة او ما يقوم مقام المشاهدة في المعرفة ويجوز ان يكون قوله تعالى
ثم اقررتم راجعا الى اوايلهم وقوله تعالى وانتم تشهدون راجع الى المخاطبين خاصة قوله عز وجل
ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان
وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتومنون ببعض الكتاب وتكفرون
ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد
العذاب وما الله بغافل عما تعملون خطاب ليهود بني قريظة والنضير كانت بنو قريظة حلفاء
الاوس وبنو النضير حلفاء الخزرج وكان كل واحد من الفريقين يقاتل الفريق الاخر فاذا اغلب عليهم قتلهم
وسبى ذراريهم واخرجهم من ديارهم يقول الله تعالى ثم انتم هؤلاء معشر اليهود تقتلون انفسكم اي
يقتل بعضكم بعضا ويخرج بعضكم بعضا من ديارهم يتعاونون عليهم بالمعصية والافراط في الظلم
وقوله تعالى وان ياتوكم اسارى تفدوهم متصل في التقدير بقوله تعالى في الاية التي قبل هذه الاية
ولا يخرجون انفسكم من دياركم لان قوله تعالى وان ياتوكم اسارى داخل في الميثاق ومعناه فكوا
اسراكم من عدوكم بالفداء كان في الاية تقديما وتاخيرا واما قوله تعالى وهو محرم عليكم اخراجهم متصل
بالاثم والعدوان معناه ان الاخراج من الديار محرم عليكم اعاد ذكر الاخراج من بعد لتراخي الكلام
وقوله عز وجل افتومنون ببعض الكتاب وهو مفاداة الاسير وتكفرون ببعض وهو القتل والاخراج
من الديار وذلك ان القوم كانوا يفعلون هذا الفعل ويكتمون العهد الذي اخذ عليهم في التورية
فامر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بالعهد الذي في التورية ويذكرهم ذلك
العهد فاعترفوا ثم وبخهم بالقتل والاخراج من الديار على مخالفة ما في التورية وفي هذا دلالة
نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اخبرهم بشي كتموه في كتبهم وهو امي لم يقرا الكتب فاما قوله
تعالى فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا يقول ما جزاء من يومن ببعض الكتاب و
يكفر ببعض الا ذل وهوان في الحيوة الدنيا ويقال اراد بالخزي قتل بني قريظة واجلاء بني
النضير ثم اخبر جل ذكره ان ذلك الخزي غير مكفر عنهم ذنوبهم وانهم صايرون بعده الى
عذاب عظيم فذلك قوله تعالى ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب قوله تعالى وما الله
بغافل عما يعملون اي لا يخفى عليه شي من اعمالهم ويجازيهم على ما عملوا وذهب بعض
المفسرين الى ان هذه الاية على نظمها وانه ليس فيها تقديم ولا تاخير لان اليهود كانوا يخرجون
الضعفاء من ديارهم وكان اذا اسر ضعيف منهم الى غيرهم فدوه ويقال كانوا اذا قاتل احد
الفريقين الاخر قتلوا وسبوا واذا اسر احد من الفريقين من جهة المشركين اجتمعوا ففدوا
والله تعالى اعلم وذهب الزجاج في قوله تعالى ثم انتم هؤلاء ان معناه ثم انتم الذين
يقتلون انفسكم وقال ان تقتلون صلة لهؤلاء مثاله قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى
معناه ما التي بيمينك ويجوز ان يكون قوله تعالى هؤلاء بمعنى النداء كانه قال انتم يا هؤلاء
يقتلون انفسكم وهذا كما يقال محمد يا مسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان
يكون معنى يقتلون انفسكم قتلتم وقد يجي المستقبل في الكلام بمعنى الماضي والماضي

بمعنى المستقبل قال الله تعالى وما نقموا منهم الآن يومنوا معناه الا ان امنوا وقال تعالى وا تبعوا ما
تتلوا الشياطين معناه تلت الشياطين وانما سمي التعاون تظاهرا لان كل واحد من التعاونين
يكون ظهيرا لصاحبه والظهير المعين واما تشديد الظاء في قوله تظاهرون فلان اصله تتظاهرون
ادغمت احدى التائين في الظاء لقرب مخرجهما ومن قرا تظاهرون بالتخفيف فقد حذف التاء الثانية وا ما
الاثم والاثم والعدوان والوزر والجرم واحد وهو الفعل الذي يلام صاحبه عليه والعدوان
مجاوزة الحد يقال عدا في ظلمه عدوا وعدوانا اذا افرط وجاوز والاسرى جمع الاسير كجريح وجرحى واما
اسارى فهو جمع الجمع كما يقال سكرى وسكارى والاسير المقهور الماخوذ في الحرب المشدود في القيد
والفدا هو بذل الشي على سبيل الصيانة والمحرم من الحرام وهو الممنوع عنه بالنهي كما ان الحلال هو المطلق
فيه الاباحة والجزا هو الثواب على الخير والعقاب على الشر واما الخزي يقال في السو والشر خزي يخزي
خزيا فاما في الحيا خزي يخزى خزايه واصل الكلمة هو الحيا فانه اذا قيل للانسان اخزاه الله كان
معنى هذا الكلام او قفه الله موقفا يستحيي منه ويسمى الذل خزيا لانه يستحيى منه وفي الاية دلالة ان
فكاك الاسير كان واجبا عليهم وكان اخراج فريق من ديارهم محرما عليهم وهذا ثابت في شريعتنا يدل
عليه ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعموا الطعام وافشوا
السلام وعودوا المريض وفكوا العاني وسيل الحسن بن علي رضي الله عنهما على من فدا الاسير
فقال رضي الله عنه على الارض التي يقاتل عنها قوله عز وجل **اوليك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون** معناه اهل هذه الصفة هم الذين اثروا و
استبدلوا الفانية على الباقية فلا يخففن عليهم العذاب ولا لهم مانع عنهم عما يراد بهم من العذاب وقيل
لا يغاثون بتخفيف العذاب عنهم والتخفيف من الخفة في اللغة وهو النقصان في الوزن قوله عز وجل
**ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**
معنى الاية والله اعلم اعطينا موسى عليه السلام التورية قال الكلبي رحمه الله انزل الله تعالى عليه التورية
جملة واحدة فامره ان يحملها فلم يطق حملها فبعث الله تعالى بكل اية ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله
تعالى بكل حرف ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله تعالى على موسى عليه السلام فحملها وعمل بها ومعنى
وقفينا اردفنا واتبعنا ارسلنا رسلا يقفوا بعضهم بعضا في الدعا الى عبادة الله تعالى واعطينا عيسى
بن مريم الايات والدلالات التي يعجز عنها المخلوقون من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص ونحو ذلك من
الايات واعنّاه بجبريل الطاهر عليه السلام افكلما جاءكم معشر اليهود رسول بما لا يوافق هواكم ولا
تميل اليه انفسكم تعظمتم من ان تكونوا اتباعا ففريقا كذبتم مثل عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه
وفريقا تقتلون مثل زكريا ويحيى عليهما السلام والتقفية في اللغة هو الاتباع وهو الحاق الشي بالشي من قولهم
قفوت الرجل اذا ذهبت في اثره ومنه سميت القوافي لاتباع بعضها بعضا ومنه القفا وهو خلف الراس
فمعنى قفينا اي بعثنا الرسل بعضهم خلف بعض والرسل جمع الرسول والرسول هو المؤدي لما اوحى الله تعالى
اليه المتميز عن غيره بالمعجزة الدالة على صدقه والبينات الحجج والشواهد الصادقة والتاييد التقوية
ومنه الايد الذي هو القوة قال الله تعالى والسما بنيناها بايد اي بقوة وقال تعالى واذكر عبدنا داود
ذا الايد وانما سميت اليد من البدن يدا لان القوة تظهر فيها من الاخذ والبطش ومعنى تاييد عيسى عليه السلام
بجبريل عليه السلام لان اليهود لما ارادوا قتل عيسى عليه السلام رفعه جبريل عليه السلام الى السما و
سمي جبريل عليه السلام روح القدس لان بمجيه حيي الكفار بالاسلام والقدس الطاهر وقال السدي

المبارك

المبارك وقال ابو زيد القدس والقدوس جميعا من اسما الله تعالى والالف في افكلما الف استفهام معناه
التوبيخ والزجر والتقريع وكلما يقتضي جمعا مكررا بتكرر الجواب بتكرر الشرط لان كل يقتضي جمعا ولا يقتضي
تكرارا وكلما يقتضي الجمع والتكرار جميعا اذا قال الرجل كل امراة اتزوجها فهي كذا فتزوج امراة فطلقت ثم تزوجها
بعينها مرة اخرى لم تطلق في المرة الثانية ولو قال كلما تزوجت امراة فهي كذا فتزوج امراة واحدة
مرة بعد اخرى طلقت مرة بعد اخرى لان حرف كل يقتضي جمع الاسامي دون تكرار الافعال وحرف
كلما يقتضي تكرارا وجمعا والهوى في اللغة الميل ومنه الهوى الذي بمعنى المحبة واما تقتلون على لفظ
الاستقبال فقد يذكر مثل هذا اللفظ في الصفات اللازمة ويراد به الذم والتوبيخ على فعل كان منه في
الماضي وهذا كما يقول الانسان لغيره لم تسرق الاموال الناس وتقتل الناس اذا كان ذلك دابه وعادته
لا يراد بذلك فعل الاستقبال وفايدة الاية الاخبار عن فعل اليهود على جهة اظهار معايبهم ومذاهبهم
وان من عادتهم تكذيب الرسل عليهم السلام كما كذب من قبلهم منهم الانبيا عليهم السلام قوله عز وجل
وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون قالت اليهود قلوبنا ممنوعة من
القبول يقول الله تعالى ردا عليهم بل لعنهم الله تعالى بكفرهم اي انهم لما كفروا العنوا بكفرهم فاشتد الحجاب
به وحجبتهم لذلك فمنعهم الله تعالى الالطاف والفوايد التي منح المومنين مجازاة لهم على كفرهم فقليلا
ما يومنون منهم وهو من اسلم من اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه ويقال فقليلا ما يؤمنون
ايمانهم بالله تعالى قليل لانهم يومنون ببعض ويكفرون ببعض وقيل معناه لا ايمان لهم كما يقال فلان
قليل الخير اي لا خير له والغلف جمع اغلف كما يقال احمر وحمر والقلب الاغلف الذي عليه غلاف فلا يعي
شيئا وهذا كما قال الله تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ومن قرا غلف بضمتين فهو جمع غلاف
كما يقال مثال ومثل وحمار وحمر ومعنى ذلك قلوبنا اوعية للعلم فما بالها لا تفهم عنك وان كنت نبيا
فافهمنا واللعن الابعاد بالمكروه وتقدير نصب القليل على التاويل الاول صاروا قليلا يومنون وعلى
الثاني ايمانا قليلا يومنون قوله عز وجل **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله
على الكافرين** معناه لما جاءهم القران موافقا لما معهم من التورية وساير الكتب في التوحيد والدعا
الى الله تعالى وكانوا من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم يستنصرون بذكر القران وبنبي اخر الزمان
عليه السلام على الذين جحدوا توحيد الله تعالى كانوا اذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب قالوا
اللهم ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك صلى الله عليه وسلم وكتابك الذي تنزله عليه الذي وعدتنا
انك باعثه في اخر الزمان وكانوا يرجون ان يكون ذلك النبي صلى الله عليه وسلم منهم فكانوا
اذا قالوا ذلك نصروا على عدوهم **فلما بعث الله تعالى محمدا** صلى الله عليه وسلم وعرفوا نعته
وصفته في كتابهم ولم يكن منهم كفروا به وغيروا نعته وصفته في كتابهم مخافة زوال الرياسة عنهم
فذلك قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به اي لما عرفوه وعلموا انه من عند الله جحدوه فسخط الله
تعالى على الكافرين قيل ان جواب اول هذه الاية محذوف لان معناه معلوم دل عليه قوله تعالى
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقيل جواب قوله تعالى لما جاءهم الاول وجواب قوله تعالى فلما جاءهم
ما عرفوا واحد لكن كرر لفظ المجي لطول الكلام اخر بينهما فلما قبل مبني على الضم ويدخله اعراب
الكسر والفتح عند الاضافة الا انه ضم عند عدم الاضافة علامة للاضافة الى المضمر تقدير
اللفظ وكانوا من قبل هذا يستفتحون عليهم وفي هذه الاية دلالة على ان الايمان ليس هو المعرفة
فحسب كما يقوله بعض الناس لان اولئك اليهود كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومع ذلك جعلهم الله كفارا بجحدهم بالسنتهم * قوله عز وجل بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا
بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءو بغضب على
غضب وللكافرين عذاب مهين قال الكلبي بئس ما باعوا به انفسهم من الهدايا و
الفضول بكتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم يعني انهم اختاروا الدنيا على الاخرة فباعوا انفسهم
بعقوبة الاخرة بان يكفروا بما انزل الله تعالى اي يجحدوا بالقران الذي انزل الله تعالى حسدا منهم
لان النبي صلى الله عليه وسلم كان من العرب وهم لم يشكوا في نبوته صلى الله عليه وسلم وانما حسدوه
على ما اتاه الله من فضله من النبوة والكتاب على من يشاء من عباده ممن كان اهلا لذلك فباءوا
بغضب على غضب اي استوجبوا اللعنة على اثر اللعنة فالغضب الاول حين كفروا بعيسى عليه السلام
والثاني حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال باءوا باثم استحقوا به النار على اثم تقدم
استحقوا به النار وللكافرين عذاب مهين بها نون فيه قيل ان بئس اذا وقعت على ما جعلت
ما بمنزلة اسم منكر وكذلك نعم لانهما لا يعملان في اسم علم انما يعملان في اسم منكر دال على
جنس يقال نعم الرجل زيد ونعم رجلا زيد يراد به اثبات جميع المدح الذي يكون في ساير
جنسه فيه ونصب رجلا في قوله نعم رجلا على تمييز الجنس قال الزجاج معنى بئسما اشتروا
به اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم ولفظ الشرا يستعمل في البيع والابتياع وهو افتعال من الشرا
والشرا ترك الشيء الى الشيء وقوله تعالى ان يكفروا موضعه رفع المعنى ذلك الشيء المذموم ان يكفروا بما انزل
الله تعالى كما يقال بئسما تزويج ولا مهر وكانه يقول بئسما باعوا به انفسهم وهو الكفر ويقال
بئسما باعوا انفسهم بان يكفروا وموضع ان ينزل الله نصب المعنى يكفروا بما انزل الله بان
ينزل الله تعالى من فضله على من يشاء من عباده اي كفروا بهذه العلة والبغي الحسد وقد يكون بمعنى
الظلم الا ان المراد بها هنا الحسد واصله التطاول ماخوذ من الابتغا الذي هو الطلب يقال
ما ينبغي لك ان تطلب هذا اي ما يحق لك طلبه فكان الباغي يطلب التطاول على غيره ونصب بغيا
لانه مفعول له يقال فعلت ذاك حذار الشر اي لحذار الشر والاهانة ضد الاكرام والغضب
من الله تعالى الذم والتوعد والعقوبة اذ لا عارضة تحل به كما تحل بالمخلوقين من استشاطة
النفس ونحو ذلك لانه تعالى ليس بمحل للاعراض ولا يجوز عليه التغير والانتقال وكذلك حبه
وساير صفاته قول ووعد ووعيد والله الحكيم قوله عز وجل واذا قيل لهم امنوا بما انزل
الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم
قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين معناه اذا قيل ليهود المدينة صدقوا
بالقران الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قالوا نصدق بالتورية ويجحدون بما بعد الذي
انزل عليهم وهو الحق مصدقا لما معهم يعني ان القران حق موافق لما معهم من التورية وساير
الكتب قل لهم يا محمد ان كنتم تصدقون بما انزل عليكم فلماذا يقتلون انبياء الله من قبل ان
كنتم مؤمنين وليس فيما انزل الله تعالى على انبيايكم قتل الانبياء صلوات الله عليهم واذا كان
وراء ممدودا كان بمعنى خلف وهو نقيض امام وقدام واذا كان مقصورا كان بمعنى الخلق ونصب
مصدقا على الحال اي حاله في تصديقه كتب الرسل عليهم السلام ودليل انه حق يقال هو زيد حقا
وهو زيد معروفا اي حالة في المعرفة يدل على انه زيد ولا يقال هو زيد قايما لان حالة القيام
لا يكون دليلا على انه زيد فانه اذا ترك القيام فهو زيد وفي قوله تعالى من قبل دليل ان المراد
بقوله تعالى فلم تقتلون فلم قتلتم وقد ذكرنا ان لفظ الاستقبال يذكر ويراد به الماضي وفي الاية

دليل ان من رضي بما عمل من معصية الله تعالى فكانه فعلها لان الله تعالى خاطب هولا بالقتل
وكان القتل من اسلافهم واوايلهم وفيها دليل ان اليهود كفروا بالتورية لانهم اذا كفروا بما يصدق
ما معهم فقد كفروا بما معهم قوله عز وجل ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده
وانتم ظالمون معناه لقد جاءكم موسى بالايات بالتسع المعجزة فاتخذتم العجل الها من بعد ذلك
وانتم كافرون بالله تعالى بعبادة العجل وقد تدخل اللام في الفعل لتوكيد الخبر واللام في ابتدايه لام
قسم لدخولها على الفعل وثم في هذا الموضع للتنبيه ويقال صورته صورة النسق وليس بنسق وانما يراد
به التعجب والاستعظام لكفرهم بما راوا من الايات وفايدة الاية ان تكذيب الانبياء صلوات الله عليهم
من دابكم وعادتكم كما ان موسى عليه السلام جاءكم بالبينات ثم اتخذتم العجل الها قوله عز وجل
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا
واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين معناه واذكروا
اذ اخذنا عليكم العهد بالتورية ورفعنا فوقكم الجبل خذوا ما اتيناكم اي اعطيناكم بجد في طاعة الله
ومواظبة واسمعوا ما فيه من حلاله وحرامه وما تؤمرون به قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك و
لولا مخافة الجبل ما قبلنا قال الكلبي قالوا ذلك بعد ما رفع الجبل عنهم ويقال قالوا اظهارا سمعنا وقالوا
في انفسهم عصينا واشربوا في قلوبهم حب العجل بكفرهم اي فعل الله ذلك بهم مجازاة لهم على الكفر
كما قال الله عز وجل بل طبع الله عليها بكفرهم ويقال فعل الله ذلك بهم لالفهم الكفر ورسوخهم
فيه والكفر يدعو بعضه الى بعض ويحث بعضه بعضا كما يقال حبك للشيء يعمي ويصم قل لهم يا محمد
بئس شيئا يامركم به ايمانكم اي بئس الايمان ايمان يامر بالكفر ان كنتم مؤمنين كما تزعمون
وفايدة تكرار ذكر الميثاق وقصة الجبل والعجل لاتصال كل اية بقرينة ليست في الاخرى ويقال تكرار
ذلك في القران تكرارا وليلزمهم القوم في الذكر والفعل ومعنى اشربوا اي خولطوا ذلك بقلوبهم
كاشراب الالوان لشدة الملازمة والحب محذوف من العجل لان المضاف اليه يقام مقام المضاف
كما قال الله تعالى واسال القرية اي اهلها قال الشاعر وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابي
اي كخلالة ابي مرحب والسمع في هذه الاية بمعنى القبول كما يقال فلان سموع منه وفلان لا
يسمع منه ومنه قول الناس سمع الله لمن حمده اي قبل الله تعالى حمد من حمده ويقال بالسمع و
الطاعة يراد به القبول والطاعة قوله عز وجل قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين معناه جواب قول اليهود لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه يقول الله تعالى قل لهم يا محمد ان كانت
لكم الجنة عند الله خالصة صافية من دون الناس اجمعين كما ادعيتم فاسالوا الله تعالى الموت
ان كنتم صادقين فيما تدعون عند انفسكم لتصلوا الى الجنة فان من كان بهذه الصفة كان الموت خيرا
له من الحيوة الدنيا والتمني في اللغة معنى يقدره الانسان في النفس بحسب الطبع كقولك ليت كان
كذا وليت لم يكن كذا وفي الاية اظهار كذب اليهود والدلالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود بعد نزول هذه الاية ان
كنتم صادقين في مقالتكم فقولوا اللهم امتنا فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل منكم الا غص بريقه
فمات مكانه فابوا ان يفعلوا وكرهوا ذلك مع اجتهادهم في اطفاء نوره وتكذيب ما ياتي به ولم
يتمن احد منهم مع زعمهم انهم احب العباد الى الله تعالى فنزل قوله تعالى ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم والله عليم بالظالمين يقول انهم لا يتمنون الموت ابدا بما اسلفت ايديهم من المعاصي

والقبايح وكتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم اياه والله تعالى عالم بمجازاة الظالمين وتخصيص
الظالمين دليل ان المراد بالعلم الجزا يقول الرجل لاخر انا عالم بك وبصير بك اى عالم بما اعاملك به ولن
تنصب الافعال المستقبلة كما تنصب انّ ونصب ابدا لانه ظرف الزمان وهو اسم يقع على العمر فانهم يتمنون
الموت في الآخرة وقت مشاهدة العذاب والاضافة الى اليد في الآية لان اكثر المعاصي تكون باليد تقول العرب
هذا مما جنت يداك ومما كسبت يداك اى انت الذى جنيته وكسبته وفي هذه الآية زيادة دلالة على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى اخبر ان اليهود لا يتمنونه ابدا وفي ذلك اعجاز القرآن عما يعتاد ذلك
من قبل كوضع اليد على الراس ونحو ذلك وهذا كما ان النبي صلى الله عليه وسلم تحدى النصارى الى المباهلة
كما قال الله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الآية فلم يباهلوه
خوفا من الهلاك قال صلى الله عليه وسلم والله لو باهلوني لاضطرم الوادى عليهم نارا وفي بعض
الاخبار لهلكوا جميعا كلهم حتى العصافير في سقوفهم ومما يؤيد هذه الدلالة على نبوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم في هذه الآية ان ترك اليهود تمني الموت لا يخلو من احد امرين اما ان تركوه لانهم علموا
انه نبي وانهم لو تمنوا الموت لماتوا اولان الله تعالى صرف دواعيهم الى ترك تمني الموت وعجزهم عن ذلك
وايهما كان فان ذلك يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم اذ ليس في العادة ان يجتمع خلق عظيم على ترك شي يسير
يتحدون به مع حرصهم على تكذيب من يتحداهم ولو كان القوم على يقين انهم اذا ماتوا صاروا الى
نعيم الجنة وتخلصوا عن هموم الدنيا لاختاروا الموت على الحيوة الا ترى ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
الذين بشرهم بالجنة كيف لم يركنوا الى الدنيا واختاروا الموت على الحيوة حتى روى ان عليا كرم الله وجهه
كان يطوف بين الصفين في الحرب في غلالة فقال له الحسن رضي الله عنهما هذا زى المحاربين فقال علي
يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام سقط الموت عليه وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه انه
قال في حرب صفين الان الاقى الاحبة محمدا وصحبه صلى الله عليه وسلم وحزبه رضي الله عنهم وهكذا
روى عن كل واحد من العشرة مثل ابي بكر وعمر وعثمن وغيرهم رضي الله عنهم كلام يشبه هذه الكلمات
قوله عز وجل ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر
الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون معنى الآية والله
اعلم لتعلمن اليهود احرص الناس على البقا واحرص من الذين اشركوا وهم المجوس ومن لا يؤمن بالبعث سمى المجوس
مشركين لقولهم بالاصلين قديمين النور والظلمة يتمنى احدهم لو يطول عمره الف سنة لان المجوس كانوا يقولون
لملكهم عش الف نيروز وعش الف مهرجان وكان اذا اعطس احدهم يقولون له زه هزار سال اى عش
الف سنة وما احدهم بمباعده من العذاب تعميره ويقال هو كناية عن التعمير فكانه قال وما التعمير
بمباعده من العذاب واعاد قوله تعالى ان يعمر ليكون مبينا عن هو والله تعالى عالم باعمال العباد و
مجازيهم عليها وفي هذه الآية زيادة تكذيب اليهود اى كيف يزعمون ان الدار الآخرة خالصة لهم
من دون الناس ثم يحرصون على الحيوة الدنيا اكثر من حرص من لا يرجو ثوابا ولا يخشى عذابا ولا
يرى وراء الدنيا شيا آخر وانما كان حرص اليهود على الحيوة اشد من حرص غيرهم لان من يعلم و
يعاند اخوف ممن لا يعلم فكان كراهتهم التمني لفرط ما كسبوا من المعاصي واللام في ابتدا هذه الآية
لام القسم لاتصاله بنون التاكيد وهم مفعول اول لتجد واحرص مفعول ثان والحرص شدة الطلب اذ لا فرق
بين قولك حرص فلان على كذا وبين قولك جد فيه والمودة والمحبة واحد في الظاهر منها جميعا الشهوة
التي هي ميل الطباع وان كان قد تاتي المودة والمحبة بمعنى الارادة التي تقتضيها الحكمة كما يقال الله
تعالى يود المومنين ويحبهم والمومنون يحبون الله تعالى والعمر المطول العمر ومنه يقال عمرك الله

لان م

اليهود

تعالى اى اطال الله عمرك والزحزحة التنحية والازالة قال الله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل
الجنة فقد فاز اى من بعد عن النار وادخل الجنة فقد فاز قوله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل
فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمومنين في قوله تعالى
قل دليل على انه جواب لكلام قيل للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قال الله عز وجل له قل من كان عدوا
لجبريل وذلك ان اليهود اعداء الله تعالى اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم ابن صوريا
عالمهم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد كيف نومك فانا قد اخبرنا عن نوم النبي الذى يجيء في آخر
الزمان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناى وقلبي يقظان قال صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد
امن الرجل ام من المراة فقال صلى الله عليه وسلم اما العظم والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم
والظفر والشعر فمن المراة فقال صدقت فما بال الرجل يشبه اعمامه ليس فيه شبه من اخواله ويشبه
اخواله ليس فيه شبه من اعمامه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ايهما علا ماؤه ماء صاحبه كان
الشبه له قال صدقت يا محمد ثم قال ابن صوريا خصلة ان قلتها امنت بك واتبعتك اى ملك ياتيك
بما تقول عن الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام قال ذاك عدونا ينزل بالقتال و
الشدة ورسولنا ميكايل ياتي باليسر والرخا فلو كان ميكايل هو الذى ياتيك بما تقول امنا بك وصدقنا ك
فقال عمر رضي الله عنه وما عداوة جبريل عليه السلام اياكم قال نعم عادانا مرارا كثيرة وكان
من اشد ذلك علينا ان الله تعالى انزل فيما انزل على نبينا عليه السلام ان بيت المقدس سيخرب
في زمان رجل يقال له بخت نصر على يده واخبرنا بالحين الذى يخرب فيه فلما بلغ ذلك الحين
بعثنا رجلا من اقويا بني اسرائيل في طلبه ليقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا ليست له قوة ولا منعة
فاخذه صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال لصاحبنا ان كان الله تعالى هو الذى امر
بهلاككم فلا يسلطك على قتله وان لم يكن هذا فعلى اى حق تقتله فصدقه صاحبنا ورجع فكبر بخت نصر
وقوى وملك وغزانا فقتلنا فلهذا نتخذه عدوا وميكايل عدو لجبريل فقال عمر رضي الله عنه انا اشهد
ان من كان عدوا لجبريل فانه عدو لميكايل ومن كان عدوا لميكايل فانه عدو لجبريل عليهما السلام
فقال لا تقولن هذا فانزل الله تعالى عز وجل هذه الآية يقول قل لهم يا محمد من كان عدوا لجبريل اذ كان
هو المنزل الكتاب على فانه انما انزل على قلبي بامر الله تعالى لا من تلقاء نفسه وانما انزل ما هو مصدق
لما بين يديه من الكتب التي في ايديكم لا مكذبا لها وانه وان كان فيما انزل الامر بالحرب والشدة على
الكفرين فانه هدى وبشرى للمومنين ويقال معنى الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك ويقال
هذا على وجه الترغيم كانه قال فان جبريل هو الذى نزل عليك رغما لهم والعدو في حقيقة اللغة
كل من قصد ضرر غيره واليهود لا يقدرون على ضر جبريل عليه السلام الا ان من خالف غيره سمى عدوا
على طريق الاستعارة واما اسم جبريل عليه السلام قيل انه بلغة السريانية ومعناه عبد الله فان
جبر هو عبد وايل هو الله عز وجل بلغتهم وفيه لغات جبريل وجبرائيل وجبرايل وجبريل و
جبرئيل قال الزجاج اجود اللغات جبرايل كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صاحب
الصور جبرايل عن يمينه وميكايل عن يساره وانما قال على قلبك ولم يقل على قلبي وان كان امر له
بان يقول ذلك لان مثل هذا مستعمل في كلام الناس كقولك للذى تخاطبه لا تقل للقوم ان الخبر عند فلان
عندك ويجوز ان يقول له لا تقل لهم ان الخبر عندى وكقولك قال القوم ان جبريل عليه السلام عدونا
ويجوز ان يقول قال القوم ان جبريل عدوهم قوله عز وجل من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكايل فان الله عدو للكفرين المعنى والله اعلم من كان عدوا لاحد هؤلاء او لواحد منهم

فلا تعادوه

ل

فليكن وهذا على التهديد فان الله عدو للكفرين يعني لليهود وانما قال عدو للكفرين ولم يقل عدو لهم لانه لو قال ذلك لم يعلم بذلك ان عداوة جبريل تكون كفرا ولم يجز ان يتوهم متوهم ان عداوة جبريل تكون فسقا ولا تكون كفرا فازال الله تعالى هذا الاشكال وفي كونهم عدو الله تعالى قولان احدهما ان الله تعالى عدوهم ولما كان الله تعالى عدوهم اطلق اسم العدو عليهم اتساعا ومجازا والثاني على الظاهر لان من خالف احدا فقد عاداه وفي ميكايل لغات ميكاييل وميكايل وميكال ومعناه عبد الله ميك عبد وايل هو الله تعالى وكذلك اسرايل وهذه اسماء اعجمية رفعت الى العرب فلفظت بها بالفاظ مختلفة وانما عطف والله اعلم جبريل وميكايل على الملكة بعد دخولها في اسم الملكة لفضيلتهما بدلالة الاجماع كما قال الله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم الآية فعطف محمدا ونوحا عليهما السلام على النبيين بعد دخولهما في اسم النبيين عليهم السلام لفضيلتهما بدلالة الاجماع قوله عز وجل وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ المعنى والله اعلم انزلنا اليك يا محمد علامات واضحات قال بعضهم هي كتاب الله عز وجل الذي لا ياتي بمثله الانس والجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وسمي القرآن ايات لما فيه من الحجج والادلة وقال بعضهم الايات هي ساير المعجزات من امتناع القوم من المباهلة ومن تمني الموت ومن مسرى النبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى وانصرافه في ليلة واحدة وتكثير القليل من الطعام والشراب ودعايه الشجرة فاتته ثم رجعت الى مكانها وساير الايات التي لا يجمعها الاكتاب معدود وما يجحد بها الا الخارجون عن القصد والطاعة وهم اليهود وغيرهم وسمي الكفر فسقا لان الفسق خروج من شي الى شي واليهود خرجوا من دينهم بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم و يقال اطلاق اسم الفسق يقتضي الخروج من الحق الى اقبح ما يكون من الباطل والفسق في المعاصي اقبح انواعه واقبح انواع الكفر كفر علما اهل الكتاب لانهم يكونون عنادا ومكابرة فان احتج بعض اليهود بان قال انتم معترفون بنبينا واياتنا ونحن منكرون لما تدعون من ايات نبيكم قيل له ما كان ما انكرتم يبطل بانكاره له الا ترى ان الايات التي نقلتموها تنكرها الدهرية والثنوية ولم يبطل بانكارهم لصحة النقل ويقال للنصارى انتم معترفون بنبوة موسى عليه السلام واليهود منكرون لامر عيسى عليه السلام فهل يفسد انكارهم ذلك حجتهم وقد كان اليهود في زمان ليس لهم مخالف يقر باياتهم وهو الزمان الذي كان بعد موسى عليه السلام قبل ان يبعث نبي غيره وكانت حجتهم في ذلك الوقت حجة صحيحة لصحة النقل وان كان جميع المخالفين لهم في ذلك الزمان منكرين لها يدفعونها قوله عز وجل أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ يقول او كلما عاهد اليهود عهدا رفضه ورمى به طايفة منهم بل اكثرهم لا يصدقون والالف في اول هذه الاية الف استفهام دخل على واو العطف وحرف كلما يتعلق بالافعال ويقتضي التكرار فاقتضت الاية ان اليهود كانوا ينقضون العهد مرة بعد اخرى نقضوا العهد بكتمان صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله تعالى اخذ الميثاق عليهم ليؤمنن بالنبي صلى الله عليه وسلم ولينصرنه وكانوا قد عاهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يعينوا احدا عليه فنقضوا واعانوا مشركي قريش عليه يوم الخندق والنبذ في اللغة الطرح ولذلك سمي النبيذ لالقاء الزبيب فيه وانما قال نبذه فريق منهم لان علماءهم الذين نبذوا العهود عنادا مع العلم به فاما قوله تعالى بل اكثرهم لا يؤمنون فانما قال ذلك لان اكثر اليهود لم يؤمنوا جهلا ومنهم من امن وهو عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما فلذلك قال اكثرهم قوله عز وجل وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ

يذيعونها

لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ موافق لما معهم من التورية في اصل التوحيد وبعض الشرايع ترك ورفض فريق من الذين اعطوا التورية كتاب الله اي القران ويقال التورية لانهم اذا نبذوا القران فقد نبذوا التورية وراء ظهورهم اي لم يؤمنوا به كانهم جهلة به وبالعهد الذي اخذ عليهم وانما قال ذلك من الذين اوتوا الكتاب لانه لم يكن كلهم يعلمون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية وانما علم ذلك علماؤهم اذ لو علموا كلهم لم يجتمعوا على كتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم فالعلم في مجرى العادة ان يجتمع الخلق العظيم على كتمان شي علموه في انفسهم وقوله تعالى وراء ظهورهم مثل لمن لا يعمل بالشي ويستخف به كقوله تعالى واتخذتموه وراءكم ظهريا تقول العرب اجعل هذا خلف ظهرك وتحت قدمك يريدون به اعرض عنه لان الشي اذا كان وراءك لم يمكنك النظر اليه ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ان كل دم ومأثرة كانت في الجاهلية فهو تحت قدمي هاتين وقوله تعالى كانهم لا يعلمون اي انهم يعلمون صدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنهم يجاهلون كانهم لا يعلمون انه صدق قوله عز وجل وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ عطف على قوله نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله كانه قال نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر على ملك سليمان اي ما كانت تتلوا اي تتبع ويقال تقرا ويقال معنى ما تتلوا ما تلت كما قال الله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة معناه اصبحت الارض مخضرة قال الحسن رضي الله عنه لم يزل السحر فاشيا في اليهود وقد اختلف المفسرون في هولاء الشياطين قال بعضهم شياطين الجن فان الشيطان اذا اطلق اريد به الشيطان الذي هو من الجن وقال بعضهم المراد به شياطين الانس والجن فان الشيطان هو العاتي المتمرد من كل جنس كما قال الله تعالى شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وفي قوله تعالى على ملك سليمان قولان احدهما على عهد ملك سليمان فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه والثاني معناه في ملك سليمان وحروف الصفات يبدل بعضها من بعض كما قال الله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل ويقال معنى الاية ما كانت تكذب الشياطين على ملك سليمان فانه يقال تلا عن فلان اذا صدق في الحكاية وتلا على فلان اذا كذب عليه كما يقال قال عنه اذا صدق وقال عليه اذا كذب عليه قال الله تعالى ام تقولون على الله معناه تكذبون على الله تعالى وقوله وما كفر سليمان اي ما اتى بالسحر وما كتبه وهذا رد على اليهود قال الكلبي وذلك ان الشياطين كتبوا من وقت ذهاب ملك سليمان عليه السلام سحرا كثيرا على لسان اصف بن برخيا وكتبوا في ذلك الكتاب هذا ما علم اصف بن برخيا سليمان الملك ودفنوا ذلك الكتاب تحت مصلى سليمان عليه السلام وفي بيت خزاينه فلما القى الله في قلوب الناس الاستنكار للشيطان الذي وقع على كرسي سليمان عليه السلام ورد الله تعالى ملك سليمان عليه السلام هربت الشياطين الذين كتبوا ذلك السحر فلما قبض الله تعالى سليمان عليه السلام اتت الشياطين اولياءها من الانس فقالت الا ندلكم على علم سليمان عليه السلام قالوا بلى فاخرجوا كتب السحر التي كانوا دفنوها في وقت ذهاب ملك سليمان عليه السلام فقال صلحاء بني اسرايل وعلماؤهم معاذ الله تعالى ان يكون هذا علم سليمان عليه السلام ولا نتعلمه ولا نقرا به وقالت السفلة هذا علمه فنتعلمه وقالوا انما تم ملك سليمان عليه السلام بالسحر وبه سخر من الجن والانس والرياح والطيور ولم يزالوا على ذلك الاختلاف حتى عذر الله تعالى سليمان عليه السلام على لسان

وما كفر سليمان م

طين

ثم ء

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبراءة من الكفر تكذيبا لليهود فذلك قوله تعالى وما كفر سليمان الآية
وذهب بعض الناس الى ان سبب نسبة اليهود السحر الى سليمان عليه السلام انه كان قد جمع كتب السحر
وكتمها تحت كرسيه ويقال وضعها في خزانته حتى لا يطلع عليها الناس ولا يعملوا بالسحر فلما مات سليمان
عليه السلام استخرجت السحرة تلك الكتب والقول الاول هو الاصح لان سليمان عليه السلام لو كان
هو الذي جمع كتب السحر حتى لا يطلع عليها الناس ولا يظفر بها احد لكان الاولى ان يحرقها ولا يضعها في
خزانته ولا تحت كرسيه فاما قوله تعالى ولكن الشياطين كفروا معناه ولكن الشياطين هم الذين كتبوا السحر
وهم الذين يعلمونه الناس واما قوله تعالى وما انزل على الملكين فقد اختلف الناس في تفسيره فذهب الشيخ
ابو بكر والزجاج وجماعة من الائمة غيرهما الى ان هذا عطف على قوله تعالى ما تتلوا الشياطين اى اتبعت
اليهود ما تتلوا الشياطين من السحر واتبعت ما انزل اى الذى انزل على الملكين من بيان السحر اى
ندفعة قلوبهما معرفته وان يبيناه للناس ويقولان انه حرام فلا تفعل ايها المتعلم كما قال الله
تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة لا يعرفان السحر لاحد حتى يعظاه ويقولا انما
نحن اختبار وابتلاء للناس فلا تكفر ايها المتعلم اى لا تتعلم العمل به وتعليم السحر لا يكون اثما وهذا
كما تقول لاخر علمني ما الزنا والسرقة والقذف فيقول ان ذلك كذا وكذا ولكنه حرام فلا تفعل ولا فرق
بين بيان معنى السحر والزجر عنه وبين بيان ضروب الكفر وتحريم الامهات والاخوات وتحريم
الزنا وشرب الخمر وساير المحظورات لان الفرض علينا من اجتناب المقبحات كفرضية اختيار الطاعات
والواجبات فمن حيث وجب بيان الخير لانه لا يوصل الى فعله الا بعد العلم به كذلك يجب بيان الشر
اذ لا يوصل الى تركه واجتنابه الا بعد العلم به والسبب في هذا والله اعلم ما روي ان اهل
ذلك الزمان كانوا قد اغتروا بالسحر كانوا يصدقون السحرة فيما ادعوه لانفسهم فبين الله تعالى
على لسان هذين الملكين امر السحر ليكشف عنهم غمة الجهل ويزجرهم عن الاغترار به كما قال الله تعالى
وهديناه النجدين اى بينا له سبيل الخير والشر ليعمل الخير ويجتنب الشر وكما روي ان رجلا قال لعمر
بن الخطاب رضي الله عنهما فلان لا يعرف الشر قال ذاك اجدر ان يقع فيه وقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال تعلموا السحر ولا تعملوا به واما قوله تعالى ببابل فلان اكثر السحرة كانوا بذلك
الموضع قالت عايشة رضي الله عنها هي بابل الكوفة موضع قريب من الكوفة وهكذا قال الحسن رضي
الله عنه ويقال هو بابل دماوند وهاروت وماروت اسم الملكين على هذا الطريق والله اعلم و
اما قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيحتمل التفريق من وجهين احدهما
ان يعمل به فيكفر بالعمل فيقع التفرقة بينه وبين زوجته بالردة اذا كانت المراة مسلمة والوجه الاخر
ان يسعى بينهما بالنميمة والاغراء والافساد وتمويه الباطل حتى يظن انه حق والاحتيال بالحيل الدقيقة
المموهة لكي يبغض كل واحد منهما صاحبه فيفارقه او يطعم الرجل او يسقيه شيئا ياخذه امراته
فيكون بينهما سببا للفرقة وقال بعضهم معنى الاية انهم يتعلمون السحر فيكفرون بذلك وتبين منهم
نساوهم بالكفر الا ان هذا لا يصح لانه لو كان المراد به هذا لكان من حق الكلام ان يقول تعالى يتعلمون
منهما ما تبين به نساوهم فلما قال ما يفرقون به بين المرء وزوجه علم ان المراد به والله اعلم سبب
حادث بعد التعليم والتعلم واما قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اخبار عن قدرة
الله تعالى وسلطانه وبيان ان العباد لا يقدرون على شيء من الاضرار وغير ذلك الا بمشية الله تعالى
والمراد بالاذن في هذه الاية العلم والمشية والتخلية دون الامر لان الله تعالى لا يامر بالفحشاء قال
الحسن رضي الله عنه من شاء الله تعالى منعه فلا يضره السحر ومن شاء خلى بينه وبينه فيضره واما قوله

موضع باليمن

السامع ٥

عن ٥

تعالى

تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم يقول ما يضرهم في الآخرة ولا ينفعهم في الدنيا لان حاصله عذاب لا
مرد له ويقال المراد بهما جميعا في الآخرة لان السحر كان ينفعهم في دنياهم لانهم كانوا يكتسبون بالسحر
وبتعليمه وقوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه اى علمت اليهود لمن اختار واستبدل السحر والكفر بالايمان
ماله في الآخرة من نصيب قوله تعالى ولبئس ما شروا به انفسهم يقول لبئس ما باع المستعملون السحر به
انفسهم لعقوبة الآخرة لو كانوا يعلمون حقيقة العلم ويقال لو كانوا يوفون العلم حقه يقال للعالم
الذى ترك العمل بعلمه ليس بعالم اى لا ينتفع بعلمه وقال بعضهم كان القوم فريقين فريق كانوا
معلمين علموا بان العمل بالسحر لا يجوز وفريق كانوا متعلمين فاولئك كانوا جهالا لم يعلموا حقيقة العلم
وذهب القاضي الامام ابو عاصم رحمه الله وجماعة غيره رحمهم الله الى ان قوله تعالى وما انزل
على الملكين في معنى الجحد والنفي معطوف على قوله تعالى وما كفر سليمان كانه قال لم ينزل على
الملكين ولكن الشياطين هاروت وماروت واتباعهما يعلمون الناس السحر وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر اى اجرى الله تعالى ذكر على لسان الشياطين حجة على السحرة في
الآخرة قال القاضي الامام رحمه الله لو كان قوله تعالى وما انزل على الملكين لاثبات الانزال لكان
لا يجوز اضافته الى الملكين لانهما يبينان على القول الاول الذى ذكر من قبل فساد السحر وانه لا يجوز
العمل به ومن يبين لغيره فساد شيء ويعلمه ذلك فانه لا يضاف اليه ذلك الشيء وانما يضاف اليه
فساده الا ترى ان احدنا اذا نقض كتاب مصنف في الكفر فانه لا يضاف اليه ذلك المصنف وانما
يضاف اليه نقضه فثبت ان قوله تعالى وما انزل على الملكين عطف على قوله تعالى وما كفر سليمان
قال وفي قوله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر اضافة الكفر الى الشياطين بتعليمهم
السحر كما يقال الانسان فلان كفر بتكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم فيكون معناه فلان كفر بتكذيبه
بالنبي صلى الله عليه وسلم ولولا ان تعلم السحر كفر لكان الله تعالى يقول ولكن الشياطين كفروا وعلموا
الناس السحر بالواو فلما ذكره من غير واو علمنا انه جعل قوله تعالى يعلمون الناس السحر تفسيرا لقوله تعالى
ولكن الشياطين كفروا قال ومن الناس من توسع في هذا القول في هذه الآية حتى انه نسب الى الملكين
شرب الخمر والزنا والعمل بالسحر وبالكفر وقال ان الله تعالى انزل جبريل عليه السلام بتخيير الملكين
بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة وروي في ذلك خبرا من
اخبار الاحاد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذا الذى قال هذا القول خلاف ما ذكر الله تعالى في هذه الآية
وغيرها لان الملكين لو كانا كفرا كما كفر الشياطين لكان الله تعالى يضيف الكفر اليهما اذ المحاباة لا
تجرى في احكام الله تعالى ولو كان الله تعالى انزل على الملكين السحر وامرهما بتعليم الناس السحر الذى
هو كفر لم يامن من ان يكون كثيرا من الانبياء صلوات الله عليهم قد انزل عليهم ما هو كفر مع ان احدا
لا يجوز ان يبعث الله رسولا بما هو كفر يدل على ذلك ان الملائكة هم رسل الله تعالى الينا وقد بينا ان
رسل الله تعالى عليهم السلام لا يجوز عليهم الفسق فضلا عن الكفر وحقيقة السحر في اللغة اسم لما لطف
وخفي ومن ذلك تسمى الرية وما تعلق بالحلقوم سحرا لخفايها وضعفها ولطافتها قالت عايشة
رضي الله عنها قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري فالسحر في الحقيقة هو الشيء الخفي
اللطيف ثم نقل هذا الاسم الى كل امر يخفى سببه ويتخيل الى غير حقيقته كما قال الله تعالى سحروا اعين
الناس اى موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقال الله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها
تسعى فلو انها كانت تسعى في الحقيقة لم يخيل اليه وانما كان ذلك تخييلا لان عصيهم كانت مجوفة قد
مليت زيبقا وكذلك الحبال كانت معمولة من ادم محشوة زيبقا فلما حميت بالشمس تحركت ويقال كانوا



حفروا قبل ذلك تحت ذلك الموضع اسرابا وملؤها نارا فلما طرحت عليه وحمي الزيبق تحركت لان من شان الزيبق اذا اصابته النار ان يطير فاخبر الله تعالى ان ذلك كان مموها على غير حقيقته وتقول العرب لضرب من الحلي مسحور اي مموه على من راه مسحور به عينه انه كان في باطنه جنس آخر وظاهره جنس آخر فاسم السحر اذا ذكر مطلقا كان ذلك عبارة عن التمويه والخداع وقد يستعمل اسم السحر مقيدا فيما يمدح ويحمد كما روي عن عبد الله بن بريده عن ابيه رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من البيان لسحرا وان من العلم لجهلا وان من الشعر لحكما وان من القول لعيالا فقوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا يحتمل احد وجهين يجوز ان يكون معناه ان صاحب الحق يبين عن حقه ويوضحه ويجليه بلفظه وحسن بيانه بعد ان يكون خفيا ولولا ذلك البيان لم يقبل قوله فسمي استمالة القلوب بهذا الضرب من البيان سحرا كما يستميل الساحر قلوب الحاضرين الى ما موه به ولبسه وبيان الحق من السحر الحلال كما روي ان رجلا تكلم بكلام بليغ عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال عمر هذا هو السحر الحلال ويجوز ان يكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا ان يكون الرجل الذي عليه الحق الحن بالحجة من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق واما قوله صلى الله عليه وسلم ان من العلم لجهلا هو ان يتكلف العالم الى علم ما لا يعلم فيجهله ذلك واما قوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما فهو هذه المواعظ والامثال التي يتعظ بها الناس واما قوله صلى الله عليه وسلم ان من القول عيالا فهو عرضك كلامك وحديثك على من ليس من شانه ولا يريده والفرق بين السحر وبين معجزات الانبياء صلوات الله عليهم ان معجزات الانبياء صلوات الله عليهم على حقايقها وبواطنها كظواهرها وكلما تاملتها ازددت بصيرة في صحتها ولو جهد الخلق كلهم على مضاهاتها ومقابلتها بامثالها ظهر عجزهم عنها واما مخاريق السحرة وتخييلاتها فانما هو ضرب من الحيلة والتلطف لاظهار امور لا حقيقة لها يعرف ذلك بالتامل والبحث ومتى شاء شاء ان يتعلم ذلك بلغ فيه مبلغ غيره واتى بمثل ما اظهره سواه واما من قرا وما انزل على الملكين بكسر اللام فيجوز ان يكون معناه ان الله تعالى انزل ملكين في زمان هذين الملكين لاستيلاء السحرة عليهما لاغترارهما واغترار الناس واضاف الانزال الى المرسل اليهم كما قال تعالى في خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزلنا اليك الكتاب تبيانا لكل شيء وقال في آية اخرى قولوا امنا بالله وما انزل الينا تارة اضاف الانزال الى الرسول وتارة الى المرسل اليهم وانما خص الملكين بالذكر لان العامة كانت تبعا للملكين وهذا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر في كتابه الى كسرى اما بعد فاسلم والا فعليك اثم المجوس فخاطبه واراد به جماعة رعيته لان الرعية كانت لا تستجيب الى الاسلام قبله خوفا منه فان قيل كيف تكون الملائكة رسلا الى الناس ومنزلا اليهم قيل هذا جايز سايغ لان الله تعالى قد يرسل الملائكة بعضهم الى بعض كما يرسلهم الى الانبياء صلوات الله عليهم وقد يرسل الملائكة الى ساير الناس كما يرسل الى الانبياء صلوات الله عليهم من بني ادم بان يجعل الملائكة كهيئة بني ادم لئلا ينفروا عنهم ويقبلوا منهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي كهيئة رجل واما الفتنة في اللغة فهي المحنة والاختبار وهو ما يظهر به حال الشيء في الجيد والشر من قولهم فتنت الذهب اي جربته بالنار اخالص هو ام مغشوش فيصير الذهب كالمخبر عن نفسه اذا القي في النار وكانت انبياء الله ورسله صلوات الله عليهم فتنة لمن ارسل اليهم ليبلوهم ايهم احسن عملا ويجوز ان يريد الملكان بقولهما انما نحن فتنة انهما دان كانا يبينان السحر للناس ليعرفوا ان ذلك تمويه من السحرة وخداع لئلا يغتر الناس بقول السحرة لكن من يتعلم منهما لكي يعرف فساد السحر فلا يغتر كان يمكنه استعمال ذلك في الشر ولا يومن وقوعه فيه فيكون ذلك محنة كساير العبادات وقد تذكر الفتنة بمعنى العذاب قال الله تعالى ذوقوا فتنتكم اي عذابكم والاذن في اللغة العلم قال الله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا واذان من الله

اعلام ومنه سمي المؤذن مؤذنا والاذان اذانا لانه اعلام باوقات الصلوة وفي قوله تعالى فلا تكفر دليل ان العمل بالسحر كفر لانهما انما يعلمانه اياه لان لا يعمل به ويجتنبه فصار قوله فلا تكفر كقوله في معنى فلا تعمل به لانهما علماه ما السحر وكيف الاحتيال به ليجتنب ولان لا يموه على الناس انه من جنس ايات الانبياء صلوات الله عليهم فيبطل الاستدلال بها واحكام السحرة تختلف باختلاف السحر فان السحر ينقسم على انحاء مختلفة منها سحر اهل بابل كانوا يعبدون الكواكب السبعة ويعتقدون ان حوادث العالم كلها من افعالها وكانوا يجعلون اصنامهم على اسماء الكواكب السبعة فكان من اراد شيئا من الخير والصلاح تقرب بما يوافق المشتري من الدخن والرقا والعقد والنفث عليها ومن طلب شيئا من الشر والخراب والموت والبوار والهوان لغيره تقرب بزعمه الى زحل بما يوافقه من ذلك وان اراد القتل والحرق والطاعون تقرب بزعمه الى المريخ بما يوافقه من ذلك من ذبح بعض الحيوانات وكانوا يسمون كل كوكب من الكواكب السبعة الها خالقا منعما وكانوا يدعون ويتضرعون ويصومون ويتركون اللذات والشهوات وكان عندهم اذا فعلوا ذلك اجابتهم الكواكب الى ما يريدون من خير او شر ومحبة وبغض ومن العامة من يزعم انهم يقلبون الانسان حمارا او كلبا ثم اذا شاءوا اعادوه وانهم يركبون البيضة والمكنسة والخابية ويطيرون في الهوا الى ما شاءوا من البلدان ثم يرجعون في ليلتهم وذلك يلتبس من السحرة على العوام ومنها سحر قوم يزعمون انهم يعترفون بالله عز وجل وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم ويدخلون على الناس من باب ان الجن انما تطيعهم بالرقى التي هي اسماء الله تعالى فيخبرهم بالغيوب من السرق والخبايات وغير ذلك وانها تقدر على تغيير صور الحيوان بالطيران في الهوا والمشي على الماء وما جرى مجرى ذلك وهذان الفريقان كافران يقتلان فان الفريق الثاني جوز وجود مثل اعلام الانبياء من الكذابين المتخرصين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اتى كاهنا فصدقه فيما يقول فهو كافر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم فاذا كان المصدق به كافرا فكيف لا يكون فاعله ومدعيه كافرا ومنها ضرب آخر من السحر وهو العمل به بالادوية والتميمة والتعاويذ والشعوذة اذا لم يدع صاحبه معجزة لا يمكن مثلها واعترف ان ذلك تخييل ومخاريق لم يصر كافرا ما لم يعتقد اباحته فيؤدب ويزجر عن ذلك فاما اذا اعتقد اباحته كفر كمن يعتقد ساير المعاصي التي نص الله على النهي عنها واما ما روي ان لبيد بن اعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وان السحر عمل فيه حتى انزل الله سورة الفلق وسورة الناس فالجواب عنه ان اليهود بسحره على جهة ارادتهم التوصل الى قتله فعصمه الله تعالى من ذلك واطلعه على ما ارادوه ليكون ذلك من دلالة نبوته صلى الله عليه وسلم لا ان سحرهم ضره ولا خلط عليه امره ولئن ثبت ان فعلهم اثر بالنبي صلى الله عليه وسلم نوع تاثير فيحتمل انه كان وصل اليه شيء من دخان الادوية التي سحر عليها او نحو ذلك والله اعلم وقد اختلف الفقهاء في احكام الساحر روى ابن شجاع عن الحسن بن زياد قال قال ابو حنيفة رحمه الله في الساحر انه يقتل اذا علم انه ساحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته اذا تاب بعد القدرة عليه فاما اذا تاب قبل القدرة عليه وقال قد كنت اسحر مرة وقد تركت ذلك منذ زمان لم يقبل الا ان يشهد الشهود عليه الساعة انه ساحر فيقتل والمسلم والذمي والحر والعبد فيه سواء سئل ابو يوسف رحمه الله عن قول ابي حنيفة رحمه الله في الساحر انه لا يستتاب والمرتد يستتاب فقال لان الساحر قد جمع مع كفره السعي في الارض بالفساد والساعي في الارض فسادا اذا اخذ قتل ولهذا قال ابو حنيفة رحمه الله لا اقبل توبة الزنديق لانه يدعو الناس في السر الى الكفر ولا تعرف توبته وهو ساع في الارض بالفساد فاما

المراة الساحرة اذا اقرت بذلك او شهد عليها الشهود لم تقتل في ظاهر الرواية وحبست وضربت
حتى يستيقن تركها السحر واما على قياس رواية الطحاوي ان المراة اذا قتلت في قطع الطريق قتلت
واجري عليها حكم قطاع الطريق ينبغي ان المراة الساحرة تقتل وقال مالك رحمه الله اذا تولى
المسلم عمل السحر يقتل ولا يستتاب قال فاما ساحر اهل الكتاب فلا يقتل الا ان يضر بالمسلمين فيقتل لنقض
العهد وعن الزهري انه قال يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر اهل الكتاب لان النبي صلى الله
عليه وسلم سحره رجل من اليهود يقال له لبيد بن اعصم وامراة من يهود خيبر يقال لها زينب فلم يقتلهما
وقال الشافعي رحمه الله اذا قال الساحر انا اعمل لا اقتل فاخطي واصيب وقد مات هذا الرجل من عملي
فعليه الدية واذا قال عملي يقتل المعمول به وقد تعمدت قتله قتل به قودا فان قال مرض منه ولكن لم
يمت منه حلف اولياؤه لقد مات منه ثم تكون ديته على الساحر كانه ذهب الى ان السحر جناية كسائر
الجنايات وهذا قول خارج عن اقاويل السلف اذ لم يعتبر احد قتله بسحره واوجبوا قتل الساحر على
الاطلاق ولا فرق في الجنايات بين ان يجرح انسانا بحديدة يقتل مثلها او بحديدة لا يقتل مثلها
وقد روي عن عمرو بن شعيب ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخذ ساحرا فدفنه الى صدره ثم تركه
حتى مات وعن علي رضي الله عنه ان هؤلاء العرافين كهان العجم فمن اتى كاهنا يؤمن له
بما يقول فقد برئ مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وروي ان جارية لحفصة سحرتها
فوجدوا سحرها واعترفت بذلك فامرت عبد الرحمن بن زيد فقتلها قوله عز وجل ولو انهم
آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون معناه ان اليهود لو صدقوا النبي صلى الله
عليه وسلم واتقوا السحر لكان ثواب الله تعالى خيرا لهم من كسبهم بالكفر والسحر لو كانوا يعلمون حقيقة
العلم والمثوبة مفعلة من الثواب مثل مقولة ومشورة فسكنت العين لما دخلت واو لثقل
الضمة فيها وقراها قتادة بفتح الواو وفعلها مفعلة مثل مشورة ومثوبة الا ان الاكثر في هذا
البناء ان ينقلوا حركة العين الى ما قبلها ثم قد يحولونها الفا فيصير مثابة ومشارة واصل المثوبة
من ثاب يثوب ثوبا ومثابة اذا رجع ويسمى الثواب ثوابا لانه يرجع الى المثاب من جزاء عمله
والغرض من هذه الآيات والله اعلم ان يبهت اليهود ويكذبهم حملهم على ان اخذوا السحر
من الشياطين وادعوا انهم اخذوا من سليمان عليه السلام وان ذلك اسم الله الاعظم ليكتسبوا
بذلك قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين
عذاب اليم فصل آخر بعد الفصل الذي ذكر الله تعالى من قوله تعالى يا بني اسرائيل الاول الى هذه الآية
ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان في هذه الآية ذكر اليهود ايضا وقد اختلف الناس في هذه الآية
قال قتادة وعطية رحمهما الله قولهم راعنا كلمة كان يقولها اليهود على جهة الاستهزاء والسب
فنهي المسلمون عنها ولم يزيدا على ذلك وقد فسره الكلبي رحمه الله فقال كانت هذه الكلمة
سبا بلسان اليهود بمعنى اسمع لا سمعت فلما سمعت اليهود من المسلمين اعجبهم ذلك وقالوا فيما بينهم
كنا نسب محمدا صلى الله عليه وسلم سرا فيما بيننا فاعلنوا الآن بالشتم فكانوا ياتونه يقولون راعنا
فسمعها سعد بن معاذ وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا اعداء الله تعالى والذي نفسي بيده لئن
سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فقالت اليهود
السنتم تقولونها فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان اليهود كانوا يلحدون بهذه الكلمة الى الرعونة
وقيل انهم كانوا يقولون راعينا يعنون به الراعي للغنم وكان ابن عباس رضي الله عنهما
يقول في معنى هذه الآية يا ايها الذين صدقوا بتوحيد الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للنبي

صلى الله عليه وسلم راعنا اي اسمع الينا نستمع اليك وفسر الزجاج رحمه الله هذا الكلام فقال اليهود
طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم معاملة الاكفاء قالوا اسمع الى كلامنا حتى نسمع كلامك فنهى الله تعالى عن
ذلك اذ لا يجوز لاحد ان يخاطب نبيا من الانبياء صلوات الله عليهم الا على وجه التوقير والاعظام على حسب
ما يخاطب الناس بينهم قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقال عز من
قائل لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فاما قوله انظرنا فيحتمل
ان يكون من النظر الذي هو الرؤية ويحتمل ان يكون من النظور والنظرة اي انتظرنا حتى يتبين لنا ما تعلمنا
واسمعوا ما تؤمرون اي اطيعوا لان الطاعة لا تكون الا بالسماع وللكافرين عذاب اليم اي لكم الثواب
على ما تفعلون ولليهود عذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا بدا بمدح
فاما المراعاة فيقال في اللغة ارعيت الى فلان وراعيته اذا اصغيت اليه واستمعت منه ونظيره
عافاه الله تعالى واعفاه ومعنى راعنا اي كافئنا في المقال وتامل كلامنا من المراعاة التي هي المحافظة
والمراقبة يقال راعيت الرجل اذا تاملته وتعرفت احواله وقرا الحسن رحمه الله راعنا بالتنوين
قال القتيبي رحمه الله جعله اسما من الرعونة اي لا تقولوا قولا ذا رعونة مثاله لا تقولوا حمقا و
سفها وفي قراءة عبد الله بن مسعود لا تقولوا راعونا وفي الآية دلالة على ان التعريض محظور في الدين
وان كل لفظ اشتمل على الخير والشر فغير جائز اطلاقه حتى يقيد بما يفيد به الخير قوله عز وجل
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص
برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم معناه ما يحب وما يتمنى الذين كفروا من يهود اهل المدينة
ونصارى اهل نجران ولا من مشركي العرب عبدة الاوثان ان ينزل عليكم ايها المؤمنون من خير من ربكم من
الوحي وشرائع الاسلام والله يختار برحمته للنبوة والاسلام من يشاء ممن كان اهلا لذلك والله ذو
الفضل العظيم ذو المن العظيم على من اختصه بالنبوة والاسلام وفي هذه الآية ثلاث منات فاما من
الاولى فللتنويع وان الكافر قد يكون من اهل الكتاب ومن غير اهل الكتاب فبين ان هؤلاء من نوع اهل
الكتاب كما قال الله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واما من الثانية في قوله تعالى من خير فللصلة
كقولهم ما جاءني من احد اي ما جاءني احد وموضعه رفع المعنى ان ينزل عليكم خير واما من الثالثة فلابتداء
الغاية فان ابتداء الانزال يكون من قبل الله تعالى ولفظ يختص يستعمل من الخصوص والافتعال في هذا
الباب اكثر من التفعل لان الاختصاص لنفسك والتخصيص لغيرك كالاقتطاع والتقطيع قوله عز وجل
ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير اتصال
هذه الآية بما قبلها من وجهين احدهما قوله تعالى لا تقولوا راعنا وهذا نوع نسخ والثاني قوله تعالى ما يود
الذين كفروا من اهل الكتاب الى قوله تعالى يختص برحمته من يشاء وقيل سبب نزول هذه الآية ما روي
ان اليهود كانوا ينكرون نسخ الشرائع ويقولون ان النسخ سبب البداء او الندامة ولا يجوز ذلك
على الله عز وجل وكانوا يقولون حين حولت القبلة الى الكعبة ان كان الاول حقا فقد رجعتم وان
كان الثاني حقا فقد كنتم على الباطل فنزلت هذه الآية ردا عليهم فبين الله تعالى انه يدبر كيف
يشاء ويامر في كل وقت بما فيه صلاح العباد في ذلك الوقت الا ترى انه يخلق ثم يميت ثم يحيي
قال ابن عباس في معنى هذه الآية ما نبدل من آية او نتركها غير منسوخة فلا نبدل لها نات بخير
من المنسوخة اي اكثر في الثواب ويقال الين واسهل على الناس او مثلها يقول او مثل المنسوخة
في المصلحة والثواب فسر الزجاج رحمه الله قوله تعالى بخير منها بآية صيام رمضان امر الله
من لا يصوم بالفدية حيث قال تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ثم نسخ واوجب الصوم

بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقوله تعالى ولتكملوا العدة وهذا الثاني خير لنا في الثواب و
يقال ان قوله تعالى بخير منها مثل الامر بالقتال فرض الله تعالى في القتال اول ما فرض الجهاد ان
يكون كل مسلم بدل عشرة من الكفار وكان لا يحل لواحد من المسلمين ان يفر من عشرة من الكفار لما
قال الله عز وجل ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ثم نسخه الله تعالى بقوله الان خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وهذا الثاني خير لنا في
التخفيف ولم يقل احد من الناس ان بعض القران خير من بعض في التلاوة و النظم اذ جميعه معجز
كلام الله تعالى فاما قوله تعالى او مثلها فهو مثل اية القبلة جعل الله تعالى ثواب الصلوة الى الكعبة
بعد النسخ مثل ثواب الصلوة الى بيت المقدس قبل النسخ الم تعلم ان الله على كل شيء من الناسخ والمنسوخ
قدير اي قادر والنسخ على وجهين لغوي وشرعي ففي اللغوي ثلثة اقوال قال بعضهم هو ابطال
شيء واقامة شيء آخر مقامه يقال نسخت الشمس الظل اي اذهبته وحلت محله وكذلك نسخ الشيب
الشباب وقال بعضهم النسخ ازالة الاركان وهو ماخوذ من قولهم نسخت الريح اثارهم اي ازالتها ويقال
النسخ النقل يقال نسخت الكتاب اي نقلته الى غيره واما الشرعي فهو مبني على هذه الوجوه الثلثة قال
بعضهم هو رفع الحكم بعد الاستقرار بحكم آخر يقوم مقامه وقال بعضهم هو ازالة الحكم بعد ثبوته
وقال بعضهم هو نقل الحكم الى غيره ومن قرا ننسخ برفع النون وكسر السين فهو من انسخ اذا جعله
ذا نسخ كما يقال اقبره اذا جعله ذا قبر والنسخ على ثلثة اوجه قد يكون في التلاوة مع بقاء الحكم كما
روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في خطبته ان مما انزل الله تعالى الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله تعالى والله عزيز حكيم ولولا ان الناس يقولون زاد ابن الخطاب
في كتاب الله تعالى لالحقت هذه بحاشية المصحف وقد يكون النسخ في الحكم مع بقاء التلاوة كما في
قوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف
وقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير
اخراج وقوله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم الاية وقد يكون النسخ في التلاوة والحكم
جميعا كما روي ان الله انزل على النبي صلى الله عليه وسلم في قوم غزاة لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا
وكما في الصلوة الى بيت المقدس في اول الاسلام والله اعلم واما قوله او ننسها فيه قراءات من
قرا ننسها بفتح النون فمعناه نتركها يقال نسيت الشيء اذا تركته من ذلك قول الله تعالى نسوا الله
فنسيهم ومن قرا ننسها بضم النون فمعناه يامركم بتركها يقال نسيت اذا تركت وانسيت اذا
امرت بالترك وقيل في الفصل بين النسخ والترك ان الترك ان يؤمر المسلمون بترك حكم آية بغير
آية تنزل كما في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن امر الله
تعالى بامتحان المومنات المهاجرات في هذه الاية ثم امر المسلمين بعد ذلك بترك الامتحان بغير آية
اخرى نزلت فاما النسخ فهو ان تنزل آية بعد آية فتبطل الثانية عمل الاولى وقال بعضهم في معنى
ننسها اي يامر الناس بترك تلاوتها في الصلوة وغيرها فتصير منسية بمرور الايام ويقال ننسها
اي نحدث النسيان في قلوب الناس كلهم حتى ينسوها ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه و
سلم واستدل قائل هذا القول بقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله المعنى الا ما شاء الله ان
تنساه وانكر اكثر المفسرين هذا القول وقالوا لا يجوز ان ينسي الله شيئا من القران عن قلوب الخلق الكبير
وقد تضمن حفظه فقال عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا فاخبر انه لا يشاء ان يذهب بما اوحاه الى النبي صلى الله

عليه

قوله

شاء
عليه وسلم فدل ان هذا لا يجوز قالوا ومعنى قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله اي الا ما شاء الله
ان تنساه ثم يتذكره كما هو طبع البشر وقيل الا ما شاء الله ان يامرك بترك تلاوته وتمحى فتنساه ومن قرا
او ننساها بفتح النون والهمزة فمعناه التاخير يقال نسات الابل عن الحوض اذا اخرت عنه وانتسات
انا انتساء ومنه نسا الله في اجله وانسا الله في اجله ومنه قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر ومنه
النسيئة التي الدين فعلى هذا يكون معنى الاية ما ننسخ من آية او نؤخرها فلا ننسخها الى مدة نات بخير
من المنسوخة او مثلها ويقال ما ننسخ من آية او نؤخر انزالها فلا ينزل لها ينزل مكانها ما هو مثلها
في المصلحة او هو اصلح منها ومن قرا ننساها من غير همز فهو مخفف من ننساها بالهمز ومعناها التاخير
ايضا والله اعلم قوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير تاكيد جواب النسخ يقول الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يملك السموات والارض ومن فيهن وانه اعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدهم من ناسخ ومنسوخ
ومتروك وغير ذلك وهذا لفظ استفهام بمعنى التقرير كما في قوله تعالى اليس ذلك بقادر على ان
يحيي الموتى ويجوز ان يكون هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم المراد به غيره كما في قوله تعالى
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فاما قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فيجوز ان يكون
لتطييب نفوس المومنين وبيان ان الله وليهم وناصرهم وانهم بنصره اياهم يغلبون من سواهم ويجوز
ان يكون هذا خطابا بالوعيد لمن لا يؤمن بالناسخ والمنسوخ اي ليس لكم من قريب ينفعكم ولا مانع
يمنعكم من عذاب الله تعالى والملك في اللغة عبارة عن تمام القدرة ومنه الملك وهو السلطان
والاملاك عقد النكاح يقال ملكت العجين اذا بالغت في عجنه قوله عز وجل ام تريدون ان
تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل
متصل بما قبله ووجه الاتصال ان الله تعالى لما ظهر فيما تقدم من الاية قدرته على كل شيء واثبات
الاحكام ورفعها وان له ذلك اغتنم الكفار ازراوا تصديق المومنين لذلك فكانوا يعلمون المومنين
المومنين اسولة محالات ليسالوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم نحو قلب الصفا ذهبا وتفجير الينبوع
من الارض وغير ذلك قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما جاء عبد الله بن ابي امية المخزومي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من قريش فقال لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
او يكون لك جنة من نخيل وعنب الى اخر الاية وسالوا رؤية الله تعالى كما قال السبعون رجلا من
بني اسرائيل لموسى عليه السلام ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الاية يقول بل تريدون ان
تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يختر الكفر على الايمان فقد اخطا قصد الطريق يعني
طريق الهدى وحرف ام اذا كان عطفا على الف الاستفهام كان بمنزلة او كما يقال ازيدا ضربته
ام عمرا واذا لم يكن عطفا على الف الاستفهام كان فيه معنى بل ومعنى الاستفهام لانه لا يكون
مبتدا فكانه تعالى قال اتريدون ان تسالوا رسولكم وبل تريدون ان تسالوا رسولكم قوله عز وجل
ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من
بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير
وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى لما نهى المومنين عن تلقي ما يلقنهم الكفار من الاسولة اتبعه
ذكر العلة في ذلك وهي انهم يتمنون ان يكونوا ايها المومنين مثلهم كفارا ومعنى الاية احب و
تمنى كثير من اهل الكتاب ان يصرفوكم من الايمان الى الكفر حسدا لكم لتشريف الله تعالى اياكم عليهم
بوضع النبوة فيكم بعد ما كانت في بني اسرائيل وقوله تعالى من عند انفسهم راجع الى قوله تعالى

ودّ كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارًا حسدًا الى قوله حسدًا لان حسد الانسان لا يكون الا من قبله فكان الله تعالى
بيّن ان مودتهم ردكم الى الكفر لا لان دينهم يامرهم بذلك ولكن ذلك من عند انفسهم من بعد ما تبيّن لهم
الحق في التورية وساير الكتب اى انهم علموا بالتورية ويعاندون فيما يفعلون فاعفوا و
اصفحوا اى اتركوهم واعرضوا عنهم حتى ياتى الله بامره للامر هاهنا ثلاثة اوجه احدها تعذيبه
اياهم في الدنيا والثانى باذنه لكم بمقاتلتهم ونصره اياكم عليهم بعد قطع عذرهم وقيام الحجج عليهم
ثم جا الله تعالى بعد ذلك بامره حين استقرت ايات النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزاته عند الخاص
والعام والدانى والقاصى ولم يومنوا امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم بقوله تعالى
قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر وغير ذلك من آيات القتال فقتلوا بنى قريظة و
اجلوا بنى النضير الى اريحا واذرعات والثالث امر الله تعالى قيام الساعة ان الله تعالى
على كل شىء من الاوجه الثلاثة قادر لا يفوته ذلك وان امركم بالصفح والعفو عنهم قوله عز وجل وَ
أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وذلك ان الله تعالى لما امر بالصفح عن اليهود علم ان ذلك يشق على المسلمين فامرهم
بالاستعانة على ذلك بالصلوة والزكوة كما قال عز وجل واستعينوا بالصبر والصلوة وما تقدموا
لانفسكم من خير اى من عمل صالح تجدوه اى ثوابه محفوظا لكم ان الله تعالى عالم باعمالكم يجازى
كل عامل جزا ما عمل من خير او شر قوله عز وجل وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ
نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ المعنى قالت اليهود لن يدخل
الجنة الا من كان يهوديًا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيًا ففى الآية ايجاز
واختصار شرحه من طريق البسط قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شىء و
قالت النصارى ليست اليهود على شىء فاما قوله تعالى تلك امانيهم يجوز ان يكون كناية عن
الجنة ويجوز ان يكون كناية عن الكلمة والمقالة قل هاتوا برهانكم حجتكم من التورية والانجيل
ان كنتم صادقين في مقالتكم لفظ من في اول الآية لفظ الوحدان ومعناه الجمع كانه قال الذين
كانوا هودًا او نصارى وهو دجمع هايد مثل حول وحايل والبرهان اسم لما يقوم به الحجة
جمعه براهين مثل سلطان وسلاطين وقربان وقرابين قوله عز وجل بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ
وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ معناه
بلى رد لقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودًا او نصارى وايجاب لمن اخلص دينه لله وهو
محسن في عمله فله اجره اى ثوابه في الجنة عند ربه ولا خوف عليهم فيما يستقبلهم من اهوال القيمة
ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا لانهم يتيقنون ثوابهم عند الله تعالى فليسوا كغيرهم ممن
ليس بصفتهم والاسلام الاخلاص والتفويض والانقياد يقال سلم لفلان كذا اى خلص قال
زيد بن عمرو بن نفيل واسلمت وجهى لمن اسلمت ٭ له الارض تحمل صخرًا ثقالا ٭ دحاها فلما راها
استوت ٭ على الماء ارسى عليها الجبالا ٭ واسلمت وجهى لمن اسلمت ٭ له المزن تحمل عذبًا زلالا
اذا سيقت الى بلدة ٭ اطاعت فصبت عليها سجالا ٭ وانما عبّر في الآية عن الدين والعمل بالوجه
لان الانسان اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه قوله عز وجل وَقَالَتِ الْيَهُودُ
لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ
كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
قال ابن عباس رضى الله عنهما صدق كل واحد من الفريقين ولو حلف على ذلك ما حنث وليس واحد من
الفريقين على شىء من الدين وهم جميعًا يقرون كتاب الله تعالى ولو رجعوا الى ما عندهم من الكتاب خرجوا

معناه

اى اسلم اى اخلص

عن

عن الاختلاف وقوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون اى الذين ليسوا باهل كتاب نحو المجوس ومشركى
العرب يقولون ايضا لن يدخل الجنة الا من كان على ديننا فالله يحكم بين اليهود والنصارى والمشركين
يوم القيمة فيما كانوا فيه من الدين يختلفون يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا وفى هذه
الآية حجة عظيمة في المنع من الاختلاف في كتاب الله تعالى بغير الحق فان اختلاف الفريقين اخرجهما جميعًا
الى الكفر والعياذ بالله تعالى قوله عز وجل وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ
وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ آية او واحدة عند الكوفيين والمدنيين وهى اثنان عند البصريين تمام الاولى عند
قوله تعالى خايفين ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه جرى فيما تقدم ذكر النصارى وذكر مشركى
العرب فرد بعض المفسرين هذه الآية الى ذكر النصارى وبعضهم الى مشركى العرب قال الكلبى عن ابن
عباس نزلت الآية في شان نطوس بن اسبيسيانوس الرومى خرب بيت المقدس والقى فيه الجيف
وقتل مقاتلة اهله وسبى ذراريهم واحرق التورية فكان بيت المقدس خرابًا الى زمن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه ولم يدخلها بعد عمارتها رومى الا خايفا مستخفيًا لو علم به قبل ان يخرج منه
قتل وقال الحسن والسدى وكثير من المفسرين ان هذا في بخت نصر فانه خرب بيت المقدس وخربه
سبى واعانه النصارى على ذلك لبغضهم اليهود الا انه قيل في هذا القول انه يشبه ان يكون غلطا
لانه لا اختلاف بين اهل العلم باخبار الاولين ان عهد بخت نصر قبل مولد المسيح عيسى عليه السلام
بدهر طويل وانما كانت النصارى بعد عيسى عليه السلام واليه ينتمون فكيف يكونون مع بخت نصر
في تخريب بيت المقدس وقال بعض المفسرين ان المراد بهذه الآية مشركى مكة فانهم سعوا في منع
المسلمين عن ذكر الله تعالى في المسجد الحرام وصدوهم عام الحديبية فعلى هذا سعيهم في خرابها هو المنع
عن ذكر الله تعالى فيها لان عمارة المساجد باقامة العبادات فيها يقال فلان يعمر مجلس فلان اى يحضره
ويلزمه وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان
وانما قال مساجد الله لان المسجد الحرام مسجد كبير يجوز ان يسمى كله مسجدا واحدا ويجوز ان يسمى كل بعض منه
مسجدا على حدة وقيل ان المشركين لما منعوا النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين من المسجد الحرام بنى
المسلمون بمكة مساجد كما روى ان ابا بكر رضى الله عنه بنى لنفسه مسجدًا كان يصلى فيه فلما خرج النبى
صلى الله عليه وسلم مع المسلمين من مكة خرّب المشركون تلك المساجد فلهذا قال الله تعالى ومن اظلم
ممن منع مساجد الله وقيل ان المراد بالآية جميع الكفار الذين ظاهروا على اهل الاسلام ومنعوهم
من المساجد وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد قال النبى صلى الله عليه وسلم جعلت لى الارض مسجدًا وطهورًا
فعلى هذا تقدير الآية ومن اظلم ممن خالف ملة الاسلام وسعيهم في خرابها من وجهين احدهما ان يخربوها
بايديهم والثانى اعتقاد وجوب خرابها من جهة الديانة وهذا ابلغ السعيين وكل اهل الكفر بهذه
المثابة اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خايفين اى يظهر الله تعالى الاسلام على الاديان كلها فلا يدخل
الكفار المساجد الا خايفين وجلين بعد ما كانوا لا يدعون المسلمين ان يدخلوا مساجدهم وقيل من اراد من
اهل الروم ان يكون ملكا عليهم لم يمكن من ذلك ما لم يكن دخل بيت المقدس فيحتبون فيدخلون مستخفين
ومن حمل هذه الآية على ذكر المشركين فالمعنى نهوا عن دخول المسجد كما قال الله تعالى انما المشركون نجس
فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال النبى صلى الله عليه وسلم الا لا يطوفن بهذا البيت بعد هذا
العام مشرك ولا عريان فكانوا يدخلونها خايفين وجلين فكان هذا لفظ خبر بمعنى النهى وفى قوله تعالى
لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم قولان احدهما قول الفراء رحمه الله اى لهم في المرة الاولى

ها



اذلال وجزية وفي المرة الثانية قتل وطرد وقال غيره لهم في دار الدنيا هوان وهو القتل والسبي ان كانوا
حربا والجزية ان لم يكونوا حربا ولهم في القيامة عذاب النار وقال السدي رحمه الله اذا خرج المهدي
فتحت القسطنطينية فقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم فذلك خزيهم في الدنيا وفي قوله تعالى ان يذكر فيها
اسمه ثلثة اوجه احدها ما قال الاخفش رحمه الله وهو من ان يذكر فحذف من فاذا هو مقدر بحرف الجر
والثاني انه بدل الاشتمال معناه ممن منع ان يذكر اسم الله تعالى في مساجد الله تعالى والثالث كراهة
ان يذكر فيها اسمه كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا قوله عز وجل وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا
فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ اتصال هذه الآية بما قبلها كانه قال لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد
الله ان تذكروه حيث كنتم من ارضه فلله المشرق والمغرب والجهات كلها وَعَن عبد الله بن عباس
وعبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان الاية نزلت في رهط من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا
في سفر فاشتبهت عليهم القبلة في ليلة مظلمة وصلى كل واحد منهم الى جهة وخط بين يديه خطا فلما اصبحوا
وجدوا الخطوط لغير القبلة فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية وَعَن
ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت في التطوع على الراحلة وقيل نزلت في التحول عن بيت المقدس الى الكعبة
لما امر المسلمون بالصلوة الى الكعبة قالت اليهود مرة يصلون هكذا ومرة يصلون هكذا والاشهر ما رواه
ابن عباس ولا يمتنع ان يتفق هذه الاحوال كلها في وقت واحد ويسال النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه
الآية ويريد بها بيان جميعها الا ترى انه لو نص على كل واحد منها بان يقول اذا كنتم عالمين بجهة القبلة
يمكنكم التوجه اليها فذلك وجه الله تعالى فصلوا اليها واذا كنتم خايفين او سفرا فالوجه الذي يمكنكم التوجه
اليه وهو وجه الله تعالى واذا اشتبهت عليكم الجهات فصليتم الى جهة اي جهة كانت فهي وجه الله تعالى
واذا لم يتناف ارادة جميع ذلك كان مراد الله تعالى بهذه الآية جميع هذه المعاني على الوجه الذي ذكرنا
والله اعلم ومعنى الاية ان الله تعالى ملك المشرق والمغرب وخالقهما فالى اي جهة من الجهات تحولون
وجوهكم في الصلوة بامر الله تعالى او بالتحري فثم وجه الله قبلة الله تعالى ويقال اينما توجهتم اليه من
البلاد فثم الجهة التي وجهكم الله اليها اي يمكنكم التوجه من هناك الى الكعبة كما قال الله تعالى ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام قال الفراء رحمه الله تقول العرب وَجِّهِ الحجر وجهة يعنون
اذا رايت الحجر في البناء لم يقع موقعه فادره فانه سيقع على جهته ويقال وجه مال فلان ووجهة
ماله بمعنى واحد فعلى هذا يكون معنى الوجه الجهة التي امر الله تعالى بالتوجه اليها كما يقال سبيل الله
تعالى يراد به السبيل التي امر الله تعالى المسلمين بها ويقال بيت الله تعالى يراد به موضع عبادة الله
تعالى وَقَالَ بعضهم الوجه في هذه الآية صلة يقال وجه الراي ووجه الامر يعني به نفس الراي ونفس
الامر فكانه قال فثم الله تعالى اي علمه محيط بكم وهذا كقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وَقَالَ بعضهم معنى
هذه الاية فاينما تولوا فثم رضى الله تعالى كما قال الله تعالى انما نطعمكم لوجه الله اي لرضوانه ويقال
فعلت كذا لوجه الله اي لرضاه وكانه تعالى قال فاقصدوا وجه الله بتيممكم القبلة وقوله تعالى والله واسع
عليم اي واسع الفضل او وسع عليكم في امر القبلة عليم بما نويتم وقيل الواسع الجواد الذي تسع عطاياه
السايلين جاد على العباد بقبول ما ابتغوا به وجهه وقيل الواسع الغني عن طاعة العباد وانما يريد بذلك
منفعتهم وهو عالم بمصالحهم على وجه الحكمة وايثما في معنى الشرط وهو اين وصلت بما والاوقات اذا
وصلت بما جوزي بها والفاء في فثم جواب الشرط وثم وهناك اشارة في اللغة الى المكان المتراخي عنك
تقول ثم زيد وهناك زيد فاذا اردت المكان القريب قلت هنا زيد وموضعه نصب بالظرف في المحل
وهو مبني على الفتح لالتقاء الساكنين لا يجوز ان يقال ثما زيد وتولوا مجزوم باينما وعلامة الجزم فيه

انهام

وسع ع

سقوط

سقوط النون وانما قال ولله المشرق والمغرب بالتوحيد وله المشارق والمغارب لانه اخرجه مخرج
الجنس كما يقال اهلك الناس الدينار والدرهم وقيل انه اراد به مشرق الشتاء والصيف ومغربيهما
وفي الاية دلالة على جواز الصلوة بالاجتهاد الى اي جهة كانت وان من ظهر خطاؤه بعد ذلك لا تلزمه
الاعادة فان من اوجب الاعادة لا يلزمه فرضا اخر من غير دلالة ومن الدليل على جواز الاجتهاد في
الجهة ان من غاب عن مكة لم تكن صلوته الى الكعبة الا اجتهادا لان احدا لا يوقن ان الجهة التي صلى
اليها هي محاذية الكعبة غير منحرف اليها وصلوة الجميع جايزة اذ لم يكلفوا غيرها وكذلك المجتهد في
تحري فرضه اذ لم يكلف غير ذلك قوله عز وجل وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ راجع الى اليهود والنصارى ومشركي العرب وقد جرى ذكر الجميع فقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال المشركون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيها له
من اتخاذ الولد بل له ما في السموات والارض اي من كان مالك السموات والارض فان الاشياء تضاف اليه
من جهة الملك لا من جهة اخرى وفيه وجه اخر ان فاعل ما في السموات والارض لا يشبههما ما فيهما اذ الفعل
لا يشبه الفاعل والولد يشبه الوالد ووجه ثالث ان خالق السموات والارض كامل في ذاته تام في صفاته
والولادة من صفات النقص فلا يجوز عليه ومعنى كل له قانتون قال ابن عباس رضي الله عنهما مطيعون
غير ان هذا تاويل لا يستغرق الكل فيكون لفظ عموم اريد به الخصوص ويجوز ان يجري على العموم على
معنى كل له مقرون بالعبودية وهذا قول عكرمة رحمه الله ويقال معناه كل قايم مؤمن بامر الله تعالى كما قال
الله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ويقال في كل من الخلايق آثار صنع الله تعالى في
دلالة ربوبيته فهم كلهم مقهورون مسخرون لا يقدرون على تغيير جبلة انفسهم وقال مجاهد
رحمه الله طاعة الكافر في سجود ظله وهو مثل ما روي عن الحسن رضي الله عنه انه قال يا ابن ادم
كيف تعصي ربك وظلك يسجد له وَقَالَ السدي رحمه الله كل له مطيعون يوم القيمة وقال
الربيع رحمه الله كل له قايمون يوم القيمة كما قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين و
القنوت في اللغة طول القيام يقال قنت الفرس اذا ركد وَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم
افضل الصلوة طول القنوت ويسمى دعاء الوتر قنوتا لانه يدعو قايما وفي الآية دلالة على ان
ملك الانسان لا يبقى في ولده لانه نفى الولد باثبات الملك وهو نظير قوله تعالى وما ينبغي للرحمن
ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا فاقتضى ذلك ان من ملك ولده
عتق عليه قوله عز وجل بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
جواب عن قول جماعة من النصارى قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد نجران السيد و
العاقب والاسقف وجماعة من علمايهم فناظروه في امر عيسى عليه السلام فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو عبد الله ورسوله قالوا هل رايت خلقا من غير اب فانزل الله تعالى هذه الاية
والآية التي قبلها جوابا لهم ومعنى هذه الآية والله اعلم ان الله تعالى مبدع السموات والارض ومنشيهما
وخالقهما فاذا اراد امرا كان في علمه مثل عيسى صلوات الله عليه بغير اب وغير ذلك فانما يقول له كن فيكون
كما اراده الله تعالى والابداع الانشاء على غير مثال سبق من ذلك يقال لمخالف السنة مبتدع والبديع
فعيل بمعنى مفعل كالسميع والاليم الآن بديع اشد مبالغة في الابداع من المبدع فان البديع هو الذي
من شانه الانشاء والابداع لاقتداره عليه والقضاء في اللغة احكام الامر وابرامه قال الشاعر
وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع والعطف في قوله تعالى فيكون على
معنى فهو يكون ويجوز ان يكون عطفا على يقول ومن نصب فعلى جواب الامر بالفاء فان قال قايل قوله



تعالى كن خطاب للموجود او المعدوم ولا يجوز الاول لان الشيء الكاين لا يومر بالكون ولا يجوز ان يكون
الثاني لان المعدوم لا يخاطب ولا يشار اليه قيل قد اختلفوا في هذا الجواب قال بعضهم انما قال ذلك
على سبيل المثل اي ان الاشيا بسهولتها عليه وسرعة كونها باذنه وامره بمنزلة ما يقال له كن فيكون
وهو كقوله تعالى ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين لم يرد بهذا ان السما والارض كانتا في موضع
فقال لهما ايتيا فجاتا من ذلك الموضع وانما اراد بذلك انه تعالى اراد كونهما فكانا وهذا كما قال الشاعر
امتلا الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملات بطني والحوض لم يقل وقال اخر فقالت له العينان
سمعا وطاعة فانحدرتا كالدر لما يثقب وهذا كله على سبيل المثل فعلى هذا معنى قوله تعالى فانما يقول له
كن فيكون اي يريده فيحدث وقال بعضهم هذه كلمة جعلها الله تعالى علامة للملايكة اذا سمعوها علموا ان الله
تعالى قد احدث شيا وقيل انه هذا التحويل الاشياء الموجودة الى حالة اخرى كما قال تعالى ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وكان الخلق قبل القول وكما في قوله تعالى فقلنا لهم
كونوا قردة خاسيين وهذا كاحيايه للموتى واماتته للاحيا وقال بعضهم ان الله تعالى انما يقول هذا
القول للموجود في حال وجوده لا قبله ولا بعده وهو كقوله تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم
تخرجون وهذه الدعوة في حال خروجهم لا قبله ولا بعده وقال بعضهم ما هو معلوم عند الله تعالى فهو بمنزلة
الحاضر الموجود وهذا من اضعف الاقاويل لان مخاطبة المعلوم قبل ايجاده محال وليس المعلوم بمنزلة
فيصح الخطاب معه الا ان يقول قايل ان المعلومات لم يزل فيكون قايلا بقدم العالم وما فيه من الاشخاص
ونعوذ بالله من سو هذا القول والخذلان قوله عز وجل وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله
او تاتينا اية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم
يوقنون قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالذين لا يعلمون يهود اهل المدينة وغيرهم من الكفار وقال
مجاهد اراد به النصارى لم يعلموا استحالة اتخاذ الولد لله سبحانه وتعالى وقال بعضهم هذا راجع
الى مشركي العرب قالوا هلا يكلمنا الله فيخبرنا بانك رسوله او تاتينا علامة لنبوتك يعنون الاية
التي كانوا يسالونها كما تقدم في قوله تعالى وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخر تلك
الايات يقول الله تعالى كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم يعني اليهود الذين قالوا لموسى عليه السلام
ارنا الله جهرة تشابهت قلوب الاولين والاخرين منهم في القسوة والكفر ويقال تشابهت قلوب
المشركين واليهود والنصارى في القسوة قد بينا الايات لقوم يوقنون يعني من ايقن فطلب الحق
فقد اتته الايات نحو بيان بعث النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في التورية وانشقاق القمر واعجاز
القران وغير ذلك قوله عز وجل انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن اصحاب
الجحيم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اغتم من تكذيب الفرق الثلاث بعد اقامة الحجة عليهم
فانزل الله تعالى هذه الاية تسلية له يقول يا محمد انا ارسلناك بالحق بشيرا تبشر المومنين بالثواب
ونذيرا تنذر الكفار بالعقاب ولست تسال في الاخرة عن الجحيم كما قال جل ذكره فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات وقال عز وجل ليس عليك هداهم وقال جل ذكره فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب
ومن قرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم بفتح التا على النهي فالتاويل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فانزل الله تعالى هذه الاية وقال بعضهم ان الله
تعالى اراد بهذا تفخيم امر العقاب كما يقول الانسان لغيره كيف حال فلان فيقول لا تسال
اي انه في نعمة عظيمة او شدة عظيمة قوله عز وجل ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولين اتبعت اهواهم بعد الذي جاءك

[هامش: شبه بقايم]

[هامش: اصحاب ـه]

من

من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير معناه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
حريصا على طلب رضى اليهود والنصارى طمعا ان يدعوا العناد ويرجعوا الى الحق فانزل الله تعالى
هذه الاية ويقال انهم كانوا يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة والمسالمة ويطمعونه
في انه ان هادنهم وامهلهم اسلموا فانزل الله تعالى هذه الاية وامره ان لا يعطيهم ما يلتمسون
من الهدنة واخبره انهم لا يرضون عنه بذلك قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
يقول يهود اهل المدينة ونصارى اهل نجران حتى تتبع سنتهم وطريقتهم وقيل حتى ترجع الى
قبلتهم قبلة بيت المقدس قل ان هدى الله هو الهدى اي الصراط الذي دعى الله تعالى اليه وهو
الذي انت عليه هو صراط الحق ولين اتبعت اهواهم يقول ان اتبعت ملتهم وصليت الى قبلتهم بعد
ما ظهر لك ان دين الله تعالى الاسلام وان القبلة قد حولت الى الكعبة ما لك من الله من ولي ولا
ينفعك ويحفظك عن عقابه ولا نصير يدفع مضرة عقابه عنك وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد به عامة الناس وهو نظير قوله تعالى ولين اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى
ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشرك وهذا كما يقال في المثل اياك اعني فاسمعي يا جاره والملة مأخوذ
من التاثير في الشيء كما يوثر الملة في الظلمة والملة الرماد الحار والموضع الذي تختبز فيه سمي به
لانه يوثر في ذلك الموضع وكذا يوثر كل دين فيمن دان به وفي هذه الاية دليل ظاهر في معرفة
النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يومن بعد هذه الاية من اوليك احد قوله عز وجل الذين اتيناهم
الكتاب يتلونه حق تلاوته اوليك يومنون به ومن يكفر به فاوليك هم الخاسرون
اعلام من الله تعالى ان من كان من علما بني اسرايل غير حاسد ولا متعنت ولا طالب رياسة تلا التورية
كما انزلت فامن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم عبد الله بن سلام واصحابه واثنان وثلثون رجلا
الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه من ارض الحبشة وثمانية من رهبان اهل الشام
يتلونه حق تلاوته يتبعونه حق اتباعه يقال فلان يتلو فلانا اي يتبعه قال الله تعالى والقمر اذا تلاها
وقيل معنى يتلونه يقرونه على حقيقة ما فيه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته اوليك يومنون
به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن يجحد بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران فاوليك هم الخاسرون
وهم كعب بن الاشرف واصحابه وقال بعضهم المراد بالذين اتيناهم الكتاب امة محمد والمراد بالكتاب
القران ومعنى يتلونه حق تلاوته يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ولا يحرفون
الكلم عن مواضعه ويومنون بمتشابهه ولا يتاولون منه شيا على غير تاويله قوله عز وجل
يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين خطاب لليهود على
جهة التقريع وتذكير لهم من الله تعالى عز وجل ما هم به عارفون يقول يا اولاد يعقوب عليه السلام
احفظوا منتي التي مننت عليكم وهو ما في التورية من البشارة بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
واني فضلتكم على عالمي زمانكم ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها من حيث المعنى ان عبد الله
بن سلام واصحابه استدلوا على نبوة عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بالكتاب الذي
في ايديهم فهلا تفعلون معشر اليهود كما فعلوا ولم لا تذكرون نعم الله تعالى عليكم وفايدة تكرار
قوله تعالى يا بني اسرايل ان هذه الاية اتصلت بقرينة لم يتصل بها الايتان المتقدمتان
والقرينة ما ذكر من حديث علما اهل الكتاب الذين اكرمهم بحقيقة علم التورية عبد الله
بن سلام واصحابه قوله عز وجل واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها
عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون رد على اليهود اعتمادهم على شفاعة ابايهم

[هامش: الظلمة بالفم الخبز ه من ص]

[هامش: سرون]

الانبيا صلوات الله عليهم و قد تقدم تفسير هذه الاية وقال الحسن قوله تعالى ولا تنفعها شفاعة ليس معناه انه يشفع لهم شفيع في الاخرة ولا ينفعهم ولكن معناه لا يشفع لهم احد في الاخرة فتنفعهم تلك الشفاعة وقيل فايدة تكرار القصص والالفاظ ان الله تعالى اراد بلطفه ورحمته ان يشهر هذه القصص في اطراف الارض ويلقيها في كل سمع ويثبتها في كل قلب ويزيد الحاضرين افهاما فان القران نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم ومن مذاهبهم ان التكرار ارادة التوكيد وزيادة الافهام كما ان من مذاهبهم ان الاختصار ارادة للتخفيف والايجاز ويقول القايل في كلامه والله لا افعل كذا ثم والله ما افعله اذا اراد التوكيد وحسم الاطماع من ان يفعله كما يقول والله افعله باضمار لا اذا اراد الايجاز والاختصار قال الله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وقال عز من قايل فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال الشاعر كم نعمة كانت لكم كم كم وكم وقال الاخر هلا سالت جموع كندة يوم ولوا اين اينا قوله عز وجل ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ معنى الاية واذكروا حين ابتلى ابرهيم ربه بكلمات قال ابن عباس اختبره الله تعالى بما تعبده من السنن وهي عشر خصال خمس منها في الراس وخمس في الجسد فاما اللاتي في الراس فالمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الراس اذا كان شعرا نيا واما اللواتي في الجسد فتقليم الاظفار والاستنجا بالما وحلق العانة ونتف الابط وعن عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما ابتلاه الله تعالى بالمناسك التي تعبده بها وهي عرفه والمزدلفة ورمي الجمار والطواف والسعي وكان الحسن رضي الله عنه يقول ابتلاه الله تعالى بامر عظيم فصبر عليه واحسن الظن بالله تعالى فاول ما ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس فعلم ان ربه دايم لا يزول ثم كان الابتلا بالنار فجعلها الله عليه بردا وسلاما ثم ابتلاه بالهجرة من اهله وولده فخرج منها جوا الى الله تعالى ثم ابتلاه بالختان على راس ثمانين سنة ثم ابتلاه بذبح الولد فاتخذه خليلا وجعل ملك الدنيا والنبوة في ذريته الى يوم القيمة وذكر عن لقمن انه قال لابنه يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمومن يختبر بالبلايا ومعنى قوله تعالى فاتمهن اي عمل بهن ولم يدع منهن شيئا قال اني جاعلك للناس اماما يا تم بك الناس فيتبعونك ويا خذون عنك قال ومن ذريتي اجعلهم رب ايمة يقتدى بهم قال لا ينال عهدي الظالمين اعلمه الله تعالى ان في ذريته الظالم وان الظالم لا يصلح ان يكون اماما للناس فلا ينالنا وله العهد الذي عاهد تك فان قيل كيف يصح هذا التاويل الذي ذكرتم ومن الملوك الكفار من يا تم به الناس قيل معنى الاية لا الزم الناس طاعة الكفار على ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والعهد في اللغة الامر والوصية ومنه عهود الخلفا الى الامراء والقضاة وعن السدي رحمه الله ان المراد بالعهد النبوة وقال الحسن رحمه الله ليس للظالمين عند الله عهد يعطيهم عليه خيرا في الاخرة وفي قراة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا ينال عهدي الظالمون وهذا قريب من الاول لان من نالك فقد نلته والابتلا وجهان احدهما الامر اي امر ابرهيم عليه السلام ربه يقال اختبرت فلانا بكذا اي امرته والثاني التجربة ومعنى التجربة من الله تعالى اظهار ما علمه في الازل وانما سمي ذلك ابتلا مع علم الله تعالى بعواقب الامور كلها لان الله تعالى يعامل عباده معاملة

والختان

المبتلى

المبتلى المختبر حتى انه لا يجازي احدا على ما يعلم انه سيفعله ما لم يقع منه كما لا يجازي المبتلى غيره ما لم يقع منه ذلك فلهذا جاز ان يسمي امر الله ابتلا وفي ابرهيم لغات قرا ابن عامر ابراهام وعن ابن الزبير ابرهام وعن ابي بكر ابراهيم وقيل ابرهم وذلك انه اسم اعجمي فاختلفوا فيه كما اختلفوا في جبريل وميكايل واطلاق لفظ الامام انما يتناول من يجب الايتمام به في دين الله تعالى وقد يسمى بذلك من يوتم به في الباطل قال الله تعالى وجعلناهم ايمة يدعون الى النار فسماهم ايمة لانهم انزلوهم منزلة من يقتدى بهم في امور الدين وان لم يكونوا ايمة يجب الايتمام بهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي الايمة المضلون وفي الاية دلالة ان الانسان لا يبلغ درجة الاخيار الا بالتعب وجهد النفس لان الله تعالى انما اكرم ابرهيم عليه السلام بكرامة الامامة بعد الابتلا قوله عز وجل ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ معنى الاية والله اعلم واذكروا اذ جعلنا الكعبة بحيث يثوب ويرجعوا اليه الناس في كل سنة في حجهم وعمرتهم مرة بعد اخرى قال ابن عباس لا يقضي احد وطره منه بل كل من حجه احب الرجوع اليه مرة بعد اخرى وقيل معنى مثابة اي يحجون اليه ويثابون عليه فاما قوله تعالى وامنا وصف البيت بالامن والمراد به جميع الحرم كما قال عز وجل هديا بالغ الكعبة والمراد بذلك الحرم لا الكعبة نفسها لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد فمعنى قوله تعالى في هذه الاية وامنا اي جعلنا الحرم مامنا كما قال الله تعالى في اية اخرى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا اي جعلنا الحرم ذا امن من ان يهاج فيه احد فكل من احدث حدثا في غير الحرم ثم لجا الى الحرم لم يتعرض له وهذا شي كانوا يتوارثونه من زمن اسمعيل فبقوا عليه الى ايام النبي صلى الله عليه وسلم وقد كانت العرب في الجاهلية تعتقد ذلك في الحرم وتستعظم القتل فيه كان الرجل يرى قاتل ابيه واخيه وابنه في الحرم فلا يتعرض له قال ابن عمر رضي الله عنهما لو وجدت قاتل ابي في الحرم ما هجته ومن الامن الذي جعله الله تعالى للحرم ان ساير بقاع الحرم مشابهة لساير بقاع الارض ثم يجتمع في الحرم الطير والكلب ولا يهيج الكلب الصيد ولا ينفر الصيد من الكلب حتى اذا خرجا من الحرم عدا الكلب على الصيد وعادهو الى النفور والهرب وذلك دلالة على توحيد الله تعالى وعلى تفضيل الله تعالى ابرهيم عليه السلام وتعظيم شانه فاما قوله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى قال ابن عباس رضي الله عنه مقام ابرهيم الحج كله عرفه ورمي الجمار والمزدلفة وقال مجاهد هو الحرم كله وقال السدي مقام ابرهيم هو الحجر المعروف بمكة وهو الذي وضعته امراة اسمعيل عليه السلام تحت قدم ابرهيم عليه السلام حين غسلت راسه وضع ابرهيم عليه السلام رجله على الحجر وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحجر فوضعته في الشق الاخر فغسلت الشق الاخر فغابت رجله الاخرى فيه وظهر اثر قدميه في الحجر وهذا كان من احدى معجزات ابرهيم عليه السلام حين جعل الله تعالى ذلك الحجر تحت رجله كالطين حتى ظهر اثر قدميه فيه وهذا القول هو الصحيح فانه روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقد وقفا على مقام ابرهيم عليه السلام اليس هذا مقام ابينا ابرهيم عليه السلام قال نعم قال افلا نتخذه مصلى فانزل الله تعالى هذه الاية وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا طاف بالبيت اسبوعا تقدم الى مقام ابرهيم فجعل المقام بينه وبين البيت وصلى ركعتين واما قوله تعالى مصلى قال بعضهم معناه مدعى من قولهم صليت اي دعوت وهذا راجع الى قول من جعل مقام ابرهيم عليه السلام الحج كله عرفة ومنى والمزدلفة وقال بعضهم اراد بقوله تعالى مصلى القبلة و هذا لا يصح لان الامة اجمعت على ان مقام ابرهيم عليه السلام لا يجوز ان يكون قبلة حتى لو نوى بالصلوة

قال في الكشاف وكيف يصلح لها الظالم من لا يجوز حكمه وشهادته ولا يجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلوة وكان ابو حنيفة رح يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضي الله عنه وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام كالدوانيقي واشباهه وقالت له امراة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشباهه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط الى هنا كلام الكشاف



مقام ابرهيم عليه السلام وعرف ان مقام ابرهيم ليس هو القبلة لم يجز صلوته بالاجماع وقال قتادة
معنى قوله تعالى مُصَلّى اى يصلون عنده وهذا هو الصحيح لما رويناه من خبر عمر رضى الله عنه فاما
معنى قوله تعالى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل اى امرناهما ان يطهرا بيتى مسجدى من الاوثان والنجاسات
وقال بعضهم اراد بتطهير البيت ان يبنياه على الحد الذى امرهم الله تعالى كما قال الله تعالى أَفَمَن
أَسَّسَ بنيانه على تقوى من الله ورضوان وقوله للطايفين اى الذين يطوفون بالبيت ويتنابونه من
كل وجه وهم الغربا والعاكفين هم المقيمون المجاورون والركع السجود هم المصلون وقال الحسن
اراد بذلك جميع المسلمين فان من شان المسلمين الركوع والسجود والمثابة لغة فى المثاب كالمقامة
والمقام يقال ثاب جسم فلان اذا رجع اليه بعد النحول وقيل انما ادخل الهاء فى المثابة للمبالغة
لكثرة من يثوب اليه كقولهم علامة ونسابة والطايف هو الدايرحول الشى يقال طاف اذا دار
والعاكف والمعتكف واحد والعكوف لزوم المكان يقال عكف يعكف ويعكف عكفا وعكوفا اذا
لزم المكان قال الخليل يقال عكف على الشى اذا اقبل بوجهه عليه ولم يصرف وجهه عنه وقوله
بيتى اضافة تفضيل اى بيت عبادى الذين تعبدتهم بقصده والطواف حوله والركع جمع راكع
مثل غازى وغزى والسجود جمع ساجد مثل شاهد وشهود وفى الاية دلالة ان مباح الدم اذا التجا
الى الحرم لا يتعرض له لان قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا امر من الله تعالى
للناس ان يومنوا فيه الناس لا انه خبر لان اخبار الله تعالى لا بد ان يكون مخبره على وفق
خبره الا ترى انه قال مثابة للناس ويجوز ان يكون قوله تعالى مثابة للناس على الوجوب فان
الحج يشتمل على طواف القدوم وطواف الزيادة والصدر وذلك كله لا يحصل الا بالعود الى البيت
مرة بعد اخرى وفى قوله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى دليل لزوم ركعتى الطواف ومن
قرا واتخذوا بنصب الخاء على الخبر فهو ثناء من الله تعالى على مصلى ركعتى الطواف وقد يذكر
بلفظ الخبر ويراد به الامر والله اعلم قوله عز وجل وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا
وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا
ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ معطوف على ما قبله من تذكير الله تعالى اهل الكتاب
نعمه عليهم وعلى سلفهم فى عطيته ايام المعنى واذكروا اذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا يعنى الحرم بلدا امنا يقول
ذا امن من القحط والجدب لا يكون الا ويوجد فيه انواع الثمار لانه كان اسكنهم بواد غير ذى زرع ولا
ضرع فسال لهم الامن من الجدوبة وقيل ان معناه امنا من الحرب اى حرما يا ديث فيه القتال وارزق
اهله من الثمرات من صدق منهم بالله وبالبعث قال جعفر الصادق رضى الله عنه احب ابرهيم عليه
السلام ان لا ياكل طعام الله الا الموحدون فاعلمه الله تعالى ان الدنيا باسرها لا خطر لها عند الله تعالى
واخبره انه لا يخلق خلقا الا رزقه فذلك قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا اى سارزقه فى الدنيا
يسيرا ثم اضطره فى الاخرة الى عذاب النار وبئس المصير صار واليه وقيل خشى ابرهيم عليه السلام
ان لا يستجاب له فى الرزق كما لم يستجب له فى الامامة فخص المومنين بالمسلة فى الرزق لهم فاعلمه الله تعالى
ان المومن والكافر فى الرزق سواء ومن قرا فامتعه بالتخفيف فهو من امتع يمتع وهو لغة وقرى فامتعه
قليلا ثم اضطره على لفظ الدعا ولفظ الامر اذا ذكرته مع من هو دونك يكون امرا على الحقيقة كقولك لغلامك
افعل كذا وكذا واذا ذكرته مع من فوقك يكون مسلة ودعا نحو قولك اعطنى واغفر لى وارحمنى فان قال قايل
اكانت مكة حرما امنا قبل دعوة ابرهيم عليه السلام او صارت حرما بدعايه قيل اختلف الناس فى ذلك
قال بعضهم صارت حرما بدعا ابرهيم عليه السلام واستدل بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال

انى حرمت المدينة كما حرم ابرهيم عليه السلام مكة وقال بعضهم وهو الاصح كانت مكة حرما امنا قبل دعا ابرهيم
عليه السلام كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض
وجعلها بين الاخشبين يعنى بين جبلين فعلى هذا كانت مكة حرما امنا قبل دعا ابرهيم عليه السلام
من الخسف ومن عذاب اهله بالاصطلام وكان الله تعالى جعل فى قلوب الناس هيبة لذلك المكان
حتى كانوا لا ينتهكون حرمته من فيه بحال ولا نفس ثم بدعا ابرهيم عليه السلام صارت حرما امنا بان
امر الله تعالى الناس بتعظيمه على السنة الرسل عليهم السلام والواو فى قوله تعالى ومن كفر دليل على اجابة الله
تعالى دعوة ابرهيم عليه السلام خاصة لمن امن منهم بالله واليوم الاخر ودليل استقبال اخبار بتمتيعه
عز وجل من كفر قليلا ولولا الواو لكان ما بعده منقطعا من الاول غير دال على استجابة الله تعالى ابرهيم
عليه السلام فيما ساله قوله عز وجل وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ
أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ عطف على ما قبله وذلك انه روى فى الاخبار ان ادم عليه السلام كان قد بنا البيت
ثم عفى اثره بعد الطوفان فامر الله تعالى ابرهيم واسمعيل عليهما السلام ان يبنياه وبعث سحابة فيها
راس يتكلم فقالت يا ابرهيم عليك السلام ابن بحيالى فكان ابرهيم عليه السلام يبنى البيت واسمعيل
عليه السلام يناوله الحجارة والمليكة عليهم السلام ينقلون الحجر من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا
والجودى ولبنان وحرا فلما فرغا من البنا جثيا على الركب فقالا عليهما السلام ربنا تقبل منا انك انت
السميع العليم فقيل قد فعلت ذلك كما قالا عليهما السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك فقيل قد فعلت ذلك بكما فقالا
عليهما السلام ومن ذريتنا امة مسلمة لك الى اخر الايتين ومعنى هذه الاية والله اعلم واذكروا اذ يبنى
ابرهيم واسمعيل عليهما السلام القواعد من البيت يقول اساس الكعبة وهما يقولان ربنا تقبل منا
بنيانا انك انت السميع لدعاينا العليم بنياتنا ونظير هذه الاية قوله تعالى والمليكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم اى يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم وكذلك قوله تعالى و
المليكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اى يقولون اخرجوا انفسكم ويجوز اضافة البنا الى اثنين و
ان كان الباني احدهما اذا كان الاخر سببا فى ذلك البنا كما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما
قبض غسله ستة نفر ومعلوم بان الغاسل كان واحدا واثنين فى الباقون كانوا يتعاونون
فى غسله والقواعد جمع قاعدة وهى اساس البنا وكل قاعدة اصل للذى فوقها والتقبل ايجاب
الثواب على العمل تشبيها بقبول الهدية فان الملك اذا قبل الهدية اثاب المهدى عليها وروى
عن ابن عمر رضى الله عنهما ان ادم عليه السلام لما اهبط الى الارض امره جبريل عليه السلام
بان يحج الكعبة ودله على مواضع المناسك والطواف والوقوف بعرفة والمزدلفة ورمى الجمار
فلما فرغ من الحج استقبلته المليكة وقالوا له بر حجك اى تقبل الله تعالى منك ذلك حججنا
قبلك هذا البيت بالفى عام والله اعلم قوله عز وجل رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً
مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ حكاية عن دعا ابرهيم واسمعيل عليهما
السلام قالا ربنا واجعلنا مخلصين موحدين لك اى ادم لنا توفيقك وتسديدك وزدنا من الطاعة
وفوايدك واجعل من ذريتنا امة مخلصة لك بالتوحيد والطاعة وعرفنا متعبداتنا وتجاوز
عن ذنوبنا اى الصغاير التى اتيناها او ناتيها لان ذنوب الانبياء عليهم السلام لا تكون الا الصغاير
التى لا تزيل الولاية ولا تخرج من العدالة والطهارة انك انت المتجاوز عن ذنوب العباد الرحيم بهم
والاسلام فى اللغة الاستسلام للشى والخضوع له والمسلم لله تعالى المظهر لقبول امر الله تعالى المبطن
مثل ما يظهر وهو مومن ومسلم مصدق بالقلب خاضع مستسلم فى الظاهر وقد يكون معنى الاسلام الاخر

في السلامة باظهار الخضوع مع اعتقاد الكفر على ما قال الله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا
ولكن قولوا اسلمنا وفي قوله تعالى ارنا ثلثة اوجه بالتحقيق والتسكين والاختلاس فمن حقق فهو
على الاصل لانه كان في الاصل ارإنا فاستثقلت وحذفت الهمزة ونقلت كسرتها الى الرا دليلا على الهمزة
ومن قرا بسكون الرا فهو التخفيف كما يقال عَضْد وفَخْذ بسكون الضاد والخا الا ان مثل هذا السكون
انما يستعمل في اللفظ الواحد فاما في اللفظين فلا ومن اختلس قال التحقيق يودي الى توالي الحركات
والتسكين يودي الى الاجحاف لما فيه من حذف الهمزة والحركة جميعا فالوجه ان يختلس ويقرا بين
الحركة والسكون والمناسك جمع المنسِك والمنسَك الموضع الذي يتقرب فيه الى الله تعالى واصل
النسك الذبح يقال نسكت اي ذبحت والنسيكة الذبيحة المتقرب بها الى الله تعالى ثم اتسعوا فيه
حتى جعلوا المنسك موضع الطاعة والعبادة ومنه قيل للعابد ناسك ومناسك الحج ما تقتضيه
من الذبح وساير افعاله قال النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الاضحى اول نسكنا في يومنا هذا الرمي
ثم الذبح ثم الحلق قوله عز وجل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم قال اي ربنا وابعث في ذريتنا رسولا منهم
يتقول من اهل نسبهم يقرا عليهم علامات وحدانيتك ويعلمهم الكتاب الذي ينزل عليه ومواعظ
الكتاب ومعانيه وقيل اراد بالحكمة فقه الحلال والحرام ويقال اراد بالحكمة الكتاب ايضا
الا انه خالف في اللفظ للتاكيد وزيادة الفايدة كما في قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان
وضيا وذكرا للمتقين ومعنى ويزكيهم يطهرهم من الكفر والفواحش وقيل يصلحهم باخذ زكوة اموالهم
وقيل ينميهم اي يكثرهم وتبقى اثارهم بعدهم انك انت المنيع الذي لا يغلبه شي الحكيم الذي
يحكم بما يريد ويقال هو الذي يكون عمله موافقا للعلم والمراد بالرسول في هذه الاية محمد صلى الله
عليه وسلم وبالكتاب القران روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا دعوة ابي ابرهيم
عليه السلام وبشرى اخي عيسى عليه السلام اراد بالدعوة هذه الاية وبالبشرى قوله تعالى
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد والحكمة ماخوذة من حكمة الدابة لان الحكمة تمنع صاحبها
من الجهل كما تمنع الحكمة الدابة يردها عن غربها وافسادها والزكوة في اللغة عبارة عن
النما يقال زكى الزرع اذا نما والزكوة الطهارة ايضا يقال فلان زكي فلانا اذا شهد له
بالطهارة والعزة الغلبة من ذلك قولهم من عز بز اي من غلب سلب ويقال عز الشي اذا لم
يوجد له نظير والعزيز الذي عجز خلقه عن ادراكه فعلى هذا يكون معنى العزيز في اسم الله تعالى
الذي لا نظير له والحكيم قد يكون بمعنى الحاكم وهو فعيل بمعنى الفاعل كالعليم والسميع قوله عز
وجل ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين عرض من الله تعالى على ملة نبينا صلى الله عليه وسلم التي هي ملة ابرهيم عليه السلام
لان ابرهيم واسمعيل عليهما السلام كانا سالا في دعائهما ان يجعل الله تعالى من ذريتهما بمكة
رسولا لان الكلام كان في ذكر مكة ولم يكن احد من اهل مكة من ذريتهما نبيا سوى نبينا صلى الله عليه
وسلم وملة ابرهيم عليه السلام داخلة في ملة نبينا صلى الله عليه وسلم مع الزيادات التي في شرايع
هذه الملة ومعنى هذه الاية اي احد يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه ولفظة من يرغب استفهام
مع انكار وتقريع يقتضي نفيا اي لا يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه اي الا السفيه واختلفوا في
معنى قوله تعالى الا من سفه قال الكلبي خسر وقال ابو عبيدة اهلك واوبق وقال بعض اهل اللغة سفه
بمعنى سفّه قال يونس النحوي يجوز ان تقول سفهت زيدا اي سفهته وقال الزجاج معنى سفه نفسه

اي جهل نفسه يعني لم يفكر في نفسه ان لها خالقا وذلك ان الله تعالى اقام للعقلا الادلة على التوحيد
في نفس الانسان وتركيبه واختلاف احواله ولذلك قال سبحانه سنريهم اياتنا في الافاق وفي
انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وقال عز من قايل وفي انفسكم افلا تبصرون وقال الرسول صلى الله
عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه كانه تعالى يقول من يرغب عن ملة ابرهيم التي هي اخلاص
العبادة لله تعالى ويتبع ما تعبده الامم من الاصنام فهو جاهل بنفسه حين تعبد حجرا او شمسا او
قمرا وهذا حجة في التوحيد وجيزه قال قطرب وغيره اراد بقوله تعالى من سفه نفسه من سفه نفسا
ثم ذكر النفس واضاف توكيدا لان النفس هي المعنى وهذا كما يقال هذا الامر بعينه وهذا الامر نفسه و
قيل معناه سفهت نفسه فنقل الفعل من النفس الى ضمير من ونصب النفس على التشبيه بالتفسير كما
طاب زيد بامره نفسا وقر به عينا ووجع زيد راسه وقال بعضهم معنى سفه نفسه سفه في نفسه
الا انه حذف حرف الخفض فنصب ما بعده كما في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح ويقال
ضربت فلانا الظهر والبطن اي على الظهر والبطن والسفه في اللغة خفة العقل فكان انفسهم خفت
عندهم اذ حملوها على الكفر بملة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي ملة ابرهيم عليه السلام لان الذي بعث
محمدا صلى الله عليه وسلم شرف العرب واعز قدرها فالراغب عن ذلك لا يكون الا سفيها خفيفا ذليلا
بعقدوله من عزه وشرفه ولفعله ما يستحق به ذل الدنيا والاخرة ولقد اصطفيناه يعني ابرهيم عليه السلام
في الدنيا اجتبيناه واخترناه بالرسالة وانه في الاخرة لمع ابايه المرسلين المستوجبين الثواب والكرامة
على الله تعالى والرغبة في اللغة هي محبة ما للنفس فيه منفعة ولهذا لا يجوز في صفات الله تعالى راغب
لانه لا يجوز عليه المنفعة والرغبة من الاضداد يقال رغب في كذا اذا مال اليه واحبه ورغب عن كذا
اذا هجره واعرض عنه والاصطفا افتعال من الصفوة والصالح في الحقيقة من كان في غاية الرفعة و
ان استهله الناس في وسط من الاشيا لان الصلاح ضد الفساد قوله عز وجل اذ قال له ربه اسلم
قال اسلمت لرب العالمين متصل بقوله تعالى ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اصطفيناه حين قال له ربه
اسلم وذلك حين خرج من السرب وراى الكوكب والشمس والقمر فلما افلت الشمس وراى ابرهيم عليه السلام
تلك الايات والادلة الهمه الله تعالى الاخلاص فاستدل وعرف وحدانية الله تعالى قال الحسن
رضي الله عنه فاسلم حينيذ وقال اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
الاية وليس معنى قول الحسن رضي الله عنه انه اسلم حين افلت الشمس انه كان كافرا قبل ذلك لان الله تعالى
لا يتنبى من كان كافرا قط لكن معناه لما توجه التكليف عليه في تلك الحالة ومن توجه عليه التكليف
نظر واستدل حتى عرف الله تعالى وقال حينيذ اسلمت اخلصت لرب العالمين ويجوز ان يكون معنى الاسلام
تسليم الامور الى الله تعالى والانقياد له من غير امتناع وعصيان اخبر الله عز وجل عن حسن اجابته
وقبوله ما امر به عندما وضح له من البرهان من غير ميل الى هوى ولا عصبية قوله عز وجل ووصى بها
ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون المعنى
والله اعلم امر بالملة ابرهيم بنيه ويعقوب بنيه ويقال ووصى بكلمة الاخلاص لا اله الا الله بنيه
وهم اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومداين وكناية الملة في هذه الاية اصح لان ردكنايه الى المذكور
اولى من ردها الى المدلول وكلمة الاخلاص مدلول عليها في ضمن قوله تعالى اسلمت لرب العالمين فاما
قوله تعالى ويعقوب يقرا بالرفع والنصب فمن قرا بالنصب فالمعنى وصى بها ابرهيم بنيه وحافده
يعقوب ثم ذكر وصية يعقوب عليه السلام في الاية التي بعد هذه الاية ومن قرا يعقوب بالرفع فالمعنى
ثم وصى بها يعقوب بنيه الاثني عشر وذلك لما دخل مصر راى اهلها يعبدون الاوثان والاصنام

والنيران فوصى بنيه فقال يا بني ان الله اختار لكم الدين يعني الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون
اى لا يصادفكم الموت الا وانتم على حالة الاسلام يعني الزموا الاسلام واثبتوا عليه وهو كما تقول
الرجل لاخر لا ارينك هاهنا غداً لا يريد به نهي نفسه عن الروية لكن معناه لا تكونن هاهنا حتى لا اراك
ووصى واوصى لغتان من التوصية والايصاء والتوصية نقيض الاهمال وهي اوكد من الامر المطلق
وفي الآية دليل ان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ما كانوا يهتمون الا بامر الدين وما كانوا يقصرون
وصاياهم الا عليه وكل ذلك ليعتبر الناس فيسلكوا هذه الطريقة وفي قوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون
حث على الاسلام على الفور وفي كل حال وذلك ان المراد ان من لم يامن الموت في كل طرفة عين ثم امر
بالشيء ان ياتيه قبل الموت صار مامورا به في كل وقت وفي كل ساعة لانه مامور بما لا يامنه في كل
وقت فنخشى ان لم يبادر اليه تعاجله المنية فيفوته الظفر بالنجاة ويخاف الهلاك فيصير مدخلا نفسه
في الخطر والغرور روى انه لما نزلت هذه الاية قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان
يعقوب عليه السلام يوم مات اوصى بنيه بدين اليهودية فانزل الله تعالى قوله عز وجل ام
كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله
آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون معناه اكنتم ايها اليهود حضورا
حين حضر يعقوب عليه السلام الموت اذ قال لبنيه يا اولادي اي شيء تعبدون من بعد موتي قال ذلك
امتحانا لهم فاجابوه بلب وعقل وقالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم الخليل واسمعيل الصادق و
اسحق الحليم الها واحدا لا شريك له ونحن له مسلمون مخلصون معترفون بالعبودية والتوحيد وكان
اسمعيل عم يعقوب عليه السلام ولكن العم في عرف العرب بمنزلة الاب ويجب تعظيم الاعمام مثل
ما يجب تعظيم الآباء والاجداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه والمراد بحضور الموت
في الاية اسباب الموت لان من حضره الموت لا يتمكن من القول والوصية وقد يسمى سبب الشيء باسم ذلك الشيء
كما ان الفعل لما كان سببا الى الجزاء قيل للجزاء بالجزاء وقد قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها واذ الثانية في
الآية بدل من اذ الاولى وهما جميعا في موضع النصب والعامل فيهما معنى الشهادة في اول الآية وقرا بعضهم
اله ابيك تقديره اله ابيك ابرهيم واله اسمعيل واسحق عليهم السلام كما تقول رايت غلام زيد وعمرو اي
غلامهما وموضع هذه الاسامي خفض على البدل من آبائك وقوله تعالى الها واحدا نصب على البدل من الهك
وقيل على الحال اي في حال وحدانيته قوله عز وجل تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم و
لا تسألون عما كانوا يعملون اي لا تتكلوا ايها اليهود على آبائكم واسلافكم اعتمادا منكم على شفاعتهم
فانهم جماعة وعصبة قد مضت لها جزاء ما عملت من خير او شر ولكم جزاء ما عملتم من خير او شر وانما تسألون
عن اعمالكم لا عن اعمال غيركم ونظير هذه الاية قوله تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر
اخرى وروى ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابنه فقال اما انه لا يجني عليك ولا
تجني عليه الا انه لا يوخذ بجنايتك وانت لا توخذ بجنايته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال يا بني هاشم لا ياتيني الناس يوم القيمة باعمالهم وتاتوني بانسابكم فاقول اني لا اغني عنكم من الله
شيئا وقال صلى الله عليه وسلم من ابطا به عمله لم يسرع به نسبه قوله عز وجل وقالوا كونوا هودا
او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين في الآية ايجاز واختصار
المعنى قالت اليهود كونوا هودا فان ديننا الحق ونبينا افضل وقالت النصارى كونوا نصارى فان
ديننا افضل الاديان ونبينا افضل الانبياء صلوات الله عليهم قال الله تعالى قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم
بل نتبع ملة ابرهيم حنيفا اي مسلما مخلصا مائلا عن كل دين سوى دين الاسلام ومعنى وما كان من

المشركين

المشركين اي ما كان ابرهيم عليه السلام منهم على دينهم وقوله تعالى تهتدوا جزم على الجواب الامر
المعنى ان تكونوا على هذه الملة تهتدوا ويجوز ان يكون نصب ملة على معنى بل تكون اهل ملة ابرهيم
عليه السلام فحذف الاهل كما في قوله تعالى واسال القرية والاصل في الحنف ميل اصابع القدمين
يقال رجل احنف وامراة حنفاء اذا كانت تميل قدماها كل واحدة منهما الى اختها باصابعها و
حكي ان ام الاحنف بن قيس كانت ترقصه وتقول والله لولا حنف برجله ودقة في ساقه من
هزاله ما كان في فتيانكم من مثله وسمي ابرهيم حنيفا لانه حنف عما كان يعبد اباؤه وقومه
من الالهة اي عدل عن ذلك وكان يسمى في الجاهلية من اختتن وحج البيت حنيفا وقيل معنى
الحنيف هو الذي يكون على الدين المستقيم حكي عن بعض اهل اللغة ان الحنف الاستقامة وانما
سمي الرجل المعوج الاحنف على التفاول كما يقال للاعمى البصير وللمهلكة مفازة فان قيل
كيف نتبع ملة ابرهيم عليه السلام ولنا شرايع لم تكن مشروعة من قبل قيل اصل العقد توحيد الله
والايمان برسله ولا اختلاف في ذلك والفايدة في ذكر ملة ابرهيم عليه السلام في هذه الآية ان
تلك ملة لا شك انها حق عندنا وعند اليهود والنصارى على اختلاف مقالاتنا وتبرى بعضها
من بعض فكانه تعالى يقول ان كان طريق اتباع الدين التقليد والرجوع الى قول من يدعو
الى دينه فالاولى في ذلك اتباع الملة التي قد حصل الاتفاق على انها حق ودين ورد ما فيه اختلا
ولم يختلف الناس ان ملة ابرهيم عليه السلام الاسلام والتوحيد لانه لا شرك في شريعته لا
من جهة التصريح ولا من جهة المعنى ليس هو كدين اليهود والنصارى لان من دين اليهود ما يزعمون
ان النسبة مصرح ببطلان التوحيد ويقولون عزير ابن الله ومن دين النصارى التثليث فقد بانت
حجة المسلمين عليهم ونظيرها قوله عز وجل قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم و
اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم
لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون وذلك ان الله تعالى لما اخبر عن هولاء المبطلين
في الاية المتقدمة وبين الحجة عليهم بين بعد ذلك ما يقوله المحقون وعلمهم كيفية القول في الايمان
بهذه الحجة قال ابن عباس رضي الله عنه جاء احبار اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا بمن
نؤمن من الانبياء صلوات الله عليهم فانزل الله تعالى هذه الاية قولوا امنا بالله فلما انتهى النبي صلى
الله عليه وسلم الى قوله وعيسى قالوا لا نؤمن بعيسى ولا بمن امن بعيسى عليه السلام وقالت النصارى
نؤمن بعيسى وموسى عليهما السلام ولا نؤمن بك فانزل الله تعالى قوله قل يا اهل الكتاب هل تنقمون
منا الا ان امنا بالله الى اخر الاية والله تعالى اعلم ومعنى هذه الاية قولوا صدقنا بالله بانه واحد لا
شريك له وصدقنا بما انزل على نبينا من القران وبما انزل من الصحف على ابرهيم عليه السلام التي كان
يعمل بها هو واولاده واحفاده من بعده وصدقنا بما اوتي موسى وهو التورية وعيسى وهو الانجيل
وبما اعطي النبيون كلهم صلوات الله عليهم من الكتب من عند ربهم لا نفرق بين احد منهم في الايمان
لا نفعل كما فعلت اليهود والنصارى قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومعنى ونحن له مسلمون اي
مخلصون لله بالعبادة والتوحيد وانما اضاف الله تعالى في هذه الآية ما انزل الى اسمعيل و
اسحق ويعقوب والاسباط وانما كان انزل على ابائهم لانهم كانوا جميعا يعملون بذلك فاضاف
الانزال اليهم كما قال وما انزل الينا واراد ما انزل الى نبينا صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني
يعقوب عليه السلام كالقبائل في بني اسمعيل عليه السلام وهم اثنى عشر سبطا من اثنى عشر ولدا
ليعقوب عليه السلام كل سبط يرجع الى اب على حدة قوله عز وجل فان امنوا بمثل ما امنتم

يوحد فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ترغيب
لهم في الايمان التام الكامل وبيان ان من يومن بنبي ولا يومن باخر وطريقتهما في المعجزة واحدة
لا يكون على التحقيق مومنا بالاول ومعنى الاية ان صدقوا واقروا كمثل اقراركم بالله ورسله و
كتبه فقد اهتدوا من الضلالة وان ابوا واعرضوا عن قبول الايمان بالقران وبمحمد صلى الله
عليه وسلم فانما هم في خلاف من الدين وعداوة فسيكفيكهم الله وساير المسلمين شرهم وهو السميع لمقالة
اليهود والنصارى العليم بهم وبعقوبتهم والشقاق في اللغة مفارقة الحق من قول الناس فلان شق
عصى المسلمين اى فارق ما اجتمعوا عليه من اتباع امامهم وصار في شق غير المسلمين وقال بعضهم
الشقاق مشتق من المشقة فان كل واحد من العدوين يفعل ما يشق على صاحبه والفا في قوله تعالى
فسيكفيكهم الله ناسقة لنظم الكلام والسين سين الوعد والكاف الثانية للخطاب والهاء والميم كناية
عن اليهود والنصارى والخطاب والكناية كلاهما في موضع النصب لان الكفاية تتعدى الى
مفعولين تقدير الكلام سوف يرفع الله تعالى عنك مونة هولا الكفار فان قال قايل كيف قال عز
ما امنتم وليس لله تعالى مثل قيل قد اختلف الناس في جواب هذا السوال قال بعضهم الباء زايدة كما
في قوله تعالى وكفى بالله شهيدا معناه كفى الله وقال بعضهم معنى الاية فان امنوا على مثل ما امنتم
به وهذا كما يقال كتبت بمثل ما كتبت وعلى مثل ما كتبت اى اخذت كتابتك مثالا فكتبت عليها
وقيل عن بعضهم مثل زايدة كما يقال مثلي لا يقبل من مثلك اى انا لا اقبل منك وقيل لا يحتاج
هاهنا الى اسقاط شي منها ومعنى الاية فان صدقوا كتصديقكم واقروا كاقراركم فقد اصابوا الحق
وفي الاية ضمان من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يكفيه امر اعدايه وكفاه مع كثرة عددهم
وحرصهم على قتله وفي هذا دليل صحة نبوته صلى الله عليه وسلم اذ لا يجوز اتفاق وجود مخبره
على ما اخبر به في جميع اخباره الا وهو من عند الله تعالى عالم الغيب والشهادة كما قال جل ذكره
ليظهره على الدين كله وقال عز من قايل كتب الله لاغلبن انا ورسلي ونحو ذلك من الايات
قوله عز وجل صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون
بيان وصف كلمة التوحيد وهو متعلق بقوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا ومعنى
هذه الاية والله تعالى اعلم دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها واى احد احسن
دينا منه ونحن له عابدون موحدون وانما سمي الدين صبغة لان دين الاسلام يوثر في
المتدين في الطهور والصلوة والسكينة والوقار وساير شعار الاسلام كالصبغ الذي يكون
في الثوب يبين به المصبوغ عن غيره في الحسن والبراقة ولا شي في الاديان احسن من
دين الاسلام يظهر لكل ذى حاسة سليمة فضل الاسلام على ساير الاديان ولا يجوز ان يكون
ما خرج عن دين الاسلام حسنا ويقال اراد بالصبغة الختان على معنى ان ذلك يوثر في المختون
قال ابن عباس رضي الله عنه وذلك ان صنفا من النصارى كان اذا ولد لاحدهم ولد فاتى
عليه سبعة ايام صبغوه اى غمسوه في ماء لهم يقال له المعمودي ليطهروه بذلك وقالوا هذا
طهوره مكان الختان فقيل لهم صبغة الله اى التطهير الذي امر الله به ابلغ في النظافة والختان
طهور طهر الله تعالى به ابرهيم عليه السلام وكان اول من اختتن بالقدوم وهو موضع بالشام
قال الكلبي كان يومئذ ابن ماية وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة وقال قتادة ان
اليهود كانوا يصبغون اولادهم باليهودية والنصارى بالنصرانية اى كانوا يلقنونهم اليهودية
والنصرانية حتى كان يتشرب حب اليهودية والنصرانية في قلوبهم وهو ما روى عن عمر رضي

عين المعمودي م

هو م

الله عنه

الله عنه انه اخذ على نصارى بني تغلب العهد ان لا يصبغوا اولادهم ولكن يتركونهم حتى اذا
بلغوا اختاروا لانفسهم ما شاوا من الاديان واخبر الله تعالى ان صبغة الله تعالى خير من
صبغة اليهود والنصارى وقيل صبغة الله تعالى ان يصبغ قلب المومن بماء الرحمة فيطهره
ويطيبه بماء ليس بارضي ولا سماوي قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب ونصب صبغة الله تعالى على
الاغرا اى الزموا وعلى تقدير بل ملة ابرهيم عليه السلام صبغة الله تعالى قوله عز وجل قل اتحاجو نا
في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون وذلك ان اليهود
كانوا يقولون نحن اهل الكتاب الاول والعلم القديم وكانوا يقولون والنصارى معهم نحن ابنا
الله واحباوه وكانوا يعيبون العرب بان كان فيهم عبدة الاوثان فامر الله تعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم ان يقول لهم اتحاجوننا في الله تعالى ويقول لم تخاصموننا في دين الله تعالى
وانتم تقولون ان ربنا وربكم واحد ولنا اعمالنا لا نوخذ باعمال سلفنا ولا تضرنا عبادة من
عبد الاوثان منا اذ لم نعبدها نحن وكذلك انتم لكم اعمالكم لا توخذون باعمال سلفكم وكلا
تثابون على ذلك ونحن لله تعالى مخلصون بالعبادة والتوحيد لا ندعي معه شريكا ولا صاحبة
ولا ولدا واما انتم فكلكم او اكثركم مشبهة فيجب ان ينظر اينا اصلح عملا واخلص لله تعالى
نحن ام انتم ويقال هذه الاية جواب لمن كان يضاهي المشركين من اهل الكتاب معناه انتم
تقولون ان ربنا وربكم واحد فلم تظاهرون علينا من لا يوحد الله تعالى ان تعلقتم في امرنا
بالتوحيد فنحن موحدون وان تعلقتم باتباع دين الانبيا صلوات الله عليهم فنحن متبعون
والمحاجة المجادلة والمخاصمة وطلب كل واحد من الفريقين اقامة الحجة على صاحبه من قولهم
حاججت فلانا فحججته ومن قرا اتحاجوننا بنونين فعلى اصل الكلمة ومن قرا بنون واحدة مشددة
فعلى ادغام النون الاولى في الثانية لاجتماع الحرفين من جنس واحد ومن قرا بنون واحدة
مخففة فلانه اجتمع حرفان من جنس واحد فحذف احدهما تخفيفا كما في قوله تعالى فبم تبشرون
اصله تبشرونني قوله عز وجل ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب و
الاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون مردود على ما تقدم المعنى اتحاجوننا بقولكم
كونوا هودا او نصارى تهتدوا وقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ام بقولكم
ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى مع علمكم ومعرفتكم
بخلاف ذلك وهذا استفهام بمعنى التوبيخ فانهم كانوا يوهمون ان الدين الصحيح هو
اليهودية او النصرانية وان هولا الانبيا صلوات الله عليهم تمسكوا بها يقول الله عز وجل
قل انتم اعلم ام الله فان الله تعالى قد اخبرنا انهم كانوا مسلمين فقالوا ما هو كما قلت و
انا على دين ابرهيم عليه السلام وما انت برسول الله تعالى ولا على دينه فانزل الله تعالى
هذه الاية ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني به علما اليهود والنصارى لانهم
علموا ان ابرهيم واسمعيل واسحق صلوات الله عليهم كانوا حنفا مسلمين وان رسالة نبينا صلى
الله عليه وسلم حق بينه الله في التورية والانجيل فكتموه حسدا وطلبا للرياسة ثم اوعدهم الله
جل ذكره بقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون اى لا يخفى عليه شي من اعمالكم من كتمان بعث النبي
صلى الله عليه وسلم وصفته يجازيكم على ذلك في الاخرة قوله تعالى ام يقولون يقرا بالياء والتاء في

قرا بالتا كانت ام متصلة على معنى باى الحجتين يتعلقون على نحو ما ذكرناه ومن قرا باليا كانت ام منقطعة ويكون هذا انقطاعا الى نوع احتجاج اخر غير الاحتجاج الاول والله اعلم قوله عز وجل تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ قد تقدم تفسيره من قبل فاما تكرار هذه الاية فان بعضهم المراد بالاول بنوا يعقوب واباؤه عليهم السلام والمراد بالثانية الاسباط وقال بعضهم ان القران انما نزل على عادة العرب ومن عادة العرب انهم يذكرون الجواب الواحد في اوقات مختلفة لاغراض مختلفة فيعدون ذلك فصاحة لا عيبا وانما يعاب تكرار الكلام في مشهد واحد وغرض واحد والله تعالى اعلم قوله عز وجل سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة نحو الكعبة وربما كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فلما هاجر الى المدينة امر بان يصلي الى بيت المقدس لئلا يكذب به اليهود اذا صلى الى قبلتهم لان نعته في التورية ان يكون صاحب القبلتين فصلى الى بيت المقدس نحوا من سبعة عشر شهرا او ثمانية عشر شهرا ثم امره الله تعالى بالتحول الى الكعبة ليمتحن اهل الاسلام فيظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه من منافقي اليهود وغيرهم فلما حول الله تعالى القبلة الى الكعبة بعد اقامته الحجة على الكفار في باب التوحيد ثم في عظم حرمة الكعبة ثم في باب الانبيا صلوات الله عليهم ودينهم وملتهم علم ان الكفار يقولون في نسخ القبلة اشيا يوذون بها النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما سيقولون في المستانف ليتعجل التسلي ويعرف ان ذلك من باب الوحي والغيب وكان كذا اخبر الله تعالى في المعجزات ومعنى الاية والله اعلم سيقول الجهال من الناس ما الذي صرفهم يعنون اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وهي قبلة بيت المقدس قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لله المشرق والمغرب اي هو خالقهما وخالق جميع الاماكن يرشد من يشاء الى طريق قايم يرضاه وهو دين الاسلام وقبلة الكعبة واختلف المفسرون رحمهم الله في الجهال المذكورين في هذه الاية قال ابن عباس والبرا بن عازب ان هولاء هم اليهود عابوا النبي صلى الله عليه وسلم حين امر الناس بالتوجه الى الكعبة فانكروا النسخ من طريق العقل وقالوا انه يشبه البدا وذلك لا يجوز على الله تعالى وفي قوله تعالى قل لله المشرق والمغرب رد عليهم لان من كان مالك المشرق والمغرب لا يعترض عليه في جميع ما يامر ويجوز ان يكون معناه ان الله تعالى خالق الاماكن كلها فليس بعض ما خلق اولى ان يجعل قبلة في العقل من بعض فوجب الانتهاء الى امر الله تعالى باستقبال ما شا الله فانما يتشرف الجهات في المشرق والمغرب بتشريفه اياها وبعبادة الله تعالى فيها وقد بين الله تعالى في الاية التي بعد هذه الاية الحكمة التي اوجبت التحويل الى الكعبة مصلحة للعباد ومن الحجة على اليهود ان تزويج الاخ بالاخت كان مباحا لولد آدم عليه السلام من صلبه ولولا ذلك لم يكن بينهم توالد ثم هو محرم في شريعة التورية وساير الشرايع وكما جاز من الله تعالى ان يحيي ويميت ويصح واحدا ويمرض اخر ويغني واحدا ويفقر اخر وتخالف بين احكام العباد فيتعبد بعضهم بضد ذلك الحكم في زمان واحد نحو تحريم الصلوة والصوم على الحايض وايجابهما على الطاهر على حسب ما علم الله تعالى من مصالحهم ولم يكن شي من ذلك دليلا على البدا فكذلك لا يمتنع ان يخالف بين احكام العباد في زمانين واما من زعم من اليهود ان النسخ بالعقل جايز الا ان موسى عليه السلام اخبرهم ان شريعة التورية وتحريم السبت لا تنسخ ابدا فالجواب عنه ان التورية قد اثبتت عن

نبوة انبيا الله صلوات الله عليهم بعد موسى عليه السلام فكان تحريم السبت معلقا بنبوة الانبيا عليهم السلام بعد موسى عليه السلام فاذا الذي احله مقرونا الى لفظ التحريم وتخصيصا له كانه قال حرموا السبت ما لم احله على لسان نبي بعد موسى عليه السلام كما كان يجوز ان يقول لموسى عليه السلام تمسك بتحريم السبت ما لم احله على لسانك وقال الحسن رضي الله عنه نزلت هذه الاية في مشركي العرب قالوا للنبي صلى الله عليه السلام بعدما تحول الى الكعبة من بيت المقدس رغبت عن قبلة ابايك ثم رجعت اليها فوالله لترجعن الى دينهم كما رجعت الى قبلتنا وقال السدي رحمه الله نزلت هذه الاية في المنافقين حين استهزوا بالمسلمين بتوجههم في الابتدا الى بيت المقدس ثم رجوعهم الى الكعبة وكانوا يقولون تردد على محمد صلى الله عليه وسلم امره فما هذا الذي هو يفعله يصلي حينا الى ها هنا وحينا الى هناك وربما كانوا يقولون استهزا لقد اشتاق الرجل الى مولده سوف يرجع الى دينهم فانزل الله تعالى هذه الاية والله اعلم والقبلة والوجهة والجهة هي الفعلة من المقابلة الا ان القبلة اختصت بالجهة التي يصلي اليها وانما عبر عن الدين بالصراط المستقيم لان الدين المستقيم يودي الى الجنة لمن سلكه كما ان الطريق يودي سالكه الى مقصوده وفي هذه الاية دليل على ان الصلوة كانت الى غير الكعبة وان اول حكم نسخ في الاسلام حكم القبلة قوله عز وجل وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ معنى الاية والله تعالى اعلم كما هديناكم الى قبلة هي اوسط القبل لان الكعبة متوسطة بين المشرق والمغرب وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدلا ويقال خيارا والمعنى واحد ويقال في صفة النبي صلى الله عليه وسلم هو اوسط قريش حسبا ويقال فلان وسيط في قومه ووسيط في حسبه يراد به الكامل المنتهي في الكمال ويسمى واسطة المخنقة واسطة لكونها خير ما فيها وهذا لان المتوسط في الامور لا يفرط فيغلو ولا يقصر فيضيع كما يقال خير الناس هذا النمط النمط الاوسط يلحق به التالي ويرجع اليه الغالي فوصف الله تعالى هذه الامة بانهم وسط لمجانبتهم الغلو والتقصير لانهم لم يغلوا في الانبيا صلوات الله عليهم كغلو النصارى في المسيح حيث قالوا المسيح ابن الله ولم يقصروا في المسيح كتقصير اليهود حيث كذبوا انبيا الله صلوات الله عليهم وقتلوهم ولكن قالت هذه الامة هو عبد الله ورسوله عليه السلام فقولهم اعدل الاقوال وقيل معنى وسطا اي وسطا بين الانبيا عليهم السلام فاما الوسط بسكون السين فهو الذي له طرفان ومعنى لتكونوا شهدا على الناس الخلائق تكونوا محتجين على جميع من خالفكم ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم محتجا ومبينا لكم اي مزكيا ومعدلا ولهذا يسمى الشاهدان بينة لانهما يبينان حق المدعي ويقال للمدعي ابن حجتك فياتي بشاهدين وقد يقام على مقام اللام في العربية كانه قوله تعالى وما ذبح على النصب اي للنصب وقيل معنى لتكونوا شهدا على الناس اي للنبيين صلوات الله عليهم بتبليغ الرسالة وذلك ان ساير الامم تكذب انبياهم صلوات الله عليهم يوم القيمة تبليغ الرسالة فتشهد هذه الامة بصدق الانبيا صلوات الله عليهم ويشهد النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الامة بصدقهم وجازت هذه الشهادة وان لم يعاينوا لوقوع العلم بذلك بخبر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى لتكونوا شهدا اي يكون اهل كل عصر من هذه الامة شهدا على اهل زمانه فيما خالف من افعالهم الحق فيشهدون عليهم في الدنيا بان هذا سارق وذا زان وذا شارب خمر وذا عاص وذا مطيع فتقبل هذه الشهادات كلها في الدنيا ويشهدون في الاخرة بما شاهدوا من الاعمال في الدنيا كما قال

الله تعالى وحرم بالنبيين والشهدآ ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم شهيدًا على من كان في
زمنه ويشهد عليهم يوم القيمة بين يدى الله تعالى هذا يتبعني وهذا عصاني كما قال الله تعالى فكيف
اذا جينا من كل أمة بشهيد وجينا بك على هولآ شهيدا وكما قال عز من قايل حكاية عن عيسى
صلوات الله عليهم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقال بعضهم ويكون الرسول عليكم شهيدا
على اهل عصره وعلى من تقدم عصره وعلى من يوجد بعد عصره وقد روى في الاخبار ما يدل عليه
فانه يروى ان اعمال الناس تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين وليلة الخميس وروى
انه تعرض اعمال الاحيآ على ارواح الاموات فاما قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت
عليها اى ما امرتك يا محمد بالتوجه الى بيت المقدس في الصلوة ثم بالانصراف عنها الى الكعبة الا
لنرى ونميز من يتبع الرسول ممن يرجع الى دينه الاول وفي هذا بيان مصلحة العباد في ان الله
تعالى جعل قبلتهم اولا الى بيت المقدس ثم صرفهم الى الكعبة لان كفار اهل مكة كانوا يستقبلون
الكعبة ولو امر الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنون باستقبالها وهم بمكة لم يتميزوا من الكفار فلما
حصل النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومضى على ذلك سبعة عشر شهرا او نحو ذلك وكانت اليهود
مخالطة للمومنين وكانوا يجتهدون في تشكيك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ايضا نحو
علم الله تعالى ان الصلاح ان يميزوا من هولآ اليهود في القبلة لئلا يكون اجتماعهم على قبلة واحدة
سببا للالفة بين المومنين وبين اليهود فيكون فسادا لان اليهود اعدآ الدين وان اظهروا
المودة كما قال الله تعالى لا تتخذوا عدوى وعدوكم اوليآء وقال تعالى ها انتم اولا تحبونهم ولا
يحبونكم الآية وكان علم الله تعالى سابقا في كل شي بما كان وما يكون وما لم يكن ان لو كان كيف
كان يكون لكن معنى لنعلم اى لنعلم علم المشاهدة بعد ان علمناه غيبا لان علم الغيب لا يجب به الجزا
في ثواب ولا عقاب اذ الله تعالى يجازى العباد على عملهم لا على علمه فيهم واسم الطاعة والمعصية
يقع على العمل بعد وجوده فلذلك قال لنعلم وعلى هذا قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم وقوله
تعالى وليعلم الله الذين صدقوا ونحو ذلك من الآى وقيل لنعلم من يتبع الرسول عليه السلام اى ليعلم
انبيآؤنا عليهم السلام واوليآؤنا رضى الله عنهم كما في قوله تعالى فلما اسفونا وقوله تعالى ان الذين
يحادون الله ورسوله وقيل معنى لنعلم اى لعلمنا كما قلنا في قوله تعالى فلم تقتلون انبيآ الله من
قبل اى معناه لم قتلتم وانما سمى الكفر انقلابا على العقبين لان المنقلب على عقبيه قد جانب ما كان
بين يديه وادبر عنه فلما تركوا الايمان والادلة صاروا بمنزلة المدبرين عما بين ايديهم فوصفوا
بذلك كما قال الله تعالى ثم ادبر واستكبر ويقال ان المنقلب على عقبيه لا يرى ما وراه فيهلك بوقوعه
في بئر او ما او سبع يهلكه وكل هذا تشبيه فاما معنى قوله تعالى وان كانت لكبيرة اى وان كان اتباع
بيت المقدس ثم الانصراف عنها الى الكعبة لثقيلا شديدا الا على الذين هدى الله اى حفظ الله تعالى
قلوبهم على الاسلام وما كان الله ليضيع تصديقكم بالقبلتين ويقال معناه ما كان ليفسد صلوتكم الى
بيت المقدس وذلك ان جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفوا وهم يصلون الى
بيت المقدس فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن صلوتهم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان
اليهود كانت تقول بطل ايمانكم حيث تركتم قبلة بيت المقدس فانزل الله تعالى هذه الآية
واما قوله تعالى ان الله بالناس لروف رحيم فالروف شديد الرحمة وهو الذي لا يضيع عنده
عمل عامل وهو رحيم بهم حين قبل طاعتهم وتعبدهم في كل وقت بما هو اصلح لهم والجمع في
هذه الآية بين لفظ الرافة والرحمة للتاكيد كما قلنا في قوله تعالى الرحمن الرحيم ودخول اللام

في قوله تعالى وان كانت لكبيرة للتاكيد ولولا اللام لكان الكلام جحدا وفي هذه الآية دلالة ان هذه
الامة لا تجتمع على باطل لان الله تعالى وصفهم بالعدالة واخبر انهم شهدآ على الناس وشهدآ الله
تعالى لا يكونون الا عدولا كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم وحده حجة على الناس لظهور معجزاته وآياته
الامة يتناول اهل كل عصر من هذه الامة الا ترى انك تقول اجمعت الامة على تحريم الامهات والاخوات
فيكون هذا اطلاقا صحيحا قبل ان يوجد اخر الامة وفي الآية دلالة ان من ظهر كفره وفسقه لا يعتد
به في الاجماع لان الله تعالى جعل من وصف الشهدآ العدالة قوله عز وجل قد نرى تقلب وجهك
في السمآء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل
عما تعملون قال ابن عباس وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام وددت
ان الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلك لا املك
لك شيئا فاسال ربك ان يحولك عنها فارتفع جبريل عليه السلام وجعل النبي صلى الله عليه و
سلم يديم النظر الى السمآء رجآء ان ياتيه جبريل عليه السلام بما سال وان يحوله الله تعالى الى
الكعبة لانها كانت قبلة ابرهيم عليه السلام وكانت ادعى للعرب الى الاسلام فانزل الله تعالى هذه
الآية وقال مجاهد ان الله تعالى كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحول القبلة من بيت المقدس
الى الكعبة فكان النبي صلى الله عليه وسلم متوقعا ورود جبريل عليه السلام بتحويل القبلة الى
الكعبة وكان يقلب وجهه في السمآ كانسان يرجو خبرا على يدى اخر فيجعل بصره في طريقه وينتظر
وروده وقال بعضهم ان الله تعالى قد نهاه عن الصلوة الى بيت المقدس ولم يكن بين له جهة
اخرى يصلي اليها وكان يعلم ان الله تعالى يامره بالصلوة الى جهة اخرى وكان ينتظر ورود خبر
عليه السلام بالامر بالصلاة الى جهة اخرى وانما اختلفت الرواية في هذا الباب لان الانبيآ
صلوات الله عليهم لا يجوز ان يسالوا الله تعالى امر القبلة ونحو ذلك من مصالح العباد الا بعد الاذن
لهم فيه لانهم لا يامنون ان لا يكون لهم فيه صلاح فلا يجيبهم الله تعالى الى ذلك ويكون ذلك فتنة على
قومهم اذا لم يجابوا الى الملتمس ومعنى الآية والله اعلم قد نرى تصرف وجهك الى السمآ فلنولينك
الى قبلة تهواها وتحبها واراد بلده لمحبة الطبع بطلبه كثرة الصلاح ليكون تميزا بينه وبين اليهود
واظهارا لحال المنافقين لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن راضيا بالقبلة الاولى ومعنى فول
وجهك شطر المسجد الحرام قال بعضهم شطر الشي نصفه يقال شطرت الشي اذا جعلته نصفين و
يقال في المثل احلب حلبا لك شطره اى نصفه فكان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان
يحول وجهه الى نصف المسجد الحرام والكعبة واقعة من المسجد في النصف من كل جهة فلما كان
التوجه يقع الى الكعبة وكان موقعها من المسجد هذا الموقع جاز ان يقول تعالى فول وجهك شطر المسجد
الحرام يعني النصف من كل جهة وهو الوسط من كل جانب وهو عبارة عن بقعة الكعبة وقال
بعضهم معنى شطر المسجد الحرام نحو الكعبة والشطر يذكر ويراد به النحو والقصد يقال هولآ مشاطرونا
اى متناحونا تتصل دورنا بدورهم نحن نحوهم وهم نحونا ويقال فلان شاطر اذا اخذ في نحو غير
الاستوآ والمراد بالمسجد الحرام على هذا الطريق نفس البيت لانه لا خلاف ان من كان بمكة فتوجه في
صلاته نحو المسجد انه لا يجزيه اذا لم يكن محاذيا للبيت واما قوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره ليس بتكرار لان ما قبله خطاب لمن كان بالمدينة من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى
الله عنهم وهذا خطاب للناس كلهم في جميع الآفاق يقول حيث ما كنتم من البلاد فحولوا وجوهكم

شطر المسجد الحرام وانّ الذين اُعطوا الكتاب كتاب الله وهم اليهود والنصارى ليعلمون انه الحق اى استقبال الكعبة حق من ربهم على ما رويناه ان نعت النبى صلى الله عليه وسلم فى التورية ان يكون صاحب القبلتين وقد روى عن ابى العالية قال رايت مسجد صالح عليه السلام قبلته الى الكعبة وكان موسى عليه السلام يصلى الى الصخرة نحو الكعبة فاهل الكتاب يعلمون ان امر الكعبة حق من ربهم ثم اوعدهم الله تعالى فقال عز من قايل وما الله بغافل عما يعملون اى لايخفى عليه جحود اليهود والنصارى ولا تغنى الايات عند من يجحد ما يعرف وفى هذه الاية دلالة على تجويز الاجتهاد فى الاحكام الحوادث وان كل احد من المجتهدين انما يكلف ما يودى اليه اجتهاده و يغلب على ظنه لان الغايب عن الكعبة لايكلف اصابة عين الكعبة اذ لا سبيل اليها قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الاية فمن لايجد سبيلا الى اصابة عين الكعبة لم يكلف اصابتها الا بغالب الظن وفى الاية دليل ايضا ان الاشبه من الحوادث مطلوبة كما ان القبلة حقيقة هى مطلوبة بالاجتهاد وكذلك تكليف الاجتهاد فى طلب الحقيقة كما صح تكليف طلب القبلة بالاجتهاد لان لها حقيقة قوله عز وجل **وَلَئِنْ اَتَيْتَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا اَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ اَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ اِنَّكَ اِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ** اخبار من الله تعالى عن عناد اهل الكتاب ومخالفتهم بعد علمهم ان الكعبة حق يقول لئن اتيتهم يا محمد صلى الله عليه وسلم بكل علامة تدل على صدق مقالتك ما صلوا الى قبلتك وما انت بمصل الى قبلتهم بعد التحويل وفى هذا قطع اطماع اليهود فى اتباع النبى صلى الله عليه وسلم قبلتهم فانهم كانوا يقولون له ارجع الى قبلتنا نؤمن بك ونتبعك واما قوله تعالى وما بعضهم بتابع قبلة بعض فالمعنى كيف ترجوان يتبعوك ويصلوا الى قبلتك ولا يتبع بعضهم بعضا مع اتفاقهم على التظاهر عليك ولئن اتبعت يا محمد صلى الله عليه وسلم اهواءهم اى ان صليت الى قبلتهم واتبعت ملتهم من بعد ما جاءك من العلم ان الدين هو الاسلام وان الكعبة هى القبلة انك اذا لمن الضالين لنفسك وهذا وعيد من الله تعالى على معصية علم الله تعالى انها لا تقع منه كما فى قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك واول هذه الاية تعرض التخصيص فان من اهل الكتاب من يسلم و يتبع ملة الاسلام واجيبت لئن بما فيها من معنى اليمين ولئن تجاب بجواب لو لان لئن تدخل على الماضى بمعنى المستقبل وحقيقتها ايقاع الشئ لوقوع غيره وكذلك ان مع لفظ الاستقبال تقول لئن اتيتنى اكرمتك وان تاتنى اكرمك ولو يدخل على الماضى بمعنى الماضى وحقيقتها منع الشئ لامتناع غيره يقال لو اتيتنى لاكرمتك اى لم تاتنى فلم اكرمك وفى الاية ابطال احتجاج من يحتج من اهل الكتاب ويقول ان بيت المقدس قبلة اهل الكتاب ورثوها من انبيائهم عليهم السلام فهى اولى بالتوجه اليها من الكعبة لان الله تعالى بين فى هذه الاية ان اهل الكتاب لم يجتمعوا كلهم على قبلة واحدة بل خالف بعضهم بعضا ويصلون الى جهتين مختلفتين فلا يمتنع ايضا ان يبعث الله تعالى نبيا يامره بالتوجه الى جهة اخرى قوله عز وجل **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ اَبْنَاءَهُمْ وَاِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** معنى الاية والله اعلم ان العلماء بالكتب المنزلة على الانبياء صلوات الله عليهم من قبل وصحة ما فيها من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم باسمه وصفته ومبعثه وقيل يعرفون ان التحول الى الكعبة حق كما يعرف احدهم ولده اذا راه مع الغلمان وان طايفة منهم منهم كعب الاشرف واصحابه ليكتمون الحق وهم يعلمون انه الحق وانما قال تعالى وان فريقا منهم لانهم لو كانوا

كلهم

كلهم ذلك لما صح مع كثرتهم ان يجتمعوا على كتمانه لان ذلك لا يوجد من العادة لان واحدا لو دخل البصرة وسال عن جامعها لم يجز ان لا يلقاه احد ممن يساله الا وهو يكذب فى ذلك او يكتمه وانما يجوز ذلك على جمع قليل وفى هذه الاية بيان ان المراد بقوله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق قوم مخصوصون من علماء اهل الكتاب يتصور عليهم التواطؤ على الكذب لان الجمع العظيم لا يقدرون ان يظهروا خلاف ما يعلمون وقد روى عن عبد الله بن سلام انه قال حين نزلت هذه الاية كنت يا رسول الله صلى الله عليك وسلم اشد معرفة لك منى بابنى فقال عمر رضى الله عنه كيف ذلك يا عبد الله قال لانى اشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا يقينا ولا اشهد بذلك على ابنى لانى لا ادرى ما احدثت فقال له عمر وفقك الله يا عبد الله قوله عز وجل **الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** اى هذا القران حق من ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جاءك الحق من ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الكعبة قبلة ابرهيم عليه السلام فعلها اليهود فلا تكونن من الشاكين فى امر القران والقبلة وما ورد من هذا الجنس خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو وعامة الامة فان القران انما نزل على ما يتفاهم الناس فيما بينهم ومن عادة الناس ان يوجهوا امرهم ونهيهم الى من يقتدى به اقوى تنبيها للغير وتاكيدا الا ترى ان الرجل الحازم اذا اقبل على اكبر اولاده واصلحهم فزجره عن امر بحضرة جماعة اولاده كان منبها بذلك على عظم ذلك الفعل ان اختاروه وارتكبوه قوله عز وجل **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ اَيْنَمَا تَكُونُوا يَاْتِ بِكُمُ اللّٰهُ جَمِيعًا اِنَّ اللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** قال ابن عباس ومجاهد والسدى رضى الله عنهم لاهل كل ملة من اليهود والنصارى وجهة اى قبلة يولى كل اهل ملة وجوههم فى صلواتهم اليها وذلك ان المسلمين يصلون الى الكعبة واليهود والنصارى يصلون الى جهتين مختلفتين وقيل معنى هو موليها اى الله تعالى موليها اى يولى اهل كل ملة القبلة التى يريدها ومن قرا هو مولاها فالمعنى قدر له ان يتولاها وقيل فى معنى الاية لكل قوم من المسلمين وجهة من اهل ساير الافاق الى جهات الكعبة وراءها وقدامها وعن يمينها وعن شمالها ليس جهة من جهاتها اولى بان تكون قبلة من غيرها وقيل لاهل كل ملة دين على حدة كما قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال الحسن رضى الله عنه معناها لكل نبى طريقة واحدة وهى ما شرعه الله تعالى من الاسلام وان اختلف الاحكام ومعنى قوله تعالى فاستبقوا الخيرات اى ظهر لكم الحق ايها المسلمون فى طريقتكم فبادروا الى قبول اوامر الله تعالى وطاعته مبادرة من يطلب الاستباق اليها وولوا وجوهكم حيث امركم الله تعالى ومعنى اينما تكونوا يات بكم الله جميعا اى اينما تكونوا فى الارض يقبض الله تعالى ارواحكم ويجمعكم يوم القيمة للحساب وان كانت قد تفرقت بكم البقاع والبلاد وقيل هو خطاب للمومنين الذين قد سبق فى علم الله تعالى انهم يصلون الى الكعبة يقول الله تعالى اينما تكونوا فى شرق الارض وغربها وفى اصلاب الاباء وارحام الامهات يجمعكم الله تعالى على هذه القبلة ان الله على كل شئ قدير من الخلق والبعث والحساب وغير ذلك قادر لا يخفى عليه شئ من افعال العباد واينما فى معنى الشرط يجزم ما بعدها من الجواب يقال اين بيتك ازرك اى ان اعرف بيتك ازرك وفى الاية دلالة ان تعجيل الطاعات افضل من تاخيرها ما لم تقم دلالة على فضيلة التاخير نحو تعجيل الصلوة فى اول وقتها وتعجيل الزكوة والحج وساير الفروض بعد حضور وقتها او وجود سببها وفيها دلالة ايضا ان الامر على الفور وان جواز التاخير يحتاج الى دلالة لان الامر اذا كان غير موقت فلا محالة ان يفعله على الفور لانه من الخيرات فوجب بمضمون قوله تعالى فاستبقوا الخيرات ايجاب تعجيله لان الموخر على خطر الفوت واذا سبق اليه الى الفوت واستدرك الوجوب قوله عز وجل

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تاكيد امر التحويل الى الكعبة وبيان انه ثابت لا يتغير بنسخ كما تغيرت قبلة بيت المقدس
وقال بعضهم معناه الى اي موضع خرجت اليه من النواحي التي كنت تصلي فيها الى غير الكعبة من
قبل فحول وجهك من ذلك الموضع في الصلوة شطر المسجد الحرام ولا تكن على ما كنت عليه من قبل و
ان الامر بالتوجه الى الكعبة لصدق من ربك وما الله بغافل عما تعملون اي الله تعالى عالم باعمالكم
مجازي كل عامل بعمله قوله عز وجل وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ في ابتداء هذه الآية بيان
ان حكم النبي صلى الله عليه وسلم وامته في التوجه الى الكعبة في السفر والحضر سوآء لانه كان من
الجائز ان يلحق به الفرق بين المسافر والمقيم كما ورد الشرع في باب النوافل على الراحلة فبين الله
تعالى ان المسافر كالمقيم في هذا التوجه ومعنى الآية ومن حيث خرجت اليه يا محمد من نواحي الارض
واقطارها فحول وجهك نحو الكعبة وحيث ما كنتم ايها المومنون بالبعد من الكعبة او القرب
مسافرين او مقيمين فحولوا وجوهكم نحو الكعبة لئلا يكون لليهود عليكم حجة لان المسلمين لو لم يصلوا
الى المسجد الحرام لكان ذلك مخالفة للبشارة السابقة فيكون ذلك حجة عليهم للناس بان يقولوا
ليس هذا هو النبي المبشر به صلى الله عليه وسلم اذ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم هو نبي تصلي امته
الى القبلتين ويقال معنى لئلا يكون للناس عليكم حجة اي لئلا يكون لكفار اهل مكة حجة عليكم اذ قالوا
ترك محمد صلى الله عليه وسلم قبلة آبائه التي هي قبلة ابرهيم عليه السلام ويقال معنى الآية عرفكم الله
تعالى الاحتجاج في امر القبلة فلا يكون للناس حجة وقوله الا الذين ظلموا منهم استثناء منقطع المعنى لا
يحاجكم احد الا من ظلم فيما وضحه واحتج عليكم بغير الحق وحاج بالباطل كما يقال ما لك علي حجة الا
الظلم اي ما لك علي حجة البتة ولكنك تظلمني ويسمى الظلم حجة كما قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم
وكانت حجتهم الباطلة على النبي صلى الله عليه وسلم ان قالت اليهود ان كانت قبلتنا ضلالة فقد
صليت اليها سبعة عشر شهرا وان كانت هدى فقد انصرفت عنها وقالت كفار مكة تركت قبلة آبائك
ثم رجعت اليها فاجابهم الله تعالى بهذه الآية وقيل معنى الا الذين ظلموا اي الذين ظلموا منهم يتعلقون
بالشبهة ويضعونها موضع الحجة وهذا كما قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن معنى لكن اتبع
الظن وقال النابغة ه ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ه معناه لكن سيوفهم
بهن فلول وليس بعيب وكان ابو عبيدة يقول الا هاهنا بمعنى واو النسق كانه قال لئلا يكون للناس
عليكم حجة ولا الذين ظلموا قال الفراء هذا صواب في التفسير خطا في اللغة وانما يكون الا بمنزلة الواو
اذا عطفت على استثناء قبلها كقولك لك الف درهم الا عشرة دراهم الا مائة درهم معناه لك علي الف درهم
ومائة الا عشرة كانك اغفلت المائة ثم استدركتها فقلت اللهم الا مائة قال الشاعر
ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروانا ه معناه ولا دار لمروان وانما حسن ذلك بعد قوله
غير واحدة واما قوله تعالى فلا تخشوهم اي لا تخافوا الكفار في انصرافكم الى الكعبة وخافوني في تركها و
لأتم نعمتي عليكم بالهداية الى قبلة ابرهيم عليه السلام وهذا معطوف على قوله تعالى لئلا والعامل فيهما
قوله تعالى فولوا وجوهكم شطره ومعنى قوله تعالى ولعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا من الضلالة فان
قيل كيف اعاد قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وما فائدة تكرار هذا اللفظ
قلنا قد قدمنا ذكر الفائدة في كل لفظ على حدة فلا تكرار في الحقيقة وقيل ان الاعادة لاتصال كل واحدة

لكن م

على م

من

من الآيات الثلث بمعنى غير المعنيين الاخرين لان الاولى متصلة بكتمان اليهود امر القبلة والثانية متصلة
باخبار الله تعالى عن حقيقته ورفع الشكوك فيه والثالثة متصلة بقوله تعالى لئلا للناس عليكم
حجة وفي الجملة ان نسخ القبلة امر عظيم لا يبتغى مثله من التاكيد والاعادة ليكون الناس على يقين
من ذلك ومعرفة في حجة ومصالحه وبالله التوفيق قوله عز وجل كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا
مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ
خطاب للعرب المعنى كما انعمنا عليكم برسالة رجل امي منكم اليكم فاذكروني وجائز ان يوصل قوله
تعالى كما ارسلنا بما تقدمه اي ولاتم نعمتي عليكم كما ابتدات النعمة بارسال رسول منكم اليكم لان
اختيار الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من العرب نعمة عظيمة وشرف لهم واستدعاء الى الاسلام
لانه اختاره من العجم لكانت العرب مع عزتها ونخوتها لا تتبعه فاختياره له من قريش نعمة عليهم و
شرف لهم يتلو عليكم اياتنا القران ويصلحكم باخذ زكوة اموالكم ويامركم باشياء تكونوا بها ازكياء اذا
تمسكتم بها ويعلمكم الكتاب اي القران والحكمة الفقه والموعظة ومعرفة التاويل والسنة ويعلمكم من اقاصيص
الانبياء صلوات الله عليهم واخبارهم ما لم تكونوا تعلمون قبل ارسال الرسول اليكم قوله عز وجل ه ه ه
فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ متصل بما قبله على ما تقدم ذكره ومعنى الآية والله تعالى
اعلم اجعلوا ذكركم اياي على مقادير كثرة نعمتي عليكم فاذكروني بالتوحيد والطاعة اذكركم بالرحمة و
المغفرة ويقال اذكروني عند الرخا اذكركم عند البلا واذكروني بالشكر اذكركم بالزيادة واذكروني بالصبر اذكركم
بالمخرج واذكروني بالدعا اذكركم بالاجابة واذكروني في الدنيا بالاخلاص اذكركم في الاخرة بالخلاص واذكروني
في ملأ من الناس اذكركم في ملأ من الملئكة واشكروا لي نعم الدين والدنيا كلها ولا تكفروا ايادي واحساني اليكم فان
قيل هل يجوز ان يكون جميع ما روي في معنى هذه الآية مرادا قلنا نعم لان جميع وجوه الذكر على اختلافها
راجع الى معنى واحد كاسم الانسان يتناول الذكر والانثى والاخوة يتناول الاخوة المتفرقين كذلك ذكر الله
تعالى لما كان المعنى فيه طاعته والطاعة تكون تارة بالذكر باللسان وتارة بالعمل بالجوارح وتارة باعتقاد
القلب وتارة بالفكر في دلائله وحججه وتارة في عظمته وتارة في دعائه ومسئلته جاز ارادة الجميع بلفظ
واحد كلفظ الطاعة نفسها جاز ان يراد بها جميع الطاعات على اختلافها اذا ورد الامر بها مطلقا نحو قوله
اطيعوا الله واطيعوا الرسول وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اطاع الله تعالى
فقد ذكر الله تعالى وان قل صومه وصلوته ومن عصى الله تعالى فقد نسي الله تعالى وان كثر صومه وصلوته
وافضل وجوه الذكر الفكر في دلائل توحيد الله تعالى وعظمته وقدرته وسائر وجوه الذكر مبني عليه وتابع له
وبه يصح معناه قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واراد به ذكر القلب الذي هو الفكر في دلائل توحيد الله
تعالى واياته وكلما ازددت فيه ذكرا لتعرف ربك او لتعرف دينك او لتحل الشبهة او لتعلم الغير ازددت
اليه طمانينة وسكونا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير الذكر الخفي وخير
الرزق ما يكفي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا انبئكم بخير اعمالكم وارفعها
في درجاتكم وخير لكم من ان تلقوا العدو فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم وخير لكم من انفاق
الذهب والفضة قلنا ما هو يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذكر الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال حق على الله تعالى ان يذكر من ذكره فمن ذكره من اهل طاعته ذكره الله تعالى بالخير ومن
ذكره من اهل معصيته ذكره الله تعالى باللعنة وسوء الدار قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ه
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وذلك ان الله تعالى لما اوجب العبادات اجمع
بقوله تعالى فاذكروني اذكركم وامر بالشكر ضم الى ذلك ما يكون معونة عليهما فقال عز من قائل يا ايها الذين

يكون م

لو م



آمنوا اى اقروا وصدقوا بتوحيد الله يقول الله تعالى استعينوا على ما الزمتكم من عبادة وشكر بالصبر على اداء
الفرايض والاجتناب المحارم وبالمواظبة على الصلوة والاستكثار منها ان الله مع الصابرين على اداء
الفرايض بالنصر والمعونة والتسديد وانما امر الله تعالى والله اعلم بالاستعانة بالصبر والصلوة لان الصبر
قصر النفس وتوطينها على احتمال المكاره في ذات الله تعالى وان لا يعدل عند النوايب والمحن وعند
ما يلزم من تحمل المشاق الى الجزع والتوانى والصلوة تشتمل على الخشوع والخضوع والتذلل الذى يرقق
القلب ويورث الخوف وما فيها من الذكر يتضمن الوعظ والوعد والوعيد وذلك كله يبعث على لزوم
الطاعة وترك المعصية ومن وفر همته وقلبه على الصلوة وذلل نفسه وقلبه هذا التذليل سهل عليه
من طاعة الله تعالى ما يصعب على غيره والصبر اشق الطاعات الباطنة والصلوة اشق الطاعات
الظاهرة وبهما يستعان على ساير الواجبات قوله عز وجل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
اموات بل احياء ولكن لا تشعرون وذكر ان المسلمين كانوا يقولون لشهدا بدر واحد مات
فلان وفلان وكان الكفار يقولون على طريق الطعن والذم ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقتلون
انفسهم في الحرب بغير سبب ثم يموتون فيذهبون فنهى الله تعالى المومنين الذين امرهم بالاستعانة
على الجهاد والفرايض بالصبر والصلوة ان يقولوا مثل هذا القول ونبه على ان ذلك كذب بقوله تعالى
بل احياء وقد اختلف المفسرون في حيوة الشهدا قال الحسن ومجاهد وقتادة وعامة اهل التاويل
انهم احيا على الحقيقة وقال بعض من شذ عن الاجماع انهم ليسوا باحيا بل هم اموات ولكن الله تعالى
سماهم احيا لما نالوا من جميل الذكر والثنا وهذا كما روى عن امير المومنين على رضى الله عنه
انه قال مات خزان الاموال والعلما باقون ما بقى الدهر امثالهم في القلوب موجودة واعيانهم في
الارض مفقودة وكما قال الشاعر موت التقى حيوة لا انقضاء لها قد مات قوم وهم في الناس
احياء وذهب بعضهم الى ان المراد بالحيوة الحيوة المستقبلة عند البعث والنشور حين
يسكن الشهدا الجنة فيعيشون العيش الرغد وقال ان المراد بالاية لا تقولوا انهم اموات
لا ينشرون ولا ينتفعون بما لقوا من الشدايد والمكروه وقيل لا تقولوا انهم اموات في الدين
كما قال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه والصحيح من هذه الاقاويل هو القول الاول انهم
اليوم احيا على الحقيقة لان الله تعالى قال ولكن لا تشعرون ولو كان المراد بقوله بل احيا على معنى
انهم استحقوا جميل الذكر والثنا او انهم سيحيون عند البعث لكنا نشعر بذلك فان قال قايل السنا نرى
جثة الشهيد مطروحة على الارض لا تتصرف ولا يكون عليها شى من علامات الاحيا ونراهم رميما في
القبور بعد مرور الازمان عليهم فكيف يكون معنى الحيوة قيل له اختلف الناس في هذا على قولين
منهم من يجعل الانسان هو الجسم اللطيف الدقيق المبصر الحساس الدراك المتلذذ المتنعم وهو
لا بس هذا الجسم الكثيف كما لبس الانسان الجبة وغيرها والبوس والنعيم له دون الجثة الكثيفة
فاذا فارق اللطيف الكثيف بلى الكثيف وبقى ثم يكون اللطيف بعد الموت ان كان سعيدا ينعم و
يسر الى يوم القيمة وان كان شقيا يعذب ويولم ويخوف الى يوم القيمة فعلى هذا لا يتاتى هذا السوال
لان الجثة وان كانت مطروحة على الارض فالذى هو الحى مثاب في هذا الوقت على هذا القول وهذا
كما روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيبت
اخوانكم يوم احد جعل الله تعالى ارواحهم في اجواف طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من
ثمارها وتاوى الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما راوا طيب منقلبهم ومطعمهم ومشربهم
قالوا ياليت اخواننا علموا ما اعد الله لنا من الكرامة فلم يجبنوا في الحرب ولم ينكلوا عند اللقاء

قال

وقيل

يحيون للبعث

قال الله تعالى انا مبلغهم عنكم فانزل الله جل ذكره ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احيا عند ربهم يرزقون فرحين الى الاخر الآية ومنهم من قال ان الانسان هو هذا الجسم الكثيف المشاهد
الا انهم اجابوا عن هذا السوال بجوابين احدهما انه يجوز ان تكون الجثة مطروحة على الارض لا يرى
عليها شى من علامات الاحيا ثم تكون الجثة مع ذلك تصل اليها اللذات كما ان النايم لا يرى عليه شى
من علامات من يعلم شيا او يحس بشى ثم قد يكون هو في اللذات والسرور لما يرى في المنام واذا
انتبه اسف عليها فانه مما كان يراه في النوم وقد يكون النايم في غموم واهوال لما يراه في النوم
حتى اذا انتبه استراح وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يفسح للمومن مد بصره في قبره
فيكون في روضة على حالة جميلة يصل اليه طيب ريحها ولذيذ نسيمها ويقال له نم نومة العروس
ويضيق على الكافر قبره ويفتح له باب من ابواب النار ويصل اليه من حرها وسمومها ويقال له نم
نومة المنهوش وفى هذه الآية والخبر دلالة على عذاب القبر والجواب الثانى ان الله تعالى يلطف
اجزاء الشهيد بقدر ما تقوم به البنية الحيوانية فيحييها ويوصل اليها اللذات والنعيم وتكون
الحيوة لتلك الاجزا اللطيفة وان كانت عامة جثة الشهيد مطروحة على وجه الارض فان قيل اذا
كان ساير المومنين عندكم منعمين في البرزخ فلماذا اخص الله تعالى الشهدا بانهم احيا قيل له يجوز
ان يكون اختصاصهم بالذكر في هذه الآية للتشريف وعلى جهة تقديم البشارة بذكر حالهم فان
درجتهم في الجنة ارفع ومنزلتهم اعلا واشرف كما قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين قوله عز وجل ولنبلونكم
بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين
روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال في هذه الآية اخبر الله تعالى ان الدنيا دار
بلاء وان الله تعالى يبتليهم فيها وامرهم بالصبر وبشرهم بالثواب لتطيب انفسهم ومعنى الآية
والله تعالى اعلم ولنبلونكم ولنختبرنكم معشر المومنين بشى من الخوف خوف العدو والفزع في
القتال والجوع بقحط السنين وقلة ذات اليد ونقص من الاموال هلاك المواشى وذهاب
الاموال وقيل لانهم اذا اشتغلوا بالقتال احتاجوا الى انفاق ما في ايديهم ومنعهم اشتغالهم
بالقتال عن تكسب غيره ذلك من الاموال فلهذا قال ونقص من الاموال وقوله تعالى والانفس اراد به
الموت والقتل والامراض والثمرات ان لا تخرج الثمار والزرع كما كانت تخرج من قبل وقيل اراد
بالثمرات الاولاد لان الولد ثمرة القلب وهم اذا اشتغلوا بالقتال منعهم ذلك عن عمارة البساتين
وعن مناكحة النسا فقل ثمرة بساتينهم وقل اولادهم وبشر الصابرين الذين يصبرون على هذه
الشدايد وانما امتحنهم الله تعالى بهذه الامور لامرين احدهما انه اذا اصاب من بعدهم مثل هذه الاحوال
علموا ان ما اصابهم من ذلك لم يكن لنقصان درجتهم عند الله تعالى وانه قد اصاب مثل هذه الامور من
هو اعلا درجة منهم وهم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم والثانى ان الكفار اذا شاهدوا
اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقد اصابهم مثل هذه الامور فصبروا على موالاتهم محمد صلى الله عليه
وسلم ونصرته مع مقاساة الضر والشدايد علموا انهم مع كونهم عقلا انما صبروا على هذه الامور لاجل
الكرامة التى وعدها المومنين فيدعوهم ذلك الى الدخول في هذا الدين والثبات عليه ويجوز ان يكون
فايدة تقديم الله تعالى اليهم ذكر ما علم انه يصيبهم في الله تعالى من هذه البلايا والشدايد ان يوطنوا
انفسهم على الصبر عليها اذا وردت فيكونون مثابين بتوطين النفس عليها قبل الفعل ويكون ذلك ابعد
لهم من الجزع واسهل عليهم بعد الورود قوله عز وجل الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا

كان تو

قالوا انا لله وانا اليه راجعون صفة الصابرين الذين ذكرهم الله تعالى وبشرهم برضوانه ومعنى الآية
الذين اذا اصابتهم مصيبة من هذه المصايب قالوا نحن عبيد الله وفي ملكه وقبضته يحكم فينا
بما يشاء من الشدة والرخا ان عشنا فعليه ارزاقنا وان متنا فاليه مردنا وفي الاقرار بالعبودية لله
تعالى تفويض الامر اليه والرضا بقضائه والله تعالى ان يبتليهم بما يشاء تعريضا منه لثواب الصبر
واستصلاحا لهم بما هو تعالى اعلم به اذ هو خيرتهم في فعل الخير والصلاح فان افعاله كلها حكمة
وفي الاقرار بالبعث والنشور اعتراف بان الله تعالى يجزي الصابرين على قدر استحقاقهم ولا
يضيع اجر المحسنين وعن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حاكيا عن
جبريل عليه السلام عن الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في اهله او ولده
او بدنه فاستقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انشر له ديوانا او انصب له
ميزانا وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات
ولد الرجل يقول الله تعالى للملائكة وهو تعالى اعلم اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم اقبضتم
ثمرة فواده فيقولون نعم فيقول تعالى فماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول
عز وجل ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من
اصابته مصيبة فليذكر مصيبته في فانها من اعظم المصايب وعن انس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر
عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر عظم المصيبة ومن استرجع بعد المصيبة جدد
الله تعالى له اجرها كيوم اصيب بها وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه انه قال لقد اعطيت هذه
الامة عند المصيبة ما لم يعط احد قبلهم وهو كلمة الاسترجاع ولو اعطيها الانبياء صلوات
الله عليهم لاعطيها يعقوب عليه السلام اذ قال يا اسفا على يوسف وقد اشتملت هذه الآية
على حكمين فرض ونفل فاما الفرض فهو التسليم لامر الله تعالى والرضا بفعله واما النفل
فاظهار القول بانا لله وانا اليه راجعون قوله عز وجل اولئك عليهم صلوات من
ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون يقول اهل هذه الصفة وهم الصابرون على
طاعة الله تعالى عليهم ثنا جميل من ربهم ومغفرة وبركة ورحمة لهم وهي النعم التي لا يعلم مقاديرها غير
الله عز وجل كما قال في آية اخرى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واولئك هم المهتدون
الى ما امروا به من الطاعات ومجانبة المعاصي وقيل هم الموفقون للاسترجاع ونيل الثواب و
اصل الصلوة في اللغة هو اللزوم يقال صلي واصطلى اذا لزم ومن هذا ما يصلى في النار وفي الآية بشارة
عظيمة وشهادة بالاهتدا بالغة لمن فوض امره الى الله واستسلم لمقادير الله تعالى روي عن امير
المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قرا هذه الآية فقال نعم العدلان ونعم العلاوة عني بالعدلين
قوله تعالى عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبالعلاوة قوله تعالى واولئك هم المهتدون قوله عز وجل
ان الصفا والمروة من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما
ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ابتدا حكم مستانف الا انه منتظم بما قبله ومتصل به
وفي اتصاله وجهان احدهما انه جرا فيما تقدم ذكر الاستعانة بالصبر والصلوة على ساير
الطاعات والسعي بين الصفا والمروة من جملة الطاعات والثاني انه ذكر فيما مضى الاهتدا الى
الطاعات ثم ذكر السعي بين الصفا والمروة اي هم المهتدون ايضا وسبب نزول هذه الآية ما روي
ان اسافا ونايلة رجلا وامراة من قريش كان يطوفان بالبيت في الجاهلية فاصابا خلوة فاراد

احدهما

سمع ... بلغ ... (marginal note)

احدهما صاحبه فمسخهما الله تعالى نحاسا فقالت قريش لولا ان الله رضي ان يعبد اما مسخهما
نحاسا فاخرجوهما الى الصفا والمروة فوضعوا اسافا على الصفا ونايلة على المروة وكانوا اذا
طافوا بين الصفا والمروة مسحوهما فلما جاء الاسلام تحرج المسلمون السعي بين الصفا والمروة
لمكان الصنمين وقالت الانصار ان السعي من امر الجاهلية فانزل الله تعالى هذه الآية و
معنى الآية والله تعالى اعلم ان الصفا والمروة من اعلام متعبدات الله تعالى فمن قصد البيت
بالعمل المشروع للحج من الاحرام والطواف والوقوف والسعي وغير ذلك او زار البيت بالعمل
المشروع للعمرة من الاحرام والطواف والسعي فلا اثم عليه في الطواف بين الصفا والمروة اي لا
يتحرج عن الطواف بهما لمكان الاصنام التي عليهما لا لعين الطواف لان الطواف بهما واجب
ونظير هذا ان يكون الانسان محبوسا في موضع لا يمكنه الصلوة فيه الا متوجها الى بعض المواضع
التي يكره التوجه اليها في الصلوة مثل الحمام او المخرج فيقال له عند ذلك لا جناح عليك في ان تصلي
الى هذه المواضع لا يراد بذلك رفع الجناح عن فعل الصلوة لاجل عين الصلوة لان عين الصلوة وا جبة
وانما يراد بذلك رفع الجناح لاجل المكان الذي يتوجه اليه كذلك في هذه الآية لم يرد رفع الجناح عن
الطواف بهما لعين الطواف لان الطواف واجب والمطوف له هو الله تعالى فلا معتبر بكون الاصنام
على الصفا والمروة وذهب بعض الناس في معنى هذه الآية الى انه لا حرج عليه في ان لا يطوف
بهما وهذا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا وكقوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة اي
لا تقولوا وهذا تاويل من يقول ان السعي بين الصفا والمروة غير واجب وهو قول عطا وانس رضي
الله عنهما وفي قراة ابن عباس وابي فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما واستدلوا على ذلك بقوله
تعالى في اخر الآية ومن تطوع خيرا قالوا وهذا يبين انه تطوع فاما على القول الاول الذي ذكرناه
ان السعي بين الصفا والمروة واجب فمعنى من تطوع خيرا اي زاد على الطواف الواجب بعمل
العمرة او في الحجة الثانية فان الله تعالى شاكر له عالم بثوابه وفي الآية ما يدل على وجوب السعي بين
الصفا والمروة لان الله تعالى سماهما من شعاير الله تعالى وذهب الشافعي رحمه الله الى ان
السعي بين الصفا والمروة ركن لا يقوم الدم مقامه وليس اذا سمى الله تعالى السعي من شعايره ما يدل
على انه ركن من اركان الحج فان الله تعالى سمى المزدلفة المشعر الحرام ولا خلاف ان الدم يقوم
مقام الوقوف بالمزدلفة اذا ترك الحاج الوقوف بمزدلفة غداة يوم النحر والصفا في اللغة الحجارة
الصلبة التي لا ينبت شيا وهو جمع واحده صفاة مثل حصاة وحصى وبحرة وبحر والمروة الحجارة
اللينة الا انهما صارا في العرف والاستعمال اسمين لموضعين معروفين وقيل انما سميت الصفا
صفا لانه جلس عليها صفي الله تعالى آدم صلوات الله عليه وسميت المروة مروة لانها
جلست عليها امراة حوا والشعاير معالم الحج من موقف وسعي ومذبح وساير المناسك
واحدتها شعيرة قال الله تعالى لا تحلوا شعاير الله ومن هذا اشعار الهدي وهو اعلامه بشي
واصله العلم لانه يعلم بعلامة يقال شعرت بكذا اي علمته والحج في الشريعة اسم للنسك المعروف
وفي اللغة اسم للقصد وتسمى الطريق محجة لانه يقصد والحجة فعلة من الحج سميت بذلك لانه يقصد ابطال
قول الخصم والعمرة هي النسك المعروف في الشريعة فاما في اللغة فهي الزيارة وهي ماخوذة من العمارة
وسميت زيارة البيت عمرة لان الزاير يعمر المكان بالزيارة والجناح هو الميل في اللغة يقال اجنحته
فجنح اي املته فمال ومن ذلك جناح الطير قال الله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها اي مالوا اليه
فكان الجناح الميل الى ما فيه ما ثم والطواف هو الدوران يقرا فلا جناح عليه ان يطوف



بهما فاما على ظاهر القراءة فاصل يطوف يتطوف ادغمت التاء في الطاء لقرب المخرجين ومن قرا يطوف بضم اليا وكسر الواو فهو من طوّف اذا اكثر الطواف والتطوع هو تبرع الانسان من ذات يده بما ليس بفرض عليه يقال طاع يطوع اذا انقاد واطاع يطيع اذا انقضى لامره وطاوعه اذا وافقه والفرق بين التطوع والطاعة ان الطاعة هو موافقة الامر والتطوع هو التبرع المبتدا ومن قرا ومن يطوع باليا وجزم العين فالاصل يتطوع ادغمت التاء في الطاء والشاكر في صفات الله تعالى المجازي لان الشكر هو اظهار النعمة وتعالى جل ذكره من ان يكون لاحد عليه نعمة فوصفنا الله تعالى انه شاكر اي مجاز على الشكر فيكون هذا تسمية الجزاء على الشيء باسم المجزي عليه الا ان الله تعالى اخرج الكلام مخرج التلطف مظاهرة بالانعام والاحسان وهو كقوله تعالى من الذي يقرض الله قرضا حسنا سمي الصدقة قرضا حسنا تلطفا على معنى انه يرد على المتصدق اضعاف ما تصدق به قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ نزل في علماء اليهود الذين كتموا امر النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في التورية وكتموا امر القبلة فذكر الله تعالى عاقبة امر الكاتمين وما يستحقون على الكتمان من العقوبات ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان الذين يكتمون ما انزلنا من الاحكام والفرايض والهدى يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما اوضحناه للناس في التورية والانجيل اولئك اهل هذه الصفة يبعدهم الله عن رحمته بايجاب العقاب لهم ويلعنهم اللاعنون المومنون من الجن والانس والملائكة ولعن الخلايق دعاؤهم ومسالتهم من الله تعالى اللعن والابعاد وعن ابن عباس انه قال في تفسير هذه الاية ان الكافر اذا وضع في قبره يسئل من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيقول له منكر ونكير لا دريت ولا تليت ثم يضرب ضربة يسمعها كل شيء الا الثقلين فلا يسمع صوته الا لعنه فذلك قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون وعن ابن مسعود انه قال هو الرجل يلعن صاحبه في الامر فترفع اللعنة الى السماء ثم تنزل فلا تجد صاحبها الذي قيلت له اهلا فترجع الى الذي تكلم بها فلا تجده لذلك اهلا فتنطلق فتقع على اليهود وعن مجاهد انه قال اللاعنون هم دواب الارض وهوامها فيقولون منعنا القطر بمعاصي ابن ادم وفي الاية دلالة وجوب اظهار علوم الدين وتنبيه للناس وزجر عن كتمانها لان نزول الاية على سبب لا يمنع اعتبار عمومها اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كتم علما يعلمه جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار وفي الاية دلالة على امتناع جواز اخذ الاجرة على الطاعة من حيث دلت على لزوم اظهار العلم وترك كتمانه اذ غير جايز الاستحقاق الاجر على ما عليه فعله الا ترى انه لا يصح استحقاق الاجر على الاسلام قوله عز وجل إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ اعلام من الله تعالى انه يقبل التوبة من الذنب الذي لا غاية فوقه يقول الا الذين تابوا من اليهودية واصلحوا اعمالهم فيما بينهم وبين ربهم ويقال اصلحوا ما كانوا افسدوه ممن لا علم له وبينوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتابهم وشهدوا بالحق فيما عندهم من العلم فاولئك اقبل توبتهم واتجاوز عنهم وانا المتجاوز عن التايبين الرحيم بهم بعد التوبة وفي هذه الاية دلالة ان التوبة لا تنفع فيما يراد بها الا بعد ان يقرن التايب اليها ساير ما يلزمه فيصلح ما يلزمه فيصلح ويصلح ما افسده من الناس ولهذا قالوا ان من عمل بالمعصية سرا كفاه التوبة سرا ومن جهر بالمعاصي فلا بد من ان يجهر

الى ع

ق

من ع

بالتوبة قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ عام في جميع الكفار من الكاتمين وغيرهم يقول ان الذين ثبتوا على كفرهم ولم يتوبوا من الكفر قبل موتهم اهل هذه الصفة عليهم لعنة الله تعالى ولعنة الملائكة ولعنة جميع الناس اما المومنون فيلعنونهم في الدنيا والاخرة واما الكفار فيلعن بعضهم بعضا في الاخرة كما قال الله تعالى ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وعن ابي العالية ان الكافر يوقف يوم القيمة فيلعنه الله تعالى ثم الملائكة ثم الناس اجمعون ومعنى خالدين فيها اي في اللعنة واللعنة هاهنا النار لان معنى اللعنة ابعاد الله تعالى من رحمته وابعاده من رحمته عذابه ومعنى لا يخفف عنهم العذاب لا يهون عليهم طرفة عين ولا يمهلون ساعة للاستراحة يستغيثون فلا يغاثون ويستعتبون فلا يعتبون ولا يوذن لهم فيعتذرون وقرا الحسن رضي الله عنه والناس اجمعون بالرفع ووجه القراءة انه رد اللفظ على المعنى لان معنى قوله تعالى عليهم لعنة الله لعنهم الله والملائكة وهذا كما يقال عجبت من ضرب زيد وعمرو ومن قيامك واخوك اي عجبت من ان ضرب زيد وعمرو ومن ان قمت انت واخوك وفي هذه الاية دلالة على ان على المسلمين لعن من مات كافرا لان قوله تعالى والناس اجمعين يقتضي امرنا بلعنه بعد موته فلا يسقط اللعن عن الكافر بزوال التكليف عنه بموته او جنونه قوله عز وجل وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى ذكر فيما مضى قصة الكفار من عبدة الاوثان واهل الكتاب ثم ذكر من بعد توحيد المومنين وبين معبودهم خلاف معبود الكفار وقال بعضهم هذه الاية خطاب لمشركي مكة كانت لهم ثلثماية وستون صنما يعبدونها من دون الله تعالى فدعاهم الله الى توحيده والاخلاص في عبادته وقيل نزلت هذه الاية في صنف من المجوس يقال لهم المانية قال رئيسهم واسمه ماني ارى الاشياء زوجين وضدين مثل الليل والنهار والظلمة والنور والخير والشر والحر والبرد والحزن والسرور فمن كان خالق الخير لا يكون خالق الشر فهما اثنان احدهما خالق الخير والاخر خالق الشر ومعنى الاية والله اعلم ان الذي يستحق ان تولهوا قلوبكم اليه في المنافع والمضار وفي جملة حوايجكم وفي التعظيم له اله واحد لا يستحق الالهية احد غيره وهو العاطف على خلقه المتحنن بهم فنفهم من وحدانية الله تعالى اربعة معان احدها واحد لا يتجزا وليس بذي ابعاض وما جاز عليه التجزي والتقسيم فليس بواحد على الحقيقة والثاني واحد في استحقاق العبادة والوصف له بالالهية لا مستحق لذلك سواه والثالث واحد في صفاته لا يشركه فيها احد مثل صفة الرحمن والقديم ونحو ذلك فان الله مختص بصفات واسماء لا يوجد منها شيء في غيره والرابع واحد في انتفاء النظير والكفو والمثل فاما اذا وصفناه جل ذكره بانه قادر او عالم لم يشركه في كيفية استحقاق هاتين الصفتين احد لان الله تعالى عالم بالمعلومات كلها على وجه لا يجوز عليه الجهل وقادر على الاشيا كلها على وجه لا يصح عليه العجز ونحن نعلم بعض المعلومات ولا نعلم بعضها ونقدر على بعض الاشيا دون بعض ويصح علينا العجز والجهل وكذلك اذا وصفنا الله تعالى بانه حي او غني او باق فهذه صفات لا يتصور عليه فيها الزوال والنقصان فاما قوله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لفظ يقتضي نفي معبود الكفار واثبات معبود المومنين ويقال فيه نفي الالهية عمن لا يستحق الالهية واثبات الالهية لمن يستحقها وانما قرن هذا اللفظ والله تعالى اعلم بالرحمة لان العبادة انما يستحق باعلا مراتب النعم فلذلك بولغ في صفة الرحمة روي انه لما نزلت هذه الاية انكر المشركون توحيد الله تعالى فانزل الله تعالى قوله عز وجل

وقيل المانوية ع

ثنا له ع

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ المعنى والله اعلم ان في خلق السموات بما هي عليه من سقف بغير عمد ترونها مزين بالمصابيح والارض بما فيها من البر والبحر والسهل والجبل ومعادن الذهب والفضة وساير اصناف الجواهر والوان النبات والخلق واختلاف الليل والنهار في الصفة والصورة اسود وابيض وفي المجيء والذهاب على تعاقب كل واحد منهما خليفة صاحبه يخلف احدهما الاخر ابدا وفي الزيادة والنقصان ياخذ كل واحد منهما من صاحبه فيختلفان ابدا ولا يتفقان في السنة الا مرة وفي السفن التي تجري في البحر بما ينفع الناس في التكسب وغير ذلك وفيما انزل الله من السما من ما المطر فاحيى به الارض بعد يبسها وذهاب النبات عنها وخلق وفرق في الارض من اجناس الدواب والحيوانات وفي تقليب الرياح شمالا وجنوبا ودبورا وصبا وفي السحاب المذلل بين السما والارض لمنافع بني ادم لعلامات دالة على وحدانية الله تعالى لقوم يميزون ويعرفون ان الله لو كانت هذه الامور الى اثنين لاختلفا وقد اشتملت هذه الاية على دلايل التوحيد كل واحدة منها بانفرادها حجة على ثبوت وحدانية الله تعالى اما السما والارض فهما جسمان كثيفان من شانهما التسفل فانشاهما الله تعالى كما ترى في الهوا لا للارض عمد من تحتها ولا للسماء علايق من فوقها ولو اجتمع الخلق كلهم على اقامة حجر في الهوا من غير عمد تحته ولا علاقة فوقه لم يقدروا على ذلك فلا بد من معرفة صانع قديم اذ لا يجوز ان تقيم السموات انفسها على غير قرار لان الحي اذا كان جسما لم يمكنه ذلك فالجماد اولى ان يتعذر عليه ذلك واما الليل والنهار فيتعاقبان تعاقب الضد والضدان لا يجتمعان في الوجود ولا بد من ان يتقدم احدهما عن وجود الاخر ولا يجوز عليهما القدم لان القديم واجب الوجود لنفسه اذ لم يكن واجب الوجود لنفسه لم يكن بالوجود اولى منه بالعدم وما لا يكون بالوجود اولى منه بالعدم لا يوجد الا بايجاد موجد والموجد لا بد من ان يتقدم ما يوجده وما تقدمه غيره لا يكون قديما والقديم ما لا يصح عليه العدم وما يصح عليه العدم لا يكون الا محدثا ولا بد للمحدث من محدث لا يشبهه واما الفلك فلولا جري الما برقته وتحرك الرياح لما جرت الفلك وذلك مما لا يقدر عليه الا الله تعالى كما قال جل ذكره في اية اخرى ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره واما انزال الما من السما فغير ممكن الا من الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق السحاب على هيئة الغربال او المنخل ليخرج المطر منه قطرة قطرة ولا يلتقي منه قطرتان في الجو اذ لو خلق الله تعالى السحاب على هيئة اخرى لخرج المطر جملة منهمرا سيالا فكان يغرق ما ياتي عليه كما كان في وقت طوفان نوح عليه السلام قال الله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وهذا لا يكون الا من فعل قادر عليم حكيم واما احيا الارض بالنبات فلو اجتمع الخلق كلهم على احيا شي لم يقدروا عليه وانما سمى الله تعالى عمارة الارض حيوة لان النبات اذا بدا منها له الارض فكانما يتحرك ويحيى قال الله تعالى فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت لانفراقها من النبات وقيل معنى بالاحيا سماتها اذ الارض جماد لا ينطلق اسم الحيوة عليها فحذف المضاف لدلالة الحال واما قوله تعالى وبث فيها من كل دابة اي من الاجناس المختلفة كما قال الله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه الى اخر الاية واما تصريف الرياح فلو لم يكن ذلك فعل فاعل حكيم مختار لوجب ان يكون الرياح

على

على صفة واحدة في جميع الاحوال وقيل في معنى تصريف الرياح اختلافها في كون بعضها نعمة وبعضها عذابا واما السحاب المسخر بين السماء والارض مع كونه جسما كثيفا من غير شي يعمده من تحت او يعلقه من فوق دليل على ان له موقفا اوقفه في الجو على هذا الحد واما ذكر الارض في هذه الاية بلفظ الوحدان فلمعنيين احدهما ان الارض من اسماء الاجناس يقع على الواحد والجمع كالما والتراب وقد ذكر الله تعالى عدد الارض في اية اخرى حيث قال عز من قايل سبع سموات ومن الارض مثلهن والثاني ان السموات صنعت من اشياء مختلفة فاستحقت التجميع في اختلاف الاجناس والارضون من شي واحد وهو الطين والحجر والمدر فجاء بالجنس اذ الجنس دال عليه واسم الفلك يقع على الواحد والجمع يقال للسفينة الواحدة فلك وفلك نحو نخل ونخل وسقم وسقم فاما في لفظ الجماعة فنحو اسد واسد والله تعالى اعلم قوله عز وجل وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ وذلك ان الله تعالى لما بين امر التوحيد وبين الادلة عليه ليستدل بها العاقلون على ذلك عطف على ذلك ذكر من عدل عن التوحيد بعد هذا البيان والبرهان فقال ههنا ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم المشركون يرون الايات ولا يستدلون بها على التوحيد ويتخذون مع رويتهم اياها لله تعالى اندادا اي اعدالا وشركا وامثالا وهي الاوثان جعلوها مثلا لله تعالى اذ عبدوها مع الله تعالى يحبونها كمحبتهم لله تعالى اي يسوون بينها وبين الله تعالى في المحبة فان الحب لله في الحقيقة هو الحب لتعظيمه ومدحه وعبادته فلما احبوا الاصنام على انفسهم العبادة والمدح والتعظيم كما احبوا ذلك لله تعالى كانوا قد احبوا الاصنام كحبهم لله تعالى وقيل معنى يحبونهم كحب الله اي يحبونهم كما يجب ان يحب الله تعالى وقيل معناه يحبونهم كحب المومنين لله تعالى ثم قال الله تعالى والذين امنوا اشد حبا لله اي المومنون يخلصون في محبة الله تعالى لا يشركون معه غيره وهم يشركون معه معبودا اتهم وقيل معناه ان المومنين يعبدون الله تعالى على كل حال والكفار يعبدون الاوثان في الرخا فاذا اصابتهم شدة تركوا عبادتها والدليل على ان حقيقة الحب الطاعة ما قال القايل ﴿ شعر ﴾ قبل هذا البيت

لو كان حبك صادقا لاطعته ۞ ان المحب لمن يحب مطيع ۞ فكل من كان المحب لله تعالى فهو اشد حبا له وسيل ابو سليمان الداراني عن اقرب ما يتقرب به العبد الى الله تعالى فبكى وقال اقرب ما يتقرب به العبد الى الله تعالى ان يطلع الله تعالى على قلبه لا يرى فيه من الدنيا والاخرة الا هو فاما قوله تعالى ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب اي لو راى عبدة الاوثان اليوم ما يرون حين روية شدة عذاب الله تعالى وقوته لتركوا عبادة الاوثان ومحبتها وقرى يرون بضم اليا على فعل ما لم يسم فاعله ومن قرا ولو ترى بالتا على سبيل المخاطبة فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو رايتهم يا محمد صلى الله عليه وسلم حين تبصرون العذاب لان القوة لله جميعا ولان الله تعالى شديد العقاب للروسا والاتباع من اهل الاوثان لرايت امرا عظيما وشيدا وفظيعا وهايلا وانما لم يذكر الجواب لان المعنى يدل عليه كما يقال لو رايت فلانا تحت السياط فيستغنى عن الجواب اذ حذف الجواب في مثل هذا المواضع ابلغ في الفصاحة لانك اذا حذفت احتمل الكلام اشيا كثيرة فاذا بينت كان الجواب مقصورا على اللفظ واما من قرا ان القوة لله جميعا وان الله كلاهما بالكسر فعلى معنى الابتدا وقراة العامة بالنصب على معنى البنا اي بان القوة لله جميعا ونظير هذا قوله تعالى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها وانك على العطف والابتدا ومعنى شدة العذاب في الاية انه يسهل عنده كل عذاب لما روى ان من صفة نار جهنم ان من اخرج منها وادخل نار الدنيا وقع عليه النوم استراحة ودعة قوله عز وجل إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ

الارض احيي



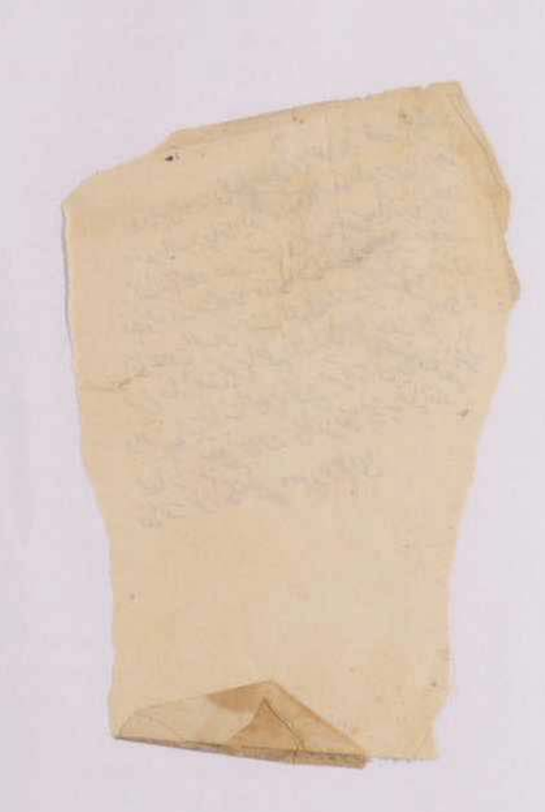
وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ متصل بما قبله المعنى ان الله تعالى شديد العذاب وقت يتبرأ المتبوعون من
التابعين وفي هذا زيادة وعيد للكفار لان الله تعالى بين في هذه الآية ان القادة والاشراف من عبدة الاوثان
يتبرون عند ذلك من الذين اتبعوهم في تعظيمهم وعبادتهم واتباعهم وقصروا انفسهم على الانقيا د
لهم واعتقدوا ان ذلك من اوكد اسباب نجاتهم اذا كان ذلك اليوم يتبرون منهم عند مشاهدة العذاب
ومعنى راوا العذاب اى دخلوا جميعا النار وعاينوا ما فيها وهذا كقول القايل قد رايت السجن ويعني يريد به
انك شاهدته وكنت فيه ومعنى قوله وتقطعت بهم الاسباب اى الوصلات وهي الحلف والمودة التي
كانت بينهم في الدنيا يتحابون عليها واصل السبب الحبل يشد بالشي فيجذب به ثم جعل كل ما جر شيا
سببا وتقطع الاسباب ان لا يبقى لهم سبب الى رحمة الله تعالى بوجه من الوجوه وَاَمَّا قوله تعالى وقال
الذين اتبعوا لو ان لنا كرة اى قال السفلة والخدم لو ان لنا رجعة الى الدنيا لتبرانا منهم في الدنيا كما
تبروا منا في الاخرة يقول الله تعالى كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اى كتبري بعضهم من بعض
يريهم الله تعالى اعمالهم التي عملوا في الدنيا لغير الله تعالى ندامات عليهم في الاخرة كما اراهم تبرا بعضهم
من بعض ويقال كما اراهم العذاب وكل عمل عمل في الدنيا لغير الله تعالى فهو حسرة وندامة يوم القيمة
وَعَنِ السدي في قوله تعالى كذلك يريهم الله اعمالهم ان الله يريهم الجنة ترفع لهم فينظرون الى نعيمها
والى منازلهم فيها لو اطاعوا الله تعالى فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله تعالى ثم تقسم ذلك بين
المومنين وَاَمَّا قوله تعالى وما هم بخارجين من النار اى القادة والاتباع كلهم من عبدة الاوثان
مقيمون خالدون في النار لا يخرجون منها ابدا آيسهم الله تعالى بهذه الآية عن الخروج من النار
وبين انهم انما يتحسرون في وقت لا ينفعهم الحسرة وفي الآية زجر عن المعاصي وعن اتباع غير امر
الله تعالى على سبيل الهوى والتقليد وَاَمَّا انتصاب قوله تعالى فنتبرا منهم على جواب التمني لان
معنى لو ان لنا كرة ليت لنا كرة ولو قرئ بالرفع لجاز على الابتدا تقول ليت زيدا يحضرني فاكرمه
وفاكرمه كلاهما بالنصب والرفع وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس
في الجنة حسد ولكن فيها حسرة وان اشد الناس حسرة يوم القيمة لثلثة نفر رجل يكسب المال
ولا ينفق في الحق وورثه من انفق بالحق فيرى ثواب ماله في ميزان غيره ورجل تعلم العلم و
علم الناس فعملوا به فيرون الدرجات وهو لا يعمل بعلم نفسه ورجل كان له عبد صالح
ترفع درجته فوق درجة مولاه قوله عز وجل يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وذلك ان الله تعالى لما ذكر الموحدين و
ثوابهم والكفرين وعقابهم اتبع ذلك بذكر نعمه في الدنيا على الفريقين واحسانه اليهم وان
معصية من عصاه وكفر من كفره لا يمنعه من الاحسان الى الكافة فقال عز من قايل يا ايها الناس
كلوا مما في الارض من الزروع والانعام وغيرهما مما احل الله تعالى لكم حلالا طيبا يجوز ان يكون
من في قوله تعالى مما في الارض على التجنيس اى كلوا ما في الارض من المحللات كما في قوله وكلوا
مما امسكن عليكم ويجوز ان يكون للتبعيض لان كل ما في الارض غير حلال فان الله تعالى حرم
الميتة وما اشبهها بايات اخر فَاَمَّا قوله تعالى طيبا يجوز ان يكون صفة للحلال وهما واحد
جمعهما في اللفظ للتاكيد كما يقال سحقا وبعدا وكذب ومين ويجوز ان يكون معنى الطيب المستلذ
فاما الحلال فما كان غير محظور ومعنى قوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا
تسلكوا طريقه التي يدعوكم اليها انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة وَذَهَبَ بعض المفسرين
الى ان هذه الآية نزلت في بني ثقيف وبني عامر بن صعصعة كانوا يحرمون البحيرة والسايبة

والوصيلة والحامي وبعض الحروث كما قال الله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام
نصيبا فانزل الله تعالى فيهم هذه الآية والخطوات جمع الخطوة كما يقال حجرة وحجرات وغرفة
وغرفات والخطوة في اللغة بعد ما بين قدمي الماشي ومن قرا خطوات باسكان الطاء
فلثقل الضمة فاما الخطوة بفتح الخاء فهي المرة من الخطو كما يقال مضغة ومضغة ولقمة و
لقمة وقرئ في الشواذ خطوات بنصب الخاء والطاء قوله عز وجل إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ
وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ يقول ان الشيطان ان يامركم بالاثم والقبيح من العمل وبان تقولوا
على الله ما لا تعلمون انه حرم عليكم ما لم يحرمه ويقال هو وصفهم لله تعالى بالاولاد والانداد وَذَهَبَ
بعضهم الى ان السوء ما يجب به التعزير والفحشاء ما يجب به الحد وَزَعَمَ مقاتل رحمه الله كل
ما في القرآن من ذكر الفحشاء فهو زنا الا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء فانه
منع الزكوة وقيل ان السوء في اللغة ما يسوء الانسان اى يحزنه وتقبح عاقبته والفحشاء ما جاوز
الحد في الشناعة حتى استبشعه كل عاقل فَاِنْ قِيلَ كيف يصح ان يامرنا الشيطان ونحن لا نشاهد
شخصه ولا نسمع صوته قِيلَ معنى يامركم اى يدعوكم ويرغبكم وهذا كقول الانسان نفسي تامرني بكذا
وهواي يامرني بكذا اى يدعوني اليه وقد يجد الانسان اثر وسوسة الشيطان في نفسه ودعايه
الى المعاصي بان يثقل بعض الطاعات عليه ويميل الى بعض المعاصي وقد علم بالاخبار الصادقة ان
هذا يكون من فعل الشيطان الذي ثبتت عندنا عداوته اياه فلا يكون مخالفة الشيطان الا في فعل
الطاعة وترك المعصية قوله عز وجل وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ
مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ في الآية بيان
عناد الكفار واتباعهم التقليد دون الحجة يقول اذا قيل لهؤلاء الكفار اتبعوا في التحليل والتحريم
ما انزل الله لا اهواكم قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاوثان في التحريم البحيرة و
نحوها يقول الله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيا وهذا الف الاستفهام دخلت على واو
العطف ومعناها التوبيخ والذم كانه تعالى قال ايتبعون اباءهم وان كانوا جهالا لا يعقلون شيا
من الدين ولا يهتدون للسنة وفي هذه الآية بيان انه لا يجوز للانسان ان يتبع قول من لا يعلم
الله على الحق او على الباطل وفيها دليل على فرض الله تعالى على المكلفين اتباع الحجة والنظر في امر
الدين ثم ضرب الله تعالى للكفار مثلا لوصفهم بعد ما امر ونهى فلم يأتمروا ولم ينزجروا بصفة
الدواب فقال عز وجل وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً
صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ يقول مثلك يا محمد صلى الله عليه وسلم مع الذين كفروا و
يقال مثلنا مع الذين كفروا والحذف اختصارا لدلالة الكلام عليه ويقال مثل واعظ الذين كفروا
فحذف المضاف كما في قوله تعالى واسال القرية كمثل الذي يصيح بما لا يدري ما يقال له الا انه يسمع
الصوت وهو الشاة والبعير والبقر ينزجر بالصوت ولا يفقه ما يقال لها ولا يحسن جوابا
اى كما ان البهايم لا يفهم معنى كلام من يدعوها فكذا هؤلاء الكفار لا ينتفعون بوعظ النبي صلى
الله عليه وسلم هم صم عن الخير لا يسمعون الحق خرس لا يتكلمون بخير عمي لا يبصرون الهدى
فهم لا يعقلون ما يومرون به وَذَهَبَ بعض المفسرين رحمهم الله الى ان هذه الآية مثل ضربه
الله تعالى للكفار والهتهم يقول مثل الكفار في دعايهم الاصنام كمثل راعي الابل والغنم كما لا
تفهم البهايم معنى كلام من يدعوها ويزجرها كذلك الاصنام لا تسمع ولا تنفع والدعاء والنداء
واحد كما ان الحلال والطيب واحد وقيل الدعاء ما يكون للقريب والنداء انما يكون بمد الصوت

روى ليس من رجل ظالم يدخل قبره الا واتاه شخص قبيح الوجه
اسود اللون فاذا راه الظالم قال له ما اقبح وجهك فيقول
كذلك كان عملك علي قبيحا في الدنيا فيقول له من انت فيقول
فيقول كذلك كان عملك [illegible] في دار الدنيا فيكون معه في
انا عملك [illegible] قال له الظالم [illegible]
قبره فاذا بعث يوم القيمة [illegible]
[illegible]

للبعيد وقال بعضهم الدعا تعريف اسما معين اسم المدعو والندا امالة المدعو اليك قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون
خاطب الله تعالى المومنين بهذه الآية تعظيما لشانهم كما خاطب الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين
حين قال عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ومعنى هذه الآية والله تعالى اعلم
يا ايها الذين اقروا وصدقوا بتوحيد الله تعالى كلوا من حلال ما رزقناكم من الحرث والانعام واشكروا
الله على ما رزقكم واباح لكم من النعم ان كنتم تقرون انه الهكم ورازقكم وتعرفون ذلك لان الشكر
انما يكون من العارف بربه دون الجاهل ويكون ذلك تعظيما للمنعم لمكان نعمته وهذا الامر بالاكل
امر اباحة وتخيير لان تناول المشتهى لا يدخله التعبد وقد يكون الاكل تعبدا في بعض الاحوال
عند دفع الضرر عن النفس وتقويتها على طاعة الله تعالى وعند مساعدة الضيف اذا كان هو يمتنع
عن الاكل اذا انفرد وينبسط اذا سوعد روى الله لما نزلت هذه الاية قالت الكفار ان لم تكن
البحيرة والسايبة والوصيلة محرمة فما المحرمات فانزل الله تعالى قوله عز وجل انما حرم
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا
اثم عليه ان الله غفور رحيم يقول انما حرم الله تعالى عليكم الميتة وهي التي تموت حتف
انفها بغير ذكاة وقد تكون الميتة بسبب من فعل ادمي اذا لم يكن فعله فيها على وجه الذكوة
المبيحة له والدم يعني الدم المسفوح كما قال الله تعالى في اية اخرى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما
الى قوله تعالى او دما مسفوحا فاما قوله تعالى ولحم الخنزير فالمراد به المذكى منه وغير المذكى
لان في ابتدا هذه الآية تحريم الميتة عاما فلما افرد لحم الخنزير بالتحريم علمنا انه لم يرد به الخنزير
الميت واما قوله تعالى وما اهل به لغير الله اي ما ذكر عليه عند الذبح اسم غير الله تعالى
اما قوله تعالى فمن اضطر يقول من الجاته ضرورة المجاعة او ضرورة الاكراه الى اكل شي من هذه
المحرمات غير طالب لذلك ويقال غير طالب عند اكله تلذذا ولا عاد اي ولا متجاوز قدر ما
يسد به رمقه وقيل ولا مجاوز قدر حاجته من عدا فلان الشي يعدوه اذا جاوزه وقال
بعضهم في معنى هذه الآية غير باغ على امام ولا معتد على امته اي غير مفارق للجماعة ولا عاد على
المسلمين بالسيف فلا اثم عليه اي لا حرج عليه في الاكل عند الضرورة ان الله غفور لذنوب
العباد اذا تابوا رحيم بهم اذ رخص لهم للاضطرار في اكل ما حرم عليهم قبل الاضطرار وقد
اختلف اهل اللغة في قوله تعالى انما حرم ذكر الزجاج وغيره انه معنى ما حرم عليكم الا الميتة و
الدم قالوا لان انما تشتمل على ان التي للاثبات وما التي للنفي فتكون اثباتا لما بعدها ونفيا لما
سواها تقول ان زيدا منطلق فيكون خبرا عن انطلاق زيد واذا قلت انما زيد منطلق فقد نفيت
عنه في المعنى جميع الصفات الا الانطلاق وتقديره ما زيد الا منطلق وقال بعضهم انما للتاكيد
فقط ويجوز ان يكون معناه ان الذي حرم الله تعالى عليكم الميتة وفي الميتة لغتان ميّتة بالتشديد
وميْتة بالتخفيف وقيل ان الميتة مخففة من الميّتة وليس فيهما علة الا طلب التخفيف وقال
بعضهم الميّت بالتشديد يذكر لما سيموت وبالتخفيف لما قد مات وعلى هذا التاويل قوله تعالى انك
ميت وانهم ميتون والاهلال في اللغة رفع الصوت كانوا اذا ارادوا الذبح رفعوا الصوت
بذكر الهتهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا استهل الصبي صارخا سمي وورث وورث
وصلي عليه وقال لا حج الا لمن اهل ولبى ومن هذا سمي الهلال هلالا لان الناس يرفعون
اصواتهم عند رويته والاضطرار هو ان يدفع الانسان الى ما لا يمكنه الانفكاك منه والبغا

في اللغة الطلب من بغى الرجل يبغي حاجته بغا تقول العرب خرج في بغاء ابل له اى في طلب ابل
له والبغي هو قصد الفساد يقال بغى الجرح يبغي بغيا اذا ورم وترامى الى الفساد والبغا بكسر
الباء الزنا من باب فعل يفعل ايضا بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل وفي الاية دلالة على
انه لا يجوز الانتفاع بالميتة بوجه من الوجوه ولا ان يطعمها الكلاب والجوارح لان ذلك ضرب
من الانتفاع بها وظاهر قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة يقتضي تحريم جميع الميتات الا ان
النبي صلى الله عليه وسلم خص السمك والجراد من هذه الجملة بالاباحة بقوله صلى الله عليه
وسلم احلت لنا ميتتان ودمان فالميتتان السمك والجراد واما الدمان فالكبد والطحال و
قد اختلف الناس في اكل السمك الطافي وهو الذي يموت في الماء حتف انفه قال علي كرم الله وجهه
ما طفا من صيد البحر فلا تاكله وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما دسره البحر فكل وما
طفا فلا تاكل وعن ابي بكر وابي ايوب الانصاري رضي الله عنهما اباحة اكل السمك الطافي
فلما اتفق المسلمون على تخصيص غير الطافي من هذه الاية خصصناه واختلفوا في الطافي فكرهه
اصحابنا رحمهم الله وتركوه على العموم الذي وردت به الاية في تحريم الميتة وفي الاية دليل على
صحة قول ابي حنيفة رحمه الله في جنين الناقة والبقرة ونحوهما اذا خرج بعد ذبح الام لا
يوكل الا ان يخرج حيا فيذبح واما جلد الميتة اذا دبغ فقد اختلف الفقهاء فيه قال اصحابنا
يجوز بيعه والانتفاع به استدلالا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال دباغ الاديم
ذكاته وروي ذكاة الاديم دباغه فاجرى النبي صلى الله عليه وسلم الذكاة والدباغ مجرى واحدا
وعنه صلى الله عليه وسلم انه مر بشاة ميتة لميمونة فقال هلا انتفعتم بجلدها فقيل انها ميتة
فقال صلى الله عليه وسلم انما حرم من الميتة اكلها واما شعر الميتة وصوفها وقرنها وعظمها
ففيه ايضا خلاف بين اهل العلم قال اصحابنا لا يكون ذلك ميتة لانه يوخذ من الحيوان في حال
حيوته فلا يكون نجسا بالاتفاق وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا باس
بمسك الميتة اذا دبغ وصوفها وشعورها اذا غسل بالماء وكان مالك يقول لا ينتفع بعظام الميتة
ولا باس بشعرها وصوفها وقال الشافعي لا ينتفع بشيء منها واما لبن الميتة وانفحتها فهما طاهران
في قول ابي حنيفة رحمه الله وقال ابو يوسف ومحمد يكره اللبن لانه في وعاء نجس وكذلك الانفحة
اذا كانت مايعة فان كانت جامدة فلا باس وقالوا جميعا في البيضة اذا كانت من دجاجة ميتة
لا باس بها ومن الدليل على طهارة هذه الاشياء في موضع خلقتها قوله تعالى وان لكم في الانعام
لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين وقد اتفق
المسلمون على جواز اكل اللحم المذكى بما يبقى في عروقه من الدم بعد الذبح وفي ذلك دليل ان
موضع الخلقة لا ينجس بمجاورة ما خلق فيه واما دهن الميتة فلا خلاف بين الايمة انه نجس
لا يجوز الانتفاع به بوجه من الوجوه واما اختلفوا في الدهن الذي تموت الفارة فيه هل يجوز
الاستصباح والانتفاع به لغير الاكل وقد وردت السنة في ذلك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سئل عن الفارة تموت في السمن فقال ان كان جامدا فالقوها وما حولها وان
كان مايعا فاريقوه وفي بعض الروايات انتفعوا به من غير اكل واما تخصيص لحم الخنزير
في الاية فلانه اعظم منفعته وما كان يبتغي منه الكفار اللحم فخص اللحم بالذكر واراد جميع
اجزايه وهذا كما قال الله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومعلوم ان ايقاع جميع الافعال
في الصيد حرام على المحرم ولكن خص القتل لانه اعظم ما يقصد به وكذلك خص الله تعالى



البيع بالنهي وقت النداء يوم الجمعة واراد بذلك جميع الامور الشاغلة عن الجمعة يدل على هذا
ان الله تعالى قال في آية اخرى او لحم خنزير فانه رجس وهذه الكناية راجعة الى نفس الخنزير
فاقتضت نجاسة جميع اجزايه الا انه اكثر اهل العلم استحسنوا اجازة الانتفاع بشعره الذي
يصلح للخرز دون جواز بيعه وشرايه لما شاهدوا التابعين واهل العلم يقرون الاساكفة
على استعماله من غير نكير ظهر منهم عليهم وهذا مثل ما قالوا في اباحة دخول الحمام من غير شرط اجرة
معلومة ولا مقدار مدة لبثه فيها ولا مقدار ما يستعمل من الماء لان ذلك كان ظاهرا مستفيضا في
عهد السلف غير منكر به على فاعليه فصار ذلك اجماعا منهم وفي الآية دلالة على تحريم ذبيحة اليهودي
والنصراني اذا سموا عليها غير الله تعالى لان الاهلال لغير الله تعالى اظهار غير اسم الله تعالى
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايتم اليهود يذكرون مع اسم الله
شيئا اخر فلا تاكلوه فان قيل اذا سمى النصراني على الذبيحة باسم الله تعالى فانما يريد به المسيح
فاذا كانت ارادته لذلك لم تمنع صحة ذبيحته وهو مع ذلك مهل به لغير الله فاذا اظهر ما اضمر
فلما ذا حرمت تلك الذبيحة على المسلم قيل له لان الله تعالى كلفنا حكم الظاهر فاذا اظهر غير اسم
الله تعالى حكم على ما اظهر فدخل تحت قوله تعالى وما اهل به لغير الله واما اذا اضمر لم يظهر الا اسم
الله تعالى فهذا الاسم لا يستحقه احد الا الله تعالى فلا يجوز حمله على اسم المسيح الا ترى ان من
اظهر القول بالتوحيد وتصديق الرسول كان حكمه حكم المسلمين مع جواز اعتقاده التشبيه
المضاد للتوحيد واختلف اهل العلم في معنى قوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم
عليه قال ابن عباس والحسن ومسروق غير باغ في الميتة ولا عاد في الاكل وهو قول اصحابنا و
مالك اباحوا للبغاة الخارجين على المسلمين اكل الميتة عند الضرورة كما اباحوا لاهل العدل
وقال مجاهد وسعيد بن جبير اذا لم يخرج باغيا على امام المسلمين ولم يكن سفره في معصية
فله ان ياكل الميتة اذا اضطر اليها وان كان سفره في معصية او كان باغيا على امام المسلمين
لم يجز له ان ياكل وهو قول الشافعي رحمه الله وظاهر قوله تعالى الا ما اضطررتم اليه يوجب الاباحة
للجميع من المطيعين والعصاة وقد قال الله تعالى في آية اخرى ولا تقتلوا انفسكم اتفق
اهل العلم ان من امتنع من المباح حتى مات كان قاتلا نفسه فلا يختلف في ذلك حكم العاصي والمطيع
بل يكون امتناعه عند ذلك عن المباح زيادة في عصيانه والميتة عند الضرورة بمنزلة المذكاة
في حال الامكان والسعة واختلفوا في حد الاضطرار فالصحيح من ذلك ان الاضطرار لا يكون
الا عند خوف التلف في اخر الرمق وعن عبد الله بن المبارك انه قال اذا كان بحيث لو دخل
السوق لا ينظر الى شي سوى المطعوم وقال بعضهم اذا كان يضعف عن الفرايض وهذا عند
المتقين حد الاضطرار الى الشبهات فاما مقدار ما ياكل من الميتة عند الضرورة قال
اصحابنا لا ياكل منها الا قدر ما يمسك رمقه وقال مالك ياكل منها حتى يشبع ويتزود
منها فان وجد شيا مباحا طرحها وفي الاية تعليق الاباحة بوجود الضرورة والضرورة
هي خوف الضرر بترك الاكل منها على نفسه او بعض اعضايه فمتى اكل منها مقدارها
يزول معه خوف الضرر في الحال فقد زالت الضرورة ولا يمكن اعتبار سد الجوعة لان
الجوع في الابتدا لا يبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا بتركه فان قيل ما معنى قول الفقهاء
ان اكل الميتة عند الضرورة رخصة وهو من الواجبات عند الضرورة قيل بلى هو واجب
عند عامة الفقهاء حتى روي عن مسروق رضي الله عنه انه قال من اضطر الى ميتة فلم ياكل حتى

اسمه

اذا

غيره

مقدارها

مات

مات دخل النار الا ان من عادة الفقهاء رحمهم الله فيما كان تخفيفا عن تثقيل ان يصفوه
بهذا الوصف سوا كان من باب المباح او الواجب وعلى هذا قالوا في المسح على الخفين انه
رخصة وهو من باب الواجب الذي لا بد منه عند ترك غسل الرجلين فلما كان اباحة اكل الميتة
للمضطر تخفيفا عن تثقيل سمي ذلك رخصة فان قيل هلا دل قوله تعالى فلا اثم عليه على انه
مباح لان هذه اللفظة لا تستعمل الا في المباح قيل انما ذكر الله تعالى هذا اللفظ ليبين زوال
الحرج في تناول ذلك عند الضرورة تمييزا بين حال المضطر وحال المختار ثم لا يمتنع ذلك من ان
يكون واجبا وهذا كما تقدم في تفسير قوله تعالى فلا جناح عليه ان يطوف بهما فان قيل قوله تعالى
فلا اثم عليه في ظاهر اللفظ يناقض قوله تعالى ان الله غفور رحيم لان الغفران يقتضي اثبات اثم
يغفر ويستر قيل لما كانت الضرورة تبيح ما لولاها لكان محرما جاز في الاكل عند الضرورة بان
يقول الله تعالى ان الله غفور رحيم لانه بالغفران قد ستر ما لولا الاباحة لكانت معصية منكشفة و
برحمته جوز عند الضرورة احيا النفس بتناوله وقال الحسن اراد بهذا رفع العقاب عمن تاب
من تحريم البحيرة والسايبة والوصيلة وفي قوله تعالى فمن اضطر قراتان من قرا بضم النون
كانت ضمة النون في الحقيقة ضمة الالف التي بعدها الا انها تقع على النون عند القراة ومن قرا
بكسر النون قال ان النون من قوله تعالى فمن ساكنة والساكن اذا حرك حرك الى الكسر قوله عز وجل
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في
بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم نزل في علماء
اليهود والنصارى قال بعضهم اراد بالآية كتمان ما انزل الله تعالى من نفس الكتاب وقال بعضهم اراد
به كتمان التاويل دون التنزيل فان التنزيل يعرفه العلما والعوام جميعا فلا يجوز ان يتواطوا على
كتمانه لان ذلك يتعذر في التورية والانجيل مع ظهورهما كما يتعذر مثله في القرآن فاما التاويل
فلا يعرفه الا العلما فيجوز ان يتواطوا على كتمانه كالعالم بمعنى المتشابه من الصفات قد يجوز ان يكتم
معناه المتشبهة ليستاكلهم بذلك ومعنى الاية ان الذين يكتمون ما انزل الله من نعت النبي صلى الله عليه
وسلم وصفته وغير ذلك من الرخص والاحكام التي بينت في الحلال والحرام ويختارون بسبب الكتمان
عرضا يسيرا من متاع الدنيا وهو ما كان لهم من الهدايا والفضول من اغنيايهم ورؤسايهم ويقال اراد
به الرشا التي كانوا ياخذونها منهم اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار قال بعضهم معناه ياكلون في جهنم
النار ويقال ما ياكلون الا الحرام وسماه نارا لان عاقبته النار في الحقيقة واما قوله تعالى ولا يكلمهم الله
يوم القيمة قال بعضهم معناه يغضب عليهم ولا يكلمهم الله بما يكلم به اولياءه كما يقول فلان لا يكلم فلانا
يريد بذلك انه عليه غضبان لا يكلمه بخير فكذلك لا يكلمهم الله تعالى هولاء الكاتمين بما يكلم به اولياءه من البشارة
والرضا واما التهديد فلا بد من ذلك كما قال الله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين وقال عز من قايل فلنسالن
الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وقال بعضهم معنى قوله ولا يكلمهم الله اي لا يسمعهم كلامه نفسه بل
يرسل اليهم ملايكة العذاب فيكلمونهم بامر الله تعالى ويسالونهم عن ارسال الرسل اليهم واما اضاف الله تعالى
السوال الى نفسه لان سوال الملايكة يكون بامره ومعنى ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم خيرا وقيل لا يصلحهم من اعمالهم
الخبيثة ولهم عذاب اليم مولم موجع يخلص وجعه اليهم فان قيل كيف قال اولئك في بطونهم ولا يكون الاكل الا
فيما يصل الى الجوف فلم ذكر البطن قيل لما ذكر الله تعالى في هذه الآية يشترون به ثمنا قليلا واراد به الرشا و
الفضول كان يجوز ان يتوهم متوهم ان المراد بالاكل غير الاكل الذي يصل الى البطن كما يقال اكل فلان ماله اي افسده
وبذره فذكر البطن تاكيدا كما قال تعالى ولا طاير يطير بجناحيه ويقال بطشت بيدي ومشيت برجلي وجواد اخر

ما ياكلون



ان العرب تقول جعت في غير بطني وشبعت في غير بطني اذا جاع من يجري جوعه مجرى جوعه وشبع من يجري
شبعه مجرى شبعه فقيد الاكل بالبطن ليزيل هذا الابهام قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار المعنى والله اعلم الذين مالوا الى تحريف التورية
والانجيل هم الذين استبدلوا الكفر بالايمان واختاروه عليه واما قوله تعالى والعذاب بالمغفرة فلان
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يوجب المغفرة والكفر به يوجب العذاب فيكون المستبدل الكفر بالايمان
مشتريا العذاب بالمغفرة وقوله فما اصبرهم على النار قال الكسائي هذا اللفظ استفهام بمعنى التوبيخ
والتعجب جميعا يريد بهذا الله توبيخ لهم وتعجيب لنا كانه تعالى قال ما اجرأهم على فعل اهل النار مع علمهم
وحكى الكسائي عن رجل كان يحلف بالله تعالى على شيء فقال له خصمه ما اصبرك على الله تعالى اي ما اجراك
على الله تعالى ويقال معنى الآية اي شيء صبرهم على النار ودعاهم اليها ويقال معناه ما ابقاهم و
ادومهم في النار كما يقال ما اصبر فلانا على الحبس اي ما ابقاه فيه قال الحسن رضي الله عنه ما
لهم من صبر عليها ولكن ما اعملهم بعمل اهل النار والصحيح ان مثل هذا اللفظ لا يكاد يقال فيمن يقدم
على عمل اهل النار مع الشبهة والتاويل فانما يقال ذلك فيمن يقدم والعلم له حاصل فلما كان علماء
اليهود عالمين بصحة امر محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ونبوته واقدموا مع ذلك على ما كانوا عليه
من طريقة الرياسة واجتلاب المنفعة وعدلوا عما يقتضيه علمهم ومعرفتهم واختاروا الضلالة
على الهدى صح ان يقال لهم فما اصبرهم على النار من حيث اجترؤا على الله تعالى في حال التكليف
مع العلم بالوعد والوعيد قوله عز وجل ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين
اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد اي ذلك العذاب لهم في الآخرة ويقال ذلك الضلال بان الله
تعالى نزل الكتاب بالحق بالعدل والصدق فاختلفوا فيه وقوله تعالى وان الذين اختلفوا في
الكتاب قال بعض المفسرين اراد بالذين اختلفوا اليهود والنصارى واراد بالكتاب التورية و
الانجيل وما فيهما من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة امره ودينه وقال بعضهم اراد
بالذين اختلفوا الكفار كلهم واراد بالكتاب القران اختلفوا فيه فقال بعضهم سحر وقال بعضهم
اختلاف قول البشر وقال بعضهم اساطير الاولين وقوله تعالى لفي شقاق بعيد اي خلاف طويل
يتباعدون في المشاقة يشاقون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملئكة
والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا
واولئك هم المتقون وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى ذكر اليهود والنصارى بقوله
تعالى وان الذين اختلفوا في الكتاب ثم قال عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم اي ليس البر تولية
الوجوه الى المشرق والمغرب وذلك انه لما كانت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة كثر الخوض في
امر القبلة قال الحسن توجهت النصارى نحو المشرق واليهود نحو المغرب واتخذوهما قبلة
وزعموا انهما البر فكذبهما الله تعالى بهذه الآية وبين ان البر في طاعة الله تعالى واتباع
امره لا في اخذ المنسوخ وترك الناسخ وبين ان البر لا يتم الا بالايمان ويقال معنى الآية
ليس البر كله في الصلوة فقط ولكن البر الذي يؤدي الى الثواب بر من يؤمن بالله تعالى
واليوم الآخر والغرض من الاية والله تعالى اعلم ان البر مجموع خصال هي الايمان بالله تعالى

الكلبي ع

هو كل البر الذي

و

واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والثواب والعقاب والاقرار بالملئكة انهم عباد
الله تعالى ورسله لا كما قال بعض العرب ان الملئكة بنات الله تعالى والاقرار بالكتب التي انزل
الله تعالى والاقرار بالنبيين كلهم وقوله تعالى وآتى المال على حبه عطف على من آمن اي واعطى
المال على حبه يعني المال على شهوته وجوعه وهو صحيح شحيح يخشى الفقر ويامل الغنى ذوي القربى
يعني اقرباءه في الرحم واليتامى وهم الصغار والفقراء الذين قد مات اباؤهم والمساكين الذين لا شيء
لهم وابن السبيل قال بعضهم هو الضيف ويقال هو المسافر الذي لا يجد ما يحمل به الى بلده فيجب
مواساته بما يبلغه الى بلده وسمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق كما يسمى طير الماء ابن الماء و
السائلين الذين يسالون الناس ما يتقوتونه لحاجتهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطوا السائل
وان اتى على فرس وقوله وفي الرقاب قال بعضهم هو شرى الرقاب للعتق وقيل اعانة المكاتبين
ليسعوا في فك رقابهم وذهب بعض المفسرين الى ان الهاء في قوله تعالى على حبه عايد الى الايتاء
اي على حب الاعطاء يعطي بطيبة من نفسه ولا يكون متسخطا عند الاعطاء ويحتمل ان يريد على حب الله
تعالى كما قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولا يمتنع ان يكون جميع هذه
الوجوه مرادا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ان المراد بهذه الاية حب
المال وهو ما روي عن ابي هريرة انه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل قال ان تتصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل
الغنا ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان و
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن افضل الصدقة فقال جهد المقل على
ذي الرحم الكاشح واما قوله تعالى واقام الصلوة يعني الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يعني الزكوة
المفروضة فهذا عطف على قوله تعالى وآتى المال وفيه دليل ان المراد بايتاء المال غير الزكوة لان
المعطوف غير المعطوف عليه فيحتمل ان يكون الامر بايتاء المال حثا على صدقة التطوع لان الاية
وردت في البر لا في الواجبات وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل هل في المال
حق غير الزكوة فقال اللهم فلا وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بايتاء المال صلة ذي الرحم اذا
وجد قريبه ذا فقر وضر ووجوب الاطعام اذا راى فقيرا مضطرا اجهده الجوع فعلى هذا يكون
جميع هذه الآية على الواجبات واما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نسخت الزكوة كل
صدقة قد كانت قبلها فتاويله الحقوق الواجبة في المال من غير ضرورة مثل ما روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من كثر نخله فلياتي بعذق من نخله فليعلقه على باب المسجد تاكله المارة
فانما نسخت الزكوة مثل هذه الحقوق التي كانت في اول الاسلام يدل على هذا ان الفقهاء اجمعوا
على وجوب صدقة الفطر اذ كان الامر بصدقة الفطر بعد فرض الزكوة واما قوله تعالى والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من آمن والمراد بالعهد العهود التي امر الله تعالى بالوفاء بها من الايمان
وساير المواثيق مدحهم الله تعالى على الوفاء بما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصرته على
الاعداء ومظاهرته بالجهاد وغير ذلك من العهود واما قوله تعالى والصابرين في البأساء والضراء
وحين البأس فالبأساء الحالة ذات البؤس والفقر والضراء حالة السقم والوجع وفي مثل هاتين
الحالتين يعظم موقع الصبر على العبادات ومعنى وحين البأس حين شدة الحرب يقال لا باس
عليك اي لا شدة عليك ويقال بئس الرجل يباس باسا اذا اشتدت شجاعته وبؤس الرجل
يبؤس بؤسا اذا اشتدت حاجته واما قوله اولئك الذين صدقوا اي اهل هذه الصفة هم الذين

لها

العيش ع

العهد ويا ... النعير وهو ...

ن

صدق في ايمانهم وجهادهم والبر واوليك هم المتقون محارم الله تعالى وفي ساير امورهم ومن قراه
ليس البرُّ برفع الرا جعل الخبر في ان تولوا ومن نصب البرَّ جعله خبر ليس على التقديم والتاخير
المعنى ليس توليتكم وجوهكم البرَّ فان كلمة ان اذا قرنت بالفعل المضارع صار بمعنى الاسم و
من شدد لكن نصب البرَّ ومن خففها رفع الرا فان قيل كيف قال تعالى والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا والصابرين في الباسا والضرا فرفع قوله تعالى والموفون بعهدهم ونصب الصابرين
قلنا اما قوله والموفون عطف على من آمن وموضعه الرفع كانه قال ولكن البر المومنون والموفون
واما قوله تعالى والصابرين قال بعضهم انه عطف على قوله تعالى ذوي القربى وذلك في موضع نصب
لوقوع فعل الايتا عليه فكذلك المعطوف عليه وقال بعضهم ان هذا نصب على المدح باضمار اذكر واعني
والعرب ان تعدل من المرفوع الى المنصوب في المدح على هذا الاضمار ومن المنصوب الى المرفوع على
اضمار هو وكذلك في الذم وكذلك هذا قوله تعالى والمقيمين الصلوة والموتون الزكوة وقوله تعالى ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابيون والنصارى قال الشاعر نحن بنو ضبة اصحاب الجمل وقال آخر
لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شي فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك
تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم فصل مبتداء يشتمل على احكام
مبتداة والمعنى والله تعالى اعلم يا ايها الذين صدقوا بالله ورسله فرض عليكم القصاص في القتلى واما
قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد ذهب بعض اهل العلم ان القصاص مقصور على الحر بالحر والعبد
بالعبد وانه لا يقتل الحر بالعبد قال واراد بقوله تعالى والانثى بالانثى اي يقتل الانثى من كل واحد
من الجنسين بالانثى من جنسها وقال اصحابنا ليس معنى الاية هذا ولكن الله تعالى اراد بهذا
ابطال اعتبار الشرف في باب القصاص بالانفس على ما روي عن ابن عباس انه قال نزلت هذه الاية
في حيين من العرب وهما الاوس والخزرج كان بينهم قتلى وجراحات في الجاهلية وكان لاحدهما
طول على الاخر في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نسا الاخرين بغير مهر واقسموا لنقتلن
بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي
جراحات اوليك ياخذها بعضهم من بعض حتى جا الاسلام فرفعوا امرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى هذه الاية لبيان ان الحر بالحر وفا والعبد بالعبد وفا يدل على صحة هذا ان
اول الاية عام في جميع القتلى وقوله الحر بالحر خصيص بعض ما شمله العموم الاول ورد بموافقته
فلا يوجب ترك العموم الاول اذ الترك انما يكون بالمنافي لا بالموافق ولهذا اجمعوا ان المراة تقتل
بالرجل والرجل يقتل بالمراة مع قول الله تعالى والانثى بالانثى لان اول الاية محكم وما بعده محتمل
متشابه والمتشابه مردود على المحكم واما قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شي قال بعض المفسرين
ان من اسم للقاتل المعفو من ترك له القود من اخيه المقتول ورضي منه بالدية ويقال من ترك له القود
من ولي القتيل وهو اخو القاتل في الدين ورضي منه بالدية فليتبع العافي وهو ولي القتيل بالمعروف اي
ليرفق في طلب الدية من القاتل ولا يعنف وليود القاتل اليه باحسان اي لا يبخس ولا يماطل قالوا وقد
يذكر العفو المقرون باللام بمعنى الترك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وعفوت لكم عن صدقة الخيل
والرقيق الا ان في الرقيق صدقة الفطر ويجوز ان يكون الاتباع فيها بالمعروف والادا بالاحسان
كلاهما راجعين الى القاتل لان الامر اذا تعقب فعل ما لم يسم فاعله كان منصرفا الى المفعول به دون الفاعل

اذ

اذ الفاعل غير مذكور فيه وهذا كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ازلت اليه نعمة فليشكرها ومن احيل على ملي فليتبع و
ذهب اصحابنا في هذا التاويل الذي ذكرناه الى ان القاتل اذا رضي منه ولي القتيل بالدية لزمته اجابته
الى ذلك ديانة لا احتما وايجابا وهذا كالمضطر الى طعام غيره اذا عرض عليه صاحب الطعام طعامه
بثمن المثل لزمته الاجابة الى ذلك لاحيا نفسه ديانة لا احتما وتاولوا هذه الاية ايضا بتاويلات اخر
اقرب الى ظاهر الاية احدها ما قالوا ان العفو في اللغة ما سهل وتيسر قال الله تعالى خذ العفو اي ما
يسهل من الاخلاق وقال النبي صلى الله عليه وسلم اول الوقت رضوان الله واخره عفو الله يعني
تيسير الله على عباده ويقال خذ ما اتاك عفوا اي سهلا فمعنى قوله تعالى فمن عفي له اي ولي القتيل
اذا بذل له من بدل اخيه المقتول او من جهة اخيه شي من المال من جانب القاتل فله اتباع
بالمعروف اي فليقبله وليود القاتل اليه باحسان كان الله عز وجل ندب ولي المقتول الى
اخذ المال اذا سهل ذلك من جهة القاتل واخبر انه تخفيف منه ورحمة كما قال عز وجل عقيب ذكر
القصاص في سورة المايدة فمن تصدق به فهو كفارة له فندب الى العفو والصدقة والذي يويد
هذا التاويل ما روي عن ابن عباس انه قال كان في بني اسراييل القصاص ولم يكن فيهم الدية وقال
الله تعالى لهذه الامة يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص الى قوله تعالى فاتباع بالمعروف وقال
فالعفو ان يقبل الدية من العمد وقال في قوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة معناه ان الصلح
من القصاص على شي من الدية او غير ذلك تسهيل عليكم من ربكم ورحمة رحمكم الله بها وذكر بعض
المفسرين انه كان في اهل التورية القتل لا غير وكان في اهل الانجيل العفو ولم يكن لهم قود ولا دية
فخفف الله تعالى عن هذه الامة وشرع لهم القصاص مصلحة ثم جعل لهم الرضا بالدية وبيان
ان هذا التاويل اقرب الى ظاهر الاية من التاويل الاول ان قوله تعالى شي منكر ولو كان المراد
به القود لكان معرفا والله تعالى اعلم والتاويل الثالث ما روي عن الشعبي انه قال كان بين حيين
من العرب قتال على نحو ما ذكره عبد الله ابن عباس قال الشعبي فارتفعوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم القتلى بوا اي سوا واصطلحوا على
الديات ففضل لاحد الحيين على الاخر فذلك قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شي اي من فضل له على
اخيه شي من الديات التي وقع الاصطلاح عليها فليود بالمعروف والعفو يذكر ويراد به الفضل
قال الله تعالى حتى عفوا اي كثروا والتاويل الرابع ما روي عن عبد الله بن مسعود في هذه الاية
في دم بين الاوليا يعفو احدهم عن نصيبه فيتحول نصيب الباقين مالا يجب على القاتل اداوه اليهم
وروي عن عمر وعلي انهما قالا في الدم بين الاوليا اذا عفا احدهم مثل قوله الا انهما لم يذكرا ذلك
في تاويل هذه الاية وفي هذا بيان ان القصاص مما لا يتجزا اذا سقط بعضه سقط كله وانقلب نصيب
الباقين مالا وفيه بيان ان العمد اذا سقط فيه القود كانت الدية في مال القاتل لا على العاقلة لان قوله
تعالى فاتباع بالمعروف امر ينصرف الى من تقدم ذكره وقد تقدم ذكر القاتل وكان تقدير الكلام
فعليه اتباع بالمعروف واما قوله تعالى فمن اعتدى بعد ذلك اي ولي المقتول اذا ظلم فقتل قاتل
وليه بعد اخذ الدية منه فله عذاب اليم القتل في الدنيا والنار في الاخرة والقصاص في اللغة ان
يفعل بالقاتل مثل ما فعل به من قولك اقتص فلان اثر فلان اي فعل مثل فعله قال الله تعالى فارتدا على اثارهما
قصصا وقال عز وجل حكاية عن ام موسى عليهما السلام وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره والكتب
هو اثبات الخط الدال على معنى فسمي به ما يدل على الفرض وقال بعضهم معنى قوله تعالى كتب عليكم

القصاص او كتب ذلك في اللوح المحفوظ فان القران انما نسخ من اللوح المحفوظ ولو قرى فاتباعًا
بالمعروف واداء اليه باحسان على معنى فليتبع وليؤد لجاز من حيث المعنى لكن القراءة سنة متبعة
فلا يقرا بما لم ينقل عن القرا قوله عز وجل ولكم في القصاص حيوة يا اولى الالباب لعلكم تتقون
اى لكم معشر المومنين فيما شرعه الله لكم من القصاص بقاء فان الذى يريد قتل غيره اذا علم انه
ان قتل قتل امسك عن القتل فيكون في ذلك حيوة للذى هم بقتله وحيوة له وفي بقايهما بقاء من
يتعصب لهما فان الفتنة تثبت بالقتل فتؤدى الى المحاربة التى لا يعلم الى ماذا تنتهى فذلك قوله تعالى
ولكم في القصاص حيوة يا اولى الالباب ذوى العقول من الناس لكى تتقوا القتل مخافة القصاص
فان قال قايل ايش الفرق بين هذا وبين ما كانت العرب تقوله القتل انفا للقتل وتقول اكثروا
القتل ليقل القتل قيل له هذا يترجح على قولهم من اربعة اوجه احدها ان هذا اوجز عبارة فان
هذا عشرة احرف وذلك اكثر والثانى ان هذا اكثر فايدة فان قوله تعالى القصاص حيوة بيان العدل
واعتبار المساواة وبيان الغرض المطلوب من القصاص وهو الحيوة ومعلوم ان القتل اذا كان
على وجه الظلم لا ينفى القتل ولكنه يهيج القتل والثالث ان هذا ابعد من الكلفة فان في قولهم القتل
انفا للقتل تكرارا وفي التكرار على النفس كلفة والرابع ان هذا احسن تاليفا للحروف المتلايمة فان
الخروج من القاف الى الصاد ومن الصاد الى الحاء اسهل على النفس من الخروج من اللام الى الهمزة ومن
التاء الى اللام وقد رام بعض المتاخرين ان ياتى بمثل هذا فقال وهو عصام بن عبيد الزماني ابلغ
ابا مالك عنى مغلغلة * وفي العتاب حيوة بين اقوام * وهذا وان كان حسنا لكن بينه وبين ما في كتاب
الله تعالى بون بعيد لان هذا دعا الى العتاب وفي كتاب الله زجر عن القتل ظلما قوله عز وجل
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف
حقا على المتقين قيل في وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه وان كان لكم ايها المومنون في القصاص
حيوة فان اخر الامر الموت فتعلموا ما يجب عليكم عنده روى انهم كانوا في ابتداء الاسلام يوصون
للاباعد طلبا للريا والسمعة فامر الله تعالى من ترك مالا بالوصية للوالدين والاقربين في الرحم
المحرم بالمعروف ومعنى الاية والله تعالى اعلم فرض عليكم ان مرض احدكم ان توصوا فان
معنى اذا حضر احدكم الموت اذا احدث به المرض وهو قادر على الوصية لانه اذا عاين الموت
فقد شغل عن الوصية وغيرها ويجوز ان يسمى الشئ باسم سببه كما يقال عشقها فاهلكته وهى لم
تهلكه الا ان العشق لما كان سببها اضافوا الهلاك اليها ويقال معنى قوله اذا حضر احدكم الموت
ان يوصى حال حيوته فيقول اذا حضر فى الموت فاعملوا كذا وكذا ومعنى ان ترك خيرا اى مالا والخير
المال بلغة جرهم ويقال ان المراد بالخير المال الكثير والكثير ما تعارفه الناس كثيرا والمعروف
هو القصد الذى يعلم اولوا التمييز انه لا حيف فيه ولا جور ومعنى حقا على المتقين اى يحق حقا
عليهم وفيه تاكيد لايجاب الوصية لان على الناس ان يكونوا متقين قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله ولا خلاف بين المسلمين ان تقوى الله تعالى فرض والوصية هى العقد لما يراد
من الافعال فى مستانف الاوقات بعد موت الموصى ورفع الوصية لانصرافها الى ما لم يسم فا[عله]
وهو قوله تعالى كتب وقد ذهب بعض اهل العلم الى ان هذه الاية غير منسوخة في الوالدين
ولا الاقربين الذين لا يرثون الميت مثل الكفار والمماليك حتى قال الحسن رضى الله عنه
ان من اوصى بثلث ماله لاجنبى كان ثلثا الوصية لاقاربه الذين لا يرثونه وثلثها للموصى
له فاما اكثر اهل العلم فقد اتفقوا ان هذه الاية منسوخة واختلفوا باى دليل نسخ قال

بعضهم

بعضهم باية المواريث المذكورة في سورة النساء وهذا لا يصح لان الله تعالى شرع المواريث في تلك
الاية بعد وصية يوصى بها او دين فكيف يجوز ان تكون تلك الاية ناسخة لهذه الاية والصحيح ان
هذه الاية انما نسخت بقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية
لوارث وهذا الخبر وان كان من اخبار الاحاد فقد تلقته الامة بالقبول فجرى مجرى الخبر
المتواتر اذ الامة لا تجتمع على قبول خبر باطل ويجوز نسخ القران بمثل هذه السنة ولا تجب الوصية
الا على من عليه شئ من الواجبات لله تعالى او للعباد ويستحب لمن لا شئ عليه الوصية بالثلث
لاقاربه الذين لا يرثونه بالرحم وفي جهات الخير اذا لم يخف ضررا على ورثته بقلة الثلثين
وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تصدق عليكم بثلث اموالكم في اخر اعمار[كم]
زيادة في اعمالكم وروى ابو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حاف في
وصيته القى في الوى والوى واد في جهنم وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الضرار
في الوصية من الكباير قوله عز وجل فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه
ان الله سميع عليم يقول من غير امر الوصية بعدما سمعه وعلم صحته فانما اثمه على المبدل دون
الموصى ان الله سميع لما قاله الموصى عليم بما فعله الموصى وفي هذه الاية دلالة على ان من كان عليه دين
ولم يفرط في قضائه في حال الحيوة واوصى بان يقضى عنه بعد الموت او فرط في قضائه في حال الحيوة
ثم ندم على ذلك واوصى بان يقضى عنه ففرط الوصى في قضائه فانه لا اثم على الميت بذلك وانما ياثم الوصى
قوله عز وجل فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور
رحيم معناه وذلك ان الله تعالى لما تواعد المبدل في الاية التى قبل هذه الاية خاف الاوصياء من
التبديل فكانوا ينفذون وصية الميت وان جار في وصيته وظلم وان استغرق وصيته المال كله فانزل
الله تعالى هذه الاية ويبين ان الاثم في تبديل الحق بالباطل فاما اذا غير الوصى من باطل الى حق على طريق
الاصلاح فهو محسن لا اثم عليه ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان من علم من موص ميلا عن الحق على جهة
الخطا او اثما اى ميلا عن الحق على جهة العمد بان زاد فى الوصية على الثلث او اقر بغير الواجب او جحد
حقا عليه فاصلح الوصى بين ورثة الموصى واقاربه وبين الموصى له وبين غرمايه بان رد الوصية
الى المعروف الذى امر الله تعالى به فلا اثم عليه في التبديل والرد الى ما امر الله تعالى به ولا اثم عليه
في التبديل ان الله غفور رحيم اذ رخص للوصى في خلاف الوصية على جهة الاصلاح والهاء والميم في
قوله تعالى فاصلح بينهم كناية عن الورثة قد دلت على الموصى له والكناية تصح عن المعلوم وان لم يكن مذ[كورا]
كما قال الشاعر وما ادرى اذا يممت ارضا * اريد الخير ايهما يلينى * االخير الذى انا ابتغيه
ام الشر الذى هو يبتغينى * فكنى الشاعر في البيت الاول بقوله ايهما يلينى عن الخير والشر جميعا
وان لم يكن سبق الا ذكر الخير فان قيل كيف يكون معنى قوله تعالى فلا اثم عليه والوصى اذا رد الو[صية]
الى امر الله تعالى كان محتسبا مستحقا للثواب قلنا ان المتوسط بين اثنين على سبيل الصلح يجرى امره
على ان ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤال او مشورة فلما كان التوسط يقتضى ذلك بين الله تعالى
انه لا اثم عليه فى فعله اذا اراد به الاصلاح وان كان عابا الى ذلك مع كراهة الطباع اذا لم يكن من
تحيفه الى ذلك مكرها بالوعيد قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم لعلكم تتقون فصل مبتدا معناه فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين
من قبلكم لكى تتقوا الاكل والشرب والجماع في زمان الصوم وقيل معناه لكى تكونوا اتقيا كما ذكر
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالصوم فان الصوم لكم وجاء والصوم في اللغة عبارة

وذوى الاضرار
الموصى
استعمال الخوف بمعنى العلم والظن الغالب شايع في كلامهم
جامع البيان

عن الامساك يقال للتارك الطعام صايم وللتارك الكلام صايم وللفرس القايم صايم لانه ترك السير قال الله تعالى حكاية فقولي اني نذرت للرحمن صوما اى صمتا وقال الشاعر ۝ خيل صيام وأخرى غير صائمة ۝ تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما ۝ ويقال صامت الريح اذا سكنت وصامت الشمس اذا استوت عند انتصاف النهار فكانها كالممسكة عن الحركة هذا حكم هذا اللفظ في اللغة واما في الشرع فهو الكف في نهار الصوم عن الاكل والشرب والجماع وما في معناها بنية الفرض او القربة عرف ذلك بتوقيف النبي صلى الله عليه وسلم الامة عليه والصوم الشرعي مشبه بصوم الخيل لانه امساك عن الامور التي تنزع اليها النفس وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم يحتمل ثلاثة معان احدها ما قال الحسن والشعبي وقتادة رضي الله عنهم انه كتب على الذين من قبلنا وهم النصارى صوم شهر رمضان فصاموه زمانا قال الحسن فصادفوا فيه الحر الشديد فحولوه الى وقت لا يتغير ثم قالوا عند التحويل نزيد فيه فزادوا عشرا ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فنذر سبعا فزادوه ثم استخلف عليهم من بعد ذلك ملك اخر فقال ما بال هذه الثلثة فاتمه خمسين يوما وهذا من اخبار الاحاد وقال ابن عباس والربيع بن انس والسدي رضي الله عنهم كان الصوم من العتمة الى وقت العتمة ثم كان يحل الاكل والشرب والجماع قبل صلوة العشاء الاخرة وقبل النوم فاذا صلوا العشاء الاخرة او رقدوا قبل الصلوة حرم عليهم الاكل والشرب والجماع الى العتمة فذلك قوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم ثم نسخ هذا بقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم الآية وقال بعضهم ليس في هذه الاية اكثر من تشبيه اصل فرض الصوم بصوم من تقدمنا كانه قال تعالى فرض عليكم اصل الصوم كما فرض على من كان قبلكم وهذا لا يقتضي التشبيه في الوقت والعدد لانه لا يجب في التشبيه ان يستغرق المشبه جميع وصف المشبه له به وانما يقتضي ما نص عليه قوله عز وجل أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في قوله تعالى اياما معدودات هي ثلثة ايام من كل شهر كان الله اوجب صومها ثم صار ذلك منسوخا بصوم شهر رمضان وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى لم يكن قط صيام ثلثة ايام من كل شهر واجبا ولكن الله تعالى انما تعبد به على جهة التطوع وقال اكثر المفسرين قوله تعالى اياما معدودات وجه التشبيه كانه قال تعالى كتب عليكم الصوم اياما معدودات كما كتب على الذين من قبلكم قالوا او اراد بالايام المعدودات ما بينه من بعد بقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى لان قوله تعالى اياما معدودات كالمجمل الذي لا يدل على وقت وعدد فبينه الله تعالى بقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران وقال بعضهم انما انتصب قوله تعالى اياما معدودات على الظرف من قوله تتقون اى لكي تتقوا في ايام معدودات واما قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر اى من لا يقدر على الصوم لمرضه او كان مسافرا فلم يصم فعليه عدة من ايام اخر تنوب عن صوم ما فاته بعد ذلك في الصحة والاقامة ومعنى قوله وعلى الذين يطيقونه اى على الذين يطيقون الصوم فلم يصوموا فدية طعام مسكين وذلك انه كان يرخص في الصوم الاول لمن يطيق الصوم ان يفطر ويتصدق مكان كل يوم على مسكين ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه واما من قرا مساكين فالمعنى عليه طعام مساكين فدية ايام يفطر فيها واما قوله تعالى فمن تطوع خيرا اى زاد على طعام مسكين واحد وان تصوموا خير لكم من ان تطعموا وتفطروا او

او اكثر ان كنتم تعلمون ثواب الله تعالى في الصوم ومن قرا فدية طعام على اضافة الفدية الى الطعام فالفدية مصدر المعنى عليهم ان يفدوا مكان كل يوم طعام مسكين فالفدية اسم لما يفدى به فرع بطعام مسكين واما ما روي عن ابن عباس وعايشة وعلى الذين يطوقونه اى يكلفون الصوم ولا يقدرون عليه وفي حرف حفصة وعلى الذين لا يطيقونه يقتضي ان الشيخ الكبير الذي لا يقدر على الصوم ولا يرجى له القضاء عليه ان يفدي مكان كل يوم طعام مسكين وهو قول عامة الفقهاء في حكم الشيخ الكبير وقد يجوز ان يتعلق حكم التكليف به وان لم يقدر على الصوم كالذي لا يجد الماء للطهارة يومر باقامة التيمم مقام الوضوء واختلف اهل العلم في مقدار الفدية التي تجب بكل يوم قال اصحابنا يطعم لكل يوم نصف صاع من حنطة او صاعا من شعير او صاعا من تمر وقال اخرون يطعم مدا من حنطة عن كل يوم وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من مات وعليه صوم رمضان فلم يقضه اطعم عنه مكان كل يوم نصف صاع لمسكين واوجب النبي صلى الله عليه وسلم على كعب بن عجرة في فدية الاذى اطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر فان قيل لو كان يجوز للمقيم الصحيح ترك الصوم الى الفدية لكان ينبغي ان لا يوجب القضاء على المسافر اذا افطر في سفره ولا على المريض اذا افطر في مرضه بل كان يجب ان يوجب عليهما الفدية قيل ان المسافر ما دام مسافرا والمريض ما دام مريضا لا يجب الصوم عليهما حتى لو ماتا قبل الاقامة والصحة لقيا الله تعالى ولا شيء عليهما واذا لم يجب الصوم عليهما لم يوجب الله تعالى عليهما الفدية فاما المسافر اذا اقام والمريض اذا برا فحالهما حال الصحيح المقيم في شهر رمضان وكان يجوز لهما ترك الصوم بالفدية ثم صار ذلك منسوخا فيهما كما صار منسوخا في الصحيح المقيم والله تعالى اعلم قوله عز وجل شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ المعنى والله تعالى اعلم شهر رمضان الذي انزل فيه القران هاديا ومبينا للناس من الضلالة ودلالات واضحات من الهدى والفرق بين الحق والباطل فمن شهد منكم الشهر بالعقل والبلوغ والصحة والاقامة فليصمه ويقال معناه من كان شاهدا غير مسافر فليصم وهذا نسخ لما كان من قبل من التخيير بين الصوم وتركه الى الفدية ومعنى ومن كان مريضا او على سفر اى من كان مريضا او مسافرا فافطر فعليه عدة من ايام اخر يقضيها في الصحة والاقامة عدد ما افطر يريد الله بكم اليسر اذ رخص لكم الافطار في المرض والسفر ولا يريد بكم العسر تكليف الصوم في السفر والمرض وقوله تعالى ولتكملوا العدة عطف على مضمر قبله تقديره فعل الله ذلك ليسهل عليكم ولتكملوا العدة اى لتتموا عدة ما افطرتم للمرض والسفر ويقال عدة ثلثين يوما اذا غم عليكم هلال شوال ولتكبروا الله اى لتعظموه بقلوبكم واقوالكم واعمالكم على ما هداكم من شرايعه وامور دينه ولكي تشكروا الله على الرخصة ونعمة الهدى قال ابن عباس حق على المسلمين اذا نظروا الى هلال شوال ان يكبروا الله تعالى ويقال اراد بالتكبير التكبير في صلوة العيد الفطر وفايدة تعريف شهر رمضان بالذي انزل فيه القران لبيان ان تخصيص هذا الشهر بايجاب الصوم فيه لاختصاصه بنزول القران لان مدار الدين على القران واختلفوا في معنى قوله تعالى الذي انزل فيه القران قال ابن عباس انزل الله تعالى القران من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى الكتبة في السماء الدنيا ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزل بما يومر به من ذلك نجوما

الاية والاثنين الى احدى وعشرين سنة وعن السدي انه قال كان ابن عباس رضي الله عنهما جمع
بين هذه الاية وبين قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وقوله سبحانه انا انزلناه في ليلة مباركة وعن
ابي قلابة انه قال انزلت التورية في اثنتي عشرة خلت من رمضان والانجيل في ثماني عشرة من رمضان
والقرآن في اربع وعشرين وقال مقاتل كان ينزل من القرآن في كل شهر من شهور رمضان الى السماء
الدنيا ما كان ينزل في تلك السنة فنزل الى السفرة من اللوح المحفوظ في عشرين شهرا ونزل به جبريل
عليه السلام في عشرين سنة وقال بعضهم كان ابتداء انزال القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في
شهر رمضان فاضيف انزال الكل الى الوقت الذي وقع ابتداء انزاله فيه فان قيل على التاويل الاول
كيف يصح ان يكون القرآن قد انزل كله على السفرة في ليلة القدر وفيه اخبار عن امور لم تكن وقعت
مثل قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ويسألونك عن الانفال ونحو ذلك قيل له يجوز انه
كان اصله انه اذا كان كذا ثم حذفت الصلة عند الانزال كما في قوله تعالى ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة معناه اذا كان يوم القيمة نادى اصحاب النار اصحاب الجنة وذهب بعض المفسرين
الى ان قوله تعالى شهر رمضان راجع الى اياما معدودة كانه تعالى قال اياما معدودات هي شهر رمضان
ويجوز ان يكون معناه كتب عليكم شهر رمضان اي صومه ومن نصب الشهر جعله بدلا من قوله اياما
معدودات ويجوز ان يكون نصبا على الاغراء والشهر ماخوذ من الشهرة والبياض ومنه شهر السيف
اذا سلّه وشهر الهلال اذا طلع واشتقاق رمضان من الرمض وهو شدة وقع الشمس على الرمل وغيره
ومن ذلك الرمضاء وهي الارض الحارة ويقال رمض يومنا اذا اشتد حره كانه اتفق تسمية هذا الشهر بهذا
الاسم في وقت كان هذا الشهر في زمان الحر كما قيل شهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر لانه اتفق تسمية بهذا
الاسم في وقت الربيع ورمضان على وزن فعلان لا ينصرف عند التعريف مثل حسان ماخوذ من الحس
واما القرآن فمصدر مثل الرجحان والنقصان ومن قرأ قرانا بغير الهمز فهو من الاقتران اي قرن
بعضه الى بعض بحسن التاليف يقال ليس لشعر فلان قران اي تاليف حسن والفرقان مصدر من
فرق يفرق اذا فصل بين الشيئين ومن قرأ ولتكملوا العدة بالتشديد فهو من كمّل يكمّل بمعنى واحد
الا ان التكميل ابلغ فان قيل ما فائدة تكرار قوله تعالى ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر
قلنا كان الصوم الاول تخييرا بين الصوم والفدية فلما نسخ الله تعالى ذكر التخيير من بعد والزم
الصوم حتما كان من الجائز ان يظن ان حكم الصوم لما انتقل من تخيير الى تضييق ان التضييق حكم
يعم الكل فبيّن الله تعالى ان حال المريض والمسافر ثابت في رخصة الافطار ووجوب القضاء كحالهما
اولا فهذا فائدة اعادة هذا اللفظ والله تعالى اعلم وظاهر قوله تعالى ومن كان مريضا يقتضي جواز
الافطار لمن لحقه اسم المرض سواء كان الصوم يضره او لا يضره الا ان اهل العلم قد اتفقوا كلهم
على ان المريض الذي لا يضره الصوم غير مرخص له في الافطار قال ابو حنيفة وصاحباه
رحمة الله عليهم جميعا اذا خاف ان صام ان يزداد مرضه افطر وقال مالك اذا جهده الصوم
وقال الشافعي اذا ازداد مرضه زيادة بينة افطر وان كانت زيادة محتملة لم يفطر و
السفر مشتق من السفر الذي هو الكشف من قولهم سفرت المرأة عن وجهها اذا كشفت
واسفر الصبح اذا اضاء واسفرت الريح السحاب اذا كشفته والمسفرة المكنسة لانها تسفر
عن الارض بكنس التراب قال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مضيئة مشرقة ويسمى الخروج
الى الموضع البعيد سفرا لانه يكشف عن اخلاق المسافر واحواله وليس للسفر حد معلوم
واختلف فيه اهل العلم قال اصحابنا الله مسيرة ثلاثة ايام ولياليها بسير الابل ومشي

الاقدام

الاقدام وقال آخرون مسيرة يومين وقال بعضهم مسيرة يوم فلما اختلفوا واختلفت
الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم في سفر المرأة بغير محرم كان الاخذ في اباحة الفطر و
قصر الصلوة بالثلث المتفق عليها اولى وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال يمسح المقيم يوما وليلة والمسافر ثلاثة ايام ولياليهن ومعلوم ان هذا بيان حكم المسافرين
والله اعلم قوله عز وجل وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة
الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وجه اتصال هذا
الفصل بما قبله هو انه لما امروا بالتكبير والتعظيم والدعاء وبين لهم وجوب الانقطاع الى الله تعالى
في الطلب والمسالة قال ابن عباس وقد كان نزل قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم فقال
بعضهم اين ربنا اقريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل وذ
ان عمر واقع امراته في ليلة من ليالي شهر رمضان بعد صلوة العشاء في الصوم الاول حين
كان لا يحل الاكل والشرب والجماع بعد صلوة العشاء ولا بعد النوم قبل الصلوة فجاء عمر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول اعتذر اليك يا رسول الله من نفسي هذه الخاطية
وذكر له القصة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن جديرا بذلك يا عمر فنزلت هذه الاية اي
اذا سالك عبادي صايموا شهر رمضان عن اجابتي وعفوي فيما جنوا على انفسهم فاني قريب
بالاجابة وعن قتادة انه قال سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وقت ندعوا حتى
يستجاب دعاؤنا فنزلت الاية وقال الكلبي قالت اليهود لعنهم الله كيف يسمع ربك دعاءنا
وانت تزعم ان بيننا وبين السماء مسيرة خمسماية عام وان غلظ كل سماء مسيرة خمسماية عام
فنزلت هذه الاية ولا تنافي بين هذه الروايات كلها ومعنى الاية والله تعالى اعلم اذا سالك
عبادي عني ورحمتي بهم واستجابتي لدعائهم وقبولي توبتهم فاعلمهم اني قريب في الرحمة لهم و
الاستجابة لدعائهم اعلم من كلامهم ما خفي وما ظهر هذا هو معنى القرب اذ لا يجوز ان نعني بقوله
قريب قرب المسافة لان القرب والبعد لا يجوز ان الا على الاجسام التي تتحرك وتسكن وتدنو وتبعد
ومن يكون متمكنا على المكان وكل من ذا حاله لا يكون الا محدثا من حيث لا يعرى عن المحدثات
ولو كان الامر كما يقول المشبهة ان الله تعالى على العرش لما صح وصفه بالقرب من كل من يناجيه
ويساله ويدعوه بل كان يجب ان يكون قريبا من بعض وبعيدا من بعض وان يكون قريبا من حملة
العرش بعيدا من غيرهم فصح ان معنى قوله تعالى قريب قرب الرحمة والاستجابة على ما فسر جل ذكره
بقوله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان واما ما قاله الزجاج اذا قال القايل اين الله فالله تعالى
قريب لا يخلو منه مكان كما قال عز وجل ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وكما قال تعالى وهو معكم
اينما كنتم فمعناه احاطة علمه بهم وقدرته عليهم لان الله تعالى كان قبل المكان وبعد ان خلق
المكان لم يتغير عما كان فان قيل كيف قال الله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان ونحن نرى كثيرا
يدعون الله تعالى فلا يجيب دعاءهم قيل ما من احد يدعو الله تعالى على ما توجبه الحكمة الا وهو مجيب دعاءه
وصفة الدعاء على شرايط الحكمة ان يقول اللهم افعل بي كذا وكذا ان لم يكن مفسدة في ديني ودنياي يرضيك
عني يجب ان يقول هذا الشرط بلسانه او ينويه بقلبه فيجيبه الله تعالى اذا لم يكن ما سال مفسدة في
الدين اذ الله تعالى يدبر امور العباد وهو تعالى اعلم بهم منهم بانفسهم فلا يقف تدبيره في مصالحهم على طلبهم
فان قيل ان الله تعالى يفعل هذا من دون الدعاء فاي شيء الفائدة في الدعاء قيل فيه جوابان احدهما ان
الدعاء عبادة تعبدنا الله تعالى بها لما فيها من الخشوع واظهار الافتقار الى الله تعالى كما روي في الخبر انهم

اغنني بالافتقار اليك ولا تفقرني بالاستغنا عنك والثاني انه لا يمتنع ان لا يكون وقوع ما سأله الداعي مصلحة قبل المسئلة ويكون مصلحة له بعد المسئلة فيكون وهذا الدعا ضرب من العبادة قال بعضهم قوله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان عام بعرض التخصيص كما حكي عن ابي سهل الانماري انه قال في هذه الاية اجيب دعوة الداعي بعد ان لا يعجل ولا ييأس ولا يدعوني عن قلب ساه لاه وعن جعفر الصادق انه قال ان للدعا اركانا واجنحة واسبابا واوقاتا فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وقطع الاسباب واجنحته الصدقة فانها تطفي سخط الرب واسبابه

به

ان لا يكون السؤال بمحا لا واوقاته الاسحار وبين الاذان والاقامة وبعد ان يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب بعضهم الى ان المراد بالدعا العبادة وبالاجابة القبول استدلالا بقوله تعالى ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي ومنهم من فرق الدعا والطلب فجعل الدعا الامور الاخرة والطلب لحاجات الدنيا وقد ذم الله تعالى اقواما دعوا في مسالة العاجلة

جلة

فقال تعالى ومن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق وعن السدي انه قال لا دعا الا والله تعالى يستجيب للعبد ان كان له رزق في الدنيا عجله وان لم يكن له ذخر الى يوم القيمة واما معنى قوله تعالى فليستجيبوا لي فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي ان الاستجابة ان تقول بعد صلاتك لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك والايمان ان يقول امنت بالله وكفرت بالطاغوت وعدك حق ولقاؤك حق واشهد انك واحد فرد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واشهد ان الساعة آتية لا ريب فيها وانك تبعث من في القبور قال ابن عباس رضي الله عنهما ما تركت هذه الكلمات بعد صلوة بعد ما نزلت هذه الاية وقال الكلبي ما تركتها منذ اربعين سنة فعلى هذا يكون معنى الاستجابة الاجابة بالطاعة والانقياد لله تعالى في ما الزمه وهذا كما يقال اقاد واستقاد واحلف واستحلف قال الشاعر

على

كل

وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب معناه فلم يجبه عند ذلك مجيب في الاجابة موافقة الطلب وقال بعضهم الاستجابة طلب الاجابة كالاستخبار طلب الخبر وقيل على هذا التفسير ان الاستجابة ان يقول الرجل في اخر صلوته امرتنا ربنا بالدعا وقضيت على نفسك الاجابة قلت واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع الاية ومعنى يرشدون ليكونوا على رجا الرشد في مصالح الدنيا والاخرة يقال رشد يرشد رشدا ورشد يرشد رشدا واصل دعاني باثبات اليا الآن الاكثر في القراة حذف اليا اختصارا لان الكسرة دليل عليها وقد روي عن كعب الاحبار انه قال قال موسى يا رب اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فقال عز من قايل يا موسى انا جليس من ذكرني قال يا رب فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها من جنابة او غايط فقال عز من قايل يا موسى اذكرني على كل حال وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان في غزاة فرفع اصحابه اصواتهم بالتكبير والتهليل والدعا فقال صلى الله عليه وسلم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انما تدعون سميعا قريبا وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطي اربعا لم يحرم اربعا من اعطي الدعا لم يحرم الاجابة لقوله تعالى ادعوني استجب لكم ومن اعطي الشكر لم يحرم الزيادة لقوله تعالى لين شكرتم لازيدنكم ومن اعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة لقوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا ومن اعطي التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قوله عز وجل احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون

انفسكم

انفسكم فتاب عليكم وعفى عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان الله تعالى لما فرض الصوم الاول من العتمة الى وقت العتمة كان يحل الطعام والشراب والرفث للرجل ما لم يرقد او يصلي العشا الاخرة فاذا فعل احدهما حرم عليه الى مثلها من القابلة فجاء رجل من الانصار يقال له صرمة بن انس يكنى ابا قيس وقد جهده الصوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك يا ابا قيس امسيت طليحا فقال له ظللت امس في النخل نهاري كله اجر بالجرير حتى امسيت فاتيت اهلي فارادت ان تطعمني شيئا سخنا فابطأت علي فنمت فايقظوني وقد حرم علي الطعام والشراب فامسيت اليوم وقد جهدني الصوم فقال عمر رضي الله عنه معتذرا من مثل ذلك وقال رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشا فاتت لي نفسي فاتيت امراتي فقال صلى الله عليه وسلم لم تكن بذلك جديرا يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى الاية والله تعالى اعلم احل لكم في الليلة التي يكون في غدها الصوم الافضا الى النسا بما يراد منهن من الجماع وغير ذلك هن سكن لكم وانتم سكن لهن علم الله انكم كنتم تظلمون انفسكم بمعصيتكم فتجاوز عنكم ولم يعاقبكم فالان جامعوهن في ليالي الصوم واطلبوا ما قضى الله تعالى لكم قال ابن عباس معناه من الولد وهذا على معنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم وروي عن ابن عباس انه قال في رواية اخرى ابتغوا ليلة القدر التي كتب الله تعالى لكم ثوابها وعن قتادة انه قال اطلبوا الرخصة التي كتب الله تعالى لكم فان الله تعالى يحب ان توخذ رخصه كما يحب ان تؤتى عزايمه ويقال معناه ابتغوا فيما ابيح لكم وما امرتم به وقرئ في الشواذ وابتغوا ما كتب الله لكم بالعين غير معجمة ولفظ الاية يحتمل هذه المعاني كلها والعبيد ماجورون على ما يقصدون من ذكر اتباع امر الله عز وجل وقوله وكلوا واشربوا امر اباحة واطلاق من حظر كما في قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا وكذلك الامر بالمباشرة في هذه الاية امر اباحة ومعنى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر حتى يتبين لكم النهار من الليل وقيل حتى يتبين لكم الفجر الثاني من الفجر الاول وهما فجران احدهما يبدو اسود معترضا وهو الخيط الاسود والاخر هو الذي يبدو ساطعا يملا الافق وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد ولكنه الاحمر المعترض وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لبلال رضي الله عنه لا تؤذن حتى يستبين لك الفجر هكذا ومد يده عرضا فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذين الخبرين ان الفجر المعترض الذي يحرم الطعام ويبيح الصلوة هو الفجر الثاني الذي يبدو معترضا في الافق وان الفجر المستطيل الى وسط السما هو من الليل والعرب تسمي الفجر الاول ذنب السرحان وقد روي عن عدي بن حاتم الطائي انه قال بعد نزول هذه الاية اخذت خيطين ابيض واسود فوضعتهما تحت وسادتي فلما كان في قريب من الفجر جعلت انظر اليهما فلم يبن لي الابيض من الاسود ما لم يسفر فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فتبسم وقال صلى الله عليه وسلم ان وسادك اذا لعريض طويل وفي بعض الروايات قال صلى الله عليه وسلم انك لعريض القفا انما هو سواد الليل وبياض النهار يجوز انما اشتبه هذا على

الطلع الضعيف

عدى بن حاتم قبل نزول قوله تعالى من الفجر ويجوز ان استعارة الخيط الابيض من الخيط الاسود
فى الفجر كانت فى لغة قريش فنزل القران بلغتهم ولم يكن عدى وغيره ممن اشكل عليهم يعرفون هذه
اللغة فان قيل كيف شبه الليل بالخيط الاسود وهو مشتمل على جميع العالم قيل ان الخيط الاسود هو
السواد الذى يكون فى الافق من جانب مطلع الشمس قبل ظهور الخيط الابيض فيه وهو فى ذلك الموضع
مساو للخيط الابيض الذى يخرج بعده ولذلك يسمى الخيط الاسود ومعنى قوله تعالى ثم اتموا الصيام
الى الليل اى اتموا الصيام بعد طلوع الفجر الثانى الى اول الليل وفى عطف هذا اللفظ فى الاية على اباحة
الاكل والشرب والرفث دليل ان الصوم المامور به شرعا هو الامساك عن الامور التى ذكر الله تعالى
اباحتها ليلا دون ما فى معناها دون الامساك عن جميع الاشيا على نحو ما تقدم ذكره واول الليل
قرص الشمس بحيث لا يرى اثره على الارض مع ارتفاع الموانع ومعنى ولا تباشروهن وانتم عاكفون
فى المساجد لا تجامعوهن وانتم لابثون فى المساجد نزل فى نفر من اصحاب النبى صلى الله عليه
وسلم كانوا معتكفين فى المسجد وكان الرجل منهم يخرج الى اهله فيجامع فيغتسل ثم يرجع الى المسجد
فنهوا ان يجامعوا ليلا ولا نهارا حتى يفرغوا من الاعتكاف واما قوله تعالى تلك حدود الله قال الحلبى
اى المباشرة فى الاعتكاف معصية الله تعالى ويقال جميع ما ذكر الله تعالى فى اول هذه الاية الى
اخرها احكام الله تعالى لان حد الحلال الى حد الحرام ومعنى الحدود ما منع الله تعالى عن مخالفتها و
كل من منع شيئا فقد حده ويسمى الحديد حديدا لانه يمتنع به من الاعداء ويسمى الحاجب حدادا واحداد
المراة على زوجها لانها تمتنع من الزينة وحد الدار ما يمنع غيرها ان يدخل فيها وقيل ان الحد هو
الجامع المانع ومعنى فلا تقربوها اى لا تقربوا المباشرة فى الاعتكاف ويقال لا تقربوا احكام الله تعالى
بالخلاف كما قلنا فى قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة ومعنى كذلك يبين الله اياته للناس اى كما يبين
الله تعالى لكم هذه الاحكام فهكذا يبين للناس ساير ادلته على دينه وشرايعه وقيل ساير اوامره و
نواهيه لكى يتقوا معاصيه فلا يتعدوا حدوده والرفث المذكور فى اول هذه الاية كلمة جامعة فى
اللغة لكل ما يريده الرجال من النسا وهى فى هذه الاية الجماع لا خلاف بين اهل العلم فيه وقد يسمى الكلام
الفاحش رفثا قال ابن عباس الغشيان والمس والافضا والمباشرة والرفث فى كتاب الله تعالى
عبارة عن الجماع ولكن الله تعالى حيى كريم يكنى بالحسن عن القبيح واما تسمية المراة لباسا فلان كل
واحد من الزوجين يلابس صاحبه ويتوشحه فيكون كل واحد منهما كاللباس للاخر وحقيقة اللباس ما
يستر وسمى الله عز وجل الليل لباسا لانه يستر كل شى بظلامه وسمت العرب المراة لباسا قال النابغة
اذا ما الضجيع ثنى عطفه • تثنت فكانت عليه لباسا • ويقال سمى كل واحد من الزوجين لباسا لصاحبه
لان كل واحد منهما ستر لصاحبه فلا يظهر لهما فى اللباس فاحشة وقيل كل واحد منهما ستر لصاحبه من
النار والخيانة فى اللغة انتقاص الحق على جهة المساترة فيكون معنى تختانون انفسكم اى تساترون
بعضكم بعضا فى مواقعة المحظور من الجماع والاكل والشرب بعد الصلوة او النوم فى ليالى الصوم كقوله تعالى
تقتلون انفسكم يعنى تقتل بعضكم بعضا ويجوز ان يكون معنى تختانون تعملون عمل الخاين لنفسه فى الاضرار
بها والاختيان افتعال من الخيانة قال القتيبى الخيانة هو ان يوتمن الرجل على شى فلا يودى الامانة فيه
ويسمى الفعل المحظور خيانة لانه خلاف الدين الذى هو امانة والمباشرة فى اللغة هى الصاق البشرة
بالبشرة وقد بينا انها فى هذه الاية كناية عن الجماع ومعنى الاعتكاف فى اللغة هو اللبث قال الله عز وجل
ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون والاعتكاف اسم مجمل مثل الصوم فى الامساك الا ان الشرع نقل اسم
الاعتكاف الى معان اخر مع اللبث لم يكن الاسم يتناولها فى اللغة منها الكون فى المسجد ومنها الصوم

عند

عند كثير من اهل العلم ومنها نية التقرب الى الله تعالى بذلك وترك الجماع راسا فلا يكون معتكفا الا بوجود
هذه المعانى وقد اختلف السلف فى المسجد الذى يجوز فيه الاعتكاف لكن ظاهر قوله عز وجل
وانتم عاكفون فى المساجد يقتضى اباحة الاعتكاف فى جميع المساجد فاما ايجاب الصوم فى الاعتكاف
فلان اللفظ لما كان مجملا مفتقرا الى البيان ينبت عن النبى صلى الله عليه وسلم الاعتكاف الا بالصوم
كان فعله صلى الله عليه وسلم واردا مورد البيان كفعله فى الصلوة واما المباشرة المذكورة فى الاعتكاف
فهى الصاق البشرة بالبشرة على وجه الشهوة ليلا ونهارا حرام فى الاعتكاف الا ان الاعتكاف لا يفسد
بالتقبيل بدون الانزال وقد روى عن عايشة رضى الله عنها انها كانت ترجل راس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو معتكف فكانت تمس بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها فدل
ذلك ان المباشرة بغير الشهوة غير محظورة فى الاعتكاف وقال اذا قبل امراته فسد اعتكافه
وقال الشافعى لا يفسد الاعتكاف من الوطى الا ما يوجب الحد وقال فى موضع اخر اذا باشر فسد
اعتكافه وفى هذه الاية دلالة على اباحة الاكل والشرب والوطى فى ليالى الصوم الى ان تحصل له الا
والتيقن بطلوع الفجر وان الشك لا يحظر عليه ذلك اذ لا يجوز وجود الاستبانة مع الشك وهذا
ظاهر فيمن يستبين الفجر ويرى مطلعه من حيث يطلع مشاهدة اذا لم تكن هناك علة فاما من لا يصل
الى معرفة الفجر بغيم او ضعف بصر او ليلة مقمرة فان شك فى الفجر فالاحوط له ان لا ياكل استبراء
لدينه كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك
وان اكل وهو شاك فصومه تام فى ظاهر الرواية وروى الحسن بن زياد عن ابى حنيفة انه
قال ان كان فى موضع يرى مطلع الفجر وليس هناك علة فليا كل ما لم يستبين له الفجر وان كان
فى موضع لا يرى او كانت ليلة مقمرة فلا ياكل اذا شك فى الفجر وان كان اكثر رايه انه اكل والفجر
طالع فعليه القضا قال وهذا قول زفر وقول ابى يوسف رحمهما الله وهذه الرواية مفسرة
ورواية الاصل مجملة والله تعالى اعلم قوله عز وجل ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون
نزل فى شان امرو القيس بن عابس الكندى وعبدان بن اشوع الحضرمى اختصما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى ارض ادعاها الحضرمى على صاحبه فاراد المدعى عليه ان يحلف بالكذب
فقال صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الى ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض وانما انا بشر مثلكم
اقضى بما اسمع فمن قضيت له بشى من حق اخيه فلا ياخذ منه قليلا ولا كثيرا فانما اقطع له قطعة
من النار فانزل الله تعالى هذه الاية وصارت عامة فى جميع الناس ومعنى الاية والله تعالى اعلم لا
ياكل بعضكم مال بعض بالباطل وهذا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم الا ان اموالكم واعراضكم عليكم
حرام يعنى اموال بعضكم على بعض واكل المال بالباطل على وجهين احدهما اخذه على وجه الظلم
بالغصب والخيانة وشهادة الزور واليمين الفاجرة والاخرى اخذه من جهات محظورة مع
رضى المالك كمهر البغى واجرة الغناء والملاهى والنايحة وثمن الخمر والخنزير والربا والمعاملات
المحرمة واما قوله تعالى وتدلوا بها الى الحكام يجوز ان يكون نهيا ثابتا على معنى ولا تظهروا
حجتكم للحكام بالباطل فيحكم الحاكم فى الظاهر لاحدكم مع علم المحكوم له انه غير مستحق له
فى الباطن ويجوز ان يكون جوابا لما قبله على معنى لا تجمعوا بين هذين الامرين كما تقدم
فى قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق قوله تعالى لتاكلوا فريقا من اموال
الناس اى طايفة من اموال الناس بالظلم والجور وانتم تعلمون انكم مبطلون فى دعواكم

وان الحجة عليكم في الباطن وهذا مثل وديعة لا بينة عليها فجحدها المودع فيحلف على ذلك فيكون
القول قوله وكذلك اذا كان عند احد مال يتيم فيجحد ويحلف وكذلك لو ادعى على انسان مالاً
وكان قد استوفى ذلك المال منه ولم يعلم شهوده بذلك فشهدوا له بالمال فحكم له الحاكم بذلك
والادلاء بالحجة ماخوذ من ادلاء الدلو وهو ارسالك اياها في البير تقول دليت دلوي اُدليها
اِدلاءً اذا ارسلتها لتملاها واذا استخرجتها قلت دلوتها ادلوها دلواً ووجه شبه الخصومة
بارسال الدلو في البيران المرسل الدلو ربما امتلا دلوه وربما لم يقع في دلوه شي كذلك المخاصم
ربما يظفر بطلبته وربما خابت طلبته ويجوز ان يكون معنى الادلاء هاهنا ان المخاصم يكون متعلقا
بالخصومة والحكم ليتوصل الى الباطل كما يتعلق من ادلى دلوه بالحبل ليتوصل الى الماء وقد روي
عن سعيد بن المسيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شاهد زور لا يرفع قدما
عن قدم حتى يجب له النار وفي بعض الروايات لا يرفع قدميه عن مكانهما حتى يلعنه الله
تعالى من فوق عرشه وعن ام سلمة انها قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجلان
يختصمان في مواريث واشيا قد درست فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما اقضي بينكما برايي
فيما لم ينزل علي فيه فمن قضيت له بحجة اراه بها فاقتطع بها قطعة ظلما فانما يقتطع قطعة من
النار ياتي بها في عنقه يوم القيمة فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما يا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حقي لصاحبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن اذهبا فتوخيا واستهما وليحلل
كل واحد منكما صاحبه ففي هذه الاية والاخبار دليل ان حكم الحاكم لرجل بالمال لا يبيح له اخذ المال
الذي لا يستحقه وفيها دليل ان الحاكم مكلف بالظاهر لا بالمغيب وفيها دليل ان كل مجتهد فيما
يسوغ فيه الاجتهاد مصيب ولا خلاف بين الامة ان حكم الحاكم بالاملاك المرسلة لا يوثر في اباحتها
اذا علم المحكوم له انه مبطل وانما اختلف اهل العلم في حكمه بالعقود والفسوخ وهل ينفذ ظاهرا و
باطنا مع علم المحكوم له ان شهوده شهود زور او لا ينفذ قال الامام ابو حنيفة ينفذ بلا تزالوا رد
عن علي كرم الله وجهه انه قال شاهداك زوجاك ومن المفسرين من حمل قوله تعالى وتدلوا بها
الى الحكام على معنى لا تعطوهم اياها على وجه الرشوة ليحكموا لكم بما لا يحل ويقال لا يعطي الاوصيا
بقية ما في ايديهم من اموال الايتام الحكام لكي يتخلصوا ويتبروا مما فعلوا في اموالهم قوله عز
وجل يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله
لعلكم تفلحون قال ابن عباس نزلت هذه الاية في معاذ بن جبل وثعلبة بن عنمة
وهما من الانصار سالا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا ما بال الهلال يبدو فيطلع دقيقا مثل
الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستدير ثم لا يزال ينتقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حالة
واحدة فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى والله اعلم يسالونك على وجه الحكمة في معنى الاهلة قل
هي بيان المواقيت التي يحتاج الناس اليها في صومهم وفطرهم وعدة نسائهم وآجال ديونهم و
الشروط التي بينهم الى اجل معلوم وقوله تعالى والحج اي هي بيان وقت حجهم ولو جعل الله تعالى
القمر مدورا ابدا على هيئة الشمس لم تعرف الشهور والسنة وكان يشق حفظ عدد الايام وكان
اذا اغفل الانسان عن الحساب لم يعرف المواقيت واما قوله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت
من ظهورها قال ابن عباس وذلك انه في الجاهلية واول الاسلام كانوا اذا احرم الانسان منهم فان
كان من اهل مدر يعني من اهل البيوت نقب نقبا في ظهر بيته يتخذ سلما اليه منه يدخل ومنه يخرج

ولا

دلايل غ

ولا يدخل من باب بيته وان كان من اهل الوبر اي من اهل الخيام والفساطيط خرج ودخل من
خلف الخيمة والفسطاط وكان لا يدخل من الباب ولا يخرج منه وربما كانوا لا يستظلون بشي ور
لا يدخلون البيت كي لا يحول بينهم وبين السماء شي الا ان يكون الرجل من الحمس وهم قريش وكنانة
وخزاعة قوم شددوا على انفسهم فسموا الحمس للتشديد من الحماسة وهي الشدة في كل شي كانوا ايام
حجهم لا يا قطون الاقط ولا ياسلون السمن ولا ينتفعون الوبر والشعر ويدخلون من الباب احل
لهم ما حرم على غيرهم وحرم عليهم ما احل لغيرهم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
من باب بستان قد خرب وهو محرم فاتبعه قطبة بن عامر من غير الحمس فدخل معه من الباب
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دخلت من الباب وانت محرم من غير الحمس قال انك قد دخلت
وانت محرم قال انا من الحمس قال ان كنت احمسيا فانا احمسي رضيت بهديك وسنتك ودينك
فنزل قوله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها اي ليس البر بان تاتوا البيوت
من خلفها اذا احرمتم ولكن البر من اتقى ويقال ولكن ذا البر من اتقى الشرك والمعاصي ومخالفة امر الله
تعالى لا من ابتدع شيئا لم يامر الله به واتوا البيوت من ابوابها محرمين ومحلين واخشوا الله واطيعوه
في جميع ما امركم به ونهاكم عنه لكي تنجوا من العقوبة وتفوزوا بالبقاء في الجنة وقال الحسن رضي الله عنه
كان من عادة العرب اذا خرج الرجل في حاجته في السفر فلم تتيسر له تلك الحاجة كان لا يطيق ان يدخل
من باب البيت فكان ينقب نقبا من ورا البيت وكان يدخل من ذلك النقب فانزل الله تعالى
هذه الاية ويقال هذا مثل ضربه الله تعالى لهم بان يا توا البر من وجهه وهو الوجه الذي امر الله
عز وجل به وفيه بيان ان ما لم يشرعه الله قربة ولا ندب اليه لا يصير قربة ولا دينا بان يتقرب
به متقرب ويعتقده دينا ونظيره من السنة ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه نهى عن صوم الصمت وعن صوم الوصال والصمت ان يصمت يوما لا يتكلم فيه والوصال
ان يواصل يومين او ثلاثة لا يفطر بينهما بليل ولا نهار فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان
يعتقد ترك الاكل بالليل الذي لا صوم فيه قربة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
راى رجلا في الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما شانه فقالوا انه نذر ان يقوم في الشمس
فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتحول الى الظل وكان ابو عبيدة يقول في هذه الاية ليس
البر ان تطلبوا المعروف من غير اهله ولكن اطلبوه من اهله واما الشيعة فتاولوا الاية على
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا مدينة العلم وعلي بابها وقد اختلف
اهل اللغة في الوقت الذي يسمى هلالا فقال بعضهم يسمى هلالا من اول الشهر الى ثلاثة ايام ثم يقال له القمر الى
اخر الشهر وقال الزجاج ان الاكثر يسمونه هلالا الليلتين وقال الاصمعي يسمى هلالا حتى يغلب ضوؤه
سواد الليل وهذا لا يكون الا في السابعة وفي الاية دلالة على جواز الاحرام بالحج في جميع السنة ودلالة
بان المدة تكون لحقوق جميع الناس فيما يكون متعلقا بالمدة من العدة وغيرها ذلك لان الله تعالى جعل جميع
الاهلة وقتا لجميع الناس والحج والله تعالى اعلم قوله عز وجل وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرج مع اصحابه رضي الله عنهم في العام الذي اراد فيه العمرة حتى نزل الحديبية قريبا
من مكة والحديبية اسم البير فسمي ذلك الموضع باسم تلك البير فصده المشركون عن البيت فاقام بالحديبية
شهرا ثم صالحه المشركون على ان يرجع عامه ذلك كما جاء على ان تخلى له مكة من العام المقبل ثلاثة ايام
فيطوف بالبيت وينحر الهدي ويفعل ما شاء وصالحوه على ان لا يكون بينهم قتال الى عشر سنين ورجع

يصوم غ

يبتدر

وقيل عتبة بالعين والصحيح ثعلبة [illegible]

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلما كان العام المقبل تجهز لعمرة القضا وكانوا يخافون
ان لا تفي قريش بذلك وكانوا يكرهون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فانزل الله تعالى هذه الآية
ومعناها والله اعلم قاتلوا في طاعة الله تعالى الذين يبدؤنكم بالقتال ولا تجاوزوا الحد بنقض
العهد بالبداية بقتالهم ان الله تعالى لا يرضى عمل المتجاوزين عن الحدود قيل ان هذه اول
اية نزلت في القتال فان القتال كان محظورا قبل الهجرة كما قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن وقال
عز من قايل وجادلهم بالتي هي احسن وقال جل ذكره فاعف عنهم وقال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما ثم امر الله تعالى المسلمين بالقتال بعد الهجرة لمن قاتلهم من المشركين ثم نزلت اية اخرى
في الاذن بالقتال عامة لمن قاتلهم ولمن لم يقاتلهم وهي قوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا
وان الله على نصرهم لقدير وعن عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه ان المراد بالذين يقاتلونكم في هذه
الاية الذين هم من اهل القتال دون النسآ والولدان الذين لا يقاتلون فهذه الاية على قوله محكمة
غير منسوخة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى يوم فتح مكة امراة مقتولة
فقال صلى الله عليه وسلم ما هذه كما اراها قاتلت ثم قال صلى الله عليه وسلم لواحد من اصحابه
الحق خالدا وقل له لا تقتل وليدا ولا امراة وفي بعض الروايات لا تقتل ذرية ولا عسيفا وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن قتل النسآ والولدان ومعنى لا تعتدوا على هذا التاويل
لا تجاوزوا الى قتل من لا تؤمرون بقتله والله تعالى اعلم قوله عز وجل واقتلوهم حيث ثقفتموهم
واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزآء الكفرين تاويل هذه الاية على ما قاله
ابن عباس رضي الله عنهما في الاية المتقدمة واقتلوا الذين يبدؤنكم من اهل القتال من اهل مكة
حيث وجدتموهم واخرجوهم من مكة كما اخرجوكم والشرك الذي هم فيه اعظم ذنبا عند الله تعالى من
القتال في الحرم والشهر الحرام ومعنى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام على هذا التاويل انهم اذا
بداوكم بالقتال في غير الحرم ثم لجؤا الى الحرم فكفوا عن قتالهم فلا تقاتلوهم في الحرم حتى يقاتلوكم
فيه فان بداوكم بالقتال في الحرم فاقتلوهم هكذا جزآء الكفرين يعني القتل في الحرم اذا قاتلوا وانما
سمي الكفر فتنة في هذه الاية لان الكفر يودي الى الهلاك كما ان الفتنة تودي الى الهلاك ويقال اصل
الفتنة الاختبار والكفر فساد يظهر عند الاختبار ومن قرا فان قتلوكم بغير الف فمعناه فان
قتلوا منكم تقول العرب قتلنا اي قتل بعضنا والثقف في اللغة الاصابة يقال ثقفت فلانا
اثقفه ثقفا وثقافة اذا اخذته ويقال رجل ثقف لقف اذا كان ضابطا للامور حازما
وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الاية ناسخة للاية التي قبلها لان في هذه الاية امرا بقتال المشركين
كلهم حيث وجدهم المسلمون سوآ قاتلوا او لم يقاتلوا وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
ضرب من التخصيص للعموم المذكور في اول هذه الاية فكان الله تعالى امر بقتل المشركين في كل
موضع الا بحضرة المسجد الحرام فانه امر ان لا يبدوهم عنده بالقتال قوله عز وجل فان انتهوا
فان الله غفور رحيم يقول فان انتهوا عن الشرك والقتال فان الله غفور لما مضى من
جاهليتهم رحيم بهم بعد توبتهم واسلامهم وهذا كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف قوله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا
فلا عدوان الا على الظلمين ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الاية ناسخة لقوله تعالى ولا
تقاتلوهم عند المسجد الحرام لان الله تعالى امر بقتال المشركين في هذه الاية حتى لا يبقى الشرك بالله

تعالى

تعالى وقال بعضهم حرمة القتال في الحرم ثابتة لم تنسخ ولا يحل القتال فيه الا مع من قاتل و
قد ذهب اصحابنا رحمهم الله الى ان هذا الحكم ثابت غير منسوخ لما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال يوم فتح مكة ان مكة حرام بحرام الله تعالى حرمها الله عز وجل يوم خلق السموات والارض
وانما احلت لي ساعة من النهار ثم عادت حراما الى يوم القيمة وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه خطب يومئذ حين قتل رجل من خزاعة رجلا من هذيل فقال ان اعتى الناس على الله تعالى ثلاثة
رجل قتل غير قاتله ورجل قتل في الحرم ورجل قتل بذحل الجاهلية فعلى هذا يكون تاويل هذه الآية
والله تعالى اعلم وقاتلوا اهل مكة الذين يقاتلونكم حتى لا يكون شرك بالله تعالى ويكون الدين كله
لله تعالى عز وجل فان انتهوا عن قتالكم فلا سبيل ولا حجة في القتل في الحرم والشهر الحرام الا على
الذين يبدؤن بالقتال وينقضون العهد ومن الدليل على ان هذه الاية غير ناسخة لما قبلها انها
مع ما قبلها مذكوران في خطاب واحد على ما يقتضيه نسق التلاوة ونظام التنزيل ولا يصح النسخ
الا بعد التمكين من الفعل ولا يجوز اثبات النسخ الا بالنقل الصحيح واثبات التاريخ قال عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخلاله اهل مكة البيت الحرام ثلثة
ايام فدخله النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فطافوا بالبيت ونحروا الهدي عند المنحر
واقاموا بمكة ثلثة ايام حتى قضوا حاجتهم من البيت ثم انصرفوا فانزل الله تعالى قوله عز وجل
الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين معنى الاية والله اعلم الشهر الحرام
الذي دخلت فيه مكة بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه في العام الاول ومعنى والحرمات قصاص اي
اقتصصت لكم منهم في الشهر الحرام في ذي القعدة كما صدوكم في الشهر الحرام في ذي القعدة مراغمة
على دخول المسجد ويقال معنى الاية قتال الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام واو هذه الحرمات قصاص
اي لا يجوز للمسلمين الا قصاصا واراد بالحرمات حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام فمن اعتدى
عليكم بالقتال في الحرم فكافئوه بمثل ما فعل واخشوا الله تعالى في كل ما امرتم به ونهيتم عنه و
اعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والمعونة واصل العدوان والاعتداء في اللغة الظلم ومجاوزة
الحد الا انه تسمى المجازاة على الظلم عدوانا واعتدآء لان صورة الفعلين واحد وان كان احدهما طاعة
والاخر معصية تقول العرب ظلمني فلان فظلمته وجهل علي فجهلت عليه وعلى هذا قول الله عز وجل
ومكروا ومكر الله وقوله عز وجل فيسخرون منهم سخر الله منهم واسم المثل قد يقع على ما يكون من جنسه
وعلى ما لا يكون من جنسه فكل ما كان من المكيل والموزون والمعدود اذا استهلكه واحد على صاحبه كان
عليه مثله من جنسه وما كان غير ذلك من اصناف الاموال فمثله قيمته وما يكون جزآء من طريق الحكم
لان من تعدى على غيره بقذف لم يكن المثل المستحق عليه ان يقذف مثل ما قذفه بل يكون المثل جلد
ثمانين وكذلك لو شتم رجلا بما دون القذف كان عليه التعزير وكان ذلك مثلا لما قاله والله تعالى اعلم
وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين
المعنى وذلك ان الله تعالى ذكر فرض الجهاد في الاية المتقدمة ثم قرن الى ذلك الانفاق في سبيل الله
تعالى في هذه الاية ومعناها والله تعالى اعلم تصدقوا يا اهل الميسرة في طاعة الله تعالى ولا تلقوا انفسكم
بايديكم الى التهلكة وحذف ذكر النفس لان في الباقي دليلا ويجوز الحذف اذا كان في المذكور دليل
على المحذوف وقد اختلفوا في معنى الالقاء باليد الى التهلكة وقال بعضهم معناه لا تمسكوا بايديكم
عن الصدقة في الجهاد فتهلكوا قال ابن عباس في هذه الاية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

امر الناس بالجهاد الى مكة للحج ونادى مناديه بالاستعداد في الحج فقام اليه ناس من اعراب حاضري
المدينة فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا نتجهز فوالله ما لنا زاد ولا مال نتجهز به و
لا يطعمنا احد فانزل الله تعالى هذه الاية فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على الصدقة و
رغبهم فيها فقال رجل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا نتصدق فقال تصدقوا ولو بشق
تمرة فقالت امراة من النساء ما لي شق تمرة قال تصدقوا ولو بظلف شاة وعن ابي ايوب الانصاري
رضي الله عنه انه قال نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله دينه قلنا فيما بيننا ان اموا لنا
ضاعت فلو قمنا فيها فاصلحناها فامر الله تعالى بالجهاد فاخبرنا بو ايوب ان الالقاء بالايدي الى التهلكة هو
ترك الجهاد في سبيل الله تعالى وعن عبيدة السلماني انه قال هو الرجل يذنب الذنب فيلقي بيده
ولا يجعل يقنط من رحمة الله تعالى فيهلك وقال بعضهم هو الاسراف في الانفاق حتى لا يبقى له ما يا كل
فيتلف وعن البراء بن عازب رضي الله عنه انه قال هو الرجل يخرج من بين الصفين فيستقتل من
غير قصد بنكاية العدو واما قوله تعالى واحسنوا فمعناه احسنوا في النفقة والافضال على المحتاج و
يقال احسنوا بالانفاق في سبيل الله تعالى فانكم اذا فعلتم ذلك كنتم محسنين والاحسان هو فعل الحسن
في العقول الا انه اذا اطلق انصرف الى النفع الحسن وهو نقيض الاساءة وقد ذكر محمد بن الحسن
رحمه الله في السير الكبير ان رجلا لو حمل على الف رجل وهو وحده لم يكن بذلك باس اذا كان يطمع
في نجاة او كان يطمع في نكاية وان كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية ولكنه يرهب بذلك العدو و
يجرئ بذلك المسلمين عليهم حتى يصنعوا مثل صنيعه فلا باس بذلك لان هذا افضل النكاية و
فيه نفاعة للمسلمين وانما يكره ذلك اذا كان لا منفعة فيه بوجه من الوجوه وقد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الشهدا حمزة بن عبد المطلب ورجل تكلم بكلمة
حق عند سلطان جاير فقتله وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شر ما
في رجل شح هالع وجبن خالع فذم الجبن وذلك يوجب مدح الاقدام والشجاعة فيما
يعود الى الدين وان ايقن فيه بالتلف والله تعالى اعلم قوله عز وجل واتموا الحج والعمرة
لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي
محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او
نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام
ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله
حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب روي عن علي وعبد
بن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا اتمام الحج والعمرة ان تحرم بهما من دويرة اهلك وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال تمام العمرة الى البيت وتمام الحج الى اخر الحج كله وقيل اتمامهما
ان تكون النفقة حلالا وينتهي عن جميع ما نهى الله تعالى عنه وياتي بجميع ما شرع الله فيهما من
المشاعر والمواقف وقال مقاتل رحمه الله اتموا الحج والعمرة لله من المواقيت ويقال ان اتمامهما
اقامتهما على التمام وهذا تاويل من يذهب الى ان العمرة واجبة قال الحسن ومجاهد هذا امر
باتمامهما بعد الشروع فيهما والاظهر من لفظ الاتمام والله اعلم انه انما يطلق بعد الدخول فيه كما
في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل واما قوله تعالى فان احصرتم اي منعتم من البيت بعدما احرمتم
بحج او عمرة فاردتم الاحلال فعليكم ما تيسر من الهدي قال ابن عباس رضي الله عنهما اعلاه بدنة
واوسطه بقرة وادناه شاة يبعث المحصر بها الى مكة ويواعدهم اليوم الذي يذبحون عنه اذا ذبح

عنه

عنه حل ورجع الى اهله ثم يقضي ما كان احرم به بعد ذلك ومعنى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ
اي لا يحلق احدكم راسه ولا يحل من الاحرام حتى يبلغ الهدي الحرم اي حتى يعلم ان هديه قد ذبح عنه
في الحرم ومعنى فمن كان منكم مريضا اي كان مريضا من المحرمين محصرين او غير محصرين فلم يستطع الا قامة
على شروط الاحرام فحل وفعل شيا مما يفعل الحلال قبل ان يذبح عنه الهدي او كان في راسه قمل يؤذيه
لا يستطيع ان يصبر عليه فحلق راسه فعليه فدا ما صوم صيام ثلثة او صدقة على ستة مساكين
لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من تمر او صاع من شعير او شاة يذبحها في الحرم وروي
عن كعب بن عجرة انه قال نزلت هذه الاية في مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتنا
على وجهي فقال صلى الله عليه وسلم ايؤذيك هوام راسك قلت نعم قال احلق راسك واطعم ستة
مساكين لكل مسكين نصف صاع من حنطة او صم ثلثة ايام او انسك بنسيكة ومعنى فاذا امنتم
اي امنتم الموانع من المرض والعدو وكل مانع ويقال في الاية اضمار واختصار تقديرها فلا ا
امنتم من العدو وبراتم من المرض فاقضوا ما كنتم احرمتم به قبل الاحصار من حج او عمرة فمن تمتع
بالعمرة الى الحج اي من بدا بالعمرة في اشهر الحج واقام بمكة في عامه للحج فحج من غير ان يرجع الى اهله فعليه
ما تيسر من الهدي فمن لم يجد الهدي ولا ثمنه فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج يصومها قبل
يوم النحر متتابعا او متفرقا او صيام سبعة ايام الى اهاليكم ويقال اذا رجعتم الى ما كنتم عليه اي
فرغتم من الحج تلك عشرة كاملة للهدي وقيل كاملة للثواب ذلك التمتع والهدي لمن لم
يكن اهله حاضري المسجد الحرام يعني بمكة واتقوا الله في جميع ما امرتم به ونهيتم عنه واعلموا
ان الله شديد العقاب اذا عاقب فلا تستحلوا مخالفة شي مما امرتم به ونهيتم عنه وقد اختلف
السلف في وجوب العمرة روي عن عبد الله بن مسعود والشعبي وابرهيم النخعي انها تطوع
وبه قال اصحابنا وقال مالك رحمهم الله وروي عن عايشة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر
ومجاهد انها واجبة وبه قال الشافعي رحمه الله ولا دلالة في هذه الاية على الوجوب لان لفظ الاتمام
يقتضي نفي النقصان عنها اذا فعلت لان ضد التمام هو النقصان ومثل هذا اللفظ يستعمل في
الواجبات والنوافل وقرئ والعمرة لله بالرفع على معنى الابتدا قال الزجاج ومن نصب العمرة
احتمل ان يكون للابتدا لكن نصبها اتباعا للحج واما قوله تعالى لله فلان اهل الجاهلية كانوا
يشركون في احرامهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وتعالى الله
عما يقول الظالمون علوا كبيرا فامر الله تعالى باخلاص القول والعمل لله تعالى واما لفظ الاحصار فقد
ذكر الكسائي وابو عبيدة واكثر اهل اللغة ان الاحصار هو ان يكون بمرض او عذر والحصر ان يكون
بحبس عدو احصره المرض او العذر فهو محصر وحصره العدو فهو محصور وهذا على مذهبنا
مستمر وقال الفراء لا فرق بين الحصر والاحصار وهما يشتركان في المعنى وهذا اقرب من مذهب
الشافعي رحمه الله فان عنده لا يكون المريض محصرا ولا يكون الاحصار الا بالعدو واما المريض
فلا يتحلل بالهدي وان لم يقدر على الذهاب وانكر ابو العباس المبرد والزجاج على الفراء
وقالا ان الاحصار والحصر مختلفان في المعنى الا ترى انك تقول حبست الرجل اذا جعلته في
الحبس واحبسته اذا عرضته للحبس وقبرته اذا دفنته في القبر واقبرته اذا عرضته للدفن
في القبر وقتلته اذا باشرت قتله واقتلته اذا عرضته للقتل والهدي في اللغة اسم لما
يهدى الى البيت وهو جمع هدية كما يقال جدية وجدي ويقرا من الهدي بالتشديد وهو جمع هدية
وعن عايشة وعبد الله بن عمر انهما قالا في هذه الاية ان الهدي انما يكون بدنة او بقرة وقالا بقوله

تعالى فما استيسر على هذا القول التخيير بين اعيان الابل والبقر وقد اتفق الفقهاء في تفسير قوله تعالى هديا بالغ الكعبة ان الشاة هدى في جزاء الصيد واتفقوا ان ما عدا الاصناف الثلاثة من الابل والبقر والغنم ليس من الهدى ولا يجوز من كل شيء الا الثني فصاعدا الا الجذع من الضان اذا فرط لها ستة اشهر على ما ورد به الخبر في الاضحية والثني البالغ من كل نوع و هو عند الفقهاء في الغنم ابن سنة وفي البقر ابن سنتين وفي الابل ابن خمس سنين واختلفوا في المحل المذكور في قوله تعالى حتى يبلغ الهدى محله قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعطا وطاوس ومجاهد رضي الله عنهم محله منحره وهو الحرم وقال مالك والشافعي رحمهما الله محله الموضع الذي احصر فيه فيكون معنى حتى يبلغ الهدى محله اي ينحر الهدى فيحل اكله والمحل يذكر ويراد به الوقت مثل محل الدين وهو وقت الذي يجب المطالبة به ويذكر ويراد به المكان كما قال الله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق وظاهر الاية يقتضي ان يبلغ الهدى بعد الاحصار مبلغا لم يكن بالغا قبل ذلك ولو كان موضع الاحصار محلا للهدى لكان بالغا محله بوقوع الاحصار وادى ذلك الى بطلان الغاية المذكورة في الاية فاما قوله تعالى في شان الحديبية والهدى معكوفا ان يبلغ محله فهو حجة في ان المحل هو الحرم وليس في تلك الاية بيان موضع الذبح انه كان في الحل او في الحرم فيحتمل ان الهدى كان ممنوعا عن الحرم ثم لما وقع الصلح اطلقوا الهدى حتى ذبح في الحرم وقد روى عن ناجية بن جندب انه قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث معي الهدى حتى آخذ به في الشعاب والاودية فاذبحها بمكة ففعل وذهب ابو يوسف ومحمد والثوري الى ان هدى المحصر عن الحج موقت بيوم النحر وليس في هذه الاية دليل ان المراد بالمحل الزمان لان قوله تعالى فان احصرتم عائد الى الحج والعمرة المذكورين في اول هذه الاية ولا خلاف ان هدى الاحصار في العمرة غير موقت بيوم النحر وفي الظاهر قوله تعالى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله دليل ان المحصر اذا لم يجد الهدى لا يحل حتى يجد الهدى فيذبح عنه وقال عطا يصوم عشرة ايام ويحل كالمتمتع اذا لم يجد وحكم المرض في الاحرام على ثلاثة اوجه اما ان يكون كسرا او عرجا كما روى في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فهذا يكون حكمه حكم المحصر من اذا عجز عن المضي الى مكة ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر فقد حل اي جاز له ان يحل بان يبعث الهدى حتى يذبح عنه وهذا كما يقال اذا انقضت عدة المراة حلت للازواج اي حل لها ان تتزوج واما ان يكون مرضا يحتاج فيه الى فعل شيء مما يحظره الاحرام من حلق او لبس او تغطية او نحو ذلك فيفعله لدفع الاذى فيكون حكمه ما ذكر الله تعالى بقوله سبحانه ففدية من صيام او صدقة او نسك واما ان يكون لا يحتاج اليه الى استعمال شيء مما يحظره الاحرام فيكون حكمه حكم الاصحاء وانما سمي الجمع بين فعل العمرة اولا وفعل الحج ثانيا في اشهر الحج في سفر واحد من غير ان يلم باهله حلالا فيما بينهما تمتعا لما فيه من الارتفاق باسقاط احد السفرين عن نفسه ويقال لما في ذلك من الانتفاع باستحقاق ثواب الحج والعمرة بجمعهما في اشهر الحج على الوجه واما اذا احرم بالعمرة في شهر رمضان وطاف لها شوطا او شوطين ثم اتى باكثر افعال العمرة في اشهر الحج وحج من عامه ذلك في ذلك السفر كان متمتعا ايضا عندنا وفي هذا خلاف بين اهل العلم رحمهم الله وسبب التمتع ما روى في الخبر ان الكفار كانوا يرون العمرة في اشهر الحج من افجر الفجور ويجعلون المحرم صفر ويقولون اذا برا الدبر وعفا الاثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم

واصحابه رضي الله عنهم مكة صبيحة اليوم الرابع من ذي الحجة مهلين بالحج امر نبي الله صلى الله عليه وسلم من لم يسق الهدى من اصحابه ان يحل ويجعلها عمرة فتعاظم ذلك عندهم وقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الحل قال الحل كله وقال لو استقبلت من امري ما استدبرت لما سقت الهدي ولحللت معكم فقيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسخ الحج لنا خاصة ام لمن بعدنا فقال بل لنا خاصة ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حلوا من اصحابه فاحرموا بالحج يوم التروية حين اراد الخروج الى منى وعلى هذا قالوا انما سمي التمتع تمتعا لما فيه من التمتع بالنساء بين الحج والعمرة اذا لم يكن ساق الهدى واما صورة القران فهي ان يحرم بالحج والعمرة معا في عام واحد او يحرم بالحج قبل ان ياتي باكثر افعال العمرة وحكم القران حكم التمتع في الهدى وبدله وهدي المتعة والقران يختص عندنا بيوم النحر كما قال الله تعالى فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم فرتب قضاء التفث على ذبح الهدايا ولا يكون قضاء التفث قبل يوم النحر ولا خلاف ان قضاء التفث لا يترتب على هدى المفرد بالحج ولهذا قال اصحابنا ان هدي المتعة والقران دم نسك يجوز الاكل منه كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قارنا وكان ساق معه مائة بدنة نحر ثلثا وستين بيده واعطى عليا كرم الله وجهه ما غبر واشركه في هديه وامره ان ياخذ من كل بدنة بضعة ففعل فاكلا من اللحم وشربا من المرق واما ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مفردا بالحج عام حجة الوداع فيحتمل اختلاف الروايات في هذا الباب لان الناس كانوا يرون النبي صلى الله عليه وسلم ارسالا فسمعه بعضهم يقول حين احرم لبيك بحجة وعمرة معا ثم لما اخذ في عمل العمرة سمعه قوم يلبي بالعمرة ثم لما شرع في عمل الحج سمعه قوم يلبي بالحج الا ترى الى ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني الليلة آت من ربي وانا بالعقيق فقال صل في هذا الوادي المبارك ركعتين وقل لبيك بحجة وعمرة معا ولهذا قال اصحابنا في الرواية المشهورة عنهم ان افضل الحج القران ثم التمتع ثم الافراد والله تعالى اعلم والافضل في صوم المتمتع ان يصوم قبل يوم التروية بيوم ليكون آخر ثلثته يوم عرفة واما قوله فصيام ثلثة ايام في الحج ذهب بعض اهل العلم الى ان صوم المتعة لمن لم يجد الهدى لا يجوز الا بعد احرامه بالحج واما اصحابنا رحمهم الله قالوا لا يجوز ان يكون قوله تعالى في الحج بمعنى في فعل الحج لان فعل الحج الذي لا يصح الا به انما هو الوقوف يوم عرفة بعد الزوال ويستحيل صوم الايام الثلثة فيه فكان المراد به في احرام الحج او في اشهر الحج وظاهره يقتضي جواز فعله بوجوده في ايهما كان واذا صام للمتعة بعد احرامه بالعمرة في اشهر الحج فقد صام بعد وجود سبب المتعة فوجب ان يجزيه وهذا كما قال الله تعالى ومن قتل مومنا خطا فتحرير رقبة مومنة ثم لم يمتنع جواز تقديم الكفارة على القتل لوجود الجراحة التي هي سبب القتل واما اذا لم يصم الثلثة قبل يوم النحر فقد اختلف اهل العلم في ذلك قال عمر وعبد الله بن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهم لا يجزيه الا الهدى ولا يحل الا به وهو قول اصحابنا رحمهم الله وقال ابن عمر وعايشة رضي الله عنهم يصوم ايام منى وهو قول مالك رحمه الله وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يصوم بعد ايام التشريق وهو قول الشافعي رحمه الله والفايدة في قوله تعالى عشرة كاملة انه كان يجوز ان يتوهم ان البدل لا يلحق المبدل في الثواب فبين الله تعالى انه في الكمال بمنزلة المبدل لو فعله ويقال ان الواو قد جاءت في القرآن بمعنى التخيير كما في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث ورباع فاكد الله

تعالى وجوب صوم العشرة كلها بقوله تعالى تلك عشرة كاملة لازالة هذا الاشكال والاصل
في حاضري المسجد الحرام حاضرين المسجد الحرام سقطت النون للاضافة وسقطت اليا في اللفظ
لسكونها وسكون اللام في المسجد كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وقد اختلفوا في حاضري المسجد الحرام
قال عطاء ومكحول رضي الله عنهما هم كل من دون المواقيت الى مكة وهو قول اصحابنا الآن اصحابنا يقولون
اهل المواقيت بمنزلة من دونها لانهم كلهم في حكم اهل مكة يجوز لهم دخولها من غير احرام وقال ابن عباس
ومجاهد حاضرو المسجد الحرام اهل الحرم وقال الحسن وطاوس ونافع هم اهل مكة وقال الشافعي هم من كان
داره دون ليلتين من مكة وذلك مقدار اقرب المواقيت الى مكة وهو اقل مسيرة السفر عنده في قول له وظاهر
قوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام يقتضي الاشارة الى المتعة والهدي جميعا لا تباح المتعة و
القران لاهل المواقيت ومن دونها الى مكة وذهب الشافعي رحمه الله الى ان قوله تعالى ذلك اشارة الى الهدي
دون المتعة والقران فيجوز عنده المتعة والقران لاهل مكة لكن لا هدي عليهم والله تعالى اعلم قوله عز وجل
الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا
من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب في الاية تقدير
حذف مبتدا ومضاف ومعناها مدة الحج اشهر معلومات ويقال الحج في اشهر وهذا كما قال الله تعالى غدوها
شهر ورواحها شهر ومعناه مدة غدوها ومدة رواحها واختلفوا في هذه الاشهر قال ابن عباس واكثر اهل
التفسير انها شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة واما من قال انها شوال وذو القعدة وذو الحجة بتمامها
فلا خلاف لان مراد من قال ذو الحجة بعضه لان الحج لا محالة في بعض هذه الاشهر لا في جميعها ويجوز اضافته
الى جميع هذه الاشهر وان كان هو في بعضها الا ترى انك تقول لقيت فلانا سنة كذا ووقت يوم كذا تريد بذلك
بعض المدة ويقال وقت الصبح من حين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وان كانت صلوة الصبح لا تستغرق
هذا الوقت كذلك الحج لا خلاف بين الائمة انه ليس يبقى بعد ايام منى شيء من مناسك الحج ومعنى فمن
فرض فيهن الحج فلا رفث اي من اوجب فيهن الحج بالتلبية او ما يقوم مقامها من ذكر احرام او سوق
الهدي فلا رفث ولا فسوق اي لا يرفث ولا يفسق وهذا لفظ خبر بمعنى النهي كما ان قوله تعالى يتربصن
ويرضعن خبران لفظا وامران معنى والرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النسا قال
ابن عباس رضي الله عنهما الرفث مراجعة النسا بذكر الجماع واما الفسوق فقد اختلفوا فيه قال
ابن عمر رضي الله عنهما هو ما نهى الله تعالى عنه في الاحرام واختار بعضهم هذا القول وقالوا لو كان
المراد به جميع المعاصي لكان لا يخص بالنهي عنها حالة الاحرام وقال ابن عباس وجماعة من
المفسرين ان المراد بالفسوق جميع المعاصي وفايدة تخصيص حالة العبادة بالنهي عنها لتعظيم حرمة
العبادة كما يقال لا تغتب في صومك ولا تعبث في صلوتك وكما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل وان جهل عليه فليقل اني امرؤ صايم واما قوله
تعالى ولا جدال في الحج قال بعضهم الجدال ان تجادل صاحبك حتى تغضبه او يغضبك ويقال ان
المشركين كانوا يحجون عامين في ذي القعدة وعامين في ذي الحجة وكان حج ابي بكر رضي الله عنه
حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة للحج في آخر عامي ذي القعدة وحج رسول الله صلى الله
عليه وسلم حجة الوداع في اول عامي ذي الحجة وقال صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعني رجع الحج الى ذي الحجة كما كان فانزل
الله تعالى هذه الاية اي لا تجادلوا في ميقات الحج ويقال كانت قريش تقف بالمزدلفة وكانت الحمس
وربيعة تقف بعرفة خارج الحرم وكان كل فريق يجادل صاحبه في الموقف فنزلت هذه الاية

ومعنى وما تفعلوا من خير اي من اسباب الحج وترك الرفث والفسوق والجدال يعلمه الله يقبله
منكم فيجزيكم عليه والله تعالى عالم من دون ان تفعلوا ولكن المراد به يعلمه الله تعالى مفعولا وكان
من قبل يعلمه غير مفعول واراد تعالى بهذا الحث على فعل الخير ودل به على العدل اذ بين به انه
لا يجازي المرء على ما يعلم منه وانما يجازيه على ما يقع منه ويقال هذا كلام خرج مخرج التهديد
اي لا يخفى علي كما تفعلون من خير او شر ومعنى وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي تزودوا في
سفر الحج والعمرة وما تكفون به وجوهكم عن المسالة نزل في قوم كانوا يخرجون باهاليهم بغير زاد
يتكلون على الناس ويسمون انفسهم المتوكلة يقولون نحج بيت ربنا والله تعالى رازقنا وقيل
نزل في قوم كانوا يلقون ازوادهم ويصيبون في حجهم من اهل الطريق ظلما يقولون نحن حجاج
فبين الله تعالى ان الزاد هو ان تتقوا ما لا يحل لا ان تلقوا ازوادكم وتصيروا كلا على الناس و
يقال في الاية تقديم وتاخير وتقديره وتزودوا من الطاعات واتقون يا اولي الالباب فان خير
الزاد التقوى ولا يمتنع ان يكون المراد بالاية زاد الدنيا وزاد الاخرة فكان الله تعالى حث على
الزادين جميعا وامر بالتزود لسفر الدنيا بالطعام ولسفر الاخرة بالتقوى فان النجاة من هلكات
سفر الدنيا بالزاد ومن سفر الاخرة بالعمل الصالح قال الشاعر ۞ اذا انت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ۞ ندمت على ان لا تكون كمثله ۞ فترصد للامر الذي كان ارصدا ۞
وعن سفيان الثوري رحمه الله انه كان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت ۞ اذا انت لم تزرع وابصرت
حاصدا ۞ ندمت على التفريط في زمن البذر وقد اختلف اهل العلم في جواز الاحرام بالحج قبل اشهر الحج
روي عن ابن عباس وجابر وعطا ومجاهد وعكرمة رضي الله عنهم انهم قالوا لا يحرم الرجل بالحج قبل
اشهر الحج وقال عطا من احرم بالحج قبل اشهر الحج فليجعلها عمرة وقال الشافعي تكون عمرة وعن
ابرهيم النخعي جواز الاحرام بالحج قبل اشهر الحج وهو قول اصحابنا ومالك والثوري والليث رحمهم الله
وقد قدمنا فيما سلف ذكر وجه الدلالة على جواز ذلك من قوله عز وجل يسالونك عن الاهلة قل هي
مواقيت للناس والحج وان ذلك عموم في كون الاهلة كلها وقتا للحج ومعلوم ان الاهلة ليست بميقات
لافعال الحج فوجب ان يكون حكم ذلك اللفظ مستعملا في احرام الحج واما ما ذكر الله تعالى في هذه الاية
فيحتمل انه توقيت لافعال الحج فان من قدم مكة محرما بالحج قبل اشهر الحج وطاف وسعى لم يكن ذلك السعي
معتدا به من الحج ويحتمل ان يكون المراد بالحج المذكور في اول هذه الاية الحج الذي تقدم ذكره قبل هذه الاية
وهو حج التمتع وذهب بعض مشايخنا الى ان قوله اشهر معلومات توقيت لاستحباب الاحرام لانه اذا
قدم الاحرام على شوال امتد مكثه في الاحرام واضطر الى شيء من محرمات الاحرام يدل على ذلك ما روي
عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال من السنة ان لا يحرم الرجل بالحج قبل اشهر الحج وهو رواية اخرى
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وظاهر هذه الاية تقتضي ان الاحرام بالحج يوم النحر جايز وانه لا يفصل
بين يوم النحر وبين ما بعده والفرض ايجاب الشيء والزامه وقطعه عن شيء معلوم ومن ذلك فرضة
النهر وفرضة السهم وفرض الله تعالى على العباد الصوم والصلوة اي قطع الحكم بايجابهما على تقدير معلوم
فاما سوق الهدي بنية الاحرام فانه يقوم مقام التلبية والايجاب كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قيل له عام حجة الوداع ما بال الناس قد حلوا وانت لم تحل بعد فقال صلى الله عليه وسلم اما اني قلدت
هديي ولبدت راسي فلا احل حتى انحر فجعل لتقليد الهدي تاثيرا في الاحرام وقد اتفقت الامة ان المراد
بالرفث المذكور في هذه الاية الجماع فما دونه من اللمس والتقبيل ونحو ذلك اذ لا خلاف بينهم ان من قبل امراته في
احرامه لشهوة فعليه دم واصل الرفث في اللغة انه بالقول الفاحش فيه وبالفرج الجماع وباليد الغمز للجماع

اى تغلاه

وانكد لم ترصد كما كان ارصده

وعن ابن عباس انه كان ينشد في احرامه فيقول وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق الطير ننك لميسا فقيل هذا رفث فقال رضي الله عنه انما الرفث مراجعة النسا بذكر الجماع والنصب في قوله تعالى فلا رفث
ولا فسوق نصب على التبرية ويقرا بالرفع والتنوين وكلا الوجهين جايز في كلام العرب واكثر القرا في
قوله تعالى ولا جدال في الحج على النصب لم ينقل في الرفع والتنوين الا في رواية شاذة ومن رفع الرفث والفسوق
جعل ما بعده كلاما مبتدا ولا خلاف ان الجدال والفسوق لا يفسدان الحج لانه نهي تاديب واما الرفث
نهي حتم اذا وجد الجماع في الحج قبل الوقوف بعرفة افسد الحج وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وفي الخبر دلالة
ان النهي عن الرفث والفسوق امر بالتوبة عن الفسوق اذ الاصرار عليها من اعظم المعاصي وروي
ان الفضل بن عباس كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المزدلفة الى منا فكان
يلاحظ النسا وينظر اليهن فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجهه بيده من خلفه فقال
صلى الله عليه وسلم ان هذا يوم من ملك سمعه وبصره غفر الله له وفي الاية دلالة بطلان قول
المتصوفة الذين يتسمون بالمتوكلة في تركهم التزود والسعي في المعاش لان الله تعالى امر بالتزود
في هذه الاية وشرط في وجوب الحج الاستطاعة ولهذا المعنى فسر النبي صلى الله عليه وسلم الاستطاعة
حين سيل عنها بالزاد والراحلة قوله عز وجل ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم
فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم
من قبله لمن الضالين روي عن عبد الله بن عمر ان رجلا ساله فقال اني لاكري الابل الى مكة
افيجزي من حجي فقال اولست تلبي وتقف بعرفات وترمي الجمار قال بلى قال سال رجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن مثل ما سالتني عنه فلم يجبه حتى انزل الله تعالى هذه الاية فقال النبي صلى الله
عليه وسلم انتم حجاج ومعنى الاية والله تعالى اعلم ليس عليكم جناح ان تطلبوا رزقا في التجارة في
ايام الحج فاذا دفعتم من عرفات فاذكروا الله تعالى باللسان عند المشعر الحرام وهو الجبل الذي
يقف عليه الناس بالمزدلفة واذكروه بالثنا والتوحيد والشكر ذكرا مثل هدايته اياكم اي ذكرا يكون
جزا لهدايته وانتم كنتم من قبل هدايته اياكم لمن الضالين عن الهدى وقيل ان المراد بالذكر الاول في هذه
الاية صلوة المغرب والعشا اللتين يجمع بينهما في وقت العشا بالمزدلفة والمراد بالذكر الثاني هو الذكر المفعول
بالمزدلفة غداة جمع في موقف المزدلفة فعلى هذا يكون الذكر الاول غير الثاني وقد تسمى الصلوة ذكرا على معنى
ان الذكر ركن من اركانها كالركوع في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين والافاضة هي الدفع بالكثرة يقال افاض
القوم في الحديث اذا تدافعوا فيه واكثروا التصرف وافاض الرجل انااه اذا صبه وفاض الانا اذا انصب
منه الما للامتلا وافاض البعير بجرته اذا رمى بجرته متفرقة كثيرة وعرفات جمع عرفة وهي مكان واحد ذكرها
الله بلفظ الجمع واراد بجميع اجزايها وسميت عرفات لارتفاعها من نشز الارض وكذلك الاعراف ويقال سميت
بهذا الاسم لان ادم وحوا عليهما السلام تعارفا هنالك بعد التفاقدهم ويقال لان جبريل عليه السلام عرفها ابراهيم
عليه السلام ليقف عليها حين كان يعلمه امور المناسك فقال ابراهيم عليه السلام عرفت والكسر والتنوين في
عرفات على معنى ان هذا اللفظ محكي على ما كان في الاصل يقال هذا عرفات ورايت عرفات ومررت بعرفات
ونظير هذا من الاسامي انك اذا سميت انسانا بظالمين قلت جاني ظالمين ورايت ظالمين ومررت بظالمين
قال امرؤ القيس تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عالي ومن قرا عرفات بالكسر
بغير تنوين فلانا وان اعتبرنا حكم الاصل فهو في الحال واحد لا ينصرف لاجتماع التعريف والتانيث وسميت
المزدلفة المشعر الحرام على معنى انها معلم لمتعبد من متعبدات الله تعالى والشعار العلامة ومن ذكر

اشعار

فاذا افضتم من عرفات

سميت عرفة

اشعار الهدي وتسمى المزدلفة جمعا ايضا قوله عز وجل ثم افيضوا من حيث افاض الناس و
استغفروا الله ان الله غفور رحيم قال الضحاك معناه افيضوا من المزدلفة التي تفيض
منها قريش وروي في رواية اخرى ان المراد بالناس ابرهيم عليه السلام لانه كان الامام المقتدى
به فسماه الله تعالى ناسا كما قال الله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا وانما ذهب الضحاك رحمه الله
الى ان المراد بالافاضة في هذه الاية الافاضة من المزدلفة لان الله تعالى عطف هذه الاية على الافاضة
من عرفات الى المزدلفة فعلم ان المراد بهذا الافاضة من المزدلفة وذهب اكثر المفسرين الى ان المراد
بالافاضة في هذه الاية الافاضة من عرفات وذلك ان الحمس من قريش وغيرها كانت لا يخرج من الحرم
وكان وقوفها بالمزدلفة لا غير افتخارا وتعاليا على الناس كانوا يقولون نحن اهل الله فلا نخرج من حرمه
فاما غير الحمس كانوا يقفون بعرفة فانزل الله تعالى هذه الاية وامر قريشا وغيرهم من الحمس ان يقفوا بعرفة
حيث تقف الناس ويدفعوا عنها معهم وانما ذكر الناس وامر قريشا بالافاضة من حيث افاض الناس
لان قريشا ومن دان دينها كانوا قليلا بالاضافة الى ساير الناس وقوله تعالى ثم افيضوا على هذا الثنا وبراجع
الى اول الكلام كانه قال احرموا كما امركم الله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس فيكون الامر بالافاضة
معطوفا على الاحرام دون الافاضة من عرفات والفايدة في اعادة ذكر الافاضة ان قوله تعالى فاذا افضتم من
عرفات يقتضي ان الوقوف بعرفة من مناسك الحج وقوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس بيان ان الوقوف
بعرفة من فروض الحج على الناس كلهم لان الامر بالافاضة يقتضي الوجوب ولا يتوصل الى الافاضة منها الا بكونهم
بها هناك وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحج عرفة فمن ادرك عرفة بليل او نهار
فقد ادرك الحج ومن فاته عرفة بليل او نهار فقد فاته الحج اراد بالليل ليلة يوم النحر فان اول وقت الوقوف
بعرفة بعد زوال الشمس من يوم عرفة واخره طلوع الفجر من يوم النحر فان دفع منها قبل غروب الشمس ولم
يرجع اليها قبل دفع الامام فعليه دم في ظاهر الرواية واما موضع الوقوف فقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال عرفة كلها موقف الا بطن عرنة والمزدلفة كلها موقف الا بطن محسر وقد
اختلف اهل العلم رحمهم الله في الوقوف بالمزدلفة فذهب اكثرهم ان ذلك ليس بركن من اركان الحج على ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قدم ضعفة اهله بليل وفي بعض الاخبار انه قدم اغيلمة بني عبد المطلب
بليل وجعل يلطخهم بيده ويقول ابنيي لا ترجموا جمرة العقبة الا مصبحين فلو كان الوقوف بالمزدلفة فرضا
لما رخص تركه للضعفة كالوقوف بعرفة واما قوله تعالى واستغفروا الله قال بعضهم هذا امر بالاستغفار
من الذنوب في مواطن الحج فان الدعا في تلك المواطن جدير بالاجابة وقال بعضهم هذا خطاب للحمس امرهم الله
تعالى بالاستغفار مما كان منهم في الجاهلية من مخالفة امره بترك الوقوف بعرفات ان الله غفور للذنوب
العباد اذا تابوا رحيم بهم بعد التوبة قوله عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباكم
او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق معناه والله
تعالى اعلم اذا فرغتم من متعبداتكم في الحج فاذكروا الله تعالى بالخير كذكركم اباكم بل اشد ذكرا وذلك انهم كانوا
يقفون بعد قضا المناسك يوم النحر بين المسجد الذي بمنى وبين الجبل ينشدون الاشعار ويتفاخرون
بذكر فضايل ابايهم يقول احدهم يا رب ان عبدك فلانا يعني اباه كان يفعل كذا وكذا من الخير فامرهم الله
ان يذكروه فهو الذي فعل ذلك الخير الى ابايهم وان اياديه عندهم اكثر واعظم من ايادي ابايهم و
نعمه عليهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر بعد نزول هذه الاية ان الله تعالى قد اذهب
عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالابا ان الناس من ادم وادم من تراب لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى
ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم

وقال بعضهم معنى قوله اذا قضيتم اردتم قضا المناسك قال الله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله وقال عز من قايل اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا اى اذا اردتم وارد بالذكر فهذه الاية جميع الاذكار المسنونة في الحج بعرفات والمزدلفة وعند الرمي والطواف وقال بعضهم اذكروا الله تعالى بالتوحيد كما تذكرون اباكم بذلك فانكم لا ترضون ان تنتسبوا الى ابوين وكذلك لا ترضون من انفسكم باتخاذ الهين وعن عطا رحمه الله في قوله تعالى كذكركم اباكم هو كقول الصبي اول ما يفقه الكلام ابه ابه اى استعينوا بالله وافزعوا في جميع اموركم اليه كما يفزع الصبي الى ابيه في جميع اموره ويلهج بذكره واما قوله تعالى فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا نزل في مشركي قريش كانوا يقولون اللهم ارزقنا ابلا وبقرا وغنما وعبيدا واما وامولا ولم يكونوا يسالون لانفسهم التوبة والمغفرة كانوا لا يرجون الا نعيم الدنيا ولا يخافون البعث والنشور فبين الله تعالى بقوله وماله في الاخرة من خلاق اى من يطلب بحجه امور الدنيا لا يريد بذلك ثواب الله تعالى فلا نصيب له من ثواب الاخرة ثم بين جل ذكره دعا المومنين بقوله عز وجل ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قال مجاهد رحمه الله معنى الحسنة النعمة في الدنيا اى يسالون الله تعالى نعمة الدنيا والاخرة وان يقيهم عذاب النار وقال الحسن وجماعة من اهل العلم ان الحسنة في الدنيا هو العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة والوصول الى نعيمها وثوابها وعن قتادة انه قال ذكر لنا ان رجلا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ما كنت معاقبي به في الاخرة فعجله في الدنيا فاضنى الرجل في مرضه ونحل جسمه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاتاه يعوده فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو بكذا فقال صلى الله عليه وسلم يا ابن ادم انك ضعيف لا تستطيع ان تقوم لعذاب الله تعالى ولكن قل ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا بها الرجل فبراء والاصل في قنا اوقينا ولكن الواو سقطت كما سقطت في يقي لان الاصل فيه يوقي سقطت الواو لوقوعها بين يا وكسرة فاذا سقطت من يوقي سقطت من اوقي وانما اجتلبت الف الوصل لسكون الواو فاذا سقطت الواو ولا حاجة للمتكلم الى الواو سقطت الالف وسقطت اليا في اخر الكلمة للوقف والجزم قوله عز وجل اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب معناه الذين يسالون الله تعالى الدنيا والاخرة لهم حظ ونصيب من الثواب اكتسبوه في حجهم وفي هذا بيان استجابة دعايهم على القطع وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليدخلن اقوام من امتي منا برلهم في الجنة لم يصبهم من بلوى الدنيا شي كانوا يسالون الله تعالى العافية في الدنيا والاخرة يقولون ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ومعنى سريع الحساب اذا حاسب تحاسبه يسيرا كلمحة البصر هكذا روي في الخبر وفي بعض الروايات ان الله تعالى تحاسب العباد قدر فواق ناقة والفواق ما بين الحلبتين وفي ذكر سرعة الحساب في الاية بيان على حقيقة الامر وان محاسبة الله تعالى لا تكون بعقد الاصابع والخط وفكرة القلب كما تكون محاسبة الناس بعضهم بعضا لكن يحاسبهم جميعا في لحظة واحدة يظن كل واحد انه يحاسبه خاصة لا يشغله شي عن شي وقيل معنى سريع الحساب سريع المجازاة وفيه اخبار عن سرعة فنا الدنيا وقيام الساعة قوله عز وجل واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعطا والضحاك وابرهيم النخعي ان الايام المعدودات ايام التشريق والايام المعلومات عشر ذي الحجة وهكذا روي عن ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد رحمهم الله وروي في بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الايام المعدودات ايام العشر والمعلومات ايام

النحر

النحر ولا شك ان في هذه الرواية غلطا وهو خلاف الكتاب لان الله تعالى عقب الايام المعدودات بقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه وليس في العشر حكم يتعلق بيومين دون الثالث وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايام منى ثلثة ايام التشريق فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه وفي هذا الخبر بيان مراد الاية من قوله تعالى اياما معدودات وروي عن ابي يوسف في رواية اخرى ان المعلومات ايام النحر والمعدودات ايام التشريق فان هذا القول استدلالا من الايتين لان الله تعالى قال في ذكر ايام المعلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام وقال في هذه الاية فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه فيوم النحر على هذه الرواية من المعلومات دون المعدودات واخر ايام التشريق من المعدودات دون المعلومات واليوم الثاني والثالث من ايام النحر من المعلومات والمعدودات جميعا والجواب عن استدلال ابي يوسف من الايتين ان لفظ المعلومات يقتضي الشهرة ولفظ المعدودات يقتضي تقليل العدد كما في قوله تعالى دراهم معدودة فاقتضى الظاهر ان المعدودات اقل من المعلومات ويحتمل ان يكون معنى على ما رزقهم من بهيمة الانعام لما رزقهم كما قال الله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم اى لما هداكم فكان الله تعالى اراد بالايام المعلومات ايام العشر والله تعالى اعلم لان فيها يوم النحر وفيه الذبح ويكون ذلك اليوم بتكرار شيين عليه اياما واما الذكر المذكور في هذه الاية فهو الذكر عند رمي الجمار في ايام التشريق ايام منى وقال بعضهم هو التكبير في ادبار الصلوات في هذه الايام يكبر من صلوة الغداة من يوم عرفة الى صلوة العصر من اخر ايام التشريق عند جماعة من الفقها رحمهم الله و التاويل الاول اصح واقرب الى ظاهر القران لان الله تعالى عقب الذكر في هذه الاية بقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر اى من تعجل الرجوع الى اهله فلا اثم عليه في تركه في اليوم الثالث ومن تاخر الى اخر النفر واقام هناك في اليوم الثالث فلا اثم عليه لمن اتقى الرفث والفسوق و التفريط في حدود الحج كلها فاما من لم يتق فغير موعود له بالثواب واما قوله تعالى واتقوا الله امر لهم بالتقوى في مستقبل اعمارهم اى لا تتكلوا على ما اسلفتم من اعمال البر ولكن زيدوا في الطاعة في باقي العمر واعلموا انكم اليه تحشرون في الاخرة اى يجازيكم الله باعمالكم اذ الحشر انما يكون للمجازاة ومن تصور انه لا بد من حشر ومحاسبة ومسايلة ولا بد من احد امرين لا ثالث لهما اما الجنة واما النار يدعوه ذلك الى التشديد في التقوى والحشر في اللغة هو جمع الناس في المكان من كل ناحية والمحشر هو المجمع فان قيل كيف قال الله تعالى ومن تاخر فلا اثم عليه معلوم ان من تاخر فانما تاخر لاقامة فرض فلا يليق بحاله ان يقال فلا اثم عليه بل كان الاليق ان يقال من تاخر كان اعظم لاجره قيل ليس المراد بهذه الاية التفصيل بين التعجيل والتاخير لكن الغرض رفع الاثم في الحالين وهذا على مزاوجة الكلام كما يقول الانسان لغيره ان اعلنت الصدقة فحسن وان اسررت فحسن ومعلوم ان اخفا صدقة التطوع افضل من اعلانها واعلان صدقة الفرض افضل من اخفايها وجواب اخر ان رمي الجمار لا يجوز ان يكون تطوعا اذا المستقل يكون عابثا فلما قال الله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه اوهم ذلك كون الرمي في ذلك اليوم الثالث تطوعا لان هذا تخيير بين فعله وتركه فقال تعالى ومن تاخر فلا اثم عليه ليبين ان هذا اجر خير بين فعله وتركه وظاهر الاية يقتضي ان من لم ينفر في اليوم الثاني من ايام التشريق حتى غابت الشمس لا ينبغي له ان ينفر حتى يرمي الجمار اليوم الثالث وهكذا قاله اصحابنا رحمهم الله الا انه لا يلزمه ذلك الا ان يصبح بمنى يوم الثالث فاذا اصبح بها يوميذ لم يجز له النفر بالاجماع حتى يرمي وهذا مما يستدل به على صحة قول ابي حنيفة في تجويزه رمي الجمار في اليوم الثالث

قبل الزوال والأيام المعدودات في الحج ستة أيام يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر
ويوم القر ويوم النفر ويوم الصدر وسمي يوم التروية لما روي ان جبريل عليه السلام قال
لابرهيم عليه السلام فيه ان احمل رِيّك من الماء وكذا الحاج يحمل فيه من الماء ما يكفيه لريه فاما
عرفة فقد ذكرنا لم سمي عرفة ويوم النحر معلوم ويوم القر لاستقرار الناس بمنى ويوم النفر
لانهم ينفرون من منى الى مكة ويوم الصدر يصدرون الى اهاليهم ورمي الجمار مشروع في يوم القر
بمنى والنفر والصدر وهي ايام التشريق قوله عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله في
الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام قال ابن عباس نزلت هذه
الاية في الاخنس بن شريق كان حسن المنظر حلو الكلام فاجر السريرة كافر القلب حلافا شديد الخصومة
في الباطل وكان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فيظهر له الحسن ويحلف بالله تعالى انه يحبه
ويتبعه على دينه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامه فيعجبه وكان يدنيه من مجلسه
فاظهر الله تعالى على نفاقه ومعنى الاية والله تعالى اعلم ومن الناس من يعجبك كلامه وحديثه
اي تفرح باظهاره الايمان وتسر بقوله ويشهد الله على ما في قلبه اي يقول والله شهيد على
ان ما في قلبي كما هو على لساني من الايمان وهو شديد الخصومة جدل بالباطل والالد ماخوذ
من لديدي العنق وهما صفحتا العنق وتاويله ان خصمه في اي وجه اخذ من ابواب الخصومة من
يمين او شمال غلبه في ذلك والخصام والمخاصمة مصدر من خاصم يخاصم وقد يكون الخصام جمع
خصم مثل صعب وصعاب وكلب وكلاب فيكون المعنى على هذا القول وهو اشد المخاصمين خصومة
قوله عز وجل واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد يقول اذا اعرض الاخنس عنك فارقك اسرع مشيا في الارض ليعصي فيها ويضر المؤمنين
وليهلك ما قدر عليه من زرع ونسل والله تعالى لا يرضى بالمعاصي روي في الخبر ان الاخنس
خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر بزرع فاحرقه ومر بحمار فعقره فانزل الله تعالى
هذه الاية بما فيها من الوعيد الى اخرها في جهنم وصارت عامة في جميع المفسدين وقيل معنا
ليفسد فيها ليوقع الفتنة بين الناس ليشتغلوا عن الزراعة وعن اعمالهم فيكون فيه هلاك الحرث
والنسل ويقال يخيف الناس حتى يهربوا من شره فتخرب الضياع وينقطع نسل الناس والدواب
وفي هاتين الايتين تحذير من الاغترار بظاهر القول وما يبديه الرجل من حلاوة المنطق وامر بالاحتياط
فيما امرنا بايتمان الناس عليه من امر الدين والدنيا حتى لا يقتصر على ظاهر امر الانسان خصوصا
فيمن هو الد الخصام ومن ظهرت منه دلايل الريبة لابد من استبرا حاله والبحث عن حقيقة امره
ولهذا قالوا ان علينا استبرا حال من نراه في الظاهر اهلا للقضا والشهادة والفتيا والامانة و
ما جرى مجرى ذلك وان لا يقبل منهم ظاهرهم حتى يبحث ويسال عنهم اذ قد حذر الله تعالى امثالهم
في توليتهم على امور المسلمين الا ترى انه عقبه بقوله واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها و
يحتمل ان يكون المراد بالتولي ان يتولى امرا من امور المسلمين فاعلم الله تعالى بهذه الاية انه
لا يجوز الاقتصار على الظاهر دون الاحتياط والاستبرا قوله عز وجل واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد معناه اذا قيل لهذا المنافق اخش
عقوبة الله تعالى ولا تفسد اخذته المنعة والحمية والانفة بسبب الاثم الذي فيه والكفر
الذي في قلبه يعني تكبر وقال امتلى يقال له اتق الله يقال معناه حملته العزة على فعل ما يوجب
الاثم وهذا كما يقال الانسان اخذت فلانا بان يفعل كذا اي دعوته الى ان يفعل كذا وقوله تعالى

فحسبه

فحسبه جهنم اي كفاه النار في الاخرة عقوبة ونكالا وبيس القرار النار والمهاد الفرش الوطي للنوم
كما يمهد للصبي يقال مهدت الامر ووطاته بمعنى واحد فلما كان المعذب بالنار يلقى على نار جهنم
جعل ذلك مهادا له على معنى ان جهنم للكافر مكان المهاد للمومن في الجنة كما قال الله تعالى فبشرهم بعذاب
اليم وفي الاية تسلية للمظلوم بما يعلم من عاقبة ظالمه وزجر للظالم ان مستقره في النار لا يمكنه مفارقته
مكانه كان ذلك رادعا له من المعاصي وحكي ان يهوديا كانت له حاجة الى هارون الرشيد فاختلف
الى بابه سنة فلم تقض حاجته فوقف يوما على الباب فلما خرج هرون سعى بين يديه فقال اتق الله يا امير
المومنين فنزل هرون عن دابته وخر ساجدا فلما رفع راسه امر بحاجته فقضيت له فلما رجع
قيل له يا امير المومنين نزلت عن دابتك لقول يهودي قال لا ولكن تذكرت قول الله عز وجل و
اذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم قوله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضات الله والله روف بالعباد قال عبد الله بن عباس نزلت الاية في صهيب بن سنان
وفي نفر من اصحابه منهم عمار بن ياسر وامه سمية وابوه ياسر وبلال وخباب بن الارت و
غيرهم رضي الله عنهم اجمعين اخذهم المشركون في طريق مكة فعذبوهم فاما صهيب فقال لهم انا
شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من عدوكم اعطيكم مالي ومتاعي وذروني وديني اشتريه منكم
بمالي ففعلوا ذلك فاعطاهم ماله وتوجه الى المدينة فلما دخل المدينة لقيه ابو بكر رضي الله عنه فقال
ربح البيع يا صهيب فقال وبيعك لا يخسر وما ذاك يا ابا بكر فاخبره بما نزل فيه وهو قوله تعالى
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله واما سمية وياسر فقتلا وكانا اول قتيلين
قتلا من المسلمين وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما بمكة اصبروا يا آل ياسر فان موعدكم
الجنة واما الاخرون فانهم اعطوا على العذاب بعض ما اراد المشركون من كلمة الكفر وسب الاسلام
وكانت قلوبهم مطمئنة بالايمان فتركوا وقدموا المدينة وفيهم نزل قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه
الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان ومعنى قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه على هذا التاويل الذي
ذكرناه ومن الناس من يشتري نفسه ودينه بماله وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قالا في هذه الاية
هو الرجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقتل عليه فعلى هذا معنى قوله يشري نفسه اي يبذلها في
الجهاد في سبيل الله وهذا من اسماء الاضداد قال الشاعر في شريت بمعنى بعت وشريت بردا
من بعد برد كنت هامه وقوله تعالى ابتغاء مرضات الله نصب على انه مفعول له كانه قال لابتغاء
مرضات الله تعالى ومعنى والله روف بالعباد رحيم بهم يخفف عنهم الخير ويثيبهم عليه رافة بهم
ويقال انه لرافته ورحمته امرهم ببيع انفسهم لكي ينالوا من كريم ثوابه ما هو خير لهم من السلامة
وطول البقاء قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين قال الحسن رضي الله عنه حث الله تعالى بهذه الاية جميع
المومنين على الاسلام والطاعة كفعل من يشري نفسه الا تراه قال بعد ذلك ولا تتبعوا خطوات
الشيطان اي لا تفعلوا فعل الد الخصام ومعنى الاية على هذا القول يا ايها الذين امنوا بكلمة
الايمان اقيموا على الايمان ويجوز ان يكون امر المخلصين بالاقامة على الاسلام في مستقبل
امرهم وان لا يتخلف احد عن شيء مما يجب عليه من احكام الاسلام وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال نزلت هذه الاية فيمن اسلم من اهل الكتاب وكانوا يتقون السبت ويحرمون
لحم الجمل ويتقون اشيا كانوا يتقونها قبل ان يسلموا فامروا ان يدخلوا في جميع شرايع محمد صلى
الله عليه وسلم يعني ادخلوا في السلم كله ومعنى كافة في اشتقاق اللغة ما يكف الشيء عن الخروج

اى بلغوا الى حيث تنتهوا بشرايعه فتكفوا ان تعدوا وادخلوا كلكم حتى يكف عن عدد واحد لم
يدخل فيه واصل كافة من الكف وهو المنع وسمى الراحة كفا لانه يكف بها عن البدن ويقال استكف
القوم في هذا الامر الى فلان اذا مالوا اليه باجمعهم وامتنعوا عن غيره ومعنى ولا تتبعوا خطوات الشيطان
اى لا تقتفوا اثاره لان تركتم شيا من شرايع الاسلام اتباع الشيطان انه لكم عدو ظاهر العداوة فان
قيل كيف قال الله تعالى انه لكم عدو مبين وهو لم يبد لنا شخصه ولا من نفسه شيا قيل قد كان ابدا العداوة
لابينا ادم عليه السلام حين امتنع من السجود له وقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
فكان ابداؤه واظهاره العداوة لابينا ادم عليه السلام ابداء واظهارا لنا وقيل لما صحت الدلالة
على عداوة الشيطان ايانا وارادته اهلاكنا جاز ان يقول الله تعالى انه لكم عدو مبين فان قيل اذا كان
في المومنين من لا يقبل منه البتة ومن يقبل ايضا انما يوتى من قبل نفسه كما قال الله تعالى حكاية عن ابليس
وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا انفسكم فكيف يكون عدوا
بين العداوة قيل عداوة العدو لا تقوى بنفاذ كيده وانما تقوى وتظهر بما هو عليه من ارادته الاضرار
والفساد قوله عز وجل فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم يقول
ان عدلتم عن طريق الاستقامة بالخروج من طاعة الله الى المعصية وعلى قول عبد الله بن عباس رضى الله
عنهما فان ملتم الى اول شريعتكم في تحريم السبت ولحوم الابل من بعد ما جاءتكم الدلالات والحجج محمد صلى
الله عليه وسلم وشرايعه فاعلموا ان الله عزيز حكيم غالب بالنقمة لا يعجزه شيء من ذلك حكيم اى محكم
متقن في الفعل يقال عالم ذو حكمة فيما شرع لكم من دينه وفي هذه الاية تشديد العصيان بزلة القدم والغرض
منها الزجر عن المعصية فان الانسان اذا علم ان الذى كان منه العقوبة على المعصية قادر لا يجوز عليه
العجز ولا المنع عما يريد وعالم بمقدار ما يستحق من العقاب لا يجازى المسيء جزاء المحسن ولا المحسن جزاء المسيء
كان ابعد له من فعل المعصية والعزة في اللغة الامتناع يقال ارض عزازة اذا كانت ممتنعة بالشدة و
الصعوبة قوله عز وجل هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملايكة وقضى الامر
والى الله ترجع الامور افترق الناس في تاويل هذه الاية على اربعة اقوال فرقة منهم يتاولونها على ظاهرها
ويصفون الله جل وعز بالاتى الذى هو زوال من مكان الى مكان ويثبتون ما ورد في هذا الباب من
الاخبار المتشابهة وفرقة يفسرون الاتيان تفسيرا مجملا لا يعدون ظاهر اللفظ يقولون ياتى كيف شا بلا
كيف واما الفرقتان الاخريان من اهل السنة والجماعة فاحداهما لا يفسرون هذه الاية ويقولون نومن
بظاهرها ونسكت عن الخوض في معناها لما فيه من الاشتباه والتشبيه روى عن عبد الله بن عباس
رضى الله عنهما انه قال هذه الاية من المكتوم نومن بها ولا نفسرها كما قال الله تعالى في الايات المتشابهات
وما يعلم تاويله الا الله وروى هشام عن ابن عباس ان القران نزل على اربعة اوجه وجه لا يعذر احد
بجهالته ووجه يعرفه العلماء بتفسيره ووجه يعرف من قبل العربية ووجه لا يعلمه الا الله تعالى فاما
الفرقة الرابعة فيردون مثل هذه الايات المتشابهات الى الايات المحكمات ومعنى هذه الاية على هذا
القول والله تعالى اعلم ما ينظر الكفار بعد قيام الحجة عليهم الا ان ياتيهم امر الله تعالى او ياتيهم عذاب الله
لان الاتيان لفظ مشتبه يحتمل حقيقة اللفظ في الاتيان ويحتمل اتيان الامر وقد قامت الدلالة على ان
الله تعالى لا يجوز عليه الاتيان والمجيء والانتقال والزوال لان ذلك من صفات الاجسام والمحدثين قال الله
تعالى في اية محكمة ليس كمثله شيء وجعل ابرهيم صلوات الله عليه ما شاهد من حركات النجوم وانتقالها
وزوالها دليلا على حدثها حين قال لا احب الافلين فاحتج به على قومه كما قال الله تعالى وتلك حجتنا اتيناها
ابرهيم على قومه يعنى في حدث الاجسام والكواكب تعالى الله عما تقول المشبهة علوا كبيرا فلما كان لفظ

الاتيان

الاتيان مشتبها في نفسه وجب رده الى المحكم نحو ما فسره الله تعالى في سورة النحل يقول الله تعالى هل ينظرون
الا ان تاتيهم الملايكة او ياتى امر ربك وكما قال جل ذكره فاتى الله بنيانهم من القواعد وقال عز وجل من قايل
فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اى اتاهم بخذلانه اياهم ويقال جا الامير اذا قدم معظم جنده وبقى هو
مع قوم قليل وربما يقال جا الامير يعنى عدده وحديده واما ذكر الظلة في الاية فلان الهول اذا بدا من الظلة كان اعظم
من السحاب في السما كان اعظم واشد الا ترى ان الرعد والبرق اذا كانا بعد ما غشى القوم ظلل الغمام كانا اهول
عليهم وكانا في يوم لم يغشهم ظلل الغمام فيه يويد هذا التاويل قول الله عز وجل في قصة شعيب عليه السلام فاخذهم
عذاب يوم الظلة واما قوله تعالى والملايكة قرى بالرفع على تقدير وتاتيهم الملايكة ومن قرا بالكسر فعلى تقدير
وظلل من الملايكة اى جماعة من الملايكة وسماهم الله تعالى ظللا لان الملايكة لا تسير بالاقدام ولكنها تطير بالاجنحة كما
تطير الطير ومعنى وقضى الامر امضى الحكم بانزال الفريقين منازلهم من الجنة والنار وقوله تعالى والى الله ترجع الامور
من قرا برفع التا فعلى فعل ما لم يسم فاعله اى عواقب الامور ومصير الخلايق الى الله تعالى ومن قرا التا بالنصب فعلى
والى الله تصير الامور ومن قرا بالياء فلان تانيث الامور غير حقيقى والامور في الحال وفي الاوقات كلها راجعة الى
الله تعالى لكن معنى يرجع على وجهين احدهما انه لما كانت الامور كلها قبل ان يملك العباد منها شيا لخاصة
ثم ملكهم كثيرا من الامور ثم تكون الامور كلها اليه في الاخرة ترجع اليه الامور ودونه خلقه جاز ان يقال ترجع
الامور اليه والمعنى الاخر انه لا يملك احد يومئذ شيا غيره وهذا كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه
يحور رمادا بعد اذ هو ساطع وانما عنى بهذا البيت انه يصير رمادا الا انه كان مرة رمادا فيرجع الى
ما كان عليه قوله عز وجل سل بنى اسرايل كم اتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله من
بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى ذكر الايات البينات
وامتناعهم عن قبولها وعلم اغتمام النبى صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه فقال عز من قايل سل بنى
اسرايل وهذا سوال تقريع وانكار لكفرة وتقرير لقلب النبى صلى الله عليه وسلم لا سوال استفهام لان النبى
صلى الله عليه وسلم كان لا يحتاج الى السوال والمعنى والله تعالى اعلم كما ان هولاء لم يومنوا بالايات البينات
التى اعطيتها فلا تغتمن وسل بنى اسرايل اى انظر في ايات بنى اسرايل كم اعطيناهم من علامة واضحة في
وقت موسى عليه السلام من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من المعجزات كما
اتيتك من المعجزات لامتك فلم يومن اوليك كما لم يومن هولا الكفار ومن يبدل نعمة الله اى يغير حجة
الله الدالة على امر النبى صلى الله عليه وسلم من بعد ما جاءتهم بان يجحدها او يعوجها عن وجهها فان الله
تعالى شديد العقاب اى التعذيب لمن استحقه وسمى الله تعالى الحجج نعمة لانها من اعظم النعم على الناس
في امر الدين قوله عز وجل زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم
يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب ذكر الله تعالى في هذه الاية السبب المانع للكفار
من الايمان روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال في تفسير هذه الاية زين للكفار الحيوة
الدنيا لما بسط الله تعالى فيها لهم من الخير ويسخرون من فقرا المومنين في امر المعيشة وذكر ان ابا
جهل ورؤسا قريش كانوا يضحكون من فقرا المومنين وهم عبد الله بن مسعود وعمار وخباب
وسالم مولى ابى حذيفة وعامر بن فهيرة وابو عبيدة الجراح وغيرهم كان الكفار يقولون ان هولا
قد تركوا الدنيا فلا يكون لهم شيء لخراذ كانوا لا يقرون ببعث ولا نشور وكانوا يعيرونهم بقلة ذات
ايديهم وكان اهل الكتاب يساعدون المشركين في الاستهزا بالمومنين يقول الله عز وجل والذين اتقوا
فوقهم يوم القيمة اى اتقوا الشرك والفواحش والكباير فوق الكفار يوم القيمة في الجنة يكون المومنون
في عليين والكفار في الجحيم والله يرزق من يشا بغير حساب من الكفار وغيرهم بغير مقدار ولا هنداز

الذين ه

اى يرزق رزقا كثيرا لا يعرف حسابه وهذا كما يقال لفلان مال لا يحصى يراد بذلك كثرته لان الشى يحصى
وان كثر عدده وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز
وجل لولا ان يجزع عبدى المومن لعصبت الكافر بعصابة من حديد ولصببت عليه الدنيا صبا و
مصداق ذلك قول الله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة الى اخر الاية وقال صلى الله عليه و
سلم ان الدنيا لو تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا بشربة ماء وعن قطرب رحمه الله انه قال
فى قوله تعالى والله يرزق من يشا بغير حساب ان الله تعالى يعطى العدد المتناهى لا من عدد اكثر منه كما
يفعله العباد لكن يعطى المتناهى من غير المتناهى ويقال معناه ان الله تعالى لا يحاسب على ما يرزق لانه
لا شريك له فيما يعطى ويقال يرزق الكافر فى الدنيا لا بحساب وربما يوكد ذلك يرزق المومن تفضلا
لان ثواب عمل المومنين مدخر فى الاخرة كما قال الله تعالى لهم اجرهم عند ربهم ويقال معناه يرزق
الله تعالى الثواب المذكور فى هذه الاية من يشا من عباده المومنين بغير حساب لهم ولا تبعة عليهم
فان قيل اليس قال الله تعالى فى اية اخرى جزا من ربك عطا حسابا فكيف قال فى هذا الموضع بغير حساب
قيل العطا من جهة الله تعالى على ضربين احدهما يكون ثوابا والاخر تفضلا فما يكون ثوابا يكون له حساب
لانه يكون على مقدار الاستحقاق بالعمل واما التفضل فلا يكون له حساب كما قال الله تعالى ليوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله فالمراد بقوله تعالى عطا حسابا الثواب دون التفضل والمراد بقوله تعالى والله يرزق
من يشا بغير حساب التفضل فان قيل كيف قال بغير حساب وقد روى عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال حلالها حساب وحرامها عذاب قيل روى عن عائشة رضى الله عنها ان معنى
الحساب فى المومنين العرض ومن نوقش الحساب عذب فان قيل من الذى زين للكفار الحيوة الدنيا
قيل ذهب بعض المفسرين الى ان ابليس هو الذى زينها لهم كما قال الله تعالى فى اية اخرى واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم وعن الحسن انه قال زينها والله لهم الشيطان فلا احد اذم للدنيا ممن خلقها قال
الله تعالى قل متاع الدنيا قليل وقال عز وجل وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وذهب بعضهم
الى ان الله تعالى هو الذى زين لهم الحيوة الدنيا اذ خلق فيها الاشيا المعجبة المحبوبة وركب الشهوات
فى قلوب العباد فنظر الذين كفروا الى الدنيا باكثر من مقدارها فاغتروا بها كما قال تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قالوا وانما فعل الله تعالى ذلك لان التكليف لا يتم الا مع
الشهوة فان الانسان لا يجوز ان يكلف الا بان يدعا الى ما تنفر عنه نفسه او بان يزجر عما تتوق
نفسه اليه وهو معنى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات قوله عز وجل كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا
الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشا الى صراط مستقيم قال ابن عباس فى
تفسير هذه الاية كان الناس اهل ملة واحدة كفارا كلهم فى ابتدا عهد نوح عليه السلام وكذلك
فى عهد ابرهيم عليه السلام يعنى ان امم الانبياء صلوات الله عليهم الذين بعثت اليهم الانبيا
صلوات عليهم كانوا كفارا كما كانت هذه الامة وجايز ان يقال كانوا امة واحدة على الكفر وان
كان فيهم مسلمون اذ كان المسلمون قليلين مقهورين فى تقية لانصراف اسم الامة الى الاعم الاكثر
وقال قتادة والضحاك كان الناس امة واحدة على الحق فاختلفوا اى كانوا مومنين فى زمن ادم
عليه السلام الى مدة طويلة وكان جميع من فى السفينة مع نوح عليه السلام مومنين ثم تفرقوا فبعث

لو

يذكره

الله النبيين مبشرين ومنذرين وقيل كانوا امة واحدة فى الجملة لا امر عليهم ولا نهى فبعث الله تعالى
النبيين مبشرين بالجنة لمن اطاع الله تعالى ومنذرين بالنار والسخط لمن عصاه ومعنى وانزل معهم
الكتاب اى انزل عليهم الكتاب اذ الانبيا صلوات الله عليهم لم يكونوا منزلين حتى ينزل الكتاب معهم وقوله
تعالى بالحق اى بالعدل ومعنى ليحكم بين الناس ليقضى الكتاب بينهم بالحكمة واضاف الحكم الى الكتاب وان كان
الله تعالى هو الذى يحكم على جهة التفخيم لامر الكتاب ويقال معناه ليحكم الله تعالى بين الناس اذ سبق على هذا
ذكر الله تعالى ثم نسق ذكر الكتاب واما قوله تعالى فيما اختلفوا فيه فيجوز ان يكون معناه فيما اختلفوا فيه من الحق
ويجوز ان يكون فيما اختلفوا فيه من امر الدين ويكون الهاء فى فيه راجعة الى ما وقال بعضهم فيما اختلفوا فيه
من الكتاب وقيل ان هذا لا يصح لانه انما انزل الكتاب بعد الاختلاف والاختلاف فى الكتاب لم يقع قبل انزال
الكتاب واما قوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه اى لم يختلف فى امر الدين وبعث النبيين صلوات
الله عليهم الا الذين اعطوا الكتاب من بعد ما جاءتهم البينات الواضحات من الله تعالى وقوله تعالى
بغيا نصب على معنى مفعول له اى لم يختلفوا الا للبغى والحسد والتفرق وذلك ان اهل الكتاب كانوا على احقيقة
امر النبى صلى الله عليه وسلم فى كتبهم قبل مبعثه فلما بعثه الله تعالى كفروا به الا قليلا منهم فهدى الله الذين
امنوا اى ارشد الله تعالى المومنين لما اختلفوا فيه من الحق الذى اختلف فيه اهل الزيغ باذنه اى بتوفيقه
فضله وعلمه والله يهدى من يشا الى صراط مستقيم يوفق لمعرفته من يشا ممن كان اهلا لذلك الى طريق
واضح يرضاه الله تعالى والامة فى اللغة على وجوه منها الجماعة كما فى قوله تعالى وجد عليه امة من الناس
يسقون وقوله تعالى قد خلت من قبلكم امم اى جماعات وقرون ومنها اتباع الانبيا صلوات الله عليهم
كما تقول نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم ومنها الامام كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة ومنها الدين
والملة كقوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة ومنها الحين والزمان كقوله تعالى وادكر بعد امة ومنها
القامة يقال فلان حسن الامة اى القامة ومنها الرجل المنفرد بدين على حدة قال صلى الله عليه وسلم
يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحدة ومنها الام يقال هذه امة زيد اى ام زيد والامة بكسر الهمزة
النعمة يقال فلان ذو امة اى ذو نعمة واصل هذا الباب من القصد يقال اممت الشى اذا قصدته و
اما الكتب المنزلة قبل القران فقد روى ان الله تعالى انزل على شيث عليه السلام خمسين صحيفة كانت
يعمل بها هو ومن معه ومن بعده الى زمن ادريس عليه السلام ثم انزل الله تعالى على ادريس عليه السلام
ثلثين صحيفة فكان يعمل بها الى زمن ابرهيم عليه السلام ثم انزل الله تعالى على ابرهيم عليه السلام عشر
صحايف فكان يعمل بها الى زمن موسى عليه السلام ثم انزل على موسى عليه السلام عشر صحايف قبل التورية
فكان يعمل بها موسى عليه السلام ومن معه الى غرق فرعون ثم انزل الله تعالى التورية فكان يعمل بها الى زمان
داود عليه السلام ثم انزل الزبور فكان يعمل بها الى زمن عيسى عليه السلام ثم انزل الانجيل فكانت
يعمل بها الى بعث محمد صلى الله عليه وسلم ثم انزل الفرقان ناسخا لما قبله من الكتب وذهب
بعض المفسرين الى ان معنى لما اختلفوا فيه يوم الجمعة فانه اول يوم شرعه الله تعالى للعبادة خاصة يوم
الجمعة فقالت اليهود نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو يوم السبت فجعل
عليهم ذلك اليوم وقالت النصارى نريد اليوم الذى بدئ فيه الخلق وهو يوم الاحد فجعل ذلك عليهم كما
قال تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ثم هدانا الله عز وجل ليوم الجمعة وللیهود غد وللنصارى
بعد غد كما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الاخرون
السابقون يوم القيمة بيد ان كل امة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم وعموم اللفظة قوله
تعالى فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه يقتضى جميع الحق الذى هدى الله تعالى

الايات ٤٩

المومنين من الجمعة وغير ذلك فان قيل كيف قال الله تعالى فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق وهذا يوجب ان يكون كلهم قد ذهبوا عن الحق فكيف يجوز ان يختلفوا في الحق وكلهم ذاهبون عنه قيل لا يمتنع ان يكونوا مختلفين وهم كلهم ذاهبون عن الحق كما قلنا في غلو كل واحد من فريقي اليهود والنصارى في امر المسيح عليه السلام وهذا كجماعة ضلوا عن الطريق واختلفوا في طلب الطريق فسلك كل فريق منهم طريقا على حدة وعدلوا عن الطريق المستقيم فان قيل كيف قال الله تعالى فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه ولم يقل فهدى الله الذين امنوا للحق قلنا ذكر القراء هذا من الكلام المقلوب ومعناه هدى الله الذين امنوا للحق مما اختلفوا فيه وقد يرد في كلام العرب مثل ذلك كما قال الشاعر

كانت فريضة ما تقول كما كان الزنا فريضة الرجم ومعناه كما كان الرجم فريضة الزنا وقال آخر ان سراجا

لكريم مفخره تجلى به العين اذا ما تجهره والعين لا تجلى وانما السراج يجلى عن العين وقيل لما كان العقا يذكر الاختلاف قدم الاختلاف ثم عقبه بتفسير ما هداهم اليه قوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب معناه اظننتم ايها المومنون ان تدخلوا الجنة ولم تصبكم صفة الذين مضوا من قبلكم اي لم تبتلوا كما ابتلي الذين من قبلكم مستهم الباساء اي الشدة وهي القتل والضراء البلاء والفقر والمرض وقيل الباساء نقيض النعماء والضراء نقيض السراء ومعنى وزلزلوا احركوا وخوفوا حتى يقول الرسول والذين امنوا اي اجهدوا حتى قال كل رسول بعث الى امة متى نصر الله اي متى فتح الله يقول الله عز وجل الا ان نصر الله قريب يعني الا ان نصر الله لك ولامتك يا محمد صلى الله عليه وسلم قريب عاجل كما نصرت الرسل قبلك والمثل قد يذكر بمعنى الصفة كما قال الله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي صفة الجنة التي وعد المتقون واصل الزلزلة من زلة القدم عن المكان يقال زلزلته اذا كررت الزلزلة على مكانه وذلك انه لما تضاعف المعنى في زلزلة الارض ضوعف اللفظ كما يقال صر اذا صوت وصرصر اذا اتى بصوت فيه ترجع واقل اذا رفع وقلقل اذا كرر الرفع وذهب السدي وقتادة الى ان هذه الاية نزلت بالمدينة يوم الخندق حين اشتدت مخافة المومنين من العدو ويقال وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى قال فيما تقدم يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ثم قال فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه وكان المسلمون اتكلوا على مجرد اهتدائهم فبين الله تعالى في هذه الاية انه لا يجوز الاتكال على مجرد الايمان من غير مكابدة ما قاساه السلف من المومنين كما قال جل ذكره في اية اخرى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا الاية الى قوله من قبلهم واما القراءة في قوله تعالى حتى يقول الرسول من قرا يقول بالنصب فعلى الاصل لان حتى تنصب ما بعدها من الفعل ومن قرا بالرفع ادخل حتى على جملة ما بعدها لا على الفعل خاصة كانه قال حتى الرسول يقول فلا يظهر عمل حتى قال الشاعر فوا عجبا حتى كليب تسبني كان اباها نهشل او مجاشع فان قيل كيف يجوز ان يستبطي بني الانبياء صلوات الله عليهم نصر الله تعالى عن الوقت الذي توجب الحكمة النصر فيه فيقول متى نصر الله قيل هذا على معنى التمني ودعا النصر لا على اعتقاد تاخر النصر وهذا كما يقول الانسان متى الصيف وان علم ان الصيف كاين لا محالة قوله عز وجل يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية جوابا عن سوال عمرو بن الجموح الانصاري لما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم

على

على الصدقة ورغب فيها الناس وذلك قبل نزول الفرايض قال عمرو يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا نتصدق وعلى من نتصدق فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها والله اعلم يسالونك اي شي يتصدقون به قل لهم ما تصدقتم من مال فعلى الوالدين والاقربين بالرحم ويتامى المسلمين عامة ومساكين المسلمين عامة والضيف النازل بكم وما تفعلوا من خير من وجوه البر فان الله به عليم يحصيه ويجازيكم عليه لا يضيع عنده عمل عامل فان قال قايل كيف يطابق في هذه الاية الجواب هذا السوال لان السوال انما وقع عن المنفق والجواب انما وقع في المنفق عليه قيل ان الجواب مطابق لهذا السوال لان قوله تعالى قل ما انفقتم من خير يتناول القليل والكثير لشمول اسم الخير فكان الجواب صدر عن القليل والكثير مع بيان من تصرف اليه النفقة لان المسوول اذا كان حكيما يعلم ما يحتاج اليه السايل اجاب عن كل ما يحتاج اليه كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته وانما قال ذلك عليه السلام لانه علم انهم لما جهلوا حكم ماء البحر فانهم اشد جهلا بحكم ما فيه من الماكول كذلك هولا لما جهلوا المنفق كان جهلهم بالمنفق عليهم اكثر فلهذا ذكر الله تعالى المنفق عليهم مع ذكر المنفق وفي هذه الاية دلالة على ان الصدقة على الاقربين افضل من الصدقة على غيرهم وقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول وفي بعض الروايات خير الصدقة ما ابقت غنى وابدا بمن تعول فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة انما تجب على الابعدين اذا فضل عن الاقربين كما قال الله تعالى في اية اخرى بعد هذه الاية وهو قوله تعالى يسالونك ماذا ينفقون قل العفو واختلف اهل العلم رحمهم الله في النفقة المذكورة في هذه الاية هل هي واجبة ام لا فقال الحسن رحمه الله المراد بها التطوع على من لا يجوز وضع الزكوة فيه كالوالدين والمولودين ووضع الزكوة فيمن يجوز وضع الزكوة فيه وقال السدي هذه الاية منسوخة باية الزكوة والصحيح ان الاية ثابتة الحكم عامة في الفرض والتطوع لان الاية متى امكن استعمالها لم يجز الحكم بنسخها ويحتمل ان يكون المراد بهذه الاية النفقة على الوالدين والاقربين اذا كانوا محتاجين ويحتمل ان تكون في نفقة الجهاد وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه موقوفا عليه ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال دينارا اعطيته في سبيل الله ودينارا اعطيته مسكينا ودينارا اعطيته في رقبة ودينارا النفقة على اهلك فان الدينار الذي انفقته على اهلك اعظمها اجرا قوله عز وجل كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لما كتب الله تعالى الجهاد على المسلمين شق ذلك عليهم وكرهته نفوسهم وقلته قلوبهم احب الله تعالى ان يطيب نفوسهم بهذه الاية وقيل في وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان فيما قبلها ذكر التعبد بالنفقة التي تشق على البدن وفي هذه الاية ذكر ما الاشق في التعبد اشق منه وهو القتال ومعنى الاية فرض عليكم القتال وهو شاق عليكم واراد بالكراهة والله تعالى اعلم كراهية الطبع لا عدم الرضى بالامر وهذا كما يكره الانسان الصوم في الصيف من جهة الطبع وهو مع ذلك يحبه ويرضاه من حيث ان الله تعالى امر به واما قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم اي لعلكم تكرهون الجهاد وهو خير لكم لما فيه من نصر دين الله تعالى وقمع اعداء الله تعالى والفوز بالغنيمة مع عظم المثوبة وادراك محل الشهداء وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم اي لعلكم تحبون القعود عن الجهاد وهو شر لكم تحرمون الفتح والغنيمة والشهادة ويتسلط عليكم العدو والله يعلم ما فيه مصلحتكم وما هو خير لكم في عاقبة اموركم وانتم لا تعلمون ذلك فبادروا الى ما امرتم به اذ ليس كل ما تشتهون خيرا ولا

القراءة

ام حسبتم

قوت

كُتِبَ مَا تَحْذَرُونَ شَرًّا وَفِي هَذِهِ الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى فَرْضِ القِتَالِ كَمَا قَالَ تَعَالَى كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ وَارَادَ بِهِ فَرْضَ
الصِّيَامِ ثُمَّ لَا يَخْلُوا القِتَالُ المَذْكُورُ فِي هَذِهِ الآيَةِ مِنْ انْ يَرْجِعَ الَى مَعْهُودٍ قَدْ عُرِفَ فِيهَا مَطْلُوبٌ وَهُوَ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ
فِيهِ وَتَكُونُ هَذِهِ الآيَةُ تَاكِيدًا لِذَلِكَ القِتَالِ المَعْهُودِ الَّذِي عُلِمَ حُكْمُهُ اوْ يَكُونُ القِتَالُ فِي هَذِهِ الآيَةِ رَاجِعًا الَى
جِنْسِ القِتَالِ فَتَكُونُ هَذِهِ الآيَةُ مُجْمَلَةً مُفْتَقِرَةً الَى البَيَانِ لِانَّ مِنَ المَعْلُومِ انَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَامُرْنَا بِقِتَالِ النَّاسِ
كُلِّهِمْ فَلَا يَصِحُّ اعْتِقَادُ العُمُومِ فِيهِ فَكَانَ بَيَانُ هَذَا المُجْمَلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا
بِاليَوْمِ الآخِرِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَسَنُبَيِّنُ فِي تِلْكَ الآيَاتِ اخْتِلَافَ اهْلِ العِلْمِ رَحِمَهُمُ اللهُ
فِي فَرْضِ الجِهَادِ وَكَيْفِيَّتِهِ انْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَامَّا الكُرْهُ وَالكَرْهُ فَهُوَ بِالنَّصْبِ القَهْرُ وَبِالضَّمِّ الشَّيْءُ المَكْرُوهُ وَقِيلَ
هُمَا لُغَتَانِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ كَالضُّعْفِ وَالضَّعْفِ وَهُمَا مَصْدَرَانِ اقِيمَا مَقَامَ المَفْعُولِ كَانَّهُ قِيلَ وَهُوَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ كَمَا يُقَالُ
فُلَانٌ رِضًى اي مَرْضِيٌّ وَعَنْ ابِي عُبَيْدَةَ رَحِمَهُ اللهُ انَّهُ قَالَ جَمِيعُ مَا وَرَدَ فِي القُرْآنِ مِنْ كُرْهٍ يَصِحُّ انْ يُقْرَا
بِالفَتْحِ وَالضَّمِّ الَّا فِي هَذَا المَوْضِعِ فَانَّهُ لَا يَجُوزُ الَّا بِالضَّمِّ لِاجْمَاعِ القُرَّاءِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسْأَلُونَكَ عَنِ
الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ وَاخْرَاجُ
اهْلِهِ مِنْهُ اكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالفِتْنَةُ اكْبَرُ مِنَ القَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ
دِينِكُمْ انِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَاولَئِكَ حَبِطَتْ اعْمَالُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاولَئِكَ اصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي سَبَبِ
نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ انَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بَعَثَ ابْنَ عَمَّتِهِ عَبْدَ اللهِ بْنَ جَحْشٍ الاسَدِيَّ قَبْلَ بَدْرٍ بِشَهْرَيْنِ
عَلَى رَاسِ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِهِ المَدِينَةَ وَبَعَثَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ رَهْطٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَهُوَ امِيرُهُمْ كَتَبَ
لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا وَقَالَ لَهُ اذَا نَزَلْتَ مَنْزِلَيْنِ فَافْتَحِ الكِتَابَ وَاقْرَاهُ عَلَى اصْحَابِكَ
ثُمَّ امْضِ لِمَا امَرْتُكَ بِهِ وَلَا تَسْتَكْرِهَنَّ احَدًا مِنْ اصْحَابِكَ عَلَى السَّيْرِ مَعَكَ فَسَارَ عَبْدُ اللهِ حَتَّى بَلَغَ مَنْزِلَيْنِ
ثُمَّ نَزَلَ فَفَتَحَ الكِتَابَ فَاذَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ امَّا بَعْدُ فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ بِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنْ اصْحَابِكَ
حَتَّى تَنْزِلَ بِبَطْنِ نَخْلَةَ فَتَرْصُدَ بِهَا عِيرَ قُرَيْشٍ لَعَلَّكَ تَاتِينَا مِنْهُمْ بِخَيْرٍ وَالسَّلَامُ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ سَمْعًا وَ
طَاعَةً لِامْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ خَيَّرَ اصْحَابَهُ فَانْطَلَقَ القَوْمُ مَعَهُ حَتَّى اذَا كَانُوا بِنَجْرَانَ
اضَلَّ سَعْدُ بْنُ ابِي وَقَّاصٍ وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بَعِيرًا لَهُمَا وَكَانَا رَفِيقَيْنِ فَاسْتَاذَنَا فِي طَلَبِهِ فَاذِنَ لَهُمَا
وَمَضَى مَعَهُ بَقِيَّةُ اصْحَابِهِ حَتَّى وَصَلَ بَطْنَ نَخْلَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ فَنَزَلَ فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ اذْ مَرَّتْ بِهِمْ عَمْرُو
بْنُ الحَضْرَمِيِّ فِي عِيرٍ لِقُرَيْشٍ فِي اوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ وَالمُؤْمِنُونَ يَظُنُّونَ انَّهُ آخِرُ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الاخْرَى
فَامَرَ عَبْدُ اللهِ انْ يَحْلِقُوا رَاسَ عُكَّاشَةَ لِيُشْرِفَ عَلَى المُشْرِكِينَ فَيَظُنُّوا انَّهُمَا رُفَقَاءُ مِنْوا فَفَعَلَ ذَلِكَ فَامِنَ
المُشْرِكُونَ وَقَالُوا قَوْمٌ عُمَّارٌ لَا بَاسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَرَمَى وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَمْرَو بْنَ الحَضْرَمِيِّ فَقَتَلَهُ وَاسْتَاسَرُوا
بَعْضَ المُشْرِكِينَ وَهَرَبَ بَعْضُهُمْ الَى مَكَّةَ وَاسْتَاقَ المُسْلِمُونَ العِيرَ فَعَيَّرَهُمُ المُشْرِكُونَ بِذَلِكَ وَقَالُوا اسْتَحَلَّ
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّهْرَ الحَرَامَ شَهْرًا يَامَنُ فِيهِ الخَائِفُ وَتَنْصُلُ فِيهِ الاسِنَّةُ وَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرِ الغَنِيمَةِ فَانْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ وَيُقَالُ لَمَّا امَرَ اللهُ المُسْلِمِينَ بِالقِتَالِ ظَنُّوا
عُمُومَ الامْرِ فِي جَمِيعِ شُهُورِ السَّنَةِ مِنَ الشَّهْرِ الحَرَامِ وَغَيْرِهَا فَسَالُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَعْرِفُوا
فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ وَالقَوْلُ الاوَّلُ اقْرَبُ الَى ظَاهِرِ القُرْآنِ وَمَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ وَاللهُ تَعَالَى اعْلَمُ يَسْأَلُونَكَ عَنْ
قِتَالٍ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ لِانَّ قَوْلَهُ تَعَالَى قِتَالٍ فِيهِ بَدَلُ الاشْتِمَالِ مِنَ الشَّهْرِ الحَرَامِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى اصْحَابُ
الاخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ وَامَّا قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ اي القِتَالُ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ عَظِيمُ الذَّنْبِ
عِنْدَ اللهِ تَعَالَى ثُمَّ اسْتَانَفَ الكَلَامَ فَقَالَ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ اي مَنْعُ النَّاسِ عَنْ الكَعْبَةِ انْ يَاتُوهَا وَيَطُوفُوا

بها

بِهَا وَكُفْرٌ بِهِ اي بِاللهِ تَعَالَى وَيُقَالُ بِالحَجِّ وَامَّا قَوْلُهُ تَعَالَى وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ قَالَ بَعْضُهُمْ مَعْنَاهُ وَكُفْرٌ بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
انَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ المَسْجِدَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِعِبَادَتِهِمْ ايَّاهُ فِيهِ فَلَمَّا جَعَلَهُ الكُفَّارُ لِاوْثَانِهِمْ وَمَنَعُوا المُسْلِمِينَ مِنْهُ كَانَ
ذَلِكَ كُفْرًا مِنْهُمْ بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ هَذَا عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّاخِيرِ كَانَّهُ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الحَرَامِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ وَيُقَالُ تَقْدِيرُ الآيَةِ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَعَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَكُفْرٌ بِاللهِ وَاخْرَاجُ
اهْلِ المَسْجِدِ الحَرَامِ مِنْهُ اعْظَمُ عُقُوبَةً عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنَ القِتَالِ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ اي الكُفَّارُ مَعَ هَذِهِ الاجْرَامِ اوْلَى بِالعَيْبِ
مِمَّنْ قَتَلَ رَجُلًا مِنَ المُشْرِكِينَ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ ثُمَّ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ وَالفِتْنَةُ اكْبَرُ مِنَ القَتْلِ اي الشِّرْكُ بِاللهِ اعْظَمُ عُقُوبَةً وَامَّا
مِنَ القِتَالِ وَذَهَبَ الفَرَّاءُ رَحِمَهُ اللهُ الَى انَّ قَوْلَهُ تَعَالَى وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَرْدُودٌ الَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَكَبِيرٌ اي القِتَالُ
فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ كَبِيرٌ وَالصَّدُّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى كَبِيرٌ وَامَّا قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ اي لَا يَزَالُ اهْلُ مَكَّةَ
يُقَاتِلُونَكُمْ ايُّهَا المُسْلِمُونَ حَتَّى يَصْرِفُوكُمْ عَنْ دِينِكُمُ الاسْلَامِ الَى دِينِهِمُ الكُفْرِ انْ قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ حَذَّرَ المُسْلِمِينَ لِيَثْبُتُوا
عَلَى الاسْلَامِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ اي يَرْجِعْ عَنْ دِينِ الاسْلَامِ فَيَمُتْ عَلَى كُفْرِهِ فَاولَئِكَ بَطَلَتْ اعْمَالُهُمُ
الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا وَالَّتِي عَمِلُوهَا لِلْآخِرَةِ اي لَا يَبْقَى لِعَمَلٍ مِنْ اعْمَالِهِمْ ثَوَابٌ يُجَازَوْنَ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ وَاولَئِكَ
اصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مُقِيمُونَ دَائِمُونَ وَالصَّدُّ وَالصَّرْفُ وَالمَنْعُ نَظَائِرُ يُقَالُ صَدَّ يَصُدُّ صَدًّا اذَا
صَرَفَ غَيْرَهُ عَنِ الشَّيْءِ وَصَدَّ يَصِدُّ صُدُودًا اذَا اعْرَضَ بِنَفْسِهِ وَالحَبَطُ مَاخُوذٌ مِنِ انْتِفَاخِ بَطْنِ الدَّابَّةِ
بِاكْلِ الكَلَأِ يُقَالُ حَبِطَتِ الدَّابَّةُ بِكَسْرِ البَاءِ تَحْبَطُ حَبَطًا وَحُبُوطًا وَاسْمُ الدَّاءِ مِنْهُ حُبَاطٌ وَحَبِطَ العَمَلُ يَحْبَطُ حَبْطًا وَ
حُبُوطًا اذَا بَطَلَ ثَوَابُهُ وَعَنِ الحَسَنِ حَبَطَتْ بِفَتْحِ البَاءِ فَيَكُونُ غَابِرُهُ يَحْبِطُ مِثْلُ هَبَطَ يَهْبِطُ وَالاوَّلُ اجْوَدُ وَاعْرَفُ
لِانَّهُ بِالعِلَلِ اشْبَهُ وَامَّا مَنْ قَرَا يَرْتَدِدْ بِدَالَيْنِ فَهُوَ لُغَةُ الحِجَازِ اظْهَرُوا التَّضْعِيفَ حَذَرًا مِنَ التِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ
وَامَّا مَنْ قَرَا يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي آيَةٍ اخْرَى فَهُوَ لُغَةُ بَنِي تَمِيمٍ ادْغَمُوا الحَرْفَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ
وَحَرَّكُوهَا الَى الفَتْحَةِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى فَيَمُتْ جَزْمٌ بِالنَّسَقِ وَلَوْ كَانَ جَوَابًا لَكَانَ رَفْعًا وَاكْثَرُ الائِمَّةِ عَلَى انَّ النَّهْيَ
عَنِ القِتَالِ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ مَنْسُوخٌ نَسَخَتْهُ سُورَةُ التَّوْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا
بِاليَوْمِ الآخِرِ الآيَةَ لِانَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ حَظْرِ القِتَالِ بِالشَّهْرِ فَانْ قِيلَ اذَا كَانَ نَفْسُ الارْتِدَادِ يُحْبِطُ العَمَلَ عِنْدَكُمْ
حَتَّى يَبْطُلَ حَجُّهُ الَّذِي اَدَّاهُ عَنْ حَجَّةِ الاسْلَامِ فَايْنَ فَائِدَتُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ قِيلَ انَّمَا ذَكَرَهُ
تَعَالَى مَا وَصَفَ فِي هَذِهِ الآيَةِ مِنْ امْرِ الآخِرَةِ لِانَّ الامْرَ يَرْجِعُ الَى احْبَاطِ عَمَلِهِ فِي المَاضِي اذِ المَعْلُومُ مِنْ حَالِ المُرْتَدِّ انَّهُ
اذَا عَادَ الَى الاسْلَامِ وَالتَّوْبَةِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ انَّهُ لَا يُعَاقَبُ فِي الآخِرَةِ فَلَمَّا جَمَعَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ
الآيَةِ بَيْنَ احْبَاطِ عَمَلِهِ فِيمَا يَتَّصِلُ بِالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ حَتَّى يَزُولَ ثَوَابُهُ الَى العِقَابِ الدَّائِمِ كَذَلِكَ شَرَطَ مَوْتَهُ عَلَى
الكُفْرِ وَرُوِيَ فِي التَّفْسِيرِ انَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ قَامَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ وَاصْحَابُهُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انَطْمَعُ مِنْ رَبِّنَا انْ تَكُونَ لَنَا هَذِهِ غَزْوَةً فِي الجِهَادِ فَنَزَلَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ انَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ المَعْنَى وَاللهُ تَعَالَى اعْلَمُ انَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا وَهَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ الَى المَدِينَةِ وَجَاهَدُوا فِي مُحَارَبَةِ المُشْرِكِينَ
فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى اهْلُ هَذِهِ الصِّفَةِ يَطْمَعُونَ مَغْفِرَةَ اللهِ تَعَالَى وَجَنَّتَهُ وَاللهُ غَفُورٌ لِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ القِتَالِ
وَالاسْرِ وَاخْذِ الغَنِيمَةِ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ رَحِيمٌ بِهِمْ حِينَ رَفَعَ اثْمَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَالمُهَاجَرَةُ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الهِجْرَةِ
وَهِيَ فِي هَذَا المَوْضِعِ هِجْرَانُ الوَطَنِ وَالعَشِيرَةِ فِي رِضَى اللهِ وَالهَجْرُ نَقِيضُ الوَصْلِ وَاطْلِقَ اللَّفْظُ فِي الآيَةِ
عَلَى المُفَاعَلَةِ وَيُرَادُ مَا ذَكَرْنَاهُ وَنَظِيرُهُ المُسَاعَدَةُ لِانَّهَا ضَمُّ الرَّجُلِ سَاعِدَهُ الَى سَاعِدِ اخِيهِ لِلتَّقْوِيَةِ وَ
المَعُونَةِ وَامَّا المُجَاهَدَةُ فَهِيَ بَذْلُ الرَّجُلِ الجُهْدَ مِنْ نَفْسِهِ مَعَ اخْوَانِهِ وَيَجُوزُ انْ يُرَادَ بِذَلِكَ انْ يَبْذُلَ
الجُهْدَ فِي قِتَالِ عَدُوِّهِ وَقَدْ فَعَلَ العَدُوُّ مِثْلَ فِعْلِهِ فَيَصِيرُ مُفَاعَلَةً وَانَّمَا جَمَعَ اللهُ تَعَالَى فِي اوَّلِ هَذِهِ الآيَةِ
بَيْنَ الخِصَالِ الثَّلَاثَةِ لَا لِانَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَلَى الانْفِرَادِ وَلَكِنْ لِلتَّرْغِيبِ فِي جُمْلَتِهَا

وَصَدَّ يَصُدُّ صَدِيدًا اذَا ضَجَّ
وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى اذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ

وانما قال جل ذكره والله تعالى اعلم يرجون رحمة الله لان احدًا لا يعلم انه صاير الى ان يبلغ في الطاعة كل مبلغ الا بخبر الله تعالى او بخبر النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يدرى لعله قصر في شيء من الواجبات ولا يدرى ما الذى يكون منه و يحاسبه وبين موته ولا يعلم احد من المسلمين ما يختم له به ختم الله امورنا بالسعادة و الشهادة قوله عز وجل يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس و اثمهما اكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال لكراهتهم اياه فبين حكمه ثم سالوه عن الخمر والميسر لحبهم اياهما وكراهتهم مفارقتهما رجا انه ربما يرخص لهم فيهما فقال جل ذكره قل فيهما اثم كبير وعن عبد الله بن عباس انه قال كان المسلمون يشربون الخمر في بدء الاسلام وهو لهم حلال وكان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى في اليوم والليلة وقت الصلوة الا من كان سكران فلا يحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعة تعظيمًا للجماعة وتوقيرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان عمر رضى الله عنه يجي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول بين لنا امر الخمر فانها مهلكة للمال مذهبة للعقل فانزلت هذه الاية يسألونك عن الخمر والميسر الاية واما الميسر فقد كان جماعة من العرب يجتمعون فيشترون جزورًا ثم يجعلون لكل رجل منهم سهمًا ثم يقترعون عليها فمن خرج سهمه برى من ثمنها واخذ نصيبه من الجزور وبقى اخرهم عليه ثمن الجزور كله ولا يذوق من لحمها شيا يقتسم اصحابه نصيبه وربما كانوا يتصدقون بذلك على الفقراء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك ايضا قال ابن عباس رضى الله عنهما فلما نزلت هذه الاية تركها بعض الناس وقالوا لا حاجة لنا فيما فيه اثم كبير ولم يتركها بعضهم قالوا ناخذ منفعتها ونترك اثمها وكانوا على ذلك حتى اصاب رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمرًا فانتشى منها وحضرت الصلوة فقام يصلى المغرب باصحابه فقرا قل يا ايها الكافرون على غير الوجه الذى انزل قال اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فكانوا يشربونها قبل وقت الصلوة ويجتنبونها وقت الصلوة وكانوا يتناشدون الاشعار في شربها ويفتخرون فقال عمر والله ان الله تعالى ليقرر في الخمر امرًا لم يبين لنا ثم دعا فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا فنزل يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان الى قوله فهل انتم منتهون قال عمر انتهينا يا رب فامر النبي صلى الله عليه وسلم باراقة الخمور حتى امر بكسر الدنان تغليظًا وتشديدًا ومعنى الاية والله اعلم يسألونك يا محمد صلى الله عليه وسلم عن الخمر والميسر قل فيهما اثم عظيم لان الخمر توقع العداوة والبغضا وتحول بين الانسان وبين عقله الذى يعرف به ما يجب عليه لخالقه و القمار يورث العداوة فان المقمور اذا راى غيره قد فاز بماله من دون منفعة رجعت اليه ابغضه وعاداه واما قوله تعالى ومنافع للناس فالمنفعة في الخمر اللذة في شربها و التجارة فيها قبل التحريم والمنفعة في الميسر مصير الشيء الى الانسان من غير كد ولا تعب واما قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما لان الاثم الذى فيهما اعظم في المضرة من نفعهما و قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون اي اي شيء يتصدقون به قل العفو اى الفضل وما يسهل عليكم انفاقه وهذا نزل جوابا عن قول عمرو بن الجموح بما ذا نتصدق وفي الاية المتقدمة جواب عن قوله على من نتصدق وكان الرجل بعد نزول هذه الاية ان كان من اهل الزرع والنخل نظر الى ما يكفيه وعياله سنة ثم تصدق بسائره وان كان من اهل التجارة امسك راس ماله وما لا بد منه من الربح ما يتقوت به ويحتاج اليه وتصدق بالفضل وان كان ممن يعمل بيده امسك ما يكفيه وعياله يومه ذلك وتصدق بسايره وكانوا على ذلك الى ان فرضت الزكوة مقدرة معلومة وقال بعضهم اراد بالفضل مال الزكوة كما قال صلى الله عليه وسلم لا صدقة الا عن ظهر غنى فتكون

هذه الاية

هذه الاية مجملة بيانها بساير الاخبار الواردة في نصب الزكوة ومن قرا بالنصب فعلى تقدير انفقوا العفو و قراة الرفع على معنى قل هو العفو واما قوله تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات اى مثل هذا البيان يبين الله لكم اوامره ونواهيه ودلايله في الدين لعلكم تتفكرون في امر الدنيا انها دار فناء و بلاء لا يبقى منها الا العمل الصالح وفي امر الاخرة فانها دار جزاء وبقاء لا ينفع فيها الا سابق تقوى الله تعالى وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة واختلف المسلمون في معنى الخمر فقال بعضهم انه كل ما خامر العقل وستره التاريخ او لم تمسه من قولهم خمرت الاناء اذا غطيته واختمرت المراة اذا لبست الخمار والخمر ما وارى من الشجر وذهب الجمهور الاعظم من الفقهاء الى ان اسم الخمر في الحقيقة يتناول النيء المشتد من ماء العنب وغاية الاشتداد ان يقذف الزبد على قول ابي حنيفة رحمه الله و قال صاحباه اذا اشتد صار خمرًا قذف بالزبد او لم يقذف والدليل على ان اسم الخمر مخصوص بالنيء المشتد من ماء العنب دون غيره وان غيره ان سمى بهذا الاسم فمحمول عليه ومشبه به على وجه المجاز ما روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم بنشوان فقال له اشربت خمرًا فقال والله ما شربتها منذ حرمها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قال فماذا شربت قال الخليطين قال فحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الخليطين والاستدلال من الخبر ان الشارب نفى اسم الخمر عن الخليطين بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره عليه ولو كان ذلك يسمى خمرًا من جهة لغة او شرع لما اقره عليه فاذا كان الخليطان لا يسميان خمرًا مع وجود قوة الاسكار فيهما علم ان اسم الخمر مقصور على ما وصفناه و يدل عليه ما روى ان عليا كرم الله وجهه لما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع عن الاشربة فقال صلى الله عليه وسلم حرمت الخمرة بعينها ويروى لعينها والسكر من كل شراب واما ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة فيحتمل ان المراد به احدهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللولؤ والمرجان وقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم لكن لما كان ظاهر الاضافة اليهما يقتضي ان الخمر منهما ولم يكن جميع ما يخرج منهما من العصير والدبس والخل ونحو ذلك خمرًا بالاتفاق علم ان المراد بالخبر تحريم بعض الخارج من هاتين الشجرتين وذلك البعض غير مذكور في الخبر وحمل اصحابنا على ان ما يشتد من الخارج من هاتين الشجرتين على حد الابتداء قبل ان مسته النار حرام قليله وكثيره استدلالا بحكاية من الخبر لانه يكون للابتداء في اللغة ولم يجعلوا الخارج من النخل خمرًا يتعلق بقليله وكثيره الحد وان كان على حد الابتداء يدل على ذلك ان اسم الخمر لو كان حقيقة في كل ما خامر العقل لما انتفى هذا الاسم عن ساير الاشربة المسكرة بحال لان اسماء الحقايق لا ينتفى عن مسمياتها بحال الا ترى ان الارادة في قول الله تعالى يريد الله ليبين لكم وقوله تعالى يريد الله بكم اليسر لما كانت حقيقة لم يجز نفيها عنه بحال ولما كانت الارادة في قوله تعالى فوجدا فيها جدارًا يريد ان ينقض على سبيل التوسع و الاستعارة جاز نفي الارادة عن الجدار وكذلك قال الله تعالى اني اراني اعصر خمرًا واراد بالخمر العنب و قد وضعت العرب لكل شراب سوى الخمر اسمًا على حدة وخصت النيء المشتد من عصير العنب باسم الخمر وقد يجوز ان يسمى عصير العنب خمرًا لمخامرته العقل ثم لا يكون كل ما خامر العقل خمرًا كما ان الحايط اسم للجدار بمعنى الاحاطة ثم لا يسمى كل محيط بشيء حايطًا وكذا النبيذ يسمى نبيذًا لما ينبذ فيه من الزبيب ثم لا يسمى كل منبوذ فيه نبيذًا وذهب بعض المفسرين الى ان في هذه الاية دليل تحريم الخمر قطعًا لان الله تعالى سماه اثمًا والاثم كله محرم قال الله تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى فاخبر ان الاثم محرم ولم يقتصر في هذه الاية على الاخبار فان فيهما اثمًا حتى وصفهما الله تعالى بانه كبير تاكيدًا لحظرهما فان قال قايل قوله تعالى ومنافع للناس دلالة على اباحتهما قيل له يحتمل ان المراد بذلك منافع الدنيا

وفي سائر المحرمات منافع لمرتكبيها في دنياهم الا ان تلك المنافع لا تفي بضررها من العقاب فذكر منافعهما غير دال على اباحتهما لا سيما وقد اكد حظرهما مع ذكر منافعهما في سياق الآية بقوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما فان قيل ليس في قوله تعالى اثم كبير دلالة تحريم القليل منها لان مراد الآية ما يلحق من المأثم بالسكر وترك الصلوة والمراية والقتال واذا حصل المأثم بهذه الامور فقد وفينا ظاهر الآية مقتضاها من التحريم ولا دلالة فيه على تحريم القليل منها قيل له معلوم ان في مضمون قوله تعالى فيهما اثم كبير ضمير شربها لان جسم الخمر هو فعل الله تعالى ولا مأثم فيها وانما المأثم مستحق بافعالنا فيها فكان تقدير الآية فعل شربها وفعل الميسر اثم كبير فيتناول ذلك شرب القليل والكثير منها كما لو قيل حرمت الخمر كان معقولا ان المراد به شربها والانتفاع بها فان قيل فان دلت الآية على تحريم الخمر على ما ذكرتم فلما ذا لم يقنعوا بها حتى نزلت آية تحريم الصلوة مع السكر ثم آية المائدة وهم ارباب اللغة لا يجوز ان يخفى عليهم ما ذكرتم حتى سأل عمر رضي الله عنه بيانها بعد نزول هذه الآية قلنا جائز ان يكون بعضهم يتأول في قول الله تعالى ومنافع للناس جواز استباحة منافعها وان الاثم مقصور على بعض الاحوال دون بعض وطلب كبار الصحابة رضي الله عنهم نزول ما هو اكد في التحريم من هذه الآية لما علموا او ظنوا ان في ذلك صلاحا كما التمس ابرهيم عليه السلام مشاهدة احياء الموتى ليزداد سكونا وطمانينة واما الميسر فهو مفعل من يسر ييسر يسرا وميسرا والياسر المقامر والميسر القمار ويذكر الميسر بمعنى التجزية ايضا يقال يسر اذا جزأ الجازر وكلما جزأته فقد يسرته وقيل ان الميسر الجزور نفسه اذا جزئ وكانوا يتخذون جزورا ويجعلونه اقساما يتقامرون في السبق في الدواب والابل والنضال اذا كان الذي يستحق واحدا ان سبق ولا يستحق الآخر ان سبق وليس هو من القمار في شيء وانما ذلك لرياضة الخيل والاستعداد للعدو كما قال الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا ان القوة الرمي لتقوية المؤمن في الخلاء وقوته عند اللقاء وقد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا سبق الا في ذي خف او حافر او نصل وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سابق بين الخيل واما اذا شرط في الرهان ان من سبق منهما اخذ وان لم يسبق اعطى ايهما كان هذا باطلا فان ادخلا بينهما محللا ان سبق لم يستحق وان سبق لم يعط فهذا جائز وهذا الدخيل هو الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم محللا وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من ادخل فرسا بين فرسين يامن ان يسبق فهو قمار ومن ادخل فرسا بين فرسين لا يامن ان يسبق فليس بقمار وما ذكر الله تعالى من تحريم الميسر في هذه الآية يقتضي تحريم القرعة في العبيد يعتقهم المريض ثم يموت ولا يخرجون من الثلث لما في هذه من القمار باخفاق بعض وانجاح بعض وهذا هو القمار بعينه وليست القرعة في القسمة كذلك لان كل واحد يستوفي نصيبه لا يخفق لاحد منهم قوله عز وجل يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ روى عن عبد الله بن عباس انه قال لما انزل الله تعالى قوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اشفق المسلمون من مخالطتهم فكان كل من كان في حجره يتيم يجعل لليتيم بيتا وطعاما وخادما على حدة وكانوا لا يخالطون اليتامى في شيء فشق ذلك عليهم فجاء عبد الله بن رواحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى انزل في اموال اليتامى ما انزل من الشدة افيصلح لنا يا رسول الله ان نخالطهم فنستعير منهم الخادم والدابة ونشرب من لبن شاتهم ولا نرزؤهم الا غدونا عليهم من مالنا بافضل منه فانزل الله تعالى قوله ويسألونك عن اليتامى اي عن مخالطة اليتامى قل اصلاح لهم اي الاصلاح لاموالهم خير الاشياء اذ هو خير من

الانفاق

الانفاق الذي هو مسوغ عليه في ذكر وقوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم حث على تحري الاصلاح في حالة الاختلاط وغير ذلك يقول ان شاركتموهم وخلطتم اموالكم باموالهم فهم اخوانكم في الدين والله يعلم المفسد من المصلح يقول يعلم من يكون غرضه بالمخالطة اصلاح امر اليتامى ومن يكون غرضه افساد امرهم ولو شاء الله لاعنتكم اي احرجكم واثمكم في مخالطتهم والعنت الاثم وقد يسمى الفجور عنتا لما فيه من الاثم ويقال معنى اعنتكم ضيق عليكم وكلفكم ما يشتد عليكم مثل النهي عن المخالطة وايجاب التحرز لطلب الارباح لهم اصله من عنت البعير يعنت عنتا اذا احدث في رجله كسر ويقال اكمة عنوت اذا كان لا يمكن مجاوزتها الا بمشقة وقال ابو عبيدة معناه لاهلككم ومعنى ان الله عزيز حكيم اي منيع غالب لا يمانع فيما يفعل من المساهل والمشاق ذو حكمة فيما امركم به في امر اليتامى وغير ذلك واتصلت هذه الآية بما قبلها من جهة آية اخرى فيها تقدم ذكر النفقة وفي هذه الآية ذكر انفاق الوصي من مال اليتيم ومخالطته واسم اليتيم اذا اطلق انصرف الى الصغير الذي لا اب له لان العرب تسمي المنفرد يتيما كما قال الشاعر ان القبور تنكح الايامى النسوة الارامل اليتامى ويقولون الدرة اليتيمة يريدون بذلك انها منفردة لا نظير لها وفي الآية ضروب من الاحكام منها ان قوله قل اصلاح لهم خير يدل على جواز خلط الوصي ماله بمال اليتيم في مقدار ما يغلب على ظنه في مال اليتيم انه ياكله بقدر طعامه وطعام نفسه بغالب الظن ويدل على جواز التصرف في ماله بالبيع والشرى وجواز دفعه مضاربة اذا كان ذلك صلاحا ويدل على ان لولي اليتيم ان يعاقد نفسه في ماله اذا كان فيه خير ظاهر لليتيم على ما قاله ابو حنيفة رحمه الله ويدل على ان للوصي ايضا ان يواجر الصبي ممن يعلمه الصناعات والتجارات او يستاجر من يعلمه ماله فيه صلاح من امر الدين والادب لان كل ذلك من الاصلاح ويدل على جواز الاجتهاد في الحوادث لان الاصلاح لا يعلم الا بالاجتهاد وفي قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم دليل على ان للولي ان يزوج اليتيم ابنته او يزوج اليتيمة بعض ولده او يتزوج اليتيمة لنفسه فيكون قد خلط اليتيم بنفسه وعياله واختلطوا ايضا به يقال فلان خليط فلان اذا كان شريكا له في المال ويقال قد اختلط فلان بفلان اذا صاهره وهذه كلمة ماخوذة من الخلطة التي هي الاشتراك في الحقوق من غير تمييز بعضهم عن بعض ولا يكون التزويج الا للولي الذي يكون ذا نسب من اليتيم لان الوصاية لا تستحق بها الولاية في التزويج وفي قوله تعالى فاخوانكم بيان ان اطفال المؤمنين مؤمنون كما قال تعالى انما المؤمنون اخوة قوله عز وجل وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ روي عن عبد الله بن عباس ومقاتل انهما قالا نزلت هذه الآية في مرثد بن ابي مرثد الغنوي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امراة يقال لها عناق كانت خليلة له في الجاهلية فاتته وقالت له ويحك يا مرثد الا تخلو قال لها ويحك يا عناق ان الاسلام قد حال بيننا وبين ذلك ولكن ان شئت اذا رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استامرته ان اتزوجك فقالت ابي تتبرم ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الذي كان من امره وامر عناق قال ايحل لي ان اتزوجها فنزلت هذه الآية ومعناها والله اعلم لا تتزوجوا المشركات حتى يصدقن بتوحيد الله تعالى وقوله ولامة مؤمنة اي نكاح امة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة وان اعجبتكم الحرة المشركة لحسنها وجمالها وقوله تعالى

وفي سائر المحرمات منافع لمرتكبيها في دنياهم الا ان تلك المنافع لا تفي بضررها من العقاب فذكر منافعها غير دال على اباحتها لاسيما وقد اكد حظرها مع ذكر منافعها في سياق الآية بقوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما فان قيل ليس في قوله تعالى اثم كبير دلالة تحريم القليل منها لان مراد الآية ما يلحق من المآثم بالسكر وترك الصلوة والمراية والقتال واذا حصل المآثم بهذه الامور فقد وفينا ظاهر الآية مقتضاها من التحريم ولا دلالة فيه على تحريم القليل منها قيل له معلوم ان في مضمون قوله تعالى فيهما اثم كبير ضميرا شربهما لان جسم الخمر هو فعل الله تعالى ولا مأثم فيها وانما المأثم مستحق بافعالنا فيها فكان تقدير الآية قل في شربها وفعل الميسر اثم كبير فيتناول ذلك شرب القليل والكثير منها كما لو قيل حرمت الخمر كان معقولا ان المراد به شربها والانتفاع بها فان قيل فان دلت الآية على تحريم الخمر على ما ذكرتم فلما ذا لم يقنعوا به حتى نزلت آية تحريم الصلوة مع السكر ثم آية المائدة وهم ارباب اللغة لا يجوز ان يخفى عليهم ما ذكرتم حتى سال عمر رضي الله عنه بيانها بعد نزول هذه الآية قلنا جائز ان يكون بعضهم يتأول في قول الله تعالى ومنافع للناس جواز استباحة منافعها وان الاثم مقصور على بعض الاقوال دون بعض وطلب كبار الصحابة رضي الله عنهم نزول ما هو آكد في التحريم من هذه الآية لما علموا او ظنوا ان في ذلك صلاحا كما سأل ابرهيم عليه السلام مشاهدة احياء الموتى ليزداد سكونا وطمأنينة واما الميسر فهو مفعل من يسر ييسر يسرا وميسرا والياسر المقامر والميسر القمار ويذكر الميسر بمعنى التجزية ايضا يقال يسر اذا جزا الجازر وكلما جزأته فقد يسرته وقيل ان الميسر الجزور نفسه اذا جزي وكانوا يتخذون جزورا ويجعلونه اقساما يتقامرون في السبق في الدواب والابل والنضال اذا كان الذي يستحق واحدا ان سبق ولا يستحق الآخر ان سبق وليس هو من القمار في شيء وانما ذلك لرياضة الخيل والاستعداد للعدو كما قال الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا ان القوة الرمي لتهيئ المؤمن في الخلاء وقوته عند اللقاء وقد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا سبق الا في ذي خف او حافر او نصل وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سابق بين الخيل واما اذا شرط في الرهان ان من سبق منهما اخذ وان لم يسبق اعطى ايهما كان هذا باطلا فان ادخلا بينهما رجلا ان سبق لم يستحق وان سبق لم يعط فهذا جائز وهذا الدخيل هو الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم محللا وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من ادخل فرسا بين فرسين يأمن ان يسبق فهو قمار ومن ادخل فرسا بين فرسين لا يأمن ان يسبق فليس بقمار وما ذكر الله تعالى من تحريم الميسر في هذه الآية يقتضي تحريم القرعة في العبيد يعتقهم المريض ثم يموت ولا يخرجون من الثلث لما في هذه من القمار واخفاق بعض وانجاح بعض وهذا هو القمار بعينه وليست القرعة في القسمة كذلك لان كل واحد يستوفي نصيبه لا يخفق لاحد منهم قوله عز وجل ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم روى عن عبد الله بن عباس انه قال لما انزل الله تعالى قوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اشفق المسلمون من مخالطتهم فكان كل من كان في حجره يتيم يعمل لليتيم بيتا وطعاما وخادما على حدة وكانوا لا يخالطون اليتامى في شيء فشق ذلك عليهم فجاء عبد الله بن رواحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى انزل في اموال اليتامى ما انزل من الشدة افيصلح لنا يا رسول الله ان نخالطهم نستعير منهم الخادم والدابة ونشرب من لبن شاتهم ولا نرزؤهم الا عدنا عليهم من مالنا بافضل منه فانزل الله تعالى قوله ويسألونك عن اليتامى اي عن مخالطة اليتامى قل اصلاح لهم اي الاصلاح لاموالهم خير الاشياء اذ هو خير من

الانفاق

الانفاق الذي هو مسوغ عليه في ذلك وقوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم حث على تحري الاصلاح في حالة الاختلاط وغير ذلك يقول ان شاركتموهم وخلطتم اموالكم باموالهم فهم اخوانكم في الدين والله يعلم المفسد من المصلح يقول يعلم من يكون غرضه بالمخالطة اصلاح اموال اليتامى ومن يكون غرضه افسادها هم ولو شاء الله لاعنتكم اي احرجكم وآثمكم في مخالطتهم والعنت الاثم وقد يسمى الفجور عنتا لما فيه من الاثم ويقال معنى اعنتكم ضيق عليكم وكلفكم ما يشتد عليكم مثل النهي عن المخالطة وايجاب التحرز لطلب الارباح لهم اصله من عنت البعير يعنت عنتا اذا حدث في رجله كسر ويقال اكمة عنوت اذا كان لا يمكن مجاوزتها الا بمشقة وقال ابو عبيدة معناه لاهلككم ومعنى ان الله عزيز حكيم اي منيع غالب لا يمانع فيما يفعل من المساهل والمشاق ذو حكمة فيما امركم به في امر اليتامى وغير ذلك واتصلت هذه الآية بما قبلها من جهة آية اخرى فيها تقدم ذكر النفقة وفي هذه الآية ذكر انفاق الوصي من مال اليتيم ومخالطته واسم اليتيم اذا اطلق انصرف الى الصغير الذي لا اب له لان العرب تسمي المنفرد يتيما كما قال الشاعر ان القبور تنكح الايامى ❊ النسوة الارامل اليتامى ❊ ويقولون الدرة اليتيمة يريدون بذلك انها منفردة لا نظير لها ❊ وفي الآية ضروب من الاحكام منها ان قوله قل اصلاح لهم خير يدل على جواز خلط الوصي ماله بمال اليتيم في مقدار ما يغلب على ظنه في مال اليتيم انه يأكله بقدر طعامه وطعام نفسه بغالب الظن ويدل على جواز التصرف في ماله بالبيع والشرا وجواز دفعه مضاربة اذا كان ذلك صلاحا ويدل على ان لولي اليتيم ان يعاقد نفسه في ماله اذا كان فيه خير ظاهر لليتيم على ما قاله ابو حنيفة رحمه الله ويدل على ان للوصي ايضا ان يواجر الصبي ممن يعلمه الصناعات والتجارات او يستاجر من يعلمه ماله فيه صلاح من امر الدين والادب لان كل ذلك من الاصلاح ويدل على جواز الاجتهاد في الحوادث لان الاصلاح لا يعلم الا بالاجتهاد وفي قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم دليل على ان للولي ان يزوج اليتيم ابنته او يزوج اليتيمة بعض ولده او يتزوج اليتيمة لنفسه فيكون قد خلط اليتيم بنفسه وعياله واختلطوا ايضا به يقال فلان خليط فلان اذا كان شريكا له في المال ويقال قد اختلط فلان بفلان اذا صاهره وهذه كلمة ماخوذة من الخلطة التي هي الاشتراك في الحقوق من غير تمييز بعضهم عن بعض ولا يكون التزويج الا للولي الذي يكون ذا نسب من اليتيم لان الوصاية لا تستحق بها الولاية في التزويج وفي قوله تعالى فاخوانكم بيان ان اطفال المومنين مومنون كما قال تعالى انما المومنون اخوة قوله عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون روى عن عبد الله بن عباس ومقاتل انهما قالا نزلت هذه الآية في مرثد بن ابي مرثد الغنوي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امراة يقال لها عناق كانت خليلة له في الجاهلية فاتته وقالت له ويحك يا مرثد الا تخلو قال لها ويحك يا عناق ان الاسلام قد حال بيننا وبين ذلك ولكن ان شئت اذا رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استامرته ان اتزوجك فقالت ابي تتبرم ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الذي كان من امره وامر عناق قال ايحل لي ان اتزوجها فنزلت هذه الآية ومعناها والله اعلم لا تتزوجوا المشركات حتى يصدقن بتوحيد الله تعالى وقوله ولامة مؤمنة اي نكاح امة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة وان اعجبتكم الحرة المشركة لحسنها وجمالها وقوله تعالى

ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا اى لا تزوجوهم مسلمة حتى يصدقوا بالله تعالى ولعبد مؤمن خير من
مشرك ولو اعجبكم الحر المشرك اولئك يعني المشركين والمشركات يدعون الى عمل اهل النار والله
يدعوا الى اسباب الوصول الى الجنة والمغفرة من مخالطة المؤمنين وغير ذلك باذنه اى بامره وعلمه
الذى علم انه وصلة لكم اليهما ويبين اياته للناس امره ونهيه في التزويج وغيره لعلهم يتذكرون
يتعظون ويرغبون في اهل الديانة والامانة وانما اتصلت هذه الاية بما قبلها لانهم كانوا في ابتدا الاسلام
يتزوجون من اليتامى وغيرهم عشرا ويخلطون في اموال اليتامى فحظر الله تعالى عليهم ذلك في سورة النسا
بقوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع والظاهر
ان اسم المشركات تتناول الوثنيات قال الله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
ان ينزل عليكم وقال عز من قائل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين ففرق بينهما في اللفظ
وظاهر العطف يقتضي ان المعطوف غير المعطوف عليه فعلى هذا لا يكون تزوج المسلمين بالكتابيات داخلا
في هذه الاية لكن استفيد جوازه لهم بقوله تعالى في سورة المائدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم وعن عبد الله بن عباس والحسن ومجاهد والربيع ان هذه الاية عامة في جميع الكافرات الكتابيات
منهن وغير الكتابيات ثم نسخ منها الكتابيات باية المائدة وروى عن ابن عمر انه كان اذا سئل عن
اليهودية والنصرانية قال ان الله تعالى حرم المشركات على المؤمنين ولا اعلم شيا من الشرك اكبر من ان تقول ربها
عيسى عليه السلام او عبد من عباد الله وكان الزجاج يقول كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد
زعم ان ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم من القران من عند غير الله والقران انما هو من الله معجز المخلوقين
عن اتيان مثله فمن زعم فيما لا ياتي به الا الله تعالى انه من عند غير الله تعالى فقد اشرك به غيره والتكذيب
بمحمد صلى الله عليه وسلم يعد كالجرم والاثم الاشراك بالله تعالى لان المعلوم من حال المسلمين انهم يصفون
لا يثبت الها مشركا بالله ومن شك في الاله او جوز الها ثانيا مشركا وقال قتادة وسعيد بن جبير رضي
الله عنهما ان الكتابيات مخصوصات من هذه الاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية اخرى
انه قرا هذه الاية ثم قال استثنى الله تعالى اهل الكتاب بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
فاخبر ان قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات يترتب عليه قوله والمحصنات وان الكتابيات مستثنيات
من المشركات فان قيل في الاية نهي عن نكاح المشركات بسبب دعوة اهل الشرك الى النار وهذه
العلة تعم جميع الكتابيات وغيرهن فكيف ابيح للمسلمين نكاح الكتابيات والعلة قائمة قيل يحتمل ان
يكون قوله تعالى اولئك يدعون الى النار راجعا الى قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين لا الى قوله ولا تنكحوا المشركات
لان اولئك كناية عن الرجال دون النساء ولا يجوز تزويج المسلمة من مشرك ولا كتابي وجواب اخر ان
ما يجري مجرى العلل الشرعية يجوز تخصيصه كما يجوز تخصيص الاسامي قال الله تعالى انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ومعلوم ان هذه العلة لا يجب اجراؤها في جميع
معلولاتها وان الشيطان قد يوقع العداوة في البياعات والمناكحات والمداينات فلما كانت هذه
العلة مقصورة على المذكور دون غيره لتاكيد حكم المذكور كذلك كان حكم ساير العلل الشرعية المنصوص
عليها وفي الاية دلالة على جواز نكاح الامة المؤمنة لمن يجد الطول الى تزويج الحرة لان الله تعالى امر
المؤمنين بتزوج الامة المؤمنة بدلا عن الحرة المشركة التي تعجبهم وواجد الطول الى الحرة المشركة
واجد الى الحرة المسلمة اذ لا فرق بينهم في العادة في المهور فيجب حمل قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا
على حسن الاختيار دون التحريم قوله عز وجل ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا
النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم

الله

ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية
في رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف نصنع بالنساء اذا
حضن نقربهن او لا نقربهن فنزلت هذه الاية فلما نزلت عمد المسلمون الى النساء الحيض فاخرجوهن من
البيوت كما كانت الاعاجم يفعل بنسائهم اذا حضن واذا فرغن من حيضهن واغتسلن ردوهن الى
البيوت فقدم اناس من الاعراب الى المدينة فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزل الحيض عنهم و
قالوا يا رسول الله البرد شديد وقد عزلنا النساء فان اثرناهن بالثياب هلك ساير اهل البيت بردا وان
اثرنا اهل البيت هلكت النساء الحيض وليس كلنا يجد سعة فنوسع عليهم جميعا فقال عليه السلام انما امرتم
ان تعتزلوا مجامعتهن في الفرج اذا حضن ولم تؤمروا ان تخرجوهن من البيوت وقرا عليهم الاية وجه
اتصال هذه الاية بما قبلها انه جرى فيما تقدم حديث نكاح من تحرم ومن تحل فبين الله تعالى بعدها حال
التحليل والتحريم بهذه الاية ومعناها والله اعلم يسئلونك يا محمد صلى الله عليه وسلم عن الحيض قل هو اذى
اي الدم مستقذر نجس وقوله تعالى فاعتزلوا النساء في المحيض اي اعتزلوا مجامعتهن وهن حيض ولا
تجامعوهن حتى ينقطع عنهن الدم فاذا اغتسلن فجامعوهن من حيث امركم الله بتجنبه في الحيض
وهو الفرج قاله عبد الله بن عباس وقتادة والربيع وقيل معناه فاتوهن من قبل النكاح والحيوات
التي يحل فيها ان تقرب المراة في الشريعة وقال مجاهد كانوا يطلبون استجازة اتيانهن في الادبار في ايام الحيض
فانزل الله تعالى هذه الاية وحرم بها ما كانوا يفعلونه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتيان
النساء في اعجازهن حرام وعن عبد الله بن مسعود انه قال محاشي حرام ويدل عليه ان الله تعالى
حرم الجماع في الفرج في حالة الحيض للاذى والادبار لا تنفك منه فذلك فيجب مجانبة الامرين وقوله
تعالى ان الله يحب التوابين اى يرضى عن عمل التوابين من الذنوب ومن اتيان النساء في وقت الحيض
ويحب المتطهرين من الاحداث والانجاس ويقال من الذنوب والمحيض مصدر يقال حاضت المراة تحيض
حيضا ومحيضا ومحاضا كل ذلك مصدر كما يقال ما في بني فلان مكيل ومكال اى كيل وفي قوله
قل هو اذى دليل ان المراد بالمحيض نفس الدم وفي هذا جواب اليهود فانهم كانوا يجتنبون
مواكلة النساء ومشاربتهن ومجالستهن في حال الحيض واراد المسلمون ان يعلموا حكمه في الاسلام
فاجابهم الله تعالى بهذه الاية في وصف المحيض بالاذى لبيان لزوم اجتناب مجامعتهن
في حال الحيض لانهم كانوا قبل ذلك عالمين بلزوم اجتناب النجاسات والقاذورات فاطلق
عليه لفظا عقلوا منه الامر بتجنبه والدليل على ان اسم الاذى يقع على النجاسات قول النبي صلى الله
عليه وسلم اذا اصاب نعل احدكم اذى فليمسحها بالارض وليصل فيها وقد يجوز ان يطلق اسم
المحيض على موضع الحيض كالمبيت والمقيل وعلى هذا قال محمد بن الحسن يجتنب الرجل في حال حيض
امراته شعار الدم وله ما سوى ذلك واما ابو حنيفة وابو يوسف فقالا يستمتع بها ما فوق
الازار وذكرها ما تحت الازار على ما ورد به الحديث عن عايشة وميمونة رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يباشر نساءه وهن حيض فوق الازار وقد يطلق لفظ الفعل ويراد به
ظرف الزمان كالمنتج والمولد فاذا ساغ تقدير الوجوه الثلثة في اسم المحيض حمل على الجميع والحيض اسم
لمقدار من الدم تتعلق به احكام منها منع الصلوة والصوم وحظر الجماع وانقضاء العدة وتجنب
دخول المسجد ومس المصحف وقراءة القران وتصير به الصبية بالغة اذا رأته في اوان الحيض واقل
ذلك ثلثة ايام وما دون الثلث مختلف في كونه حيضا عند اهل العلم رحمهم الله تعالى واما اكثره
عشرة ايام عند اصحابنا رحمهم الله وعند الشافعي اقله يوم وليلة واكثره خمسة عشر يوما وقد

وقيل معناه يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من العيب
وقيل التوابين من العيوب
والمتطهرين من اقات الطاعة

عدي بن ثابت عن ابيه عن جده رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المستحاضة تدع
الصلوة ايام حيضها ثم تغتسل وتتوضا لكل صلوة وفي بعض الروايات تدع الصلوة ايام اقرائها واسم
الايام المطلقة يتناول الثلث الى العشرة يقال فيما زاد على العشرة احد عشر يوما وروى ابو امامة الباهلي
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اقل الحيض في البكر والثيب ثلثة ايام واكثره عشرة
وقد اختلف اهل العلم في اقل الطهر ايضا فذهب عامة الفقهاء الى ان اقله خمسة عشر يوما ولا غاية لاكثره
وكان مالك رحمه الله لا يوقت لقليل الحيض ولا لاكثره وظاهر قوله تعالى حتى يطهرن فاذا تطهرن يقتضي
ان انقطاع الدم والاغتسال كلاهما شرط لجواز القربان وهذا كما يقال لا تكلم الامير حتى يجلس فاذا
طاب نفسا فكلمه معناه لا تكلمه حتى يجلس ويطيب نفسا فاذا جلس وطاب كلمه وهذا عند اصحابنا رحمهم الله
محمول على الاعم الاغلب لان الاعم في النساء انه ينقطع حيضهن دون العشرة فاما اذا انقطع على راس العشرة
فقد تيقن بانقطاع دم الحيض من جميع الوجوه اذ الدم ان عاودها بعد العشر لم يكن حيضا وانما بقي وجوب
الاغتسال عليها وذلك لا يمنع الوطي كوجوب الاغتسال بحكم الجنابة وذهب بعض المفسرين الى ان
المراد بقوله تعالى حتى يطهرن وبقوله تعالى فاذا تطهرن انقطاع الدم يقال طهرت المراة واطهرت و
تطهرت اذا انقطع دمها يدل على هذا انها لو اغتسلت وهي حايض لم تطهر فاذا كان لفظ التطهير يحتمل انقطاع
الدم ويحتمل الاغتسال حمل على الطهر الذي لا يحتمل الا وجها واحدا وكان قوله تعالى فاذا تطهرن تاكيدا
للحكم المذكور قبله وهذا كما يقال لا تعط فلانا حتى يدخل الدار فاذا دخلها فاعطه الا ان الاجماع قد انعقد
فيما اذا انقطع دمها دون العشرة انه لا يحل للزوج ان يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة ويجوز
ان يجمع بين القراتين في قوله تعالى حتى يطهرن فيحمل قراة التخفيف على ما اذا انقطع دمها على راس العشرة
وقراة التثقيل حتى يطهرن على ما اذا انقطع الدم دون العشرة والله تعالى اعلم قوله عز وجل
نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت اليهود تقول انا نجد في التورية ان كل اتيان
يوتى النساء غير مستلقيات فانه دنس عند الله تعالى ومنه يكون الحول في الحبل يعنون حول الولد فاكذبهم
الله تعالى بهذه الاية والمعنى والله تعالى اعلم نساؤكم حرث لكم اي مزدرع للولد وعن الزجاج انه قال
نساؤكم ذوات حرث لكم فيهن تحرثون للولد واللذة قال ابو عبيدة سميت المراة حرثا على وجه الكناية
فانها للولد كالارض للزرع وقوله تعالى فاتوا حرثكم اي موضع حرثكم اني شئتم كيف شئتم مستلقيات
ومستدبرات بعد ان يكون في صمام واحد وهو الفرج ومعنى وقدموا لانفسكم اي قدموا من العمل الصالح
لاخرتكم وقيل اراد التسمية عند الجماع وقيل هي النية الصالحة عند ذلك اي ربما قضى الله تعالى لي ولدا
يعبده وقوله تعالى واتقوا الله اي اخشوه ولا تقربوهن في حال الحيض ولا على وجه لا يحل واعلموا انكم
ملاقوه يوم القيمة فيجازيكم باعمالكم وبشر المومنين اي المصدقين بالبعث والثواب بالجنة ومن الناس
من تعلق في جواز اتيان المراة في غير قبلها بقوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وهذا
لا يصح لان قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم يقتضي اباحة اتيان المراة في موضع الحرث وهو القبل فان
الولد انما يكون من اتيان المراة في قبلها والقول بجواز اتيان المراة في خلفها يحكى عن مالك رحمه الله و
اصحابه ينفون عنه هذه المقالة لقبحها وشناعتها وقد روي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من اتى حايضا او امراة في دبرها او اتى كاهنا فصدقه فيما يقول فقد كفر بما انزل الله
على محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله تعالى الى رجل
اتى رجلا او امراة في دبرها واما ما يروى عن نافع عن ابن عمر في اباحة اتيان الرجل امراته في خلفها فلم

يصح

جلس

يصح العلما رواية نافع لانه روى ان نافعا روى ذلك في آخر عمره عن ابن عمر انه قال هي اللواطة الصغرى
قوله عز وجل وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في عبد الله بن رواحة الانصاري رضي الله عنه
حلف ان لا يدخل على ختنه بشير بن النعمان الانصاري ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه وجعل يقول
حلفت بالله ان لا افعل ولا يحل لي الا ان ابر في يميني فنزلت هذه الاية فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرا عليه الاية وقال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات الذي هو خير فعلوا
الخير ودعوا الشر فكفر ابن رواحة يمينه ورجع الى الذي هو خير ومعنى الاية لا تجعلوا الله علة لايمانكم
وهو ان يجعل الرجل اليمين معترضا بينه وبين ما هو مندوب اليه او مامور به من البر والتقوى و
الاصلاح يفعل ذلك للامتناع من الخير لان المعترض بين الشيئين يمنع وصول احدهما الى الاخر ومعنى
ان تبروا وتتقوا اي لا تبروا ولا تتقوا القطيعة ولا تصلحوا بين المتشاجرين وهذا كما قال امرؤ القيس
فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي اراد بذلك لا ابرح ويقول الرجل
والله اقوم فيكون معناه لا اقوم واذا اراد اثبات القيام قال والله لاقومن وكان ابو العباس
الفراء رحمه الله ينكر اضمار حرف النفي في هذه الاية ويقول هذا انما يكون في تصريح اليمين فاما في مثل
هذا الموضع فلا يجوز حذف حرف النفي قال والصواب ان معناه تارك ان تبروا ويقال كراهة ان تبروا
فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ونظير هذه الاية قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان
يوتوا اولي القربى والمساكين الاية وذهب بعض المفسرين الى ان معنى قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
لا تعترضوا باليمين بالله في كل حق وباطل وهو نهي عن كثرة الحلف لما في ذلك من الجراة على الله عز وجل
والابتذال لاسمه في كل حق وباطل يقال هذه عرضة لك اي عدة لك تبتذله فيما يشا ويقول القايل قد جعلتني
عرضة للومك قال الشاعر ولا تجعلني عرضة للوايم وقد ذم الله تعالى مكثر الحلف بقوله ولا تطع كل
حلاف مهين ومعنى ان تبروا على هذا التاويل الاثبات اي لا تحلفوا في كل شي لان تبروا اذا حلفتم وتتقوا الماثم
فيها وعن ابي عبيدة ان معناه ان لا تبروا اذا حلفتم وتتقوا الماثم فان من كثر حلفه قل بره في اليمين ويجوز
ان يكون قوله تعالى ان تبروا ابتدا خبره محذوف تقديره ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس اولى لكن
حذف الاولى لان في الكلام دليلا عليه فعلى هذا يكون موضع ان تبروا رفعا وعلى التاويل الذي تقدم يكون
نصبا لان معناه لان تبروا موضعه نصب انتصب لنزع حرف الخافض ويجوز ان يكون موضعه خفضا لانك
تقول جيتك لان تضرب زيدا وجيتك ان تضرب زيدا ومعناه جيتك لضرب زيد ومعنى والله سميع عليم سميع
لايمانكم عليم بما تقصدون بها عند الحلف واذا احتملت الاية النهي عن كثرة الحلف والنهي عن جعل اليمين
علة مانعة من البر والتقوى ولا تضاد بين المعنيين وجب حمل الاية عليهما جميعا قوله عز وجل لَا يُؤَاخِذُكُمُ
اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قال ابن عباس
في تفسير الاية معنى يمين اللغو ان يحلف الرجل بالله في الشي يرى انه كذلك وليس كذلك قال ومعنى قوله ولكن
يواخذكم بما كسبت قلوبكم بما تعمدتم الكذب وهو ان يحلف على شي يعلم انه ليس كذلك ومعنى والله غفور
اي لمن تاب من اليمين الغموس حليم عن الحالف اذ لم يعجل عليه بالعقوبة وعن عايشة رضي الله عنها
ان يمين اللغو هو ما يجري في خلال الكلام لا والله وبلى والله مما لا يعقد عليه قلبه وعن عطا رحمه الله عنها انها
قالت هو قول الرجل فعلنا والله كذا وصنعنا والله كذا وهو يظن انه كذلك وعن طاوس وسعيد بن جبير
رضي الله عنهما انهما قالا في يمين اللغو انها يمين الغضبان الا ان سعيدا قال اذا حنث في يمينه تلك كفر
وعن زيد بن اسلم ان اللغو هو اليمين التي الحنث فيها خير من البر لا يواخذ الله تعالى بالاثم اذا كفر ولكن

يؤاخذ الحالف بعزمه على ان لا يبر ولا يتقي واعتلا الله ذكره الحلف قال ومعنى والله غفور اي غفور لمن حنث
وكفر يمينه حليم حين رخص لكم في الحنث ولم يعاقبكم على اليمين على ترك البر والتقى وقد ذهب اصحابنا
رحمهم الله في تفسير اللغو الى انه يكون على الماضي فاما اذا جرى على لسانه كلمة اليمين على امر في المستقبل
انعقدت يمينه عليه وان لم يقصد لزمته الكفارة فيها بالحنث بقوله تعالى في اية اخرى ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين الاية اذ ليس في تلك الاية تعليق الكفارة بكسب القلب لانه
يستوي حال القاصد فيها للخير والشر ويتساوى حكم العمد والسهو ولو لم يفسر اللغو بهذا التفسير الذي ذكرناه
لكان في ذلك حمل الايتين على الاعادة والتكرار في قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم دليل ان المراد
بيمين اللغو يمين الظان لانه انما يقابل بالمتعمد الخاطي فقد كان المراد بقوله تعالى بما كسبت قلوبكم ما عقد
قلبه عليه من الكذب والزور فيؤاخذ بها في الاخرة والله تعالى اعلم واللغو في اللغة هو الكلام الساقط
الذي لا فائدة فيه ولا حكم له يقال لغيت الشيء اذا طرحته وقد يذكر اللغو ويراد به الكلام الفاحش القبيح
كما قال الله تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقال جل ذكره واذا مروا باللغو مروا كراما الا ان الله لما
قابل اللغو في هذه الاية باليمين التي يؤاخذنا بها بكسب القلب علم ان المراد باللغو ما يقصد به الكذب لا م
قوله عز وجل للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور
رحيم روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان العرب في الجاهلية كان الرجل يكره امراته و
يكره ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يطاها ابدا ولا يخلي سبيلها اضرارا بها فتبقى معلقة لا ذات زوج
ولا مطلقة حتى يموت احدهما فابطل الله تعالى ذلك من فعلهم وجعل الاجل في هذا بعد هذا القول اربعة
اشهر اذا تمت هذه المدة ولم يف اليها بانت بتطليقة ومعنى الاية والله تعالى اعلم للذين يحلفون
من نسائهم ان لا يقربوهن انتظار اربعة اشهر فان فاءوا يقول اذا رجعوا عما حلفوا عليه فقرب
الرجل امراته او كان عاجزا عن الوطي ففاء بلسانه فان الله غفور لذنب الاضرار بالامتناع من الجماع
رحيم بهم ان رخص لهم القرب بالكفارة وفي قراءة عبد الله بن مسعود فان فاءوا فيهن فان الله غفور
رحيم والايلاء في اللغة هو الحلف يقال آلى يولي ايلاء والية والوة والوة والوة والالايا
جمع الالية قال كثير قليل الالايا حافظ ليمينه وان بدرت منه الالية برت وهذا اصله في اللغة
من الايتلاء كما قال الله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة واما الايلاء في الشرع فهو الحلف على ترك
الجماع الذي يكسب الطلاق بمضي المدة حتى قيل آلى فلان من امراته اذا فعل بها ذلك وقد اختلف السلف
رحمهم الله فيما يكون موليا به على وجوه احدها ما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم ان الايلاء هو والحـ
الامتناع من الجماع على جهة الغضب والاضرار بتاكيد اليمين حتى لو كان للرجل امراة لها ولد رضيع فخشي ان
قربها ان تحبل فيضر ذلك بالصبي والولد فحلف ان لا يقربها لم يكن موليا وقال ابرهيم النخعي وابن اللبن الولد
سيرين والشعبي هو اليمين على ان لا يجامعها سواء كان في الغضب او في الرضا وبهذا القول قال فقهاؤنا رحمهم الله
حتى قال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد كل يمين في زوجة منعت جماع اربعة اشهر من غير حنث يلزمه
او تعيين ايلاء في الاخرى فهو ايلاء واما القول الثالث فهو ما روي عن سعيد بن المسيب ان
الايلاء هو اليمين في الجماع وغير ذلك من الضرر حتى لو حلف ان لا يكلمها كان موليا والقول الرابع
قول عبد الله بن عمر انه اذا هجرها فهو ايلاء ولم يذكر الحلف والتربص انتظار الشيء خيرا او شرا يحل بك
او تحل به ولذلك سمي المحتكر متربصا لانتظاره غلاء السعر قال الشاعر تربص بها ريب المنون لعلها
تطلق يوما او يموت حليلها والفيء في اللغة هو الرجوع ومنه قوله تعالى حتى تفيء الى امر الله اي ترجع من
البغي الى العدل الذي هو امر الله عز وجل ومن ذلك سمي الظل الذي يكون بعد زوال الشمس فيئا يقال فاء الفيء

اذا

اذا رجع ويقال فلان سريع الفيء من الغضب اي سريع الرجوع من الغضب الى الرضا واما الفيء الشرعي
المذكور في هذه الاية قال ابن عباس ومسروق وسعيد بن المسيب هو الجماع في حالة القدرة والمراجعة بالقول
عند العجز وبهذا اخذ اصحابنا حيث قالوا ان المريض اذا فاء بلسانه واستمر المرض من اول الاربعة الاشهر
الى اخرها صح الفيء وبطل معنى الطلاق وقال الحسن وابرهيم وعلقمة ان الفيء هو المراجعة بالعزم وكان
الحسن وابرهيم يقولان لا كفارة على الفائي لان الله تعالى قال فان فاءوا فان الله غفور رحيم وهذا يقتضي
نفي المؤاخذة من جميع الوجوه وخالفهما الاخرون في ذلك وقالوا عليه كفارة الحنث فان قيل اذا كان فيء المريض
بالقول ما لا يسقط اليمين حتى لو صح من مرضه بعد اربعة ان قرب لزمته الكفارة وان لم يقرب حتى مضت اربعة
اشهر اخرى بانت منه بتطليقة فكيف يرتفع الايلاء مع بقاء اليمين قلنا يجوز ان يبطل معنى الطلاق من
الايلاء ويبقى معنى اليمين الا ترى انه لو طلقها ثلثا ثم عادت اليه بعد زوج بطل معنى الطلاق حتى لو لم يقربها
في هذا النكاح لم تطلق ثم معنى اليمين باق حتى لو وطيها حنث ولزمته الكفارة كذلك الفيء باللسان يرفع معنى
الطلاق في المدة الماضية ولا يرفع معنى اليمين والله تعالى اعلم قوله عز وجل وان عزموا الطلاق فان
الله سميع عليم المعنى والله تعالى اعلم ان حققوا الطلاق بالاقامة على حكم اليمين الى تمام اربعة اشهر
فان الله سميع لايلائهم عليم بهم وبنياتهم والعزم هو العقد على فعل في المستقبل يقال عزم على الامر و
اعتزم اذا عقد قلبه عليه واما العزم الشرعي المذكور في الاية على ثلاثة اوجه قال عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما عزيمة الطلاق انقضاء الاربعة الاشهر قبل ان يفيء من غير عذر وهو قول عبد الله بن
مسعود وزيد بن ثابت وعثمن بن عفان رضي الله عنهم قالوا انها تبين بعد هذه المدة بتطليقة وبه اخذ
اصحابنا رحمهم الله واختلف عن علي وعبد الله بن عمر وابي الدرداء فروي عنهم مثل قول الاولين وروي
عنهم انه يوقف بعد مضي المدة فاما ان يفيء واما ان يطلق وهو قول عائشة رضي الله عنها وبه قال مالك و
الشافعي رحمهما الله فان امتنع عنهما فللشافعي قولان احدهما ان يحبسه الحاكم ولا يجبره على احد الا مرين
والثاني يطلق عليه الحاكم وقال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله والزهري وعطا وطاوس اذا
مضت اربعة اشهر فهي تطليقة رجعية ولفظ الاية محتمل للوجوه التي حصل عليها اختلاف السلف ولولا
احتماله لها لما تاولوه عليها واختلافهم في هذا اجماع منهم على تسويغ الاجتهاد في الالفاظ المحتملة
فان قيل قوله تعالى فان الله سميع عليم يقتضي ان عزيمة الطلاق مسموعة ولا يكون ذلك الا بقول من الزوج
بعد الايلاء قلنا هذا القول لا يصح لان الله تعالى لم يزل سميعا ولا مسموع وقد قال الله تعالى وقاتلوا في سبيل
الله واعلموا ان الله سميع عليم وليس هنا كقول لانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تتمنوا لقاء
العدو واذا لقيتموهم فاثبتوا وعليكم بالصمت وقد استدل محمد بن الحسن رحمه الله في اية الايلاء على
امتناع جواز الكفارة قبل الحنث فقال لما حكم الله تعالى للمولي باحد حكمين من فيء او عزيمة طلاق دل انه حكمه
مقصور على احد هذين الامرين فلو كان تقديم الكفارة على الحنث يسقط الايلاء بغير فيء ولا عزيمة طلاق
لانه ان حنث لا يلزمه في الحنث شيء يسقط حكم الايلاء بغير ما ذكره الله تعالى وذلك خلاف الكتاب وبالله التوفيق فيسقط عن
قوله عز وجل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله
في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا
اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم
قال عبد الله بن عباس كان اهل الجاهلية يطلق الرجل امراته فان كان مستحليا كان احق برجعتها والا كان احق
بنفسها فكانت المراة اذا احبت زوجها قالت انا حبلى وليست حبلى ليراجعها واذا كرهته وهي حبلى قالت
لست بحبلى لكيلا يقدر على مراجعتها فجعل الله تعالى عدة المطلقات ثلثة قروء ونهى النساء عن كتمان حملهن

أرحامهن من الحيض والحبل قال وكان في الجاهلية طلاق اخر وهو ان يطلق الرجل امراته التطليقة الواحدة
او اثنتين فيكون احق برجعتها ما لم تتزوج فاذا تزوجت غيره بطلت الرجعة وان كان الطلاق ثلاثا كانت
احق بنفسها منه كما قال الاعشى لما قال له بنو هزان طلق امرتك وكانت هزانية فطلقها واحدة بقوله ٥
أجارتنا بيني فانك طالقه ٥ كذاك امور الناس غاد وطارقه ٥ فقالوا له عد فطلق الثانية فقال ٥ وبيني
حصان الفرج غير ذميمة ٥ وموموقة اذ ذاك فينا ووامقه ٥ فقالوا اعد فقال ٥ وبيني فان البين خير
من العصا ٥ وان لا يرى لي فوق راسك بارقه ٥ فعرف انها بانت فقال ٥ وذوقي فتى حي فاني ذايق ٥ ٥
فتاة اناس مثل ما انت ذايقه ٥ ومعنى الاية والله تعالى اعلم والمطلقات ينتظرن بانفسهن ماذا يصنع بهن
ازواجهن من المراجعة وترك المراجعة وقد اختلف السلف في المراد بالقروء المذكورة في هذه الاية قال ابو بكر
وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وابو موسى الاشعري رضي الله عنهم هي الحيض وقالوا
ان الزوج احق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة وبه اخذ اصحابنا رحمهم الله وقال ابن عمر وزيد بن ثابت و
عايشة رضي الله عنهم هي الاطهار واذا دخلت في الحيضة الثالثة فلا سبيل له عليها وبه قال مالك والشافعي
رحمهم الله ٥ وانما اختلف السلف في هذه المسئلة لان القرء في اللغة عبارة عن الحيض وعن الطهر وهو
من اسماء الاضداد والقروء جمع القرء قال ابو عبيدة رحمه الله هو خروج من شيء الى شيء يقال قرء النجم اذا
طلع وقرء اذا غاب فالمراة تخرج من الحيض الى الطهر ومن الطهر الى الحيض وقال ابو عمرو بن العلا رحمه الله
هو الوقت ويقال رجع فلان لقرئه وقرئه اي لوقته الذي كان يرجع فالحيض ياتي لوقت والطهر ياتي لوقت
قال الشاعر يا رب ذي ضغن وضب فارض ٥ له قروء كقروء الحايض ٥ واراد بذلك الحيض وقال اخر
افي كل عام انت جاشم غزوة ٥ تشد لاقصاها عزيم عزايكا ٥ مورثة مالا وفي الحي رفعة ٥ لما ضاع
فيها من قروء نسايكا ٥ فاراد بالقرء الطهر فلما اختلف السلف رحمهم الله واختلف اللغة في هذا الاسم
ولم يجز حمله على الامرين جميعا وجب حمله على حقيقته دون مجازه واسم القرء حقيقة في الحيض مجاز في الطهر لان
كل طهر لا يسمى قرءا وانما الطهر الذي يكون بين الحيضتين يسمى بهذا الاسم لمجاورته الحيض فلو كان هذا الاسم حقيقة
في الطهر لكان لا ينتفي عنه بحال لان الاسماء الحقايق لا تنتفي عن مسمياتها بحال وقد وجدنا هذا الاسم ينتفي عن
طهر الايسة والصغيرة فكان حمله على الحيض اولى من حمله على غيره واذا اختلفت الامة في ذلك كان
المرجع فيها الى لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المستحاضة تدع الصلوة ايام
اقرايها واراد بالاقراء الحيض واتفقت الصحابة ان عدة ام الولد بالحيض وكذلك الاستبراء في المملوكات بالحيض بالاجماع واعتبار الحيض احوط لانها تخرج عن العدة باعتبارها بيقين لان من
يعتبر الطهر يحتسب بالطهر الاول الذي وقع فيه الطلاق فيخرجها من العدة عند شروعها في الحيضة الثالثة
وفي الاية حصر القرء بالثلث فلو حملت على الاطهار حملت على الطهرين وبعض الطهر الاول وذهب
الزجاج رحمه الله ان القرء الجمع من قولهم قرات القران اي لفظت به مجموعا ويقال قريت الماء في الحوض
ويسمى الحوض مقراة قال وانما يجتمع الدم في البدن في الطهر فهو القرء غير ان هذا الامر لا يظهر للحقيقة
لان هذا من علم ما في الارحام وقد خص الله تعالى نفسه بعلم ما في الارحام ولا يمتنع ان يجتمع الدم
في حالة الحيض قطرة او قطرتين كالعبرة وفي ذلك اذ لو اجتمع جملة لدر دررا لا ينقطع كالبول
وساير المايعات المجتمعة والله تعالى اعلم والمطلقة قبل الدخول مخصوصة من هذه الاية باية اخرى
وهو قوله يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن الى اخر الاية وكذلك الحامل مخصوصة
باية اخرى روي ان رجلا من اشجع جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال طلقت امراتي وهي حامل وقد
ذهبت وانا اخاف ان تنطلق فتتزوج من بعدي فيكون ولدي له فانزل الله تعالى قوله والمطلقات

فيكون م

الى م

يتربصن بانفسهن الى اخر الاية فردت امراة الاشجعي على الاشجعي فقام معاذ بن جبل فقال يا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارايت الكبيرة التي يئست من المحيض من نسايكم ما عدتها فنزلت واللائي يئسن من المحيض
من نسايكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فقام اخر فقال يا رسول الله ارايت الصغيرة التي لم تبلغ الحلم
ما عدتها فنزل واللائي لم يحضن فقام رجل اخر فقال فالحوامل ما عدتهن فنزل واولات الاحمال اجلهن
ان يضعن حملهن فاما معنى قوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن نحو بعض الله
تعالى للمعتدات كيلا يكتمن ما خلق الله تعالى في ارحامهن من الحبل فيخبرن بانقضاء العدة لمدة تحمل شهر
يتزوجن ويلزم من الولد لغير ابيه ولا يكتمن الحيض فيمتنعن عن الاخبار بانقضاء العدة ليستوجبن النفقة
على ازواجهن وقوله تعالى ان كن يومن بالله واليوم الاخر ليس على طريق الشرط ولكن على معنى ان كن
مومنات فينبغي ان يحجزهن ايمانهن عن كتمان ما في ارحامهن من الحيض والحبل وهذا كما يقال لرجل يظلم
ان كنت مومنا فلا تظلم لا يكون هذا القول مطلقا للظلم لغير المومن لكن المعنى ان كنت مومنا فينبغي ان
يحجزك ايمانك عن الظلم وفي قوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن دليل ان قول المراة مقبول على انه حيضها
حتى لو قالت حضت حرم على الزوج وطوها واذا قالت طهرت حل له وطوها اذ لو لم يجب قبول قولها
لم يكن لنهيهن عن الكتمان معنى ولا فايدة ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله لو قال لامراته انت طالق اذا
حضت فقالت حضت طلقت وكان قولها كالبينة في حق نفسها لانا قبلنا قولها فيما يخصها من انقضاء
عدتها واباحة وطيها او حظره وفرقوا بين هذا وبين ساير الشروط نحو قوله اذا دخلت الدار وان كلمت زيدا
فقالوا لا يقبل قولها في ساير الشروط الا ببينة فاما اذا علق عتق عبده بحيض زوجته فقالت حضت لم
تصدق لان ذلك حكم في غيرها لا يخصها ولا يتعلق بها فهو كغيره من الشروط فلا تصدق ومعنى قوله
تعالى وبعولتهن احق بردهن في ذلك اي ازواجهن احق بمراجعتهن في الاجل الذي امرن
ان يتربصن فيه ان ارادوا بمراجعتهن حسن الصحبة والمعاشرة دون الاضرار والعدوان وذكر
الرجعة في هذا تخصيص حكم في بعض ما انتظمه عموم اول هذه الاية لان قوله تعالى والمطلقات يتربصن
بانفسهن عام في المطلقة الثلاث فما دونها وقوله تعالى وبعولتهن احق بردهن خاص فيمن
كان طلاقها دون الثلاث وخصوص اخر الاية لا يمنع عموم اولها قال الله تعالى ووصينا الانسان
بوالديه وهذا عام في المومنين والكفرين ثم قال وان جاهداك لتشرك بي وهذا خاص في الوالدين
الكفرين ولهذا نظاير كثيرة والبعولة جمع بعل مثل عمر وعمومة والهاء زايدة موكدة بمعنى تانيث
الجماعة يقال في جمع الذكر ذكارة وفي الحجر حجارة وفي الفحل فحولة وليس للجمع قياس معلوم وانما يتبع
في ذلك ما روي عن اهل اللغة ومعنى قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي لهن على ازواجهن
من الحق والحرمة وحسن المعاشرة مثل ما للازواج عليهن من الحقوق بالمعروف واسم المعروف
عام في كل ما يعرف من اقامة الحق سمي بذلك لان كل واحد يعرفه انه حق وقد روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال في خطبته بعرفات اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوان وانما اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى وان لكم عليهن ان لا يوطين فرشكم احدا تكرهونه
فان فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ومعنى قوله تعالى
وللرجال عليهن درجة اي لهم زيادة فيما للنساء عليهم وهو الفضل بنفقتهن وقيامهم بما يصلحهن و
الفضل والميراث وان يكون الرجل مسلطا على تاديب المراة اذا نشزت وعن انس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر ولو صلح ان يسجد بشر لبشر لامرت
المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي نفسي بيده لو كان من قدمه الى مفرق راسه قروح

تصن

جهن

في العقل

تشغب بالقبح والصديد ثم لجسنده ما ادت حقه ومعنى والله عزيز حكيم اى ملك غالب يامر بما اراد و
عصمن بما احب فينتقم ممن عصاه وهو ذو حكمة فيما يامر من امر الدين والدنيا لا يامر شيا الا بالحكمة قوله
عز وجل الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا
مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا
جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون روى عن عروة بن الزبير وقتادة رضي الله عنهما في معنى اول هذه الاية ان
الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان فانه بعد الطلقة الثالثة لا يملك الرجعة وفي الاية ما يدل على
هذا القول لان الله تعالى عقبه بقوله تعالى فامساك بمعروف وعن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالاية
بيان طلاق السنة وقوله تعالى الطلاق مرتان لفظه لفظ الخبر ومعناه الامر والندب كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم صلوة الليل مثنى مثنى وتشهد في كل ركعتين وخشوع وفي لفظ المرتين دليل ان التفريق سنة
لان من طلق اثنين معا لا يقال طلقها مرتين وليس في هذه الاية كيفية سنة التفريق وقد فسر الله سبحانه
بقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واراد بذلك والله تعالى اعلم تفريق الطلاق
على اطهار العدة الا ترى انه تعالى خاطب الرجال باحصاء العدة وذكر الرجعة في سياق الاية بقوله تعالى لا
تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر حين طلق امراته
في حال الحيض ما هكذا امرك ربك انما امرك ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة فانها هي
العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وفي بعض الروايات قال النبي صلى الله عليه وسلم انما طلاق العدة
ان تطلقها طاهرا من غير جماع او حاملا قد استبان حملها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعمر رضي الله
مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر ثم ان شاء امسك بعد ذلك وان شاء طلق
قبل ان يمس فتلك العدة امر الله تعالى ان يطلق لها النساء واما معنى قوله تعالى فامساك بمعروف
اى عليكم امساكهن بحسن الصحبة والمعاشرة اذا اردتم الرجعة او تسريح باحسان او تركهن
حتى ينقضي تمام اجلهن ويكن املك بانفسهن والاحسان ان يوفي حقها من المهر ونفقة العدة
وان لا يطول العدة عليها لا لقصد رجعتها لكن ليطلقها اخرى فتلزمها عدة مستانفة وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية فقيل له اين التطليقة الثالثة قال النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى او تسريح باحسان واما قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا قال ابن
ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول وفي زوجها ثابت بن قيس كانت
تبغضه بغضا شديدا لا تقدر على النظر اليه وكان يحبها حبا شديدا لا يكاد يصبر عنها وكان بينهما كلام
فاتت اباها فشكت اليه زوجها وقالت انه يضربني ويسيء الي فقال لها ارجعي الى زوجك فاتته الثانية
وبها اثر الضرب فشكت اليه فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رات ان اباها لا يشكيها ولا ينظر في امرها اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وارته اثارا بها من ضربه فقالت يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال يا ثابت ما لك ولاهلك قال
والذي بعثك بالحق ما على الارض شيء احب الي منها غيرك فقال لها لا تطيعيني فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما كنت احدثك اليوم
حديثا ينزل عليك خلافه عدا هو من اكرم الناس لزوجته لا اعتب عليه في دين ولا خلق ولكني ابغضه
فلا انا ولا هو فقال ثابت قد اعطيتها حديقة لي قل لها فلترد ها علي وانا اخلي سبيلها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لها اتردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم وزيادة فانزل الله تعالى

ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الاية فقال صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا ثم قال لثابت
خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى الاية ولا يحل لكم
ان تاخذوا شيئا مما اتيتموهن من المهر ولا غيره الا ان يخافا قال ابو عبيدة معناه يعلما ويوقنا
حقيقة الا ان يكون الاغلب عليهما على ما ظهر لهما من اسباب التباعد الخوف من ان لا يقيما حدود الله
ومن قرا يخافا على فعل ما لم يسم فاعله كان المعنى الا ان يخافا عليهما الا يقيما حدود الله وهو ما فرض
الله تعالى للزوج على المراة وللمراة على الزوج وقد يذكر الخوف في معنى العلم كما قال ابو محجن الثقفي شعر
اذا مت فادفني الى اصل كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها ولا تدفنني بالفلاة فانني
اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها واما قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله اى علمتم بغالب
ظنكم ان لا يكون بينهما صلاح في المقام على النكاح فلا جناح عليهما فيما افتدت به اى لا حرج عليهما
في الاخذ والاعطاء ويقال معناه لا حرج على الزوج ان ياخذ ما افتدت به المراة نفسها مما اعطاه الزوج
قال الفراء هذا كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج ذلك من احدهما كذلك في هذه الاية
اراد بقوله تعالى فلا جناح عليهما نفي الحرج عن الزوج في الاخذ فاما المراة فهي مفتدية باختيارها ورضاها
وانما يباح للزوج ان يخلعها اذا كان النشوز من قبل المراة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال لو اختلعت بكل شيء لها لاجزته وروي ان امراة نشزت فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها
في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعى بها فقال رضي الله عنه كيف وجدت مبيتك فقالت ما بت ليالي منذ كنت
عنده اقر لعيني منهن فقال رضي الله عنه لزوجها اخلعها ولو من قرطها ونحن نقول بهذين الخبرين في
جواز الزيادة في القضاء فاما من طريق الديانة فيكره للزوج ان ياخذ منها اكثر مما اعطاها لقول
النبي صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا واما اذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له اخذ شيء منها
ديانة لان الله تعالى قال وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا
تاخذوا منهن شيئا ومعنى قوله تعالى تلك حدود الله اى هذه الايات المنزلات من الاوامر و
النواهي فرايضه واحكامه فلا تعتدوها ولا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله اى يتجاوز احكام الله
تعالى فيترك ما امره الله تعالى به او يفعل ما نهاه فاولئك هم الظالمون الضارون لانفسهم بمعصيتهم
والطلاق مصدر من طلقت المراة تطلق وقد يقال طلقت بضم اللام الا ان الاول افصح لانه يقال للمراة طالق
ولا يقال لها طليق وسمي النعجة التي ترتعي بقرب اهلها كالمهملة طالقا والتسريح في اللغة هو الاطلاق يقال
سرحت البعير اسرحه تسريحا اذا اطلقته وسرحت الماشية اسرحها اذا اطلقتها حتى ترعى وسرحت الما
بنفسها تسرح سروحا اذا انطلقت بنفسها المرعى ويسمى المشط مسرحا كانه يطلق الشعر وفي الاية دلالة
جواز الرجعة بالفعل على ما هو المذهب عند اصحابنا رحمهم الله لان ظاهر الامساك والرد في اللغة يتناول
الفعل الا ان الاجماع قد انعقد على جواز الرجعة بالقول ايضا وقد اختلف السلف في الخلع انه طلاق او
فسخ ذهب بعض اهل العلم الى انه فسخ وهي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما واستدلوا بظاهر هذه الاية
فقالوا ان الله تعالى ذكر الطلاق الثالث بعد هذه بقوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فلو
كان الخلع طلاقا لحصل الطلاق اكثر من ثلث فاما اكثر فقهاء الامصار رحمهم الله قالوا ان الخلع طلاق
وهو قول عمر وعثمن وعبد الله بن مسعود والحسن وابرهيم النخعي وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين وليس في
ظاهر هذه الاية دليل ان الخلع فسخ لان قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا حكم مبتدا اذ الواو للاستيناف
الا انه يوهم دليل الجمع فكان الله تعالى ذكر في اول هذه الاية حكم الطلاقين بغير بدل وخير الزوج بين ان
يراجعها في العدة او الى النكاح الاول حتى تنقضي عدتها ثم استانف بيان حكم الطلاقين اذا كانا على وجه الخلع وابان

تشغب بالقبح والصديد ثم لحسنه ما ادت حقه ومعنى والله عزيز حكيم اى ملك غالب يامر بما اراد و يمضى بما احب فينتقم ممن عصاه وهو ذو حكمة فيما يامر من امر الدين والدنيا لا يامر شيا الا بالحكمة قوله عز وجل الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود [illegible] فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون روى عن عروة بن الزبير وقتادة رضى الله عنهما فى معنى اول هذه الاية ان الطلاق الذى يملك فيه الرجعة مرتان فانه بعد الطلقة الثالثة لا يملك الرجعة وفى الاية ما يدل على هذا القول لان الله تعالى عقبه بقوله تعالى فامساك بمعروف وعن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالاية بيان طلاق السنة وقوله تعالى الطلاق مرتان لفظه لفظ الخبر ومعناه الامر والندب كما قال النبى صلى الله عليه وسلم صلوة الليل مثنى مثنى وتشهد فى كل ركعتين وخشوع وفى لفظ المرتين دليل ان التفريق سنة لان من طلق اثنتين معا لا يقال طلقها مرتين وليس فى هذه الاية كيفية سنة التفريق وقد فسره الله سبحانه بقوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واراد بذلك والله تعالى اعلم تفريق الطلاق على اطهار العدة الا ترى انه تعالى خاطب الرجال باحصاء العدة وذكر الرجعة فى سياق الاية بقوله تعالى لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وعلى هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر حين طلق امراته فى حال الحيض ما هكذا امرك ربك انما امرك ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة فانها هى العدة التى امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وفى بعض الروايات قال النبى صلى الله عليه وسلم انما طلاق العدة ان تطلقها طاهرا من غير جماع او حاملا قد استبان حملها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعمر رضى الله مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر ثم ان شاء امسك بعد ذلك وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة امر الله تعالى ان يطلق لها النساء واما معنى قوله تعالى فامساك بمعروف اى عليكم امساكهن بحسن الصحبة والمعاشرة اذا اردتم الرجعة او تسريح باحسان او تركهن حتى ينقضى تمام اجلهن ويكن املك بانفسهن والاحسان ان يوفى حقها من المهر ونفقة العدة وان لا يطول العدة عليها لا لقصد رجعتها لكن ليطلقها اخرى فتلزمها عدة مستانفة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية فقيل له اين التطليقة الثالثة قال النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى او تسريح باحسان واما قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى جميلة بنت عبد الله بن ابى بن سلول وفى زوجها ثابت بن قيس كانت تبغضه بغضا شديدا لا تقدر على النظر اليه وكان يحبها حبا شديدا لا يكاد يصبر عنها وكان بينهما كلام فاتت اباها فشكت اليه زوجها وقالت الله يفرق بينى وبينه فقال لها ارجعى الى زوجك فاتته الثانية وبها اثر الضرب فشكت اليه فقال لها ارجعى الى زوجك فلما رات ان اباها لا يشكيها ولا ينظر فى امرها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وارته اثارا بها من ضربه فقالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال يا ثابت ما لك ولاهلك قال والذى بعثك بالحق ما على الارض شىء احب الى منها غيرك لكنها لا تطيعنى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما كنت احدثك اليوم حديثا ينزل عليك خلافه غدا هو من اكرم الناس لزوجته لا اعتب عليه فى دين ولا خلق ولكنى ابغضه فلا انا ولا هو فقال ثابت قد اعطيتها حديقة لى قل لها فلترد ها على وانا اخلى سبيلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها اتردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم وزيادة فانزل الله تعالى

ولا يحل لكم

ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الاية فقال صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان ذلك اول خلع فى الاسلام ومعنى الاية ولا يحل لكم ان تاخذوا شيئا مما اتيتموهن من المهر ولا غيره الا ان يخافا قال ابو عبيدة معناه يعلما ويوقنا حقيقة الا ان يكون الاغلب عليهما على ما ظهر لهما من اسباب التباعد الخوف من ان لا يقيما حدود ومن قرا يخافا على فعل ما لم يسم فاعله كان المعنى الا ان يخافا عليهما الا يقيما حدود الله وهو ما فرض الله تعالى للزوج على المراة وللمراة على الزوج وقد يذكر الخوف فى معنى العلم كما قال ابو محجن الثقفى شعر

اذا مت فادفنى الى اصل كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فاننى ... اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها

واما قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله اى علمتم بغالب ظنكم ان لا يكون بينهما صلاح فى المقام على النكاح فلا جناح عليهما فيما افتدت به اى لا حرج عليهما فى الاخذ والاعطاء ويقال معناه لا حرج على الزوج ان ياخذ ما افتدت به المراة نفسها مما اعطاه الزوج قال الفراء هذا كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج ذلك من احدهما كذلك فى هذه الاية اراد بقوله تعالى فلا جناح عليهما نفى الحرج عن الزوج فى الاخذ فاما المراة فهى مفتدية باختيارها ورضاها وانما يباح للزوج ان يخلعها اذا كان النشوز من قبل المراة روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لو اختلعت بكل شىء لها لاجزته وروى ان امراة نشزت فرفعت الى عمر رضى الله عنه فاباتها فى بيت الزبل ثلث ليال ثم دعى بها فقال رضى الله عنه كيف وجدت مبيتك فقالت ما بت ليالى منذ كنت عنده اقر لعينى منهن فقال رضى الله عنه لزوجها اخلعها ولو من قرطها ونحن نقول بهذين الخبرين فى جواز الزيادة فى القضاء فاما من طريق الديانة فيكره للزوج ان ياخذ منها اكثر مما اعطاها لقول النبى صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا واما اذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له اخذ شىء منها ديانة لان الله تعالى قال وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منهن شيئا ومعنى قوله تعالى تلك حدود الله اى هذه الايات المنزلات من الاوامر والنواهى فرايضه واحكامه فلا تعتدوها ولا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله اى يتجاوز احكام الله تعالى فيترك ما امره الله تعالى به او يفعل ما نهاه فاولئك هم الظالمون الضارون لانفسهم بمعصيتهم والطلاق مصدر من طلقت المراة تطلق وقد يقال طلقت بضم اللام الا ان الاول افصح لانه يقال للمراة طالق ولا يقال لها طليق وسمى النجد الذى ترتفع بقرب اهلها كالمهلة طالقا والتسريح فى اللغة هو الاطلاق يقال سرحت البعير اسرحه تسريحا اذا اطلقته وسرحت الماشية اسرحها اذا اطلقتها حتى ترعى وسرحت الماشية بنفسها تسرح سروحا اذا انطلقت بنفسها المرعى ويسمى المشط مسرحا لانه يطلق الشعر وفى الاية دلالة جواز الرجعة بالفعل على ما هو المذهب عند اصحابنا رحمهم الله لان ظاهر الامساك والرد فى اللغة يتناول الفعل الا ان الاجماع قد انعقد على جواز الرجعة بالقول ايضا وقد اختلف السلف فى الخلع انه طلاق او فسخ ذهب بعض اهل العلم الى انه فسخ وهى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما واستدلوا بظاهر هذه الاية فقالوا ان الله تعالى ذكر الطلاق الثالث بعد هذه بقوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فلو كان الخلع طلاقا لحصل الطلاق اكثر من ثلث فاما اكثر فقهاء الامصار رحمهم الله قالوا ان الخلع طلاق وهو قول عمر وعثمن وعبد الله بن مسعود والحسن وابرهيم النخعى وغيرهم رضى الله عنهم اجمعين وليس فى ظاهر هذه الاية دليل ان الخلع فسخ لان قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا حكم مبتدا اذ الواو للاستيناف الا انه يقوم دليل الجمع فكان الله تعالى ذكر فى اول هذه الاية حكم الطلاقين بغير بدل وخير الزوج بين ان يراجعها فى العدة الى النكاح الاول حتى تنقضى عدتها ثم استانف بيان حكم الطلاقين اذا كانا على وجه الخلع وابان

عن موضع الحظر والاباحة فيها ثم ذكر حكم التطليقة الثالثة بالاية التي بعد هذه الاية وهذا مما يستدل به على ان المختلعة يلحقها الطلاق لان عامة فقهاء الامصار اتفقوا على ان تقدير الاية و ترتيب احكامها على ما وصفناه فحصلت التطليقة الثالثة بعد الخلع والله تعالى اعلم قوله عز وجل **فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** المعنى والله تعالى اعلم الطلقة الثالثة التي في قوله تعالى او تسريح باحسان فلا تحل له من بعد الطلقة الثالثة حتى يتزوج زوجا غير الزوج الاول ويدخل بها ويطلقها اذ لا خلاف بين اهل العلم ان دخول الزوج الثاني بها شرط في اباحتها للزوج الاول الا ما روي عن سعيد بن المسيب رحمه الله رواية شاذة انه لم يجعله شرطا ولم يتابعه احد على ذلك وانما جعل دخول الزوج الثاني شرطا لمفهوم الاية وورود السنة اما مفهوم الاية فلان الله تعالى قال حتى تنكح زوجا غيره والنكاح هو الوطء في الحقيقة وذكر الزوج يفيد العقد لاستحالة ان يكون زوجا من غير عقد وكان قوله تعالى حتى تنكح كناية مفهمة مغنية عن التصريح واما السنة فما روي ان رفاعة القرظي طلق امراته ثلثا فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تريد ان ترجع الى زوجها الاول فقال صلى الله عليه وسلم هل جامعك عبد الرحمن فقالت ما الذي معه الا كهدبة ثوبي هذا فقال صلى الله عليه وسلم افتريدين ان ترجعي الى زوجك الاول قالت نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوق من عسيلته ويذوق من عسيلتك فندمت على مقالتها فقالت يا رسول الله قد اطاف بي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اصدقك الان **واما** قوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره فهو غاية للتحريم الموقع بالثالثة واذا وطيها الزوج الثاني ارتفع ذلك التحريم من حيث انها تحت زوج كسائر النساء الاجنبيات فمتى فارقها الثاني وانقضت عدتها حلت للاول وذلك قوله تعالى فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا اي ان طلقها الزوج الثاني بعد ما دخل بها فلا حرج على المراة والزوج الاول ان يتراجعا بان يتزوجها مرة اخرى بعد انقضاء العدة **و**قوله تعالى ان ظنا ان يقيما حدود الله اي يتراجعا ان علما بغالب ظنهما انهما يقيمان حدود الله تعالى فيما بينهما لانهما قد افترقا ورأى الزوج وحدته ورأت المراة عزبتها ووحشتها والحكمة في شرط دخول الزوج الثاني بها والله اعلم ان الطلاق لما كان من ابغض المباحات الى الله عز وجل على ما ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض المباحات الى الله عز وجل الطلاق شرط الله تعالى في حرمة الطلقة الثالثة ما يكبر على الازواج من غشيان الغير تلك النساء حتى لا يعجلوا بالطلاق عند الغضب ولا يطلقوا الا على وجه السنة **وذهب** بعض المفسرين الى ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون النساء بغير عدد ويراجعوهن بغير عدد فجعل الله تعالى الطلاق محصورا والرجعة معدودة **واما** قوله تعالى وتلك حدود الله اي هذه التي ذكرت احكام الله تعالى وقرأ يضد بينها في القران ويقرأ نبينها بالنون لقوم يعلمون ان اوامر الله تعالى وان ما ياتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وتخصيص العلماء في الاية لانهم هم الذين يحفظون اوامر الله تعالى واحكامه وينتفعون بالايات وقيل خصهم الله تعالى بالذكر على جهة النباهة لهم كما خص الله تعالى جبريل وميكائيل من بين الملائكة على جهة النباهة لهما **وقد اتفق السلف و**من بعدهم من فقهاء الامصار على الزوجين المملوكين خارجان من قوله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف **واتفقوا على ان الرق** يوجب نقصان الطلاق وان العبد اذا طلق زوجته الامة تطليقتين لم تحل له الا بعد زوج اخر فاما اذا كان احد الزوجين حرا والاخر مملوكا فقال اصحابنا رحمهم الله اعتبار عدد الطلاق بالنساء وهو قول علي وابن مسعود قالوا اذا كانت المراة حرة فطلاقها ثلث سوا

كان

كان زوجها حرا او عبدا وان كانت امة فطلاقها ثنتان سوا كان زوجها حرا او عبدا **وقال** عثمن وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس اعتبار عدد الطلاق بالرجال وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله **وقد** روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ويدل على ذلك ما تقدم ذكره ان الاعتبار في تفريق الطلاق المسنون باطهار العدة واذا كانت المراة امة ولا خلاف ان عدتها حيضتان ولو جعلنا الطلاق بالزوج وهو حر لم يمكنه تفريق الثلث على اطهار عدتها لان عدتها تنقضي قبل وجود الطهر الثالث قوله عز وجل **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** نزلت في ثابت بن يسار الانصاري طلق امراته فلما ارادت ان تبين منه راجعها ثم طلقها فما زال يضارها بالطلاق ويراجعها ليمنعها من الازواج **ومعنى** الاية والله تعالى اعلم واذا طلقتم النساء تطليقة او تطليقتين فبلغن اجلهن اي قاربن وقت انقضاء عدتهن فامسكوهن بمعروف اي احبسوهن بالرجعة على حسن الصحبة لا لتطويل العدة او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن بمعروف حتى تنقضي تمام اجلهن ويكن املك بانفسهن ولا تمسكوهن ضرارا اي لا تحبسوهن في العدة اضرارا ولا حاجة لكم اليهن كما كان الرجل يطلقها ثم يدعها حتى اذا حاضت ثلثا راجعها ثم يطلقها اخرى ثم يذرها حتى تحيض ثلثا ثم يراجعها ثم يطلقها الثالثة ثم يذرها حتى تحيض ثلثا يمنعها عن التزوج الى انقضاء تسع حيض **ومعنى** لتعتدوا عليهن اي تظلموهن وقيل لتستوفوا العدة عليهن كما قال الله تعالى في اية اخرى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اي تستوفونها وهذا كما يقال اتزنت الحق واكتلت الحق اذا استوفاه بالوزن او الكيل **و**قوله تعالى ومن يفعل ذلك يمسكها للضرار فقد ظلم نفسه اي عرضها للعذاب الله تعالى باتيان ما نهى الله تعالى عنه **ومعنى** ولا تتخذوا ايات الله هزوا اي لا تتركوا ما حد الله تعالى لكم في امر الطلاق وغير ذلك فتكونوا مقصرين لاعبين وهذا كما يقول الرجل الذي يتوانى في امر كانما انت لاعب **وعن** ابي الدرداء وابي موسى الاشعري والحسن رضي الله عنهم قالوا كان الرجل يطلق امراته او يعتق عبده ثم يقول انما كنت لاعبا فانزل الله تعالى هذه الاية ولا تتخذوا ايات الله هزوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلق لاعبا او اعتق لاعبا فقد جاز عليه اي نفذ عليه وحكم الرجعة في هذا حكم الطلاق والعتاق لان الله تعالى ذكر قوله ولا تتخذوا ايات الله هزوا عقيب الامساك او التسريح فهو عايد اليهما ومما يوكد هذا التاويل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق **وفي** بعض الروايات الطلاق والنكاح والرجعة **ومعنى** واذكروا نعمة الله عليكم احفظوا منة الله تعالى عليكم في امر الدين **و**قوله تعالى وما انزل عليكم من الكتاب اي اذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب اي القران والحكمة وهي فقه الحلال والحرام يعظكم به ينهاكم عن الضرار وساير المعاصي **و**قوله تعالى واتقوا الله اي اخشوه فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله بكل شيء من اعمالكم من العدل والجور عليم عالم يجزيكم على الخير والشر **والاجل** في اللغة هو غاية الوقت الموقت لحلول الدين وغير ذلك يقال اجل ياجل اجلا اذا تاخر واجل يوجل تاجيلا اذا اخر من غيره وانما حمل قوله تعالى في هذه الاية فبلغن اجلهن على مقاربة انقضاء العدة لان الله تعالى خص الرجعة في الايات المتقدمة بحال العدة حيث قال جل ذكره وبعولتهن احق بردهن في ذلك فلا يمكن حمل قوله تعالى فبلغن اجلهن على انقضاء العدة لان العدة اذا انقضت لم يمكن

رجعتها وهذا كما يقول القايل بلغنا المدينة وبلغنا القرية اذا قرب منها ونظير ذلك قول الله تعالى فاذا قرات
القران فاستعذ بالله اى اذا اردت قراة القران وكذلك قوله تعالى واذا قلتم فاعدلوا ليس المراد به العدل
بعد القول ولكنه العزم قبل القول على ان لا يقولوا الا عدلا ومن الناس من يحتج بقوله تعالى فامساك
بمعروف او تسريح باحسان في ايجاب الفرقة بين المعسر العاجز عن النفقة وبين امراته لان الله عز وجل
انما خيرهم بين احد شيين فاذا عجز عن احدهما تعين عليه الثاني وهذا الاحتجاج بعيد من الاية لان
العاجز عن نفقة المراة ممسك بالمعروف اذ لم يكلف الانفاق في هذه الحالة قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها وغير جايز ان يقال ان المعسر ممسك بالمعروف اذ ترك
الامساك بالمعروف ذم والعاجز غير مذموم ولو كان مذموما لكان اصحاب الصفة وفقرا الصحابة
الذين عجزوا عن الانفاق على انفسهم فضلا عن نسايهم غير ممسكين بالمعروف فيجب ان يستحقوا الذم
على ذلك وهذا محال من القول وفي الاية دليل ثبوت حكم الرجعة وان قصد الزوج اضرارها بالرجعة
لان الله تعالى سمى فاعل ذلك ظالما لنفسه ولو لم يثبت الرجعة بفعله لما كان بها ظالما لنفسه قوله عز وجل
وَاِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ اَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ اَنْ يَنْكِحْنَ اَزْوَاجَهُنَّ اِذَا تَرَاضَوْا
بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ذَلِكُمْ اَزْكَى
لَكُمْ وَاَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ روى عن الحسن وقتادة انهما قالا نزلت هذه الاية
في معقل بن يسار كانت اخته تحت ابى البداح عبيد الله بن عاصم فطلقها تطليقة واحدة ثم
تركها حتى انقضت عدتها ثم ندم على طلاقه اياها فخطبها فرضيت المراة بذلك ان تراجعه
وابى اخوها معقل وقال لها انى اخترته على اشراف قومى فطلقك ثم تريدين ان تراجعيه
وجهى من وجهك حرام ابدا ان تزوجيه فانزل الله تعالى هذه الاية ينهى معقلا عما صنع و
معنى الاية والله تعالى اعلم واذا طلقتم النسا واحدة او اثنتين فبلغن اجلهن يعنى انقضت
عدتهن واراد ببلوغ الاجل في هذه الاية حقيقة البلوغ بانقضا العدة فلا تعضلوهن اى لا تمنعوهن
ان ينكحن ازواجهن الذين كانوا ازواجا لهن من قبل وقيل من رضين بهم ازواجا لهن
وقوله تعالى اذا تراضوا بينهم بالمعروف اى اذا تراضوا بنكاح جديد ومهر وشهود مما لا يكون
مستنكرا في عقل ولا عادة ولا خلق وقوله تعالى ذلك يوعظ به اى ذلك الذى ذكرنا النهى عن العضل
يوعظ به من كان منكم يصدق بالله وبيوم البعث ذلكم ازكى لكم يعنى ان لا تمنعوها خير لكم وادخل
في التزكية من المنع لهن واطهر من الذنب والله يعلم حب كل واحد منهما لصاحبه وانتم لا تعلمون
ذلك ويقال يعلم ما لكم فيه الصلاح في العاجل والاجل ويعلم ما يزكيكم مما يرديكم وانتم لا تعلمون
ذلك فلما نزلت هذه الاية دعا النبى صلى الله عليه وسلم معقلا فقرا الاية عليه وقال ان كنت تومن
بالله واليوم الاخر فلا تمنع اختك من ابى البداح فقال انى مومن بالله واليوم الاخر واشهدك
انى قد انكحته والعضل في اللغة معنيان احدهما المنع يقال عضل الرجل المراة يعضلها
ويعضلها اذا منعها عن الازواج ظلما واعضل الداء الاطبا اذا اعياهم عن معالجته ويقال دا
عضال ومسئلة معضلة والاخر التضييق يقال عضل الفضا بالجيش اذا ضاق بهم وعضلت
المراة بولدها اذا عسر خروجه من بطنها وعضلت الدجاجة اذا احتبس الفرخ في بيضتها
فلم يخرج والمعنيان متقاربان لان الامر الممتنع يتضيق فعله وعن الشعبى رحمه الله انه سيل
عن مسئلة مشكلة فقال زباء ذات وبر لا تنساق ولا تنقاد لو نزلت باصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم لاعضلت بهم وانما جعل الله تعالى الامتناع من العضل ازكى لنا من العضل لان العضل

هامش: عليه رزقه

هامش: اسم اخته جمل وقيل جميلة

هامش: هن ر

ربما يودى الى ارتكاب المحظور على غير وجه العقد ومعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم من
ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وفي الاية دلالة جواز
نكاح المراة على نفسها اذا عقدت بغير اذن الولى لان الله تعالى اضاف العقد اليها ونهى الولى عن
عضلها اذا تراضى الزوجان بالمعروف ويدل على ذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يتراجعا وقوله تعالى
فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف فان قيل كيف قال الله تعالى ذلك يوعظ به ولم يقل ذلكم
مع كونه خطابا للجماعة قيل قد اختلفوا في ذلك قال بعضهم هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى
يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وقال بعضهم ذلك راجع الى القبيل كانه قال ذلك ايها القبيل او الحزب ويجوز
ان يراد ذلكم في مثل هذه المخاطبات على هذا الطريق ويجوز جمعهم على اصل الكلام ويجوز ان يثنى في
التثنية نحو قوله تعالى ذلكما مما علمنى ربى وقال جل ذكره قالت فذلكن الذى لمتننى فيه فكان جمع الخطاب
في قوله تعالى ذلكم ازكى لكم على اصل الكلام قوله عز وجل وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ اِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ
وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَاِنْ اَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا وَاِنْ اَرَدْتُمْ اَنْ تَسْتَرْضِعُوا اَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِذَا سَلَّمْتُمْ مَا اٰتَيْتُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا اَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اول هذه الاية على لفظ الخبر و
معناه الامر كانه قال ليرضع الوالدات كما قال الله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ويقال حسبك
درهم يراد به اكتف بدرهم يدل على ذلك انه لو كان قوله والوالدات يرضعن خبرا لما وجد مخبره
على خلاف ما اخبر الله تعالى فلما كان من الوالدات من لا يرضع علمنا انه لم يرد به الخبر فكان هذا
محمولا في حال قيام النكاح على الاوامر الواجبة من طريق الدين لا من جهة الحكم فانها اذا امتنعت
من الرضاع لم يكن للزوج ان يجبرها على ذلك من حيث الحكم وان ارضعت لم يستحق نفقة الارضاع
مع بقاء الزوجية ولا يجتمع لها نفقتان احداهما للزوجية والاخرى للارضاع وقال بعض
المفسرين في الاية اثبات حق الرضاع للام وبيان مدة الرضاع المستحق على الوالد فان الوالد
لو امتنع من الرضاع في الحولين اجبر عليه كما قال الله تعالى في اية المطلقات فان ارضعن لكم فاتوهن
اجورهن وقال جل ذكره وان تعاسرتم فسترضع له اخرى قال بعضهم هذا بيان مدة الرضاع
الموجب للحرمة وهذا لا يصح لان الاية وردت في ارضاع الوالدة ولدها وارضاع الوالدة لا
يوجب الحرمة فان الحرمة انما تثبت بين الوالدة والولد بالعلوق لا بالرضاع فان قيل كيف
قال الله تعالى حولين كاملين والحولان لا يكونان الا كاملين قيل لازالة الابهام فان الانسان
قد يقول اقمت عند فلان سنتين اذا كان قريبا من سنتين وسرت شهرا اذا كان قريبا من شهر و
قوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة اى لمن اراد من الاباء ان يتم الرضاعة المفروضة عليه وقوله
تعالى وعلى المولود له رزقهن يعنى على الاب نفقتهن وكسوتهن بالمعروف كما يعرف انه العدل
يكون ذلك اجرة لهن على الرضاع اذا كان ارضاع الولد بعد الفراق وقوله تعالى لا تكلف نفس الا
وسعها اى لا يجبر الاب على النفقة والكسوة الا مقدار طاقته قال الثورى والضحاك هذا في المطلقات
دون الزوجات لان الله تعالى قابل هذه النفقة بالارضاع ونفقة الزوجة لا تجب بالارضاع وانما
تجب بسبب الزوجية وقوله تعالى لا تضار والدة بولدها قال ابن عباس لا ينتزع منها ولدها ويعطى
غيرها بمثل الاجر الذى تقبل الام الولد به وقوله تعالى ولا مولود له بولده قال لا تطرح المراة الولد

هامش: الارضاع

هامش: للرضاع ع

هامش: هن

الى الاب بعد ما عرفها ولا يقبل ثدى غيرها وهذا التاويل ظاهر على قراة الرفع لا تضار على فعل ما لم يسم
فاعله واصله لا تضارَرُ فاما على قراة النصب لا تضارّ فيجوز انه كان في الاصل لا تضارِرْ فاسقطت
النون من اخره وبقيت حركة الراء دليلا على سقوط النون وجعل الزجاج رحمه الله قوله تعالى
لا تضارَّ بالنصب نهياً للوالدة عن الاضرار بالولد و قوله تعالى ولا مولود له بولده نهياً للوالد عن
الاضرار بولده وقال معنى الاية لا تتركوا الوالدة ارضاع ولدها غيظا على ابيه فيضر بالولد لان
الوالدة اشفق على ولدها من الاجنبية ولا ياخذ الاب الولد من امه قصداً للاضرار بها فيضر بولده
او لا يعطيها الاجرة فيضر بولده قال رحمه الله وموضع لا تضار جزم على النهى اصله لا تضارر
فادغمت الراء الاولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين لانها لما ادغمت سكنت والاصل عند
التقاء الساكنين الفتحة فيما كان قبله الف او فتحة ويجوز ان تكون قراة الرفع على هذا التاويل الذى
ذكره الزجاج على لفظ الخبر عن فعل المراة ومعناه النهى و قوله تعالى وعلى الوارث مثل ذلك يعنى
على وارث الولد اذا لم يكن للولد اب مثل ما على الاب من النفقة والكسوة وترك الضرار قال
عمر والحسن انه على العصبات دون اصحاب الفرايض وقال قتادة انه على الوارث من العصبات
واصحاب الفرايض جميعا على كل واحد منهم بمقدار نصيبه من الميراث الا انه لم يشترط ان يكون
الوارث ذا رحم محرم من الولد وقد شرط اصحابنا رحمهم الله ذلك و قوله تعالى فان ارادا فصالا
عن تراض منهما وتشاور اى ان اراد الابوان فطام الصبى من اللبن دون الحولين بتراضيهما
ومشاورتهما فلا اثم عليهما في ذلك وعن ابن عباس ان معناه ان ارادا فصالا قبل الحولين او
بعدهما بتراضيهما فلا جناح عليهما فان تشاقا رجعا الى الحولين و قوله تعالى وان اردتم يعنى
الاباء والامهات ان تسترضعوا اولادكم غير الوالدة فلا اثم عليكم و قوله تعالى اذا سلمتم ما اتيتم
بالمعروف يعنى اذا كان تسليمكم ما اعطيتم من اجرة الرضاع على ما تراضيتم به وقيل معنى اذا سلمتم
اى اذا سلمتم ما اعطاه بعضكم لبعض من التراضى بذلك ومن قرا ما اتيتم بالقصر فمعناه ما جيتم وقيل
في معنى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى ان اردتم ان تسترضعوا بعد الحولين بعلمكم ان
الولد لا يصبر عن اللبن فلا جناح عليكم و قوله تعالى واتقوا الله اى اخشوه في الضرار ومخالفة
امر الله تعالى واعلموا ان الله بما تعملون من العدل والجور في اولادكم و نسايكم بصير عالم يجزيكم
به والتكليف في اللغة هو الحمل على الغير على وجه المشقة وهو ماخوذ من الكلف الذى يكون في
الوجه وهو الاثر سمى به لكلافة المكلف بظهر عليه اثر المشقة والوسع الطاقة ماخوذ من سعة
الطريق الى العرض فان سعة الطريق عكس من عرض الطريق كذلك الوسع ما اتسع للانسان
فيطيقه والطاقة تمكن فيما يطيقه الانسان وانما سمى الفطام فصالا لانفصال المولود من الاغتذا
بثدى امه الى غيره ذكره من الاقوات واصل الفصل القطع والتفريق والتبصير تفعيل من البصارة يقال
بصر بالشى اذا علمه وابصره بعينه اذا راه والتشاور من المشاورة وهى استخراج الراى بالراى
من قوله شرت العسل اشوره شورا او اشرته اشارة و قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن
دلالة ان الام احق بامساك الولد ما دام صغيرا وان استغنى عن الرضاع بعد ان يكون ممن يحتاج الى
الحضانة ولهذا قالوا ان الام اذا لم تختر ان ترضع الولد بعد الطلاق واختارت ان يكون الولد
عندها من الزوج ان يستاجر ظيرا لترضعه في بيت ام الرضيع واما تاويل ذكر الحولين في مدة الرضاع
محمول على قول ابى حنيفة رحمه الله على بيان مقدار استحقاق نفقة الرضاع وفى الاية ما يدل
على ذكره على حسب ما تقدم ذكره فاما اكثر مدة الرضاع في ثبوت حكم الحرمة ثلثون شهرا على ظاهر

وعن

وعن عكرمة عن عبد الله بن عباس انه كان يقول في قوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا في هذه
الاية اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان الله تعالى قال في اية اخرى وفصاله في عامين وكان يقول
اذا كان الحمل لستة اشهر كانت مدة الرضاع سنتين واذا كان الحمل تسعة اشهر كان مدة الرضاع سنة
وتسعة اشهر وعلى هذا مهما زاد في الحمل شهر نقص من الرضاع بازايه وهذا يقتضى ان الحمل اذا بلغ
سنتين ان المراة لا ترضع ولدها الا ستة اشهر وكان ابو حنيفة رحمه الله يحمل قوله تعالى وحمله
وفصاله ثلثون شهرا على ذكر الحمل على الايدى مع بيان اكثر مدة الرضاع والله تعالى اعلم وفى ايجاب
نفقة الرضاع على الاب دلالة وجوب نفقة الاولاد الصغار والكبار من الاناث والرجال الزمنى
على الاب و قوله تعالى رزقهن وكسوتهن بالمعروف يقتضى وجوب النفقة على مقدار الكفاية مع اعتبار
حال الزوج في العسر واليسر اذ ليس من المعروف الزام المعسر اكثر مما يقدر عليه وفيه دلالة على جواز
استيجار الظير بطعامها وكسوتها فان قيل كيف يجب نفقة الرضاع عندكم بعد موت الاب على
قدر الميراث وقد قلتم ان الصبى اذا كان له خال وابن عم كانت النفقة على الخال والميراث لابن
العم قلنا ليس المراد بالاية حصول الميراث لان الميراث لا يكون في حالة الحيوة وبعد الموت لا يدرى
من يرثه وجايز ان يحدث له من الورثة من يحجب من اوجبنا عليه النفقة وكان المراد بالاية والله
اعلم ذا رحم محرم من اهل الميراث فان ايجاب هذه النفقة على طريق صلة الرحم وابن العم ليس بذى
رحم محرم والخال وان يكن وارثا في هذه الحالة فهو من اهل الميراث وهو ذو رحم محرم قوله عز و
جل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف
والله بما تعملون خبير روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما في معنى هذه الاية
ان الذين يموتون منكم ويتركون نساء من بعدهم ينتظرن في عدتهن مضى اربعة اشهر وعشر
لا يتزوجن ولا يتزين في هذه المدة فاذا بلغن اجلهن يقول انقضت عدتهن فلا جناح عليكم
فيما فعلن اى لا حرج عليكم في تركهن بعد انقضا هذه المدة ليتزين بزينة لا ينكر مثلها ويتزوجن
من الاكفاء ويفعلن كل معروف والله بما تعملون من الخير والشر خبير عالم يجزيكم به فان قيل
الذين اسم موصول ويتوفون ويذرون من صلته وجملته مبتدا ويتربصن فعل الازواج لا فعل
الذين ولا فيه ضمير عايد الى الذين فبقى المبتدا بلا خبر والمبتدا لا يخلو من خبر اسما كان او فعلا و
ليس من ذلك هاهنا شى قيل له قال ابو العباس الزجاج في الاية ضمير وتقديره ازواجهم يتربصن
لان الفعل يدل على الفاعل وقال الاخفش تقديره يتربصن من بعدهم اربعة اشهر حتى يكون
الضمير عايدا الى الذين وذكر الزجاج ان النون في قوله يتربصن قايم مقام الازواج كناية عنها
لا محالة فصار كالتصريح وهذا كما يقال الذى يموت ويخلف ابنتين يرثان الثلثين معناه يرث ابنتاه
الثلثين وظاهر لفظ العشر يتناول الليالى الا ترى انه يقال للايام عشرة ايام وانما غلب لفظ
التانيث في الاية فقيل عشر لان العرب تقدم الليل على النهار ويعدون اول كل شهر من
الليلة الا ترى انهم يجعلون التراويح اذا راوا الهلال هلال رمضان ويدعونها اذا راوا هلال
شوال ومن عادتهم انهم اذا ذكروا احد العددين على سبيل الجمع ارادوا مثله من العدد الاخر
كما قال الله تعالى في قصة زكريا عليه السلام قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا وقال في موضع
اخر ثلث ليال سويا والقصة واحدة فعبر تارة بالايام عن الليالى وتارة بالليالى عن الايام
والحكمة في تقدير عدة الوفاة باربعة اشهر وعشر ما روى عن عبد الله بن مسعود انه قال

يجمع خلق احدكم في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم اربعين يوما علقة ثم اربعين يوما مضغة
ثم ينفخ فيه الروح في عشرة ايام فيكتب اجله ورزقه وانه شقي او سعيد فيجوز ان الله تعالى قدر
هذه المدة في عدة الوفاة ليظهر انها حامل او حايل واختلف في ان الحامل داخلة تحت هذه الاية اولا قال
عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابو هريرة رضي الله عنهم ان الحامل تخرج من العدة اذا
وضعت حملها وان كان زوجها على السرير حتى قال عبد الله بن مسعود من شاء باهلته ان قوله تعالى
واولات الاحمال اجلهن نزل بعد قوله تعالى اربعة اشهر وعشرا وقال علي كرم الله وجهه عدة الحامل
المتوفى عنها زوجها تنقضي بابعد الاجلين وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن في المطلقة او المتوفى عنها زوجها قال
صلى الله عليه وسلم فيهما جميعا وروى ان سبيعة بنت الحرث وضعت حملها بعد موت زوجها
بايام فارادت ان تتزوج فمر بها ابو السنابل فقال اتريدين ان تتزوجي قالت نعم قال كلا انه اخر
الاجلين فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له فقال صلى الله عليه وسلم كذب ابو السنابل اذا اتاك [margin: من [illegible]]
فاعلميني واكثر السلف رحمهم الله على ان عدة المتوفى عنها زوجها باربعة اشهر وعشر من يوم يموت الزوج
فاما ما روى عن علي كرم الله وجهه انها تعتد من يوم ياتيها الخبر فمحمول على انه اذا اخفي عليها
وقت الموت كان الاحتياط ان تحسب عدتها من يوم ياتيها الخبر ويحتمل ان يكون المراد به انها
تجتنب ما تجتنبه المعتدة من الزينة والخروج من يوم علمت ولا خلاف بين الفقهاء رحمهم الله في
مدد العدة بالشهور واجل الايلاء والايمان والاجارات اذا عقد على الشهور مع رؤية الهلال
ان الاعتبار بالاهلة فاما اذا كان ابتدا المدة في بعض الشهر روى عن ابي حنيفة رحمه الله انه يحتسب
لكل شهر ثلثون يوما وروى عنه في رواية اخرى انه يحتسب بما بقي من الاهلة شهورا ويكمل من
الشهر الاخر ما بقي من الشهر الاول تتمة ثلثين يوما وهو قول ابي يوسف ومحمد رحمهما الله ومالك والشافعي
رحمهم الله واجمع اهل التفسير على ان هذه الاية ناسخة لقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج وان كانت هذه الاية متقدمة على تلك الاية في التلاوة
واجمع الفقهاء الا ابا بكر الاصم ان اربعة اشهر وعشرا عدة الحرة دون الامة وان عدة الامة تنقضي بشهرين
وخمسة ايام وكان ابو بكر الاصم رحمه الله يقول ان عدتهما جميعا تنقضي باربعة اشهر وعشر وان ولد الامة
انما ينفخ فيه الروح في الوقت الذي ينفخ فيه الروح في ولد الحرة فالجواب عن هذا ان يقال ان خبر عبد الله
مسعود من اخبار الاحاد لا يوجب حقيقة العلم ولما اجمعوا ان الرق ينصف عدة الاقراء وعدة الشهور
في الآيسة والصغيرة كذلك وجب ان ينصف عدة الوفاة قوله عز وجل ولا جناح عليكم فيما عرضتم
به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن
سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا
ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم روى عن عبد الله بن عباس
الله قال التعريض هو ان يقول الرجل للمعتدة اني اريد النكاح واحب المراة من صفتها كذا وكذا فيصفها
بالصفة التي عليها حتى تعلم رغبته فيها وقيل هو ان يقول لها الخاطب انك لتعجبيني وارجو ان يجمع
الله تعالى بيني وبينك او يقول يا ليت لي مثلك وان قضى الله امرا كان ومعنى الاية والله تعالى اعلم
لا حرج عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء اللواتي هن في عدة من موت او طلاق باين او ثلاث وقوله تعالى
او اكننتم في انفسكم او اضمرتم واخفيتم في قلوبكم العزم على النكاح علم الله انكم ستذكرونهن في العدة لرغبتكم
فيهن وخوفكم سبق غيركم اليهن ولكن لا تواعدوهن سرا اي لا تواعدها ايها الخاطب في السر ولا

تواثقها

ولا تواثقها الا تتزوج غيرك وقيل لا تواعدها في السر تصريحا وقيل ان المراد بالسر الجماع لانه لا
يكون الا في السر كانه قال لا ينعت الخاطب نفسه لها بما يرغبها في نفسه وقوله تعالى الا ان تقولوا
قولا معروفا معناه الا ان تعرضوا بالخطبة كناية من غير افصاح ومعنى قوله عز وجل ولا تعزموا
عقدة النكاح اي على عقدة النكاح لان العزم تقتضي معزوما عليه لكن حذف على التخفيف كما يقال
ضرب فلان الظهر والبطن اي على الظهر والبطن ومعنى حتى يبلغ الكتاب اجله حتى يبلغ فرض
الكتاب اجله اي حتى تنقضي العدة فان العدة فرض القران ويجوز ان يكون الكتاب نفسه في معنى
الفرض فيكون المعنى حتى يبلغ الفرض اجله كما قال الله تعالى كتب عليكم اي فرض عليكم وقوله تعالى
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم اي ما في قلوبكم من الوفاء وغير ذلك فاحذروه ان تخالفوه فيما امركم
به ونهاكم عنه واعلموا ان الله غفور لمن انتهى عنه حليم حين لا يعجل عليكم بالعقوبة والتعريض
في اللغة الايماء والتلويح والدلالة على الشيء من غير كشف ولا تبيين نحو ان يقول الرجل لغيره ما اقبح
البخل يعرض بالبخل بذلك والكناية هي الدلالة على الشيء مع العدول عن الاسم الاخص الى لفظ اخر
يدل عليه نحو ان يكني الرجل عن زيد فيقول لغيره ما اخل صديقك وما البخل الذي كنا عنده والخطبة
بكسر الخاء هي الكلام الذي يستدعى به الى النكاح والخطبة بالضمة هو الكلام المولف ضربا من التاليف اما
موعظة او دعا الى شيء وهما يتفقان في التعريف ويختلفان في المصدر واما الاكنان فهو الستر
تقول في كل شيء سترته اكننته وفيما تصونه كننته قال الله تعالى كانهن بيض مكنون اي مصون
وكل واحد من اللفظين قريب من الاخر والعقد في اللغة هو الشد يقال عقدت الحبل فاما عقد العهد
فهو تشبيه بعقد الخيط من التوثق وفي الاية دلالة ان التعريض بالقذف نحو ان يقول الرجل لست بزان
يعرض بغيره انه زان لا يكون حكمه حكم تصريح القذف لان الله تعالى اباح التعريض بخطبة
النكاح في العدة وحرم التصريح بذلك فيها قوله عز وجل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء
ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
متاعا بالمعروف حقا على المحسنين قال ابن عباس معناه لا حرج عليكم ان طلقتم النساء ما لم
تجامعوهن او تسموا لهن مهرا ومتعوهن يعني اللواتي طلقتموهن قبل المسيس والفرض على الغني بمقدار
غناه وعلى الفقير مقدار طاقته متاعا بالمعروف اي ما تعرفون انه القصد وقدر الامكان حقا على
المحسنين اي واجبا على المومنين فان قيل في اول هذه الاية اباحة الطلاق باحد الشرطين وهو
ان يكون قبل المسيس او بعد الفرض فيجب اذا طلقها بعد المسيس وقبل الفرض ان لا يحل قيل قد اختلف
الناس في معناه قال بعضهم معناه ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة وهذا كما يقال افعل كذا ما لم تاكل
او تشرب يراد بذلك ما لم ياكل وما لم يشرب وكذلك ما لم تضطجع او تقعد يعني ما لم تضطجع ولم تقعد
فيكون تقدير الاية لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ممن فرضتم لهن فريضة او لم
تفرضوا لهن فريضة لانه انما يعطف التي لم يفرض لها على التي فرض لها فيكون معنى الاية اباحة
الطلاق قبل المسيس في جميع الاحوال في حالة الطهر والحيض جميعا سوا كانت المراة قد فرض لها
المهر او لم يكن فرض لها المهر بخلاف الطلاق بعد المسيس فانه لا يباح في حالة الحيض وقال بعضهم
تقدير الاية ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة الا ترى ان الله تعالى عطف عليه قوله وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة ولو كان الاول بمعنى ما لم تمسوهن وقد فرضتم او لم تفرضوا
لما عطف عليها المفروض لها فدل على ان معناه ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة وقد يكون او
بمعنى الواو كما قال الله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا معناه ولا كفورا وكذلك قال الله تعالى وان

كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغايط والمعنى وجاء احد منكم من الغايط فيكون شرط وجوب المتعة
المعنيان جميعا وهما عدم المسيس وعدم التسمية وفايدة تخصيص الطلاق بما قبل المسيس والفرض انه
لما كان المهر والنكاح من حق الله تعالى حتى لا يجوز خلو النكاح عنه وكان الطلاق قبل المسيس يسقط المهر كله
كان من الجايز ان يتوهم متوهم ان الطلاق قبل المسيس لا يحل فازال الله تعالى هذا التوهم وبين ان الطلاق
قبل المسيس والفرض وان اسقط المهر كله مباح لوجود ما بعد المهر بعد الطلاق وهو المتعة والى هذا القول
الاخير ذهب اصحابنا رحمهم الله فلم يوجبوا المتعة الا للمطلقة التي لم يمسها زوجها ولم يفرض لها مهرا
وقد روي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الاية في المراة تهب نفسها لرجل ثم طلقها قبل المسيس ولا
مهر لها وعلى الزوج المتعة وقال لا يجتمع وجوب شيء من المهر مع المتعة قال واعلا المتعة خادم وثياب وورق
وادناها درع وخمار وملحفة وقد قال اصحابنا في قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره دليل
على ان حال الرجال معتبر في الفقر والغنى وفي قوله تعالى متاعا بالمعروف دليل على ان حال المراة
معتبر في الشرف والدناة لانا اذا اعتبرنا حال احدهما في ذلك ربما زاد الواجب على الزوج قبل الدخول
على الواجب عليه بعد الدخول وهذا لا يكون من المعروف ولهذا قالوا لا يجاوز بالمتعة نصف مهر المثل بغير
رضى الزوج وقد اختلف السلف في ان هذه المتعة هل يجبر عليها الزوج اولا قال شريح واهل المدينة
ان القاضي يامر الزوج به من دون ان يجبره عليه وكان شريح يقول للزوج ان كنت من المتقين
او من المحسنين فمتعها واما عندنا فان القاضي يجبر الزوج على المتعة للمراة التي طلقها قبل المسيس و
الفرض وقوله تعالى حقا على المحسنين تاكيد لايجاب السابق بقوله تعالى ومتعوهن وليس في الفاظ الايجاب
اكد من قولهم حقا عليه وفي قوله على المحسنين بيان انها من شروط الاسلام وعلى كل احد ان يكون محسنا كما قال
الله تعالى هدى للمتقين وهو هدى للناس كلهم وقيل انما خص المحسنين بالذكر تشريفا لهم لا لانه لا تجب على
غيرهم موصف المومنين بالاحسان لان الاحسان اكثر اخلاقهم وقوله تعالى متاعا نصب على المصدر من
قوله تعالى ومتعوهن وقوله تعالى حقا نصب على الحال من قوله تعالى بالمعروف وتقديره عرف حقا ويجوز ان
يكون نصبا على معنى حق ذلك عليهم حقا يقال حققت على فلان القضاء اي اوجبته وفي الاية دلالة جواز النكاح
بغير تسمية المهر لان الله تعالى حكم بصحة الطلاق مع عدم التسمية والطلاق لا يقع الا في نكاح صحيح
قوله عز وجل وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ
مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ معنى الاية والله تعالى اعلم
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي من قبل ان تجامعوهن وقد سميتم لهن مهرا فعليكم نصف ما
سميتم من المهر الا ان يتركن ما وجب لهن من الصداق بقول احداهن ما مسني ولا قربني فادع له المهر
واما قوله تعالى او يعفو الذي بيده عقدة النكاح ذهب اكثر المفسرين الى ان الذي بيده عقدة النكاح
هو الزوج وعفوه ان يترك لها جميع الصداق ولا يرجع عليها بشيء من المهر اذا كان اعطاها مهرها
وان لم يكن اعطاها فعفوه ان يتفضل عليها بان يتم لها جميع مهرها وقد يكون الصداق عبدا بعينه
او عوضا من العروض لا يمكن تمليكه بالاسقاط والابراء من واحد من الجانبين فيكون معنى العفو
في ذلك الفضل وفي الاية ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى في اخر الاية ولا تنسوا الفضل بينكم وانما ندب
الزوج الى تتميم الصداق لانه اذا تزوجها ثم طلقها فقد فعل ما يشينها فكان الافضل ان يعطيها
مهرها وذهب بعضهم الى ان الذي بيده عقدة النكاح هو ولي المراة حتى قال مالك رحمه الله
لابي البكر ان يسقط نصف الصداق عن الزوج بعد الطلاق قبل الدخول والصحيح هو القول الاول

لان

لان قوله تعالى عقدة النكاح يقتضي عقدة موجودة والزوج هو الذي يملك استدامة النكاح وحله
وهو الذي يملك العقد على نفسه من غير ولي يحتاج اليه وتكون عقدة النكاح في الحقيقة بيد الزوج
واما ولي المراة فلا يملك العقد عليها الا برضاها ولا يملك اسقاط ساير حقوقها واما قوله تعالى وان
تعفوا اقرب للتقوى فهو ندب لكل فريق من الزوج والمراة الى العفو كانه قال ايهما عفا عن صاحبه
فقد اخذ بالفضل وقوله تعالى اقرب للتقوى اي اقرب الى ان يتقي احدهما ظلم صاحبه فان من ترك حق نفسه
كان اقرب الى ان لا يظلم غيره بطلب ما ليس له ومن بذل النفل كان اقرب الى بذل الفرض ومعنى ولا
تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا الاحسان والانسانية فيما بينكم ان الله بما تعملون من الفضل والاحسان
بصير عالم يجزيكم به ونسيان الفضل هو الاستقصاء في استيفاء الحق على الكمال حتى لا يترك شيئا من حقه
على صاحبه وذهب بعضهم الى ان قوله تعالى وان تعفوا خطاب للازواج خاصة وظاهر هذه الاية يقتضي
ان الزوج اذا كان سمى لها مهرا بعد عقد النكاح ثم طلقها ان المسمى يتنصف بالطلاق واليه ذهب
مالك والشافعي وهو قول ابي يوسف الاول ثم رجع هو الى قول ابي حنيفة ومحمد فكان المراد بهذه الاية على
قولهم ان يكون الفرض في نفس العقد لان التسمية بعد تمام عقد النكاح تقرير لمهر المثل او بدل عنه
فيسقط بالطلاق قبل الدخول وتجب المتعة والله تعالى اعلم وقد ذهب اصحابنا رحمهم الله في هذه
الاية الى ان المراد بقوله تعالى من قبل ان تمسوهن نفي المسيس او ما يقوم مقامه فانه اذا خلا بها خلوة صحيحة
وهو ان لا يكون احدهما محرما ولا مريضا ولا صايما صوم فرض ولا تكون المراة حايضا ولا رتقا ثم طلقها وجب
لها المهر كله وان لم يدخل بها كما روي عن زرارة بن اوفى انه قال اجمع الخلفاء الراشدون المهديون
ان من اغلق على امراته بابا وارخى حجابا ثم طلقها وجب لها الصداق كاملا وعليها العدة وفرق عمر
رضي الله عنه بين العنين وامراته واوجب عليه المهر وقال ما ذنبهن اذا جاء العجز من قبلكم و
لا يمتنع ان يقوم مقام المسيس ما هو مثله في الحكم كما قال الله تعالى فان طلقها فلا جناح عليهما ان
يتراجعا ومعلوم ان ما قام مقام الطلاق من ساير انواع الفرقة كان حكمه حكم الطلاق في اباحتها للزوج
الاول قوله عز وجل حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ
وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه جرى فيما تقدم ذكر التقوى حيث قال وان تعفوا اقرب للتقوى
والصلوة من التقوى ومعنى هذه الاية واظبوا وداوموا على الصلوات المفروضات في مواقيتها بشروطها
واما قوله تعالى والصلوة الوسطى فقد اختلفوا في هذه الصلوة قال امير المومنين علي وابن عباس
والحسن انها صلوة العصر وقال زيد بن ثابت انها صلوة الظهر وقال قبيصة بن ذؤيب انها
المغرب وقال جابر بن عبد الله انها صلوة الغداة فاما من قال انها العصر فانما سماها الوسطى لانها
بين صلوتي الليل وصلوتي النهار وانما خصها بالذكر لانها تقع في وقت اشتغال الناس بامور البيت
فخصها بالذكر لحث عليها واما من يقول الظهر فانما سماها الوسطى لانها تقع في وسط النهار وانما خصها
بالذكر لانها اول صلوة اوجبت على الناس واما من يقول انها صلوة المغرب لانها اوسط صلوة او
على الناس وقيل لانها وسط في اعداد الركعات لانها بين الثنتين والاربع وانما خصها بالذكر لانها
اول صلوة الليل التي يرغب الناس عن الصلوة فيه واما من يقول انها الفجر لانها تقع في وقت بين
الظلام والضيا وانما خصها بالذكر لانها صلوة مفردة من بين ساير الصلوات حتى لا يجمع بينها وبين
غيرها بوجه من الوجوه فاما ساير الصلوات فالظهر والعصر يجمعان في وقت الظهر بعرفات و
المغرب والعشا يجمعان في وقت العشا بالمزدلفة واي صلوة من هذه الصلوات كانت هي المراد
فان تخصيصها بالذكر يدل على فضيلتها او على تاكيد امرها كما دل تخصيص جبريل وميكايل عليهما السلام

من بين سائر الملئكة على فضلهما على غيرهما من الملئكة وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله قلوبهم وبطونهم نارا وعن
ابى يونس مولى عايشة قال امرتنى عايشة رضى الله عنها ان اكتب لها مصحفا فقالت اذا بلغت هذه الآية
فآذنى فلما بلغت آذنتها فاملت على حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة العصر وعن
حفصة رضى الله عنها انها قالت لكاتب مصحفها حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة العصر
كما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قوله تعالى وقوموا لله قانتين قال ابن عباس معناه قوموا
لله داعين والقنوت هو الدعاء فى الصلوة فى حال القيام وقال الحسن وهو احدى الروايتين عن ابن عباس
معناه قوموا لله طايعين وقال عبد الله بن مسعود معناه ساكتين كما روى عن زيد بن ارقم انه قال كنا نتكلم
فى الصلوة حتى نزلت هذه الآية وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقال مجاهد معناه
خاشعين فنهوا عن العبث والالتفات فى الصلوة وقيل معناه مطيلين للقيام كقوله تعالى يا مريم
اقنتى لربك والحفظ ضد النسيان والحافظ خلاف المضيع واصل الحفظ ضبط الشىء فى النفس ثم
حفظ العلم والادب ثم قد استعمل فى ضبط ما لا يكون فى النفس والاوسط هو الشىء بين الشيئين على جهة
الاعتدال قوله عز وجل فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم
تكونوا تعلمون يقول ان خفتم من العدو فلم يمكنكم ان تقوموا قانتين موفين حق الصلوة فصلوا
قياما على ارجلكم حيث ما توجهتم بالايماء اذا لم يمكنكم استقبال القبلة واقامة الركوع والسجود وقوله
تعالى او ركبانا اى اذا لم تستطيعوا النزول عن الدواب فصلوا ركبانا حيث توجهت بكم لا عذر لكم
فى ترك الصلوة فى حالة الخوف وكان الحسن رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى فرجالا ان معناه قايمين
او ماشيين وذهب اصحابنا رحمهم الله الى انهم لا يصلون وهم يقاتلون او يمشون لما روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه فاتته ثلاث صلوات يوم الخندق فقضاهن على الترتيب ولولا ان الاشتغال
بالقتال يفسدها لما ترك الايماء بها حال القيام ومعنى فاذا امنتم اى اذا امنتم من الخوف فصلوا لله تعالى
كما امركم قانتين مودين حقوق الصلوة وشرايطها وقوله تعالى ما لم تكونوا تعلمون معناه بعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون قبل التعليم والرجال جمع راجل مثل صاحب وصحاب وتاجر وتجار والركبان جمع راكب
مثل فارس وفرسان قوله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية
لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن
فى انفسهن من معروف والله عزيز حكيم قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه
الآية قبل نزول آية المواريث وقبل استقرار العدة وكانت المراة فى ابتداء الاسلام اذا
احتضر زوجها اوصى لها فى ماله بنفقة سنة من طعامها وشرابها وكسوتها وسكناها فان كانت
من اهل المدر سكنت بيت زوجها حتى يبنى لها بيتا وان كانت من اهل الوبر سكنت بيت زوجها
حتى تعمل بيتا فتحول اليه فان خرجت من بيت زوجها او تزوجت فلا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخت
الوصية باية المواريث وبقول النبى صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث ونسخ حكم الحول باعتبار اربعة
اشهر وعشر عدة الوفاة بقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا ومعنى هذه الآية والله تعالى اعلم والذين يتوفون منكم ويتركون نساء من
بعدهم فعليهم وصية لازواجهم ويقال كتب عليهم وصية قال بعضهم كتب الله تعالى عليهم ان يوصوا
اذا حضر احدهم الموت كما تقدم ذكره فى آية الوصية للوالدين والاقربين وقال بعضهم كانت هذه
الوصية واجبة من الله تعالى لنسائهم اوصى الميت او لم يوص وصية او كتب الله تعالى عليهم وصية

وقوله

وقوله تعالى الى الحول اى متعوهن متاع السكنى والنفقة حولا وقوله تعالى غير اخراج اى لا تخرجوهن
من بيوت ازواجهن وانما انتصب غير لانه صفة المتاع وقيل على معنى لا اخراجا كما يقال اتيتك غير
رغبة اليك وقوله تعالى فان خرجن قال بعضهم معناه ان خرجن قبل مضى الحول فلا حرج عليكم فيما فعلن
فى انفسهن من التشوف والتزين والتزوج بالمعروف اذا لم تكن المراة حبلى من الميت وقيل معناه
فان خرجن بعد انقضاء عدتهن فلا جناح عليكم فيما فعلن وقوله تعالى غير اخراج تضمن معنيين احدهما
وجوب السكنى فى مال الزوج والثانى حظر الخروج والاخراج لا يتعلق حق العفو بالسكنى التى هى فيها وقد
نسخ الحكم الاول واما الحكم الثانى وهو لزوم اللبث فى البيت الى ان تنقضى عدتها اربعة اشهر وعشر باق
لم ينسخ ولا يجوز لها ان تبيت بالليالى دون منزلها ولا ان تتزين لان امراة جاءت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت ان ابنتى توفى عنها زوجها وقد اشتكت عينها افنكحلها فرخص لها ثم قال
صلى الله عليه وسلم كانت احداكن تجلس فى احلاس بيتها حولا لا تخرج حتى اذا مر بها كلب خرجت
ورمته ببعرة فهلا الان اربعة اشهر وعشرا وعن زينب بنت ابى سلمة قالت دخلت على زينب
ابنة جحش حين توفى اخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت والله ما لى بالطيب من حاجة
غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر لا يحل لامراة تؤمن بالله و
اليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على زوجها اربعة اشهر وعشرا وروى عن
عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان نسوة قلن احد يشكون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الوحشة فامرهن ان يتزاورن بالنهار ولا يبتن بالليل دون منازلهن ومعنى والله عزيز
حكيم اى قادر على النقمة ممن خالف امره ذو حكمة فيما حكم على الازواج قوله عز وجل و
للمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين روى عن سعيد بن جبير وابى العالية والزهرى
ان المراد بالمتاع المذكور فى هذه الاية المتعة وهى واجبة لكل مطلقة وذهب بعض اصحابنا الى ان
المتعة تجب للمطلقات كلهن من طريق الديانة بحكم هذه الاية ولكن لا يجبر الزوج على المتعة الا للمطلقة
لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر للاية المتقدمة وقال بعضهم المراد بالمتاع فى هذه الاية نفقة عدة
الطلاق لان الله تعالى عطفه على قوله تعالى متاعا الى الحول والمراد به هناك النفقة والسكنى والمتاع
فى اللغة اسم لما يستمتع به كما قال الله تعالى متاع قليل وقال جل ذكره انما هذه الحيوة الدنيا متاع وقد
يحتمل ان يكون المراد بالمتاع فى هذه الاية الحق الذى يجب لها عند الطلاق اما المهر واما المتعة وعن
سعيد بن المسيب ان حكم غير المدخول بها اذا كان قد فرض لها المهر منسوخ من هذه الاية
بقوله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن والى هذا ذهب الشافعى رحمه الله حيث قال لكل
مطلقة متعة الا التى طلقها زوجها قبل المسيس وبعد الفرض قوله عز وجل كذلك يبين الله
لكم آياته لعلكم تعقلون اى مثل هذا البيان يبين الله لكم دلالاته فى المستقبل كما بين فى الماضى
من امور دينكم ودنياكم لكى تفهموا ما امرتم به ويقال لكى تكمل عقولكم فان العقل الغريزى انما
يكمل بالعقل المكتسب ويقال لكى تعملوا عليه وحقيقة العاقل الذى يعمل ما افترض عليه و
حقيقة العقل استعمال الاشياء المستقيمة قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة فسمى
المسيئين جهالا وان كانوا مميزين لانهم آثروا اهواءهم على ما علموا انه الحق قوله عز وجل الم تر الى الذين
خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو
فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون روى عن عبد الله بن عباس انه قال وذلك ان
ملكا من ملوك بنى اسرائيل امر بالخروج بهم الى قتال عدوهم فخرجوا للقتال ثم جبنوا وكرهوا القتال فقالوا

لملكهم ان الارض التي ياتي بها الوبا فلا ناتيها حتى ينقطع الوبا منها فقال لهم الله موتوا فماتوا
وهم ثمانية الاف رجل وفي رواية اربعون الف رجل فمكثوا ثمانية ايام حتى انتفخوا وبلغ سائر بني اسرائيل
موت اصحابهم فخرجوا اليهم ليدفنوهم فعجزوا عنهم من كثرتهم فحظروا عليهم الحظاير ثم احياهم الله
تعالى بعد ثمانية ايام فبقي فيهم من ريح النتن الذي كان فيهم بعد الموت حتى بقي في اولادهم الى
اليوم وعن اسمعيل السدي انه قال وقع الطاعون في بني اسرائيل فخرج قوم منهم من ديارهم هاربين
حتى انتهوا الى مكان وهم بضعة وثلثون الفا فقال لهم الله موتوا فماتوا وتفرقت عظامهم وتقطعت
اوصالهم فاتى على ذلك ما اتى عليه اذ مر بهم نبي يقال له حزقيل عليه السلام فقال الحمد لله القادر
على ان يحيي هذه الاجساد فاوحى الله اليه ان احيهم باذن الله فنادى الا ايتها العظام البالية
ان الله تعالى يامركن ان تجتمعي فاجتمعن حتى صرن اجسادا من عظام ثم قال الا ايتها الاجساد
البالية ان الله تعالى يامركن ان تكتسين لحما فجعل اللحم يجري عليهن حتى صرن اجسادا من لحم ثم
قال الا ايتها الاجساد الخاوية ان الله تعالى يامركن ان تقمن باذن الله تعالى فقاموا فرجعوا
الى بلادهم واقاموا وتوالدوا وكان احدهم اذا اكتسى ثوبا صار عليه كفنا يكون فيه ريح الموت
ومعنى الاية والله تعالى اعلم الم تعلم الذين ويقال الم ينته علمك الى خبر هولا الذين خرجوا من ديارهم
والالف في اول هذه الاية الف توقيف والمراد بالروية روية القلب لا روية العين وهذا
على سبيل التعجيب كما يقال الم تر الى ما صنع فلان ومعنى قوله تعالى حذر الموت اي خرجوا هاربين حذر
الموت وانتصب الحذر على معنى مفعول له وظاهر هذا يقتضي ان خروج هولا القوم كان على وجه
الفرار من الوبا على ما فسره السدي رحمه الله وهو اقرب الى ظاهر هذه الاية وقيل في معنى الوف
اي موتلفوا القلوب لم يخرجوا على تباغض ومعنى فقال لهم الله موتوا اماتهم الله تعالى وهذا كما
يقال قلت براسي كذا اي اشرت براسي وقال بعضهم اماتهم الله تعالى بقول سمعوه وسمعته الملئكة
واما قوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس اي يتفضل على جميع الناس كما تفضل على هولا بان احياهم بعد
الموت واراهم البصيرة التي لا غاية بعدها ولكن اكثر الناس لا يشكرون رب النعم وفي الاية دلالة
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث اخبرهم عن من قبله ولم يكن قرا الكتب فصدقه اليهود
والنصارى وعلموا انه حق وفيها معنى الحث على الجهاد وبيان ان الموت لا ينفع الهرب منه وهذا
كما قال الله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقال جل ذكره قل لن ينفعكم الفرار
ان فررتم من الموت او القتل وقال عز من قائل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
واذا كانت الاجال موقتة محصورة لا يقع فيها تقديم ولا تاخير كما قدر الله تعالى لم يجز الفرار عن
الطاعون وغيره وقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اراد ان يدخل الشام وبها طاعون
فاستشار اصحابه في ذلك فاشار عليه بعض المهاجرين بالدخول فعزم على الرجوع فقال له ابو عبيدة
بن الجراح يا امير المومنين اتفر من قدر الله تعالى فقال عمر رضي الله عنه لو كان غيرك يقولها يا ابا
عبيدة نعم نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى ارايت لو كانت لك ابل فهبطت بها واديا له عدوتان
احداهما خصبة والاخرى جدبة اليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيت الجدبة
رعيتها بقدر الله فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال عندي من هذا علم سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا وقع هذا الرجز بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا منها
فحمد الله تعالى عمر وانصرف فان قال قايل اذا كانت الاجال مقدرة محصورة لا يتقدم ولا يتاخر فما وجه
النهي منه صلى الله عليه وسلم عن دخول ارض بها الطاعون واي فرق بين دخولها وبين البقاء فيها

قيل

قيل وجه النهي عن الدخول انه اذا دخلها وبها طاعون فجائز ان يدركه اجله بها فيقول قايل لو لم يدخلها
ما مات وهو كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض
او كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يدخل ارضا بها طاعون لما عسى ان يموت فيها باجله فيقول قوم من الجهال لو لم يدخلها لم يمت
قوله عز وجل وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم اكثر المفسرين على ان هذا خطاب لهذه
الامة يقول قاتلوا في طاعة الله ولا تهربوا من الموت كما هرب هولا الذين سمعتم خبرهم فلا ينفعكم
الهرب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المنافق بقلة المهرب من القتال عليم بما يضمره قال بعضهم
هذه الاية متصلة بقوله فاماتهم الله ثم احياهم وقال لهم قاتلوا في سبيل الله قوله عز وجل من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط و
اليه ترجعون استدعا الى البر والانفاق في سبيل الله تعالى بالطف الكلام وابلغه وسماه الله
قرضا تاكيدا لاستحقاق الجزا لانه لا يكون قرضا الا والعوض مستحق فيه ومعنى الاية والله تعالى اعلم من
ذا الذي يتصدق بصدقة طيبة من نفس طيبة لا يمن بها على السايل ولا يوذيه قال الحسن رضي الله
عنه هو النفقة في ابواب البر من النفل وقال ابن زيد رحمه الله هو الانفاق في الجهاد في سبيل
الله وقوله فيضاعفه له اضعافا كثيرة قال ابن زيد يعطيه سبعماية امثاله كما قال الله تعالى في اية اخرى
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة و
عن ابي عثمن النهدي رحمه الله قال ادخل ابو هريرة رضي الله عنه اصبعيه في اذنيه وقال صمتا
ان لم اكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يضاعف الله تعالى للمومن حسنة الى الفي
الف حسنة وقال السدي رحمه الله الاضعاف الكثيرة لا يعلمها احد الا الله عز وجل واما
قوله تعالى والله يقبض ويبسط اي يقتر ويوسع على من يشا من خلقه وقيل يسلب النعمة من قوم
ويبسطها على قوم وقيل يقبض الصدقات ويبسط عليها الجزا عاجلا واجلا واليه ترجعون
في الاخرة فيجازيكم بما قدمتم واصل القرض في اللغة القطع بالناب وسمي المقراض مقراضا لانه يقطع
ثم استعمل اسم القرض في الاموال لان في ذلك قطع قطعة من المال يقال اقرضت فلانا اذا اقطعت
له قطعة يجازيك عليها وقوله تعالى فيضاعفه من قرا بنصب الفا فعلى جواب الشرط في الاستفهام و
جواب الاستفهام بالفا يكون منصوبا ومن قرا بالضم فعلى العطف على قوله يقرض ويقرا فيضعفه
ويضعفه والتضعيف والمضاعفة بمعنى واحد وضعف الشي مثلاه في المقدار تقول ضعفت القوم
اضعفهم ضعفا اذا صرت مع اصحابك على الضعف من اوليك القوم وضعفت الشي تضعيفا
واضعفته اضعافا وضاعفته مضاعفة اذا زدت على الشي حتى صارت الزيادة مثليه او اكثر
وقد جهلت اليهود معنى هذه الاية او تجاهلت حيث قالت ان الله تعالى يستقرض منا فهو فقير
الينا ونحن اغنيا كما قال الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا وعرف
المسلمون معنى الاية ووثقوا بثواب الله تعالى ووعده روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه
انه قال لما نزلت هذه الاية جا ابو الدحداحة رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ارى ربنا يستقرض مما اعطانا لانفسنا وان لي حديقتين فان تصدقت باحداهما
فلي مثلاها في الجنة قال نعم قال وام الدحداحة معي قال صلى الله عليه وسلم نعم قال والصبية
معي قال نعم فتصدق بافضل حديقتيه وهي تسمى الحنينة فلما رجع الى اهله وجد ام الدحداحة
والصبية في الحديقة التي تصدق بها فقام على بابها وتحرج ان يدخلها ثم نادى يا ام الدحداحة

قالت لبيك قال قد جعلت حديقتي هذه صدقة واشترطت مثليها في الجنة وأم الدحداحة معي و
الصبية معي قالت بارك الله تعالى لك فيما اشتريت ثم خرجوا منها ودفعها الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد قبل منك واعطوا اليتيمين اللذين في حجرك
وقال صلى الله عليه وسلم كم من نخلة مدلي عروقها في الجنة لابي الدحداحة قوله عز وجل
الم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل
في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل
في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا
الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين معنى الآية والله تعالى اعلم الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم
بالملأ من بني اسرائيل وهم اشرافهم ووجوههم وقوله تعالى من بعد موسى اي من بعد وفاته اذ قالوا
لنبي لهم اسمه بالعبرانية اشمويل بن هلقانا وبالعربية اسمعيل هكذا قاله الكلبي ومقاتل رضي الله عنهما
وقال قتادة رضي الله عنه هو يوشع بن نون خليفة موسى عليهما السلام وقال السدي رضي الله عنه
هو شمعون النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان بعد يوشع وانما سمي شمعون لان الامة سالت الله تعالى
ان يعطي واحدا من اولادهم النبوة فاعطاهم شمعون قالوا سمع الله الدعا فسموه شمعون وهو بالعربية
شمعون وقوله تعالى ابعث لنا ملكا اي ادع الله تعالى ان يجعل لنا ملكا نقاتل معه عدونا في طاعة الله
تعالى من قرا نقاتل بالجزم فعلى جواب الامر ومن قرا بالرفع فعلى معنى فانا نقاتل ومن قرا يقاتل بالياء
مجزوما ومرفوعا فهو راجع الى الملك وكان عدو بني اسرائيل قوما يقال لهم البلشتايا قوم جالوت
كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين لقيت منهم بنو اسرائيل بلاء شديدا حتى غلبوهم
على كثير من اراضيهم وسبوا كثيرا من اولادهم ولم يكن لبني اسرائيل ملك يقاتلهم في سبيل الله تعالى وانما
سالوا الملك لانهم علموا ان كلمة القوم لا تتسق وامورهم لا تنتظم ولا يحصل منهم الاجتماع على القتال
الا بملك يحملهم على ذلك ويجمع شملهم وفي هذا دليل وجوب الامامة ولهذا فزع اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم بعده الى نصب امام وقوله تعالى قال هل عسيتم ان كتب اي قال لهم نبيهم لعلكم اذا بعث الله
تعالى لكم ملكا وفرض عليكم القتال ان تجبنوا عن القتال ولا تقاتلوا وانما قال لهم ذلك ليتعرف ما عندهم
من الحرص والجد قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله معناه وما لنا في الا نقاتل اي اي شيء لنا في ترك
القتال يقال هربت الا اقول كذا اي من ان اقول وقيل معناه وليس لنا ان نمتنع عن قتال عدونا في طلب
مرضات الله تعالى وقوله تعالى وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اجلونا من منازلنا وسبوا
ذرارينا ومعنى الاخراج من الابناء انه لما كان الاخراج من الديار يودي الى مفارقة الابناء قالوا
اخرجنا من ديارنا وابنائنا ويجوز ان يكون على وجه الاتباع كما يقال متقلدا سيفا ورمحا و
قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اي لما فرض عليهم القتال تولوا عن الطاعة في القتال الا قليلا منهم
وهم ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقوله تعالى قليلا نصب على الاستثنا المعنى استثنى قليلا منهم يقال
جاني القوم الا زيدا ومعنى والله عليم بالظالمين عالم بالذين ظلموا انفسهم بالمعصية وبعقوبتهم
وفي هذا تهديد لمن تولى عن القتال والملأ الجماعة الاشراف من الناس يجتمعون للمشاورة
وجمعه الاملا واشتقاقه من ملات الشي وفلان غني ملي به اذا كان مكثرا ومعنى الملا الذين
يملؤون العين والقلب وقرا اهل عسيتم بكسر السين يقال عسيت ان فعل كذا وعسيت والنصب
افصح قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك
علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده

بسطة

بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم المعنى والله تعالى اعلم
قال لهم نبيهم اشمويل عليه السلام ان الله تعالى قد اجابكم الى ما سالتم وجعل لكم طالوت ملكا عليكم قالوا
من اين يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه يعنون ان النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والملك في
سبط يهوذا وليس هو من سبط النبوة ولا من سبط المملكة كان من اولاد بنيامين ولم يكن في نسله
ملك ولا نبوة ويقال انه كان دباغا وقيل انه كان يبيع الخمر وقوله تعالى ولم يؤت سعة من المال
اي لم يعط مالا ينفقه علينا كما تفعله الملوك مع قرابتهم وخدمهم قال عليه السلام ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة اي اختاره لملكه عليكم وزاده بسطة اي فضلة في العلم والجسم كان يومئذ
اعلم رجل في بني اسرائيل فرفعه الله تعالى بعلمه وقيل كان عالما بامر الحرب وكان يفوق الناس
بمنكبيه وعنقه وراسه فاعلمهم الله تعالى ان العلم هو الذي يجب ان يقع به الاختيار وان الزيادة
في الجسم مما يهيب به العدو وقوله تعالى والله يؤتي ملكه من يشاء اي يعطي ملكه من يشاء
وهو جل وعلا لا يشاء الا الحكمة والعدل وقوله تعالى والله واسع عليم اي يوسع على من يشاء من عباده
ويعلم اين ينبغي ان يكون الملك والسعة وانما قيل واسع بمعنى موسع كما يقال اليم بمعنى مولم ويقال
معناه واسع الفضل الا انه حذف الفضل كما يقال فلان كبير اي كبير القدر ويقال معناه ذو سعة
كما يقال عيشة راضية اي ذات رضى ورجل تامر ولابن اي ذو تمر ولبن وكما يقال رجل
رامح ونابل واما الاصطفا فهو الافتعال من الصفوة الا ان التا تنقلب طا لان التا مهموس و
الصاد مجهورة فجعلت التا طا لسهولة اللفظ واما اسم طالوت وجالوت وداود فاجتمع فيه
العجمة والتعريف فلذلك لا ينصرف ولو سمي رجل باسم جاموس لانصرف وان كان اعجميا لانه
تمكن في العربية لانك تدخل عليه الالف واللام فتقول الجاموس وفي الاية دلالة ان الامامة
لا تكون ارثا وانما يستحقها الانسان بحالة في نفسه وذكر الجسم في هذه الاية عبارة عن
فضل قوة طالوت لان في العادة ان من كان اعظم جسما فهو اكثر قوة ولا حظ لعظم الجسم بلا قوة
في امر القتال وهو وبال على صاحبه قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم
التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان
في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس هذا جواب عن قولهم لنبيهم والله ما نصدقك
ان الله قد بعثه علينا ولكنك انت بعثته علينا ملكا مضارة كنا حين سالناك ملكا فائتنا
بآية ان الله تعالى قد بعثه علينا قال لهم نبيهم ان الدلالة على كون طالوت ملكا ان
ياتيكم التابوت الذي اخذه منكم عدوكم وكان ذلك التابوت من عود الشمشاذ الذي يتخذ منه
الامشاط مموه بالذهب عليه صفائح الذهب وكانت السكينة في التابوت قال وهي شبه
دابة راسها راس الهرة قال مجاهد وكان لها جناحان من زبرجد او ياقوتة ويقال كان
فيها روح وكانت تكلمهم بالبيان فيما اختلفوا فيه وكان لعينيها شعاع اذا نظرت الى انسان
ذعر وقال ابن عباس كانت بنو اسرائيل اذا حضروا القتال قدموا التابوت بين ايديهم
الى العدو واذا انت السكينة في التابوت سمع التابوت انينها فذهبت نحو العدو وهم
يمضون معه ما مضى فاذا استقر ثبتوا خلفه فلما عصت بنو اسرائيل الانبياء عليهم السلام
سلط الله تعالى عليهم عدوهم فقاتلهم وغلبهم التابوت فدفنوه في مخلاة لهم وكان
اذا تبرز احد منهم عند التابوت اخذه الباسور فلما ابتلاهم الله بذلك عرفوا ان ذلك من
التابوت وقالوا ان آية بني اسرائيل الذي فينا يعنون التابوت هو الذي يفعل بنا هذا الفعل

قوة

علم

فربطوا التابوت على عجلة وربطوا العجلة على بقرتين ووجهوهما نحو بني اسرائيل فجرت الملئكة جنوبهما وساقوهما حتى هجموا به على ارض بني اسرائيل فلما راوا التابوت قد جئ به اقروا لطالوت بالملك فذلك قوله تعالى ان ياتيكم التابوت وقد قيل في قوله تعالى فيه سكينة من ربكم اى فيه ما تسكنون به اذا اتاكم وتطمئن قلوبكم اليه في الحروب وعن علي كرم الله وجهه ان السكينة كانت ريحا هفافة لها وجه كوجه الانسان واما قوله تعالى وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون قيل انه كان في التابوت رضاض الالواح لموسى وعصاه من اس وعمامة هرون وقفيز من المن وهو الترنجبين الذي كان لبني اسرائيل في طست من ذهب وفي قوله تعالى تحمله الملئكة اى تسوقه الملئكة وهذا كما يقال حملت متاعي الى ارض كذا اذا كنت سببا لحمله وقال بعضهم ارسل الله تعالى ريحا انتزعت التابوت من ايدي الكفار ثم حملته الملئكة فالقته بين يدي طالوت وهذا بمعجزات الانبياء صلوات الله عليهم اشبه والله تعالى اعلم وقوله تعالى ان في ذلك لاية لكم في رجوع التابوت اليكم علامة ان الله تعالى ملك عليكم طالوت ان كنتم مصدقين بذلك قوله عز وجل فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال خرج طالوت من البلد بالجنود فسار بهم وهم سبعون الفا خرجوا معه في حر شديد فاصابهم العطش فسالوا الماء فقال لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر اى مختبركم بنهر جار وهو نهر الاردن وفلسطين فمن شرب منه فليس معي على عدوي ولم يطعمه فذلك فانه معي على عدوي وقوله تعالى الا من اغترف غرفة بيده استثناء يقرا بضم العين وفتحها فمن قرا بالفتح فهو مصدر غرفت ومن قرا بالضم فهو مقدار ما يملا اليد من المغروف ونظير ذلك الخطوة بالنصب مصدر وهي برفع الخاء مقدار ما يكون بين قدمي الماشي قال الكلبي ومقاتل رضي الله عنهما كانت الغرفة يشرب منها الرجل وخادمه ودابته وقيل ابتلاهم الله تعالى بذلك النهر ليميز الصادق من الكاذب في افعاله وكان اشمويل عليه السلام هو الذي اخبر طالوت بهذا الابتلاء لان الله تعالى لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فلا يجوز هذا القول الا من نبي واما قوله تعالى فشربوا منه الا قليلا اى لم يطيعوه الا قليلا وذكر انه لما عرض لهم النهر وقد اشتد بهم العطش وقعوا في النهر فشربوا كلهم اكثر من غرفة الا قليلا وهم ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كعدة اهل بدر قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر لاصحابه انتم على عدد اصحاب طالوت قال ابن عباس وقتادة والربيع من استكثر منهم من الماء لم يذهب عطشه واما من لم يشرب منه الا غرفة فانه يروى ويذهب عطشه واما قوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه يقول لما تخطى طالوت النهر والذين صدقوه فلم يشربوا الا مقدار الغرفة راوا قلتهم قال بعضهم لبعض لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده وذهب بعض المفسرين الى ان القوم كلهم جاوزوا النهر ثم ان الذين خالفوا في الشرب من النهر اعتزلوا من المطيعين وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده واما قوله تعالى قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله فمعناه يوقنون ويعلمون وقد يسمى العلم ظنا كما تقدم في قوله تعالى يظنون انهم ملاقوا ربهم وقيل معنى يظنون في هذه الاية يتوهمون انهم يقتلون في هذه الوقعة لقلة عددهم وكثرة عدد اصحاب جالوت فانه روى انه كان معه مائة الف وقوله تعالى كم من فئة قليلة معناه كم من فرقة قليلة عددهم قهرت فرقة عددها كثيرة بامر

الله تعالى وبنصرة الله تعالى والله مع الصابرين في النصرة والمعونة والفصل في اللغة هو القطع يقال فصل عن المكان اذا قطعه بالمجاوزة والجنود جمع تكثير يقال جند واجناد وجنود واصل ذلك من الجند وهو الارض الغليظة والنهر والنهر لغتان والطعم الذوق يقال تطعم تطعم واصل الغرفة من قولهم فاوت راس فلان بالسيف فاوه فاوا اذا قطعته بنصفين قوله عز وجل ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين معنى الاية والله تعالى اعلم لما خرجوا واصطفوا لمحاربة جالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا اى اصبب علينا الصبر صبا واصل هذا من قولهم افرغت الاناء اذا اخليته وصببت ما فيه وقوله تعالى وثبت اقدامنا اى ثبتها في اماكنها في الحرب بتقوية قلوبنا ومعنى وانصرنا على القوم الكافرين اعنا على قوم جالوت بالقاء الرعب في قلوبهم والبروز في اللغة هو الظهور والابراز الاظهار ويقال بارز بين الصفين اذا خرج بين الصفين ظاهرا للقتال قوله عز وجل فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين في الاية ايجاب لان ذكر الهزيمة بعد سوال النصر دليل اجابة الدعا كان الله تعالى قال فاستجاب دعاءهم فهزموهم باذن الله روى اصحاب القصص باسانيدهم ان داود عليه السلام كان راعيا وكان له سبعة اخوة خرجوا مع طالوت للقتال فلما ابطا خبر اخوته على ابيهم ايشا ارسل اليهم ابنه داود عليه السلام ينظر ما امرهم وياتيه بخبرهم فاتاهم وهم في الصفوف وقد برز جالوت وهو يقول هل من مبارز فلم يخرج اليه احد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على حق لبرز الي بعضكم فقال داود عليه السلام اما فيكم رجل يخرج الى هذا الاقلف فقالوا له اسكت فذهب داود عليه السلام الى ناحية من الصف ليس فيها اخوته فمر طالوت به وهو يحرض الناس فقال داود عليه السلام ما تصنعون لمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه ابنتي واجعل له نصف مملكتي قال داود عليه السلام فانا اخرج اليه فاعطاه طالوت درعه وسيفه فلما خرج في الدرع جرها لان طالوت كان اطول منه فرجع الى طالوت وقال اني لم اتعود القتال في الدرع ولكني قاتلت بالقلاعة قال له طالوت وهل جربت نفسك في غير هذا قال نعم وقع الذئب في غنمي فضربته ثم اخذت براسه وجسده وقطعت راسه من جسده فقال له طالوت ان الذئب ضعيف فهل جربت نفسك في غير هذا قال نعم دخل الاسد في غنمي فضربته ثم اخذت بلحييه فشققتهما افترى هذا اشد ام الاسد قال لا واخذ داود القلاعة وخرج الى جالوت فمر بثلاثة احجار فقلن خذنا معك ففينا ميتة جالوت فاخذهن ثم مضى نحو جالوت فلما راه جالوت قال خرجت الي لتقتلني بالقلاعة كما يقتل الكلب قال له داود عليه السلام هل انت الا مثل الكلب وكان على جالوت بيضة هي ثلثمائة رطل فقال جالوت اما ان ترميني او ارميك قال داود عليه السلام بل ارميك ثم اخذ احدى الحجارات الثلث فرمى بها فوقعت في صدره فنفذته وقتلت بعد ما نفذته خلقا كثيرا فهزم الله تعالى جنوده ثم ان طالوت زوج داود عليه السلام ابنته واراد ان يدفع اليه نصف مملكته فقال له وزيره لو دفعت اليه نصف ملكك صار منازعا لك في الملك وفسد عليك الملك فامتنع طالوت من ذلك وقصد قتله فهرب داود عليه السلام وانطلق طالوت في طلب داود عليه السلام حتى اتى على امراة من قدماء بني اسرائيل وهي تبكي على داود عليه السلام فضرب بابها قالت من هذا قال انا طالوت قالت انت اشقى الناس طردت داود النبي صلى الله عليه وسلم وقد قتل جالوت وهزم جنوده قال انما اتيتك لا سالك ما توبتي قالت توبتك

في الملك

ان تاتى مدينة كذا وتقاتل اهلها فان فتحتها فهى توبتك وان قتلت فهى توبتك فانطلق طالوت
الى تلك المدينة فقاتل اهلها حتى قتل فاجتمع بنو اسرائيل وتملكوا داود عليه السلام عليهم من بعده
فذلك قوله تعالى واتاه الله الملك والحكمة اى جمع الله بين الملك والنبوة ولم يجتمع كلاهما لاحد
الا لداود عليه السلام وسليمن عليه السلام واما قوله تعالى وعلمه مما يشاء اى علمه علم الدروع
ومنطق الطير وغير ذلك من العلوم ومعنى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اى لولا دفع الله
تعالى باس المشركين بالغزاة المجاهدين كما دفع بداود عليه السلام شر جالوت لفسدت الارض باهلها
لغلبة الكفار ويقال معناه لولا الانبيا عليهم السلام الداعون الى سبيله الناهون عن الفساد
والخيار الذين ياخذون على ايدى الاشرار لفسدت احوال الناس كما روى في الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لولا رجال ركع وصبيان رضع وبهائم
رتع لصببت عليهم العذاب صبا وقال الحسن رضى الله عنه يزع الله تعالى بالسلطان اكثر
مما يزع بالقران ولولا السلاطين والامرا المسلطون على الدعارة والعيارين لخرجوا
على اهل الصلاح واستولوا عليهم ومن قرا ولولا دفاع الله الناس فهو من قولهم دافع يدافع
مدافعة ودفاعا والدفع الصرف والهزم الكسر والرد وهزمة الرعد صوت فيه تردد وتشقق
وتهزم السقا اذا يبس وتكسر وانثنى بعضه على بعض واما قوله تعالى ولكن الله ذو فضل
على العلمين اى ذو منة عليهم بدفع المفسدين عن المصلحين قوله عز وجل تلك ايات الله
نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين اى القران بما فيه من اخبار الامم الماضية ايات
ايات الله ينزل بها جبريل عليه السلام بها عليك لتبيان الحق من الباطل وانك لمن المرسلين لانك
اخبرت بهذه الايات مع انك لم تشاهدها ولم تخالط اهلها وقيل في معنى هذه الايات
اماتة الله تعالى الالوف في دفعة واحدة واحياؤهم بدعا نبيهم دفعة واحدة واعطاؤه
الملك طالوت وهو من اهل الخمول الذى لا ينقاد له الناس ونصر اصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم
على جالوت واصحابه مع شوكتهم وكثرة عددهم دلالات الله تعالى على قدرته وعلى نبوة انبيائه
صلوات الله عليهم وانك لمن المرسلين لانك قد اعطيت من الايات مثل ما اعطى الانبيا قبلك
وزيادة قوله عز وجل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما
اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن و
منهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد معنى الاية والله تعالى اعلم
ان الذين نزلنا عليك خبرهم في القران هم الرسل لم يكونوا في الفضل متساوين ولكن فضلنا بعضهم على
بعض في الدنيا والعقبى ثم فسر فضيلة كل واحد منهم فقال منهم من كلم الله وهو موسى عليه السلام كلمه
الله تعالى من غير سفير كان بينه وبينه ورفع بعضهم درجات اى اتخذ الله ابرهيم خليلا وسخر لسليمن
الريح والجن والشياطين وعلمه منطق الطير والنمل وقال مجاهد رضى الله عنه اراد بهذه الاية فضيلة
محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الانبيا صلوات الله عليهم كما قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل هو
ادريس عليه السلام كما قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ومعنى واتينا عيسى ابن مريم البينات اى
اعطيناه الدلالات على اثبات نبوته من ابراء الاكمه والابرص واحيا الموتى والانبا بما غاب عنه و
قوله تعالى وايدناه بروح القدس اى قويناه واعناه بجبريل الطاهر عليه السلام حين ارادوا قتله حتى
رفعه الله الى السماء وقال الحسن رضى الله عنه الروح جبريل عليه السلام والقدس هو الله عز وجل

فيصير

فيصير تقدير الاية وقويناه بروح الله تعالى وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال روح القدس اسم
الله الاعظم الذى كان به عيسى عليه السلام يحيى الموتى واما قوله تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم
اى لو شاء الله لم يقتتل الذين من بعد الرسل من بعد ما وضحت لهم الحجج والدلايل كما قال الله تعالى ولو شاء
الله لجمعهم على الهدى وقال جل ذكره ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا وقيل معناه ولو شاء الله
تعالى لانزل اية تضطرهم الى الايمان بالله تعالى وتمنعهم عن الكفر كما قال الله تعالى ان نشا ننزل عليهم
من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومعنى ولكن اختلفوا اى شاء اختلافهم فاختلفوا ويقال لم
يلجيهم الى الايمان لان التكليف لا يحسن مع الضرورة والالجاء لا يحسن الا مع التخلية وقوله تعالى ومنهم
من كفر اى بالكتب والرسل ولو شاء الله لم يقتتلوا مع اختلافهم بان يامر المومنين بالكف عن القتال وبان
يلجيهم جميعا الى ترك القتال ولكن الله يفعل ما يريد من تقدير الاتفاق والاختلاف وغير ذلك مما توجبه
الحكمة قوله عز وجل يايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون حث على الانفاق في الجهاد في سبيل الله تعالى وقيل هو الامر بالزكوة
واما قوله تعالى من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه وهو يوم القيمة لا فدا فيه وقوله تعالى ولا خلة معناه
ليس فيه خلة لغير المومنين واما المومنون فتكون لهم خلة كما قال الله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين وقوله تعالى ولا شفاعة اى لغير المومنين واما المومنون فيشفع بعضهم لبعض ويشفع
لهم الانبيا والرسل صلوات الله عليهم كما قال الله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال جل ذكره ولا
تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فاما قراة النصب والرفع في قوله تعالى لا بيع فيه ولا خلة فالوجه في ذكر
قد تقدم ذكره ومعنى قوله تعالى والكافرون هم الظالمون اى هم الذين ظلموا انفسهم حتى لا خلة ولا شفاعة
وكان عطا رضى الله عنه يقول الحمد لله الذى لم يقل والظالمون هم الكافرون لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم
كافرا قوله عز وجل الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في
السموت وما في الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموت والارض
ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم ذكر وحدانية الله تعالى وصفته ليعلم ان من
كان بهذه الصفات لا يخفى عليه كفر من كفر به ولا معصية من عصاه فيجازى كل عامل على ما عمل
بعمله وادل هذه الاية في نفى معبود الكفار واثبات معبود المومنين واثبات الشىء مع نفى غيره عنه ابلغ
في الاثبات كانه قال الله لا اله الا هو دون غيره وهو المعبود لا معبود للخلق سواه ومعنى الحى
القيوم الدايم الذى لا يموت موصوف بالبقا على الابد وبه حى كل حى واما القيوم فهو القايم بتدبير
الخلق في انشائهم وارزاقهم واعمالهم واجالهم ومجازاتهم على عملهم كما قال الله تعالى افمن هو قايم على
كل نفس بما كسبت وقيل معنى القيوم العالم بالامور من قولهم فلان يقوم بهذا الكتاب اى يحسنه و
يعلم ما فيه ويقال معنى الحى القيوم الدايم الذى لا يزول يقال فلان حى قايم كما كان ومعنى لا تاخذه
سنة اى لا تاخذه النعاس وهو اسم لاول ما يدخل في الراس من النوم قبل وصوله الى القلب واما
النوم فهو اسم للذى يصل الى القلب فيستثقل ومعنى هذا انه لا يغفل عن تدبير الخلق فان قيل ايش
معنى نفى النوم بعد ان نفى النعاس قلنا مثل هذا اللفظ انما يكون لنفى قليل النوم وكثيره ونظيره قول
العرب فلان لا يملك قليلا ولا كثيرا وقد ذكر في الخبر ان قوم موسى عليه السلام قالوا له اينام
ربنا قال لهم موسى عليه السلام اتقوا الله تعالى ولا تقولوا مثل هذا فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام
انى جعلتك واسطة بينى وبين خلقى لتبلغنى عنهم كما تبلغهم عنى خذ بيدك قارورتين مملوتين

تبلغهم

بل

لهم ه

ماءً فاخذهما والقى الله تعالى على موسى عليه السلام النعاس فضربت احداهما على الاخرى فاصطكتا
وانكسرتا ثم اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل لهولاء انى امسك السموات والارض بقدرتي فلو
اخذنى نوم او نعاس لتفككت السموات والارض اسرع من كسر الزجاجتين وقوله تعالى له ما في السموات
وما في الارض اى هو مالك السموات والارض وما فيهما كلهم عبيده وانما هو تحت قبضته و
قدرته وقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه جواب عن قول المشركين في اصنامهم هولاء
شفعاؤنا عند الله وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اى لا يشفع احد لاحد عند الله
تعالى الا بامره ورضاه كما يشفع المومنون بعضهم لبعض بالدعا وكما يشفع الانبيا صلوات الله
عليهم للمومنين ومعنى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قال ابن عباس ما بين ايديهم من امر
الاخرة وما خلفهم من امر الدنيا وقال مجاهد والسدى على الضد من هذا وقيل يعلم الغيب الذى
تقدمهم والذى يكون بعدهم ولا يحيطون بشى من علمه اى لا يعلمون الغيب لا مما تقدمهم و
لا مما يكون بعدهم الا بما شا الله تعالى ان يعلموه وهو ما انبا به الانبيا صلوات الله عليهم ليكون
دليلا على تثبيت نبوتهم واما قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض قال ابن عباس كرسيه علمه
فلا يخفى عليه شى مما في السموات والارض كما قال الله تعالى ربنا وسعت كل شى رحمة وعلما وقيل معناه
وسعت قدرته التى يمسك بها السموات والارض وقال الحسن الكرسى هو العرش بعينه وقيل بل هو
سرير دون العرش وقيل هو مكان تخلق الله فيه السموات والارض وقال عطا بن ابى رباح والكلبى ومقاتل
السموات السبع والارضون السبع تحت الكرسى في الصغر كحلقة في ارض فلاة قال الكلبى ومقاتل
يحمل الكرسى اربعة املاك لكل ملك اربعة اوجه وجه انسان ووجه ثور ووجه اسد ووجه نسر اقدامهم
في الصخرة التى تحت الارضين مسيرة خمسماية عام وروى عن عبد الله بن مسعود بين كل
سماءين مسيرة خمسماية عام وبين السما السابعة وبين الكرسى مسيرة خمسماية عام وبين الكرسى
وبين الماء مسيرة خمسماية عام والعرش فوق الماء والله تعالى فوق عرشه يعلم ما انتم فيه ولا
حجة لاهل التشبيه في هذا الحديث لان المراد عند هذا اللفظ القهر والقدرة يدل على ذلك ما روى
في بعض الروايات عن ابى هريرة انه وصف الارضين وقال بين كل ارضين مسيرة خمسماية عام و
لو حفرتم في الارض السابعة لوجدتم الله تعالى ثم وهذا كما قال الله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة
الا هو رابعهم وقال جل ذكره وهو معكم اين ما كنتم وقال سبحانه وهو الذى في السما اله وفي الارض اله
واما من يزعم من الجهال ان العرش مكان قعوده والكرسى موضع قدميه فقد وصف ربه
بصفة الجبابرة الذين يتعظمون في المجالس والاماكن وهو في الجهل بمنزلة من يزعم ان الكعبة
موضع سكونه فيه والا لم يكن لوصف الكعبة انها بيت الله تعالى معنى وكذلك القول في
المساجد وقد ثبت بدليل العقل ان الله تعالى لا يشبه الاجسام ولا يجوز عليه ما يجوز عليها
من المماسة والمجاورة وكيف يصح ان يكون على العرش والكرسى وهو خالقهما وقد كان قبلهما
ولا يحتاج الى مكان فكيف يتغير فيصير محتاجا الى مكان تعالى الله عما يقول الظالمون علوا
كبيرا واما قوله تعالى ولا يؤوده حفظهما اى لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السموات والارض
ويقال ما آدك فهو لى آيد اى ما اثقلك فهو لى مثقل ومعنى وهو العلى العظيم العلى عن
الاشباه والامثال وصفات المحدثين عظيم الشان والسلطان والبرهان والقيوم
على وزن فيعول من القيام والقيام على وزن فيعال والاصل قيووم وقيوام الا ان اليا الساكنة
اذا تعقبتها واو متحركة حولت الواو يا وادغمت احدى اليائين في الاخرى والكرسى في اللغة

نفسه

ههم

والكراسة انما هو الشى الذى قد ثبت ولزم بعضه بعضا والكرس ما تلبد بعضه على بعض في
اذناب الغنم ومعاطن الابل ويقال اجعل لهذا الحايط كرسيا اى اجعل له ما يمسكه ويقال للعلما الكراسى
لانهم هم المعتمد عليهم في امر الدين كما يعتمد على السرير وكذلك يقال العلما اوتاد الارض لانهم
قوام الارض وقد روى عن محمد بن الحنفية انه قال لما نزلت اية الكرسى خر كل صنم في دار الدنيا
وخر كل ملك في الدنيا على وجهه وسقطت التيجان عن رؤسهم وهربت الشياطين فضرب بعضهم
على بعض حتى اجتمعوا الى ابليس فاخبروه بذلك فامرهم ان يبحثوا فجاوا الى المدينة فبلغهم ان اية
الكرسى قد نزلت وعن ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا اية الكرسى
في دبر كل صلوة مكتوبة اعطاه الله تعالى قلوب الشاكرين واعمال الصديقين وثواب النبيين عليهم
السلام وبسط عليه يمينه بالرحمة ولم يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت فيدخلها وقد كثرت الروايات
في فضل هذه الاية وعظم الثواب في قراتها وبالله التوفيق قوله عز وجل لا اكراه في الدين قد تبين
الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها والله سميع عليم اختلف اهل التفسير في هذه الاية على ثلثة اقوال قال السدى
والضحاك ان هذه الاية نزلت قبل الامر بقتال المشركين كما قال الله تعالى ادفع بالتى هى احسن وقال عز
من قايل واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وكان القتال محظورا في اول الاسلام الى ان قامت
عليهم الحجة الصحيحة بصحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم فلما عاندوا بعد البيان امر الله تعالى
المسلمين بقتالهم بقوله تعالى اقتلوا المشركين وغيره من ايات القتال وقال الحسن وقتادة
وهو رواية عن ابن عباس ان هذه الاية خاصة في اهل الكتاب ان لا يكرهوا على الاسلام بعد
ان يؤدوا الجزية فاما مشركوا العرب فلا يقرون بالجزية ولا يقبل منهم الا الاسلام او السيف
والقول الثالث ان معناه من دخل في الاسلام بمحاربة المسلمين ثم رضى بعد الحرب فليس بمكره
اى لا تقولوا لهم انما اسلمتم كرها فلا اسلام لكم ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان لا تكرهوا على
الاسلام وقد وضح الطريق المستقيم من الطريق الذى ليس بمستقيم بما اعطى الله تعالى انبياءه من
المعجزات فلا تكرهوا على الدين وقوله تعالى لا اكراه لفظه خبر بمعنى النهى ودخول الالف واللام في
الدين لتعريف المعهود ومعنى فمن يكفر بالطاغوت اى من يكفر بما امر الله تعالى ان يكفر به و
يصدق بالله تعالى وبما امر الله به فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله حجة ولا
انقطاع لها بالشبهة والشكوك والله سميع لما يعقده الانسان في امر الدين عليم بنيته في ذلك
والغى نقيض الرشد يقال غوى الرجل يغوى غيا وغواية اذا سلك خلاف طريق الرشد وغوى
يغوى اذا خاب قال الشاعر ٭ فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ٭ ومن يغو لا يعدم على الغى لايما ٭
والطاغوت ماخوذ من الطغيان زيد في اخره التاء والواو فصار طغووت كما قالوا جبروت
وملكوت ورهبوت ورحموت ثم قلبت عين الفعل من طغووت الى موضع اللام كما
قيل صاعقة وصاقعة فصار طوغوت قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فقيل طاغوت
وهو اسم للاصنام والشياطين وكل ما يعبد من دون الله تعالى واما العروة فهى معروفة وهى
عروة الدلو وغيره ذلك يقال عراه تعرية اذا جعل له عروة واعتراه الهم اذا تعلق به الهم وعرته
الحمى وعرته الرعدة اذا تعلقت به وعروت الرجل اعروه اذا تعلقت بسبب منه وانما شبه
المصدق بالاسلام بالمستمسك بالعروة الوثقى لان الشى الخفى يمثل ابدا بالجلى والتمسك بالايمان
امر حكمى خفى وبالعروة الظاهرة جلى فشبه به فان قال قايل اذا كان قوله تعالى لا اكراه في

في الدين يقتضي حظر اكراه الذمي على الاسلام فكيف يصح اسلام الذمي اذا اكره على الاسلام مع انه لا يجوز اكراهه على ذلك بعد دخوله في عقد الذمة قلنا لما كان الاسلام لا يختلف حكمه في حال الاكراه والطوع فيمن يجوز اجباره عليه اشبه من هذا الوجه العتق والطلاق وساير ما لا يختلف فيه جده وهزله فصحنا اسلامه ثم اذا اظهر الكفر بعد ذلك اجبر على الاسلام بالحبس ولم يقتل لشبهة انه لم يعتقد الاسلام فان قيل فمشركو العرب الذين امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم فكيف يصيرون مسلمين بالاكراه على ذلك ومعلوم ان من دخل فيه الدين كرها فليس بمسلم قيل انما اكرهوا على اظهار الاسلام لا على اعتقاده لان الاكراه على الاعتقاد لا يتصور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس الى ان قال وحسابهم على الله والفايدة في هذا الاكراه ان المكره اذا اظهر الاسلام وان كان غير معتقد لذلك فان سماعه القران ومجالسة المسلمين يدعوه الى الاسلام ويوضح عنده فساد اعتقاده فيتحقق اسلامه قوله عز وجل اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ معنى الاية والله تعالى اعلم الله تعالى ولي المومنين في نصرهم واظهارهم على مخالفيهم وهدايتهم في اقامة الحجة في دينهم ومتولي جزاهم على حسن عملهم يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الهدى والذين جحدوا توحيد الله تعالى اولياؤهم الذين يتولونهم هم الطاغوت ولفظ الطاغوت الوحدان ومعناه الجمع ومعنى يخرجونهم من النور الى الظلمات ولم يكن لهم نور البتة قيل ان المراد به النصارى الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام خرجوا من التوحيد الذي كانوا فيه الى الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال اراد به قوما ارتدوا عن الاسلام وجواب اخر انه لولا الطاغوت لكانوا مومنين فلما كان الطاغوت سببا لاباءهم الاسلام فكان الطاغوت اخرجوهم وهذا كما يقال اخرج فلان ولده من الميراث اي فعل فعلا لولم يفعله لاستحق ولده الميراث قوله عز وجل أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ المعنى الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم بالذي جادل ابرهيم عليه السلام في ربه وهذا على جهة التعجب الناس في محاجة من حاج ابرهيم في ربه وكلمة الى للغاية كانه تعالى قال هل رايت كالذي حاج ابرهيم او هل انتهت رويتك الى من كان كالذي حاج ابرهيم في ربه وهذا كما تقول العرب الم تر الى فلان كيف يصنع اي هل رايت كفلان في صنيعه وقوله تعالى ان اتاه الله الملك اي بان اعطاه الله تعالى الملك واعجب بملكه وسلطانه وهو نمرود بن كنعان اول من تجبر في الارض بادعا الربوبية فحاجه ابرهيم عليه السلام في توحيد ربه وقيل ان الكناية في قوله تعالى ان اتاه راجعة الى ابرهيم عليه السلام والملك النبوة ووجوب طاعته على الناس في قوله تعالى اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت اضمار وهو ان النمرود قال لابرهيم عليه السلام من ربك قال ابرهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويحيي الموتى ويميت عند انقضا الاجال فقال له نمرود انا احيي واميت قال له ابرهيم عليه السلام ايتني ببيان ذلك فاتى برجلين من محبسه وجب عليهما القتل فقتل احدهما واستحيى الاخر فقال هذا قد احييته وهذا قد امته قال ابرهيم عليه السلام فان الله ياتي بالشمس من نحو المشرق فات بها من نحو المغرب فبهت الذي كفر اي تحير وانقطع بما ظهر عليه من الحجة والله تعالى لا يرشد القوم المشركين الى دينه وحجته فان قيل لم لم يثبت ابرهيم عليه السلام على الحجة الاولى والانتقال من حجة الى حجة اخرى

في المناظرة غير محمود قيل عنه اجوبة احدها ان ابرهيم عليه السلام كان داعيا ولم يكن مناظرا فما كان يراه اقرب الى الهداية اخذ به والثاني انه روي ان ابرهيم عليه السلام انتقل عن الحجة الاولى بعد الالزام لانه روي انه قال للنمرود انك احييت الحي ولم تحيي الميت والانتقال بعد الالزام محمود والثالث ان نمرود كان عالما ان ما ذكره ليس بمعارضة وكان من حوله من اصحابه يوقنون بكذبه في قوله انا احيي واميت ولكن اراد التمويه على اغمار قومه كما قال فرعون للسحرة حين امنوا بموسى عليه السلام ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها اي تواطاتم على هذا المكر مع موسى عليه السلام ان هذا المكر ... كذلك فعل نمرود في قوله انا احيي واميت فلما كان هذا القول تمويها منه على قومه كذلك فعل نمرود في قوله واظهر ثم العجز عن معارضته ثم امنتم به فكان هذا القول تمويها منه على قومه كذلك فعل نمرود في قوله انا احيي واميت فترك ابرهيم عليه السلام اطالة الكلام وعدل الى حجة مسكتة لا يمكنه التمويه في تلك الحجة فان قيل فهلا قال النمرود لابرهيم عليه السلام ان مجي الشمس هو العادة فقل لربك حتى ياتي بها من المغرب قيل علم بما راى من المعجزات التي ظهرت له انه لو ساله ذلك لاتى به فكان يزداد فضيحة للناس وقيل خذله الله تعالى عن هذا القول فلم يوفق للسؤال والله تعالى يفعل ذلك مع المبطلين لان الذين بعث فيهم ابرهيم عليه السلام كانوا يزعمون ان حوادث العالم من حركات الكواكب السبعة واعظمها عندهم الشمس وكانوا يسمونها الهة وكانوا لا يقرون بالله تعالى وهم لا يختلفون هم وساير من يعرف مسير الكواكب ان للشمس حركتين متضادتين احداهما من المغرب الى المشرق وهي حركتها التي تختص بها بنفسها والاخرى تحريك الفلك لها من المشرق الى المغرب في كل يوم وليلة فقال له ابرهيم عليه السلام انك معترف ان للشمس الهة تعبدها وتسميها الها حركة سير ليست هي حركة نفسها بل بتحريك غيرها لها فانا ادعوك الى عبادة من احدث هذه الحركة في الشمس ولو كانت الشمس الها لما كانت مقهورة مجبورة فلم يمكنه دفع هذا الحجاج بوجه من الوجوه وذلك قوله تعالى فبهت الذي كفر والبهت في اللغة هو مواجهة الرجل بالكذب عليه يقال بهت يبهت بهتا وباهت يباهت مباهتة وفي الحديث ان اليهود قوم بهت اي كذبة والبهت الحيرة عند انقطاع الحجة ايضا وفيه لغات بهت وبهت وبهت وبهت واجودها بهت بضم الهاء وفي الاية دلالة على ان الله تعالى لا يشبهه شي وان طريق معرفته ما نصب من الدلايل على توحيده لان انبياء الله تعالى عليهم السلام انما حاجوا الكفار بمثل ذلك ولم يصفوا الله تعالى بصفة توجب التشبيه وانما وصفوه بافعاله واستدلوا بها عليه وبالله التوفيق قوله عز وجل أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عطف على معنى الكلام الاول لا على اللفظ كانه قال رايت كالذي حاج ابرهيم في ربه او كالذي مر على قرية ويقال ان الكاف في هذه الاية زايدة كما في قوله تعالى ليس كمثله شي روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية في عزير بن شرخيا وكان من علما بني اسرايل سباه بخت نصر من بيت المقدس الى ارض بابل حين سلطه الله تعالى عليهم فخرب بيت المقدس فخرج عزير ذات يوم في ارض بابل على حمار فمر بدير هرقل على شاطي دجلة فطاف بالقرية فلم يجد بها ساكنا وعامة شجرها حامل فجعل يتعجب من خراب القرية وموت اهلها وكثرة حملها وهي ساقطة على سقوفها

وذلك ان السقف يقع قبل الحيطان ثم تقع الحيطان عليه فاخذ شيئاً من التين والعنب وتناول بعضها وعصر العنب فشرب منه ثم جعل فضل التين في سلة وفضل العنب في اخرى وفضل العصير في زق ثم نظر الى القرية فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها اى كيف يحيي الله تعالى هذه القرية بعد خرابها وموت اهلها لم يكن هذا القول منه انكاراً للبعث لكن احب ان يرى كيف يحيي الله تعالى الموتى ويزداد بصيرة في ايمانه فنام في ذلك الدير فاماته الله تعالى في منامه ماية عام و اعمى عنه الانس والسباع والطير ثم احياه فنودي يا عزير كم لبثت وكان اميت في صدر النهار ثم بعث بعد ماية سنة في اخر النهار فظن ان مقدار لبثه يوم فقال لبثت يوماً فلما نظر الى الشمس فقال قد بقي منه شيء قال او بعض يوم فنودي بل لبثت ميتاً ماية عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك العصير لم يتسنه اى لم يتغير طعمها بعد ماية عام ولم يغيرها السنون فنظر فاذا العنب والتين كما شاهدهما والعصير طرياً ثم قيل وانظر الى حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض تلوح قد تفرقت اوصاله فسمع صوتاً ايتها العظام البالية ان الله جاعل فيكن روحاً فاجتمعن فارتقشت العظام وسعى بعضها الى بعض قال فرايت الصلب تسعى كل فقرة له منها الى صاحبتها ثم رايت الوركين يسعيان الى مكانهما والساقين الى مكانهما والوظيفين الى مكانهما ثم رايت الاضلاع يسعى كل ضلع منها الى فقرته ثم رايت الكتفين سعياً الى مكانهما والذراعين الى مكانهما ثم رايت العنق تسعى كل فقرة منها الى صاحبتها ثم جا الراس الى مكانه ثم رايت العصب والعروق واللحم التي عليه ثم بسط عليه الجلد ثم ذرى عليه الشعر ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قايم ينهق فخر عزير ساجداً لله تعالى وقال عند ذلك اعلم ان الله على كل شيء قدير حين تبين له من كمال القدرة البالغة في حماره والموتى في نفسه والبقا في العنب والعصير اللذين هما من اسرع الاشيا فساداً وتغيراً ثم شاهد البعث بعد الموت قال عبد الله بن عباس و بعث وهو شاب ابن اربعين سنة على السن التي اميت عليها وكان ابنه في ذلك الوقت ابن عشرين سنة فصار لابنه ماية وعشرون سنة ولعزير اربعون سنة فذلك قوله تعالى ولنجعلك اية للناس وقيل في معنى ولنجعلك اية انه رجع الى بني اسرايل وهو يقرا التورية كلها عن ظهر قلبه فاملاها عليهم لم يخرم منها حرفاً وكانت التورية قد ذهبت عنهم فجاهم رجل من بني اسرايل فانتسب لهم فعرفوه قال اخبرني جدي انه قال دفنت التورية يوم سبينا في خابية في كرم فاروه كرم جده فاخرج التورية فعارضوها بما املاها عزير فما اختلفا في حرف فعجبوا من كثرة علمه وحداثة سنه فقال بعضهم عزير ابن الله وقال الحسن وقتادة والربيع ان القرية المذكورة في هذه الاية هي قرية بيت المقدس بعد ما خربها بخت نصر وكان وهب بن منبه يقول كان المار بهذه القرية ارميا النبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق هو خضر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى خاوية اى خالية لا انيس بها والخوى الفرجة بين الشيئين يقال خوت الدار اذا خلت وخوى البطن اذا جاع واصله الخلا وقد يقال خوت النجوم اذا سقطت ولم تمطر ويسمى السقف عريشاً لارتفاعه على ارضه كما تسمى الظلة من الشجر عريشاً لارتفاعها على ما تستره يقال عرشت الكرم تعريشاً وعرشته اعرشه عرشاً اذا اظللته وقد يسمى البيت عريشاً لارتفاع ابنيته ويسمى السرير عرشاً لارتفاعه عن الارض وعرش الرجل قوام امره ويجوز اسقاط الهاء من قوله تعالى لم يتسنه في الوصل يقال سانيت مساناة وسانهت مسانهة ومسانهة وقيل ان الاصل في قوله تعالى لم يتسنه لم يتسنى حذفت الياء للجزم ثم عوضت منها هاً

في

في الوقف وكان في الاصل يتسنو لان تقدير السنة سنوة الا ترى ان جمعها سنوات وتصغيرها سنيهة الا ان الواو ترد الى اليا في التفعل والتفاعل كالتراضي والتداعي لان اليا اخف من الواو ويجوز ان يكون اثبات الها في هذا الوقف كما في قوله تعالى فبهداهم اقتده وذهب بعضهم الى ان قوله لم يتسنه من اسن الما اذا تغير قال ابو عبيدة لو كان من اسن لكان لم يتاسن وذهب بعضهم الى ان هذه من قوله تعالى حما مسنون اى متغير وابدلوا النون من يتسنن يا وهذا كما قالوا في تظننت وتقضي البازي قال الزجاج لا يجوز ان يكون من حما مسنون لان معنى مسنون مصبوب على وجه الطريق واما القراة في قوله تعالى كيف ننشرها من قرا بالرا غير معجمة فمعناه نحييها من النشر يقال نشر الميت اذا عاش ونشره الله تعالى وانشره اذا احياه ومنه قوله تعالى ثم اذا شا انشره ومن قرا ننشزها بالزاي معجمة فمعناه نرفعها ونعلي بعضها على بعض من النشز وهو المكان المرتفع ومنه نشوز المراة على زوجها ترفعها عن طاعة زوجها وقوله تعالى اعلم ان قرى بقطع الالف اى قال عزير علمت مشاهدة ما كنت اعلمه غيباً ومن قرا اعلم بغير قطع الالف فالمعنى قال لنفسه اعلم ان الله على كل شيء قدير فان قيل قوله تعالى حكاية لبثت يوماً او بعض يوم اكان صدقاً منه او كذباً قلنا لم يكن كذباً لانه اخبر عما عنده كانه قال عندي اني لبثت يوماً او بعض يوم ونظيره ما حكاه الله تعالى عن اصحاب الكهف قال قايل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم وقد كانوا لبثوا ثلثماية وتسع سنين ونظيره قول النبي صلى الله عليه وسلم في احدى صلاتي اما الظهر او العصر قال له ذو اليدين اقصرت الصلوة ام نسيت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم تقصر ولم انس وكان صلى الله عليه وسلم صادقاً في ذلك لانه اخبر عما عنده وفي ظنه ولهذا ما عفى الله عز وجل عن الحلاف بلغو اليمين على ما تقدم ذكره قوله عز وجل **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** تقدير هذه الاية الم تر اذ قال ابرهيم ويقال واذكر اذ قال ابرهيم وعن عبد الله بن عباس في سبب هذه القصة ان ابرهيم عليه السلام مر بجيفة على ساحل البحر تنقض عليها الطيور السما فتاخذ منها بافواهها فتاكل ويسقط من افواهها في البحر فتاكل منه الحيتان ويجي سباع البر فتاخذ منه عضواً عضواً فوقف منه متعجباً وقال اى رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن اى اولم تصدق بانك تحيي الموتى قال بلى صدقت ولكن احب ان اعلم كيف تحيي هذه النفس التي ارى بعضها في بطون السباع وبعضها في بطون الحيتان وبعضها في حواصل الطيور فذلك قوله ولكن ليطمئن قلبي وهكذا روي عن مقاتل وقيل معنى ولكن ليطمئن قلبي اى ليسكن قلبي انك اعطيتني الذي سالتك وقيل انك اتخذتني خليلاً وقال بعضهم لما جرى بين ابرهيم عليه السلام وبين النمرود بن كنعان من المناظرة ما جرى وقال نمرود انا احيي واميت احب ابرهيم عليه السلام ان يرى صنع الله تعالى في احيا الاموات فسال الله تعالى ذلك ليزداد يقيناً بعد ان كان علمه غيباً واستدلالاً لان الاستدلال تعتريه الشبه والشكوك والضروري الحسي لا تعتريه الشبه فلذلك قال ولكن ليطمئن قلبي قال الله تعالى فخذ اربعة من الطير قال عبد الله بن عباس فاخذ ابرهيم عليه السلام اربعة من الطيور الغرانيق فجزا كل واحد منهن اربعة اجزا وجعل راس كل واحد وجناحيه مع رجل اخر وعجزه وبعض ظهره خالف بينهم فجعلهن على اربعة اجبل فدعاهن فطرن في الهوا حتى اجتمع

كل طير على حياله ثم ودعهن على الجبال فاتينه سعيا يقول مشيا بسرعة قال وكان هذا قبل ان يولد
لابرهيم عليه السلام وقبل ان تنزل عليه الصحف وكان يومئذ ابن خمس وتسعين سنة وقال
ابو بكر الهذلي اربعة طيور مختلفة الوانها واسماؤها وريشها اخذ الطاووس والديك والحمامة
والغراب فقطع رؤسهن وخلط بين ريشهن ولحومهن ودمائهن اربعة اجزاء على اربعة
اجبال على كل جبل ريش ولحم ودم وعظم ثم نودين بالوحي ايتها العظام المتكسرة واللحوم
المتقطعة والعروق المتمزقة ارجعن بامر الله تعالى فيكن ارواحكن فجعل العظم يثب الى
العظم واللحم الى اللحم ويجري الدم الى الدم ويطير الريش الى الريش حتى سواهن الله تعالى قال
وامسك ابرهيم عليه السلام رؤسهن بيده فجئن يسعين على ارجلهن فعلق عليهن رؤسهن
فاوحى الله تعالى اليه ان يا ابرهيم اني حين خلقت الارض جعلت بيتي في وسط الارض فاذا
كان يوم القيمة ارسلت من السما اربعة رياح الشمال والجنوب والدبور والصبا فتجمع
اجساد القتلى والهلكى من اربع زوايا الارض الى اربعة اركان البيت كما اجتمعت اربعة
اطيار من اربعة اجبال ثم قال عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة واما قوله تعالى
فصرهن اليك بكسر الصاد وضمها فمعناه ضمهن ويقال املهن واجمعهن والصرة وهي في معنى
الجمع والتشديد ويقال قطعهن يقال صار يصور صورا وصار يصير صيرا اذا قطع واذا
امال والصور الميل في العنق وكان الفراء يقول صار يصير مقلوب من صرى يصري وانكر
ابو العباس السراج ذلك وقال هما لغتان للعرب كجذب وجبذ والمقلوب كقولهم قسي من القوس
لان من حقه تاخير السين فقدم وقيل على معنى القطع ان قوله تعالى اليك من صلة قوله فخذ اربعة
من الطير كانه قال فخذ اربعة من الطير اليك فصرهن واما قوله تعالى واعلم ان الله عزيز
حكيم اي غالب على كل شيء قدير لا يمتنع عليه ما يريد حكيم فيما يريد لا يفعل الا ما فيه الحكمة
قوله عز وجل مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم
وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه جرى فيما تقدم ذكر النفقة في الجهاد في سبيل الله بقوله تعالى من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا ثم ذكر تعالى ما كان من مسالة قوم من الله تعالى ان يبعث لهم ملكا يقاتلون
معه اعداءهم فكانت الغلبة لهم مع قلة عددهم وكثرة عدد اعدائهم ثم عقبه الله تعالى بذكر امور
تدل على وحدانية الله تعالى فبين ان الكفر بعد هذه الايات اعظم واشنع وان الايمان اولى
واحسن لمن كفر بعد هذا فقاتلوه وانفقوا في القتال فان النفقة في القتال تكون بسبعمائة
وروي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الاية والاية التي بعدها في شان عثمان ابن عفان
وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما اما عثمان فجا الى النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال
علي جهاز من لا جهاز له واشترى بئر رومة وجعلها سبيلا للمسلمين واما عبد الرحمن بن عوف
فكان له ثمانية الاف فجاء باربعة الاف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي ثمانية الاف درهم
امسكت نصفها لنفسي ولعيالي واقرضت نصفها لربي عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله
لك فيما امسكت وفيما اعطيت وامر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضت منه ومعنى الاية والله
تعالى اعلم صفة الذين ينفقون اموالهم في طاعة الله تعالى كصفة حبة القيت في الارض واخرجت
سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اي كما يكون للحبة واحدة والمكتسب بها سبعمائة فكذلك النفقة
تكون واحدة والمكتسب بها سبع مائة ضعفها وقوله تعالى يضاعف لمن يشاء اي كما يضاعف

الله

الله في زرع الزارع الحادث من البذر الجيد في الارض العامرة كذلك يضاعف للمرء الصالح
ثواب صدقته بالمال الطيب اذا وضعه في موضعه ومعنى والله واسع عليم اي واسع الفضل جواد
لا ينقصه ما يتفضل به من السعة والمضاعفة عليم بمن يستحق الزيادة والفايدة في تخصيص
السبع في الاية ما قالوا ان السبع اشرف الاعداد كما روي عن عبد الله بن عباس انه قال
كادت الاشيا تكون كلها سبعا فان السموات سبع والارض سبع والكواكب السيارة سبعة والبحار
سبعة وايام الاسبوع سبعة وسجود العبد على سبعة اعضاء وجعل الله تعالى للسبع مزية حيث
قال جل ذكره ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولو كان يستغفر لهم احدى وسبعين
مرة لكان ايضا لا يغفر الله لهم واجمع اهل التفسير الا السدي ان العدة بالمضاعفة
سبعمائة مختصة بالانفاق في الجهاد واما في غير ذلك من الطاعات فالحسنة بعشر امثالها
كما قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون نزل في شان النفقة التي يستحق بها الثواب المضاعف معناه
الذين ينفقون اموالهم في طاعة الله تعالى ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على السايل وهو ان يقول
للسايل اذا وقع بينه وبينه خصومة اعطيتك وقت كذا وكذا واحسنت اليك واغنيتك وما
اشبهه مما ينقص ذلك على السايل فاما قوله ولا اذى اي لا يؤذي السايل ولا يعيره ولا يوجه
وهو ان يقول له انت ابدا في فقر ومن ابلاني بك واراحني الله تعالى منك وما اشبهه وقد ورد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المنان بما يعطي لا يكلمه الله تعالى يوم القيمة ولا ينظر اليه
ولا يزكيه وله عذاب اليم واما قوله تعالى لهم اجرهم عند ربهم اي للذين ينفقون في الطاعة ولا
يمنون ولا يؤذون ثواب عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فيما يستقبلهم من اهوال
يوم القيمة ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا واصله من القطع يقال مننت الشيء اذا قطعته
ومنه قوله تعالى فلهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع ويقال حبل متين اي مقطوع قوله عز وجل
قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم معناه يقول
كلام حسن ورد جميل ولطف ودعا للسايل بالسعة وتجاوز عن مظلمة ويقال معنى المغفرة
ستر الخلة على السايل فان المغفرة هي التغطية خير من صدقة اي هذه الاشياء احسن عند الله من
صدقة يتبعها اذى لان الصدقة اذا اتبعتها اذى ذهب المال والثواب جميعا قال الضحاك لان تمسك
عليك مالك خير من ان تنفقه ثم تتبعه منا واذى وقوله تعالى والله غني حليم اي غني عن صدقات
العباد حليم اذ لم يعجل بالعقوبة على الذي يمن بصدقته ونظير هذه الاية قوله عز وجل واما تعرضن
عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله و
اليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون
على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين سبحانه ما الطف حين مدح
الانفاق الذي خلص من المن والاذى معرضا قبح المن والاذى فيه ثم فضل القول الحسن
على الانفاق المشوب بالمن والاذى ثم صرح الخطاب فقال عز من قايل لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى وقوله تعالى كالذي ينفق ماله رئاء الناس اي لا تكونوا في ابطال تلك الصدقة
كالمنافق الذي يتصدق لا رغبة في الثواب ولا رهبة من العقاب بل خوفا من الناس وريا لهم

وابل

انه مومن ثم ضرب لنفقة المنافق مثلا فقال جل ذكره فمثله كمثل صفوان اى الحجر الملس عليه تراب فاصابه وابل اى مطر كثير شديد الوقع فذهب بالتراب الذى كان على الحجر وبقى الحجر يابسا لا شئ عليه وقوله تعالى لا يقدرون على شئ مما كسبوا اى لا يقدر المان بنفقته والموذى والمنافق على شئ من الثواب مما انفقوا كما لا يقدر احد من الخلق على التراب الذى كان على الحجر الاملس بعد ما يصيبه المطر الشديد ومعنى والله لا يهدى القوم الكافرين اى لا يهديهم حتى يخلصوا اعمالهم وقيل لا يهديهم بالمثوبة لهم كما يهدى المومنين واصل الوابل من الوبيل وهو الشديد كما قال الله تعالى اخذا وبيلا ويقال وبلت السماء تبل اذا اشتد مطرها والصلد الحجر الاملس الصلب ويسمى البخيل صلدا تشبيها له بالحجر فانه لا يخرج منه شئ ويقال للارض التى لا ينبت شيا صلد وصلد الزند صلودا اذا لم يور نارا وفى الاية دلالة ان الصدقة وساير القرب اذا لم تكن خالصة لوجه الله تعالى لا يتعلق بها الثواب ويكون فاعله كمن لم يفعل قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله لا يجوز الاستيجار على الحج وتعليم القرآن وساير الافعال التى من شرطها ان تفعل على وجه القربة لان اخذ الاجرة عليها يخرجها من ان تكون قربة بدلالة هذه الايات ثم ضرب جل ذكره لنفقة المخلصين المتثبتين مثلا اخر اعلا من المثل الاول فقال عز وجل ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير اى صفة نفقة الذين ينفقون اموالهم لطلب رضى الله تعالى وتصديقا وحقيقة ويقينا فى قلوبهم بالثواب ويقال توطينا لانفسهم على الثبوت على طاعة ربهم ويقال تاملا وتدبرا لا يوقعونها غير موقعها كصفة بستان بمكان مرتفع من الارض اصابها مطر كثير شديد او قرش مثل الرذاذ وهو المطر الدايم الصغار القطر الذى لا تكاد تسيل منه المثاعب كذلك المنفق لوجه الله تعالى ان كانت نفقته كثيرة فثوابها كثير وان كانت قليلة شيا بعد شئ فبعددها والله بما تعملون من الريا والاخلاص بصير عالم يجزيكم على قدر نياتكم والربوة والربوة والربوة والرباوة بمعنى واحد كل ذلك من الربو وهو الارتفاع والمطر على الروابى اشد ونبتها احسن وريعها اكثير منه اذا كانت بمكان متسفل كما قال الاعشى ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل والاكل والاكل بتسكين الكاف وضمها بمعنى واحد وهو اسم لما يوكل والاكل المصدر والجنة لا تعطى فى الحقيقة الا انه يطلق مثل هذا اللفظ على التوسع والمجاز يقال كم تعطى ارضك من الحنطة وكرمك من العصير اى كم تخرج منها وضعف الشئ مثله وضعفا مثلاه زايدين عليه اى تثمر مرتين واربعا ثم ضرب جل ذكره لنفقة المان مثلا اخر فقال عز وجل ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون وهذا استفهام فى الظاهر يقتضى فى الحقيقة تقريرا اى لا يود احدكم كما قال تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا معنى الاية ايتمنى احدكم ان يكون له بستان من نخيل وكروم تجرى من تحت شجرها ومساكنها وغرفها الانهار له فى الجنة من الوان الثمار كلها واصابه الهرم والضعف وله اولاد ضعاف تعجز عن الحيلة واصابها يعنى تلك الجنة اعصار اى ريح عاصف تهب من الارض بالشدة كالعمود الى نحو السما تسميها العرب الزوبعة وسميت اعصارا لانها تلتوى كثوب عصر وقوله تعالى

فيه

المثاعب المرازيب

شئ

جها

نار

لعمود

فيه نار اى فى الاعصار نار فاحترقت يعنى احترقت هذه الجنة يقول كما يحرم هذا الشيخ الكبير نفع بستانه عند افقر ما يكون اليه عند عجزه وعجز اولاده من ان يغرسوا مثل ذلك البستان لا يرد عليه شبابه وقوته ليغرس فيه من ويغتم ويتوارى اسفا وتحسرا على ذلك فكذلك المان بصدقته يحرم فى الاخرة اجرها عند افقر ما يكون اليه يرى فى القيمة اعماله هبا منثورا ولا يوذن له فى الرجوع الى الدنيا فيتصدق ويكون من الصالحين وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم الايات اى كهذا البيان الذى بين الله لكم فيما تقدم يبين لكم الدلالات والعلامات لكى تتفكروا فتعتبروا فان قيل قوله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات على لفظ الاستقبال وقوله تعالى واصابه الكبر فعل ماض فكيف عطف الماضى على المستقبل قيل الجواب عنه من وجهين احدهما ان قد هاهنا مقدرة معناه وقد اصابه الكبر فيكون معناه الحال كما قال الله تعالى وان كان قميصه قد اى قد قد والثانى يود يقتضى ان يكونه خبره لو كما فى قوله تعالى يود احدهم لو يعمر وقوله تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا ويقتضى ان يكون فى خبره ان كما فى هذه الاية ولو للماضى وان للمستقبل ثم قد يستعمل لو مكان ان وان مكان لو ويقام احدهما مقام الاخر يقول الانسان انا اتمنى لو يكون لى ولد ويقول انا اتمنى ان كان لى ولد فاذا كان معنى التمنى قد يقع على الماضى صح عطف الماضى عليه وفى الذرية قولان احدهما فعولة من ذرا واصله ذروية لان الهمزة اذا كان قبله حرف مد ولين مد ما قبله فاجتمعت واوان فى اخر الكلمة قبلها ضمتان فثقل فصيرنا الواوين يائين كما فعلنا فى عتو عتيا فلما صار ايائين لانكسار ما قبلها فصار ذرية والثانى انه من الذر واصله ذرورة كرهنا كثرة التضعيف فقلبنا الراء الاخيرة ياء كما هو فى تقضى وتظنى فصار ذروية فحصلنا على ياء وواو والاولى ساكنة فصيرناهما يائين وادغمنا الاولى فى الثانية وكسرنا ما قبلهما والضعفاء جمع ضعيف كنديم وندما واما قوله تعالى ذرية ضعافا نحو ظريف وظراف وظرفا وكريم وكرام وكرما قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد معنى الاية والله تعالى اعلم يا ايها الذين اقروا وصدقوا بتوحيد الله تصدقوا من حلال ما كسبتم من الاموال من جيد ما كسبتم وقوله تعالى ومما اخرجنا لكم من الارض اى من اعشار الحبوب والثمار وقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث لا تعمدوا الى الردى من اموالكم منه تتصدقون ولستم بقابضيه وقابليه الا ان تغمضوا فيه يقول لو كان لبعضكم على بعض حق فجا بدون حقه لم ياخذه منه الا ان يتغامض له عن بعض حقه ويتسامح عن عيب فيه فكيف تعطونه فى الصدقة ويقال معنى قوله تعالى ولستم باخذيه اى لو ان احدكم اهدى له ردى المال لم ياخذه الا عن اغماض وحيا وهذا على قول من يقول ان هذه الاية انما وردت فى التطوعات وقد روى فى سبب نزول هذه الاية ان النبى صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة وقال ان لله تعالى فى اموالكم حقا وكان ياتى اهل الصدقة بصدقاتهم يضعونها فى المسجد فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم فجا رجل ذات يوم بعد ما تفرق عامة اهل بعذق من حشف فوضعه فى الصدقة فلما ابصره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بيس ما صنع صاحب الحشف فامر به فعلق فجعل كل من يراه يقول بيس ما صنع صاحب الحشف فانزل الله هذه الاية وذهب بعضهم الى ان معنى قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث لا تتصدقوا بالحرام فيكون معنى الا ان تغمضوا فيه على

ويقال

المسجد

هذا التاويل الان نهو خصوا في تناوله ان كان حراما والاغماض ترك النظر يقال في المثل اغمض في هذا
الامر وغمض اى لا تستقص وكن كانك لم تبصره وتقول العرب اغضى فلان على القذا واغمض اذا
لم يعترض على الامر مع كراهته له ومعنى والله اعلم واعلموا ان الله غنى حميد اى غنى عن صدقاتكم
محمود في فعاله لم يامركم بالصدقة عن عوز ولكن بلاكم بما امركم فهو مستحق للحمد على ذلك وعلى جميع امره
ويقال معنى الحميد الموجب للحمد على طاعته وفي الاية اباحة الكسب في اخبار ان فيه ما هو طيب و
المكاسب على وجهين احدهما ابدال الاموال وارباحها والثاني ابدال المنافع وقد نص تعالى
على اباحته ذلك كله في مواضع من كتابه نحو قوله تعالى واحل الله البيع وحرم الربا وقوله تعالى
واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا
من ربكم وقوله تعالى فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن وقال صلى الله عليه وسلم لان ياخذ
احدكم حبلا فياتي الجبل فيحتطب خير له من ان يسال الناس اعطوه او منعوه وعن عائشة
رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده
من كسبه وعموم هذه الاية يوجب الصدقة في جميع الاموال لان قوله تعالى ما كسبتم يشتمل على الاموال
انواع الاموال وقوله تعالى انفقوا امر وظاهر الامر على الوجوب الا ان الدلالة قد قامت على ان
الصدقة لا تجب الا في اموال مخصوصة وورد الشرع بالايجاب فيها فهذه الاية مجملة في مقدار الواجب
مفتقرة الى البيان يمكن الاحتجاج بها فيما اختلف في وجوبه منها نحو مال التجارة وصدقة
الخيل ووجوب العشر على قول ابي حنيفة في جميع ما يقصد بالزراعة وفي قليل الخارج و
كثيره ولا خلاف بين اهل العلم ان من ادى الاردا عن الاجود في صدقة الابل والبقر و
الغنم ان عليه اداء الفضل وانما اختلفوا في اداء الردى عن الجيد في ذوات الامثال نحو ان يودى
خمسه دراهم زيوف عن خمسه جياد قال ابو حنيفة وابو يوسف لا يحل له ان يفعل ذلك ولكن
اذا فعل فليس عليه فضل يلزمه الاداء لان الجودة لا يتقوم في حقوق الادميين فكذلك في حقوق
الله تعالى وقال محمد عليه ان يودى فضل ما بينهما لانه لا ربا بين العبد وسيده وفي قوله تعالى
الا ان تغمضوا فيه دلالة جواز اخذ الردى عن الجيد في القرض والسلم وجواز بيع الفضة الجيدة
بالرديئة وزنا بوزن قوله عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم المعنى والله تعالى اعلم الشيطان يخوفكم الفقر بالنفقة
في وجوه البر وانفاق الجيد من المال ويامركم بالمعصية وهي منع الزكوة وانفاق الردى من
المال في الواجبات وانما سمي منع الزكوة فحشا لان العرب تسمي البخيل فاحشا والبخل فحشا
ويقال انما سمي بهذا الاسم لما في ذلك من التقاطع فان الغني اذا ترك الانفاق على ذوي الحاجات
من اقاربه وجيرانه ادى ذلك الى القطيعة ومعنى والله يعدكم اى يعدكم مغفرة لذنوبكم
بالانفاق من خيار المال وفضلا اى خلفا في الدنيا والاخرة والله واسع عليم يوسع الرزق والخلف
والمثوبة ويعلم حيث ينبغي ان تكون السعة وروى عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس
رضي الله عنهما انهما قالا اثنتان من الله واثنتان من الشيطان في الله المغفرة والفضل و
من الشيطان الفقر والفحشا قوله عز وجل يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب اختلفوا في تفسير الحكمة قال ابن مسعود رضي الله
عنه هي القران وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هي علم ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه
ومقدمه وموخره وحلاله وحرامه وامثاله وقال السدي رحمه الله هي النبوة وقال قتادة

رحمه الله

رحمه الله هي الفقه وقال مجاهد وابرهيم رحمهما الله الاصابة والفهم وقال الربيع رحمه الله هي خشية
الله تعالى ويقال هي العلم بوسوسة الشيطان في عدة الفقر والامر بالفحشا وكل هذه الاقاويل محتمل
لان الحكمة في اللغة فعلة من احكام الشيء وهو كل ما تشهد العقول بصحته وتخضع لرفعته
ومعنى ومن يؤت الحكمة اى من يعطى العلم فقد اعطي خيرا كثيرا يصل به الى رحمة الله تعالى لان
نعم الدين اعظم من نعم الدنيا اذ الدنيا فانية ونعم الدين تدوم وتبقى والعلما باقون ما بقي الدهر
اعيانهم مفقوده وامثالهم في القلوب موجوده وحكي عن بعض الحكما رحمه الله انه كان يقول
سمى الله تعالى العلم خيرا كثيرا والدنيا متاعا قليلا فينبغي لمن اعطي العلم ان يعرف قدر نفسه ولا
يتواضع لاصحاب الدنيا لدنياهم ومعنى وما يذكر الا اولو الالباب اى ما يتفكر فكرا يتعظ به
الا ذوو العقول وسمي العقل لبا لانه انفس ما في الانسان كما ان لب الثمرة انفس ما فيها و
الله تعالى اعلم قوله عز وجل وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله
يعلمه وما للظالمين من انصار معنى الاية والله تعالى اعلم ما تصدقتم من صدقة او عقدتم
على انفسكم فعل بر مثل صلوة او صدقة او صوم فان الله عز وجل لا يخفى عليه ذلك يقبله ويجازي
عليه وليس للمشركين من مانع في الاخرة مما يراد بهم من العذاب فان ناصر الانسان هو الذي يدفع
عنه او يعينه على عدوه ويقال ومعنى وما للظالمين ليس لمن وضع الصدقة في غير موضعها
اما بالريا او بالمن والاذى من ناصر ينصره والهاء في قوله عز وجل يعلمه راجع الى الاسم الذي في
قوله تعالى وما انفقتم من نفقة لان في تقديره اى شيء انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر ثم
ذكر الله عز وجل صدقة السر والعلانية بسؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ايهما
افضل فقال جل وعز ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير معناه ان تظهروا الصدقات
فنعم الشيء صدقة العلانية وان تسروها وتعطوها الفقرا فهو خير لكم من العلانية وكلاهما مقبول
منكم ويكفر عنكم من ذنوبكم بقدر صدقاتكم والله بما تعطون من الصدقة عالم يجزيكم به ذهب
الحسن وقتادة الى ان الاخفا في كل صدقة افضل مفروضة كانت او تطوعا وقال ابن عباس
ان صدقة التطوع اخفاؤها افضل ليسلم به من الريا واما المفروض من زكوة الاموال
الظاهرة لا يلحقه الريا ويلحقه بالاخفا تهمة المنع فيكون اظهاره افضل كما في الصلوات الخمس و
الجمعة والاعياد والى هذا اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال افضل صلوة المرء في بيته
الا المكتوبة يدل على صحة هذا القول انه لا خلاف ان العامل اذا جاء قبل ان يودي رب المال
صدقته فطالبه باداءها ان الفرض عليه اداؤها في هذه الحال وذهب بعضهم الى ان الاخفا
في الصدقات كلها كان احسن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان لا يظن بهم
منع الزكوة فاما في زماننا فبخلافه واما القراة في فنعما هي بكسر النون والعين وبنصب النون وكسر
العين وبكسر النون وتسكين العين كل ذلك لغات واما قوله عز وجل ونكفر من قرا بجزم الرا فلانه
جواب الشرط عطف على موضع الفا من قوله تعالى فهو كما في قوله تعالى فاصدق واكن من الصالحين
ومن قرا برفع الرا كان عطفا على موضع ما بعد الفا فيكون الفا في حكم الاستيناف لما بعده
كما في قوله عز وجل من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم ويقرا ويكفر بالياء ورفع الرا قوله عز وجل
ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما
تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون

رخصة من الله تعالى في التصدق على فقرآ اهل الكتاب والمشركين حين سال المسلمون رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اتجوز لنا يا رسول الله ان نتصدق بما نتصدق على ذوي قرابتنا
من غير اهل ديننا قال عبد الله بن عباس اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضا
وكانت معه اسما بنت ابي بكر فجاتها امها قتيلة وجدها ابو قحافة فسالونها الصلة والعطية
فقالت لا اعطيكم شيا حتى استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم لستم على ديني
فسالته فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال محمد بن الحنفية كان يكره على المسلمين التصدق
على اليهود والنصارى فامروا بذكره في غير فريضة ومعنى الآية والله تعالى اعلم ليس عليك
يا محمد صلى الله عليه وسلم تحصيل الثواب لهم بان تمنعهم الصدقة لتحملهم على الايمان
ولكن الله تعالى يثبت ويرشد ويوفق للخير من يشاء ممن كان اهلا له وما تنفقوا من مال
على بر او فاجر فلانفسكم ثوابه اي ذخره ونفعه عايد اليكم فلا تضنوا به على غيركم ومعنى
وما تنفقون الا ابتغا وجه الله اي علم الله عز وجل انكم لا تريدون بنفقتكم الا طلب مرضاة
الله عز وجل وان كان المتصدق عليه كافرا وانما وضع الوجه موضع الرضوان لمعنيين احدهما
لتحقيق الاضافة لان ذكره يرفع الابهام انه له او لغيره والثاني ان الوجه اشرف الشي فاذا
اريد تشريف الشي ذكر بالوجه ومعنى وما تنفقوا من خير اي ما يتصدقوا من مال يوف اليكم
ثوابه في الآخرة وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون شيا من ثواب اعمالكم وصدقاتكم وظاهر هذه
الآية يقتضي جواز دفع الصدقات الى الكفار الا ان النبي صلى الله عليه وسلم خص منها الزكوة
بقوله امرت ان اخذ الصدقة من اغنيائكم واردها في فقرائكم ومذهب الحسن والزجاج في
معنى قوله ليس عليك هداهم اي ليس عليك ان تحمل الكفار على النفقة في وجوه البر فيكون هذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على امتناعهم من الايمان والانفاق قوله عز وجل للفقرا الذين
احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من
التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله
به عليم قيل معناه ما انفقتم من نفقة للفقرا ويقال معناه عليكم بالنفقة للفقرا الذين
حبسوا في طاعة الله تعالى اي حصرهم فرض الجهاد فمنعهم من التصرف وهولا اصحاب الصفة
حبسوا انفسهم في طاعة الله لطلب العلم وفضل الجمعة وخدمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانوا نحوا من اربعماية رجل لم يكن لهم مساكن ولا عشاير كانوا معتكفين في المسجد في صفته قالوا نخرج
في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله فحث الله تعالى على الصدقة عليهم فكان
الرجل اذا كان عنده فضل اتاهم به ومعنى لا يستطيعون ضربا في الارض الزموا انفسهم تعلم الشريعة
وفرض الجهاد شغلهم ذلك من السفر للكسب والتجارة فليس انهم لا يقدرون على ذلك كما يقال امرني الوالي
ان اقيم فما اقدر ان ابرح اي المرء تقتضي طاعته فلا اقدر لا انه لا يقدر على الحركة والضرب في الارض هو السير
تقول ضربت في الارض ضربا ومضربا اذا سرت فيها وكان السدي يقول احصروا في سبيل الله منعهم الكفار
بالخوف منهم فلا يستطيعون تصرفا في الارض بمنع الكفار اياهم عن ذلك وقيل هذا لا يصح لانه لو كان كذلك لقال
حصروا بغير الالف واما قوله تعالى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف اي يظنهم الجاهل بامرهم وشانهم اغنيا
من التعفف لتجملهم باللباس وكفهم عن المسالة والتعفف يذكر ويراد به ترك المسالة كما ورد الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من استغنى اغناه الله ومن استعف اعفه الله تعالى ومعنى تعرفهم بسيماهم اي تعرفهم
انت يا محمد صلى الله عليه وسلم بعلامة فقرهم فيهم جهدا لفاقة وبذاذة الهيئة ورثاثة الحال وقال

في معنى

تعالى

تعالى مة طاعتهم من اصفرار الوجوه وانكسار البدن بقيام الليل وصيام النهار واما قوله عز وجل
لا يسالون الناس الحافا قال ابن عباس معناه الحاحا وغير الحاح اي ليس لهم سوال فيكون الحافا ولكنه لو
على هذا القولين وجهين احدهما من قوله تعالى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف اي من القناعة ولو كانوا
يسالون لم يكن يحسبهم الجاهل اغنيا والثاني من قوله عز وجل تعرفهم بسيماهم ولو كانوا يسالون لكان
تعرفهم بالسوال لا بالسيما وانما يسمى الملح ملحفا لانه يلصق بالمسول ويشتمل على وجوه الطلب في المسلة
كاشتمال اللحاف ومعنى وما تنفقوا من خير اي ما تنفقوا من مال فان الله به عليم يجزيكم به وفي
الآية دلالة ان من له ثياب للكسوة ذات قيمة كثيرة يشبه ظاهر حاله احوال الاغنيا لا يمنع ذلك من
دفع الزكوة اليه اذا كان عند المتصدق انه فقير لا يملك كمال الزكوة لان الله عز وجل امر باعطا الزكوة
ودفعها الى من كان ظاهر حاله يشبه حال الاغنيا وفيها دليل على جواز دفع الزكوة الى الصحيح الجسم لان
هولا اصحاب الصفة كانوا من المهاجرين والمجاهدين في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحد
الغنى الذي يوجب تحريم الصدقة في الشرع ان يفضل ملكه عن مسكنه وكسوته وخادمه وما يحتاج
اليه ما يساوي مايتي درهم وان كان اقل من مايتي درهم حلت له الصدقة لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اخذ الصدقة من اغنيايكم واردها في فقرايكم ثم قال وفي مايتي درهم خمسة دراهم وليس فيما
دونها شي فجعل الناس صنفين اغنيا وفقرا وجعل الغني من في ملكه هذا القدر لان الصدقة لا تجب
على من ملك ما دونه واما ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من سال الناس
عن ظهر غنى فانما يستكثر من جمر جهنم قيل يا رسول الله وما ظهر غناه قال ان يعلم ان عند اهله ما
يغديهم ويعشيهم وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي ونحو ذلك
من الاخبار فهو محمول على تحريم السوال يدل عليه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم
الصدقات اذ جا رجلان قويان فسالاه ان يقسم لهما فرفع راسه اليهما وقال اما انه لا يحل لكما
ولو سكتما اعطيتكما فلولا ان المراد بقوله لا تحل حرمة السوال دون جواز الدفع لم يكن لقوله صلى الله
عليه وسلم اعطيتكما معنى ولا فايدة قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال عبد الله بن عباس ومقاتل
نزلت هذه الآية في امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه كانت له اربعة دراهم لم يكن يملك غيرها
فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل
معنى ينفقون اموالهم بالليل والنهار اي يداومون على الانفاق والصدقة قال ابن عباس رضي الله عنهما
كانوا ينفقون على هذا الوجه حتى نزل فرض الزكوة فمن شا اقتصر على تلك العدة واراد بهذا والله اعلم ان
الصدقة لم تكن مقدرة في المال يوميذ ثم صارت مقدرة بنزول فرض الزكوة فمن شا اقتصر على ذلك القدر
ومن شا زاد عليه وعن مكحول رضي الله عنه انه قال في الآية هذه الآية هم الذين يربطون الخيل عدة في سبيل
الله تعالى وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المنفق على فرسه في سبيل الله عز وجل كالباسط
يده بالصدقة لا يقبضها قوله عز وجل الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاه
موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى لما بين ما للمتصدقين من طيب مالهم من عظم الاجر
والثواب بين بعد ذلك ما لا يطيب من التجارة وذكر عقوبة اكلة الربا فقال جل ذكره الذين ياكلون الربا اي
الذين ياكلون الربا اي الذين ياكلونه في الدنيا لا يقومون في الآخرة من قبورهم لعظم بطونهم الا كما يقوم في

الدنيا الذي يضربه ويصيبه الشيطان من المس اي من الجنون وروي انهم يبعثون يوم القيمة وقد انتفخت بطونهم كلما
قاموا سقطوا والناس يمشون عليهم وهم كالمجانين قال الحسن رضي الله عنه هذه علامة اكلة الربا يعرفون
بها يوم القيمة وقوله عز وجل ذلك بانهم قالوا اي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بانهم قالوا انما البيع مثل
الربا كان الرجل اذا حل ماله طلبه فيقول المطلوب زدني في الاجل وازيدك في مالك فيفعلان ذلك فاذا
قيل لهم ان هذا ربا قالوا هما سوا الزيادة في اخر البيع بعد الاجل كالزيادة في اول البيع اذا ابيعت بالنسية سوا وليس
الامر على ما توهموه لان الزيادة في الثمن في اخر البيع بعد الاجل لا تعاد في الاجل بعد ما صار الثمن في محل دينا في الذمة
يكون عوضا عن الاجل والاعتياض عن الاجل باطل واما الزيادة في الثمن في اصل العقد يكون مقابلة للمبيع ويجوز
بيع المبيع بثمن قليل وبثمن كثير وقد بين الله عز وجل في الاية ان ذلك القول جهل منهم بما وضع الله تعالى من الشريعة
عليه من مصالح الدين والدنيا وان الامر بالشرع لا بالقياس في موضع النص فقال واحل الله البيع وحرم الربا اي احل
الله تعالى الزيادة في اول البيع وحرم الزيادة الاخيرة فمن جاءه موعظة اي نهي وزجر من ربه عن الربا فانتهى
عنه فله ما مضى من اكله الربا قبل النهي ولا اثم عليه في ذلك وامره فيما بقي من عمره الى الله عز وجل ان شا عصمه
وان شا لم يعصمه ويقال معنى فله ما سلف له ما اخذ من الربا قبل التحريم وامره الى الله في المستانف في العفو
والتجاوز عنه وانما لم يقل فمن جاءته موعظة لان تانيث الموعظة ليس بحقيقي فيجوز تذكيره ويجوز ان ينصرف
الى المعنى كانه قال فمن جاءه وعظ او نهي من ربه عن الربا ومعنى ومن عاد قال بعضهم من عاد الى اكل الربا فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون دايمون الى ما شا الله تعالى ويقال من عاد بعد النهي الى قوله انما البيع مثل الربا
فاولئك اهل النار هم فيها مقيمون دايمون لان مستحل الربا كافر لانكاره اية من كتاب الله تعالى والربا في اللغة
عبارة عن الزيادة ومنه الرابية والربوة من الارض اذا كانت زايدة على ما حواليها ويقال اربى فلان على فلان
في القول والفعل اذا زاد عليه فاما الربا في الشرع فهو على ضربين احدهما ربا الفضل وهو الزيادة في احد البدلين
المقدرين من جنس واحد واسنده الا بالخبر الوارد عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال الذهب بالذهب مثلا بمثل يدا بيد والفضل ربا الى اخر الخبر وهو معروف عند الفقها رحمهم الله
والاخر ربا النسا ولا يكون ذلك بالنسية في احد البدلين الا اذا كان البدلان من جنس واحد مثل الثوب
الهروي بالهروي واتفقا في تقدير الثمنية والمثمنية مثل الحنطة بالشعير كما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا اختلف النوعان فبيعوا كيف شئتم يدا بيد ولا خير فيه نسية والى هذا ذهب اصحابنا
رحمهم الله وكانت العرب تعتقد قبض الدراهم والدنانير الى اجل زيادة على مقدار القرض على ما يتراضون
بينهم ربا ولم يكونوا يعرفون البيع بالنقد ربا وان كان متفاضلا من جنس واحد فاسم الربا شرعي في معنى
اللغة وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال ان اية الربا من اخر ما نزل من القران وقبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل ان يبين لنا كثيرا منه فان من الربا ابوابا لا تكاد تخفى على ذي لب منها السلم في السن وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ياتي على الناس زمان لا يبقى احد الا اكل الربا فان لم
ياكله اصابه من غباره وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده
اذا علموا به ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال الربا بضع وسبعون بابا ادناها كاتيان الرجل امه واما الخبط في اللغة فهو الضرب على غير
استوا يقال خبط البعير اذا ضرب بيده قال زهير رايت المنايا خبط عشوا من تصب تمته ومن تخطي
تعمر فيهرم وخبط الشجر ضربها بالعصا ليسقط ورقها والمس الجنون يقال رجل ممسوس اي مجنون
ويقال فلان مس اي جنون قوله عز وجل يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار
اثيم معناه يهلك الله الربا ويذهب بركته والمحق نقصان الشيء حالا بعد حال يقال محقه الله يمحقه

محقا

محقا فانمحق وامتحق اي هلك ومال الربا ينقص حالا بعد حال الى ان يتلف كله وقيل ان مال اكل الربا
لا يخلو من احد وجوه ثلث اما ان ينفقه فيما لا يصلح او يذهب عنه او يذهب عن ولده ومعنى ويربي
الصدقات يقبلها ويعطي خالقها في الدنيا ويضاعف ثوابها في الاخرة من واحد الى عشرة الى سبعين
الى سبعماية الى ما شا الله من الاضعاف كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقبل
الصدقات ولا يقبل منها الا الطيبة ويربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه وفصيله حتى ان اللقمة
تصير مثل احد ومعنى والله لا يحب كل كفار اثيم اي يبغض كل جاحد بتحريم الربا فاجر عاص باكله
واستحلاله وانما قال كفار اثيم ولم يقل كافر ليبين ان مستحل الربا مع كونه كافرا كفار للنعمة والاثيم
المتمادي في الاثم والاثم الفاعل للاثم قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون معناه ان الذين
امنوا بالله وكتبه ورسله وبتحريم الربا وعملوا الصالحات الطاعات فيما بينهم وبين ربهم واتموا الصلوات
الخمس مما يجب من حق الله عز وجل فيها واعطوا الزكوة المفروضة من اموالهم لهم جزاؤهم وثوابهم في الاخرة
عند ربهم ولا خوف عليهم اذا ذبح الموت ولا هم يحزنون اذا اطبقت النار على اهلها وانما جمع الله تعالى
بين هذه الخصال لا لان الثواب لا يستحق على كل واحد منها فانما يستحق على جملتها اذ لو كان كذلك
لكان فيه تصغير امر كل واحد منها ولكن جمع بينها للترغيب في كل واحدة منها وهذا كما قال الله عز
وجل والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل
ذلك يلق اثاما الى اخر الاية فجمع بين هذه الخصال في الوعيد لا لان الوعيد على مجموع هذه الخصال
دون احادها اذ لو كان كذلك لكان فيه توهين كل واحدة منها ولكن جمع بينها ليبين ان الوعيد يلحق
الانسان بفعل كل واحدة منها قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من
الربا ان كنتم مؤمنين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في نفر من ثقيف مسعود
وحبيب وربيعة وعبد ياليل بني عمرو بن عمير الثقفي كانت لهم ديون على بني المغيرة وكانت بنو المغيرة
يربون لهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على اهل مكة وضع الربا كله وكان اهل الطايف قد صالحوا
على ان لهم رباهم من الناس ياخذونه وما كان عليهم من ربا الناس فهو موضوع عنهم لا يوخذ منهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب في اخر كتابهم ان لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين
فلما حل الاجل كتب ثقيف الى بني المغيرة يطلبون رباهم فقالت بنو المغيرة ما بالنا نكون اشقى
الناس وضع الربا عن الناس كلهم ويوخذ منا خاصة فقالت لهم ثقيف انا صالحنا على ان ربانا لنا
وما كان علينا من ربا فهو موضوع فخاصموهم الى اميرهم بمكة وهو عتاب بن اسيد فلم يدر ماذا يقضي
بينهم وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة فانزل الله تعالى هذه الاية خطابا
لثقيف يقول اخشوا الله تعالى وذروا ما بقي من الربا فانه لم يبق غير رباكم ان كنتم مؤمنين اي من
كان مصدقا بتحريم الربا فهذا حكمه وفي الاية دليل ان كل ما طرا على عقد البيع قبل القبض مما يوجب
تحريم ذلك العقد اوجب فسخه نحو النصرانيين يتبايعان في الخمر ثم يسلم احدهما قبل قبض الخمر و
المسلمين يتبايعان في الصيد ثم يحرم احدهما قبل قبض الصيد فانه ينفسخ البيع ولو كان الصيد
والخمر مقبوضين ثم احرما او اسلما لم يبطل البيع لان الله تعالى انما ابطل في هذه الاية من الحرام ما لم يقبض
قوله عز وجل فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا
تظلمون ولا تظلمون اول هذه الاية يحتمل معنيين احدهما ان لم تفعلوا امر الله تعالى ولم تقروا بتحريم
الربا ولم تتركوه فاعلموا انكم محاربكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اي يعذبكم الله تعالى في الاخرة

بالنار ويعذبكم رسوله صلى الله عليه وسلم في الدنيا بالسيف والاذن العلم يقال اذن يأذن اذنا اذا
علم ومن قرأ فآذنوا بالمد فمعناه فاعلموا اصحابكم الممسكين بمثل ما انتم عليه ان من عامل بالربا مستحلاً
له حاربهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى الثاني ان لم تتركوا ما بقي من الربا بعد نزول الامر
بتركه فاذنوا بحرب من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومثل ذلك لا يوجب الاكفار لان لفظ محاربة
الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يطلق على ما دون الكفر كما في اية قطاع الطريق وهذا الحكم في اية الربا
انما يستقيم اذا اجتمع اهل بلد او قرية لهم منعة او قوة على المعاملة بالربا وكانوا محرمين له فان الامام
يستتيبهم فان تابوا والا قاتلهم فاما اذا عامل واحد او جماعة قليل عددهم معاملة الربا فان الامام
يستتيبهم فان تابوا والا زجرهم وعزرهم وحبسهم الى ان يظهر منهم توبتهم وقد روي عن عبد الله بن
عباس وقتادة والربيع بن انس فيمن اربى ان الامام يستتيبه فان تاب والا قتله وهذا محمول على ان يفعله
مستحلا له لانه لا خلاف بين اهل العلم انه ليس بكافر اذا اعتقد تحريمه **ومعنى** وان تبتم فلكم رؤوس
اموالكم اي ان رجعتم عن استحلال الربا واقررتم بتحريمه ويقال ان تبتم عن معاملة الربا فلكم رؤوس اموالكم
التي اسلفتموها في المغيرة لا تظلمون بطلب الزيادة على راس المال ولا تظلمون بحبس راس المال عنكم وفي
قوله عز وجل ولا تظلمون دليل ان المطلوب اذا امتنع من اداء راس المال مع القدرة عليه كان ظالما و
لهذا قالوا ان المديون يحبس في الدين **وقد روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مطل الغني ظلم
وروي انه قال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته ومعلوم انه لا يستحق الضرب بالاجماع فلم يبق
الا الحبس **قال** عبد الله بن عباس لما نزلت هاتان الايتان كتب بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عتاب فقراها على ثقيف فقالوا بل نتوب الى الله عز وجل فانه لا يدان لنا بحرب الله عز وجل و
حرب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم طلبوا رؤوس اموالكم من بني المغيرة فقالت بنو المغيرة نحن اليوم اهل
عسرة فاخرونا الى ان تدرك الثمار فابوا ان يوخروهم حتى نزل **قوله** عز وجل **وان كان ذو عسرة
فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون** معناه ان كان المطلوب ذا ضيق وشدة فاخروه
الى سعة ويسار وروي عن ابن عباس وشريح وابرهيم ان الانظار انما يجب في الدين يعني دين الربا خاصة
وكان شريح يحبس المعسر في غيره من الديون **وروي** عن ابي هريرة والحسن والضحاك ان ذلك واجب في
كل دين وهذا هو الاصح والله تعالى اعلم لان نزول الاية في راس مال الربا لا يمنع اعتبار ساير الديون به
بالاستدلال والقياس وذهب بعض اهل النحو الى ان الرفع في قوله ذو عسرة دليل على انه ابتداء على
معنى وان وقع ذو عسرة او وجد ذو عسرة يقال قد كان الامر اي وقع الامر ولو كان هذا مختصا بالربا
لقال وان كان ذا عسرة بالنصب ويحتمل ان يكون تقدير الرفع وان كان ذو عسرة غريما لكم وفي قراة ابي
بن كعب رضي الله عنه وان كان ذا عسرة اي كان المطلوب ذا ضيق وشدة **والنظرة** مصدر يقال بعث
بنظرة اي بتاخير ومن قرا فناظره فهو من اسماء المصادر ايضا كما في قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة وقوله
عز وجل تظن ان يفعل بها فاقرة ومن قرا ميسرة بضم السين فهو لغة في الميسرة **ومعنى** وان تصدقوا خير
لكم اي ان تتصدقوا براس المال فهو افضل لكم ان كنتم تعلمون ثواب من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله
تعالى يوم القيمة يوم لا ظل الا ظله وفي الاية دليل على ان للامام ان يتعرف عن احوال المحبوسين على ما قالوا
ان كل من ثبت عليه حق يحبسه الامام فانه يسال عنه بعد شهرين او ثلثة فان كان موسرا تركه في الحبس
ابدا الى ان يقضي الحق وان كان معسرا خلى سبيله • وذكر ابن رستم عن محمد عن ابي حنيفة رحمه الله ان
المطلوب اذا قال انا معسر واقام البينة على ذلك وقال يسال عن حاله قال لا اسال عنه احدا الجواز ان له
مالا اخفاه فاحبسه شهرين او ثلثة حتى يضجر فيعطي المال ان كان له مال ثم ان لم يظهر له مال فاني اسال

يستتيبهم

عنه

عنه الا ان يكون معروفا بالعسر فلا احبسه **كما روي** ان رجلا اتى عليا كرم الله وجهه بغريمه
وساله حبسه فقال هات بينة على ماله احبسه قال فاني اذا الزمه قال ما امنعك من لزومه
وقال الشافعي يباع على الغريم ما ظهر من ماله ويحبس اذا بقي عليه من الدين شيء فان احلف اتى
بالبينة على اعساره قبلت بينته وحلفته على ذلك بالله ما لك شيء سوى ما ظهر عليك فاذا
حلف منعت غرماه من لزومه وليس في هذه الاية ما يمنع الملازمة بعد ظهور الاعسار
لان النظرة تقتضي النظر وفي اخراج المطلوب من الحبس مع الملازمة نظر لهما لكي يستوفي
صاحب الحق حقه من كسبه اذا وجد فيه فضلا عن نفقته **وقد روي** عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه ابتاع بعيرا من اعرابي بتمر الى اجل فلما حل الاجل اتاه الاعرابي يتقاضاه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم جيتنا وما عندنا شيء فجعل الاعرابي يقول واغدراه فهم عمر
رضي الله عنه ان يضربه فقال صلى الله عليه وسلم دعه فان لصاحب الحق مقالا وفي بعض الروايات
تبادر اليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فان لصاحب الحق اليد
واللسان وفي **قوله** عز وجل وان تصدقوا دليل على ان الصدقة افضل من القرض لان القرض دفع
المال بتاخير الاسترجاع وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قرض مرتين صدقة مرة
قوله عز وجل **واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**
تحذير من الله عز وجل ان يوافي العباد ذلك اليوم على غرة وغفلة وتقصير في اوامر الله تعالى
ومخالفته فيما احل وحرم يقول اخشوا عذاب يوم ترجعون فيه الى جزاء الله تعالى ويقال الى
ملك الله تعالى فلا يكون لكم يومئذ غلظ بمصرة ولا استغاثة **ومعنى** وصف الناس بالرجوع
اليه في ذلك اليوم اي حالهم اخرا وان لا يملك احد ضرهم ولا نفعهم الا الله تعالى يعود الى مثل
ما كان عليه حالهم اولا في بطون امهاتهم كان لا يملك ضرهم ولا نفعهم الا الله ثم بعد البروز في
حال الرضاع والفطام والنشو والبلوغ ملك بعضهم ضر بعض ونفع بعض في ايام الدنيا ثم ترجع
الامور كلها الى الله عز وجل في اليوم الاخر وهو يوم القيمة **ومعنى** ثم توفى كل نفس ما كسبت
يوفر على كل نفس جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد في
سيئاتهم قال ابن عباس رضي الله عنه هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من
القران وذلك انه لما حج البيت نزل عليه جبريل عليه السلام وهو واقف بعرفة بقوله تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم ثم نزل بعد ذلك بهذه الاية واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وقال يا رسول الله
ضعها على راس ثمانين ومايتي اية من سورة البقرة فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
هذه الاية بسبعة ايام **قوله** عز وجل **يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى
فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب و
ليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا
او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا
رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب
الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة
وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا
اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله و
الله بكل شيء عليم** روي عن عبد الله بن عباس ان الكتاب كانوا على عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم قليلا فامر الله الناس في بيعهم وشرائهم بالكتابة للمعادلة بينهم وكان يقول اشهد ان السلف
المضمون الى اجل معلوم داخل تحت اطول اية من كتاب الله تعالى فتلا هذه الاية وظاهر الاية على
كل دين من سلم او غيره ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان فيما تقدم امر الدين اذ هو من باب المداينة
والمتاجرة فذكر الله عز وجل المداينة المباحة وامر بالكتابة ومعنى الاية والله تعالى اعلم يا ايها الذين
صدقوا بتوحيد الله تعالى اذا تبايعتم بالنسيئة الى وقت معلوم فاكتبوا الدين باجله واشهدوا عليه
كيلا يحدث في نفس احدكم الطمع في مال صاحبه ولا يقع الشك في مقداره والتداين تفاعل من المداينة
وهو فعل الاثنين في سبب الدين وانما قال عز وجل بدين ولا يكون التداين الا بدين لان تداينتم قد يكون
بمعنى تجازيتم في الدين وهو الجزاء وقد يكون بمعنى تعاملتم بدين فقيده بالدين لتخليص اللفظ عن الاشتراك
وجاز ان يكون على وجهة التاكيد كما يقال ضربت ضربا وشتمت شتما ولا فرق بين قولك دينا وبين
قولك بدين كما لا فرق بين قولك كلمت فلانا كلاما وبين قولك بكلام واختلفوا في هذه الكتابة انها
فرض او ندب فذهب ابو سعيد الخدري والحسن والشعبي رضي الله عنهم ان الكتابة والاشهاد على
الديون الآجلة كانا واجبين بهذه الاية ثم نسخا بقوله عز وجل فان امن بعضكم بعضا وقال ابن عباس
رضي الله عنهما لا والله ان اية الدين محكمة ما فيها نسخ وهو قول الربيع وكعب وهذا هو الاصح والله
اعلم لان الامر بالكتابة والاشهاد انما ورد مقرونا بقوله عز وجل فان امن بعضكم بعضا ولم يثبت تاريخ
بين نزول هذين الحكمين ويستحيل ورود الناسخ والمنسوخ معا في شيء واحد وكان المراد بالامر الندب
والفائدة في قوله عز وجل الى اجل مسمى بيان وجوب اعلام الاجل فان جهالة الاجل في البياعات يفسدها
واما قوله عز وجل وليكتب بينكم كاتب بالعدل اي ليكتب الصك بين المداينين كاتب بالحق لا يزيد على الحق
على المطلوب ولا ينقص عن حق الطالب يعني ان سبيل الكاتب اذا كتب ان يكتب على حد العدل والاحتياط
في كتبه الشروط الصحيحة والتحرز عن العبارات المحتملة للمعاني المشتركة لتخرج الكتابة من اختلاف الفقهاء
ووجوه الاحتمال حتى يحصل بذلك معنى الوثيقة ولذلك قال عز وجل ولا يأب كاتب ان يكتب كما
علمه الله اي لا يمتنع ان يكتب كما الهمه الله تعالى شكرا لما انعم الله تعالى عليه حيث علمه الله عز وجل
الكتابة واحوج غيره اليه فليكتب وقد اختلف السلف رحمهم الله في وجوب الكتابة على الكاتب
قال الشعبي هو واجب على الكفاية كالجهاد ونحو ذلك وقال السدي هو واجب على الكاتب في حال فراغه
وقال الضحاك كانت الكتابة واجبة في ذلك الوقت ثم نسخ بقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد
والصحيح ما تقدم ان الكتابة غير واجبة في الاصل على المتداينين فاذا لم تكن واجبة عليهم فكيف تكون
واجبة على الاجنبي الذي لا حكم له في هذا العقد ولا سبب له فيه غير ان المتداينين اذا قصدوا الى ما
ندبهم الله تعالى اليه من الاستيثاق بالكتاب ولم يكونوا عالمين بذلك كان على من علم ذلك ان يبينه
لهم وليس عليه ان يكتبه لهم ولكن يبين حتى يكتبوه او يكتبه اجير او متبرع باملاء من يعلمه كما لو اراد
انسان ان يصوم صوم تطوع او يصلي صلوة تطوع ولم يعلم احكامها كان على العالم بذلك ان يبينه له لان
لان على العلماء بيان النوافل اذا سئلوا كما ان عليهم بيان الفرض واما قوله عز وجل وليملل الذي عليه الحق
اي ليمل على الكاتب حتى يكتب والاملال والاملاء بمعنى واحد مثل التقضض والتقضي والتظنن والتظني
واما قوله عز وجل وليتق الله ربه اي ليخش الله تعالى الذي عليه الحق في الاملاء ولا ينقص من حق الطالب شيئا
وفي هذا اثبات جواز الاقرار وبيان ان كل من اقر بشيء لغيره كان القول قوله في ذلك اذ لولاه لم يكن للوعظ
في ترك البخس معنى كما تقدم ذكره في قوله عز وجل ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن واما قوله
تعالى فان كان الذي عليه الحق سفيها خفيف العقل جاهلا بشروط الاملاء لا يميز تمييزا صحيحا او

ضعيفا

او ضعيفا في العقل مثل الصبي والمراة او كبير السن او لا يستطيع ان يمل هو لمرض او خرس لا يقدر على ذلك
لعيه فليملل وليه الذي يقوم بامره بالعدل بالحق وقد احتج ابو يوسف ومحمد والشافعي رحمهم الله في
اثبات الحجر على السفيه بان الله تعالى اجاز لولي السفيه الاملال عليه في هذه الاية وهذه الاية
مشتركة الدلالة لان في مضمونها جواز مداينة السفيه لقوله عز وجل اذا تداينتم بدين الى قوله عز وجل
فان كان الذي عليه الحق سفيها وهذا حجة لابي حنيفة رحمه الله وانما خالف بين السفيه وبين غيره
في الاملال لقصور فهمه عما له وعليه على ما تقتضيه شروط الوثيقة وقد قالوا ان المراد بقوله
عز وجل فليملل وليه ولي الدين اي ليكن هو الذي يملي الكتاب حتى يقر به المطلوب الذي عليه الدين
ومن الدليل على صحة هذا القول انه لا خلاف ان اطلاق اقرار ولي المحجور عليه بالسفه لا يجوز الا ان يكون
في مقابلته مال للسفيه فعلم ان المراد بهذا ولي الدين والله اعلم واما قوله عز وجل واستشهدوا
شهيدين من رجالكم اي اشهدوا على الحق شهيدين من رجالكم من الاحرار البالغين المؤمنين دون
الكفار والعبيد وفي الاية ما يدل على هذه الشرائط في الشهود لان اول هذه الاية خطاب للمؤمنين
وقوله تعالى من رجالكم دليل ان البلوغ شرط في الشهادة وفي عطف هذا اللفظ على التداين و
الاملاء دليل ان الحرية شرط في الشهود لان العبد لا يملك المداينة الا باذن المولى واذا اقر بشيء لم يجز
اقراره الا باذن مولاه واما قوله عز وجل فان لم يكونا رجلين اي ان لم يكن اللذان يشهدان رجلين
فليشهد رجل وامراتان او فرجل وامراتان شهيدان لان وجه قوله عز وجل وامراتان بدل قوله
عز وجل واستشهدوا شهيدين فلولا ان اسم الشاهدين يشترك فيه رجلان او رجل وامراتان جميعا
لم يصح ان يفسره بقوله عز وجل فرجل وامراتان بل كان يجب ان يقول واستشهدوا رجلين فان لم
يكونا فرجل وامراتان الا ترى انه لا يصح ان يقال اعتق رقبة عبدا فان لم يكن فصيام شهرين لان اسم
الرقبة اسم الرقبة العبد والامة جميعا لا يقع على الصيام كما يقع على العبد ويصح ان يقال اعتق رقبة
عبدا فان لم يكن فامة لانه يشترك في اسم الرقبة العبد والامة جميعا وليس شهادة رجل وامراتين من
الابدال التي لا تصح مع القدرة على الاصل مثل قوله عز وجل فلم تجدوا ماء فتيمموا ونحو ذلك لانه
لا خلاف في جواز شهادة المراتين ورجل مع وجود رجلين فعلم انه لم يرد به اقامة شهادة المراتين
مقام رجل عند عدم الرجلين وانما اراد تسمية الرجل والمراتين شهيدين فيكون ذلك اسما شرعيا
يجب اعتباره فيما امرنا به بشهادة شاهدين الا فيما قامت الدلالة عليه من الحدود والقصاص
وفي الاية ما يدل على جواز شهادة رجل وامراتين في ابدال المنافع والاعيان نحو الاجرة والمهر وبدل
الخلع والصلح من دم العمد لان هذه ديون اجله بعقود مداينة لان لفظ الاية يقتضي عقودا مشتملة
على دين موجل في احد البدلين لا في كل البدلين لان الله تعالى قال اذا تداينتم بدين ولم يقل بدينين وقد
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدين بالدين ومعنى ممن ترضون من الشهداء اي ممن ترضون
عدالته وامانته وهذا القيد يدل على ان من الشهود من لا يرضى كان فيهم من يرضى والمرضي من
يجتمع فيه ثلثة اشيا احدها العدالة واصلها الايمان واجتناب الكبائر ومراعاة حقوق الله
تعالى من الواجبات والمسنونات وصدق اللهجة واداء الامانة والثاني نفي التهمة نحو ان
لا يكون للمشهود له والدا ولا ولدا ولا زوجا ولا زوجة للشاهد وان لا يكون الشاهد شهد
بهذه الشهادة فردت شهادته للتهمة فان شهادة هولا غير مقبولة لمن ذكرنا وان كانوا
عدولا مرضيين في الجملة والثالث التيقظ وقلة الغفلة وذلك ان لا يكون الشاهد ممن
يلقن فيتلقن ويجوز عليه التزوير فيشهد به فروى ابن رستم عن محمد في رجل صوام قوام مغفل

شاهد

ورجلم

عليه

يخشى ان يلقن فياخذ به قال هذا اشر من الفاسق في شهادته واما قوله عز وجل ان تضل
احداهما فتذكر احداهما الاخرى فمعناه والله اعلم لان تنسى احديهما فتذكرها التي حفظت
تقديره لان تذكر الذاكرة الناسية ان نسيت فيكون الجزا مقدما في المعنى وهذا كما يقال
ليعجبني ان يسال السايل فيعطا اي يعجبني الاعطا ان سال السايل ويقال اعددت هذا ان
يميل الحايط فادعمه وانما اعدتم للادعام لا للميل لكن بدا بذكر الميل لانه سبب الادعام كما ذكر
الضلال هاهنا لانه سبب الاذكار ومن قرا ان تضل فتذكر بكسر الالف وضم الرا على معنى
الابتدا والشرط وموضع تضل جزم بالشرط وجواب الشرط بالفا يقتضي الرفع وقيل في تفسير
القراتين ان امتنعت احدى المراتين عن ادا الشهادة تعظها الاخرى حتى تشهد ومن قرا فتذكر
بالتخفيف فالاذكار والتذكير بمعنى واحد يقال اذكرت فلانا وذكرته بمعنى واحد وقيل في معنى التخفيف
تجعلها ذكرا اي يقومان مقام رجل واحد وقد اعترض على هذا القول وقيل ان في الاية تعلق
الاذكار من النسيان وقد ورد على وفق هذه الاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما رايت
من ناقصات العقل والدين اذهب بعقول ذوي الالباب منكن فقالت امراة ما نقصان ديننا قال صلى
الله عليه وسلم تقعد احداكن شطر دهرها لا تصوم ولا تصلي فقالت ما نقصان عقلنا فقال صلى الله عليه
وسلم اقيمت شهادة امراتين منكن مقام شهادة رجل واحد وفي الاية دلالة ان الشاهد وان عرف
خطه لا يجوز له ان يشهد عليه الا ان يكون ذاكرا للشهادة واما قوله عز وجل ولا ياب الشهدا
اذا ما دعوا اي لا يمتنعوا اذا دعوا الى اقامة الشهادة عند الحاكم او الحكام وامامي قال معناه اذا دعوا الى
اثبات الشهادة في الكتاب ذهب الى ان تحمل الشهادة فرض على الكفاية واما قوله عز وجل ولا تساموا
اي لا تملوا ان تكتبوا الحق قليلا كان الحق او كثيرا الى محله يقال سامت اسام سامة اذا مللت قال الشاعر
سيمت تكاليف الحيوة ومن يعش ۝ ثمانين حولا لا ابا لك يسام ۝ واما قوله عز وجل ذلكم اقسط عند
الله اي الكتاب اعدل عند الله احصى للاجل واحفظ للشهادة واقرب الى ان لا تشكوا في مقدار الحق
ومقدار الاجل وفي هذا دليل انه لا تجوز اقامة الشهادة الا مع زوال الريب كما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايت مثل الشمس فاشهد والا فدع واما قوله عز وجل الا ان تكون
تجارة حاضرة فاكثر اهل القراة في التجارة الرفع معناه الا ان يقع تجارة حالة يدا بيد فليس عليكم
حرج في ترك كتابة في تلك التجارة ومن نصب التجارة فمعناه الا ان تكون المداينة تجارة وفي هذا
توسعة من الله تعالى لعباده لان لا يضيق عليهم امر بياعاتهم في الماكول والمشروب والاشيا التي
تمس حاجتهم اليها في اكثر الاوقات ويشق عليهم كتابة جميعها واما قوله عز وجل واشهدوا اذا تبايعتم
فمعناه اشهدوا على حقوقكم اذا ابعتم واشتريتم وهذا محمول على البياعات النفيسة ولما يتعلق بها
من الحقوق لبعضهم على بعض من عيب يوجد ورجوع بالثمن عند الاستحقاق فاما العقد اليسير
الذي لم يجر في العادة التوثق بالاشهاد فيه نحو شرا الخبز والبقل والما وما جرا مجرى ذلك فغير داخل
في هذا الخطاب واما قوله عز وجل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل وجهين احدهما لا يضار الكاتب
ولا الشاهد الطالب ولا المطلوب اي لا يكتب الكاتب الا بالحق ولا يشهد الشاهد الا بالحق تقديره
ولا يضارر على النهي والثاني على فعل ما لم يسم فاعله اي لا يدعى الكاتب وهو مشغول لا يمكنه ترك شغله
الا بضرر يدخل عليه وكذلك لا يدعى الشاهد ومجيئه للشهادة يضر به ومعنى وان تفعلوا فانه فسوق
بكم اي تقصدوا المضارة بعد نهي الله تعالى عنها فانه اثم وخروج من امر الله تعالى واتقوا في الضرار ولا
تعصوه فيما امركم به ويعلمكم الله تعالى ما به قوام دينكم ودنياكم والله بكل شيء من اعمالكم عليم يعلم ما تعملون

في

في الكتابة والشهادة قوله عز وجل وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة فان امن
بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم
قلبه والله بما تعملون عليم ۝ معنى الاية والله تعالى اعلم وان كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتبا يكتب الوثيقة
وفي قراة ابن عباس كتابا يعني الصحيفة والدواة فرهان مقبوضة اي الوثيقة رهان يقبضها الذي
له الحق من الذي عليه الحق وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا اي ان كان الذي عليه الحق امينا عند صاحب
الحق فلم يرتهن منه شيا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهو المطلوب امانته بان لا يبخس ولا يجحد وليتق الله
ربه الذي راه فيما اؤتمن عليه ثم حذر الله تعالى الشهود فقال عز من قايل ولا تكتموا الشهادة اي لا تكتموها
عند الحكام ولا تمتنعوا من ادايها ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي فاجر سريرته واضاف الاثم الى القلب وان
كان الاثم هو الكاتم لان اكتساب الاثم بكتمان الشهادة يقع بالقلب وهذا ابلغ في الوعيد واحسن في البيان
لان كاتم الشهادة يلحقه الاثم من وجهين احدهما العزم على ان لا يودي والثاني ترك ادايها باللسان
وقوله والله بما تعملون عليم اي بما تعملون من كتمان الشهادة واقامتها وادا الامانة والخيانة فيها
عالم لا يخفى عليه شي مما تفعلون وتدعون والرهان مصدر راهنت مراهنة ورهانا وقد يقام
المصدر مقام الاسم ويقال ان الرهان جمع الرهن كالكباش والبغال والجبال جمع الكبش والبغل والجبل
وقال بعضهم الرهن مقبوضة فصلا بين رهان الخيل والرهن في غيرها واختار الزجاج رحمه الله هذه القراة
لموافقة المصحف فان المكتوب في المصحف بغير الف وقال ابو عبيد الرهن جمع الرهن كما يقال سقف
وسقف وفرس ورد وخيل ورد وقال الكسائي والفرا الرهن جمع الرهان كما يقال ثمر وثمار وثمر
وعن مجاهد انه كان يذهب الى ظاهر هذه الاية وكان يكره الرهن الا في السفر ولا خلاف بين فقها
الامصار وعلما السلف في جواز الرهن في الحضر وقد روي عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه
وسلم اشترى من يهودي طعاما الى اجل ورهنه درعه والفايدة في ذكر السفر في الاية ان الاغلب من حال
السفر عدم الشهود والكاتب فخص الرهن بحال السفر والله اعلم وفي هذه الاية دلالة ان الرهن لا يصح الا
مقبوضا لان الله عز وجل عطف الرهن على الشهادة وجعله قايما مقامها فلما كان استيفا العدد
المذكور والصفة المشروطة في الشهود واجبا فلذلك وجب ان يكون حكم الرهن فيما شرط الله عز وجل
له من الصفة والثاني ان الرهن وثيقة للمرتهن بدينه ولو صح غير مقبوض لبطل معنى الوثيقة وكان بمنزلة
ساير اموال الراهن اذ يمكنه جحد الرهن والدين جميعا وفي الاية دلالة ان الرهن مضمون لانه عطف الامانة
على الرهن والشي لا يعطف على نفسه وانما يعطف على غيره والحكمة في الامر بالكتاب والاشهاد والرهن
والله تعالى اعلم ان هذه الاحكام كلها من مصالح الدين والدنيا لما في ذلك من صلاح ذات البين و
نفي التنازع والاختلاف فان المطلوب اذا علم ان عليه شهودا او كتابا او رهنا في يدي الطالب
قل الخلاف لعلمه ان الخلاف لا ينفعه بل يظهر بذلك كذبه بشهادة الشهود عليه واذا لم يكن كتاب
ولا وثيقة وجحده المطلوب حمل جحوده الطالب على مقابلته بمثله حتى ربما لا يرضى بمقدار حقه
دون الاضرار به في اضعافه فيودي ذلك الى فساد ذات البين وذهاب الدنيا والدين قال الله
تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وقد نبه الله سبحانه عباده على هذا المعنى في تحريم الخمر
والميسر حيث قال جل ذكره انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضا في الخمر والميسر الى اخر الاية
ولهذا ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغرر وبيع ما ليس عند الانسان والبياعات المجهولة
فمن تادب بما ادب الله تعالى وانتهى الى اوامره حاز صلاح الدنيا والدين كما قال الله عز وجل ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا الى اخر الايات الثلث اشارة الى وجوب حفظ

الاتيعني

المال والنهي عن تضييعه وهو نظير قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقوله
عز وجل ولا تبذر تبذيرا وقوله عز وجل والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه نهى عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال قوله عز وجل لله ما في السموات
وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
والله على كل شيء قدير روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في كتمان الشهادة وذهب
جماعة من المفسرين الى انها عامة في الشهادة وغيرها ومعنى الاية والله اعلم ان ما في السموات والارض
كلها لله تعالى وكلهم عبيده وفي ملكه يقضي فيهم ما يشاء وان تظهروا الشهادة او تكتموها ويقال ان تظهروا
العمل بالاحكام التي تقدمت في هذه الاية او تسروه فلا تعملوه يجازيكم الله تعالى به في القيمة ويقال يعرفكم
ما تعملون روي عن عايشة في قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا انه العرض من نوقش الحساب عذب
وقوله عز وجل فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قيل في معناه يغفر لمن يشاء لمن تاب من الذنوب ويعذب
من يشاء لمن اصر عليها فانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار والاولى ان يقال في ظاهر هذه الاية
ويعذب بالجزم فعلى معنى جواب الشرط قوله تعالى والله على كل شيء قدير ان المسلم المذنب اذا مات
قبل التوبة فهو في مشية الله تعالى ان شا رحمه وان شا عذبه ومن قرا فيغفر ويعذب بالجزم فعلى معنى
جواب الشرط واما قوله تعالى والله على كل شيء قدير اي الله تعالى على كل شيء من المغفرة والعقوبة قادر
واختلف اهل التفسير في هذه الاية انها محكمة او منسوخة ذهب بعضهم الى ان المراد بالاية ان تظهروا
ما في قلوبكم او تضمروه في قلوبكم يحاسبكم به الله تعالى لكنها نسخت بما بعدها قالوا لما نزلت هذه الاية
شق ذلك على المسلمين مشقة شديدة قالوا ان الرجل ليحدث نفسه بامر من المعصية ثم لا يعمل بها
او يعمل بها فهما سوا يواخذنا قال معاوية بن قرة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقولون كما
قالت اليهود سمعنا وعصينا فقالوا بل نقول سمعنا واطعنا فنزلت هذه الاية لا يكلف الله نفسا الا وسعها
فنسخ ما قبله وعن سفين الثوري انه قال بلغني ان الانبيا عليهم السلام كانوا يأتون قومهم بهذه الاية
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيقولون لا نطيق هذا ولا نحتمله فلما عرض على هذه
الامة قبلوه فوضع عنهم بقوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها واستدلوا على هذا القول بما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا او يتكلموا
به وقال بعضهم لا يجوز ان تكون هذه الاية منسوخة لانها خبر من عند الله عز وجل والخبر لا يحتمل
النسخ لانه خلف وبدا وذلك جهل بالعواقب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لكن المراد بالاية اظهار العمل
واخفاوه وقال مجاهد هذه الاية محكمة في الشك واليقين قال الله عز وجل في قلوبهم مرض فزادهم الله
مرضا اي شكا وقال الربيع بن انس هذه الاية محكمة لم ينسخها شي يعرف الله تعالى عبده يوم القيمة يقول
انك خبيت في صدرك كذا وكذا في ساعة كذا وكذا ثم لا يواخذ المومن واستدل على هذا القول بقوله عز
وجل ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسولا ويحتمل ان يكون هذا
تاويل الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى تجاوز لامتي ما حدثت به
انفسها وقيل تاويل الخبر ان هذه الاية انما وردت فيما يواخذ به العبد فيما بينه وبين الله تعالى وذلك
الخبر انما ورد فيما يلزم العبد من احكام الدنيا فلا يقع عتقه ولا طلاقه ولا بيعه ولا هبته بالنية ما لم يتكلم
ومن نظاير هذه الاية قوله عز وجل ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم وقوله تعالى ان الذين يحبون ان
تشيع الفاحشة في الذين امنوا الاية ويدل على ذلك ان من احب ما ابغضه الله تعالى وابغض ما احبه
الله تعالى كان معاقبا على ذلك وان لم يعمل الا بقلبه وقال محمد بن علي الحكيم في هذه الاية ان الاخطار تضم

صح

على

على السوء ويهم به ثم لا يصل اليه ولا يتمكن منه وهذا القول حسن جدا اختاره جماعة من المفسرين رحمهم الله
قوله عز وجل امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
وذلك انه لما سبق في السورة ذكر احكام كثيرة اثنى الله عز وجل على من امن بها وقبلها فقال عز من قايل امن
الرسول بما انزل اليه جميع الاحكام التي انزلها الله تعالى وكذلك المومنون كلهم امنوا بالله تعالى وانما
وحد الله تعالى قوله امن لان لفظ الكل موحد وانما اتى بالايمان بالملئكة لان حيا من خزاعة
كانوا يقولون ان الملئكة بنات الله تعالى عن ذلك وقالت الفلاسفة ان الكواكب هي الملئكة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون ان الملئكة عباد الله ليسوا بنات الله تعالى ولا بالكواكب
واما قوله عز وجل وكتبه ففيه قراتان احداهما على لفظ الجماعة وقرا حمزة والكسائي وكتابه على
لفظ الوحدان وهي قراة عبد الله بن عباس ويحتمل ان يكون المراد بلفظ الوحدان جنس الكتاب كما يقال
كثر الدرهم والدينار في ايدي الناس ويحتمل ان يكون المراد بالكتاب القران وقوله تعالى لا نفرق بين
احد من رسله معناه قالوا لا نفرق بين احد من رسله اي لا نفعل كما فعل اهل الكتاب امنوا ببعض وكفروا
ببعض ومن قرا لا يفرق بالياء فالمعنى كل امن كل لا يفرق واما قوله عز وجل وقالوا سمعنا واطعنا اي قالوا
سمعنا قولك واطعنا امرك ويقال معنى اطعنا قبلنا ما سمعنا لان من سمع ولم يقبل قيل هو اصم كما قال
الله تعالى صم بكم عمي ومعنى قوله غفرانك ربنا اي اغفر غفرانك يا ربنا الا انه استغني بالمصدر عن الفعل
في الدعا كما يقال حمدا وشكرا اي احمد حمدا واشكر شكرا وحكى عن الكسائي عن بعض العرب انه كان يقول
في دعائه ريحانك ريحانك وكان يسال الله تعالى الرزق واما قوله تعالى واليك المصير فالمعنى
المرجع اليك المصير اي نحن مقرون بالبعث وهذا كما قال الله عز وجل حكاية عن ابرهيم عليه السلام اني ذاهب
الى ربي سيهدين اي ذاهب الى حيث امرني ربي قوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا
كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين معناه والله تعالى اعلم لا يكلف الله نفسا فرضا من فروضها من صوم او
صلوة او صدقة او غير ذلك من حديث النفس الا مقدار طاقتها كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لعمران بن حصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك تومي ايما وهذا
ما امر الله عز وجل المريض الذي لا يقدر على الوضوء بالتيمم والشيخ الكبير الذي لا يقدر على الصوم بالفدا وقال
صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة وقيل ان هذه الاية واردة مورد البيان لقوله عز وجل
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه فغلط بعض الرواة وقال ان هذا ناسخ لما قبله فان قيل هل يجوز العدل
ان يكلف فوق الوسع قيل هذا خبر عن سعة رحمته وعطفه على خلقه كما نفى الظلم عن خلقه نفسه وان كان
لا يتوهم منه الظلم وقد قال قوم لو كلف فوق الوسع كان له ذلك لان الخلق خلقه والامر امره ولكنه اخبر
انه لا يفعله وقالوا ان معنى قوله عز وجل الا وسعها الا ما يسعها او يجوز لها واما قوله تعالى لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت فالمعنى لها ما كسبت من الطاعة وعليها ما اكتسبت من المعصية اي لا
يواخذ احد بذنب غيره كما قال عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا فرق بين كسبت واكتسبت في
اللغة وكان محمد بن علي الحكيم يقول ان الكسب من توحيد القلب والتوحيد من الملكوت والاكتساب
من النفس والنفس من التراب وقيل في الفرق بينهما ان الكسب فعل الانسان لنفسه ولغيره والاكتساب
ما يعمله لنفسه خاصة كالقطع والاقتطاع فوصف المسي بالاكتساب لان وزره لا يعدوه و

ومعصيته لا يضر غيره ووصف المحسن بالكسب لان غيره يشاركه في ثوابه بالهداية والشفاعة
وأما قوله عز وجل ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي ان نسينا طاعتك او اخطانا
في امرك وقال الكلبي واخطانا ان جهلنا او تعمدنا وقد يذهب الى الخطا الذي هو ضد الصواب لا ضد
القصد يقال خطئ اذا تعمد واخطا اذا سها وقد يقال اخطا اذا تعمد وقيل معنى الاية ان
تركنا امرا او اكتسبنا خطيئة والنسيان بمعنى الترك معروف في الكلام كما في قوله تعالى نسوا الله
فنسيهم اي تركوا ذكر الله تعالى وامره فتركهم في العذاب والمراد بنفي المؤاخذة في النسيان لسقوط الاثم
في الاخرة فاما حكم الدنيا فلا يرتفع التكليف منه اذا ذكره بعد النسيان كما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وتلا قول الله عز وجل واقم الصلوة
لذكري وقوله عز وجل واذكر ربك اذا نسيت وكذلك الخطا مرفوع الاثم في الاخرة وهو تاويل الخبر
المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فاما في احكام
الدنيا فيتعلق به الحكم فان الله عز وجل نص على لزوم حكم قتل الخطا في ايجاب الدية والكفارة وأما
قوله عز وجل ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا اي لا تحمل علينا ثقلا ويقال عهدا كما
حملته على الذين من قبلنا بني اسرائيل يحرم منهم امرهم بقتل بعضهم بعضا وحرمت عليهم الطيبات بظلمهم
وكما كانوا مامورين بقطع موضع النجاسة من الثياب ونحو ذلك من الامور التي كانت ثقل عليهم واصل
الاصر في اللغة العطف ومنه اواصر الرحم لانها تعطفه عليه فالواحدة آصرة يقال له ما ياصرني عليه
آصرة ما يعطفني عليه قرابة ولا مودة والاصر حبل يمد على طريق وبه يحبس المارة ويمنعون عن
النفوذ ليوخذ منهم المكس والعشر وأما قوله عز وجل ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به اي لا تجهدنا
ولا تحملنا ما يشق علينا وهذا كما يقال لا طاقة لي بهذا الامر ولا اطيق كلام فلان اي لا احتمله
الا بمشقة وهذا هو معنى هذه الاية لا ان الله تعالى يكلف احدا شيئا لا يكون ذلك في قدرته
قال الله تعالى وكانوا لا يستطيعون سمعا ومعلوم ان اسماعهم كانت صحيحة قال الشاعر انك
ان كلفتني ما لم اطق ۞ ساءك ما سرك مني من خلق ۞ ويقال معنى ما لا طاقة لنا به اي لا تحملنا ما لا
طاقة لنا به من العذاب وأما قوله تعالى واعف عنا اي اعف عنا من ذلك كله ويقال اترك عنا العقوبة
ومعنى العفو الترك وقوله عز وجل اغفر لنا اي استر لنا ذنوبنا وعيوبنا وارحمنا اي انعم علينا بالجنة
والثواب ويقال معنى الاية واعف عنا من المسخ واغفر لنا من الخسف وارحمنا من الغرق اي لا تفعل بنا
ما فعلت ببعض من تقدمنا من الامم وقوله تعالى انت مولانا اي ولينا وناصرنا ومتولي امورنا
ثم سالوه جل ذكره بعدما سموه باسم المولى ما يسال من المولى من النصرة قالوا فانصرنا على القوم الكافرين
اي اعنا عليهم في اقامة الحجة واظهار الدين كما وعدتنا روي عن عبد الله بن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وكان معاذ بن جبل رضي الله
عنه اذا ختم هذه السورة قال آمين وعن الحسن والضحاك ومجاهد وجماعة غيرهم ان قوله تعالى
آمن الرسول الى آخر السورة كان في قصة المعراج وهو رواية عن ابن عباس حتى قال بعض المفسرين
ان جميع القران نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم الا قوله تعالى آمن الرسول بما انزل
اليه من ربه فانه سمع ليلة المعراج قالوا لما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعراج الى سدرة المنتهى قال
له جبريل عليه السلام اني لم اجاوز هذا المكان ولم يؤمر بالمجاوزة احد غيرك فامض انت قال
فمضيت حتى انتهيت الى ما اراد الله تعالى فاشار جبريل عليه السلام ان سلم على ربك فقلت التحيات
لله والصلوات والطيبات قال الله عز وجل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال عليه

القذف

السلام

السلام فاردت ان يكون لامتي حظ في السلام فقلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقال جبريل
عليه السلام واهل السموات كل واحد منهم اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله
قال الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يشرك امته في الكرامة
والفضيلة فقال عليه السلام والمؤمنون كل آمن بالله الى آخر الاية قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فقال جبريل عليه السلام عند ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم سل
تعط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا الى آخر السورة قالوا فلما رجع النبي
صلى الله عليه وسلم اوحى الله اليه هذه الايات ليعلم امته بذلك او يعلمهم كيف يدعون الله تعالى وعن
ابي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا البقرة وآل عمران فانهما يجيئان يوم القيمة
كالغمامتين او كالغيايتين او كفرقين من طير صواف تحاجان عن صاحبهما ثم قال تعلموا البقرة وآل عمران
فان اخذهما بركة وتركهما حسرة لا يستطيعهما البطلة يعني السحرة وعن عائشة رضي الله عنها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة البقرة وآل عمران جعل له يوم القيمة جناحان
يطير بهما على الصراط كالبرق السورة التي يذكر فيها آل عمران مدنية وهي مائتا آية لا اختلاف في
جملتها بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم الله لا اله الا هو
الحي القيوم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه انا الله اعلم ويقال هو قسم اقسم الله بان الله
عز وجل واحد لا شريك له ولا معبود للخلق سواه وقد تقدم تفسير الحروف المقطعة في اول سورة البقرة
ومعنى الحي الدائم الذي لا بد له اي الذي لا يموت ولا يزول والقيوم القائم على كل نفس بما كسبت قال
محمد بن اسحق والربيع ان بضعا وثمانين آية من اول هذه السورة نزلت في نصارى نجران حين وفدوا على النبي
صلى الله عليه وسلم وحاجوه في امر عيسى عليه السلام فانزل الله عز وجل هذه الايات وفي قوله عز
وجل لا اله الا هو الحي القيوم بيان ان الله تعالى المختص باستحقاق العبادة لتفرده بالاقتدار على ما
يجب به العبادة وتفرده بفعل ما يستحق به العبادة واكثر القراء في قوله تعالى الم على فتح الميم و
للفتح وجهان احدهما انه لما كانت الميم بعدها ساكنة استثقلوا فيها التسكين فحركوها الى الفتح لان
ذلك احف نحو كيف واين والثاني انه القى عليها فتحة الهمزة من الف الله وهذا جائز في الهجا وان كان
لا يجوز مثله في الكلام الموصول من حيث ان حروف الهجا مبنية على الوقف فيكون ما بعد كل حرف كالمبتدا
والالف من قوله عز وجل الله الف وصل تسقط في درج الكلام ومن قرا بتسكين الميم فعلى اصل
حروف الهجا انها مبنية على الوقف والسكت قوله عز وجل نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا
لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان
اي نزل عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم القران بالصدق والعدل ويقال لاقامة امر حق
ومعنى مصدقا لما بين يديه موافقا لما تقدمه من التوراة والانجيل وسائر كتب الله تعالى في
الدعا الى توحيد الله تعالى وبيان اقاصيص الانبيا صلوات الله عليهم والامر بالعدل والا
حسان وسائر ما لا يجري فيه النسخ وقوله تعالى وانزل التوراة والانجيل من قبل اي انزل التوراة
جملة على موسى عليه السلام والانجيل جملة على عيسى عليه السلام من قبل القران بيانا للناس من
الضلالة وانزل الفرقان قيل ان المراد به لم يكن غير القران واعاد ذكره لبيان انه يفرق بين الحق
والباطل ومتى اختلفت فوايد الصفات على موصوف واحد لم يكن ذكر الصفة الثانية تكريرا
بل يكون الثانية في حكم المبتداة لان لكل صفة فايدة ليست للاخرى والصفة الاولى تفيد ان
من شانه ان يكتب والصفة الثانية تفيد ان من شانه ان يفرق بين الحق والباطل جميعا وقيل

سورة آل عمران

هو ء

ان كل كتاب لله تعالى فهو فرقان والفرقان من الاية والله تعالى علم ان الله تعالى قد حكم في جميع
الكتب المنزلة ان عبادة غيره حرام فاعلموا الحكمة ان اقررتم بالالهية وقوله عز وجل مصدقا حالا
من الكتاب وفيه بيان ان الله تعالى بشر الانبيا صلوات الله عليهم في كتبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وان اليهود والنصارى كما صدقوا بالتوراة والانجيل فعليهم ان يصدقوا بالقران الذي يصدقهما
وانما قيل للماضي بين يديه وللاتي خلف لان ما مضى تقدمت به وكانه بين يديك تنظر اليه وما لم
يات بعد فانك لا تستيقن به علما فكانه بعد خلفك لا تبصره ومعنى التوراة في اللغة الضيا
والنور وقال البصريون اصلها ووريه على وزن فوعلة مثل الحوقلة والدوقلة من ورى الزند وورى
لغتان اذا اخرجت نارا ولكن الواو الاولى قلبت تا كما قالوا تولج اصله وولج من ولج اذا دخل وقلبت الواو
الاولى تا كيلا يجتمع واوان في اول الكلمة فصار توريه ثم قلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها الا ان
تفعلة لا يكاد يوجد في وقال الكوفيون التوريه توريه على وزن تفعلة قلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها الا ان تفعلة لا يكاد يوجد في الكلام وقال بعضهم اصله توريه على وزن تفعلة فنقل من الكسر
الى الفتح كما قالوا جارية وجاراة وناصية وناصاة قال الزجاج هذا ردي لا يقال توقية وتوقاة و
توفية وتوفاة والانجيل افعيل من النجل وهو الاصل سمي بهذا الاسم على معنى انه اصل العلوم والحكم وقيل
انه من نجلت الشي اذا استخرجته واظهرته فمعناه انه مستخرج منه علوم وحكم قوله عز وجل ان
الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام معناه مع ما قبله ان في كتب الله تعالى
ما يدل على صدق قولك فمن يجحد بايات الله تعالى وهي العلامات الهادية اليه الدالة على توحيده فاولئك
لهم عذاب شديد والله عزيز غالب امره لا يتهيا لاحد منعه ممن يريد عذابه ذو انتقام اي ذو نقمة
ينتقم ممن عصاه ثم حذرهم عن التلبيس والاستتار بالمعصية فقال عز وجل ان الله لا يخفى عليه شي في
الارض ولا في السما اي الذي لا يخفى عليه شي ما في الارض والسما لا يخفى عليه قول الكفار وعملهم يحصي كل
ما يعملونه فيجازيهم في الاخرة وفايدة تخصيص الارض والسماوات وان كان الله لا يخفى عليه شي بوجه من
الوجوه لان ذكر الارض والسما اكبر في النفس واهول في الصدر فذكره على الوجه الاهول اذ كان الغرض
به التحذير ثم احتج جل ذكره على الخلق في علمه بالسر والعلانية بتصويره الانسان وساير الحيوان في
ارحام الامهات اذ ليس يقدر احد ان يخلق من الما المهين الضعيف في قعر الرحم المظلم على هذا الخلق
المحكم الصنعة العجيب التدبير والبنية الا العالم بكل شي من السر والعلانية فقال عز وجل هو الذي
يصوركم في الارحام كيف يشا لا اله الا هو العزيز الحكيم اي يخلقكم في الارحام كيف يشا
من لون وطول وقصر وعظم وصغر وذكورة وانوثة وحسن ودمامة يفعل كل ذلك بالحكمة وقوله
تعالى لا اله الا هو لتاكيد ذكر المدلول الذي دل عليه الكلام الاول اي لا مصور لا خالق الا هو ومعنى
العزيز الحكيم المنيع في سلطانه لا يغالب ولا يمانع المحكم في تدبيره وقضاياه في عباده وافعال الله تعالى
كلها شاهدة بانه الواحد القديم العالم القادر الذي ليس كمثله شي لا يوصل الى معرفته الا بالاستدلال
بصنايعه وعجايب تدبيره اذ ليس بمحدود فيدرك بالابصار وتحوى بالخواطر والافكار فلو لم يكن
واحدا وكان معه اله غيره لكان اذا اراد هو تصوير واحد ذكرا واراد الاله الاخر تصويره انثى
لم يكن وجوده على الصورة التي اراد هو تصويره عليها باولى من وجوده على الصورة التي اراد الاخر تصويره
عليها ولو لم يرد واحد منهما الا ما اراد الاخر لكان كل واحد منهما عاجزا في نفسه لا يقدر على شي
دون موافقة غيره وفي هذه الاية حجة للنصارى من وجه اخر وهو انهم كانوا يدعون ربوبية
عيسى عليه السلام لولادته بلا والد وكانوا يقولون انه ابن الله تعالى لهذه العلة فبين الله تعالى ان ولادة

عيسى

عيسى عليه السلام بلا والد ليس باعجب من احيا النطفة وخلقها ذكرا او انثى وكيف يشا في قدرته على مثل هذا بعد
على خلق بشر لا من تراب من غير اب وبالله التوفيق قوله عز وجل هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات
محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
ابتغا الفتنة وابتغا تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من
عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في معنى الاية هو الذي انزل
عليك القران منه ايات واضحات بينات بالحلال والحرام لم تنسخ هي اصل الكتاب الذي انزل عليك وهي ام في
التورية والانجيل والزبور وكل كتاب نحو قوله تعالى في سورة الانعام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
ومعنى واخر متشابهات اي ومنه ايات اخر اشتبهت على اليهود مثل الم والر والمر والمص على ما ذكرنا
من قصتهم في ذلك مع النبي صلى الله عليه وسلم في اول سورة البقرة فاما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الحق و
الهدى وهم اليهود فيتبعون ما اشتبه عليهم من امر الحروف المقطعة يحسبون ذلك بحساب الجمل ابتغا
الفتنة يعني طلب الكفر والشرك والاستقامة على ما هم عليه وابتغا تاويله اي طلب تفسير منتهى ما كتب الله
تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم من الاكل ليرجع الملك الى اليهود وما يعلم تفسير منتهى ما كتب الله عز وجل
لهذه الامة من الاكل الا الله تعالى وعن الربيع بن انس رحمه الله تعالى وروح منه قال لم قالوا حسبنا
فانزل الله تعالى هذه الاية ان هذه الاية نزلت في وفد نصارى نجران لما حاجوا النبي صلى الله عليه وسلم في
المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله تعالى وروح منه قال بلى قالوا حسبنا فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناه
ان النصارى صرفوا قوله كلمة الله الى ما يقولونه من قدم عيسى عليه السلام مع الله تعالى وصرفوا قوله تعالى
وروح منه الى انه حي منه قديم معه كروح الانسان وانما اراد الله عز وجل بقوله وكلمته ان الله تعالى انما
صيره بشرا بكلمة منه وهي قوله تعالى كن فكان وسماه روحه لان الله تعالى خلقه من غير اب بل امر جبريل
عليه السلام فنفخ في جيب مريم عليها السلام فهو روح من الله تعالى اضافه الله عز وجل الى نفسه تشريفا
له كبيت الله وسما الله وارض الله تعالى وقيل سماه روحا لانه كان يحيي به الموتى كما سمي القران روحا بقوله
عز وجل وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا من حيث ان فيه حيوة الناس في امر دينهم فصرف اهل الزيغ
قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه الى مذاهبهم الفاسدة طلب الكفر والضلال فلم يردوا هذا
اللفظ الذي اشتبه عليهم وشبهوه على انفسهم الى الاية المحكمة وهي قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل
ادم خلقه من تراب فعلى هذا يكون معنى قوله وما يعلم تاويله الا الله اي ما يعلم تاويل جميع المتشابه حتى يشرع
علم المتشابهات كلها الا الله وقال الزجاج المحكم ما اعترف به اهل الشرك مما اخبر الله تعالى من انشا الخلق
وجعله من الما كل شي حي وما خلق تعالى من الثمار وسخر لهم من الفلك والرياح والمتشابه ما تشابه عليهم من
امر البعث ابتغا الفتنة وهي افساد ذات البين في الدين والحرب وابتغا رجع المتشابه وعاقبة امره ولا يعلم احد
متى البعث الا الله ومن الدليل على صحة هذا التاويل انه تعالى ذكر اقرار المومنين بالبعث من بعد فقال عز من قايل
حكاية عنهم ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه قال والتاويل المصير والعاقبة يقال فلان تاول الاية
اي نظر الى ما يؤول اليه معناها وقال القتيبي المحكمات الناسخات والمتشابهات المنسوخات وهي رواية
اخرى عن ابن عباس وانما سمي الناسخ محكما لانه ثابت الحكم والعرب تسمي البنا الوثيق محكما والعقد الوثيق
الذي لا يمكن حله محكما وسمي المنسوخ متشابها من حيث اشبه المحكم في التلاوة وخالفه في ثبوت الحكم فيشتبه
على التالي حكمه في ثبوته او نسخه وقد انكر اليهود النسخ حيث قالوا انه يشبه البدا وذلك لا يجوز على الله تعالى
قال قتادة هذه الاية في كل من احتج في المتشابه لباطله وعن هذا قال بعض المفسرين المحكم مثل سورة الاخلاص
والمتشابه مثل قوله عز وجل الرحمن على العرش استوى الذي يحتمل استوا الجلوس واستوا المالك على ما ملكه

بالاقتدار والاستيلا ونحوه قوله تعالى خلقت بيدي وغير ذلك من الاي التي يحتاج الى تاويلها في الابانة عنها ويقال المحكم نحو قوله عز وجل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام والمتشابه مثل قوله تعالى قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين ثم قال جل ذكره وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام ثم قال عز من قايل فقضاهن سبع سموات في يومين فظن من لا معرفة له ان العدد ثمانية ايام ولم يعلم ان اليومين الاولين داخلان في الاربعة التي ذكرها الله عز وجل من بعد كما يقول القايل سرنا من البصرة الى بغداد في عشرة ايام وسرنا الى الكوفة في خمسة عشر يوما واراد دخول العشرة في ذلك **وقال** ابن زيد المحكم هو الذي لم تتكرر الفاظه والمتشابه ما تكرر الفاظه كقصة موسى عليه السلام وقوله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فويل يومئذ للمكذبين ولفظ الاية يحتمل جميع هذه الاوجه ولولا احتمال لفظها لما نا ولو لم الاية عليها وقد سمى الله تعالى جملة القران محكما حيث قال جل ذكره الر كتاب احكمت اياته فوصفه بالاحكام في لزوم العمل به وسماه كله متشابها في اية اخرى حيث قال عز من قايل الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها اي يشبه بعضه بعضا في الحسن والتصديق ووصف في هذه الاية بعض القران انه محكم وبعضه بانه متشابه واراد بالمحكم هاهنا ما لا يحتمل الا وجها واحدا وبالمتشابه ما يحتمل وجوها شتى وفي مضمون هذه الاية ما يقتضي وجوب رد المتشابه الى المحكم لانه تعالى قال في صفة المحكمات هن ام الكتاب وام الشي التي منها ابتداوه واليها مرجعه فتسمية المحكمات امّا تقتضي بنا المتشابه عليها ورده اليها ثم وصف جل ذكره متبعي المتشابه من غير حملهم له على معنى المحكم بالزيغ في قلوبهم بقوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ واعلم ان هولا يتبعون الفتنة وهي الكفر والضلال وقد اختلف اهل العلم في معنى قوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم فمنهم من جعل تمام الكلام بعد قوله عز وجل والراسخون في العلم وجعل الواو التي في قوله والراسخون في العلم للجمع كقول القايل لقيت زيدا وعمرا وما جرى مجراه لان حقيقة الواو للجمع الا ان تقوم دليل الاستيناف ونظيره ما قال الله عز وجل في شان قسم الفي ما افا الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول الى ان قال والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا كذلك قوله والراسخون في العلم يقولون معناه والثابتون في العلم يعلمون تاويل ما نصب الله تعالى لهم الدلالة عليه من المتشابه ويعلمهم يقولون ربنا امنا به فيروى عن ابن عباس وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يعلمونه قايلين امنا به قال ابن عباس وانا ممن يعلم تاويله لقول الله عز وجل كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب ومنهم من جعل تمام الكلام عند قوله عز وجل وما يعلم تاويله الا الله وفي قراءة عبد الله بن مسعود ويقول الراسخون في العلم امنا به وهو مروي ايضا عن عبد الله بن عباس وعمر بن العزيز ولا يبعد ان يكون للقران تاويل استاثر الله تعالى بعلمه دون خلقه لانا لا نعلم مراد الله تعالى وحكمته في جميع اوامره ونواهيه غير انه الزمنا العمل بما انزله ولو بطالبنا بما لا سبيل لنا الى معرفته ولم يخف عنا علم ما غاب عنا من وقت قيام الساعة ونحو ذلك الا لعلمه عز وجل بما فيه المصلحة لنا وما هو خير لنا في ديننا ودنيانا وما اعلمناه فلم يعلمنا الا لمصلحتنا ونفعنا فنعرف بصحة جميع ما انزله الله عز وجل والتصديق بذلك كله ما علمنا منه وما لم نعلم **وقد روي** عن ابن جريج ان المتشابهات التي لا سبيل لاحد الى معرفته كوقت نزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وعلم ما في الارحام وعلم الامور المتوقعة **ومعنى** وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يتعظ بالقران الا ذووا العقول من الناس **فان قيل** كيف قال جل وعز هن ام الكتاب فوحد الام ولم يقل هن امهات الكتاب مع ان الايات جمع **قيل** فيه قولان احدهما انه قال ذلك على جهة الحكاية على تقدير الجواب كانه قيل ما ام الكتاب فقال جل ذكره هن ام الكتاب كما يقال من نظير زيد فيقال نحن نظيره والثاني ان الايات المحكمات بمجموعها اصل الكتاب وليست كل اية محكمة ام الكتاب واصله كما قال جل ذكره وجعلنا ابن مريم وامه اية ولم يقل ايتين لانه جعلهما اية واحدة **فان قيل** لو انزل الله عز وجل في القران المتشابه وهلا جعل جميعه محكما فكان

لا يحتاج

لا يحتاج الى رد المتشابه الى المحكم **قيل** لو جعل جميعه محكما لاتكل الناس على الخبر واشتغلوا عن النظر والاستدلال فكان لا يحصل لهم العلم عند ذلك بصحة الامور والحوادث تحمل بعض القران محكما وبعضه متشابها ليكون ذلك داعيا لهم الى النظر والاستدلال بادلة الله تعالى المودعة في العقول ولولا ذلك لم يظهر فضل العالم المجتهد الذي يرد المتشابه على المحكم على غير المجتهد وبالله التوفيق **قوله** عز وجل **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب** معطوف على قوله عز وجل كل من عند ربنا معناه يا ربنا لا تمل قلوبنا عن الهدى بعد اذ ارشدتنا وبصرتنا دينك الحق ويقال معناه لا تتعبدنا بما يكون سببا لزيغ قلوبنا معناه لا تكلفنا الشدايد فتقضي لبعض الانسان عند تكليف الشدايد كما قال عز وجل فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم **ومعنى** وهب لنا اعطنا من عندك نعمة ويقال لطفا تثبت به قلوبنا على الهدى واسم الرحمة يقع على كل خير ونعمة وقوله عز وجل انك انت الوهاب اي انت المعطي للمومنين في الوهاب الذي من سنته وعادته الاعطا والهبة **قوله** عز وجل **ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد** معناه يقولون ربنا انك محيي الناس باجمعهم بعد الموت للجزاء يوم لا ريب فيه اي ليس فيه ريب وشك لوضوحه وهو يوم القيمة وهذا اقرارهم بالبعث والنشور وقوله عز وجل ان الله لا يخلف الميعاد يجوز ان يكون حكاية عن الموحدين على معنى انك لا تخلف الميعاد ويجوز ان يكون هذا اخبارا عن الله تعالى والميعاد ما وعده الله تعالى من البعث والحساب والميزان والجنة والنار **قوله** عز وجل **ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا واولئك هم وقود النار** قيل ان المراد بالذين كفروا اليهود الذين تقدم ذكرهم ويقال اراد بهم نصارى نجران ويقال عامة الكفار ومعنى لن تغني عنهم اموالهم اي لا تدفع عنهم كثرة اموالهم واولادهم شيا من عذاب الله عز وجل في الدنيا والاخرة وسمي المال غنى لانه يدفع عن صاحبه الفقر والنوايب فاخبر الله عز وجل ان اموال هولاء الكفار واولادهم لا تنفعهم ولا تنجيهم من العذاب لانه لا يقبل منهم فدا ولا شفاعة بل يصيرون الى النار وتتقد بابدانهم وتشتعل بهم وان الوقود بنصب الواو ما توقد به النار وهو الحطب وفي هذا بيان ان اهل النار يحترقون في النار احتراق الحطب لا كما يحترق الانسان بنار الدنيا فان نار الدنيا تشيل الصديد من الانسان ولا تاخذه كما تاخذ الحطب كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ومن قرا وقود بضم الواو فهو مصدر وقدت النار وقودا كما يقال ورد ورودا وولج ولوجا فيكون المعنى ولكن هم ذووا وقود النار واعاد ذكر الله تعالى الاموال والاولاد في الاية لان اكثر الناس يدخلون النار لاجل المال والولد فاخبر الله تعالى ان شيا من ذلك لا ينفع في الاخرة كيلا يتعدا احدهم لاجل المال والولد ويكون هذا القول عبرة للمومنين **قوله** عز وجل **كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب** يقول عادة هولاء الكفار في الكفر والتكذيب بالحق كعادة ال فرعون وعادة الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود كذبوا بكتبنا ورسلنا فعاقبهم الله تعالى بكفرهم وشركهم والله شديد العقاب اذا عاقب معاقبته شديدة على الدوام والتابيد لا كعقوبة اهل الدنيا **والداب** في اللغة العادة يقال داب يداب دابا ودوبا اذا اعتاد الشي ومرن عليه وقد يذكر الداب بمعنى الاجتهاد يقال داب في كذا اذا اجتهد فيه والمعنى على هذا القول اجتهاد هولاء الكفار في كفرهم وتظاهرهم على النبي صلى الله عليه وسلم كاجتهاد ال فرعون على موسى عليه السلام والكاف من اول هذه الاية في موضع الرفع لانه خبر الابتدا على التقدير الذي تقدم ذكره ان داب هولاء مثل داب ال فرعون **قوله** عز وجل **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبيس المهاد** معناه والله تعالى اعلم قل يا محمد صلى الله عليه وسلم للذين كفروا ستغلبون وتحشرون ستهزمون وتقتلون وتحشرون بعد الموت الى جهنم وبيس الفراش النار من قرا ستغلبون بالتا

فعلى معنى قل لهم في خطابك لهم ومن قرأ بالياء فمعناه بلغهم أنهم سيغلبون ولهذه الآية قصتان أحداهما ما
روي عن عبد الله بن عباس وقتادة قالا لما أهلك الله عز وجل قريشا يوم بدر ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهود بسوق قينقاع فدعاهم إلى الإسلام وحذرهم مثل ما نزل بقريش من الانتقام فأبوا وقالوا لسنا كقريش
الأغمار الذين لا يعرفون القتال ولو مارستنا لئن حاربتنا لتعلمن أنا رجالا وتعرف البأس والشدة فأنزل الله تعالى
هذه الآية والثانية ما قاله الكلبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم المشركين يوم بدر قالت اليهود هذا والله
النبي الأمي الذي بشر به موسى عليه السلام نجده في التوراة بنعته وصفته فأرادوا اتباعه فقال بعضهم
لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة له أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ قالوا لا والله ما هو به لقد تغيرت حالته وصفته وكان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد
فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكبا إلى أبي سفيان بمكة ووافقوهم على أن تكون كلمتهم
واحدة فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقيل إن هذا خطاب لجميع الكفار ولا تنافي بين الأمرين وفي هذه الآية
دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عن غيب ثم بان صحة ما أنبأ به ولا يمكن حمل ذلك على الاتفاق
مع كثرة ما أخبر به من الغيوب في الأمور المستقبلة ووجد مخبره على ما أخبر به من غير خلف وذلك لا يكون
إلا من عند الله عز وجل العالم بالغيوب إذ ليس مثل ذلك في وسع أحد من الآدميين قوله عز وجل قد كان لكم
آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن
في ذلك لعبرة لأولي الأبصار يقول قد كان لكم أيها اليهود ويقال أيها الكفار في فرقتين وجمعين التقيا يوم بدر فرقة تقاتل في
طاعة الله عز وجل وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وفرقة أخرى
كافرة وهم مشركوا مكة تسعمائة وخمسون رجلا وقوله تعالى يرونهم مثليهم رأي العين من قرأ بالياء
فالمعنى ترى الفئة المؤمنة الفئة الكافرة مثليهم ظاهر العين أي ظن المسلمون أن المشركين ستمائة ونيف وأنهم
يغلبون المشركين كما وعدهم الله بقوله فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فقلل الله تعالى المسلمين في أعين
المشركين والمشركين في أعين المؤمنين حتى اقتتل الفريقان كما قال جل ذكره وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا
ويقللكم في أعينهم ثم قذف الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب حتى انهزموا بكف من تراب أخذه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرماه في وجوههم وقال صلى الله عليه وسلم شاهت الوجوه وذهب بعضهم في معنى هذه الآية أن المشركين
كانوا يرون المسلمين مثلي ما هم عليه ومن قرأ بالتاء فهو خطاب لليهود يعني ترون كفار مكة قريش والمؤمنين
رأي العين وقوله تعالى والله يؤيد بنصره من يشاء أي يقوي ويشدد بقوته من يشاء إن في ذلك وغلبة المؤمنين
المشركين مع قلة المؤمنين وشوكة المشركين وعلمهم أن ليس للمؤمنين رجاء مدد لعبرة لأولي الأبصار والاعتبار لذوي
بصائر القلوب ويجوز أن يكون معناه أن في ذلك لعبرة لمن أبصر بعينه يومئذ وفي قوله تعالى فئة قراءتان من
قرأها بالرفع فعلى معنى أحداهما فئة تقاتل في سبيل الله ومن قرأ بالخفض فعلى طريق البدل من فئتين بتقدير في فئة
تقاتل في سبيل الله وفي أخرى كافرة كما قال الشاعر وكنت كذي رجلين رجل صحيحة
ورجل رماها الدهر بالحدثان ○ فأما التي صحت فأزد شنوءة ○ وأما التي شلت فأزد عمان ○
وقد يروى البيت الأول برفع رجل صحيحة وكلاهما جائز وبالله التوفيق قوله عز وجل زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة و
الأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب بين الله تعالى بهذه الآية
أن ما بسط للمشركين من زهرة الدنيا وزينتها هو الذي منعهم من تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يدعوهم إليه
والمعنى والله أعلم حسن للناس حب اللذات ولم يرد بالشهوات نفس الشهوة فإن الشهوة توقان النفس
وميل الطبع فكان المعنى حب المشتهيات وقد فسره الله عز وجل بقوله من النساء والبنين فأما القناطير

صدق خ

الكفار خ

المقنطرة

المقنطرة فقد اختلف أهل التفسير في معناها فمن قائل إن القنطار ملء مسك ثور ذهبا أو فضة وآخر أنه ثمانية
آلاف مثقال من ذهب وفضة ويقال ألف ومائتا مثقال وعن الحسن البصري أنه قال ملء دية أحدكم
وجملته أنه كل الكثير من المال ○ وأما المقنطرة قال بعضهم القناطير ثلاثة والمقنطرة المضعفة وقيل
القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة وقيل المقنطرة هي المكملة كما يقال ألف مؤلفة وبدرة مبدرة
وقال الضحاك هي الأموال المنضدة بعضها فوق بعض والقنطرة في اللغة عقد الشيء وإحكامه ومن
ذلك تسمى الجسور القناطر وأما الخيل المسومة فهي الروائع الحسان والتسويم في اللغة على وجهين
أحدهما من السوم وهو الرعي يقال أسمت الماشية وسومت إذا رعيت كما يقال أكثرت وكثرت وأذكرت وذكرت
والثاني من السيما وهي العلامة من الأوضاح والغرر التي تكون في الخيل ○ وأما الأنعام وهي جمع النعم واسم النعم
أكثر ما يستعمل في الإبل خاصة وقد يقع على سائر المواشي من البقر والغنم ○ والحرث الزرع وقيل في الحكمة في تقديم
ذكر النساء في الآية أن فتنتهن عامة تحمل الرجل على قطع أرحام الآباء والأمهات وجمع المال من الحلال والحرام قال
صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء ثم ذكر فتنة البنين لأن حبهم يحمل الرجل على جمع
المال دون قطع الرحم ثم ذكر فتنة الذهب والفضة لأنها عامة في الملوك والتجار وأصحاب الغنى ثم ذكر فتنة الخيل
لأنها خاصة في الملوك وأصحاب السلطان ثم ذكر فتنة أهل البوادي وهي الأنعام ثم ذكر فتنة أهل القرى وهي الحرث
ثم زهد في ذلك كله حثا على الصدقة وتحريضا على سبيل الخير فقال جل ذكره ذلك متاع الحياة الدنيا أي هذا
الذي ذكرت مع عظم الإحسان فيه إلى الخلق متاع أي شيء يستمتع به في الدنيا ثم يزول ويفنى والله عنده حسن
المآب أي حسن المرجع والمنقلب للمؤمنين وهو الجنة الباقية ثم أعلم الله عز وجل أن ما أعد للمؤمنين في الآخرة
خير من بقية الدنيا فقال عز وجل قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد معناه و
~~الله أعلم قل يا محمد صلى الله عليه وسلم أخبركم~~
الله أعلم قل يا محمد صلى الله عليه وسلم أخبركم بخير من الذي زين للناس في الدنيا للذين اتقوا الشرك والكبائر و
الفواحش فلا يشتغلون بالزينة عن طاعة الله تعالى عند ربهم جنات بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها
أنهار الماء والعسل والخمر واللبن خالدين فيها مقيمين دائمين إلا أن ليست تلك المياه كمياه الدنيا تجري أحيانا وتنقطع
أحيانا بل تكون جارية أبدا وقوله تعالى وأزواج مطهرة أي ولهم نساء مهذبة في الخلق والخلق ورضوان من
الله أكرمهم مع ذلك برضا الله تعالى وهو من أعظم النعم قال الله في موضع آخر ورضوان من الله أكبر وقوله تعالى
والله بصير بالعباد عالم بأعمالهم وثوابهم واختلفوا في منتهى الاستفهام في قوله عز وجل قل أؤنبئكم قال بعضهم
منتهى الاستفهام عند قوله عز وجل بخير من ذلكم وقوله عز وجل للذين اتقوا عند ربهم استئناف كلام وقال
بعضهم منتهى الاستفهام عند قوله تعالى عند ربهم وقوله تعالى جنات استئناف كلام على تقدير الجواب كأنه
قيل ما ذاك الخير فقيل هو جنات وهذا كقوله عز وجل قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وقرأ
ورضوان من الله بضم الراء وهو لغة قيس وتميم فأما الكسر فهو لغة عامة العرب ويجوز في العربية جنات
بالخفض بدلا من الخير قوله عز وجل الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
معناه للمتقين الذين يقولون يا ربنا إننا صدقنا بالله تعالى وبالرسول صلى الله عليه وسلم فاغفر لنا خطايانا
وادفع عنا عذاب النار وموضع الذين على هذا التقدير خفض ويجوز أن يكون موضعه رفعا على معنى
هم الذين يقولون ربنا فإن قيل ما معنى سؤال هؤلاء المغفرة من الله تعالى مع أن الله عز وجل قد أخبر عنهم بأنهم
اتقوا ما حرم الله تعالى عليهم ومن يكون هذه حاله لا يقع منه الذنب وإن وقع كان صغيرة والصغائر تقع
مغفورة قيل عنه جوابان أحدهما أن التوبة عن الصغائر واجبة وإن كانت تقع مغفورة كما أخبر الله
عز وجل عن إبراهيم عليه السلام بقوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وإن كانت خطيئته وقعت

يكون مار

مغفورة فثبت ان التوبة عن الصغاير واجبة لما فيها من اظهار الرغبة في المغفرة والثاني ان هذا التعبد
على وجه الاستكانة والخضوع في مسالة ما يعلم من حاله ان الله تعالى يفعله وهذا كما اخبر الله تعالى عن الملكة
بقوله عز وجل فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وان كان الله تعالى يغفر لا محالة للذين تابوا واتبعوا سبيله
قوله عز وجل الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار في محل الخفض
بدلا من الذين يقولون ويجوز ان يكون الذين يقولون مع ما بعده بدلا من العباد وذهب بعضهم الى ان الصابرين
نصب بالمدح ومعنى هذه الاية الصابرين على طاعة الله والشدايد والمصايب والصادقين في ايمانهم واقوالهم
وافعالهم فان الصدق قد يقع في الفعل كما يقع في القول يقال صدق فلان القتال وصدق في الحملة اي حقق ويقال
في ضده كذب فلان في القتال والحملة ومعنى والقانتين القايمين بعبادة الله عز وجل والمنفقين اموالهم
في طاعة الله تعالى وقوله تعالى والمستغفرين بالاسحار قال قتادة اراد به المصلين بالاسحار وقال انس بن
مالك اراد به السايلين للمغفرة بالاسحار وهو نحو قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم
يستغفرون وقال الحسن انتهت صلوتهم الى وقت السحر ثم كان بعدها الاستغفار وعن ابرهيم بن حاطب
عن ابيه قال سمعت صوتا في ناحية المسجد سحرا يقول الهي دعوتني فاجبتك وامرتني فاطعتك وهذا سحر فاغفر لي
فنظرت فاذا هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والسحر هو الوقت الذي قبل طلوع الفجر تقول العرب جيتك باعلا
السحر تريد به في اول السحر وهو اول ادبار الليل الى طلوع الفجر الصادق والصلوة والاستغفار في ذلك الوقت افضل
لان صاحبه لازم المنهج والوسن كما قال الله تعالى ان ناشية الليل هي اشد وطا واقوم قيلا وقد مدح الله تعالى
اهل هذه الصفة بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى اخر الاية قوله عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو
والملكة واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال محمد بن السايب الكلبي رضي الله عنه لما ظهر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من احبار الشام فقال احدهما لصاحبه حين نظر الى المدينة
ما اشبه هذه المدينة بمدينة النبي الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم قالا له انت
محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم قالا انت احمد قال صلى الله عليه وسلم نعم قالا فانا نسالك عن شهادة ان انت
اخبرتنا بها امنا بك وصدقناك قال صلى الله عليه وسلم سلاني قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله تعالى
فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم شهد الله انه لا اله الا هو الى اخر الاية فاسلم الرجلان وصدقا برسول
الله صلى الله عليه وسلم واما معنى الاية قال ابو عبيدة رحمه الله معنى شهد الله قضى الله تعالى ويقال اخبر الله
تعالى وحقيقة الشهادة اداء العالم ما عنده من العلم اي علم الله وبين ويقال معناه شهد الله تعالى بما خلق من الخلايق
انه لا اله الا هو اي خلق من الخلق ما شهدت خلقته كل احد على وحدانيته لمن تدبر ذلك وقوله تعالى والملكة
اي شهدت الملايكة بهذه الشهادة لما عاينت عظم قدرته واولوا العلم يشهدون بما شهد الله تعالى
به ويؤكده بما بين لهم من دلايل وحدانيته وتوحيده وفي هذا بيان فضل اهل العلم وروي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال من شهد لله تعالى بالتوحيد فهو من اولي العلم وقوله عز وجل قايما بالقسط
اي بالعدل يقال فلان قايم بالتدبير اي يجري افعاله على الاستقامة ونصب قايما على الحال من قوله تعالى شهد
وقيل قوله تعالى لا اله الا هو ويجوز وقوع الحال المؤكدة على الاسم في غير الاشارة يقول انه زيد معروفا وهو الحق
مصدقا فان قيل ان الحال وصف هيئة الفاعل وذلك فيما يقبل التغيير فهل يجوز من الله تعالى ان يزول
عن قيامه بالقسط قيل هذا على مذهب الكوفيين لازم لانهم يسمونه على لفظ القطع يعنون بالقطع قطع المعرفة
الى لفظ النكرة فاما عند البصريين فالحال حالان حال ياتي بعد الفعل يجوز عليه التغيير وحال ياتي بعد الاسم
لا يجوز عليه التغيير وهذا من ذلك ولذلك قوله عز وجل وهذا بعلي شيخا وانما تكرار لا اله الا هو في الاية
فلتاكيد الكلام في الرد على النصارى نصارى نجران ان المستحق للعبادة من كان على هذه الصفة لا المسيح

ومن

شهد الله انه لا اله الا هو

ومن جانبه ومعنى العزيز الحكيم الغالب المنيع ذو الحكمة في امره وسلطانه قوله عز وجل ان الدين عند الله الاسلام
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله
سريع الحساب معناه ان الدين المرضي عند الله تعالى الاسلام يقال معناه ان الطاعة عند الله الاسلام والدين
في اللغة الجزا فسميت الطاعة دينا لانها تعقل الجزا واما الاسلام فهو العمل بطاعة الله تعالى فيما امر به و
دعى اليه اصله من السلم وهو الانقياد على السلامة يقال اسلم اذا دخل في السلم كما يقال اتهم اذا دخل في تهامة
واربع اذا دخل في الربيع ومن قرا ان الدين بالنصب فمعناه شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله
الاسلام ويجوز في العربية انه لا اله الا هو بالكسر على معنى ان الشهادة في معنى القول وما بعد المقول مقصور
على الحكاية وعن سعيد بن جبير انه قال كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما لكل حي من احياء العرب
صنم او صنمان فلما نزلت هذه الاية شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام اصبحت تلك الاصنام
كلها وقد خرت سجدا وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه من قال شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام
وقال استودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل
عبدي عهد الي وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
اي لم يترك اليهود والنصارى الاسلام ولم يتسموا باليهودية والنصرانية الا من بعد ما جاءهم العلم في كتابهم
حسدا بينهم روي ان اليهود كانوا يسمون مسلمين فلما بعث عيسى عليه السلام وسمى الصحابة مسلمين
حسدت اليهود مشاركتهم في الاسم فسموا انفسهم يهودا فكانوا يسمون مسلمين ويسمون يهودا فغيرت
النصارى اسمهم وسموا انفسهم نصارى وقيل معنى البغي هو طلب الاستعلاء بغير حق وقوله تعالى ومن يكفر
بايات الله اي يجحد بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران فان الله سريع المجازاة كما قال جل ذكره وما امر الساعة
الا كلمح البصر او هو اقرب ويقال معنى سريع الحساب المعروف للعامل عمله لا يحتاج في حفظه الى اثبات
وتذكر قوله عز وجل فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
ااسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد
قال الكلبي معناه فان خاصموك في الحجة قالوا انما اليهودية والنصرانية لعب وديننا الاسلام
فقل اخلصت طاعتي وعملي لله تعالى ويقال معناه اخلصت قصدي بالعبادة لله تعالى يقول
الرجل لاخر وجهي اليك اي قصدي اليك ويقال مر فلان على وجهه اي على قصده ويقال معناه سلمت
نفسي لله تعالى كما في قوله تعالى كل شي هالك الا وجهه معناه الا هو وكذلك قوله عز وجل ويبقى
وجه ربك معناه الذات وقال الزجاج معنى الاية فان طالبوك بالحجة فاحتج عليك باتباعك امر
الله تعالى الذي هم اجمعون معترفون بانه خالقهم قد دعاهم الى ما قد اقروا به وارادهم الدلالات والايات
بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ومن اتبعني اي كذلك ومن اتبعني والاصل في هذا اثبات
اليا في اخره لكن حذفت اليا للتخفيف واستبقيت كسرة النون دليلا على اليا وقوله تعالى وقل للذين
اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى والاميين مشركي العرب ااخلصتم كما اخلصت فان اخلصوا
فقد اهتدوا وامن الضلالة وان تولوا عن الاسلام وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن
الله فانما عليك بالرسالة عن الله تعالى وليس عليك ان لا يتولوا والله بصير بالعباد عالم بمن يؤمن وبمن
لا يؤمن لا يفوته شي من اعمالهم التي يجازيهم بها فان قيل في الاية عطف من اتبعني وهو ظاهر على المضمر في
قوله عز وجل اسلمت والعرب لا تعطف الظاهر على المضمر قيل انما لا يعطف اذا لم يكن بين الكلامين
فاصل واما اذا دخل بينهما فاصل جاز عطف المظهر على المضمر الا ترى انه لا يجوز ان يقول اسلمت وزيد
ولو قلت اسلمت بانشراح الصدر وطيب النفس ومن جاءني كان جايزا في الكلام واما الاستفهام

وقوله عز وجل أأسلمتم يتضمن التهديد والامر بالقبول كما يقول الرجل لاخر بعد ما يامره بالامر اقبلت
ام لا فانت اعلم يكون ذلك سوالا بالوعيد يتضمن الامر بالقبول قال الكلبي رحمه الله فلما نزلت هذه الاية
ذكر ذلك لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان عيسى بن مريم كلمة من الله تعالى
وروح منه قالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله قالوا معاذ الله ولكنه ابن
الله قال الكلبي فذلك حين تولوا عن الاسلام وانتحلوا غيره فانزل الله عز وجل قوله عز وجل ان الذين يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم
بعذاب اليم معناه ان الذين يجحدون اعلام الله تعالى التي بينها لهم واما قوله عز وجل ويقتلون النبيين ففي
اضافة قتل الانبيا صلوات الله عليهم الى هولاء الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان احدهما
رضاهم بقتل من سلف منهم النبيين نحو زكريا ويحيى ... وقرا بعضهم يقاتلون
النبيين بغير حق روي قتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام والثاني ان هولاء قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم وهموا
بقتله كما قال الله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك الاية وقرا بعضهم يقاتلون النبيين
بغير حق روي عن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس
اشد عذابا يوم القيمة قال صلى الله عليه وسلم رجل قتل نبيا عليه السلام او قتل رجلا امر بالمعروف و
نهى عن المنكر ثم قرا هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في
ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا
جميعا في اخر النهار من ذلك اليوم واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فمعناه اخبرهم بعذاب وجيع
يخلص وجعه الى قلوبهم واما دخول الفاء في قوله فبشرهم بعذاب اليم وان كان خبر ان لا يجاب بالفا لا يقال ان
زيدا فقائم فلان ان في اول هذه الاية موصول بالذين والذي يوصل فيكون صلته بمنزلة الشرط للجزا فيجاب
بالفا فان قيل هل يقتل نبي حتى يكون هذا بغير حق قيل المقصود من هذه الاية انهم قتلوا الانبيا الذين
صحت نبوتهم عليهم السلام ولم يكن القتل حقا اذ النبي عليه السلام لا يقتل بحق قط فاما اذا كان كاذبا فهو
متنبي وقتله حق وفي الاية دليل جواز انكار المنكر مع خوف القتل روى ابو حنيفة رحمه الله عن عكرمة عن ابن
عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الشهدا حمزة بن عبد المطلب ورجل تكلم بكلمة حق عند
سلطان جائر فقتله قوله عز وجل اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين
اي اهل هذه الصفة بطلت حسناتهم فلا يستحقون الحمد والثنا وولاية المومنين عليها في الدنيا ولا يستحقون
الثواب عليها في الاخرة وما لهم من ناصرين من مانعين يمنعونهم من العذاب اذا نزل بهم قوله عز وجل
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم
معرضون قال الكلبي وذلك ان رجلا وامراة من اشراف اهل خيبر من اليهود فجرا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا
رجمهما لشرفهما ورجوا ان يكون لهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رخصة في امر الرجم فيا خذوا
به فرفعوا امرهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم عليهما بالرجم فقال بعضهم جرت علينا يا محمد صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فمن اعرفكم بها قالوا ابن صوريا وهو يسكن
فدك فارسلوا اليه فلما قدم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود
قال كذلك يزعمون فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي من التورية فيه اية الرجم دله على ذلك ابن سلام
فقال لابن صوريا اقرا فقرا فلما اتى على اية الرجم وضع كفه عليها ثم قام ابن سلام فقال يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد جاوزها ووضع كفه عليها ثم قام ابن سلام اليه فرفع كفه عنها وقرا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة فسال عن البينة فان

كانوا

كانوا عدوا رجما وان كانت المراة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم
المحصنين الزانيين من اليهود فرجما فغضبت اليهود لذلك غضبا شديدا ورجعوا كفارا فذلك قوله
تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب معناه الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم بالذين اعطوا حظا
من علم التورية وقوله عز وجل يدعون الى كتاب الله قال ابن عباس والزجاج هو التورية دعي اليها
اليهود فابوا لعلمهم بلزوم الحجة الى كتاب الله وان فيه البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال الحسن و
قتادة اراد به القران فانهم دعوا الى القران لموافقته للتورية في اصل الديانة واما قوله عز وجل ليحكم بينهم
قال بعضهم معناه ليحكم بينهم في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ويقال في امر ابراهيم عليه السلام ودينه ويقال
في حد الزنا لانهم تاغوا في ذلك وقوله عز وجل ثم يتولى فريق منهم اي يعرض جمع كثير منهم عن الداعي وهم معرضون
عن العمل بالمدعو اليه فينظر انه حق او باطل وهم لم يتاملوا ولم يتفكروا وانما قال معرضون بعد ذكر التولي لان
الانسان قد يعرض عن الداعي ويتامل ما دعاه الداعي اليه فينظر انه حق او باطل وهم لم يتاملوا ولم يتفكروا فيما
دعوا اليه قوله عز وجل ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما
كانوا يفترون يقول ذلك الاعراض والتكذيب بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
يعنون الاربعين يوما عدد الايام التي عبدوا فيها العجل وقيل عدد ايام الدنيا سبعة ايام ومعنى وغرهم
في دينهم غرهم افتراوهم على الله تعالى انه لا يعذبهم الا اياما معدودات ويقال غرهم افتراوهم انهم قالوا
نحن ابناء الله واحباؤه قوله عز وجل فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت
وهم لا يظلمون معناه كيف يحتالون وكيف يصنعون اذا جمعناهم بعد الموت لجزا يوم القيمة يوم لا شك فيه
واعطيت كل نفس جزاء ما عملت من خير او شر تاما وافيا وهم لا ينقصون من حسنة ولا يزادون على سيئة وحذف
بيان الكيف في مثل هذا مستعمل في الكلام يقول الرجل انت اكرمك وانت لم ترني فكيف اذا رايتني
يريد فكيف يكون اكرامي لك اذا رايتني قوله عز وجل قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير
قال ابن عباس رضي الله عنهما لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال المنافقون ان محمدا صلى الله عليه
وسلم يتمنى ان يكون له ملك فارس والروم واني يكون له ذلك هم اعز وامنع من ان يدخل محمد صلى الله عليه وسلم في
ارضهم او يغلب على بلادهم فانزل الله تعالى هذه الاية ويقال في وجه اتصال هذه الاية وما قبلها ان محمدا
صلى الله عليه وسلم لما قبلها ان اليهود قالوا لا نتبعك فان النبوة والملك لم يزل في اسلافنا بني اسرائيل فانزل الله عز
الاية ومعناها قل يا محمد صلى الله عليه وسلم يا الله يا مالك الملك فالميم زيدت في اللهم لانها بدل عن يا التي في
اوله التي هي اداة النداء الا ترى انه لا يجوز في الاختيار ادخال الميم لا يقال غفر اللهم لي كما يقال في النداء اللهم اغفر
لي ولهذا لا يجوز الجمع بين الميم في اخره وبين يا في اوله لانه لا يجوز الجمع بين العوض والمعوض وانما شددت الميم
لانها عوض عن حرفين فان النداء حرفان هذا اختيار سيبويه والخليل رحمهما الله وقال الفرا ان معنى قول
القائل اللهم يا الله امنا بخير اي اقصد وطرحت حركة الهمزة على الهاء كما يقال ويل ام فلان وويل امه ولفظ
النداء كثر للتخفيف قال ولا يذكر يا اللهم في النداء الا في الشعر كما قال الشاعر
وما عليك ان تقولي كلما صليت او سبحت يا اللهم ما اردد علينا شيخنا مسلما وانشد قطرب
اني اذا ما معظم الما اقول يا اللهما يا اللهما وقد انكروا على الفرا هذا القول وقالوا انه لا يصح لا في
ضرورة الشعر واختلف اهل التفسير في معنى مالك الملك قال بعضهم معناه مالك كل ملك وهذه صفة لا
يستحقها احد غير الله تعالى ويقال معناه مالك امر الدنيا والاخرة وقال مجاهد اراد بالملك هاهنا
النبوة وقيل ان هذا لا يصح انه قال وتنزع الملك ممن تشاء والله تعالى لا ينزع النبوة من احد ولا يجوز ان ينزع لانه

لاختيار لاداء الرسالة الا من يعلم من حاله انه يودي الرسالة على الوجه وانه لا يغير ولا يبدل لانه عالم بعواقب الامور
ومعنى تؤتي الملك من تشاء تعطي الملك من تشاء ان تعطيه وتنزع الملك ممن تشاء ان تنزعه منه وهذا كما يقال
خذ ما شئت واترك ما شئت اي خذ ما شئت ان تاخذ واترك ما شئت ان تتركه وقوله تعالى وتعز
من تشاء وتذل من تشاء ظاهر المراد ومعنى بيدك الخير بيدك النصر والفتح والفيء والغنيمة وغيرها من خير
الدنيا والاخرة وانما قال بيدك الخير وان كان بيده كل شيء من خير او شر لانه انما قال ذلك على وجه الرغبة والرغبة
انما تقع في الخير لا في الشر وفي ذكر احد الامرين دليل على الاخر كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد وقوله
تعالى انك على كل شيء قدير اي على كل شيء من الاعطاء والنزع والعز والذل قادر قوله عز وجل تولج الليل في النهار
وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب
معناه تدخل من الليل في النهار حتى يصير النهار خمسة عشر ساعة وهو اطول ما يكون واقصره تسع ساعات وتدخل
النهار في الليل حتى يصير الليل خمسة عشر ساعة وهو اطول ما يكون واقصره تسع ساعات فما نقص من احدهما
دخل في الاخر هذا قول اكثر اهل التفسير وقال بعضهم معناه تذهب بالليل وتجيء بالنهار وتذهب بالنهار وتجيء
بالليل واما قوله وتخرج الحي من الميت قال عبد الله بن عباس وقتادة والضحاك معناه تخرج الحيوان من النطفة
وهي ميتة والنطفة من الحيوان والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وزاد بعضهم في هذا فقال هو
السنبلة من الحبة والحبة من السنبلة والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والعالم من الجاهل والجاهل من العالم و
قوله عز وجل وترزق من تشاء بغير حساب اي بغير مقدار ولا تقدير يقال فلان ينفق بغير حساب اي ينفق
بالسعة ولا يحسب ما ينفق وقد تقدم تفسير هذا من وجوه اخر وبالله التوفيق قوله عز وجل لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا
منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت
هذه الاية في عبد الله بن ابي واصحابه المنافقين كانوا مع اظهارهم الايمان يتولون اليهود وياتونهم باخبار
المؤمنين رجاء الظفر لهم على المؤمنين فنهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة الكفار فقال عز من قائل لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء اي ان كنتم مؤمنين فلا تتخذوا الكفار اولياء من دون المؤمنين وهذا نهي معناه
ومبنى النهي على الجزم لكن كسرت الذال لالتقاء الساكنين وفي قوله عز وجل من دون المؤمنين بيان ان المكان
المرتفع في الولاية مكان المؤمنين وهذا كما يقال زيد دونك ليس يراد به انه ارفع منه في الشرف ولا يراد به الارتفاع
والاستفال في المكان ويقال من دون المؤمنين اي من غير المؤمنين وقوله عز وجل ومن يفعل ذلك اي ولاية الكفار
فليس من الله في شيء اي في ولاية ولا دين كما قال في اية اخرى ومن يتولهم منكم فانه منهم يعني ان ولي الكافر راض
بكفره والرضا بالكفر كفر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا بريء من كل مسلم مع مشرك لا تتراءى ناراهما
وقوله تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا ان يحصل المؤمن في ايدي الكفار يخاف على نفسه فيداريهم فيرضيهم بلسانه
وقلبه مطمئن بالايمان فهو مرخص في ذلك كما روي ان مسيلمة الكذاب لعنه الله اخذ رجلين من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم ثم دعا
بالاخر فقال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال افتشهد اني رسول الله قال اني اصم فاعاد عليه السؤال ثلاثا
فاجاب في كل مرة مثل هذا الجواب فضرب مسيلمة عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما هذا
المقتول فمضى على صدقه ويقينه واخذ بالفضيلة فهنيئا له واما الاخر فقبل رخصة الله تعالى فلا تبعة عليه
وقرا بعضهم تقية وتقرا تقاة بالفتح والامالة وكل ذلك لغات ومعناها واحد وقوله تعالى ويحذركم الله
نفسه اي يخوفكم عقوبته وذكر النفس لتحقيق الاضافة كما يقال احذر الاسد اي صولة الاسد وافتراسه دون
عينه وقال الزجاج معنى نفسه اياه وانما خاطب الله تعالى العباد على قدر علمهم وعقلهم ومعنى قوله عز وجل

تعلم ما

تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم حقيقة ما عندي ولا اعلم حقيقة ما عندك وقوله عز وجل والى
الله المصير زيادة في الايعاد وتذكير بالمعاد اي فعلم ما هيتكم عند مرجعكم الى قوله عز وجل قل ان تخفوا
ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير
معناه قل ان تسروا ما في قلوبكم من التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم والعداوة للمؤمنين وتظهروه بالشتم
والطعن والحرب يعلمه الله عز وجل فيجازيكم عليه وانما ذكر الصدر مكان القلب لانه مشتمل على القلب قال الله
تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقوله عز وجل ويعلم ما في السموات وما في
الارض اي لا يخفى عليه شيء من عمل اهل السموات واهل الارض ولا يعزب عنه الاخفاء فان الاخفاء والابداء عنده
سواء والله على كل شيء من عمل البر والعلانية وجزاء ذلك قادر قوله عز وجل يوم تجد كل نفس ما
عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه
والله رؤوف بالعباد اول هذه الاية منصرف الى قوله ويحذركم الله نفسه كانه قال ويحذركم
الله نفسه يوم تجد وقيل معناه والى الله المصير يوم تجد وقوله تعالى محضرا اي تجده حاضرا مكتوبا
في ديوانه لا ينقص فيه وقوله عز وجل وما عملت من سوء اي والذي عملت من سوء تتمنى ان يكون بينه وبين
ذلك اجل طويل البعد ما بين المشرق والمغرب لينسيه لم يعمل وقد تعبر العرب عما لا يكون بالبعد تقول هذا
الذي يقول فلان بعيد اي ليس بكلام يحتاج اليه في هذا الموضع ومعنى والله رؤوف بالعباد رحيم بالمؤمنين
خاصة هكذا قال عبد الله بن عباس وقيل ان اول هذه الاية عدل واوسطها تهديد وتخويف و
اخرها رافة ورحمة وعن الحسن انه قال ومن رحمة الله عز وجل ان حذركم نفسه قوله عز وجل
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم
روي انه لما نزلت الايات المتقدمة قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وانما انزل الله تعالى مثل هذه الايات
في اعدائه لا في احبائه وارادوا بقولهم نحن احباؤه انا نحبه ويحبنا كما يقع اسم الصديق على كل واحد من
المتصادقين فانزل الله تعالى هذه الاية والمحبة في الحقيقة هي الارادة وهو ان تريد نفع غيرك فيبلغ
مراده في نفعك اياه واما العشق فهو افراط المحبة في هذا المعنى واما المحبة للطعام والملاذ فهو شهوة
وتوقان النفس في مشتهياتها كلها فاما محبة العباد لله عز وجل فالله عز وجل يستحيل عليه المنافع
فلا يصح ان يراد بمحبته هذه الطريقة لكن يراد بمحبته اعظامه واجلاله وطاعته ومحبة رسله واوليائه
ومحبة الله تعالى اياهم اثابته اياهم على طاعته وانعامه عليهم وثناؤه ومغفرته لهم فمعنى قوله عز
وجل ان كنتم تحبون الله اي ان كنتم تقصدون طاعة الله والرضا بشرائعه فاتبعوني على ديني
يزدكم الله حبا ويغفر لكم ذنوبكم في اليهودية والله غفور رحيم وروي انه لما نزلت هذه الاية
عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليهود فقال عبد الله بن ابي بن سلول السلولي ان محمدا
يجعل طاعته كطاعة الله تعالى ويامرنا ان نتخذه كما احبت النصارى عيسى بن مريم عليه السلام وقالت
اليهود يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم حنانا فانزل الله عز وجل
قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين معناه ان كنتم تحبون الله كما
تدعون فاطيعوه ودلالة الصدق بطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فان علامة حب
الله تعالى طاعته قال الشاعر ٭ تعصي الاله وانت تزعم حبه ٭ هذا لعمري في الفعال بديع ٭
لو كان حبك خالصا لاطعته ٭ ان المحب لمن يحب مطيع ٭ وكان ابو سهل الانطاكي يقول علامة
حب الله عز وجل ان يكون العبد دائم الفكر كثير الخلوة ظاهر الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا
نودي ولا يحزن اذا اصيب ولا يفرح اذا اصاب ولا يخشى احدا الا الله عز وجل ولا يتبع الا اوامره ولا

يرجوا الحدا غيرهم وأما قوله تعالى فان تولوا اي ان لم يفعلوا ما تدعوهم اليه من اتباعك وطاعة امرك فقد
كذبوا في قولهم انهم احبا الله تعالى ان الله لا يحب الكفرين لا يغفر لهم ولا يثني عليهم فلما نزلت هذه الاية
قالت اليهود نحن ابنا ابرهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله تعالى هذه الاية قوله عز وجل
إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ معناه والله تعالى اعلم ان الله انما
اصطفاهم على عالمي زمانهم لا لاتباعهم اولادهم وان ادم عليه السلام كما لا ينفع اولاده المشركين كذلك سائر
الانبيا صلوات الله عليهم لا ينفعونهم والاصطفا هو الاختيار وهو افتعال من الصفوة اي جعلهم
صفوة خلقه وصفوة الله تعالى هم الذين لا دنس فيهم بوجه من الوجوه لا في الاعتقاد ولا في الفعل وفي
الصفوة ثلث لغات صَفوة وصُفوة وصِفوة واختلفوا في ال عمران في هذه الاية قال بعضهم اراد بال عمران
موسى وهرون وقال بعضهم اراد مريم قوله عز وجل ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
يقول ولادا او اولادا اولاد الاول من الاخر والاخر من الاول والله سميع لقولهم عليم بهم ومجازيهم وقوله
عز وجل ذرية نصب على البدل وقيل على الحال اي اصطفاهم حال كون بعضهم من بعض واما اشتقاق
الذرية فقد تقدم ذكره وبالله التوفيق قوله عز وجل إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي
بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ قال ابو عبيدة اذ زايدة في الكلام وكذلك في سائر
الاي وقال جماعة من النحويين معناه واذكر اذ قالت ويقال قوله اذ قالت امراة عمران راجع الى قوله تعالى وال
عمران اي اصطفاهم اذ قالت ويقال هو راجع الى قوله سميع عليم وكان اسم امراة عمران حنة وهي ام مريم
وجدة عيسى وكانت لها ابنتان احدهما ايشاع وهو عمران بن ماثان وبينه وبين عمران ابي موسى عليه
السلام الف وثمانماية سنة وقوله تعالى رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اي اوجبت لك على نفسي ان
اجعله عتيقا لخدمة البيت المقدس وكانوا يحررون اولادهم اي يعتقونها عن اسباب الدنيا يجعلون الولد
خالصا لله تعالى لا يستعملونه في منافعهم كما ينتفع الوالد بولده ولم يكونوا يحررون الا الغلمان وكان
المحررون سكان بيت المقدس يتعهدونه ويكنسونه فاذا بلغوا خيروا فان احبوا اقاموا في البيت وان
احبوا ذهبوا والتحرير التخليص يقال طين حر اي خالص وتحرير الكتاب خلاصه من الفساد والاضطراب و
قوله عز وجل فتقبل مني انك انت السميع لدعاي العليم بنيتي ولخلاصي والتقبل هو اخذ الشي على الرضا يقال
تقبل الامير هدية فلان اي اخذها مع الرضا واصل ذلك من المقابلة فسمي الاعتداد بالشي فيما يقابل بالجزاء
تقبلا قوله عز وجل فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ
كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
وذلك انها كانت تظن وقت النذر ان ما في بطنها ذكر فلما ولدت جارية اشفقت ان لا
يقبل منها فقالت رب اني وضعتها انثى اي ولدتها جارية وكان هذا القول منها على وجه الاعتذار لان سعي
الانثى اضعف وعقلها انقص وكانوا لا يحررون النسا لخدمة البيت لما يلحقهن من الحيض والنفاس يقول
الله عز وجل والله اعلم بما وضعت وقرا بعضهم وضعتُ حكاية عن قول المراة واما قوله تعالى وليس الذكر
كالانثى فهو من قول المراة معناه ليس الذكر كالانثى في خدمة البيت لان الانثى عورة لا تصلح لما يصلح له الذكر
وقوله تعالى واني سميتها مريم اي خادم الرب بلغتهم وقوله تعالى واني اعيذها بك اي امنعها بك وولدها ان
كان لها ولد من الشيطان الرجيم اي المرجوم وهو المطرود من رحمة الله تعالى روي ابو هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ما من مولود الا وللشيطان طعنة في جنبه حين يولد فيستهل صارخا من الشيطان
الا مريم وابنها عليه السلام قال ابو هريرة رضي الله عنه اقروا ان شيتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم
والاية دليل على جواز تعليق النذر بالخطر والاوقات المستقبلة وصحة النذر مع الجهالة لان امراة عمران كانت لا

اي تقبل نذري

تدري ما في بطنها ذكرا وانثى ودليل ان للام ضربا من الولاية في تسمية الولد وتاديبه وتعليمه ومثل هذا النذر
من الانسان في ولده ان ينشيه على عبادة الله تعالى وطاعته وتعليمه الفقه والقران وعلوم الدين نذر صحيح في
شريعتنا قوله عز وجل فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا
دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ معنى الاية تعالى اعلم استجاب الله دعاها وقبل نذرها وجعل مريم صوامة
وقوامة رباها الله تربية حسنة فانما ذكر مصدر تقبلها بلفظ القبول لان في التقبل معنى القبول وذكر لفظ النبات
على المعنى ايضا لان في انبات الله نباتا واما قوله عز وجل وكفلها زكريا اي ضمها للقيام بامرها قال النبي صلى الله
عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين واشار باصبعيه ومن قرا وكفلها بالتشديد وزكريا بالنصب فمعناه ضمها
الله تعالى الى زكريا وضمنه القيام بامرها روي ان امراة عمران لما دعت بهذا الدعا المذكور في الاية المتقدمة
لفتها في خرقة ووضعتها في بيت المقدس فتنافس فيها الاحبار ايهم يكون عنده فقال زكريا عليه السلام
انا احق بها خالتها امراتي فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع
عليها باقلامنا فتكون عند من يخرج سهمه فاخذوا الاقلام التي كانوا يكتبون بها كتاب الله عز وجل
فكانوا سبعة وعشرين رجلا فانطلقوا الى نهر سلوان فقالوا نطرح اقلامنا مع هذه الجرية فمن صعد قلمه
فغلب الجرية فهو احق بها ومن سفل قلمه مع الجرية فهو المقروع ثم رموا اقلامهم مع الجرية فلما بلغت لجلج الوادي
سفلت اقلامهم جميعا وصعد قلم زكريا فغلب الجرية فضمها زكريا الى نفسه واسترضع لها فلما بلغت الحلم
الذي يصلح للبيت بنى لها محرابا وغرفة من البيت وجعل باب الغرفة في وسط الحايط لا يصعد اليها الا بالسلم
وكان يغلق عليها الباب لا يدخل عليها احد غيره فكانت اذا حاضت اخرجها الى منزله فتكون عند خالتها
واذا طهرت ردها الى البيت فذلك قوله عز وجل وكفلها زكريا واما قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا
المحراب قال بعضهم اراد بالمحراب المسجد وكانت مساجدهم تسمى المحاريب كما في قوله عز وجل اذ تسوروا
المحراب ويقال ان المحراب في اللغة هو الموضع العالي المقدم الشريف ومن ذلك سمي امام المسجد محرابا وهو
مفعال من الحرب لانه يحارب على ظله وقيل هو موضع محاربة الشيطان ويقال ان المحراب موضع الحرية وهي
المال واما قوله تعالى وجد عندها رزقا كان يجد عندها فاكهة الشتا والخريف في القيظ وفاكهة
القيظ في الشتا قال يا مريم انى لك هذا اي من اين لك هذا فانه لا يدخل عليك احد غيري قالت هو من عند
الله اتاني به جبريل عليه السلام وعن الحسن رضي الله عنه انه كان يقول تكلمت مريم في المهد ولم تلقم ثديا قط
وانما كان ياتيها رزقها من الجنة واما قوله تعالى ان الله يرزق من يشا بغير حساب فقد تقدم تفسيره قوله
عز وجل هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ
المعنى والله تعالى اعلم عندما راى زكريا ما رزق الله تعالى مريم طمع ان الذي ياتي مريم بالفاكهة في الشتا يصلح له
وهي عقيم وحينئذ دعا الله عند ذلك وقال رب هب لي اي اعطني من عندك ذرية طيبة اي ولدا صالحا انك
سميع الدعا سامع الدعا ومجيبه والاصل في هنالك وهنالك الموضع الظرف في المكان يقال رايته هناك واتيته
هنالك والفصل بينهما ان هنا اقرب من هناك وهناك اقرب من هنالك وفيه معنى الاشارة كقولك ذا وذاك
وذلك ودخول اللام فيه لتاكيد التعريف ولا موضع للكاف من وجوه الحركات لان فيه خطابا قوله
عز وجل فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ
مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ معناه والله اعلم ناداه جبريل عليه السلام
وهو قايم يصلي في المسجد ان الله يبشرك بولد اسمه يحيى كما قال جل ذكره في اية اخرى نبشرك بغلام اسمه يحيى وقوله
تعالى مصدقا بكلمة من الله يقول مصدقا بعيسى بن مريم كان يحيى اول من صدقه وشهد انه كلمة الله وروحه

في ضمن حربية الرجل ماله الذي يعيش به

وكان اكبر من عيسى بثلث سنين وفي بعض الروايات ان مريم دخلت على خالتها بعدما حملت بعيسى عليه السلام فسجد ما في بطن خالتها وهو يحيى لما في بطنها فقالت لها خالتها ان النسا حملت خير الناس واخبرت زكريا بذلك فقال لها اما اني لا اخشى على ابنة اختك وانما اخشى على نفسي اذ لم يكن يصعد اليها احد غيري واما قوله عز وجل وسيدا فالسيد في الحقيقة من يلزم طاعته ويجب على الناس الاقتدا به في العلم والحلم والعبادة والتقا واما قوله وحصورا فالحصور الذي لا ياتي النسا يحبس نفسه عما يكون من الرجال ويقال عن شهوات الدنيا كلها وقد يسمى كاتم السر حصورا والذي لا يدخل مع الناس في الميسر حصورا لامتناعه من ذلك واصله من الحصر وهو الحبس وسمي الحصير حصيرا لانه دخل بعضه في بعض في النسج وحبس بعضه على بعض وذهب بعضهم الى ان الحصور هو الذي لا شهوة له والاول اولى لما في الثاني من اضافة عيب العنة اليه ولان هذا الثنا في الصفة تستعمل حالة الاختيار كما يقال اكول وشروب وظلوم ونحو ذلك وقوله عز وجل ونبيا من الصالحين اي نبيا من المرسلين ويقال معناه وكاينا من الصالحين نبيا لان من الصالحين من ليس بنبي والصالح الذي يودي ما افترض الله عليه ويودي حقوق الناس اليهم واما ذكر الملايكة بلفظ الجمع في اول هذه الاية فعلى معنى اذ اتاه النداء من هذا الجنس وهذا كما يقال فلان ركب السفن وانما ركب سفينة واحدة لكن يراد بقولهم ركب السفن جعل ركوبه في هذا الجنس ومن قرا فنادته بلفظ التانيث فعلى معنى الجماعة ومن قرا ان الله بالكسر اي قالت له الملايكة ان الله وقراءة التشديد في يبشرك من التبشير ومن قرا يبشرك بالتخفيف فهو من قولهم بشرت الرجل وبشرته اذا افرحته يقال بشرت فلانا أبشره والبشر اذا اخبرته بخير سرور وبشر الرجل يبشر اذا فرح و انما سمي يحيى لانه كان في علم الله تعالى ان يقتل شهيدا والشهدا احيا غير اموات قوله عز وجل قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قيل في تفسير هذه الاية قال زكريا لجبريل عليهما السلام حين سمع البشارة يا سيدي كيف يكون لي غلام وقد ادركني الهرم وامرأتي ذات عقر لا تلد قال له جبريل عليه السلام مثل ذلك يفعل الله ما يشاء اي الذي يشاء وقال بعضهم اراد زكريا بالرب الله عز وجل اي قال يا رب كيف يكون لي غلام قال الكلبي رضي الله عنه كان زكريا ابن تسعين سنة وكانت امراته في السن مثله وقال الضحاك رضي الله عنه كان هو ابن ماية وعشرين سنة فان قيل كيف قال زكريا انى يكون لي غلام فاستبعدان يعطيه الله ولدا على كبر السن من امراة عاقر بعد ما بشرته الملايكة بذلك قيل لم يكن هذا القول على جهة الاستبعاد ولكن من شان من بشر بما يتمنى ان يحمله فرط سروره به على الزيادة في الاستكشاف والاستثبات كما يقول الانسان اذا راى شيا من الامور العظيمة كيف كان هذا على جهة الاستعظام لقدرة الله عز وجل لا الشك في القدرة وكذلك اذا راى غيره وهب مالا عظيما لرجل قال كيف سمحت نفس فلان بهبة هذا المال كله يريد بذلك الاستعظام دون الاستنكار اذ هو عالم بانه قد وهب وقيل في معنى قوله تعالى انى يكون لي غلام اي على اي حال يكون الولد ايردني الله تعالى وامراتي الى حال الشباب ام على هذه الحالة ويقال معناه ايرزقني الله من امراتي هذه او من امراة اخرى شابة فقيل له كذلك الله يفعل اي كما انت عليه يفعل الله تعالى الذي يشا وروي ان جبريل عليه السلام حرك سعفة يابسة فاثمرت السعفة ثم قال جبريل كذلك الله يفعل ما يشا اي كاثمار السعفة اليابسة يفعل الله ما يشا فان قيل كيف قال في هذا الموضع بلغني الكبر وقال في موضع اخر وقد بلغت من الكبر عتيا وهل يجوز ان يقول الانسان بلغني البلد كما يقول بلغت البلد قيل هذا جائز في هذا الموضع ولا يجوز في البلد لان الكبر كالطالب للانسان لاتيانه عليه بحدوثه فيه و الانسان كالطالب للكبر لبلوغه اياه بمرور السنين والاعوام عليه واما البلد فلا يكون طالبا للانسان كما يكون الانسان طالبا للبلد قوله عز وجل قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار اي قال زكريا يا رب اجعل لي علامة اذا حملت امراتي عرفت ذلك

منها اراد بهذا القول ان يتعجل به السرور قبل ظهور الولد بالولادة ويروى ان جبريل عليه السلام لما بشر زكريا بالولد اتى الشيطان ونفس زكريا عليه السلام ان الندا الذي سمعه ندا الشيطان فقال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس اي علامة حدوث حمل امراتك ان لا يطيق الكلام مع احد من الناس ثلثة ايام من غير خرس الا اشارة بالعينين والحاجبين واليدين وقيل ان الرمز تحريك الشفتين باللفظ من غير ابانة بصوت والرمز والترمز في اللغة الحركة والتحرك وقوله عز وجل واذكر ربك كثيرا اي في هذه الايام الثلاثة وسبح بالعشي والابكار اي صل غدوا وعشيا كما كنت تصلي من قبل يقال فرغت من سبحتي اي من صلوتي وسمى الله التسبيح صلوة لما فيها من التوحيد والتمجيد والتنزيه من كل سوء وقال بعضهم اراده بالتسبيح التسبيح المعروف فيما بين الناس قال الحسن جعلت اية زكريا ان امسك لسانه عن الكلام مع الناس من غير خرس ولا حدوث افة به فكان لا يمكنه ان يتكلم مع الناس وكان يمكنه ان يذكر الله تعالى ويقرا كلامه وكان هذا معجزة عظيمة الا انها انما كانت معجزة له في نفسه دون غيره من الناس فان غيره من الناس كان اذا راه يتكلم بذكر الله عز وجل ولا يتكلم مع الناس كان لا يمكنه ان يعلم انه ممنوع من الكلام مع الناس بل كان يظن انه يمتنع عن الكلام مع الناس بنفسه وفي ذكر الايام الثلثة في هذه الاية وذكر ثلث ليال سويا في اية اخرى في هذه القصة دليل ان احد العددين اذا ذكر على لفظ الجمع اريد به مثله معه من العدد الاخر في الاحكام الا ترى انه لما اختلف الايام والليالي افرد كل واحد منهما بالذكر قال الله تعالى سبع ليال وثمانية ايام حسوما فاما عند الاطلاق اذا ذكر احد العددين على وجه الجمع في العقود والنذور دخل معه مثله من العدد الاخر قوله عز وجل واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين معطوف على اذ قالت امراة عمران والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وحده على نحو ما تقدم ذكره ومعنى ان الله اصطفاك اي اختارك لطاعته وعبادته وطهرك من الكفر بالايمان كما قال الله عز وجل ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اراد طهارة الايمان والطاعات وقد سمى الله عز وجل الكفر نجاسة في قوله عز وجل انما المشركون نجس وقيل معنى وطهرك اي من الادناس كلها من الحيض والنفاس وغيرهما وقوله عز وجل واصطفاك على نساء العالمين اي اختارك على نساء عالمي زمانك وبولادة عيسى عليه السلام بشرا من غير اب فان قيل كيف يجوز ظهور الملائكة لمريم وذلك معجز لا يجوز ظهوره على غير نبي ومريم لم تكن نبيا كما قال الله عز وجل وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم قيل انها وان لم تكن نبيا فان ذلك كان في وقت زكريا عليه السلام ويجوز ظهور المعجز في زمان الانبيا عليهم السلام لغيرهم ويكون ذلك معجزة لهم وقال بعضهم كان ذلك ايهاما للنبوة عيسى عليه السلام كما كان الشهب وتظليل الغمامة وكلام الذيب ايهاما للنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين قال سعيد بن جبير معنى اقنتي اخلصي العبادة لربك وقال قتادة معناه ادمي الطاعة لربك وقال مجاهد معناه اطيلي القيام في الصلوة وهذا القول لا يخرج اشبه الوجوه بحال الامر لان الله تعالى عطف الامر بالركوع والسجود على ذلك والقيام والركوع والسجود كلها اركان الصلوة ولذلك لم يكن هذا موضع سجدة عند اهل العلم لانه امر بالصلوة وقيل في قوله عز وجل واركعي مع الراكعين امرها بالصلوة في الجماعة مع الاحبار في بيت المقدس لانها كانت خادم المسجد وفي الاية دليل ان الواو لا يوجب الترتيب لان الركوع مقدم على السجود في المعنى وقد قدم السجود في هذه الاية دليل ان الواو لا يوجب الترتيب لان الركوع مقدم على السجود في اللفظ قوله عز وجل ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون يقول ما قصصناه عليك يا محمد

صلى الله عليه وسلم من امر زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار ما غاب عنك نرسل جبريل عليه السلام
به اليك وما كنت يا محمد صلى الله عليه وسلم عندهم اذ يطرحون اقلامهم في النهر على الجرية ايهم يضم مريم للقيام بامرها
وما كنت عندهم اذ يختصمون في امرها للتربية وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالاقلام القداح وهي
السهام سميت قلاما لانها تقلم اي انها تبرا كالقلم والقلم المقلوم وفي اخبار الله عز وجل النبي صلى الله عليه
وسلم بانباء الغيب دليل نبوته لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا ومثل هذه الاخبار لا تعلم الا باحد وجوه
اربعة اما بالمشاهدة او بقراءة الكتب وبالتعلم ممن قرا الكتب وعرف تلك الاخبار او بالوحي من جهة الله عز
وجل وقد انتفت الوجوه الثلثه عن النبي صلى الله عليه وسلم فثبت انه كان بالوحي من جهة الله عز وجل قوله عز
وجل واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها
في الدنيا والاخرة ومن المقربين معناه والله تعالى اعلم واذكروا اذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه يعني عيسى بن مريم سماه الله تعالى كلمة لانه كان بكلمة من الله تعالى القاها الى
مريم ولم يكن بحدث والد وقال بعضهم سمي كلمة لان الناس كانوا يهتدون به في اديانهم كما يهتدى بالكلام
وقال بعضهم ذكره الله تعالى في كتب من قبله فكان الكلمة هي ما ذكر في الكتب من حديثه وهذا كما يقول الانسان
لغيره اذا خرج الامر موافقا لقوله قد جاء كلامي فاما قوله تعالى اسمه المسيح فانما ذكره بلفظ التذكير لان معنى
الكلمة معنى الولد فلذلك لم يقل اسمها والله اعلم وقد اختلفوا في تسمية مسيحا روي عن عبد الله بن عباس
انه قال المسيح الممسوح بالبركة وذهب الى ان المسيح فعيل بمعنى مفعول وقال بعضهم سمي مسيحا بمعنى الماسح
كان يمسح ذوي العلل فيبرؤون وقيل لانه كان يمسح الارض سيحا ولا يستقر وقال الكلبي المسيح الملك الذي لا
حاجة له الى احد من المخلوقين وروي عن عيسى عليه السلام انه كان يقول الشمس صلاتي والقمر سراجي ويقول
البرية طعامي ابيت حيث يدركني الليل ليس لي ولد يموت ولا بيت يخرب ولا مال يسرق اصبح ولا غداء لي وامسي
ولا عشاء لي وانا من اغنى الناس واما عيسى فهو معدول من ايشوع بالسريانية واشتقاقه في كلام
العرب انه فعلى من العيس وهو بياض الابل وقيل من العوس وهو من السياسة الا ان الواو قلبت ياء لانكسار ما قبلها
وقوله عز وجل وجيها في الدنيا والاخرة اي ذا قدر ومنزلة في الدنيا عند اهلها وفي الاخرة عند ربه والوجيه
الذي لا يرد قوله يقال وجه الرجل يوجه وجاهة وله جاه اذا صار بحيث لا ترد مسالته وقوله عز وجل
ومن المقربين اي من المقربين الى ثواب الله عز وجل في جنة عدن وهي الدرجة العليا والتقرب الى الله عز
وجل تقرب الى ثوابه قوله عز وجل ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين معناه ويكلم الناس
في مضجع الرضاع ويكلم كهلا بعد ما دخل في السن ومن الصالحين اي من المرسلين وقال الكلبي اراد بالمهد
الحجر وكل ما مهد فهو مهد روي في الخبر ان مريم لما ولدت عيسى ذهب بهما يوسف ابن يعقوب
الى الغار فكانا في الغار اربعين يوما ثم اتت به قومها وهو ابن اربعين يوما قالوا يا مريم لقد
جئت شيئا فريا فكلمهم في حجرها قال اني عبد الله اتاني الكتاب الاية ثم لم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ مبلغ
الغلمان الذين يتكلمون فكان يتكلم ويعلم ما لا يعلمه احد فان قيل الكلام في حال كونه في المهد مما يحسن
تعجب الناس به واما الكلام من الكهل فليس بعجيب وكيف ذكره الله تعالى في القران قيل ذكر الكلام والكهولة
بشارة لمريم في ان عيسى عليه السلام يعيش الى وقت الكهولة وقيل اراد به انه يكلم في حال الكهولة بعد نزوله
من السماء لقتل الدجال وقيل اراد بالكلام في المهد براءة امه مما رماها اليهود واراد بالكلام في الكهولة
ابطال ما ادعاه النصارى من كونه الها لانه كان طفلا ثم صار شابا ثم صار كهلا ومن يكون بهذه الصفة
لا يجوز ان يكون الها والكهل في اللغة هو الذي جاوز حد الشباب ولم يبلغ حالة الشيخوخة يقال اكتهل النبات
اذا قوي واشتد وقيل ان الكهل هو الذي يكون ما بين اربع وثلثين سنة قوله عز وجل قالت رب انى يكون

لى ولد

لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
معناه قالت مريم لجبريل عليه السلام يا سيدي كيف يكون لي ولد ولم يمسسني بشر بالنكاح ولا بالسفاح
وكان القول منها على جهة الاستعظام لقدرة الله عز وجل لا على وجه الاستبعاد كما تقدم ذكره وقال
بعضهم ارادت بهذا القول ان تعرف انه يكون لها ولد قبل ان يمسها بشر او بعد ان يمسها بشر فاجابها
جبريل عليه السلام قال كذلك الله يخلق ما يشاء اي كما قلت لك ويقال كذلك يخلق الله ما يشاء ان
يكون لك ولد من غير ان يمسك بشر وقوله عز وجل اذا قضى امرا اي اذا اراد شيئا ويقال اذا حكم بتكوين
شيء فانما يقول له كن فيكون كما اراده الله عز وجل وهذا اخبار عن سرعة كون مراد الله عز وجل
لانه لا يكون في وهم العباد شيء اسرع من كن فيكون وانما ذكره ذلك بلفظ الامر لانه ادل على القدرة وقال
بعضهم هذه كلمة جعلها الله عز وجل علامة لحدوث امر من الامور وبالله التوفيق قوله عز وجل
ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية
من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه
والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين
معطوف على قوله ويكلم الناس ويقرا ونعلمه بالنون عطفا على قوله عز وجل نوحيه اليك والمراد
بالكتاب الزبور وغيره من الكتب التي انزلها الله عز وجل على انبيائه صلوات الله عليهم سوى التوراة
والانجيل وقيل اراد بالكتاب الكتابة والحكمة الفقه وهو فهم المعاني فاما قوله عز وجل والتوراة
والانجيل فقيل علمه الله التوراة في بطن امه والانجيل بعد خروجه هذا ايضا من الحكمة الا انه عز وجل
ذكرهما تفخيما لامرهما كما قلنا في قوله عز وجل من كان عدوا لله وملائكته وقوله عز وجل ورسولا
الى بني اسرائيل اي نجعله رسولا بعد ثلثين سنة الى بني اسرائيل باني قد جئتكم بعلامة من ربكم لنبوتي وقال
بعضهم قوله عز وجل رسولا عطف على وجيها ومن قرا اني قد جئتكم بالكسر فعلى الاستيناف ثم فسر الله تعالى
الاية بقوله عز وجل اني اخلق لكم معناه وهو اني اقدر لكم من الطين واصور كهيئة الطير فانفخ فيه
في الطين كنفخ النائم فيصير طيرا يطير بين السماء والارض بامر الله عز وجل ويقرا طائرا الا ان هذا احسن
لان الطائر يراد به الحال اي يقوم ويطير وطيرا يراد به انه يصير طيرا من الطير وقوله عز وجل وابرئ
الاكمه والابرص اي امسح الذي ولد اعمى والابرص ايضا واحيي الموتى باسم الله الاعظم يا حي يا قيوم واخبركم
بما تاكلون غدوة وعشية وما ترفعون من غدائكم لعشائكم ومن عشائكم لغدائكم ويجوز ان يكون معنى ما
تاكلون معنى الذي تاكلون والذي تدخرون ويجوز ان يكون ما مع ما بعده بمنزلة المصدر كانه قال باكلكم
وادخاركم ان في ذلك لاية لكم اي ان فيما قلت لكم لعلامة لكم في نبوتي ان كنتم مصدقين بالله عز وجل
لان من صدق بالله عز وجل وعلم انه حكيم لا يظهر المعجزة على من يكذب ويحرض عليه وانما يظهرها على
من يكون نبيا وقيل ان معنى ان كنتم مؤمنين اي من كان مؤمنا فهذا حكمه ان يتبع المعجزة ويقبلها وروي
ان عيسى عليه السلام لما دعاهم الى الله عز وجل بدعوى هذه المعجزات قالوا له اخلق لنا خفاشا سالوه ذلك
لان الخفاش من اعجب الطيور بغير ريش وله ثدي ولا يبيض وتحيض وتضحك طلبوا منه ذلك متعنتين فاخذ
طينا وجعل منه خفاشا ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض فقالوا هذا سحر فقال ابرئ الاكمه
والابرص واحيي الموتى باذن الله فقالوا ان ابرا الاكمه والابرص يفعله اطباؤنا فذهبوا الى جالينوس
اخبروه بامر عيسى عليه السلام فقال ان الذي ولد اعمى لا يبصر بالعلاج والابرص الذي لو غرز لا يخرج
منه الدم لا يبرا بالعلاج وان كان هو يحيي الموتى فهو نبي فجاؤوا بالاكمه والابرص فمسح يده عليهما فبرئا فقالوا
هذا سحر فان كنت صادقا فاحي الموتى فاحيى رجلا يقال له ابن العازر لجمعة انه قد مات فذهب مع اصحابه

وقد دفن وأتى عليه أيام فدعى الله عز وجل فقام بإذن الله عز وجل وذكره يقطر فعاش وولد له وأحيى
ابن العجوز مُرَّ به يحمل على سرير فدعاه فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع أهله وبقي وولد له
وأحيى ابنة العاشر مات وأتت عليها ليلة فدعى الله تعالى لها فعاشت وبقيت وولدت فقالوا
إنك تحيي من كان موته قريبا ولعلهم لم يموتوا أو أصابهم سكتة فأحيي لنا سام بن نوح فقال دلوني
على قبره فخرج وخرج القوم معه حتى انتهى إلى قبره فدعى الله تعالى فخرج من القبر فقال له عيسى عليه
السلام من أنت قال سام بن نوح عليه السلام قال من أنا قال عيسى بن مريم روح الله وكلمته قال كيف
شاب رأسك ولم يكن في زمانك شيب قال سمعت صوتا أجب روح الله فظننت أن القيمة قد قامت
فشاب رأسي من هول ذلك قال عيسى أن تسأل الله عز وجل أن تعيش معنا قال لا فإني ما رأيت النزع لم يذهب
من حلقي بعد وكان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة فقال للقوم صدقوه فإنه نبي عليه السلام
ومات مكانه فآمن به بعض القوم وكذبه بعضهم وقالوا هذا سحر فأخبرنا بما أكلنا وادخرنا فكان يقول
يا فلان أنت كلت كذا وادخرت كذا ويا فلان أنت أكلت كذا وادخرت كذا فمنهم من آمن ومنهم من كفر
وهم الكفرون بقتله فرفعه الله عز وجل إلى السماء قوله عز وجل ومصدقا لما بين يدي من التوراة
ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون معناه
والله أعلم وجئتكم مصدقا لما بين يدي أي أثبت التورية وأحكامها وصدقتها ويقال عنى بالتصديق أن
التورية البشارة بي فإذا خرجت فقد صدقت ذلك ولا يجوز أن يكون ومصدقا عطفا على ورسولا
إذ لو كان كذلك لقال ومصدقا لما بين يديه وقوله عز وجل ولأحل لكم عطف على معنى مصدقا كما يقال
جئتك معتذرا ولأعطك ومعناه ولأحل لكم أي لأرخص لكم بعض الذي حرم عليكم لأنه كان في التوراة أشيا
محرمة حلل عيسى عليه السلام بعضها وهو العمل في يوم السبت وشحوم البقر والغنم وساير ما حرم عليهم
بظلمهم فأما أن يكون أحل لهم القتل والسرق والزنا فمحال وكان أبو عبيدة يذهب في هذا إلى أن معناه ولأحل
لكم كل الذي حرم عليكم أحبارُكم لا ما حرمه أنبياؤكم عليهم السلام وكان يستدل في عبارة الكل بالبعض
بقول لبيد ۞ تَرَّاكُ أمكنة إذا لم أرضها ۞ أو يعتلق بعض النفوس حمامها ۞ قال معناه كل
النفوس وقال الزجاج لا يجوز أن يذكر البعض عبارة عن الكل لأن بعض الشيء جزء منه قال معنى قول لبيد
أو يعتلق أي يعتلق نفسي حمامها لأن نفسه بعض النفوس وهذا كلام يستعمله الناس يقول القايل
بعضنا يعرفك يريد به أنا أعرفك قال وإنما جاء عيسى بتحليل بعض ما حرم عليهم من الطيبات
بظلمهم وأما قوله عز وجل وجئتكم بآية من ربكم أي لم أحل لكم شيئا مما حرم عليكم من غير برهان بل
أتيتكم بعلامة نبوتي فاتقوا الله فيما أمركم وأنهاكم وأطيعون فيما أبينه لكم قوله عز وجل إن الله ربي
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم حكاية قول عيسى عليه السلام أي قال لهم إن الله ربي
وربكم خالقي وخالقكم فاعبدوه أي وحدوه هذا الذي أدعوكم إليه صراط مستقيم طريق في الدين لا
عوج فيه من سلكه أداه إلى الحق قوله عز وجل فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله
قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون معناه والله أعلم لما علم عيسى
عليه السلام منهم الكفر والقصد إلى قتله قال من أعواني مع الله تعالى ووضع إلى في هذا موضع مع لأن
إلى للغاية ومع للاتصال فتقارب اللفظان وهذا كما يقال الذود إلى الذود إبل معناه الذود مع الذود
إبل وقال الزجاج معنى من أنصاري إلى الله من يضيف نصرته إلى نصرة الله فإن من ينصرني فقد نصر الله وقال الحسن
معناه من أنصاري في سبيل الله ويقال معناه من أنصاري لله كقوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي

الى م

إلى الحق معناه من يهدي إلى الحق بدليل أنه عقبه بقوله قل الله يهدي للحق وقوله عز وجل قال الحواريون نحن أنصار
الله أي قال المخلصون في النصرة والتصديق نحن أعوان دين الله تعالى معك صدقنا بتوحيد الله تعالى
واشهد يا عيسى بأنا مسلمون فأنا أشهد بك على ذلك والإحساس هو العلم من جهة الحاسة واختلف
أهل التفسير في الحواريين قال بعضهم المخلصون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الزبير ابن عمتي وحواريّ
من أمتي أي هو من خواص أمتي وكان الحواريون لعيسى عليه السلام اثنى عشر رجلا من أصحابه مكان العشرة من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم سموا حواريين من الحور وهو الخلوص يقال عين حورا إذا اشتد بياض بياضها وخلص
واشتد سواد سوادها وخلص ومنه يقال دقيق حُواري للذي لم يبق فيه الألباب وقال بعضهم سموا
حواريين من الحور وهو البياض لأنهم اختلفوا في بياضهم قيل كانوا قصارين يبيضون الثياب فمر بهم
عيسى عليه السلام فقال ألا أدلكم على تطهير أنفع من هذا قالوا نعم قال تعالوا حتى نطهر أنفسنا عن الذنوب
فتابعوه على ذلك وقيل كانوا بيض الثياب وقيل كانوا بيض القلوب من الفساد وقيل كانوا ملوكا فتبعوه
وقال بعضهم كانوا صيادين قال لهم عيسى عليه السلام ألا أدلكم على اصطياد أنفع من هذا قالوا بلى قال
تعالوا حتى نصطاد أنفسنا من شرك إبليس فتابعوه كلهم كأنهم ذهبوا في هذا إلى اشتقاقه من الحور الذي
هو الرجوع ومنه سمي المحور محورا لأنه راجع إلى المكان الذي زال منه وقيل لأنه يدور رايره ينصقل حتى يبيض
وأما ما روي في الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور فمعناه من الرجوع والخروج من الجماعة بعد أن
كنا فيها يقال كار عمامته إذا لفها على رأسه وحارها إذا نقضها قوله عز وجل ربنا آمنا بما أنزلت
واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أي قالوا يا ربنا صدقنا بما أنزلت من الإنجيل على عيسى
عليه السلام واتبعنا عيسى عليه السلام فأثبت أسامينا في جريدة المصدقين لأنبيائك عليهم السلام
الذين شهدوا بصدق الأنبياء قبلنا قوله عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين
معناه والله تعالى أعلم مكر الكفار الذين لم يؤمنوا بقصدهم قتل عيسى عليه السلام والمكر هو الاحتيال في تدبير
الشر وقوله تعالى ومكر الله أي جازاهم الله تعالى على ما تقدم أن الجزاء على المكر يسمى مكرا كما في الاعتداء والسيئة
والاستهزاء وقوله عز وجل والله خير الماكرين أي هو أفضل الصانعين حين جازى الكفار على فعلهم وخلص
المكور به وذلك أن اليهود كانوا قد أجمعوا على قتل عيسى عليه السلام وهرب منهم إلى بيت فدخل البيت
ورفعه جبريل من الكوة إلى السماء فقال ملك اليهود واسمه يهوذا لرجل خبيث منهم يقال له طيطيانوس
ادخل عليه البيت فاقتله فألقى الله تعالى شبه عيسى عليه السلام عليه فلما خرج رأوه على شبه عيسى عليه
السلام فحسبوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى عليه السلام وبدنه يشبه
بدن صاحبنا فإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى عليه السلام وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا فوقع
بينهم قتال فقتل بعضهم بعضا قال الضحاك وأما المسيح فقد كساه الله عز وجل الريش وألبسه
النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار في الملائكة قوله عز وجل إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك
ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة
ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون أول هذه الآية متصل بقوله عز وجل
خير الماكرين ويقال معناه واذكر إذ قال الله عز وجل يا عيسى ذهب بعض المفسرين إلى أن في الآية تقديما وتأخيرا
معناه إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك أي مميتك بعد الإنزال إلى الأرض وقال بعضهم
معنى متوفيك أي قابضك إلي من بين الكفار ومكرهم يقال توفيت من فلان كذا إذا استوفيته وقوله
عز وجل ومطهرك من الذين كفروا أي مخرجك من بين أظهرهم فإنهم كانوا أرجاسا وكان تطهير عيسى
عليه السلام منهم إزالتهم عنه برفعه فإن التطهير إزالة الأنجاس عن الثوب والبدن وقال الربيع معنى

برجع

خ
كططانوس

الى

بعض

معنى متوفيك وفاة نوم لا وفاة إماتة أي بعهد الله عز وجل في حالة نومه الى السماء وقوله رافعك الي اي الى
سمائي وجعل الرفع الى السماء رفعا اليه تفخيما لامر السماء وقال بعضهم معناه ورافعك الى كرامتي كما قال ابرهيم
عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني ربي فانه كان يذهب الى الشام واما قوله عز وجل وجاعل الذين
اتبعوك فوق الذين كفروا فمعناه جاعل الذين صدقوك فوق الذين كذبوا عليك وكذبوك قال بعضهم اراد
به فوقهم من العز والغلبة لا ترى يهوديا حيث كان الا اذل من النصراني قالوا وهذا يدل على انه لا يكون
لليهود ملك كما هو للنصارى وقال بعضهم اراد بفوق الذين كفروا فوقهم في الحجة والبرهان
قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الذين اتبعوا عيسى عليه السلام هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم الذين
صدقوه في جميع ما قال ومعنى ثم الي مرجعكم الى مرجع الكفار والمؤمنين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين قوله عز وجل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة و
ما لهم من ناصرين معناه اعاقبهم عقوبة شديدة في الدنيا بالقتل والسبي والجزية وفي الاخرة
بالنار وما لهم من مانعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل قوله عز وجل واما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين اي الذين صدقوا وعملوا
الصالحات يكمل لهم ثواب اعمالهم والله لا يرحم الظالمين ولا يثيبهم قوله عز وجل ذلك نتلوه عليك
من الايات والذكر الحكيم معناه والله تعالى اعلم اي ان ما جرى من القصص نزل به عليك يا محمد صلى الله
عليه وسلم يتلوه عليك جبريل عليه السلام بامرنا واضاف التلاوة الى نفسه من حيث حصلت بامره
ويقال معنى نتلوه نكلمك به وحقيقة التلاوة اظهار الكلمة على جهة الحكاية يقال انشأ فلان كتابا
وتلاه علينا فلان وقوله عز وجل من الايات اي من علامات نبوتك ومما فيه عبرة لمن اعتبر به
وتبصرة لمن تبصر وقوله عز وجل والذكر الحكيم اي ومن القران ذي الحكمة في التاليف والنظم وسماه
حكيما لانه بما فيه من الحكمة كانه ينطق بالحكمة ويقال بمعنى الحكيم المحكم وهو فعيل بمعنى مفعول
ويقال اراد بالذكر الحكيم اللوح المحفوظ قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ان وفد نصارى
نجران السيد والعاقب والاسقف وغيرهم من علمائهم جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم بل يمنعكم من الاسلام
ثلث اكلكم الخنزير وعبادتكم الصليب وقولكم لله عز وجل ولد قالوا اريتنا خلقا من غير اب وقالوا في احيا
عيسى عليه السلام الموتى دليل ان الله عز وجل اتخذه ابنا فانزل الله عز وجل قوله ان مثل عيسى عند الله
يقول صفة خلق عيسى عليه السلام بلا اب كصفة خلق ادم عليه السلام خلقه من غير اب اي صور
الله ادم عليه السلام من تراب من غير اب ولا ام ثم قال تعالى لادم كن فكان واراد الله عز وجل بهذه
الاية ان كون الولد من غير اب ليس باعجب من كون الانسان بغير اب وام وقد خلق الله ادم عليه
السلام من تراب من غير اب وام وفي هذه الاية دليل على صحة القياس لانه لو لم يصح القياس لم يكن الله تعالى
يحتج به وفيها دليل جواز قياس الشيء على الشيء من وجه دون وجه لان الله عز وجل انما شبه عيسى عليه
السلام بادم عليه السلام في كونه من غير اب لا في كونه من غير ام ولا في خلقه من التراب فان قال قائل
هلا قال الله عز وجل كن فكان فان ادم عليه السلام قد انقضى كونه وقد اخبر عنه بالمستقبل قيل ان الفعل
الماضي منقطع والمضارع متصل ومن ذلك كما يقال في الاصول ان ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه فعل كذا وكان فعل فانه لا يقتضي التكرار وما روي انه كان يفعل كذا فانه على التكرار دون الانقطاع
ثم فعل الله تعالى يجري على المهلة ويحدث على التدريج التدريج وكذلك امر عيسى عليه السلام على التدريج

الامر انه عز وجل خلق السموات والارض في ستة ايام وكذلك بدت الحيوة في ادم عليه السلام على
التدريج وكذلك امر عيسى عليه السلام على التدريج كان يبدو شيئا فشيئا فاخبر الله عز وجل عن
ذلك بفعل دائم قوله عز وجل الحق من ربك فلا تكن من الممترين ابتداء هذه الاية رفع على
خبر مبتدأ محذوف معناه الذي انباك به هو الحق والصدق في امر عيسى عليه السلام فلا تكن
من الممترين اي من الشاكين قال بعضهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الخلق كلهم
لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك في امر عيسى عليه السلام قط وهذا كما قال الله عز وجل يا ايها
النبي اذا طلقتم النساء وقال بعضهم معناه لا تكن ايها السامع لهذا النبا من الشاكين واراد به كل
من كان من المكلفين قوله عز وجل فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا
ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على
الكاذبين معنى الاية والله تعالى اعلم فمن خاصمك في امر عيسى عليه السلام من بعد ما جاءك من البيان
فان عيسى عليه السلام لم يكن ابن الله ولا شريكه فقل تعالوا معشر النصارى ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
لنخرج الى فضاء من الارض وانفسنا وانفسكم اي ونخرج نحن بانفسنا وانتم بانفسكم ثم نبتهل اي نلتعن والبهلة
اللعنة يقال بهله الله اي لعنه وباعده ويقال معنى نبتهل نجتهد ونتضرع في الدعاء على الكاذب من
الابتهال وهو التضرع والاجتهاد وطلب الشيء ثم فسر الابتهال فقال جل ذكره فنجعل لعنة الله على
الكاذبين اي نقول لعنة الله في امر عيسى عليه السلام على الكاذبين وقد روي انه لما نزلت هذه
الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران ان الله عز وجل امرني ان اباهلكم ان لم
تقبلوا فقالوا يا ابا القاسم صلى الله عليه وسلم بل نرجع فننظر في امرنا ثم ناتيك فعلك فرجعوا فخلا
بعضهم الى بعض فقال السيد للعاقب قد والله علمت ان الرجل نبي مرسل ولئن لاعنتموه ليستاصلنكم
وما لاعن نبي قوما قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وان انتم لم تتبعوه وابيتم الا الف دينكم فوادعوه
وارجعوا الى بلادكم فلما كان من الغد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه باهله لم يخلف اهل
البيت في خروجه بهم اذ غدا محتضنا حسينا اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي على اثرهم وعلي يتبعهم
رضوان الله عليهم فابوا ان يلاعنوه وانقادوا واعطوا الجزية يؤدونها اليه في كل سنة فقالوا صالحنا
يا محمد صلى الله عليه وسلم حتى نرجع الى بلادنا وابعث معنا رجلا عدلا يقضي بيننا في امور رجالنا فيها
ونعطيه من اموالنا فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفي حلة الف في صفر والف في رجب
وقال لهم وان كان كون باليمن غنموا بثلثين درعا وثلثين فرسا وثلثين بعيرا والمسلمون ضامنون
لها حتى يردوها عليكم وكتب لهم كتاب الامان والصلح بسم الله الرحمن الرحيم هذا
ما كتب محمد صلى الله عليه وسلم لنجران في كل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضلا عليهم ترك ذلك كله
على الفي حلة في كل صفر الف حلة وفي كل رجب الف حلة ثمن كل حلة اوقية وما زادت الحلل على الاواق
فبحساب وما نقص من درع حلة او خيل او ركاب فبحساب وعليهم عارية ثلثين درعا وثلثين
فرسا وثلثين بعيرا اذا كان كيد باليمن ولنجران وحاشيتها جوار الله تعالى وذمة محمد صلى الله عليه وسلم
على انفسهم وملتهم وكل ما تحت ايديهم من قليل وكثير لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير من حقوقهم ولا يغير
اسقف من اسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا يحشرون من بلادهم ولا يعشرون ولا يطا ارضهم
جيش ومن سال منهم حقا فله النصف غير ظالمين ولا مظلومين ومن اكل الربا من ذي قبل فذمتي منه
بريئة لا يوخذ منهم رجل بظلم اخر ولهم جوار الله تعالى وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا حتى ياتي
الله بامره ما نصحوا واصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم شهد الشهود ابو سفين بن حرب وغيلان بن عمرو

وماكك بن عوف وغيرهم ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم معاذ بن جبل رضي الله عنه
ليقضي بالحق فيما بينهم ورجعوا الى بلادهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو باهلوني لاضطرم
الوادي عليهم نارا ولم يبق نصراني ولا نصرانية الى يوم القيمة وفي بعض الروايات قال لو التعنوا
لهلكوا كلهم حتى العصافير في سقوفهم فذلك هذا الخبر ان امتناعهم من المباهلة لم يكن الا لعلمهم
ان الحق مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ لو لم يعلموا ذلك لباهلوه حتى كان يظهر بطلان قوله صلى الله
عليه وسلم في الحال قوله عز وجل ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله
لهو العزيز الحكيم يقول هذا الذي وجيناه اليك من الحجج والايات لهو الخبر الحق بان عيسى عليه
السلام لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه والقصص هو الخبر الذي يتلو بعضه بعضا من قولهم قص فلان
اثر فلان اذا اتبعه وقوله تعالى وما من اله الا الله اي ما اله الا الله واحد بلا ولد ولا شريك وما اعطى
الله عز وجل عيسى عليه السلام من المعجزة التي يعجز عنها المخلوقون لا تخرجه من العبودية لله عز وجل
وان الله لهو العزيز الحكيم اي العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به ودخول من في قوله ما من اله الا الله لتوكيد النفي
في جميع ما ادعاه المشركون انهم الهة وقوله عز وجل وان الله لهو العزيز الحكيم اي العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن
به ذو الحكمة في خلق عيسى عليه السلام من غير اب وفي امره ان لا تعبد الا الله عز وجل قوله عز وجل
فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين يقول ان اعرضوا عما اتيت به من البيان فان الله عالم
بالمفسدين يجازيهم على ذلك ثم دعاهم الله عز وجل الى التوحيد فقال عز وجل قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون معناه قل يا محمد صلى الله
عليه وسلم يا اهل الكتاب هلموا الى كلمة عدل بيننا وبينكم وفي سواء ثلث لغات سواء وسوى وسوى
وسوى ولا يمد منها الا المفتوح ويقال معنى الى كلمة سواء اي الى كلمة ذات سواء اي مستوية بيننا وبينكم ثم
فسر الكلمة فقال عز من قائل الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا اي ان لا نشرك به احدا من المخلوقين
اربابا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله اي نرجع الى المعبود بالحق الله عز وجل وان عيسى عليه
السلام بشر كما انا بشر فلا نتخذه ربا وسمى الله تعالى هذه الالفاظ كلمة لان معناها يرجع الى شيء
واحد وهو كلمة العدل لا اله الا الله تقول العرب للكلام الذي فيه شرح قصة وان طال
كلمة يقال انشدنا كلمة فلان اي قصيدته وذهب بعض المفسرين الى ان معنى ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا
من دون الله لا يطيع بعضنا بعضا في معصية الله تعالى كما قيل في تفسير قوله اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله اي اطاعوهم في معصية الله وعن عدي بن حاتم انه قال اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الاية وفي عنقي صليب من ذهب فقال صلى الله عليه وسلم الق هذا
الوثن عنك واحلق شعر الكفر عن راسك فقلت يا رسول الله ما كنا نعبدهم فقال صلى الله عليه وسلم اليس كانوا
يحلون لكم فتاخذون بقولهم ويحرمون عليكم فتاخذون بقولهم فقلت نعم فقال صلى الله عليه وسلم
هو ذاكم وقوله عز وجل فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي ان ابوا التوحيد فقولوا انتم
اشهدوا بانا مقرون بالتوحيد مستسلمون لما اتتنا به الانبياء صلوات الله عليهم من قبل الله تعالى
ثم ذكر الله تعالى خصومة اهل الكتاب مع النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم انا مسلمون على دين ابرهيم
فقال عز وجل يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده
افلا تعقلون قال الكلبي وذلك ان اليهود والنصارى اجتمعوا في بيت مدراسة اليهود وكل فريق يقول
ان ابرهيم عليه السلام منا وعلى ديننا فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اقض بيننا اينا اولى

عن ء

اليوم

بابرهيم

بابرهيم عليه السلام ودينه فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين منكم بريء من دين ابرهيم عليه السلام ان ابرهيم
عليه السلام كان حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فانزل الله تعالى هذه الايات يقول يا ايها
اليهود والنصارى لم تخاصمون في ابرهيم عليه السلام ودينه وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده
افلا تعقلون افليس لكم ذهن الانسانية فتعلمون ان اليهودية ملة محرفة عن شريعة موسى عليه
السلام وان النصرانية ملة محرفة عن شريعة عيسى عليه السلام وان اليهود سموا بهذا الاسم لانهم من ولد يهودا والنصارى سموا
نصارى لانهم من قرية بالشام يقال لها ناصرة ويقال معنى قوله عز وجل افلا تعقلون افلا تتفكرون
فتنظرون انه ليس في التوراة والانجيل ان ابرهيم عليه السلام كان يهوديا او نصرانيا فان قيل ليس في نزول
التوراة والانجيل بعد ابرهيم عليه السلام ما يدل على انه لم يكن ابرهيم عليه السلام على اليهودية ولا على النصرانية
وليس ذلك ايضا يحب ان يدل نزول القران بعده على انه لم يكن على الاسلام قيل ان اهل الكتابين جميعا كانوا
قد اتفقوا على وصف ابرهيم عليه السلام بانه مسلم الا ان اليهود ادعوا ان اهل الاسلام كان يهودية
والنصارى ادعوا انه كان نصرانية فوصفوه بما لم يكن في الكتابين ونحن انما ادعينا انه كان مسلما ولم ندع
اكثر من ذلك في كتابنا فنصفه بالاسلام كما بين الله تعالى بهذه الاية قوله عز وجل ها انتم هؤلاء
حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون
معناه والله تعالى اعلم وانتم يا هؤلاء يا معشر اليهود والنصارى خاصمتم فيما لكم به علم وهو امر نعت محمد
صلى الله عليه وسلم وصفته في كتابكم فلم تخاصمون فيما ليس لكم به علم وهو امر ابرهيم عليه
السلام والله يعلم دين ابرهيم وشانه وانتم لا تعلمون وقيل ان الهاء من ها انتم تنبيه وانتم اسم المخاطبين
وهؤلاء اشارة اليهم كانه يقول انتبهوا انتم الذين حاججتم وزعم الاخفش انه اسم استفهام
التوبيخ حولت الهمزة الاولى هاء كقولك هرقت وهرقت اي اولى قوله عز وجل ما كان ابرهيم يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين تكذيب من الله تعالى
للفريقين في قولهم ان ابرهيم عليه السلام كان يهوديا او نصرانيا ومعنى ولكن كان حنيفا مسلما
اي مائلا عن اليهودية والنصرانية مخلصا مستسلما لامر الله عز وجل وما كان مع المشركين على دينهم
والحنيف هو المائل عن كل دين سوى الاسلام ويسمى بالاحنف الذي يكون صدور قدميه مائلة من جهة
الخلقة قوله عز وجل ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله
ولي المؤمنين قال الكلبي وذلك ان رؤساء اليهود كانوا يقولون والله يا محمد صلى الله عليه وسلم
لقد علمت انا اولى بدين ابرهيم وما بك الا الحسد لنا فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها ان احق الناس
بولاية ابرهيم عليه السلام للذين اتبعوه في دينه في زمانه ولم يغيروا ولم يبدلوا وهذا النبي يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم والذين امنوا اصحابه الذين اتبعوه والله ولي المؤمنين في النصر والمعونة ثم ذكر الله تعالى
دعوة كعب بن الاشرف واصحابه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا وحذيفة وعمارا الى دينهم
اليهودية فقال عز من قائل ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا
انفسهم وما يشعرون معناه تمنت جماعة من اهل الكتاب ان يهلكوكم بادخالكم في الضلال وما يرجع
وبال الضلال الا على انفسهم وما يعلمون ان وبال ذلك يعود عليهم وقيل ما يعلمون ان الله تعالى يطلع نبيه
صلى الله عليه وسلم على فعلهم قوله عز وجل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله و
انتم تشهدون معناه يا اهل الكتاب لم تجحدون محمدا صلى الله عليه وسلم والقران وانتم تعلمون في كتابكم
انه نبي مرسل ويقال وانتم تشهدون بما يدل على صحة هذه الايات من كتب الانبياء صلوات عليهم والاصل
ولم تكفرون لما تكفرون اي لاي شيء تكفرون حذفت الالف من اخر للتخفيف وفتحت الميم دليلا على سقوط

نبحث

الالف وعلى هذا الوتقولون وفيم تبشرون وعمّ يتساءلون قوله عز وجل يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون معناه لم تخلطون الحق بالباطل ولبس الشيء بالشيء
خلط احدهما بالاخر وذلك لانهم اقروا ببعض امر النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا بعضه ويقال معناه لم تخلطون
صفة محمد صلى الله عليه وسلم بصفة الدجال ولم تكتمون الحق وانتم تعلمون ان محمدا والاسلام حق في كتابكم
وقيل في معنى لم تلبسون لم تغطون الحق بباطلكم يقال لبست على فلان الامر البسه اذا اعميته عليه ويقال في
الثوب لبست الثوب البسه ومعنى تغطية الحق بالباطل تحريفهم للتوراة والانجيل وتاويلهم على غير وجهه
ثم ذكر تعالى حيلة مالك كعب بن الاشرف واصحابه في تحويل القبلة فقال عز وجل وقالت طائفة من اهل
الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون
معناه اي قالوا لسفلتهم صدقوا بالقبلة التي صلى المسلمون اليها صلوة الصبح وهي قبلة بيت المقدس وجحدوا
القبلة التي صلوا اليها في اخر النهار وهي الكعبة لعلهم يرجعون الى قبلتكم وقال بعضهم ان علما اليهود قالوا
فيما بينهم كنا نخبر اصحابنا باشياء قد اتى بها محمد صلى الله عليه وسلم فان نحن كذبنا بها كلها اتهمنا اصحابنا
ولكن نؤمن ببعض ونكفر ببعض لنوهمهم انا نصدقه فيما نصدقه ونوهمهم انا نكذبه فيما ليس عندنا ويقال انهم
اتوا النبي في صدر النهار فقالوا انك انت الذي خبرنا في التوراة انك مبعوث ولكن انظرنا الى العشي لننظر في
امرنا فلما كان العشي اتوا الانصار فقالوا لهم كنا اعلمناكم ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبي الذي هو مكتوب
في التوراة الا انا نظرنا في التوراة فاذا هو من ولد هرون عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل
بن ابرهيم عليه السلام فليس هو النبي الذي هو وانما فعلوا ذلك لعل من يريد منهم يرجع لان مثل هذا يكون
اقرب عندهم الى تشكيك المسلمين ووجه الشيء اوله يقال لاول الثوب وجه الثوب ويقال وجه الشيء
اشرفه واعلاه واشرف النهار اوله قوله عز وجل ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى
هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم حكاية قول كعب بن الاشرف واصحابه قالوا لليهود لا تصدقوا
الا لمن تبع دينكم اليهودية وصلى الى قبلتكم نحو بيت المقدس واما قوله عز وجل قل ان الهدى هدى الله قال
بعضهم هذا كلام معترض بين كلامي اليهود ويجوز دخول العارض بين الكلامين اذا احتيج اليه
كما دخل على قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم عاد الى
اول الكلام فقال عز من قائل اولئك لهم جنات عدن وكذلك قوله تعالى قل ان الهدى هدى
الله عارض ثم عاد الى كلام اليهود فقال عز من قائل ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اي قالوا لا تصدقوا
ان يعطى احد من الكتاب والعلم مثل ما اعطيتم فصار تقدير الاية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان
يؤتى احد مثل ما اوتيتم ما اعطيتم وان يحاجكم احد عند ربكم الا من كان مثلكم على دين اليهودية
قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله فلا تنكروا ان يؤتيه غيركم
وقال بعضهم ليس في الاية تقديم وتاخير ومعناه قالت اليهود لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل يا محمد
ان الهدى هدى الله فلا تجحدوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او ان يحاجكم احد عند ربكم قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء اي النبوة والكتاب والهدى بقدرة الله تعالى يعطيه من يشاء والله واسع عليم
اي واسع الفضل والمقدرة عليم بمن هو من اهل الفضل وذهب الفراء والكسائي الى ان معنى او يحاجوكم
معنى حتى على جهة التاكيد للنفي كما يقال لا تفعل كذا او تقوم القيامة اي حتى تقوم القيامة ويراد
به لا تفعله اصلا قوله عز وجل يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم يقول يختص
بدينه الاسلام من يشاء ويقال يختص بالنبوة من يشاء والله ذو المن العظيم على من اختصه بالاسلام والنبوة

عند نام

قوله عز وجل ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار
لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون
في الاية دليل وبيان ان اهل الكتاب فيهم امانة وفيهم خيانة فمنهم من ان تبايعه بمل مسك ثور ذهبا
يؤده اليك بلا عناء ولا تعب ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا بعد عناء وتعب وقال الضحاك
هو فنحاص بن عازوراء اليهودي اودعه رجل دينارا فخانه وقوله عز وجل ذلك بانهم قالوا اي ذلك الاستحلال
والخيانة منهم لقولهم ليس علينا في مال العرب والذين لا كتاب لهم حجة ولا ماثم كانوا يستحلون ظلم من
خالفهم ويقولون على الله الكذب يقولون لم يجعل لهم علينا في كتابنا حرمة لحرمتنا وهم يعلمون ان
الله عز وجل قد انزل عليهم في كتابهم الوفاء واداء الامانة لمن ائتمنهم وخالطهم قوله عز وجل بلى
من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين يقول ليس الامر كما يزعمون لكن من اتم عهد الله الذي
عاهده الله تعالى في التوراة واتقى ظلم الناس في ترك الوفاء ونقض العهد فان الله يحب المتقين لنقض
العهد وترك الوفاء قوله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا
خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية فيما كان بين امرئ القيس وعبدان بن
الاشوع من الخصومة في ارض علت عليها امرؤ القيس فاستحلفه عبدان فهم بالحلف فنزلت هذه الاية
فامتنع ان يحلف واقر لعبدان بحقه ودفعه اليه وعن الشعبي انه قال نزلت هذه الاية فيمن ينفق
سلعته باليمين الفاجرة ويقال نزلت هذه الاية في اليهود لكتمانهم نعت النبي صلى الله عليه وسلم و
صفته ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان الذين يختارون على عهد الله عوضا يسيرا من الدنيا اولئك لا
نصيب لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله تعالى بكلام خير ورحمة وهذا كما يقال فلان لا يكلم فلانا ولا ينظر
اليه يراد بذلك انه غضبان لا يكلمه الا بالسوء ويقال معنى الاية لا يسمعهم الله تعالى كلامه كما
يكلم اولياءه بغير سفير ومعنى ولا يزكيهم اي لا ينسبهم الى الزكوة ولا يثني عليهم خيرا ولهم مع هذه الاحوال
عذاب مولم وجيع قوله عز وجل وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من
الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون روي ان جماعة من اليهود اولي الفاقة والفقر قدموا المدينة من
الشام ليسلموا فلقيهم كعب بن الاشرف فقال اتعلمون انه نبي صلى الله عليه وسلم قالوا نعم وما تعلمه
انت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله فقال كعب بن الاشرف لقد حرمكم الله خيرا كثيرا
كنت اريد ان امير كم واكسو عيالكم فحرمكم الله تعالى فقالوا رويدك حتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفة
سوى صفته ونعتا سوى نعته ثم انتهوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فكلموه وسالوه ثم رجعوا الى كعب
فقالوا كنا نرى انه رسول الله فاذا هو ليس بالنعت الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا
واخرجوا الذي كتبوه فنظر اليه كعب ففرح ولحفا قراهم وخطوطهم ثم بعث الى كل واحد منهم بثمانية
اذرع من الكرابيس وخمسة اصوع من الشعير فنزلت الاية والمعنى وان من اهل الكتاب طائفة
يحرفون الكتاب ثم يقرؤون ما حرفوه لتظنوا ايها المسلمون ان ذلك من التوراة وما هو من التوراة و
يقولون هو من عند الله نزل وما هو من عند الله نزل ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك
المحرف من التوراة وهم يعلمون انهم يكذبون ولي اللسان هو العدول عن الصدق والصواب واصله
من الفتل يقال لويت العود اذا فتلته ولويت اليد اذا فتلتها ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لي
الواجد ظلم ولي الحبل هو ان تعدل به عن وجه الاستواء قوله عز وجل ما كان لبشر ان يؤتيه

الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا
ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون وذلك انه لما كثرت دعوة النبي صلى الله عليه
وسلم اياهم الى الاسلام وقامت عليهم الحجج قالوا ان هذا الرجل يريد ان نتبعه ونعبده كما سال عيسى عليه
السلام من قومه حتى عبدوه فكذبهم الله عز وجل في قولهم بهذه الاية ومعناها ما كان لبشر من الانبيا
مثل عيسى وعزير وغيرهما ان يعطيه الله تعالى الكتاب وعلم الحلال والحرام والنبوة ثم يقول للناس
كونوا عبادا لي اي لا يجتمع لاحد النبوة والقول للناس كونوا عبادا لي وليس هذا على وجه النهي ولكنه على
وجه التنزيه لله عز وجل انه لا يختار نبيا يقول مثل هذا القول للناس ويجوز ان يكون على الوجه هذا ه
التعظيم للانبيا صلوات الله عليهم فانه من اعطي النبوة علم انه ليس له ان يدعوا الا الى عبادة عز وجل و
قوله تعالى ولكن كونوا ربانيين اي ولكن يقول كونوا ربانيين علما عاملين بتعليمكم الكتاب الناس و
بما كنتم تدرسون لانفسكم ومن قرا تعلمون بنصب التا والتخفيف فمعناه بعلمكم وبدرسكم واما قيل
للفقها ربانيون لانهم يربون العلم اي يقومون به وزيدت الالف والنون للمبالغة كما يقال رجل لحياني
ولذي الجمة الوافرة جماني وعن ثعلب انه قال يقال رجل ربي ورباني عالم عامل معلم لان العالم انما ينبغي
ان يقال له عالم اذا كان له منفعة من علمه يعمل عليه فاما اذا لم يعمل فهو والجاهل سوا وقيل ان الرباني
منسوب الى الرب جل وعز قوله عز وجل ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم
بالكفر بعد اذ انتم مسلمون اي لا يامركم النبي صلى الله عليه وسلم ويقال لا يامركم الله تعالى ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا وذكر الملائكة لان خزاعة كانت تقول الملائكة بنات الله تعالى ومن قرا برفع الرا من قوله
تعالى ولا يامركم فعلى الابتدا ومن نصب الرا فعلى البناء على قوله عز وجل ان يوتيه الله الكتاب وقوله
تعالى ايامركم بالكفر استفهام بمعنى الانكار اي ان الله عز وجل بعث النبي صلى الله عليه وسلم ليدعوا الناس
الى الاسلام فكيف يدعوهم الى الكفر بعد ان كانت فطرتكم على الاسلام ويقال بعد ان كنتم مقرين بالتوحيد
قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا
اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين المعنى واذكر لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم القصة حين اخذ الله
العهد على كل رسول عليه السلام ان يومن بساير الرسل عليهم السلام وياخذ الميثاق من قومه على الايمان
بالنبي صلى الله عليه وسلم ان يومن الذي يخرج من بعده وعلى نصرته وقوله تعالى لما اتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق من قرا لما اتيتكم فيكون ما في موضع الشرط وجواب لتومنن به ودخول اللام في الشرط
والجواب للتاكيد كما في قوله عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك وكما يقال لئن جئتني
لاكرمنك ويقال هذه لام القسم كانه استحلفهم والله لتومنن به واخذ الميثاق في معنى التحليف لان
لان الحلف وثيقة وموضع ما من قوله تعالى لما اتيتكم نصب بقوله اتيتكم كانه للذي اتيتكموه من كتاب قال ه
ومن قرا بالتخفيف لما اتيناكم لان عظيم الشان قد يعبر عن نفسه بلفظ الجمع ومن قرا لما اتيتكم بكسر اللام فعلى معنى
اخذ الله تعالى الميثاق لايتاء الكتاب والحكمة وصرف الكلام من الخبر الى الخطاب كانه قال واذ اخذت
وقوله تعالى قال اقررتم اي قال الله تعالى للانبياء اقررتم بما امرتكم به واخذتم على ما قلت لكم عهدي
والاصر في اللغة الثقل لكن يراد به العهد لما فيه من الثقل ولفظ الاخذ يحتمل وجهين احدهما
قبلتم على ذلك عهدي والثاني اخذتم العهد بذلكم على اممكم يقال فلان اخذ بيعة فلان اذا قبل بيعته
ويقال اخذ بيعته اذا اخذها على غيره له وقوله عز وجل قالوا اقررنا اي قالت الانبيا صلوات الله عليهم
اقررنا بالعهد لنومنن به ولننصرنه قال الله عز وجل فاشهدوا اي يشهد بعضكم على بعض بذلك ويقال

معنى

معنى فاشهدوا بينوا لمن يكون بعدكم لان الشاهد هو الذي يصحح دعوى المدعي ثم قال تعالى وانا معكم من الشاهدين
اي انا من الشاهدين عليكم وعلى اممكم ويقال في معنى فاشهدوا اي قال الله عز وجل للملائكة فاشهدوا على اقرارهم و
شهادة الله تعالى للنبيين بينة انه امرهم بالايات المعجزات قوله عز وجل فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم
الفاسقون يقول من اعرض بعد اخذ الميثاق على النبيين وعلى اممهم فاولئك هم الفاسقون في الكفر اي هم الخارجون
الى افحش مراتب الكفر فان في الكفر ما هو اصغر وفيه ما هو اكبر قوله عز وجل افغير دين الله يبغون وله اسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون ه معناه والله اعلم ابعد هذه الوثائق
الجارية بينهم وبين الله عز وجل في امر النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون دينا سوى ما عهده الله تعالى اليهم قال
الكلبي وذلك انه لما قال اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم حين اختلفوا في دين ابرهيم عليه السلام كلا الفريقين منكم بري
من دين ابرهيم عليه السلام قالوا والله لا نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى وله
اسلم من في السموات والارض اي له اخلص وخضع قال الكلبي اما اهل السموات ومن ولد في الاسلام من اهل الارض
فاسلموا طائعين ومن ابى قوتل حتى يدخل في الاسلام كرها تجابهم في السلاسل ويكرهون على الاسلام وفي الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عجب ربكم من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل وقال قتادة في معنى
قوله صلى الله عليه وسلم وله اسلم اي اسلم بعضهم قبل روية الباس وبعضهم بعد روية الباس وقال بعضهم معناه
وله اسلم من في السموات والارض بالاقرار له بالالهية كما قال الله عز وجل ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقال
الزجاج معناه ان كلهم خضعوا لله من جهة ما فطرهم عليه لانه لا يمتنع ممتنع من جبلة جبل عليها ولا يقدر على تغييرها
احب تلك الجبلة او كرهها لا يمكنه التخلص من حكم الله عز وجل في المحو والبلايا ومعنى واليه يرجعون كلاهما بالتا
اي الى جزائه يرجعون في الاخرة فبادروا الى دينه ولا تطلبوا غيره لك ويقرا يبغون ويرجعون كلاهما بالتا على المخاطبة
فاما نصب طوعا وكرها لانه مصدر وضع موضع الحال كما يقال جيت ركضا وعدوا اي راكضا وماشيا بسرعة
قوله عز وجل قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم
ونحن له مسلمون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامر له ان يقول عن نفسه وعن امته امنا بالله وهذا كما يخاطب
رئيس القوم بان يقول عن نفسه وعن قومه ومعنى لا نفرق بين احد منهم اي لا نفرق بين الرسل في الايمان بهم ولا نفعل
كما فعلت اليهود والنصارى ونحن له مسلمون اي مخلصون في الطاعة والتوحيد قوله عز وجل ومن يبتغ غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين قال عبد الله بن عباس نزلت هذه الاية
وما بعدها الى قوله عز وجل لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون في عشرة رهط امنوا ثم رجعوا عن الاسلام فلحقوا
بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحرث بن سويد وغيرهم وندم الحرث وارسل الى اخيه
الجلاس بن سويد المسلم اني قد ندمت على ما صنعت فسل لي نبي الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة والا ذهبت في
الارض فنزلت هذه الايات ومعنى هذه الاية من يطلب دينا غير دين الله الاسلام فلن يقبل منه ما اقام عليه اي لن
يثاب ولن يثنى عليه ويقال معنى لن يقبل منه ان المرتد لا يقبل منه الا الاسلام او السيف ولا يقر على الكفر بالجزية
فان هذه الاية نزلت في المرتدين وقوله تعالى وهو في الاخرة من الخاسرين اي من المغبونين بترك منزله في الجنة
واختيار منزله في النار قوله عز وجل كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول
حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين ه معناه كيف يهدي الله قوما كفروا بالله
تعالى بعد ايمانهم به وقوله تعالى وشهدوا عطف على قوله عز وجل ايمانهم دون قوله تعالى كفروا وقد يعطف
الفعل على المصدر كما يقول اعجبني ضرب زيد وان غضب فصار تقديره لانه كفروا بعد ان امنوا وبعد ان شهدوا
ان الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم حق وجاءهم البينات دلالات صدقه ونبوته فكيف يستحقون هداية

وهدا

الله عز وجل كما يقال كيف احسن الى فلان وقد انعمت عليه الكثير فلم يعرف حق نعمتي ومعنى **والله لا يهدي القوم الظالمين**
اي لا يرشد المشركين من لم يكن اهلا لذلك **فان قيل** ظاهر هذه الاية يقتضي ان من كفر بعد اسلامه لا يهديه الله تعالى وان الظالمين
لا يهديهم الله تعالى وكثير من المرتدين اسلموا ومن الظالمين تابوا **قيل** معناه لا يهديهم الله ما داموا مقيمين على
كفرهم فاذا جاهدوا وقصدوا الرجوع الى الحق وفقهم كما قال جل ذكره والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقيل معنى قوله تعالى كيف يهدي الله قوما اي كيف يرحمهم وينجيهم من العقوبة قوله عز وجل **أولئك جزاؤهم
ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون** يقول اهل هذه الصفة جزاؤهم وهوان عليهم لعنة الله اي عذاب الله واللعنة من الله الابعاد بالمكروه و
اما لعنة الملائكة والناس فدعاؤهم على الكفار ان يبعدهم من رحمته **فان قيل** كيف قال الله تعالى والملائكة والناس
اجمعين ومن الناس من يوالي الكافر ويواهده ولا يلعنه **قيل** فيه جوابان احدهما انهم في الاخرة يلعن بعضهم بعضا
والثاني ان الله تعالى يكتب في الدنيا في قلوبهم اللعن على الظلمة في كل حادثة وامر وقوله تعالى خالدين فيها اي مقيمين في
اللعنة وقيل فيما توجبه اللعنة وهو العذاب لا يهون عليهم ولا يؤجلون حتى ينزل بهم قوله عز وجل **الا الذين
تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم** استثناء من قول الله عز وجل عليهم لعنة الله
ومعناه الا الذين تابوا من الكفر والشرك من بعد ارتدادهم واصلحوا اي لم يكتفوا بمجرد الايمان ويقال اصلحوا اعمالهم بالتوبة
ويقال اصلحوا ما افسدوه من الناس ممن تبعهم فان الله غفور متجاوز عنهم رحيم بهم بعد التوبة قال عبد الله بن
عباس لما نزلت في الحرث بن سويد الرخصة في التوبة ارسل اخوه الجلاس اليه ان الله عز وجل قد رخص عليكم التوبة فارجع الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فرجع وتاب من صنيعه وقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه فبلغ
ذلك اصحابه الذين بمكة فقالوا نتربص بمحمد صلى الله عليه وسلم ريب المنون فان بدا لنا الرجعة اليه ذهبنا كما ذهب
الحرث فيقبل توبتنا فانزل الله تعالى قوله عز وجل **ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا
لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون** يقول ان الذين كفروا بالله والرسول بعد تصديقهم ثم
ازدادوا كفرا بقولهم نقيم بمكة ما بدا لنا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون عن الاسلام وفي هذه الاية دليل
ان هؤلاء لم يكونوا يحققون التوبة لانه قال واولئك هم الضالون وكانت هذه الاية خاصة في قوم علم الله انهم لا
يتوبون الا عند حضور الموت ومات طعمة كافرا ولو كانوا يحققون التوبة قبل المعاينة لقبلت توبتهم ويجوز ان
يكون معنى لن تقبل توبتهم اي التوبة التي يتوبون حين الموت وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الاية وما قبلها نزلت
في اليهود لانهم كانوا مؤمنين بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه شاهدين له بالنبوة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فانزل
الله عز وجل هذه الايات وبين ان توبتهم في وقت ايمانهم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه غير مقبولة منهم
لانهم كفروا بعدها وازدادوا كفرا قوله عز وجل **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين** معنى الاية والله تعالى اعلم
ان الذين كفروا وماتوا على كفرهم لو كان لاحدهم في الاخرة ملء الارض ذهبا فافتدى به لم يقبل منه كما روي في الخبر انه
يقال للكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به من هذا العذاب فيقول نعم فيقال له قد سئلت
ما هو ايسر عليك من هذا فلم تفعل وقوله تعالى اولئك لهم عذاب اليم اي اهل هذه الصفة لهم عذاب وجيع في الاخرة
ليس لهم من مانع يمنعهم من العذاب والملء بفتح الميم الفعل والملء بكسرها مقدار ما يملأ به الشيء يقال اعطني ملء هذا
او مقدار ما يملؤه وهذا كما يقال رعيت رعيا والرعي الراعية وقوله تعالى ذهبا نصب على تمييز لانه تمييز
جملة مبهمة كما في قوله عز وجل انا اكثر منك مالا واعز نفرا وتمييز عدد مبهم كما يقال عشرون درهما وتمييز
مقدار مبهم كما يقال عندي ملء زق عسلا واما دخول الواو في قوله عز وجل ولو افتدى به فذهب بعضهم الى ان الواو
زائدة وانكره الزجاج رحمه الله فقال ان فائدة الواو تعميم النفي لوجود القبول ولو لم يكن واو لا اوهم الكلام

المقدار والتمييز

ذلك

ذلك لا يقبل في الافتداء ويقبل على غير وجه الافتداء قوله عز وجل **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما
تنفقوا من شيء فان الله به عليم** قال ابن عباس رضي الله عنهما لن تنالوا ما عند الله من ثوابه في الجنة
حتى تتصدقوا مما تحبون من الاموال ويقال معناه لن تبلغوا حقيقة التوكل والتقوى حتى تخرجوا زكاة اموالكم
طيبة بها نفوسكم وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول هذه الاية منسوخة نسختها اية الزكوة
وذهب اكثر اهل التفسير الى ان المقصود من هذه الاية الحث على الصدقة صدقة النفل والفرض بابلغ وجوه الترغيب
لان قوله عز وجل مما تحبون يدل على المبالغة فيه ليكون ذلك دليلا على صدق نية المتصدق كما روى عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم ان تنفق
المال على حبه وهو صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر واشترى ابن عمر رضي الله عنهما جارية كان يهواها
فلما ملكها اعتقها ولم يصب منها فقيل له اعتقتها بعد ان كنت تهواها ولم تصب منها قال رضي الله عنه لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون **وعن** عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه كان يشتري اعدال السكر فيتصدق
بها فقيل له هلا تصدقت بثمنه قال لان السكر احب الي فاردت ان انفق مما احب **وعن** جعفر الصادق
رضي الله عنه انه قال بانفاق المحبوب يصل العبد الى بر حبيبه والمراد بذلك بر الكمال وهو نوع على منازل القرب
وهذا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة
والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد ما يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه اراد به نفي حقيقة المسكنة لا نفي
اصل المسكنة وقوله عز وجل وما تنفقوا من شيء اي ما تتصدقوا من مال فان الله به عليم وبنياتكم عليم يجزيكم على
ذلك في الاخرة وانما اتصلت هذه الاية بما قبلها لبيان ان النفقة مقبولة من المؤمنين وان كانت القدر
مردودة على الكفار في الدنيا والاخرة قوله عز وجل **كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين**
روي عن عبد الله بن عباس انه قال في معنى هذه الاية كل الطعام الحلال اليوم ما سوى الميتة والدم ولحم الخنزير
كان حلالا لبني يعقوب عليه السلام من قبل ان تنزل التوراة على موسى عليه السلام الا الطعام الذي حرمه يعقوب
على نفسه وهو لحم الابل والبانها وذلك انه عليه السلام كان يمشي الى بيت المقدس فلقيه ملك من الملائكة وهو خلف
الاثقال فظن يعقوب عليه السلام انه لص فعالجه ليصارعه فكانا في ذلك حتى اضاء الفجر فغمز الملك فخذ يعقوب عليه
السلام فهيج به عرق النسا فصعد الملك الى السماء وجاء يعقوب يعرج حتى لحق الاثقال فكان يبيت الليل ساهرا من
وجعه ويصبح نهارا [illegible] فآلى ان شفاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه على نفسه فشفاه الله عز وجل من ذلك
فحرم احب الطعام والشراب اليه وكان لحوم الابل والبانها فاستن ولده بسنته فذلك قوله عز وجل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة فلما نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم لليهود ما الذي حرم اسرائيل على
نفسه فقالوا كل شيء نحرمه اليوم على انفسنا فانه كان محرما على نوح عليه السلام فهلم جرا حتى انتهى الينا وانت يا محمد
صلى الله عليه وسلم واصحابك تستحلونه وادعوا ان ذلك مسطور في التوراة فقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم
قل فاتوا بالتوراة فاتلوها اي اقرؤوها هل تجدون فيها تحريم لحوم الابل والبانها وهل تجدون فيها تحريم كل ذي
ظفر وتحريم شحوم البقر والغنم وغير ذلك مما حرم الله عز وجل عليكم من الطيبات بعد نزول التوراة بظلمكم وبغيكم
كما قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فابوا ان ياتوا بالتوراة خوفا من الفضيحة
لعلمهم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله سبحانه قوله عز وجل **فمن افترى على الله الكذب
من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون** اي من اختلق على الله الكذب بان يقول عليه ما لم ينزله في
كتاب من بعد ذلك يقول من بعد قيام الحجة عليه فاولئك هم الظالمون لانفسهم وفي هذا اعظم دلالة على نبوة نبينا
صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لم يقرا الكتب ولم يجالس اهل الكتاب فلم يكن يعرف سرائر كتب الانبياء صلوات الله عليهم

وهو

لان ع

المتقدمين لانا علام الله عز وجل وقد اخبرهم ان ما قالوه ليس في كتابهم وامرهم بان ياتوا بالتوراة ولو لم يكن في كتابهم
حجة للنبي صلى الله عليه وسلم لكان يمكنهم اظهار كذبه باسهل الوجوه وهو ان ياتوا بكتاب نفسهم فان قيل كيف كان من
اسرايل تحريم هذه الاشيا على نفسه والتحريم والتحليل انما يكونان بحسب المصالح والانسان لا يعلم موقع المصالح قيل
يحتمل انه كان اذن له في تحريم تلك الاشيا على نفسه مصلحة له كما انه اذن لنا في الاجتهاد في الاحكام وكان ما نعلمه
نحن بالاجتهاد مصلحة لنا قوله عز وجل قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين
معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم صدق الله في ان كل الطعام كان حلا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل على نفسه فاتبعوا
ملة ابرهيم في استباحة لحوم الابل والبانها وافعلوا ما كان يفعله من الصلوة الى الكعبة وحج البيت وما كان من المشركين
اي لم يكن ابرهيم عليه السلام على دين المشركين ولم يفعل كما فعله اليهود في دعاويهم ان عزيرا ابن الله ولا كمقالة النصارى
ان المسيح ابن الله وهذه الاية حجة على اليهود في انكارهم نسخ الشريعة وقولهم ان ذلك لا يجوز من جهة الله عز وجل اتصال
تحريم يعقوب عليه السلام الطعام على نفسه بقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون بيان ان من انبيا الله صلوات
الله عليهم من كان يحرم من احب الاطعمة عنده لحق الله عز وجل فكونوا مثله في الايثار على انفسكم بالانفاق في طاعة
الله سبحانه فان قيل هل يجوز لنا تحريم الاشيا على انفسنا كما جاز لاسرايل قيل لا لانه لم يوذن لنا في التحريم كما اذن لاسرايل
على انه لا يمتنع ان يكون انما حرمها على نفسه باليمين واحدنا يمكنه تحريم المباحات على نفسه باليمين الا انه قد اذن لنا
بالحنث في الايمان وبالتكفير ولم يكن قد اذن لهم بالحنث والكفارة قوله عز وجل ان اول بيت وضع للناس
للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين روى عن امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وعن الحسن
البصري رضي الله عنه انهما قالا معناه ان اول بيت وضع لعبادة الناس على وجه الارض الكعبة بناها ابرهيم عليه
السلام كما قال الله عز وجل واذ بوانا لابرهيم مكان البيت الى ان قال واذن في الناس بالحج قالا ولم يريدا انه لم يكن قبل
الكعبة بيت مبني بل كان قبل بنا الكعبة بيوت مبنية واما بنا بيت المقدس فقد كان بعد الكعبة بدهر طويل بناه
سليمن بن داود عليهما السلام وقد يقال اول لما لا بعد له يقول الرجل هذا اول قدومي مكة وربما لا يقدم بعد ذلك
ولهذا قالوا لو قال اول عبد املكه فهو حر فملك عبدا عتق في الحال وقال مجاهد وقتادة وجماعة رحمهم الله ان
اول بيت وضع في الارض كان هو الكعبة ولم يكن قبله بيت مبني قال الكلبي رضي الله عنه كان آدم عليه السلام حين اخرج
من الجنة بنى الكعبة فطاف بها فلما كان زمن طوفان نوح عليه السلام وهو الحين رفعها الله عز وجل الى السماء
السادسة بحيال موضع الكعبة وهو البيت الذي بناه ابرهيم عليه السلام وهو البيت المعمور يقال له الضراح يدخله
كل يوم سبعون الف ملك لم يدخلوها قط قبله وروي في بعض الاخبار ان الله تعالى اهبطها من السما وهي من ياقوت
حمرا وكانت الملايكة تحجها قبل آدم عليه السلام فلما كثرت الخطايا رفعها الله عز وجل وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ان الكعبة كانت خشعة على وجه الما فدحيت الارض من تحتها واختلف المفسرون
رحمهم الله في بكة قال الزهري بكة موضع المسجد ومكة هو الحرم كله وسمي المسجد بكة لان البك هو الزحمة في اللغة
يقال بكه اذا زحمه فسمي المسجد بكة لان الناس يكونون فيه اي يزدحمون للطواف وفي هذا بيان انه لا يجوز الطواف
خارج المسجد لان الله عز وجل خص المسجد بكونه موضع الزحمة في الطواف وقال ابو عبيدة بكة اسم لبطن مكة
ومكة هي المعروفة وقال مجاهد بكة ومكة واحد ابدلت البا من الميم كما يقال ضربة لازم ولازب وسميت بكة
لانها تبك اعناق الجبابرة ما من جبار قصدها الا وقد قصمه الله عز وجل كاصحاب الفيل وغيرهم وسميت
مكة لاجتذابها الناس من كل افق يقال امتك الفصيل ما في ضرع الناقة اذا استقصى فلم يدع منه شيا وقوله
عز وجل مباركا نصب على الحال التقدير الذي استقر بمكة ثابت الخير والبركة لان البركة هي ثبوت الخير ونموه يقال برك
بروكا اذا ثبت على حالة وقوله عز وجل وهدى للعالمين معناه انه بيان ودلالة للعالمين على الله عز وجل
باهلاك الله عز وجل كل من قصده من الجبابرة كما قال الله عز وجل اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس

من حولهم وباستيناس الطيور فيه بالناس وباستشفا الطير اذا مرض بالبيت وبان لا تعلوه طير اعظاما
له وبامحاق ما يرمى فيه من الجمار في كل سنة فلولا ان ما يتقبل منها يرفع كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما قال ولا
يجب ان يكون قد اجتمعت هناك من الحجارة مثل الجبال وباجتماع الكلب مع الظبي هناك فلا ينفر الظبي من الكلب
ولا يعدو عليه الكلب وكل هذا لا يكون الا من جهة الله عز وجل ويجوز ان يكون المراد بالهدى انه طريق
الجنة وبالله التوفيق قوله عز وجل فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا ولله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين معناه فيه
علامات واضحات وهي ما تقدم ذكره ومقام ابرهيم عليه السلام ايضا والاية في مقام ابرهيم عليه السلام
ان قدميه دخلتا في حجر صلد بقدرة الله عز وجل صار الحجر في اللين كالطين حتى ساخت قدماه فيه ثم
عاد حجرا صلدا ليكون ذلك دلالة على صدق نبوته عليه السلام وقوله عز وجل ومن دخله كان آمنا
قال الحسن عطف الله عز وجل قلوب العرب في الجاهلية على من لاذ بالحرم او عاذ اليه وان كان جانيا واجرى
العادة بذلك في الاسلام وكان يقول في الايات البينات ان مقام ابرهيم عليه السلام آية ومن دخله
كان آمنا آية ولله على الناس حج البيت آية وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما فيه آية بينة مقام ابرهيم
وذهب اكثر المفسرين الى ان قوله تعالى ومن دخله كان آمنا على لفظ الخبر ومعناه الامر وهو امر لنا ان
نومن من جنى وعاذ بالحرم ثم التجا اليه واما قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فمعناه
القصد والذهاب الى الكعبة ويقرا حج البيت بكسر الحا وهو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وقوله عز وجل
من استطاع اليه سبيلا بدل عن الناس وهو بدل البعض من الكل كما يقال ضربت فلانا راسه اي ولله الحج على
من استطاع من الناس سبيلا اليه والاستطاعة في ظاهر اللغة ان يمكنه بلوغ مكة باي وجه يمكنه والى هذا
ذهب الحسن وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وقال مالك رحمه الله لو قدر على المشي اليه لزمه وروي عن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل عن الاستطاعة في هذه الاية فقال
السبيل الى البيت الزاد والراحلة فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لزوم فرض الحج مخصوص بالركوب
دون المشي وان من لا يمكنه الوصول اليه الا بالمشي الذي يشق ويعسر فلا حج عليه وهكذا روي عن عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما وبه اخذ اكثر الفقها رحمهم الله حتى شرطوا مع الزاد والراحلة نفقة الاهل الى ان يرجع
وان لا يحول بينه وبين الحج عدو واما قوله عز وجل ومن كفر فان الله غني عن العالمين فمعناه من انكر
فريضة الحج فلم يره واجبا فان الله غني عمن حج وعمن لم يحج اي لم يتعبد الناس بالعبادات لحاجته اليها
وانما تعبدهم بها لعلمه بمصلحتهم فيها وقد روي انه لما نزل فرض الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع المسلمين اليهود والنصارى ومشركي العرب فقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم
الحج فحجوا فلم يقبله الا المسلمون فانزل الله عز وجل قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما ما
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من ادرك حج الاسلام فلم يحج فلم تمنعه حاجة ظاهرة
ولا امام ظالم ولا مرض حابس حتى يموت على ذلك فليمت على اي حال شا يهوديا او نصرانيا فهو على طريق التهديد
والتحقيق انه لا يكون المومن يهوديا ولا نصرانيا ولا يجوز الحكم بالاكفار باخبار الآحاد وبل الخبر انه لو ترك الحج فرضا
عليه وقد وجد الاستطاعة فليمت على اي دين شا والله اعلم ولا حجة في هذه الآية لمن احتج بها ان الاستطاعة
قبل الفعل بمقتضى الاية لان المراد بالاية والله اعلم استطاعة الاحوال والاسباب فاما استطاعة الافعال فلا تكون
الا مع الفعل لانها استطاعة الفعل وسببه فلا تكون الا معه قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لم
تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لليهود والنصارى
لم تكفرون بالحج وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقران والله عالم بما تعملون وانما قال في هذا الموضع قل

يا اهل الكتاب وقال من قبل يا اهل الكتاب لانه عز وجل خاطبهم اولا على جهة التلطف في استدعائهم الى
الايمان ثم اعرض عن خطابهم اذلالا واهانة لهم وامر نبيه بمخاطبتهم قوله عز وجل **قل يا اهل الكتاب
لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون**
نزلت في قوم من اليهود كانوا يدعون عمارا واصحابه رضي الله عنهم الى اليهودية وكانوا يسعون في احيا الضغاين
التي كانت بين الاوس والخزرج في الجاهلية وكانت قد ماتت في الاسلام ومعنى الاية قل يا محمد صلى الله عليه وسلم
لم تصرفون من امن عن دين الله تعالى وعن الطريق التي هي الوصلة الى رضى الله من الاسلام والحج وغير ذلك تطلبون
لها ميلا يقال ابغني كذا اي اطلبه لي وابغني بقطع الالف اعني على طلبه ويقال في الامر والدين عوج بكسر العين وكل
شي منتصب مايل نحو الجدار والعصا عوج بفتح العين وقوله وانتم شهداء فيه قولان احدهما وانتم شهداء بتقدم
البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في كتبكم والثاني وانتم عقلا كما في قوله تعالى والقى السمع وهو شهيد وقوله تعالى
وما الله بغافل عما تعملون تهديد لهم على الكفر اي لا يخفى على الله شي مما تعملون من الجحد والكتمان قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
قال بعض المفسرين هذا خطاب للاوس والخزرج يقول ان تطيعوا طايفة من اليهود في احيا الضغاين
التي كانت بينكم بالعصبية والحمية الجاهلية يصرفوكم الى الشرك والكفر بعد تصديقكم بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقران **وقال** بعضهم معنى الاية ان تطيعوا رؤسا اهل الكتاب تجار وامر صفات النبي صلى الله عليه
وسلم ولبسوها عليكم يردوكم كفارا قوله عز وجل **وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم
رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم** معناه على اي حال يقع منكم الكفر و
دلايل توحيد الله تعالى ونبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرا عليكم وهو القرآن ومعكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبين لكم الايات وهذا على طريق التعجب لا الاستبعاد ان يقع منهم الكفر مع معرفتهم بدلالات الله
عز وجل ومعنى ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم اي من يستمسك بدينه ويمتنع به عن غيره
فقد ارشد الى طريق قايم يرضاه الله تعالى وهو الاسلام قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون** معنى الاية يا ايها الذين امنوا اي صدقوا محمدا صلى الله عليه وسلم
والقران اطيعوا الله حق طاعته واثبتوا على الاسلام حتى لا يدرككم الموت الا وانتم مسلمون قال الكلبي رضي الله عنه
حق تقاته ان يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر ولا يكفر وان يذكر ولا ينسى قال فلم تطق العباد ذلك وشق
عليهم فانزل الله عز وجل قوله فاتقوا الله ما استطعتم فصار اشد هذه الاية منسوخا به والى هذا ذهب
قتادة ومقاتل والقتيبي وجماعة من المفسرين وقال بعضهم لا يجوز ان يكلف الله عباده ما لا يطيقون و
ليست هذه الاية منسوخة وانما معناها اتقوه فيما يحق عليكم ان تتقوه فيه وهو ما فرض الله عز وجل في
كتابه في مواضع شتى ولو كانت هذه الاية منسوخة لكان في ذلك اباحة بعض المعاصي وذلك لا يجوز **و
روي عن عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما وطاوس رحمه الله ان هذه الاية محكمة غير منسوخة واجاز
بعض المفسرين النسخ من وجه اخر بان الله عز وجل لو كلف عباده ان يتقوه حق تقاته واجبا في حال
الامن والخوف جميعا ولم تكن التقية مباحة في حال الخوف ثم صارت التقية مباحة بقوله فاتقوا الله ما
استطعتم واسمعوا واطيعوا وقوله عز وجل الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان وقد يقول الرجل لا استطيع
كذا اي لا اشق عليه كما قال الله عز وجل وكانوا لا يستطيعون سمعا واراد بذلك مشقته عليهم والتقاة في
الاصل وقاة من الوقاية ابدلت التاء من الواو كما قالوا تخمة وهو من الوخامة وتجاه وهو من الوجاهة
والتراث من الوراثة قوله عز وجل **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله
عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من**

النار

النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون معناه تمسكوا بدين
الله ويقال اراد بالحبل القران الذي عهده الله الى عباده وهو الحبل الذي يتمسك به للنجاة قال بعض الحكما
ان مثل من في الدنيا كمثل من وقع في بير فيها من كل نوع من الافات لا يمكنه الخروج منها والنجاة من افاتها
الا بحبل وثيق وكذلك الدنيا دار محنة فيها من كل الافات ولا سبيل الى النجاة منها الا بالتمسك بحبل
وثيق وهو كتاب الله عز وجل ومعنى ولا تفرقوا اي تناصروا في دين ولا تتفرقوا فيه واحفظوا منة
الله تعالى عليكم اذ كنتم اعداء في الجاهلية يقتل بعضكم بعضا ويسبي كل غالب ما غلبه فجمع تعالى بين قلوبكم
بالاسلام الحاجز للانفس والاموال لا يحفظها فصرتم بنعمة الله اخوانا في الدين وذلك انه كان بين الاوس والخزرج
قتال قبل الاسلام باربعين عاما حتى كادوا يتفانون فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فطعن بمكة
امن به الاوس والخزرج وهم بالمدينة فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اليهم وقعت الالفة بين الاوس و
الخزرج وزالت العداوة التي كانت في الجاهلية بينهم فالتقى رجلان من الانصار احدهما من الاوس والاخر
من الخزرج فقال الخزرجي اما والله لو تاخر الاسلام وقدوم النبي صلى الله عليه وسلم علينا وعليكم لاستعبدنا
ابناكم وقتلنا اباكم فقال الاوسي قد والله تاخر عنا وعنكم زمانا من الدهر فصرناكم حتى ادخلناكم دوركم بهذا
وعلم ما تقولون فاستبا ما شاء الله تعالى ثم افترقا فنادى يا فزعت الخزرج الى صاحبهم وفزعت
الاوس الى صاحبهم واخذوا السلاح وتقدم بعضهم الى بعض فبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار
اليهم في اناس من المهاجرين وهو راكب على حمار قال جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه فما كان من طالع
يومئذ اكره الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا فاوما الينا بيده فكففنا ووقف
بيننا على حمار له فقرا يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته الى قوله عز وجل اولئك لهم عذاب عظيم
فالقى الفريقان السلاح واطفاوا الحرب فلم يكن في الارض شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه و
سلم بعد نزول الاية ومشى بعضهم الى بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعانق بعضهم بعضا
يبكون فما رايت اكثر باكيا من يومئذ ولا رايت يوما اقبح اولا ولا احسن اخرا من يومئذ **وقال** الحسن
رضي الله عنه هذا خطاب لجميع العرب فانه كان بينهم عداوة وطوايل وقتال وكان يغير بعض القبايل على
بعض فازال الله عز وجل ذلك عنهم بجمعهم على الاسلام **واما** قوله عز وجل وكنتم على شفا حفرة من
النار فكدتم تقعون فيها لو ادرككم الموت على الكفر فانقذكم منها اي خلصكم الله تعالى من النار والحفرة
بالنبي صلى الله عليه وسلم وشفا الشي في اللغة حرفه وهو مقصور يكتب بالالف وتثنيته شفوان وجمع
اشفا ويقال اشفى فلان على كذا اي اشرف عليه **واما** قوله عز وجل كذلك يبين الله لكم اياته اي مثل
هذا البيان الذي تلي عليكم يبين الله تعالى لكم الايات الدلالات والحجج في الاوامر والنواهي لكي تهتدوا من الضلالة
وتكونوا على رجا الهداية وبالله التوفيق قوله عز وجل **ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون** معناه لتكن منكم جماعة يدعون الى
الصلاح والاحسان ويامرون بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم وساير الطاعات الواجبة وينهون
عن الكفر والشرك وساير ما لا يعرف في شريعة ولا سنة واولئك هم المفلحون الناجون من السخط و
العذاب وانما قال ولتكن منكم ولم يقل ولتكن جميعكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية
اذا قام به البعض سقط عن الباقين لان الغرض من ذلك وقوع المعروف وزوال المنكر لا الامر يرجع الى
الناهي والامر فاذا زال المنكر صار كانه لم يقع منكر قط وليس كالصلوة والصوم وساير فروض الاعيان لان تلك
الفروض انما تجب لامر يرجع الى نفس تلك الافعال ويجوز ان يكون المراد بالامة في الاية العلما الذين يحسنون
ما يدعون اليه **وذهب بعض المفسرين** الى ان معنى الاية لتكونوا كلكم لكن من هاهنا دخل للتوكيد وتخصيص

هذه

المخاطبين من سائر الاجناس كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان معناه فاجتنبوا الاوثان فانها
رجس لان المراد به اجتنبوا بعض الاوثان دون بعض ثم النهي عن المنكر على مراتب اولها الوعظ والتخويف فان
زال بذلك لم يجز للناهي ان يتعدى عنه الى ما فوقه ثم بالايدي والنعال ثم بالسوط ثم بالسلاح والقتال لان
المقصود زوال المنكر فاما اذا كان الناهي عن المنكر خائفا على نفسه فقد روى ابو سعيد الخدري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
وذلك اضعف الايمان وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان اول ما دخل النقص على بني اسرائيل ان كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك
ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله تعالى قلوب
بعضهم ببعض ثم قال جل ذكره لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود الى قوله تعالى فاسقون ثم قال
صلى الله عليه وسلم كلا والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يدي الظالم فتقسرنه على
الحق قسرا افتى النبي صلى الله عليه وسلم ان من شرط النهي عن المنكر ان يكون ثم لا يجالس المقيم على المعصية بل
يجانبه ويظهر هجرانه قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات
واولئك لهم عذاب عظيم معناه ولا تكونوا كاليهود والنصارى الذين اختلفوا فيما بينهم وصاروا
فرقا وشيعا من بعد ما جاءهم العلامات في امر محمد صلى الله عليه وسلم واولئك لهم عذاب عظيم على تفرقهم
واختلافهم ثم اخبر بوقت ذلك فقوله عز وجل يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون تقدير الاية والله تعالى اعلم
عذاب يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهو يوم القيمة تشرق وجوه الذين سجدوا في الدنيا لله عز وجل
مخلصين له بالتوحيد فتصير وجوههم كالثلج بياضا والشمس ضياء وتسود وجوه الكفار والمنافقين من الحزن
حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون فاما قوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم فجوابه محذوف لان
في الكلام دليلا عليه المعنى فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم وهذا كما في قوله عز وجل واذ يرفع ابراهيم القواعد من
البيت واسماعيل ربنا تقبل منا وقوله عز وجل والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
فاما قوله عز وجل بعد ايمانكم فذوقوا قال بعضهم معناه بعد ايمانكم يوم الميثاق ويقال هو خطاب لاهل
الردة قوله عز وجل واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون
يقول واما المؤمنون الذين ابيضت وجوههم في الاخرة ففي جنة الله تعالى صاروا اليها برحمته هم فيها مقيمون
دائمون وفي الاية بيان ان الجنة لا تنال الا برحمته وان اجتهد المجتهد في طاعته قوله عز وجل تلك
آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين اي هذه حجج الله نزل بها جبريل عليه
السلام نقرؤها عليك بالصدق وما الله يريد ظلما للخلق والانس اعلم الله عز وجل ان من يعذبه باستحقاق
يعذبه لا يعذب احدا بغير ذنب قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور
معناه جميع ما في السموات والارض من الخلق عبيد الله تعالى ومخلوقوه ومرزوقوه فلا يريد ظلمهم فان بلغ
غناه هذا المبلغ لا يحتاج الى الظلم والى الله ترجع عواقب الامور في الاخرة ولو قال واليه ترجع الامور لكان حسنا
لكن اعادة ذكر الله تعالى للفخامة والتوكيد وليكون قوله عز وجل والى الله ترجع الامور مستقلا بنفسه قوله
عز وجل كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون
بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون
خطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته لان الشرط في الخيرية ما هو المذكور في الاية ثم اراد
ان يكون من الصالحين فليات بهذه الشرائط ومعنى الاية والله اعلم كنتم فيما تقدمت البشارات في كتب الامم

منه

المتقدمة افضل اهل دين وملة وانصح الناس للناس قال الحسن رضي الله عنه نحن آخر الامم واكرمها على
الله عز وجل ويقال معنى كنتم اي كنتم عند الله في اللوح المحفوظ وقيل كنتم مذ كنتم ويجوز ان تكون لفظة
الكون زائدة كما في قوله عز وجل وكان الله غفورا رحيما وقوله عز وجل تامرون بالمعروف صفة لهذه
الامة بالوفاء يقول تامرون بالتوحيد واتباع الشريعة وتنهون عن الشرك والظلم لا يظلمون من خالفهم
من غيرهم ومعنى وتؤمنون بالله توحدون الله عز وجل بالايمان ويقال معناه توحدون الله عز وجل
بالايمان برسوله صلى الله عليه وسلم لان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم لم يوحد الله تعالى لانه يزعم ان المعجزات
التي اتى بها النبي صلى الله عليه وسلم اتى بها من ذات نفسه فجعل غير الله تعالى يفعل فعل الله عز وجل وآيات الانبياء صلوات
الله عليهم لا يقدر عليها الا الله عز وجل وفي هذه الاية ما يدل على هذا التاويل وهو قوله تعالى ولو آمن
اهل الكتاب معناه لو صدق اليهود والنصارى مع ايمانهم بالله بايمانهم بنبيه صلى الله عليه وسلم
لكان خيرا لهم من الاقامة على دينهم منهم المؤمنون عبد الله بن سلام واصحابه وسائر من اسلم من اهل
الكتاب واكثرهم الفاسقون الخارجون عن امر الله عز وجل وهم الذين لم يسلموا منهم وفي الاية صحة
اجماع الامة لان الله عز وجل مدحهم بقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ولا يستحقون من الله
عز وجل صفة مدح الا وهم قائمون بحق الله عز وجل غير ضالين ولانه تعالى اخبر انهم يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر والمعروف ما امر الله تعالى به والمنكر ما نهى الله تعالى عنه فاقتضت الاية ان ما امرت به
فهو معروف وما نهت عنه فهو منكر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع امتي على الضلالة قوله
عز وجل لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون معناه لن
يصلوا الى ضرركم معشر المسلمين الا ان يؤذوكم باللسان بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلثة
وبالسب والبهت والتحريف وان يخرجوا الى قتالكم يعطوكم الادبار منهزمين ثم لا يمنعون من سيوفكم وتسليم
ايام وفي الاية دلالة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم لانه اخبر ان اليهود ان قاتلوا لا ينصروا وكان كما اخبر اذ
يهود المدينة كلهم من بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع ويهود خيبر لم يثبت احد منهم لحرب المسلمين
قط بل قتل بعضهم وانهزم اكثرهم ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انكم معشر المسلمين تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر واذا انكرتم على اليهود فلم يقبلوا تعرضوا لمحاربتكم فلا تجبنوا وقاتلوهم فانهم يولون
الادبار قوله عز وجل ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب
من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون معناه الزمت وجعلت عليهم مذلة القتل والسبي اينما وجدوا واخذوا
وضرب الشيء على الشيء الزامه اياه يقال فلان ضرب الضريبة على عبده اذا الزمها اياه ومن ذلك سميت الضريبة
ضريبة ومعنى الا بحبل من الله الا ان يعتصموا بعهد الله وهو الاسلام وقوله عز وجل وحبل من الناس
اي عهد وامان وعقد ذمة المسلمين وقوله عز وجل وباؤوا بغضب من الله اي انصرفوا بغضب استوجبوا
من الله عز وجل ومعنى وضربت عليهم المسكنة جعل عليهم زي الفقر والبؤس حتى صار امرا لازما لهم الى
ما لا يبلغه اهل ملة بعد ان كانوا ذوي عز ويسار ومنعة فيرى الرجل منهم عليه البؤس والمسكنة وانه
لغني ولم يبق لليهود منعة في موضع من المواضع وفي هذا ايضا دلالة صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
ومعنى ذلك بانهم كانوا يكفرون اي ذلك الذل والغضب عليهم من الله عز وجل بكفرهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن ورضاهم بقتل آبائهم الانبياء صلوات الله عليهم بغير حق وعصيانهم ومجاوزتهم
الحد وفي هذا بيان ان الله عز وجل لم يعاقبهم بهذه العقوبة الغليظة من غير سبب لا عاقبهم بها
لغلظ ما ركبوه فان الله عز وجل لا يعذب احدا بغير ذنب قوله عز وجل ليسوا سواء من اهل الكتاب

فاتلوا

أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ وذلك ان الله عز وجل لما ذكر
في الايات المتقدمة من امن من اهل الكتاب ومن لم يومن قال من عز من قايل ليسوا سوا اي ليس الفريقان
سوا وهذا وقف تام ثم استانف عز وجل قوله من اهل الكتاب لبيان افتراق الفريقين في الطريقة فقال عز
من قايل من اهل الكتاب امة قايمة عادلة مستقيمة مهتدية وقال الاخفش معناه ذو امة قايمة
اي ذو طريقة قايمة قال والامة الطريقة من قولهم اممت الشي اذا قصدته ومعنى يتلون ايات الله
يقرون القران في ساعات الليل ومعنى وهم يسجدون قال بعضهم يصلون قالوا وهذه واو حال لان القراة
لا تكون في الركوع ولا السجود وانما ذكرت الصلوة باسم السجود لان السجود غاية ما فيه من التواضع قال
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اراد به صلوة العتمة ويقال اراد به ما بين المغرب الى العشاء الاخرة
وقال بعضهم معنى في قوله عز وجل وهم يسجدون عطف السجود المعروف على قراة القران فكانه قال وهم مع
ذلك يسجدون واختلف اهل اللغة في واحد الاناء فقال بعضهم انا مثل معا وامعا وقال بعضهم انى مثل
نحى وانحا قوله عز وجل يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ قال عبد الله بن عباس لما اسلم عبد الله بن سلام وجماعة
معه رضي الله عنهم قال احبار اليهود ما امن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا اشرارنا فانزل الله عز وجل هذه الاية
الا انها وان نزلت فيهم فمن حق كل مسلم ان يكون على هذه الصفات ومعنى هذه الاية يصدقون بالله و
بالبعث بعد الموت ويامرون باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن اتباع الجبت والطاغوت ومخالفة
محمد صلى الله عليه وسلم ويبادرون الى الطاعات والاعمال الصالحة فاولئك من المومنين المخلصين وهم
ابو بكر وعمر وساير الصحابة رضي الله عنهم قوله عز وجل وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَ
اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ اي ما تفعلوا من طاعة فلن تجحدوه يعني تجزون به وتثابون عليه لان الكفر هو
الستر وستر الخير انما يكون بترك الجزا عليه ومعنى والله عليم بالمتقين عالم باعمالهم وثواب اعمالهم
ومن قرا وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء فهو راجع الى قوله عز وجل الصالحين قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
معناه ان الذين جحدوا محمدا صلى الله عليه وسلم والقران لن تمنعهم كثرة اموالهم واولادهم شيا مما نزل
بهم من عذاب الله عز وجل واولئك اهل النار هم فيها مقيمون دايمون قوله عز وجل مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ
فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ
وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ معناه مثل ما ينفق اليهود في اليهودية على سفلتهم وعلمايهم وما ينفق اهل الاوثان
على اصنامهم في تظاهرهم على النبي صلى الله عليه وسلم واهلاكهم مال انفسهم كمثل ريح فيها برد شديد
ويقال الصر صوت لهب النار التي تحرق الزرع اصابت حرث قوم اي زرع قوم ظلموا انفسهم بمنع حق
الله عز وجل عليهم فيه فاهلكته اي احرقته الريح فلم ينتفعوا منه بشي في الدنيا كذلك من ينفق
في غير طاعة الله تعالى لا ينتفع بنفقته في الاخرة كما لا ينتفع صاحب هذا الزرع بزرعه في الدنيا يقول
الله عز وجل وما ظلمهم الله عز وجل باهلاك زرعهم ولكن انفسهم يظلمون بمنع حق الله عز
وجل فيه وقال بعضهم معنى الاية مثل اهلاك الله عز وجل نفقة هولا في هذه الحيوة الدنيا لوضعهم
لها في غير حقها كمثل اهلاك ريح فيها صر اصابت زرع قوم زرعوا في غير موضع الزراعة وفي غير وقت
الزراعة فاهلكته الريح لوضعهم ذلك في غير موضعه والله اعلم قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ
وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما نزلت

الواو

هذه

هذه الاية في الانصار كانوا قد ظاهروا اليهود حتى صار كان بينهم نسبا وكانوا يواصلونهم ويعاطفونهم
حتى كان الرجل من الانصار يتزوج فيهم فيختارهم على قومه وكانت اليهود يجدون بهم مثل ذلك فلما جا الله
عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام وامن الانصار ابغضتهم اليهود وكان الانصار يخالطونهم
ويشاورونهم كما كانوا يفعلون قبل الاسلام للرضاعة والمصاهرة التي كانت بينهم وبينهم فنهى الله عز وجل
الانصار بهذه الاية وما بعدها ومعنى الاية ايها المومنون لا تتخذوا دخلا من غيركم يعني اليهود وبطانة
الرجل خاصته واهل سره الذين يستبطنون امره سموا بذلك على جهة التشبيه ببطانة الثوب الذي يلي جلد
الانسان في القرب وحرف من في قوله تعالى من دونكم للتبيين اي لا تتخذوا الذين هم اسافل واراذل بطانة وقوله
عز وجل لا يالونكم خبالا اي لا يبقون غاية ولا يتركون الجهد في الفساد وضرب بعضكم على بعض يقال
ما الوت في الحاجة جهدا اي ما قصرت ويقال لم آل في هذا الامر الوا والخبل والخبال الفساد يقال فلان مخبل
الراي اي فاسد الراي ويقال خبل اي جنون ويقال معنى ودوا ما عنتم اي تمنوا ما اثمتم بربكم والعنت في اللغة
المشقة يقال اكمة عنوت اي طويلة شاقة المسالك ومعنى قد بدت البغضاء من افواههم قد ظهرت العداوة
من السنتهم بالشتم والطعن وما يضمرون في قلوبهم من القتل لو ظفروا بكم اعظم مما اظهروا لكم ومعنى قد بينا
لكم الايات اخبرناكم بما اخفوا وابدوا بالدلالات والعلامات ان كنتم تعقلون الفصل بين العدو والولي
قوله عز وجل هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ
قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
معناه انتم يا هولاء تحبون اليهود بمصاهرتكم ومظاهرتكم ولا يحبونكم لدينكم وتومنون بالتوراة والانجيل
وساير كتب الله عز وجل ولا يومنون هم بذلك كله واذا لقوكم يعني منافقي اهل الكتاب قالوا امنا
بمحمد صلى الله عليه وسلم انه رسول الله صادق فيما يقول واذا خلوا فيما بينهم عضوا عليكم اطراف الاصابع من
الحنق عليكم وهذا مثل ضربه الله عز وجل من شدة عداوة اليهود للمومنين ومن صبر على مكايدهم لان المغتاظ
من الشي الاسف على ما فاته من مراده منه يعض انامله من الغيظ وقوله عز وجل قل موتوا بغيظكم ليس على
طريق الايجاب لانه لو كان على طريق الايجاب لماتوا كلهم من ساعتهم كما قال الله عز وجل في موضع اخر
فقال لهم الله موتوا ولكن اللفظ من هذه الاية على صيغة الامر والمراد به الخبر معناه تموتون بغيظكم و
لن تبلغوا اما نيكم من قهر محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ومعنى ان الله عليم بذات الصدور
عالم بما في القلوب من البغض والعداوة وغير ذلك قال الفرا في قوله عز وجل ها انتم اولاء ان العرب اذا
جات الى اسم مكني قد وصف بهذا جعلته بين ها وذا فتقول العرب ها انا ذا وها هما ذان فيكون معنى
ها انتم اولاء ها انتم الذين تحبونهم ويحبونكم بمعنى الصلة واولاء اسم موصول وكسرت الهمزة الاخيرة من اولاء
لسكونها وسكون الالف الذي قبلها وقال بعضهم ها اشارة وانتم خطاب ابتداء واولاء في تقدير الخبر
ويحبونهم حال الكناية قال انتهوا انا هولاء لعلكم تحبونهم قوله عز وجل إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ
وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ
معناه ان اصابتكم نعمة بالالفة والغلبة على الاعداء والغنيمة والخصب تسوهم تلك الحسنة يعني
اليهود وان تصبكم محنة من جهة اعدايكم او جدب ونكبة يفرحوا بها وان تصبروا على اذى المنافقين و
اليهود وتتقوا معصية الله عز وجل لا يضركم احتيالهم لايقاعكم في الهلاك ان الله بما يعملون محيط
اي احاط علمه وقدرته باعمالهم والمحيط بالشي هو المطيف بالشي من جميع جوانبه وقوله عز وجل ان
تمسسكم بغير الادغام لغة اهل الحجاز وقوله لا يضركم بالادغام لغة غيرهم من العرب وكلا الوجهين
جايز حسن ومن قرا لا يضركم بفتح الرا فلان الفتح اخف الحركات ومن كسر فلالتقا الساكنين واما الضم

اي اغاظكم الغيظ وهو الموضوع

نعلى اصل الكلمة تقديره ولا يضركم كيدهم وقد تضم العرب حرف الفاء وتزيدها ثباتة كما قال **الشاعر**

من يفعل الحسنات الله يشكرها • والشر بالشر عند الله مثلان • ومن قرأ لا يضركم فهو من الضر والضير
والضر بمعنى واحد قال الله عز وجل قالوا لا ضير وقال عز من قائل واذا مسكم الضر قوله عز وجل
واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم معناه واذكر اذ اصبحت
من عند اهلك من المدينة تهيئ للمؤمنين مواضع الحرب لقتال المشركين يوم احد وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان راى في المنام بعد ما سمع بامر المشركين وجمعهم للقتال ان عليه درعا حصينة فاولها المدينة
وكره الخروج اليهم وامر بتبوئة المقاعد للقتال الى ان يوافيهم المشركون فقال رجال من المسلمين اخرج
بنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم لا يرى عدو الله انا جبنا عنهم فلم يزل الواحد حتى خرج وكان
ذلك في شوال في العام المقبل الذي كان قبله وقعة بدر وقوله عز وجل والله سميع عليم اي سميع
لقول المنافقين عليم بنياتهم وبما يصيب المسلمين في هذا الحرب وهذا قول اكثر المفسرين رحمهم الله
قالوا نزلت هذه الاية في غزوة احد وقال الحسن ومجاهد رضي الله عنهما نزلت الاية في يوم
الاحزاب وكل واحد من الموضعين قريب من المدينة قوله عز وجل **اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا
والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون** قال اكثر المفسرين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما خرج لحرب احد رجع عبد الله بن ابي المنافق بثلث الناس بعد خروجهم للحرب فقصدت فرقتان
بنو حارثة وبنو سلمة ان تجبنا فترجعا فثبت الله عز وجل قلوبهما حتى لم يرجعا فذلك قوله عز وجل اذ همت
طايفتان منكم ان تفشلا ومعنى والله وليهما اي ناصرهما وحافظ قلوبهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون
في امورهم وفي الاية دليل ان همّ الطايفتين كان همّ خطرة لا همّ عزيمة لان الله عز وجل مدحهما بقوله
والله وليهما وفي قوله عز وجل همت طايفتان منكم ان تفشلا دليل ان الفشل لم يكن واقعا منهم بعد
قوله عز وجل **ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون** معناه ولقد
اعانكم الله ببدر وانتم قليل في العدد وذلك ان المسلمين كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كان عدد
المهاجرين سبعة وسبعين رجلا وعدد الانصار مائتين وستة وثلاثين وكان امير المؤمنين علي
كرم الله وجهه صاحب راية النبي صلى الله عليه وسلم وكان سعد بن معاذ صاحب راية الانصار وكان
عدد الكفار تسعمائة ونيفا ومعنى فاتقوا الله اطيعوه فيما يامركم به لتقوموا بشكر النعم التي انعمها عليكم
واختلفوا في تسمية بدر بهذا الاسم قال بعضهم هو اسم الماء الذي هناك ونسب المكان اليه وقال
بعضهم هو اسم موضوع لذلك المكان لا على جهة النسبة الى احد كسائر اسامي البلدان والامصار **وروي
ان وقعة بدر** كانت على راس تسعة عشر شهرا من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة وهو اليوم
السابع عشر من رمضان والله تعالى اعلم وبالله التوفيق قوله عز وجل **اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملئكة منزلين** وذلك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا يوم احد بعد انصراف عبد الله بن ابي بثلث الناس سبعمائة رجل وكان المشركون ثلثة الاف رجل
فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملئكة منزلين
من السماء وقال الله عز وجل **بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة
الاف من الملئكة مسومين** معناه ان تصبروا مع نبيكم صلى الله عليه وسلم وتتقوا مخالفته وياتوكم
اهل مكة من وجههم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة معلمين بالصوف الابيض ويقال
بالصوف الاحمر في نواصي الخيل واذنابها اي يرسلهم الله عز وجل من السماء معلمين بهذه العلامة
ويجوز ان يكون معنى مسومين مرسلين من الاسامة وهي الارسال ومن قرا مسومين بكسر الواو فلانهم سوموا

خيولهم

خيولهم **وقد روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان
الملئكة قد تسومت وقال قتادة كانت على الملئكة يوم بدر سيما القتال وكانوا على خيل بلق وقال
ابن عباس كان سيما الملئكة يوم بدر عمايم بيضا مرخيها على اكتافهم او بين اكتافهم وسيماهم يوم حنين
عمايم خضر مرخيها على اكتافهم او بين كتفيهم قال ولم ينصر المؤمنون يوم احد للقتال الا قليل منهم
ولو صبروا لنزل عليهم الملئكة واتاهم ما وعدهم الله عز وجل ولكنهم لم يصبروا فلم ينزل عليهم الملئكة واما الفور
فقد يكون فور الابتدا وقد يكون فور الغضب وهو غليانه مثل فور القدر ومعنى الفور هاهنا مستعار وحدة
يحمى العدو وحرارته قوله عز وجل **وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر
الا من عند الله العزيز الحكيم** معناه ما جعل الله امدادكم بالملئكة الا بشارة لكم ولتسكن قلوبكم حتى
تثبتوا لاعدائكم ثم قال وما النصر الا من عند الله اي ان الله عز وجل وان امدكم بالملئكة وقوى قلوبكم فليس النصر
بكثرة العدد وقلته ولكنه يكون من عند الله تعالى المنيع في سلطانه الحكيم في امره وفي الاية بيان ان الانسان
لا يستغني في حال من الاحوال عن الله وان كثرت عدته واجتمع ماله وعلم ان الحق معه قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما ان الملئكة لم تباشر القتال الا يوم بدر فاما ما سوى ذلك فانها تحضر الصف وتكثر ولا
تقاتل وذهب بعض المفسرين الى ان الملئكة لم تقاتل البتة ولم يبعثوا الا للبشارة اذ لو بعثوا للاعانة لكان
ملك واحد يكفيهم كما فعل جبريل عليه السلام بقوم لوط حيث ادخل جناحه تحت مدائنهم الاربع فبلغ
بجناحه الى الارض السابعة فاقتلعها من اصلها ورفعها الى السما ثم جعل عاليها سافلها **وذهب بعضهم**
الى ان الملئكة كانوا يقاتلون وكانت علامة ضربهم اشتعال النار في موضع ضربهم حتى قال ابو جهل لعنه الله
لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه انت تقتلني انما قتلني الذي لم يصل سناني الى سنبك دابته وان اجهدت
قالوا وقد جعل الله عز وجل اولئك الملئكة مجاهدين الى يوم القيمة فكل عسكر من المسلمين صبر واحتسب
كانت معهم الملئكة قوله عز وجل **ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين**
معناه ينصركم ليقتل ويستاصل جماعة من الذين كفروا ويغيظ بعضهم بذلك او يهزمهم فيرجعوا منقطعين عن
امالهم والكبت هو الوهن في القلب فيصرع المرء على وجهه لاجله يقال كبته لذلك والمكبوت الملهوف و
الخايب الذي لم ينل ما امل ولا يكون الخيبة الا بعد انقطاع الامل واليأس قد يكون قبل الامل وبعده قوله
عز وجل **ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون** وذلك انه لما شج النبي
صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسرت رباعيته وقتل سبعون رجلا من اصحابه رضي الله عنهم وهو يمسح
الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا بنبيهم هذا وهو يدعوهم الى ربهم وهم ان يلعنهم و
يلعن الذين انصرفوا مع عبد الله بن ابي بن سلول فانزل الله هذه الاية ينهاه عن اللعن وبين ان فلاحهم
ليس اليه وانه ليس اليه من الامر شيء الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين وهذا قول ابن عباس رضي
وقتادة ويقال ليس لك من الامر شيء ليس لك من النصر شيء كان هذا متصل بقوله وما النصر الا من عند الله العزيز
الحكيم فاما قوله تعالى او يتوب عليهم قال بعضهم هذا متصل بقوله عز وجل او يكبتهم وقوله
تعالى ليس لك من الامر شيء معترض بين الكلامين كما يقول القايل رايت زيدا فافهم ذلك وعمرا فيكون
قوله فافهم معترضا بين الكلامين من غير ان يمنع اتصال احدهما بالاخر وقال بعضهم معنى او يتوب
عليهم حتى يلطف لهم لطفا يتوبون عنده او يعذبهم وقد يكون او بمعنى حتى كما يقال لالزمنك او
تقضيني حقي يراد بذلك حتى تقضيني حقي وقال الضحاك ومقاتل رضي الله عنهما بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم رهطا من قراء اهل الصفة وكانوا سبعين رجلا بعثهم الى عصية ورعل وذكوان
يدعونهم الى الاسلام فعدوا اليهم فقتلوهم فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم

اربعين صباحا في صلوة الغداة فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شي الى اخر الاية قوله عز وجل ولله
ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشا ويعذب من يشا والله غفور رحيم معناه جميع ما
في السموات وما في الارض من الخلايق كلهم عبيد الله وفي ملكه يغفر لمن يشا الذنب الكبير اذا تاب و
يعذب من يشا على الذنب الصغير اذا اصر على ذلك والله غفور رحيم في قبول توبتهم وتاخير العذاب
عنهم وانما ختم الله تعالى هذه القصة بالغفران والرحمة على معنى انه وان كان على التعذيب قدير الكنه
الغالب على امره وما يريد بخلقه الرحمة والمغفرة وسئل ابي المعتمر رحمه الله فقيل له كيف يعذب الله
عباده بالاجرام مع سعة رحمته قال سعة رحمته لا تغلب حكمته اي لا تكون رحمته برقة القلب كما تكون
الرحمة من الادميين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة
واتقوا الله لعلكم تفلحون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في اهل الطايف
كانت بنو المغيرة يربون لهم فاذا حل الاجل زادوا في المال وزادوا في الاجل فنهاهم الله تعالى عن ذلك في
الاسلام ومعنى اضعافا فلا تاكلوا اضعاف ما اتيتموه لا تاخذوا الا المثل ومعنى مضاعفة لا تضعفوا الا
المال في الزيادة في الاجل واخشوا الله تعالى في الربا ولا تستحلوا لكي تنجوا من العذاب في الاخرة ثم صارت
هذه الاية عامة في جميع الناس وانما اعاد تعالى تحريم الربا بعد ما كان ذكره في سورة البقرة لتاكيد التحريم
بتصريح النهي عنه ويجوز ان يكون المراد باية الربا في سورة البقرة ربا النسية والمراد بهذه الاية في هذه
السورة ربا الفضل ثم اتصال هذه الاية بما قبلها اتصال النهي عن حال الجاهلية في الربا بالنهي عن حال الجاهلية
في الكفر قوله عز وجل واتقوا النار التي اعدت للكافرين معناه اخشوا النار في اكل
الربا التي اعدت اي خلقت للكافرين قيل لهم بالله عز وجل وتحريم الربا فان قيل اذا كانت النار معدة
للكافرين فكيف يعذب بها غير الكافرين قيل فايدة تخصيص الكافرين بالذكر انهم هم المقصودون في اعداد النار لهم
وقد يدخلها غير الكافرين على طريق التبع وهذا كما قال عز وجل في ذكر الجنة اعدت للمتقين وان كان
الاطفال والمجانين يدخلونها تبعا للمتقين وقال بعضهم معنى الاية واتقوا النار في استحلال الربا فان من
احل الربا فهو كافر ويقال معناه اتقوا الربا فانه يخاف نزع الايمان من اكله ومن الذنوب ما يخاف منه
نزع الايمان كما روي ان رجلا كان عاقا لوالديه فقيل له عند الموت قل لا اله الا الله فلم يقدر على ذلك
حتى جات امه ورضيت عنه وروي ان رجلا لقن كلمة التوحيد فكان يقول ده دوازده سيزده
قوله عز وجل واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون معناه اطيعوا الله والرسول في تحريم الربا
لكي ترحموا فلا تعذبوا قوله عز وجل وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين معناه بادروا الى ما يوجب لكم ما كلف ومن ادى جميع ما كلف ستر
ذنوبه وحط عنه العقاب وقيل سارعوا بغير الواو مغفرة من ربكم وهو التوبة فان التوبة باليقين توجب
المغفرة لان التايب يكون مودنا جميع ما كلف ومن ادى جميع ما كلف ستر ذنوبه وحط عنه العقا
وقرا سارعوا بغير الواو على سبيل الاستيناف لا على وجه العطف وانما اختلفت القراة لاختلاف المصاحف
فان في مصحف اهل المدينة واهل الشام مكتوب بغير واو وفي مصحف عثمن ومصحف اهل العراق مكتوب
بالواو فاتبع كل قوم مصحفهم واما قوله عز وجل وجنة عرضها السموات والارض فقد روي عن عبد
الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال الجنان اربع جنة عدن وهي الدرجة العليا وجنة الماوى وجنة
الفردوس وجنة النعيم ثم في كل جنة منها جنات عدد نجوم السما وقطر المطر كل جنة منها في العرض والسعة
لو الصقت السموات السبع والارضون السبع بعضهن ببعض لكانت الجنة الواحدة اعرض منها ودلت
الاية على ان طولها يزيد على السموات والارض لان طول الشي يزيد على العرض في العادة وذهب بعض المفسرين

الربا عم

الى انه ليس المراد بهذه الاية التقدير لكن المراد انها اوسع شي رايتموه حتى قال اسماعيل السدي رحمه الله لو كسرت
السموات والارض فصيرن خردلا كان بكل خردلة لله تعالى جنة عرضها السموات والارض ومعنى اعدت
للمتقين خلقت للمتقين الشرك والمعاصي فان قيل اذا كانت الجنة عرضها السموات والارض فاين النار
قيل ان الله عز وجل خلق الجنة عالية والنار سافلة والشيان اذا كان احدهما عاليا والاخر سافلا لا
يمتنعان لانهما يوجدان في مكانين متغايرين ويجوز ان تكون الجنة في السما وهي اعرض من السما فان العرش
اعظم من السما وهو فوق السموات كذلك لا يمتنع مثله في الجنة ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن
هذا السوال فقال يا سبحان الله اذا جا النهار فاين ذهب الليل ومعنى هذا الجواب والله اعلم المعارضة لاسقاط
السوال اي كما ان الله عز وجل قادر على ان يخلق ضيا فيذهب بالليل الذي هو الظلمة فكذلك هو قادر على ان يخلق
محل النار موضعا عند اتخاذ الجنة عرض السموات والارض قوله عز وجل الذين ينفقون في السرا والضرا
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين اول هذه الاية نعت للمتقين
ومعناه الذين يتصدقون في حال اليسر والعسر ويقال في سر المسلمين بعوضهم ولا يمنهم وضرايهم نوايبهم
وما ينوبهم وفي حال ايثارهم على انفسهم وان كان بهم خصاصة وذلك لان الذي يدعو الى الشح بالمال احد
امرين اما اليسر ورب المال او الخوف من قلة المال فبين الله تعالى ان المتقين ينفقون على الدوام لا يمنعهم قلة المال
ولا كثرته عن الانفاق واما قوله عز وجل والكاظمين الغيظ فمعناه الذين يكفون غيظهم برده في
الى اجوافهم يقال كظم البعير على جرته اذا ردها في حلقه فلم يجتر ويجوز ان يكون معنى الكظم الحبس
والشد يقال كظمت القربة اذا ملاتها ثم شددت راسها على الامتلا والغيظ هو انتقاض الطبع بما يكرهه
هكذا روي عن قتادة رضي الله عنه ولهذا لا يجوز الغيظ على الله تعالى وان كان يجوز عليه الغضب لان الغضب
هو ارادة العقاب واما قوله عز وجل والعافين عن الناس فمعناه الذين يعفون عن المذنبين من الاحرار
والمملوكين وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كظم على غيظ وهو يقدر على ان ينفذه
فلم ينفذه زوجه الله تعالى من الحور العين حيث شا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما عفى
رجل عن مظلمة قط الا زاده الله تعالى بها عزا ولا نقصت صدقة من مال قط فتصدقوا ولا فتح رجل على نفسه
باب مسالة الا فتح الله عليه باب فقر وان اكرم الناس من اعطى من لا يرجوه واوصل الناس من وصل من قطعه
واعظم الناس عفوا من عفى عن قدرة واما قوله عز وجل والله يحب المحسنين فمعناه يثني على المحسنين
الى الناس ويرضى عملهم وقد روي عن عيسى عليه السلام انه قال ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك
ذلك مكافاة وانما الاحسان ان تحسن الى من اسا اليك وبالله التوفيق قوله عز وجل والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم
يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون متصل بقوله عز وجل والعافين عن الناس وقوله عز وجل والله يحب
المحسنين عارض دخل بين كلامين ويقال قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة كلام مبتدا جوابه اولئك
جزاوهم وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في تفسير هذه الاية وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخى بين رجلين مسلمين انصاري وثقفي فخرج الثقفي بالقرعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
الانصاري يتعهد اهل الثقفي فيقوم على الباب فيسالهم عن حاجتهم فان كانت لهم حاجة عملها والا
انصرف فاقبل يوما فابصر امراة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقع حبها في نفسه فدخل عليها
ولم يستاذن حتى انتهى اليها فوضع كفه على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى وادبر وقالت لا اجد
لتوبتي من معصيتي الا ان اسيح في الجبال اتوب واتعبد وخرج يسيح في الجبال فلما رجع المسلمون من غزوتهم
لم ير الثقفي اخاه فاخبرته امراته بفعله فخرج الثقفي في طلبه يسال عنه في الرعاة والجبال والغيا

حتى دُلّ عليه فوافقه ساجدًا وهو يقول رب ذنبي ذنبي فقال يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعلّ الله عز وجل يجعل لك مخرجًا فاقبل معه حتى قدم المدينة فسال اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا الا توبة لك ما تعلم ان الله عز وجل يغار للغازي في سبيله ما لا يغار للسوقي الجالس في بيته فقام
على باب النبي صلى الله عليه وسلم فهتف يا رسول الله صلى الله عليه وسلم المذنب المذنب فاذن له فدخل فسال فرد
عليه الصلوة والسلام مثل ما رد اصحابه رضي الله عنهم فخرج يسيح في الجبال الا يمر على حجر ولا مدر ولا سهل ولا حارة
الا تجرد بين يديه حتى اذا كان ذات يوم عند العصر نزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبته
فتلا هذه الاية ومعناها والذين اذا فعلوا كبيرة او ظلموا انفسهم بفعل الصغيرة مثل النظرة واللمس والغمز والقبلة
ذكروا مقامهم بين يدي الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعقابه ويقال معنى ذكروا الله ذكروا اسم الله
تعالى فقالوا ربنا ظلمنا انفسنا فاغفر لنا وقوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله معناه ليس احد يقدر على ان يغفر
الذنوب الا الله عز وجل وهذا اعتراض دخل بين كلامين ذكره الله عز وجل على وجه التنبيه لتشتد الرغبة في طلب
المغفرة من جهة الله عز وجل وقوله عز وجل ولم يصروا على ما فعلوا معناه ولم يقيموا على ما فعلوا من
المعصية اي ندموا عليها فان الاستغفار باللسان من غير ندامة القلب توبة الكذابين ومعنى وهم يعلمون
اي يعلمون انها معصية لله عز وجل فاما اذا لم يعلموا انها خطيئة كان اثمها موضوعًا عنهم وهذا مثل ان
يتزوج امراة اخته من الرضاعة وهو لا يعلم ذلك او اشترى جارية فوطئها ثم تستحق الجارية كان اثم ذلك
موضوعًا عنه قوله عز وجل اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ونعم اجر العاملين معناه اهل هذه الصفة ثوابهم ستر من ربهم لذنوبهم وحط العقاب
عنهم وبساتين تجري من تحت شجرها وغرفها الانهار مقيمين دائمين فيها ونعم اجر التائبين في التوبة
فوضع عنهم ما كان مكتوبًا على بني اسرائيل فانه كان اذا اذنب احدهم يرى توبته مكتوبة على بابه اجدع انفك
او اجدع اذنك فوضع ذلك عن هذه الامة والتوبة منهم بالندم والاستغفار قوله عز وجل قد خلت من
قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين معناه قد مضت من قبلكم
سنن وهي الطرائق في الخير والشر ويقال معناه قد مضت من قبلكم سنن الهلاك في المكذبين لرسلنا صلوات
الله عليهم فسافروا في الارض فانظروا كيف صار اخر المكذبين بالرسل والكتب اي لتتعظوا بالاثار التي بقيت منهم
في الارض مثل ديار قوم لوط وعاد وسبا وغيرهم وقال بعضهم اراد بالسير في الارض قراءة القران
اي اقرؤوا القران فاعتبروا واعاقبه وتفكروا الى ما صار عاقبة المكذبين فان من قرا القران فكانه سافر في
الارض قوله عز وجل هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين معناه هذا القران
بيان للناس من الضلالة وهدى من العمى ونهي للمتقين من الفواحش والبيان في اللغة كل ما يظهر به المعنى
للمتقين والهدى بيان طريق الرشد دون طريق الغي والموعظة ما يدعو الى فعل الحسنة من ترغيب او
ترهيب وتخصيص المتقين في الاية لان فائدة الهدى والبيان راجعة اليهم قوله عز وجل ولا تهنوا ولا
تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين عائد الى ما تقدم ذكره من حديث حرب احد
ومعناه لا تضعفوا عن قتال عدوكم ولا تحزنوا على ما اصابكم من القتل والهزيمة وانتم الاعلون في الحجة ويقال وانتم
الغالبون والعاقبة ان كنتم مصدقين بوعد الله عز وجل بالنصر قال بعض المفسرين هذا خطاب لاصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما خرجوا على عهده في عسكر الا ظفروا وما خرج واحد منهم بعد النبي صلى الله عليه
وسلم الا ظفر وقال بعضهم هذا خطاب لعامة المؤمنين معناه ان صفة المؤمن المخلص ان يثق بالله عز
وجل كما نصرهم يوم بدر وفي مواطن كثيرة ويقال ان قوله عز وجل ان كنتم مؤمنين متصل بقوله عز وجل ولا
تحزنوا وقوله وانتم الاعلون اعتراض بين الكلامين بوعد مؤكد قوله عز وجل ان يمسسكم قرح فقد مس

[illegible]

القوم

القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين
ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان يمسسكم قرح من حرب احد فقد مس القوم اهل مكة قرح مثله وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا قتلوا يوم بدر من المشركين سبعين واسروا سبعين وقتل يوم احد من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم سبعون وجرح سبعون ويجوز ان يكون المراد بالمثل في الاية المماثلة في اصل المس لا في صفات
الفعل واما القراءة في القرح بنصب القاف وضمها فهما لغتان ومعناهما واحد وهو الجراحة والمها يقال قرح الرجل
اذا جرح وقال بعض اهل اللغة القرح بالنصب عين الجراحة وبالضم المها واما قوله عز وجل وتلك الايام نداولها
بين الناس فمعناه تلك الايام نصرفها بين الناس فنجعلها تارة لفريق وتارة عليهم والدولة هي الكرة لفريق بنيل المراد
ومن ذلك يقال الايام دول ثم بين الله عز وجل المعنى الذي لاجله يداول الايام بين المؤمنين والكفار فقال عز من
قائل وليعلم الله الذين امنوا ومعناه وليرى من يقيم على الايمان ممن لا يقيم فيظهر المؤمن المخلص والذي في قلبه مرض
وقال الزجاج معناه ليعلم الله تعالى علم مشاهدة بعد ما كان علمه علم غيب لان العلم الذي علمه الله عز
وجل قبل وقوع الشيء لا يجب به المجازاة ما لم يقع واذا وقع هذا العلم كان التغيير حاصلا في المعلوم لا في العلم كما
في العالم كما ان احدنا يعلم الغد قبل مجيئه ثم اذا جاء فانما يعلمه اليوم ثم اذا انقضى فانما يعلمه امس ويكون التغيير حاصلا
والمعلوم لا في العلم واما الواو في قوله تعالى وليعلم فلانه عطف على خبر محذوف تقديره وتلك الايام نداولها
بين الناس لضروب من التدبير وليعلم الله تعالى المؤمنين متميزين من المنافقين واما قوله عز وجل ويتخذ منكم
شهداء فمعناه ولكي يتخذ منكم شهداء يكرمهم بالشهادة قال بعضهم معناه ويجعلكم شهداء على الناس على
معاصيهم لاجلالكم وتعظيمكم ثم قال عز من قائل والله لا يحب الظالمين اي لا يفعل الله تعالى ذلك لحب الظالمين فانه
لا يحب الظالمين وفي بيان ان الله عز وجل لا ينصر الكفار على المسلمين اذ النصرة تدل على المحبة والله عز وجل لا يحب
الكفار ولكن قد ينصر المسلمين في بعض الاوقات على الكفار وفي بعض الاوقات يكل المسلمين الى حولهم وقوتهم
لذنب كان حصل منهم وانما جعل الله تعالى الدنيا متقلبة لكيلا يطمئن مسلم اليها لتقلبها ولكي يبتغي الاخرة التي يكون
نعيمها الى الابد قوله عز وجل وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين معطوف على قوله تعالى ويتخذ منكم
شهداء معناه وليمحص الله المؤمنين من الذنوب يقال محصت الشيء امحصه محصا اذا خلصته من العيب ومحص
الحبل يمحص محصا اذا ذهب عنه الوبر لكثرة العمل فصار املص وحبل محص وملص وامليص بمعنى واحد
ومعنى ويمحق الكافرين اي يهلكهم لانهم يجترؤون فيخرجون للحرب مرة اخرى فيستاصلهم وهذا تاويل مداولة
الايام والله اعلم قوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين معناه اظننتم معشر المؤمنين ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله عز وجل جهاد المجاهدين ولا صبر
الصابرين واقعا منكم مشاهدة وهذا استفهام بمعنى الانكار لظنهم وحسبانهم وقد يقول الرجل في معاتبة
عليه لم يعلم الله تعالى ذلك مني يريد اني لم افعله وقول الرجل لما يفعل معناه لم يفعل انضم اليه حرف ما واما في جواب
المستقبل فيقال لن يفعل ولا يفعل وقرا الحسن رضي الله عنه ويعلمِ الصابرين بالكسر عطفا على قوله عز وجل
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم واما قراءة النصب فهي نصب على الصرف صرف اخر الكلام عن اوله على تقدير
وان يعلم الصابرين وهذا قول الكوفيين واما البصريون فيسمونه نصبا على الجمع وهذا كما قال الشاعر
لا تنه عن خلق وتاتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم * اي لا يكن منك النهي عن خلق مع اتيانك
مثله ويقال لا تاكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكن منك الجمع بينهما قوله عز وجل ولقد كنتم تمنون
الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون قال عبد الله بن عباس وذلك انه لما اخبرهم الله عز وجل
على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما فعل بالشهداء انهم يوم بدر من الكرامة والثواب في الجنة رغبوا في ذلك
وقالوا اللهم ارنا قتالا لعلنا نستشهد به فنلحق باخواننا في الجنة فاراهم الله عز وجل ذلك يوم احد فلم يثبتوا

مع نبيهم صلى الله عليه وسلم وانهزموا الا من شا الله تعالى منهم ممن شجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل
بعضهم وجرح بعضهم فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها ولقد كنتم تمنون الموت بعد وقعة بدر
من قبل ان تنظروا اليه يوم احد فقد رايتموه يومئذ وانتم تنظرون الى السيوف فيها الموت وهذا تعيير
لهم بفشلهم عند الحرب مع صدق رغبتهم في الشهادة وذكر الزجاج ان معنى تمنون الموت تمنون القتال
الذي هو سبب الموت قال ومعنى وانتم تنظرون وانتم بصرا كما يقال رايت كذا وكذا وان لم يكن في عينك علة و
استدل على هذا بقوله الوترا الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم الى اخر الاية قوله عز وجل **وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا
وسيجزي الله الشاكرين** نزلت هذه الاية جوابا لعذر المعتذرين من المنهزمين يوم احد سمعنا صوتا ان
محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل ولذلك انهزمنا وذلك ان مصعب بن عمير كان يذب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما قتل ظن قاتله انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فنادى قتلت محمدا صلى الله عليه وسلم ويقال ان ابليس لعنه
الله نادى في الناس بذلك ومعنى الاية ما محمد صلى الله عليه وسلم الا رسول كمن تقدمه من الرسل صلوات الله
عليهم قتل بعضهم ومات بعضهم افان مات محمد صلى الله عليه وسلم او قتل في طاعة الله تعالى رجعتم الى دينكم الكفر وقلتم
لو كان نبيا لما قتل وفي هذا توبيخ لمن ترك القتال على الدين وبيان ان الانبيا عليهم السلام لا يبقون ابد الدهر واما
قوله عز وجل ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا معناه من يرجع الى دينه الشرك فلن ينقص من ملك الله تعالى
وسلطانه شيئا وانما يضر نفسه وسيجزي الله المومنين المجاهدين وانما سمي الارتداد انقلابا على العقبين لان الردة رجوع
الى قبح الاديان كما ان الانقلاب على العقب رجوع الى قبح ما يكون في المشي والشكل بالنفس وسمي المطيع شاكرا لان الطاعات
كلها شكر لله عز وجل على نعمه قوله عز وجل **وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين**
معناه ما كانت نفس لتموت الا باذن الله تعالى كتب الله عز وجل كتابا الى اجل لرزقه وعمره وفي هذا تحريض للمومنين
على القتال لان لا يتركوا الجهاد خشية الموت والقتل فانهم لن يعجلوا قتلكم وانما هو من اذن الله تعالى لملك الموت في
قبض الارواح عند انتهاء الاجال والاجل الوقت المعلوم وقوله عز وجل كتابا مصدر منصوب بدل
على فعل محذوف سابق ومثله من التوكيد قوله عز وجل كتاب الله عليكم بعد قوله حرمت عليكم امهاتكم و
كذلك قوله عز وجل صنع الله الذي اتقن كل شي ومعنى ومن يرد ثواب الدنيا من يرد بعمله المدحة والريا لا
نحرم حظه المقسوم له في الدنيا من غير ان يكون له حظ في الاخرة وقد فسر الله عز وجل في اية اخرى وهي قوله
عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد ويقال معنى هذه الاية من اراد بالجهاد ثواب الدنيا
لم نحرم حظه من الغنيمة واما قوله عز وجل ومن يرد ثواب الاخرة فمعناه ومن يرد بعمله ثواب الاخرة نعطه
منها مع ما يقسم لهم من الرزق في الدنيا ومعنى وسنجزي الشاكرين سنجزي المطيعين قال بعضهم نجزيهم الجنة
في الاخرة وقال بعضهم لا نحرمهم الدنيا باردافهم ثواب الاخرة كما قال عز وجل من كان يريد حرث الاخرة
نزد له في حرثه قوله عز وجل **وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل
الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين** معناه كم من نبي قاتل معه جماعات كثيرة فما فتروا وما جبنوا
منهم لما اصابهم في طاعة الله وما جبنوا عن قتال عدوهم وما خضعوا لعدوهم والله يرضى عمل الصابرين
على قتال عدوهم لدين الاسلام وفي كاين ثلث لغات كاين بتشديد الياء على وزن كعين وكاين على وزن وكاين
على وزن رايكم واصل هذه الكلمة كاف التشبيه واي للاستفهام وان للشرط وحروف الافراد تودي معاني فاذا
ركبت ادت معاني بخلاف الاول وهذا مثل لولا ولوما وهلا كلمات تقتضي التحريض عند التركيب وكانت
قبل التركيب تودي غير ذلك المعنى وفي قاتل ثلث قراات قاتل على معنى قاتل النبي صلى الله عليه وسلم ومعه

ربيون

ربيون والثاني قتل على معنى قتل النبي صلى الله عليه وسلم ويوقف عليه والثالث قتل بغير وقف عليه على معنى قتل معه
الربيون المجاهدون معه قال الحسن رضي الله عنه لم يقتل احد من الانبيا صلوات الله عليهم قط في معركة ولو
وقف على قتل لادى الى ان نبيا قتل في معركة وعلى هذا يكون معنى فما وهنوا ما وهن من بقي منهم وهذا كما يقول الرجل
قتلنا وسلبنا وهو لم يقتل وانما يريد بذلك قتل قومه **واما** ربيون فهو جمع ربية والربية الواحد عشرة
الاف ويقال هو جمع ربي وهو العالم التقي الصابر منسوب الى الرب جل وعز كما يقال الاهي واما كسر الرا فكما يقال
للمنسوب الى امس امسي بكسر الهمزة وكما يقال للمنسوب الى الدهر دهري بضم الدال والوهن انكسار الحد بخوف
الخوف ونحوه والضعف نقصان قوة البدن والاستكانة الخضوع واظهار الضعف وهي افتعال من السكون
قوله عز وجل **وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين** حكاية قول الربيين من اتباع النبيين صلوات الله عليهم المتقدمين
ومعناه ما كان قولهم عند قتالهم عدوهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الصغاير والكباير ومعنى الاسراف
في اللغة مجاوزة الحد يريد ارتكاب الذنوب العظام ومعنى وثبت اقدامنا ثبتها للقتال بتقوية قلوبنا واعنا
على القوم الكافرين بالقاء الرعب في قلوبهم اي وهلا قلتم ايها المومنون كما قال الربيون وهلا قاتلتم كما قاتلوا
ويقرا قولهم في اول هذه الاية بالرفع على تقدير انه اسم كان والخبر ما بعد الا والاكثر في الكلام ان يكون الاسم ما
بعد الا فينتصب قولهم لخبر كما في قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا وقوله ما كان حجتهم الا
ان قالوا ونحو ذلك قوله عز وجل **فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين**
معناه فاعطاهم الله النصر والغنيمة والثنا الحسن في الدنيا والجنة في الاخرة والله يحب المومنين المجاهدين
وفي الاية دلالة انه قد يجوز اجتماع الدنيا والاخرة لواحد وعن علي كرم الله وجهه انه قال من اثر دنياه اضر
باخرته ومن عمل لاخرته اضر بدنياه وقد جمعهما الله لاقوام قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين** معناه ان تطيعوا اليهود والنصارى فيما يقولون
لكم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لو كان حقا لما ظهر عليه المشركون يصرفوكم الى دين الشرك فتنصرفوا مغبونين
الى دينكم الاول قوله عز وجل **بل الله مولاكم وهو خير الناصرين** معناه بل الله وليكم وناصركم وهو
خير المانعين من الكفار لان احدا لا يقدر ان ينصر كنصره ولا ان يدفع كدفاعه وعند نصره لا يوثر فعل غيره
ومن قرا بل الله بنصب الها فعلى معنى بل اطيعوا الله عز وجل قوله عز وجل
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بشارة من الله عز وجل
باسكان الرعب في قلوب الكفرة بعد وقعة احد
بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين بشارة من الله عز وجل
باسكان الرعب في قلوب الكفرة بعد وقعة احد ومعنى الاية سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب المخافة
عقوبة لهم باشراكهم بالله شيئا لم ينزل الله به كتابا فيه عذر وحجة لهم ومصيرهم في الاخرة النار وبئس
مقام الظالمين النار في الاخرة واصل السلطان القوة وسلطان الملك قوته والتسليط على الشي التقوية
عليه وانما سميت الحجة سلطانا لقوتها على قمع الباطل وقهر المبطل واصل الكلمة في الرعب بضم العين الا
ان اكثر القرا يقرون بتسكين العين لاستثقال الضمتين وفي الاية دلالة صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم لانه اخبر بالقاء الرعب في قلوب المشركين فكان كما اخبر كما روي في الخبر ان ابا سفيان صعد جبلا
يوم احد ثم نادى اعل هبل اعل هبل فاستاذن عمر النبي صلى الله عليه وسلم في ان يجاوبه فاذن له فنادى
عمر رضي الله عنه بل الله اعلى واجل فقال ابو سفيان يوم بيوم وحنظلة بحنظلة فقال عمر لا سوا قتلانا
في الجنة وقتلاكم في النار فقال ابو سفيان نشدتك يا ابن الخطاب محمد صلى الله عليه وسلم في الاحيا فقال
عمر اي والله يسمع كلامك فقال ابو سفيان ان الموعد بيننا وبينكم ان نحارب بعد هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم

سنقذف بخ

لا سوا او لا سواه

قبل بدر الصغرى وهو موضع يسمى بدر الصغرى وكانت وقعة احد على ثلث سنين من الهجرة وبدر الصغرى على اربع سنين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم بدر الصغرى على الموعد ورعب الكفار ولم يجاسروا على الحضور ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب حتى ان العدو ليرعب مني على مسيرة شهر قوله عز وجل ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين معنى الاية والله تعالى اعلم لقد انجزكم الله تعالى وعده الذي وعده لكم بالنصر على عدوكم يوم احد ان تصبروا وتتقوا وذلك انه لما صاف رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم احد جعل عبد الله بن جبير الانصاري مع خمسين من الرماة على ما يلي قبل خيل المشركين خلف المسلمين لئلا ياتيهم المشركون من خلفهم وقال لهم اذا رايتموهم يقتلوننا او نقتلهم فلا تبرحوا من مكانكم فلما هزم الله تعالى المشركين وراى الرماة الناس من المسلمين يقعون في الغنايم ظنوا ان من اخذ شيا فهو له فتركوا ما امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبلوا على النهب الا عبد الله بن جبير وثمانية من اصحابه رضي الله عنهم فخرج خالد بن الوليد مع مايتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل ذلك الشعب وكان هو يومئذ مشركا فقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف فية المسلمين وتفرق المسلمون ورجع المشركون فحملوا حملة رجل واحد فصار المسلمون من بين قتيل وجريح ومنهزم فذلك قوله عز وجل اذ تحسونهم باذنه تستاصلونهم قتلا في اول الحرب بامره وعلمه حتى اذا فشلتم يقول جبنتم من عدوكم واختلفتم في الامر الذي امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثبات على المركز وعصيتم الرسول من بعد ما اراكم الله عز وجل من النصرة على عدوكم قال بعض المفسرين جواب اذا فشلتم ها هنا مقدر كانه قال اذا فشلتم وتنازعتم امتحنتم بما رايتم من القتل والبلا وقال بعضهم الواو في قوله عز وجل وتنازعتم زايدة كما في قوله عز وجل حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقال امرؤ القيس ، فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى ، معناه انتحى قال سيبويه متى امكن ان لا يجعل حرف من كتاب الله عز وجل ملغى فهو اولى من غيره ومعنى منكم من يريد الدنيا من الرماة من يريد الدنيا وهم الذين وقعوا في الغنايم ولم يثبتوا عند المركز وقوله عز وجل ثم صرفكم عنهم اي صرفكم الله عن المشركين بالهزيمة قيل ان المراد بالصرف في هذا الموضع رفع النصر وقيل معنى صرفكم اذن لكم في الانصراف خاف لما بقي الباقون من المسلمين وفيهم قلة لم يمكنهم الثبات للعدو فصاروا ماذونين بالانصراف غير ماثومين بالفرار حينئذ ومعنى ليبتليكم ليعاملكم معاملة المبتلين بان يجازيكم على ما يظهر من عملكم لا على ما يعلمه فيكم ويقال معناه ليبتليكم اولياونا واضاف الابتلا الى نفسه على جهة التفخيم للاوليا كما قال ان الذين يوذون الله واراد به اوليا الله عز وجل وقوله عز وجل ولقد عفا عنكم اي لم يعاقبكم عند ذلك فلم يهلككم جميعا والله ذو فضل على المومنين ذو من عليهم بالعفو والتجاوز وفي الاية دلالة ان النصر من الله عز وجل في جهاد العدو مضمن باتباع امره والاجتهاد في طاعته وعلى هذا جرت العادة اي عادة الله عز وجل في نصر المسلمين على اعدايهم ولهذا حين كان المسلمون في الصدر الاول لا يقاتلون الا للدين فرض الله عز وجل على عشرين لا يفروا من مايتين كما قال الله عز وجل وان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين وكان عدد المسلمين وسلاحهم يومئذ اقل فتحهم الله عز وجل يوم بدر اكفا المشركين وكان المشركون شاكين في السلاح فقتل المسلمون منهم ما شاوا واسروا كيف شاوا ثم لما خالط المسلمين بعد ذلك من لم يكن لهم مثل بصايرهم خفف الله تعالى عن الجميع فقال عز من قايل الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مايتين ومعلوم انه لم يرد ضعف قوى الابدان ولا عدم السلاح لان قوة ابدانهم كانت باقية وكان عددهم اكثر وسلاحهم اوفر وانما اراد به انه خالطهم من ليس له قوة البصيرة مثل للاولين فالمراد بالضعف هاهنا ضعف النية واجرى الجميع مجرى واحدا في التخفيف اذ لم يكن من المصلحة تمييز ذوي

البصاير

البصاير منهم باعيانهم واسمايهم من اهل ضعف اليقين قوله عز وجل اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون راجع الى قوله عز وجل ولقد عفا عنكم لان عفوه عنهم لا بد ان يتعلق بذنب منهم وذلك الذنب ما بينه بقوله اذ تصعدون ولا تلوون على احد ومعناه اذ تبعدون هربا في الارض بالهزيمة والاصعاد السير في مستوى الارض يقال اصعد فلان من مكة الى موضع كذا وقرا الحسن رضي الله عنه اذ تصعدون بفتح التاء والعين والصعود هو الارتقا الى المكان المرتفع قال وقد كانوا يصعدون الجبل منهزمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلتفت اليه منهم احد حتى اتوا اعلا الجبل ولا انسان في بين الغراير لانه كان يوميذ في المنهزمين صاعد ومصعد ويحتمل انهم ذهبوا في بطن الوادي اولا ثم صعدوا الجبل ولا تلوون على احد لا تعرجون ولا تقيمون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم اي من خلفكم وذلك انه لما انهزم المسلمون لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوميذ الا ثلثة عشر نفسا خمسة من المهاجرين ابو بكر وعلي وعبد الرحمن ابن عوف وطلحة بن عبيد الله وسعد وثمانية من الانصار ومعنى فاثابكم غما بغم جازاكم غما متصلا بغم فاحد الغمين الهزيمة وقيل احدهما والثاني اشراف خالد بن الوليد عليهم في خيل المشركين من فم الشعب فدعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ان هذه العصابة هم الذين يعبدونك في هذه البلاد والهمزان يقتلوا لا تعبد اللهم اصرفهم عنا فصرفهم الله عز وجل وقال بعضهم الغم الاول هو القتل والجراح والثاني انهم سمعوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قتل فانسا هم الغم الاول وقوله عز وجل لكيلا تحزنوا على ما فاتكم اي اذا اتاكم غم النبي صلى الله عليه وسلم نسيتم له كل غم من فوت الغنيمة ووجود الهزيمة وقيل معناه ان من تراحم الغموم عليه واعتاد ذلك يقل حزنه وتاسفه على ما يفوته من الدنيا وقال الزجاج معنى اثابكم غما بغم جازاكم بما غممتم به النبي صلى الله عليه وسلم بمفارقة المكان الذي امركم بحفظه ويقال ان قوله تعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم متصل بقوله عز وجل ولقد عفا عنكم ومعنى والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم من اعمام المسلمين وشماتة المنافقين قوله عز وجل ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طايفة منكم وطايفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور وذلك انه لما افترق الفريقان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه في اثرهم وقال انظر فان هم اجتنبوا الخيل وركبوا الابل فهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة فخرج علي رضي الله عنه في اثرهم فاذا هم ركبوا الابل وقادوا الخيل فقالوا قد اجتمعنا للتحارب ثانيا فرجع علي كرم الله وجهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره عن حالهم وعما قالوا فقال صلى الله عليه وسلم كذبوا فانهم عازمون الانصراف الى مكة فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وامن المسلمون والقى الله عز وجل عليهم النوم فما بقي منهم احد الا ضرب ذقنه صدره الا معتب ابن قشير واصحابه الذين كانوا يشكون في امر محمد صلى الله عليه وسلم لما علم الله عز وجل من باطنهم خلاف ما علمه من المومنين منعهم ما اعطى المومنين فترددوا في انفسهم وساء الظن بهم يئسوا من نصره وشكوا في سابق وعده وصادق عهده ومعنى الاية ثم انزل عليكم من الغم الذي كنتم فيه امنا وقوله نعاسا بدل من الامنة اي امنكم امنا تنامون معه لان الخايف لا ينام ومن هذا قال ابن مسعود رضي الله عنه النعاس في الصلوة من الشيطان وفي القتال من الرحمن وقوله عز وجل يغشى طايفة منكم من قرا يغشى بالياء كان نعتا للنعاس ومن قرا بالتاء كان نعتا للامنة وهذا كما قوله عز وجل الم يك نطفة من مني يمنى من قرا يمنى بالياء والتاء والمراد بالطايفة التي يغشيهم النعاس في هذه الاية اهل الصدق واليقين وقوله تعالى وطايفة قد

اهمتهم انفسهم رفع بالابتدا وهذه الطائفة هم المنافقون معتب بن قشير واصحابه احزنتهم انفسهم
يقال لكل من خاف وحزن في غير موضع الحزن والخوف اهمته نفسه ومعنى يظنون بالله غير الحق يظنون ان لا ينصر
الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم كظنهم في الجاهلية ويقال كظن الجهال وهم المشركون
واما قوله عز وجل يقولون هل لنا من الامر من شيء ففيه وجهان احدهما هل نطمع ان يكون لنا شيء من الظفر والدولة
والثاني لو كان الامر الينا ما خرجنا ولكنا اخرجنا الى القتال مكرهين فقال لهم يا محمد ان النصر والظفر والدولة كل ذلك
لله عز وجل من نصب قوله تعالى كله جعله توكيدا للامر ومن رفعه جعله اسما مستانفا خبره لله وقوله تعالى يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك اي المنافقون يسرون ويضمرون في قلوبهم ما لا يظهرون لك بالسنتهم يقولون سرا
لو كان لنا من النصر والدولة شيء وكان دين محمد صلى الله عليه وسلم حقا ما قتل اصحابنا ها هنا في اتباعه ويقال معناه
لو لم نخرج الى الحرب ما قتلنا واما قوله عز وجل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى
مضاجعهم معناه قل للمنافقين لو تخلفتم انتم في بيوتكم لخرج الذين كتب عليهم القتل الى المكان المنكشف من
مصارعهم ومواضع قتلهم لا محالة لنفوذ قضاء الله عز وجل ويقال معناه لو كنتم في بيوتكم لما اخطاكم ما كتب
عليكم ويقال معنى الاية لو كنتم ايها المنافقون في بيوتكم لبرز الذين فرض عليهم القتال وهم المؤمنون المخلصون
الى موضع القتال صابرين محتسبين واما قوله عز وجل وليبتلي الله ما في صدوركم فهو معطوف على قوله عز وجل
ليبتليكم ومعناه وليختبر ويظهر ما في قلوبكم باعمالكم لانه غيبا فيعلمه مشاهدة ومعنى وليمحص ما في قلوبكم
يبين ما في قلوبكم فيذهب النفاق من شاء منكم والله عليم بما في القلوب من الخير والشر قوله عز وجل ان الذين تولوا منكم
يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم
ان الله غفور حليم معناه والله تعالى اعلم ان الذين انهزموا منكم معشر المؤمنين يوم التقى جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وجمع ابي سفيان واصحابه انما استزلهم الشيطان عن اماكنهم ببعض ما كسبوا و
هو مفارقة المكان الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه ولقد عفا الله عنهم حين لم يستاصلهم
ويقال في معنى الاية ان هؤلاء لم يتولوا على جهة المعاندة والفرار من الزحف ولكن اذكرهم الشيطان خطايا هم
التي كانت منهم فكرهوا لقاء الله تعالى الا على حالة يرضونها ولذلك عفا الله عنهم ولهذا قيل ان الشيطان اذا لم
يقدر ان يوسوس الى الانسان في الدعاء الى المعصية وسوس اليه بان يريه شيئا طاعة ومعنى ان الله غفور حليم
يتجاوز لذنوبهم لم يعجل بالعقوبة عليهم وروي ان رجلا من الخوارج اتى عبد الله بن عمر فساله عن عثمن رضي الله عنه
اكان هو في الخمسين الذين هربوا يوم احد فقال نعم قال اشهد يوم بدر فقال لا فقال اشهد بيعة الرضوان فقال لا
فولى الرجل يهتز فرحا فلما احس ابن عمر بقصده عثمن رضي الله عنه قال له ارجع واجلس فرجع وجلس فقال له ابن
عمر اما يوم بدر فان النبي صلى الله عليه وسلم خلفه على ابنته ام كلثوم يقوم عليها فانها كانت مريضة فتوفيت
يوم هزم المسلمون الكفار فكان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون في الغزو وعثمن في تكفين ابنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودفنها والصلوة عليها فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم جعل اجره كاجرهم وسهمه كسهمهم واما
بيعة الرضوان فقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيساره على يمينه فقال هذا عن عثمان وعلمنا ان ضرب يسار
النبي صلى الله عليه وسلم على يمينه ليس باقل من ضرب يمين غيره على يمينه واما يوم احد فقد ذكر الله عز وجل العفو
عنهم بقوله عز وجل ولقد عفا عنكم فقام الرجل حزينا ناكسا راسه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير
خطاب للمؤمنين المخلصين معناه لا تكونوا كما فعل اهل الكتاب عبد الله بن ابي واصحابه قالوا لاخوانهم اذا ساروا
في الارض تجارا مسافرين فماتوا من سفرهم ذلك او كانوا في الغزو فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا في سفرهم وما قتلوا في

الغزو

الغزو واما قال اذا ضربوا وحرف اذا يستعمل في الاستقبال وانما يستعمل في الماضي حرف اذ لان الغرض من هذا اللفظ
بيان شان المنافقين هذا ابدا فيما مضى وفيما يستقبل وهو نظير قول القائل ان فلانا اذا حدث صدق اي ان
ذلك عادته ابدا والغزى جمع غاز كما يقال ضارب وضرب وراكع وركع وقد يجمع الغازي على غزاة كما يقال قاض
وقضاة ويجمع على غزاء كما يقال صايم وصوام واللام في قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم لام العاقبة
وتقديره ليصير عاقبة امرهم الى ان يجعل الله تعالى ما ظنوا حزنا يتردد في اجوافهم وقوله والله يحيي ويميت
تحذير عن التخلف عن الجهاد خشية الموت والقتل لان الاحيا والاماتة الى الله عز وجل في الحضر والسفر وحال
القتال وغير حال القتال وقوله عز وجل والله بما تعملون بصير ترغيب في الطاعة وتحذير عن المعصية قوله
عز وجل ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون معناه
لو قتلتم في طاعة الله او متم فيها لمغفرة الله عز وجل ورحمته خير لكم مما يجمعون من الاموال وانما قال ذلك وان
كان هذا معلوما لان من الناس من اثر الحطام الدنيا على الجهاد في سبيل الله لخشية القتل فبين الله عز وجل
ان ما يحصل من الثواب والمغفرة على الجهاد خير مما تؤثرون وتركنتم في الحطام الدنيا ومن قرا يجمعون بالياء فعلى الخبر
معناه خير لكم ايها المؤمنون مما يجمع المنافقون من الدنيا قوله عز وجل ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون
معناه لئن متم على فرشكم او قتلتم في الغزو فالى الله ترجعون في الاخرة اي كيف ما دارت القضية فان مصيركم الى الله عز
وجل ولان تصيروا الى الله بالقتل الذي تستحقون عليه العوض خير من ان تصيروا اليه بالموت الذي لا تستحقون
عليه العوض وهو نظير قول امير المؤمنين علي كرم الله وجهه ۞ فان تكن الابدان للموت انشئت ۞ فقتل
امرء بالسيف في الله افضل ۞ واللام في لئن لام القسم وتصلح ان تكون للابتدا والتاكيد واللام في لمغفرة جواب
القسم ويصلح ان تكون مؤكدا لجواب الشرط ويقرا متم بكسر الميم وضمها فمن كسرها فهو من مات يموت ومات يمات قوله
عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم
واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين
فبرحمة عظيمة من الله تعالى لنت لهم حتى صار لينك لهم سببا لدخولهم في الدين لان النبي صلى الله عليه وسلم
اتاهم بالحجج والبراهين مع لين وخلق عظيم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده فاذا
اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولكن شرقوا او غربوا وفي الاية منة على المؤمنين اذ
فهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما بهم واما حرف ما في قوله عز وجل فبما رحمة من الله صلة وتوكيد
عند اكثر اهل النحو لا يمنع الباء من عملها وقال بعضهم معناه فبشيء رحمة من الله تعالى وكذا قالوا في فبما نقضهم
ميثاقهم فبشيء نقضهم قال الزجاج لو قرى فبما رحمة من الله برفع رحمة على معنى فبما هو رحمة من الله جاز ولكن
لا يقرا بها لان القراة سنة متبعة واما قوله عز وجل ولو كنت فظا غليظ القلب فمعناه لو كنت يا محمد صلى الله
عليه وسلم خشنا في القول سيء الخلق قاسي القلب لتفرقوا من حولك فلم تر منهم احدا ولكن الله تعالى جعلك
سهلا سمحا طلقا لطيفا لينا بارا رحيما والفظاظة الجفوة في القول واصل الفظ الغظظ كما يقال صب واصله
صبب ومثله في غير المضاعف من فرق يفرق ورجل فرق وفرق ويسمي ما الكرش فظا لغلظ مشربه واما قوله
عز وجل فاعف عنهم معناه تجاوز عنهم في الجريمة التي تكون بينك وبينهم وكانوا عصوا النبي صلى الله عليه
وسلم في الانهزام وترك المركز وترك الاجابة لدعوته ارجعوا فندب الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
العفو عنهم بالثنا عليه في حسن خلقه وقوله تعالى واستغفر لهم معناه واستغفر لهم الله عز وجل في الذنب
الذي يكون منهم واما قوله تعالى وشاورهم في الامر فمعناه اذا اردت ان تعمل عملا مما لم يكن عندك فيه وحي
فناظرهم واعمل بتدبيرهم ومشورتهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم مستغنيا عن مشاورتهم فانه كان
صلى الله عليه وسلم اسدهم رايا لكن الله عز وجل انما امره بالمشاورة لتقتدي به الامة وليكون فيه تطييب

رجل صَبٌّ عاشقٌ مشتاق وقد صببت يا رجل بالكسر تصبّ والله اعلم

لنفوس المومنين ورفع لاقدارهم وثنا عليهم في حسن رايهم ويقال ان في المشورة رد الملامة لانه يقول فعلت
بمشورتكم وعن سهل بن سعد الساعدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما شقي عبد قط بمشورة
وما سعد باستغنا برايه ومعنى المشورة في اللغة اظهار الراي يقال شرت الدابة اشورها اذا امتحنتها
وعرفت هيئتها في السير ويقال شرت العسل واشرته اذا اخذته من موضع النحل ويقال فلان حسن الصورة والشورة
اي حسن الهيئة واللباس والشوار متاع البيت واما قوله عز وجل فاذا عزمت معناه اذا عزمت على شي فثق
بالله وفوض اليه ولا تتكل على المشورة وفي هذا دليل ان الله عز وجل انما امر بالمشورة فيما لم يكن عنده وحي لان
العزيمة فيما فيه الوحي لابد ان تكون سابقة على المشورة وذهب بعض الناس الى ان الله عز وجل انما امر نبيه صلى
الله عليه وسلم بمشورتهم في امور الدنيا خاصة وهذا بعيد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقتصر من دنياه على
القوت والكفاف الذي لا فضل فيه وانما كان يشاور اصحابه في امر الحروب التي تشترك فيها الاراء كما روي انه نزل
في غزاة بدر موضعا فقال له الحباب بن المنذر ان كان نزولك ها هنا بوحي الله فسمعا وطاعة وان كان رايا
فالراي مشترك فقال صلى الله عليه وسلم لا بل راي فقال ان بالقرب من ها هنا موضع كبس فالانتقال من ها هنا
احسن فانتقلوا ونزلوا مكانا اخر وجعلوا حوض الما وراء ظهورهم وكذلك شاور النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه في
اسارى بدر وسنذكر تلك القصة في موضعها ان شا الله تعالى واما قوله تعالى ان الله يحب المتوكلين تحريض المسلمين
على التوكل قوله عز وجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله
فليتوكل المومنون معناه ان ينصركم الله تعالى من عدوكم فلا غالب لكم من العدو مثل يوم بدر وان يخذلكم
بان يكلكم الى انفسكم ويرفع نصره عنكم كيوم احد فمن ذا الذي ينصركم من عدوكم من بعد خذلانه اياكم وبالله فليتوكل
المومنون في النصر قوله عز وجل وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون معناه وذلك انهم اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغنايم يوم احد
حتى وقعوا في عسكر المشركين ياخذون الغنايم فظنوا ان من اخذ شيا تركه واياه وان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقسم لهم
كما لم يقسم يوم بدر ولهذا ترك الرماة المركز ووقعوا في الغنايم وعن عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهما
انهما قالا نزلت الاية في قطيفة حمرا فقدت يوم بدر فقال بعض الناس لعل النبي صلى الله عليه وسلم اخذها فانزل الله تعالى
هذه الاية ما كان لنبي ان يخون اصحابه فيستاثر شيا من الغنيمة على وجه الغلول وتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
بالذكر بيان انه لم يكن ليقدم على الخيانة مع النبوة اذ الخيانة من النبي صلى الله عليه وسلم اعظم من خيانة
غيره فكان تخصيصه بالذكر وان كانت خيانة غيره محرمة كما قال الله عز وجل فاجتنبوا الرجس من الاوثان
وان كان الرجس من الاوثان وغير الاوثان محرما وقيل فايدة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا لم يكن له ان يخون
وهو المتبوع فكيف يكون لاحد ممن يتبعه ان يخون ومن قرا ان يغل بضم اليا فمعناه ان ينسب الى الغلول
كما يقال فسقت فلانا اي لا ينبغي لاصحابه ان يخونوه وقيل معنى يغل يوجد غالا كما يقال احمدت فلانا اي
وجدته حامدا ويقال معناه ليس من حق النبي صلى الله عليه وسلم ان يستر عنه شي من الغنايم ان كان النبي صلى الله عليه
وسلم هو القاسم للغنيمة بين الغانمين ومعنى ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة اي يخن ويات بما خان يوم القيمة
كما روي في الخبر انه يمثل له في الحادر ذلك الشي في النار ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه حتى اذا انتهى اليه
حمله على ظهره فاذا انتهى الى الباب سقط عنه الى اسفل جهنم فيرجع فياخذه ولا يزال كذلك دابه الى ما شا
الله ويقال يات بما غل يوبال ما غل اي يوخذ بجزايه يوم القيمة واما قوله عز وجل ثم توفى كل نفس ما كسبت
معناه توفى كل نفس جزا ما عملت من الخير والشر وهم لا يظلمون لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سياتهم
والغلول في اللغة اخذ الشي في الخفية ومنه الغلل وهو الما الذي يجري في اصل الشجر والغل الحقد والغلالة
الثوب الذي يلبس تحت الثياب ويقال تغللت بالغالية وتغليت اذا جعلتها في اصول الشعر وعن عبادة بن

الصامت انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنب بعير من المغنم ثم تناول سنام البعير فاخذ وبرة
منه فقال ايها الناس ان هذه من غنايمكم فادوا الخيط والمخيط وما دون ذلك وما فوق ذلك فان الغلول عار
على اهله ونار وشنار يوم القيمة وفي بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ وبرة فقال لا يحل لي من
غنايمكم مثل هذه الا الخمس والخمس مردود فيكم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل بوادي
القرى لمن الغنيمة فقال لله خمسها واربعة اخماسها للجيش فقيل وهل احد احق بها من احد فقال صلى
الله عليه وسلم لا ولا السهم تستخرجه من جنبك لست احق به من اخيك المسلم وفي التغليظ في الغلول
اخبار كثيرة وردت في غير الطعام والعلف فاما في الطعام والعلف فقد وردت في اباحة ذلك من الغنيمة
اخبار مستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم روي عن عبد الله بن
والتابعين
ابي اوفى انه قال اصبنا طعاما يوم خيبر فكان الرجل ياخذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف وعن عبد الله
بن المغفل انه قال وجدت جرابا من شحم يوم خيبر فالتزمته وقلت لا اعطي احدا منه شيا اليوم ثم التفت
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم قوله عز وجل افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله
وماواه جهنم وبيس المصير استفهام بمعنى تقدير حال الفريقين يقول ليس من اتبع رضوان الله واخذ الحلال
من الغنيمة كمن استوجب سخط الله باخذ الغلول والحرام ويقال معنى باء بسخط من الله اي رجع بسخط الله تعالى
في نفسه وحمل نفسه مباءة السخط وقيل في معنى الاية افمن اتبع رضوان الله بالجهاد في سبيل الله كمن باء بسخط منه
بالفرار من الجهاد وقوله عز وجل وماواه جهنم وبيس المصير راجع الى من باء بسخط الله عز وجل اي بيس النار المصير
صاروا اليه ولفظ بيس يستعمل في الشدة كما يستعمل في النعم قوله عز وجل هم درجات عند الله والله بصير
بما يعملون معناه ان الذين يتبعون رضوان الله تعالى ذوو درجات رفيعة والاخرون ذوو دركات
خسيسة فان لاحد الفريقين درجات في الجنة وللاخر دركات في النار كما روي في الخبر ان اهل الجنة ليرون
اهل عليين كما يتراءون الكوكب الدري في افق السما وان ابا بكر وعمر منهم وانعما معناه زاد وقد قال تعالى ان
المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولا يكون الاسفل الا لما له اعلا واوسط وذهب بعض المفسرين الى ان
هذه الاية خاصة في المومنين اي هم طبقات بعضهم ارفع من بعض في الجنة وهذا كما يقال بنو تميم كذا وكذا
بيتا اي هم اهل كذا وكذا من البيوت ومعنى والله بصير بما يعملون اي عالم بمن يغل ومن لا يغل قوله عز وجل لقد
من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين معناه لقد انعم الله عز وجل على المومنين اذ بعث فيهم
رسولا وهو النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى من العرب معروف النسب عرفوه بالصدق والامانة وكان يسمى
الامين قبل الوحي ويقال بعثه الله عز وجل من جنس بني ادم ولم يبعث من الملايكة لان الرسول اذا كان من جنسهم كان
تعلمهم منه اسهل عليهم وقرئ في الشواذ من انفسهم بنصب الفا يعني من اشرف الناس لان العرب افضل من غيرهم
وقريش افضل العرب وبنو هاشم افضل قريش فجعل الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وقوله تعالى
يتلوا عليهم اياته يقرا عليهم القران بما فيه من اقاصيص الامم السالفة وهو امي لم يقرا الكتب ويزكيهم
يطهرهم من الشرك والذنوب وياخذ منهم الزكوة التي تطهرهم بها يقال للعامل الصدقات مصدق لانه ياخذ
الصدقة ويقال معنى يزكيهم يشهد لهم بالزكاة ومعنى ويعلمهم الكتاب والحكمة يعلمهم القران والفقه وان
كانوا من قبل ان ياتيهم محمد صلى الله عليه وسلم لفي ضلال عن الهدى وخطا بين وهذا كما لرجل يقول لولا انه لقد
علمك وادبك وان كنت من قبل لفي غاية من الجهل قوله عز وجل اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها
قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شي قدير قيل ان الواو في اول هذه
الاية واو النسق دخلت عليها الف الاستفهام فبقيت مفتوحة على هيئتها وهذا كما يقول القايل فلان يقول كذا

نجاب وهو ممن يقول ذلك ومعنى الآية أَوَلَمَّا أصابتكم مصيبة يوم أحد قد أصبتم مثليها يوم بدر أي قتلتم يوم
بدر سبعين منهم وأسرتم سبعين وقتل منكم يوم أحد سبعون ولم يوسر منكم أحد قلتم من أين أصابنا هذا ونحن
مسلمون قل يا محمد صلى الله عليه وسلم هو من عند أنفسكم لمخالفتكم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج عن المدينة
وقد كان أمركم بالمقام فيها ليدخل عليكم الكفار فتقتلوهم في أزقتها ويقال هو من عند أنفسكم أي ما أصابكم هذا من
عند نفوسكم بمعصية الرماة تركهم ما أمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم إن الله على كل شيء من النصر وغير ذلك
قادر قوله عز وجل وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين
نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم
للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون
معناه وما أصابكم معشر المسلمين يوم أحد يوم التقى جيش المسلمين وجيش المشركين فبعلم الله عز وجل وقضائه و
إرادته وقد يسمى العلم إذنا كما قال الله عز وجل وأذان من الله ورسوله أي إعلام من الله تعالى ورسوله ويقال أراد بالإذن
التخلية بين المؤمنين والكافرين لأن الله تعالى لا يأذن في المعصية ولكن لما كان الإذن هو الإطلاق بكلام
سمي التخلية باسم الإذن وأما قوله عز وجل وليعلم المؤمنين لا يجوز حمله على ظاهره لأن ظاهره يقتضي حدوث
علم الله عز وجل لم يكن لكن العلم يذكر ويراد به المعلوم كما يقال اللهم اغفر لنا علمك فينا أي معلومك فينا فيكون
معنى قوله عز وجل وليعلم المؤمنين وليرى الله إيمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويرى المنافقين بفشلهم
وقلة صبرهم على ما نزل بهم في ذات الله عز وجل وقيل معنى وليعلم المؤمنين وليعرف أولياء الله تعالى المؤمنين
متميزين من المنافقين إلا أن الله عز وجل أضاف العلم إلى نفسه تعظيما لأوليائه وأما قوله عز وجل وقيل لهم
تعالوا قاتلوا في سبيل الله فقد روي أن عبد الله بن أبي وأصحابه لما رجعوا إلى المدينة قبل القتال قال لهم عبد الله
بن جبير تعالوا إلى أحد وقاتلوا في طاعة الله تعالى أو ادفعوا عن أنفسكم وحريمكم ويقال معنى ادفعوا كثروا سوادنا
حتى يدفع القوم بكثرتكم قال المنافقون لا يكون قتال اليوم ولو نعلم أن يكون قتال لكنا معكم يقول الله عز وجل
هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان أي كانوا قبل هذا القول عند المؤمنين أقرب إلى الإيمان بظاهر حالهم
حتى هتكوا سترهم وأظهروا ميلهم إلى الكفر فصاروا في ذلك اليوم أقرب إلى الكفر وقوله تعالى أقرب لا يقتضي أن يكون
لهم نصيب من الإيمان كما يقول الرجل لخصمه أنا أحق منك وأصدق وإن لم يرد به أن يجعل لصاحبه نصيبا في
الصدق وأما قوله عز وجل يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم كناية عن كذبهم في قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم
وذكر الأفواه على معنى التأكيد لأن الرجل يقول بالحاجب وبالإشارة ونظير هذا قوله عز وجل يكتبون الكتاب
بأيديهم وقوله عز وجل يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم والمعنى والله أعلم بما يكتمون أي الله تعالى أعلم منهم
بأنفسهم فيما يخفون من الشرك قوله عز وجل الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا
قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين معناه هم الذين قالوا لإخوانهم من المنافقين
بالمدينة وقعدوا هم بأنفسهم عن الجهاد لو أطاعنا المسلمون الذين خرجوا إلى القتال ما قتلوا في الغزو قل لهم
يا محمد صلى الله عليه وسلم فادفعوا الموت عن أنفسكم إن كنتم صادقين في مقالتكم لو لم يخرجوا إلى القتال ما قتلوا
بل كان يجوز أن يدخل عليهم العدو فيقتلوهم في قعر بيوتهم قال الفقيه أبو الليث رحمه الله سمعت بعض
المفسرين رحمهم الله يقول لما نزلت هذه الآية مات يومئذ سبعون نفسا من المنافقين قوله عز وجل
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله
من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود وجابر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله تعالى أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها

وتأوي

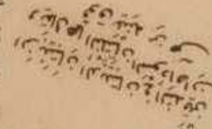
وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا طيب منقلبهم ومطعمهم ومشربهم وما أعد الله عز وجل
لهم من الكرامة قالوا يا ليت إخواننا علموا ما أعد الله تعالى لنا من الكرامة وما نحن فيه من النعيم فلم ينكلوا
عند اللقاء ولم يجبنوا في الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى هذه الآية ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله إلى آخر الآيات الثلاث قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول الله عز وجل
لهم ما تشتهون فيقولون ما نشتهي ونحن نسرح في الجنة حيث نشاء ثلثا ثم يقولون في الثالثة ربنا نحب
أن ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل فيك مرة أخرى قال وأرواح أهل الكفر في أجواف طير سود تغدو وتروح
على النار وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال إذا أقبل العبد إلى العدو في سبيل الله تعالى اطلعت
عليه زوجتاه من الحور العين فقالتا اللهم وفقه وسدده فإذا أدبر قالت اللهم اعف عنه وتجاوز عنه
فإذا أقبل باهى الله عز وجل به ملائكته فيقول انظروا إلى عبدي يبذل نفسه ودمه ابتغاء مرضاتي فتقول
الملائكة يا رب لا تذهب فتصرعه فيقول لهم خلوا عن عبدي فطالما سهر ونصب في طلب النصر ابتغاء
مرضاتي أحب لقائي وأحببت لقاءه فيقاتل حتى يقتل فتنزل إليه زوجتاه من الحور العين حتى يستريح ويبكي
إليهما وتجيئه الملائكة وتبشره بالجنة والكرامة ثم يؤخذ روحه فيجعل في جوف طير أخضر على حسبما
تقدم ذكره ومعنى الآية ولا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم الشهداء المقتولين في طاعة الله عز وجل أنهم
أموات بل هم أحياء عند ربهم يرزقون التحف معجبين بما أعطاهم الله عز وجل من رزقه ويطلبون السرور
بتقدم من لم يتقدم عليهم من إخوانهم فيقولون ليت إخواننا قتلوا كما قتلنا فنالوا من الثواب ما نلنا وقال
السدي رضي الله عنه يرفع إلى الشهيد كتاب فيه خبر من يتقدم عليه من إخوانه فيعجل السرور بذلك كما
يبشر الإنسان بقدوم غائب له فيعجل السرور به قبل قدومه ويقال معنى ويستبشرون بالذين لم يلحقوا
بهم أي يستبشرون بأن لا خوف على إخوانهم الذين يأتونهم من بعدهم من المؤمنين وأنهم لا يحزنون في الآخرة
ويقال معنى يستبشرون بأخبار الله عز وجل إخوانهم الذين لم يقتلوا بما لهم من الكرامة ويستبشرون أيضا
أن لا خوف عليهم وقد اختلف المفسرون في قوله عز وجل عند ربهم قال بعضهم معناه بحيث لا يملك ضرهم
ولا نفعهم إلا الله عز وجل ولم يرد به إثبات المسافة والمكان لأن المسافة والمكان لا يجوزان إلا على الأجسام
وقال بعضهم معناه بل أحياء في علم ربهم وليسوا بأموات كما تحسبونهم وهذا نظير قول القائل هذا
عند فلان كذا أي في علم فلان وجميع هذا الذي ذكرناه في هذه الآية دليل أن الشهداء أحياء في الحال إلا أن
معناه أنهم سيحيون ويبعثون في الآخرة ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم في الفضل من المؤمنين لأن في هذا
التأويل الأخير إبطال تخصيص الشهداء وحمل ظاهر اللفظ على المجاز دون الحقيقة وقال بعضهم معنى الآية
لا تحسبنهم أمواتا في دينهم بل أحياء في دينهم يكتب أجورهم قوله عز وجل يستبشرون بنعمة من الله
وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين معناه يستبشرون بجنة الله وما أعد الله تعالى لهم من الكرامة
ويستبشرون أن الله تعالى لا يضيع ثواب الموحدين ومن قرأ وإن الله بالكسر فهو على الابتداء وفي حرف ابن
مسعود والله لا يضيع أجر المؤمنين وهذا يؤيد قراءة الكسر وبالله التوفيق قوله عز وجل الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم يجوز أن يكون
أول هذه الآية في موضع الخفض على النعت للمؤمنين والأحسن أن يكون في موضع الرفع على الابتداء وخبره للذين
أحسنوا ومعنى الآية الذين أجابوا الله تعالى بالطاعة والرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى بدر الصغرى
من بعد ما أصابهم الجراح للذين وافوا منهم الميعاد واتقوا سخط الله تعالى ومعصيته ثواب وافر في الجنة قال
ابن عباس رضي الله عنهما وذلك أنهم تواعدوا يوم أحد أن يجتمعوا ببدر الصغرى في العام القابل فلما حضر
الأجل ندم المشركون فلقي أبو سفيان نعيم بن مسعود وكان يخرج إلى المدينة للتجارة فقال إذا أتيت المدينة

فخوّفهم كيلا يخرجوا وذلك عشر من الابل ان ردّهم فلما قدم نعيم المدينة وكان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريدون موافاة ابي سفين قال لهم بئس الراي رايتم اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد
تريدون ان تاتوهم في ديارهم وقد جمعوا لكم عند اللطيمة اما ان الرجل الواحد منهم يطيق عشرة منكم انا و
الله ما يفلت منكم الا الشريد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج اليهم وتثاقلوا فلما راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك منهم قال والذي نفسي بيده لاخرجن اليهم وان لم يخرج معي منكم احد فمضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم للميعاد ومعه نحو من سبعين رجلا حتى انتهوا الى بدر فلم يخرج اليهم ابو سفين ولم
يلقوا بها احدا من المشركين فتسوقوا من السوق حاجتهم ثم انصرفوا فذلك قول الله عز وجل الذين استجابوا لله
والرسول قوله عز وجل **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** معناه الذين قال لهم نعيم بن مسعود ان ابا سفين واصحابه
قد جمعوا لكم فاخشوهم ولا تخرجوا اليهم فزادهم هذا القول تصديقا ويقينا وجراة على القتال كما قال الله
عز وجل في اية اخرى ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الى اخر
الاية ومعنى وقالوا حسبنا الله ثقتنا بالله ويقال كافينا الله عز وجل اي هو الذي يكفينا امرهم ونعم الناصر
والحافظ وانما ذكر في الاية والله اعلم نعيم بن مسعود بلفظ الناس لان الواحد قد يذكر بلفظ الجماعة على معنى
الجنس وهذا كما يقال فلان خرج من اليمن وراى انسانا واحدا خرج فلان من اليمن وراى الناس وراه الناس
ويقول الرجل سمعت الناس يقولون كذا وان كان سمع من واحد ولهذا قالوا من حلف وقال ان كلمت الناس فعبدي
حر وكلم رجلا واحدا حنث ويجوز ان يكون قول نعيم فشا في المدينة فكان الناس يقول بعضهم لبعض ان
الناس قد جمعوا لكم قوله عز وجل **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا
رضوان الله والله ذو فضل عظيم** معناه فانصرفوا باجر من الله عز وجل وفضل وهو ما تسوقوا
به من السوق ويروى انهم اشتروا ادما وزبيبا واشياء غير ذلك بسعر رخيص فربحوا على ذلك ومعنى لم
يمسسهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراحة واتبعوا رضوان الله تعالى في الخروج الى المشركين والله ذو من عظيم بدفع
المشركين عن المومنين قوله عز وجل **انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون
ان كنتم مومنين** قال بعضهم اراد بالشيطان نعيم بن مسعود وكل عات متمرد فهو شيطان ويقال معنى الاية
ذلك التخويف من عمل الشيطان ووسوسته واما قوله يخوف اولياءه قيل ان معناه يخوف المنافقين ومن لا
حقيقة له في ايمانه فلا تخافوا المشركين في الخروج اليهم وخافوني في القعود عن الجهاد ان كنتم مصدقين بما
اعلمتكم اني انصركم والقي الرعب في قلوب الكفار وقيل معنى يخوف اولياءه اي من اوليائه لان التخويف يتعدى
الى مفعولين كما قال الله عز وجل في موضع اخر لينذر باسا شديدا اي ببأس شديد وفي قوله عز وجل فلا
تخافوهم دليل ان هذا القول الثاني هو الاصح وذهب بعض المفسرين الى ان قوله عز وجل الذين استجابوا لله الى اخر
هذه الايات الاربع نزلت في حرب احد وذلك انه لما رجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة
قال صلى الله عليه وسلم رحم الله تعالى قوما ارتدوا الى هولاء المشركين ليعلموا انا لم نستاصل فانتدب قوم ممن اصابتهم
الجراح في ذلك اليوم فشدوا على المشركين حتى كشفوهم عن القتلى بعد ان مثلوا بحمزة وقد كانوا هموا بالمثلة بقتلى المسلمين
فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب فانهزموا فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على القتلى المسلمين ودفنهم ثم انهم خافوا
اناس من العرب وقدموا وابا سفين ومن معه بموضع يسمى حمراء الاسد فقالوا للمسلمين تركناهم متاهبين للرجوع
الى المدينة لقتالكم فعند ذلك قال المسلمون حسبنا الله ونعم الوكيل فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه
بالمسير اليهم فلما صاروا الى حمراء الاسد وهي على راس ثمانية اميال من المدينة لم يروا المشركين هناك فانصرف المسلمون
الى المدينة بنعمة من الله عز وجل وهي كفاية الله عز وجل لهم شرهم ولم يلحقهم منهم شر ولا ضر قالوا وسمى

الله تعالى هذه الكفاية فضلا لئلا يعتقدوا في هذه النعمة انها مستحقة لا محالة وفي قوله عز وجل ذو فضل عظيم
بيان انه عز وجل يتفضل عليهم من بعد بنعيم الدنيا والاخرة وبالله التوفيق قوله عز وجل **ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم**
معنى الاية والله تعالى اعلم ولا يحزنك يا محمد صلى الله عليه وسلم الذين يبادرون الى الجحد والتكذيب وهم اليهود كانوا
يكتمون صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وكان يشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم ويقال هم مشركوا قريش كانوا
يكذبونه وكان الناس يقولون لو كان حقا لاتبعه اقرباؤه وكان يشق ذلك عليه ويقال نزلت هذه الاية في قوم
ارتدوا عن الاسلام فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يامن ان يضروه بردتهم فامنه تعالى من ذلك بقوله انهم لن يضروا
الله شيئا اي لم ينقصوا شيئا من ملك الله تعالى وسلطانه يريد الله الا يجعل لهم حظا نصيبا من الجنة في الاخرة
وقال محمد بن اسحق يريد الله ان لا يجعل يريد احباط ثواب اعمالهم بما استحقوه من جرائمهم **وقال** الحسن رضي الله
عنه معناه يريد فيما حكم من عدله وحكمه ان من اختار الكفر على الايمان فلا حظ له في الاخرة وقوله تعالى ولهم
عذاب عظيم ظاهر المراد قوله عز وجل **ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم
عذاب اليم** معناه ان الذين اختاروا الكفر على الايمان لم ينقصوا من ملك الله عز وجل وانما اضروا بانفسهم حيث
استوجبوا لانفسهم العذاب وهو عذاب وجيع في الاخرة **فان قيل** كيف اعاد قوله عز وجل لن يضروا الله شيئا
وما الفائدة فيه **قيل** ان المراد به في الاية الاولى تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به في الاية الثانية بيان
ان مضرة كفرهم لاحقة بهم قوله عز وجل **ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما
نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين** من قرا ولا تحسبن بالتاء فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
لا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى والمنافقين ان املاءنا لهم خير لهم من ان يموتوا كما مات
شهداء احد ويقال معناه ولا تحسبن املاءنا لهم لخير وتوبة تقع منهم انما املاؤنا لهم ان تكون عاقبة امرهم
ان يزدادوا بذلك معصية على معصية ولهم عذاب مهين يهانون فيه ويقال ان المراد بالذين كفروا مشركوا قريش
كان الله تعالى قال ولا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم ان ما اصابوا من الظفر يوم احد خير لانفسهم وانما كان ذلك
ليزدادوا معصية فيزداد في عقوبتهم ويجوز وقوع فعل الحسبان على الاسم ويراد به ما بعده لان الحسبان
يتعدى الى مفعولين كقولك حسبت زيدا منطلقا فيكون تقدير الاية لا تحسبن املاءنا للذين كفروا ان ذلك خير لهم
وهذا كما قال الشاعر فما كان قيس هلكه هلك واحد ۞ ولكنه بنيان قوم تهدما ۞ معناه ما
كان هلاك قيس هلاك واحد ومن قرا انما نملي لهم بالكسر في الموضعين فلان الحسبان ليس بفعل حقيقي فيبطل عمله
مع ان كما يبطل عمله مع اللام تقول حسبت لعبد الله منطلق ويجوز ان يكون ما في قوله عز وجل انما نملي لهم
خير عمادا وصلة وتقديره ذلك ولا تحسبن ان املاءنا خير لهم ومنهم من جعل ما في هذا الموضع اسما يكتبها على
الانفصال اي لا تحسبن ان الذي نملي لهم خير لهم والاملاء في اللغة اطالة المدة والملاوة الحين من الدهر والملوان
الليل والنهار ونظير اللام من قوله عز وجل ليزدادوا اثما قوله عز وجل فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
وقد يقول الرجل للاخر ما زادك وعظي الا شرا وما كان وعظي اياك الا عليك اذا كان لا يقبل موعظته ومن قرا لا
يحسبن بالياء فمعناه لا يظنن الكفار ان املاءنا خير لهم قوله عز وجل **ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم
عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء فامنوا بالله ورسله وان تومنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم** قال عبد الله بن عباس وذلك ان قريشا
من اهل مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تزعم فيمن خالفك انه من اهل النار واذا ترك دينا واتبع
دينك فهو من اهل الجنة فاخبرنا عن هذا من اين هو واخبرنا من ياتيك ومن لا ياتيك فانزل الله تعالى
هذه الاية ومعناها لم يكن الله ليترك من كان في علمه السابق انه يومن على ما انتم عليه من الكفر حتى يميز الكافر

هذه وقعة العاقبة

والمنافق من المؤمن المخلص وما كان الله ليطلعكم ويوقفكم يا اهل مكة على من يصير منكم مؤمنا قبل ان يؤمن ولكن الله
يصطفي من يشاء للنبوة والرسالة فيوحي اليه ما يشاء لان الغيب لا يطلع عليه الا الرسل صلوات الله عليهم يوحى من الله
عز وجل ليقيموا البرهان على ان ما اتوا به من عند الله تعالى وهذا كما قال الله عز وجل في آية اخرى عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ومعنى فآمنوا بالله ورسله صدقوا بالله ورسله وقوله عز وجل وان تؤمنوا
وتتقوا اي تصدقوا وتتقوا الشرك والمعصية فلكم ثواب عظيم في الجنة ومن قرا يميز بالتخفيف وفتح اليا فهو
من الميز وهو الفرق ويسمى العاقل مميزا لانه يفرق بين الحق والباطل واصل الاجتبا الجمع كان الله عز وجل
يخلص رسله صلى الله عليه وسلم لنفسه حتى يكون له بجمعه وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الآية نزلت في
المنافقين والخاصة بانهم اعلنوا الاسلام واسروا الكفر وصلوا مع المؤمنين فسال المخلصون من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يميز الله تعالى بين الفريقين ويطلعهم على سرائر المنافقين فانزل الله عز وجل
هذه الآية ومعناها ان الله تعالى لا يترك المؤمنين على ما انتم عليه ايها المؤمنون بظاهر الحال حتى يظهر نفاق
المنافقين بالدلائل التي تظهر منهم من تخلفهم عن الجهاد وتثبيطهم المخلصين عنه وما كان الله ليجعل لكم علامة
تعرفون بها حقيقة ما في قلوب المنافقين ولكن الله يصطفي من رسله من يشاء فيطلعه على الغيب قوله عز وجل
ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما
بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير من قرا
ولا تحسبن بالتا معناه لا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم بخل الذين يبخلون بما اعطاهم الله تعالى من فضله من المال
فيمنعون به الناس حق الله تعالى في الزكوة والجهاد وساير وجوه البر الذي اوجبه الله تعالى عليهم لا تظنن ذلك
خيرا لهم وانما حذف ذكر البخل في اول الآية لان المضاف اليه قد يذكر ويراد به المضاف كما في قوله عز وجل
واسال القرية ولان الفعل المذكور بقوله عز وجل يبخلون يدل على البخل وهو كقول القايل اذا نهي السفيه جرى اليه
وخالف والسفيه الى خلاف واما هو في قوله عز وجل هو خيرا لهم للفصل ويسميه الكوفيون العماد ومعنى
بل هو شر لهم بخلهم شر لهم وقوله عز وجل سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة اي سياتون يوم
القيمة بما بخلوا به من الزكوة ونفقة الجهاد كهيئة الطوق في اعناقهم وهذا كما قال الله عز وجل في آية اخرى
يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وعن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما موقوفا عليه ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ياتي كنز احدكم شجاعا اقرع له
زبيبتان فيتطوق في عنقه فيلدغ بجلدته ويقول انا الزكوة التي بخلت بي في الدنيا ومن قرا ولا يحسبن
بالياء فالفعل للباخلين كانه قال ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم وذهب بعضهم الى ان المراد بهذه
الآية اليهود بخلوا ببيان صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والبخل الناس من بخل بعلمه ومعنى سيطوقون
على هذا القول سيطوقون وزره ومأثمه كقوله عز وجل يحملون اوزارهم على ظهورهم والاظهر ان هذه الآية
في بخل المال والبخل في اللغة منع الحق الواجب لذلك يعد ذما فيما بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم واي دا
ادوى من البخل وانما منع الفضل فلا يكون بخلا ولو جعل ذلك بخلا لكان صاحب المال العظيم لا يتخلص من البخل
الا باخراج ماله كله من ملكه واما قوله عز وجل ولله ميراث السموات والارض فهو تحريض على الانفاق ومعناه
يموت اهل السموات واهل الارض كلهم من الملئكة والجن والانس ولا يبقى الا الله عز وجل واذا كانت الاموال لا تبقى
للناس ولا يحملونها معهم الى قبورهم فالاجدر بهم ان ينفقوها في الوجوه التي امرهم بها الله عز وجل فيستوجبون
بها الحمد والثواب وانما سمى الله تعالى هذا ميراثا والاملاك في الحقيقة كانت لله عز وجل قبل الخلق لانه خاطب
الخلق على قدر عقولهم وهم يسمون ما يخلص للحي من الميت ميراثا فلذلك ذكر بلفظ الميراث والله تعالى اعلم وقوله
تعالى والله بما تعملون خبير اي عالم بمن يؤدي الزكوة وبمن يمنعها وفي هذا تاكيد للوعد والوعيد لانه اذا علم جازى



المحسن

المحسن على احسانه والمسيء على اساءته قوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله
فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء نزلت هذه الآية في فنحاص بن عازورا اليهودي واصحابه
بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق نزلت هذه الآية في فنحاص بن عازورا اليهودي واصحابه قالوا
حين نزل قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ان اله محمد صلى الله عليه وسلم يستقرضنا فانا
هو فقير ونحن اغنياء وانما قالوا ذلك تلبيسا على سفلتهم وطعنا في النبوة على انه لو كان عز وجل هو الذي بعث
محمدا صلى الله عليه وسلم وهو القادر على كل شيء لم يكن ليستقرض وكانوا يعلمون في انفسهم ان لفظ الاقراض تلطف
في الاستدعا الى الانفاق وانما سمى الله عز وجل الصدقة قرضا من حيث ان المقرض يرد عليه ماله ويبقى له
الشكر وكذلك الله عز وجل يرد على المتصدق ضعف صدقته ويبقى له الثواب ومعنى سنكتب ما قالوا
ستكتب الكرام الكاتبون عليهم بامرنا ونجزيهم ذلك وقتلهم الانبيا بغير جرم منهم ويقال معنى سنكتب نحفظ
واجرى على الحفظ اسم الكتابة لان الكتابة انما يكون للحفظ ويقرا ستكتب على فعل ما لم يسم فاعله وقتلهم الانبيا
بضم اللام ويقول بالياء وفي هذا زجر لليهود عن المعصية فانهم اذا علموا ان ما يعملونه مكتوب في المصاحف
وانهم يقرؤونه في الآخرة على رؤوس الاشهاد كانوا ابعد من المعاصي في الدنيا لو تفكروا ومعنى ونقول ذوقوا
عذاب الحريق يقول لهم يوم القيمة ذوقوا العذاب المحرق ويقال للذي يؤيس من العفو ذق ما انت فيه
اي لست بمتخلص منه وقيل ان النار لا تذاق ولكن لما كانت وجوه الكفار تعفر عنده وبها اطلق اسم
الذوق عليها لان الدوا اذا ذيق والحكم تثبت الكراهة والبغض في وجه ذايقه قوله عز وجل
ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد معناه ذلك العذاب بما اقدمتم
على الكفر والتكذيب وقتل الانبيا صلوات الله عليهم وانما اضاف الى اليد على وجه الصلة لان العمل اكثر ما
يكون باليد واما قوله وان الله فمعناه وبان الله لا يعذب احدا بغير ذنب ولا يمنع احدا جزاه حسب
خيرا فعله العبد او شرا وليس لاحد ان يقول اذا لم يكن الله ظالما اصلا فلم اذا نفى ان يقول ظلاما لان الفايدة
في هذا اللفظ بيان ان العذاب الذي يتوعد الله عز وجل ان يفعله بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه
على حد عظمه قوله عز وجل الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان
تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
نزلت الآية في كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود قالوا امرنا الله في التورية ان لا نصدق رسولا يزعم انه من عند
الله تعالى حتى ياتينا بقربان فتجي نار من السما لها دوي وحفيف تاكل القربان كما كان في زمن موسى وزكريا ويحيى
وغيرهم من الانبيا وقبلهم عليهم السلام فكان هذا القول كذبا منهم على الله عز وجل واعتلالا
ومدافعة في الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم لا احتجاجا صحيحا فاحتج الله عليهم بقوله عز وجل قل قد جاءكم
رسل من قبلي اي قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم قد جاءكم رسل من قبلي بالعلامات الواضحات المعجزات وبالذي
قلتم في امر القربان فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين في مقالتكم وكانوا قتلوا زكريا ويحيى وجماعة من الانبيا صلوات
الله عليهم وزعموا انهم قتلوا عيسى عليه السلام قوله عز وجل فان كذبوك فقد كذب رسل
من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير معناه فان نسبوك يا محمد صلى الله
عليه وسلم الى الكذب فلست باول رسول كذب لقد كذب نوح وهود وصالح وغيرهم من الانبيا صلوات
الله عليهم جاءوا بالعلامات الواضحات وبالزبر والزبر جمع زبور وهو كل كتاب ذي حكمة يقال زبرت
اذا كتبت وزبرت اذا قرات وقيل ان الزبور هو الكتاب الذي يكثر فيه تكرار المواعظ وهو ماخوذ من الزبر
يقال زبرت الرجل اذا زجرته واما الكتاب المنير فهو الكتاب المبين للحلال والحرام قوله عز وجل
كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة

فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله عز وجل
كل من عليها فان قالت الملائكة هلك اهل الارض فلما نزلت هذه الاية ايقنت الملائكة بالهلاك ومعنى
كل من عليها فان قالت الملائكة هلك اهل الاية كل نفس ذائقة الموت اي لا بد من الموت وانما توفون جزاء اعمالكم
بما عملتم يوم القيمة اي لا تغتروا بتنعم الكفار ولا تحزنوا لشدائد المؤمنين فان كلا الفريقين يفرقون فلا
بؤس يبقى ولا نعيم في الدنيا وليست الدنيا دار جزاء على الاعمال وانما الاخرة هي دار الجزاء لان نعيم الدنيا مكدرة
لا يصفو وان عجل للمؤمنين بعض النعيم فذلك لا يكون الا مشوبا بهموم الدنيا وانما توفي الله عز وجل جزاء الكل
في الاخرة على اتصال ودوام ومعنى فمن زحزح عن النار من ازيل وبعد عن النار وادخل الجنة فقد نجا وسعد
في الجنة يقال للكل من نجا من هلكه او لقي ما يغتبط به فاز وسمي المفازة مفازة مع انها مهلكة على سبيل
التفاول كما سمي اللديغ سليما والاعمى بصيرا واما قوله عز وجل وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور قال ابن
عباس متاع الغرور مثل القدر والسكرجة والقماش متاع في الدنيا ثم يذهب ويفنى كذلك الحيوة الدنيا
يقال ان متاع الغرور ما يغتر الانسان في الحال ويمنيه الاماني ثم يوقعه في الهلكة وكان التاجر يهرب من
متاع الغرور وهو ما يسارع اليه الفساد مثل الزجاج الذي يسرع اليه الكسر ولا يصلحه الجبر كذلك ينبغي للحي
ان يهرب من الدنيا الفانية الى متاع الاخرة وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال لما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم سجيناه بثوب وجلسنا حوله نبكي فاتانا آت نسمع صوته ولا نرى شخصه فقال السلام عليكم
ورحمة وبركاته فقلنا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال كل نفس ذائقة الموت وقرا الاية الى اخرها ثم قال
ان في الله تعالى خلفا من كل هالك وعزا من كل مصيبة ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من
من حرم الثواب قال فحدثنا انه جبريل عليه السلام قوله عز وجل لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور وذلك ان الله عز وجل لما ذكر الجنة في الاية المتقدمة اتى عقبها بما يدعوا اليها وترجيها
فقال لتبلون في اموالكم ومعناه لتختبرن بالنقص والذهاب في الاموال وفي ابدانكم بالامراض والاوجاع ويقال ان المراد
بالابتلا في النفس مثل الجهاد في سبيل الله والانفاق فيه ويقال للواحد من المذكرين لتبلين وللاثنين لتبليان
وللجماعة لتبلون ويقال للمراة لتبلين بكسر اليا وللاثنين لتبليان ولجماعة النسا لتبلينان زيدت الالف لاجتماع النونات
واما قوله عز وجل ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فمعناه ولتسمعن من الذين اعطوا التورية والانجيل
وساير كتب الله عز وجل وهم اليهود والنصارى ومن مشركي العرب كلام اذى كثيرا اما من اليهود فقولهم عزير بن الله
وقولهم ان الله فقير ونحن اغنيا ونحو ذلك ومن النصارى قولهم ان المسيح بن الله وثالث ثلاثة ومن الذين اشركوا
قولهم الملائكة بنات الله وعبادتهم الاوثان ونصبهم الحرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاذى ما يكره
الانسان ويغتم به ومعنى وان تصبروا على اذى الكفار وتتقوا معصية الله عز وجل فان ذلك من عزم الامور و
خيرها والعزم في اللغة توطين النفس على امر من الامور قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا
فبئس ما يشترون معناه وقد اخذ الله ميثاق اهل الكتاب ليبينن الكتاب بما فيه من نعت محمد صلى
الله صلى الله عليه وسلم وصفته للناس ولا يخفون شيئا من ذلك من قرا ليبيننه بالياء فعلى الحكاية لانهم غيب
ومن قرا بالتاء فعلى المخاطبة التي كانت وقت اخذ الميثاق اي قال لهم لتبيننه وقوله عز وجل فنبذوه وراء ظهورهم
يقال للذي يترك الشيء ولا يعمل به جعل ذلك الامر خلف ظهره ومعنى واشتروا به ثمنا قليلا اختاروا بكتمان
نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته عرضا يسيرا من الماكل والهدايا التي كانت لعلمائهم من رؤسائهم فبئس ما
يختارون الدنيا على الاخرة وقال الحسن وقتادة رضي الله عنهما المراد بهذه الاية كل من اوتي علما فكتمه قوله عز

ان تصبروا الخ

اي رموا به خلف ظهورهم

وجل

وجل لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من
العذاب ولهم عذاب اليم في الاية قولان احدهما انها نزلت في اليهود كانوا يقولون نحن اهل الصلوة و
الصوم والكتاب الاول والعلم الاول يريدون الفخر والمن والسمعة والريا لكي يثني عليهم ويحمدهم سفلتهم على ما
يفعلون من بيان صفة كتابهم والثاني انها نزلت في المنافقين كانوا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم ويخالطون المسلمين
ويراوون بالاعمال الية يحبون ان يحمدوا ويمدحوا على ذلك واما قوله عز وجل فلا تحسبنهم بمفازة لا تظننهم يا محمد
صلى الله عليه وسلم بمنجاة اي ببعد من العذاب ولهم عذاب وجيع في الاخرة وتكرار ولا تحسبن في هذه الاية
لطول القصة كقول العرب لا تظنن زيدا اذا جاءك وحدثك كذا وكذا فلا تظننه كاذبا ويجوز ان يكون خبر لا
تحسبن الاول مضمرا تقديره لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ناجين وان
ذلك خير لهم ومن قرا بما اوتوا فمعناه بما اعطوا من الدنيا ومن قرا بما اتوا فمعناه بما اعطوا من النفقة و
الصدقة قوله عز وجل ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير معناه ولله خزاين
السموات والارض فخزاين السموات المطر وخزاين الارض النبات ووجه اتصال هذه الاية بما سبق ان في هذا
تكذيب اليهود في قولهم ان الله فقير وبيان ان من كان مالك السموات والارض فهو قادر على الانتقام من
الكفار والاثابة للمؤمنين وعلى كل شيء من الاشيا وبالله التوفيق قوله عز وجل ان في خلق السموات و
الارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب معناه ان في خلق السموات بما فيها من الشمس والقمر والنجوم
والارض بما فيها من الجبال والشجر والنبات والدواب واختلاف الليل والنهار في المجي والذهاب واللون لعلامات
واضحات لذوي العقول من الناس على توحيد الله عز وجل وذلك ان تعاقب الاعراض المتضادة في السموات و
الارض مع استحالة وجودها عارية منها والاعراض محدثة دليل على حدوث السموات والارض لان الاجسام
اذا لم تخل من الاعراض مثل الحركة والسكون والاجتماع والافتراق لم تكن الاجسام سابقة للاعراض وما لم
يسبق المحدث فهو محدث ويستدل بحدوثها على ان لها محدثا لاستحالة وجود حادث لا محدث له ويندرج
من ذلك الى ان محدثها قديم لان محدث الاجسام لو كان محدثا لاحتاج الى محدث آخر فكان يتسلسل الى
ما لا نهاية له ويستدل من خلق السموات والارض الى ان محدثها حي عالم قادر سميع بصير ومن ذلك الى انه
لا يشبه الاجسام ولا شيئا من الاشيا فانه لو اشبهها لم يخل ان يشبهها من جميع الوجوه او من بعضها فان اشبهها
من جميع الوجوه فهو محدث مثلها وان اشبهها من بعض الوجوه فواجب ان يكون محدثا من ذلك الوجه لان
حكم المتشابهين واحد من حيث اشتبها فوجب ان يتساويا في حكم الحدوث من ذلك الوجه وان يجوز
على كل واحد منهما ما يجوز على الاخر من التغيير والزيادة والنقصان وفي مجي الليل والنهار على التعاقب
على مقدار معلوم حتى ان مقدار النهار في كل صيف يكون على مقدار في الصيف الماضي دليل على ان الذي
ياتي بهما عالم لا يسهو ولا يغفل عن شيء قوله عز وجل الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار بيان لصفة اولي
الالباب وفي قوله عز وجل قياما وقعودا قولان احدهما ان المراد بذلك الذكر المطلق اي يذكرون الله تعالى
في جميع احوالهم لان الانسان لا يكون الا على احدى هذه الحالات الثلث الا في النادر والثاني ان المراد بالذكر
الصلوة اي لا يدعون الصلوة صحوا او مرضوا يصلون قياما ان استطاعوا وجلوسا ان لم يستطيعوا قياما
ومضطجعين ان لم يستطيعوا جلوسا ومعنى ويتفكرون في خلق السموات والارض يتفكرون في عظم شانهما
وما فيهما من الايات والعبرات قائلين ربنا ما خلقت هذا الخلق للباطل والعبث بل خلقته دليلا على
وحدانيتك وصدق ما اتت به انبياوك تنزيها لك وبراءة لك من ان يكون خلقهما باطلا فادفع عنا
عذاب النار وعن ابن عمر انه لما نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتامل فيها وهذا

عذاب النار

جثى على النظر في دلالات الله عز وجل وزجر عن الاتكال على التقليد قوله عز وجل ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار من دعا اولى الالباب ومعناه يا ربنا انك من تدخل النار يوم القيمة فقد اهنته واذللته ويقال او فضحته موقفا يستحيى منه واسم الخزى يحتمل الفضيحة ويحتمل الحيا وفي تفسير قتادة انك من تخلد في النار فقد اخزيته ومعنى وما للظالمين من انصار ما لهم من مانع يمنعهم مما يراد بهم من العذاب قوله عز وجل ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار معناه والله اعلم يقولون ربنا اننا سمعنا محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الخلق الى الايمان بان آمنوا بربكم فاجبنا الى ما دعانا اليه وامرنا به وعن محمد بن كعب القرظى انه قال المنادى كتاب الله عز وجل يدعو الناس كلهم الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واما وضع اللام موضع الى لان اللام للغرض الذى هو الغاية والى للغاية فجاز ان يوضع احدهما موضع الاخر ومعنى فاغفر لنا ذنوبنا اى اغفر لنا الكباير وما دون الكباير وكفر عنا شركنا في الجاهلية هكذا قال الكلبي وقيل ان الذنوب والسيئات بمعنى واحد وقيل انما جمع بين اللفظين لان المغفرة قد تكون ابتدا وتكفير السيئات انما يكون بطاعات اعظم منها وهو نظير احباط الطاعة بالمعصية ومعنى وتوفنا مع الابرار اى اجعل ارواحنا مع ارواح الانبيا والصالحين الذين كانوا قبلنا ويقال هذا دعا الاستعاذة من شر آخر الزمان كقول يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين والابرار يجوز ان يكون جمع بار كما يقال صاحب واصحاب ويجوز ان يكون جمع البر كما يقال جد واجداد وثوب واثواب وعن الحسن رضى الله عنه ان البر هو الذى لا يؤذى الذر قوله عز وجل ويقولون يا ربنا واعطنا ما وعدتنا على لسان ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك معناه ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد معناه ويقولون يا ربنا واعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك ولا تخذلنا ولا تعذبنا يوم القيمة انك لا تخلف ما وعدت من الجنة والثواب للمومنين فان قيل ما فايدة الدعا بانجاز الوعد مع العلم بان الله عز وجل منجز وعده قيل فايدة التعبد والخضوع والخشوع له ورفع الحاجة اليه في عموم الاحوال وقيل معناه واجعلنا من اهل استحقاق ثوابك لا من يستحق عقابك وانصرنا على الكفار كما وعدتنا قوله عز وجل فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب معناه فاجابهم ربهم بانى لا احبط عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم اوليا بعض في الدين الاخر من الاول والاول من الاخر والذين هاجروا من مكة الى المدينة واخرجوا من اوطانهم واوذوا في طاعتى وقاتلوا المشركين مع محمد صلى الله عليه وسلم وقتلهم العدو في الجهاد لاكفرن عنهم ذنوبهم ولادخلنهم بساتين تجرى من تحت شجرها ومساكنها الانهار جزا من عند الله وقوله عز وجل ثوابا نصب على المصدر معناه لاثيبنهم ثوابا كما في قوله الله عز وجل كتاب الله عليكم وقوله عز وجل صنع الله الذى اتقن كل شي والله عنده حسن الجزا للموحدين المطيعين ومن قرا وقتلوا بالتشديد فعلى معنى التكثير والمبالغة وتقطيع الاعضا ومن قرا وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتاخير فلان الواو لا توجب الترتيب ويجوز ان يكون معناه وقتل بعضهم وقاتل بعضهم كما يقال قتلنا اى قتل عشايرنا قوله عز وجل لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد ابتدا هذه الاية خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به اصحابه كانه قال لا يغرنك ايها السامع ذهاب اليهود ومجيئهم وتجارتهم ومكاسبهم في الارض منفعة يسيرة في الدنيا تنقطع وتفنى ثم مصيرهم

الى جهنم

الى جهنم وبئس الفراش النار ويقال انما كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يغتر بشي للتحذير الله عز وجل له عن الاغترار بشي وتاديبا اياه فحسن الخطاب له قوله عز وجل لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار تقدير هذه الاية مع ما قبلها والله اعلم لا يعجبك يا محمد صلى الله عليه وسلم تقلب ولبث الكفار في نعيم الدنيا بل ما اعطى المتقون في الاخرة افضل فان الذين اتقوا ربهم ووحدوه واطاعوه فيما امرهم به ويقام عنده لهم بساتين من تحت شجرها ومساكنها الانهار مقيمين فيها نزلا اى رزقا وثوابا لهم وهذا نصب على التفسير كما يقال هذا الشي هبة لك او صدقة ويجوز ذلك ان يكون نصبا على المصدر على معنى نزلوا نزلا ويقال جعل ذلك لهم نزلا والنزل ما يهيا للنازل من كرامة وبر وطعام وشراب وملهى ومنظر حسن كما جرت العادة به في ايصال النزل الى الضيف ومعنى وما عند الله خير للابرار اى ما عند الله تعالى من الجزا والثواب خير للصالحين مما لهم في الدنيا ثم اخبر الله عز وجل عن حال من آمن من اهل الكتاب وخشوعهم وزجرهم عن ان يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فقال عز وجل وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب معناه وان من اهل الكتاب لمن يصدق بالله والقرآن والتوراة والانجيل والزبور وساير كتب الله عز وجل وهم عبد الله بن سلام واصحابه خاشعين لله اى ذليلة انفسهم لله عز وجل لا يشترون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن عرضا يسيرا كما فعله رؤسا اليهود اولئك لهم ثوابهم عند ربهم ان الله سريع الحساب اذا حاسب فحسابه سريع لا يؤخر جزا اعمالهم يوم القيمة لطول الحساب قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون معناه يا ايها الذين اقروا بتوحيد الله تعالى ونبوة رسوله صلى الله عليه وسلم اصبروا على ادا الفرايض واجتناب المحارم وصابروا اعداكم في الجهاد ومصابرة العدو ملاقاة صبرهم على مكروههم بالصبر عليهم في مقابلتهم ورابطوا خيولكم على الجهاد والرباط والمرابطة ان يربط كل واحد من الفريقين خيولهم في الثغر ليوعد به صاحبه ويقال معنى المرابطة ان يربط كل واحد من القاتلين لقتال صاحبه ويقال معنى المرابطة المحافظة على الصلوات كما روى في الخبر هو انتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط واصل الربط في اللغة الشد والرباط الحبل الذى يشد به ثم اكد الله عز وجل هذه الطاعات بالتقوى فقال عز من قايل واتقوا الله لعلكم تفلحون اى اتقوا الله في كل ما امركم به ولا يكن كدكم للجهاد فقط لكى يكونوا على رجا الفلاح وانما غيب عنهم ما امرهم ليكونوا حذرين وجلين فان ابن ادم اذا امن طغى وعن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه انه قال في معنى هذه الاية اصبروا عن المعاصى وصابروا مع الطاعات ورابطوا الارواح بالمشاهدة لكى يبلغوا مواقف اهل الصدق فانها محل الفلاح وعن ابى بن كعب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة آل عمران اعطى بكل اية منها امانا على الصراط وبالله التوفيق سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون اية عند البصريين وست وسبعون عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا قال ابن عباس رضى الله عنهما قد يكون يا ايها الناس عاما وقد يكون خاصا لاهل مكة وهو في هذا الموضع عام لجميع الناس ومعنى اتقوا ربكم اخشوا واطيعوا ربكم وانما ابتدا الله عز وجل هذه السورة بالموعظة لان الآمر بالاشيا والناهى عن الاشيا اذا ابتدا الكلام بالوعظ كان ذلك انجع في السامعين ثم اخبر جل ذكره بما يدل على انه واحد وان حقه سبحانه ان يتقى فقال عز من قايل الذى خلقكم من نفس واحدة اى خلقكم

سورة النساء

[illegible]

جميعا من نفس ادم عليه السلام وحدها وانما انث النفس لاعتبار اللفظ دون المعنى وهذا كما قال الشاعر
ابوك خليفة ولدته اخرى ۞ وانت خليفة ذاك الكمال ۞ فقال ولدته اخرى وان اراد به ذكرا
لان لفظ الخليفة مونث وانما من الله تعالى علينا بان خلقنا من نفس واحدة لان ذلك اقرب الى ان
يعطف بعضنا على بعض ويرحم بعضنا بعضا لرجوعنا جميعا في القرابة والاخوة الى اصل واحد واما
قوله عز وجل وخلق منها زوجها فمعناه خلق من نفس ادم عليه السلام زوجها حوا خلقها من ضلع
من اضلاعه اليسرى وهي القصيرى بعدما القى عليه النوم فلم يوذه ولو اذاه ما عطف عليها ابدا وقد
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان المراة خلقت من ضلع اعوج فان اردت ان تقيمها
كسرتها وان تركتها وفيها عوج استمتعت بها على عوج واما قوله عز وجل وبث منهما رجالا كثيرا
معناه نشر وفرق من ادم وحوا خلقا كثيرا من الرجال والنسا وقوله تعالى جده واتقوا الله الذي تسالون
به اي اتقوا معاصي الله بجحده الذي فرضه عليكم وحقيقة الاتقا ان تجعل بينك وبين الشي الذي تتقيه
حاجزا يحجز بينك وبينه والفايدة في اعادة الامر بالتقوى ان الثاني لبيان ان حقه عز وجل ان يتقى
لانكم تسالون به ومعنى تسالون اي تسالون بالله بعضكم بعضا من الحوايج والحقوق يقول الرجل للرجل
انشدك بالله واسالك بالله ومن قرا بتشديد السين فلادغام التا في السين لقرب مخرجهما
ومن قرا بالتخفيف فلان التا الثانية حذفت لاجتماع التاين واما قوله عز وجل والارحام ففيه
قراتان من قرا بالنصب فمعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقد روي في الخبر ما يوافق ما ورد به
التنزيل قال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا الله الرحمن وهي الرحم شققت لها اسما من اسمي
من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من شي
مما اطيع الله تعالى فيه باعجل ثوابا من صلة الرحم وما من شي مما يعصى الله فيه باعجل عقوبة من البغي و
اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع وعن هذا قال اصحابنا رحمهم الله ان الهبة لذي الرحم المحرم تقع قربة لله
تعالى فلا يصح الرجوع فيها كما لا يصح الرجوع في الصدقة ۞ واما من قرا والارحام بالخفض فمعناه يتسالون
بالله وبالرحم وهو قولهم اسالك بالله وبالرحم قال الزجاج رحمه الله استقبح النحويون نسق اسم الظاهر
على المضمر المجرور لا يقولون مررت بك وزيد وبه وزيد الا مع اظهار حرف الخفض مع المظهر يقولون
بك وبزيد قال المازني الاسم الثاني في العطف شريك الاول فكما لا يصلح ان يقال مررت بزيد وبك
وكذلك لا يقال مررت بك وزيد وقد جا عطف المظهر على المضمر في الشعر قال الشاعر
فقد كنت من قبل تهجونا وتشتمنا ۞ فاذهب فما بك والايام من عجب ۞ واما قوله عز وجل ان الله
كان عليكم رقيبا فمعناه ان الله كان حفيظا لاعمالكم ومن ذلك سمي الحافظ للانسان رقيبا وقال
بعضهم معنى رقيبا عليم والعلم والحفظ متقاربان لان العليم بالشي حافظه قوله عز وجل وآتوا
اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا
معناه والله تعالى اعلم واعطوا اليتامى اموالهم بالانفاق عليهم في حال الصغر وبالتسليم اليهم بعد
بلوغ الحلم قال مقاتل نزلت هذه الاية في رجل من غطفان كان في يده مال لابن اخيه فلما بلغ اليتيم طلب ماله فمنعه
العم فانزل الله تعالى هذه الاية فقراها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل اطعنا الله واطعنا الرسول
صلى الله عليه وسلم ونعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله تعالى
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد اصاب الغلام الاجر وبقي الوزر قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بقي
الوزر وقد انفقه في سبيل الله عز وجل فقال اصاب الغلام الاجر وبقي الوزر على الاب وقيل انما سمى الله عز وجل
البالغ في الاية يتيما والعرب تسميه باليتيم استصحابا للاسم الاول كما كان الكفار يسمون النبي صلى الله عليه وسلم

يتيم ابي طالب واما قوله عز وجل ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب فمعناه لا تبذروا اموالكم الحلال وتاكلوا
الحرام من اموال اليتامى وعن مجاهد وابي صالح انهما قالا معناه لا تعجل رزقك الحلال حراما بتعجله بان تستهلك
مال اليتيم فينفقه او تعرف فيه لنفسك او يكسبه وتعطيه غيره فيكون ما تاخذه من مال اليتيم خبيثا حراما وتعطي
مالك الحلال ولكن ابقوهم اموالهم باعيانها وفي هذا دليل انه لا يجوز لولي اليتيم ان يستقرض مال اليتيم ولا ان يستبدله
من نفسه قال ابو حنيفة رحمه الله الا ان يكون في بيعه مال اليتيم من نفسه خير ظاهر لليتيم فيجوز حينئذ
لقوله عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقيل في معنى قوله ولا تتبدلوا الخبيث ولا تجعلوا الزايف بدل
الجيد والمهزول بدل السمين واما قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم فمعناه لا تاكلوا اموالهم مضيفين
الى اموالكم وذلك انهم كانوا يخلطون اموال اليتامى باموالهم حتى تصير دينا عليهم ثم كانوا يبيعونها مع اموالهم
ويربحون عليها ويستبدون بتلك الارباح ومعنى انه كان حوبا كبيرا اي اثما عظيما وقرا الحسن حوبا بالفتح
والحوب في اللغة زجر الابل يقال حاب يحوب حوبا وحوبا وحابا وسمي الاثم حوبا لان الحالات ذلك مما
يزجر عنه وحكى الفرا عن بني اسد انهم كانوا يقولون الحايب القايل قوله عز وجل وان خفتم الا تقسطوا
في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النسا مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة
او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا واتوا النسا صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شي
منه نفسا فكلوه هنيا مريا ۞ روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال وذلك انه
لما نزل قوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية خاف الناس في اموال اليتامى ان لا يعدلوا
فكانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرهم وكانوا يتزوجون من النسا ما شاءوا فنزلت هذه
الاية ومعناها ان خفتم الا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا في النسا اذا اجتمعن عندكم ان لا تعدلوا بينهن فتزوجوا
ما حل لكم من النسا ولا تنكحوا الا ما يمكنكم امساكهن مثنى مثنى وثلث ثلث واربع اربع ولا تزيدوا على الاربع
الحراير وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت كان الناس يتزوجون اليتامى ولا يعدلون في صدقاتهن و
ساير ما يجب لهن من حقوق النكاح وكان الرجل يرغب في اليتيمة التي في حجره لمالها وجمالها ولا يقسط في
صداقها فنهاهم الله عز وجل عن ذلك فقال عز من قايل وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى يعني في نكاح اليتامى
فانكحوا ما طاب لكم من غيرهن اي اذا وقع منكم حيف في حق البالغات كان طلب مرضاتهن وتطييب انفسهن
ايسر وجمعهن امكن وقال مجاهد رضي الله عنه معناه ان تحرجتم في ولاية اليتامى ايمانا وتصديقا فتحرجوا من الزنا
فانكحوا الطيب من النسا والاقساط في اللغة العدل يقال اقسط اذا عدل وقسط اذا جار قال صلى الله
عليه وسلم المقسطون في الدنيا على منابر من لولو يوم القيمة وقال الله تعالى واما القاسطون فكانوا
لجهنم حطبا وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لان ما مع الفعل بمنزلة المصدر كانه قال فانكحوا الطيب
يعني الحلال من النسا وقوله عز وجل مثنى وثلاث ورباع بدل ما طاب لكم وهو مما لا ينصرف لان مثنى
معدول عن اثنين وذلك نكرة وثلاث معدول عن ثلاثة وهو على لفظ التانيث وذهب بعض
من شذ عن الاجماع من جملة الروافض الى استحلال تسع نسوة واستدل بهذه الاية وليس ذلك بشي لانه لا يقال
مثنى وثلث ورباع الا ويراد به على التفريق ولا يعتبر احد مثنى وثلاث ورباع عن تسعة وقد روي
عن قيس بن الحرث انه كان عنده ثماني نسوة فلما نزلت هذه الاية امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمسك
اربعا ويفارق اربعا وقال صلى الله عليه وسلم لغيلان حين اسلم وتحته عشر نسوة امسك منهن اربعا وفارق
سايرهن واما قوله عز وجل فان خفتم الا تعدلوا فمعناه ان خفتم الا تعدلوا في القسمة والنفقة بين
النسوة الاربع التي احل الله تعالى لكم فتزوجوا امراة واحدة لا تخافون الميل في امرها او اقتصروا على الاما حتى
لا تحتاجوا الى القسم بينهن وقوله عز وجل ذلك ادنى ان لا تعولوا اي التزوج بالواحدة والاقتصار على [illegible]

اليمين أقرب إلى أن لا تميلوا ولا تجوروا والعول مجاوزة الحد ومنه العول في الفرائض لأنه مجاوزة مخرج الفرائض ويقال
للبكاء الشديد العويل وأما من قال معنى ألا تعولوا أي لا تكثر عيالكم وهذا القول يحكى عن الشافعي رحمه الله فقد قيل
إنه خطأ في اللغة لأنه لا يقال في كثرة العيال عال يعول وإنما يقال أعال يعيل إذا صار ذا عيال وفي الآية ما يبطل
هذا التأويل وهو قوله عز وجل أو ما ملكت أيمانكم لأن إباحة كل ما ملكت اليمين تزيد في العيال من أربع نسوة وعن
طاوس أنه قرأ ذلك أدنى أن لا تعيلوا بالياء من العيلة يقال عال الرجل يعيل عيلة إذا افتقر وأما قوله عز وجل وآتوا
النساء صدقاتهن نحلة فقد ذهب الكلبي إلى أن هذا خطاب للأولياء كان الولي إذا زوج امرأة فإن كانت معهم في العشيرة
لم يعطها من مهرها قليلاً ولا كثيراً وإن كانت غريبة حملوها على بعير إلى زوجها لا يعطونها من مهرها غير ذلك البعير
وقال معاذ وأكثر أهل التفسير على أن هذا خطاب للأزواج كان الرجل يتزوج المرأة فلا يعطيها مهرها يقول
أرثك وترثيني وهذا هو الأصح ومعنى الآية أعطوا النساء مهورهن وهي جمع الصدقة وقوله عز وجل نحلة أي
عطية من الله عز وجل للنساء حيث جعل المهر لهن ولم يوجب عليهن شيئاً من الغرم مع كون الاستمتاع مشتركاً
بينهن وبين الأزواج يقال نحلت الرجل نحلة ونحلاً إذا أعطيته ويقال نحل الجسم إذا رق ويجوز أن يكون النحل
سمي نحلاً لأن الله عز وجل نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها وعن هذا قالوا إن في كون المهر عطية
من الله تعالى للنساء بيان أن المرأة لا تقدر على دفع المهر عن نفسها عند وجود سبب وجوبه وإن كان يمكنها
الإبراء عنه والهبة بعد الوجوب كالميراث الذي لا يقدر الوارث على دفعه عن نفسه في الابتداء وإن كان يمكنه
أن يهب بعد وجوبه وأن يبرئ عنه إن كان ديناً وقيل معنى نحلة ديانة يقال فلان ينتحل كذا وكذا
أي يدين به وأما قوله عز وجل فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه أي إن أحللن لكم عن شيء من المهر
وقوله عز وجل نفساً نصب على التمييز لأنه إذا قيل طبن لكم لم يعلم في أي صنف وقع الطيب فكأنه قال
فإن طابت أنفسهن بهبة شيء من المهر فكلوا الموهوب لكم هنيئاً لا إثم فيه مريئاً لا ملامة فيه والهنيء
والمريء لغتان على فعيل من هنؤ ومرؤ وهنيء ومريء إذا صار سائغاً نحو ظريف من ظرف وسميع من سمع
يقال أهنأني الطعام ومرأني وإذا أفردوا قالوا أمرأني ولا يقال أهنأني ومنه التهنئة بالخير وقيل إن مرأني
مستقبل أنه سينهضم وأحمد مغبته وأمرأني يراد به قد انهضم وحمدت مغبته وأصل الهنيء الهنء
وهو أن تطلي البعير بالقطران يقال هنأت البعير أهنأه هنأ وهناء وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه أنه قال إذا كان أحدكم مريضاً فليسأل امرأته درهمين من مهرها حتى تهب له بطيبة نفسها
فليشتر بذلك عسلاً وليشربه مع ماء المطر فقد اجتمع الهنيء والمريء والشفاء والماء المبارك يعني أن الله عز وجل
سمى المهر هنيئاً مريئاً إذا وهبت المرأة لزوجها وسمى العسل شفاء وسمى المطر مباركاً فإذا اجتمعت هذه
هذه الأشياء رجا له الشفاء قوله عز وجل **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً**
وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً معناه والله تعالى أعلم ولا تعطوا
الجهال مواضع الحق وهم النساء والصبيان أموالكم التي جعلها الله تعالى قوام أمركم ومعيشتكم أي جعلكم تقومون
بها قياماً إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة وأن ولده سفيه مفسد لم ينبغ له أن يسلط واحداً
منهما على ماله الذي هو قوام أمره ومن قرأ قيماً فمعناه التي جعل الله لكم قيمة للأشياء فيها تقوم أموركم وعن
عمر رضي الله عنه أنه قال من لم يتفقه فلا يتجر في سوقنا وأصل السفه في اللغة خفة الحلم وسمي الفاسق
سفيهاً لأنه لا وزن له عند أهل العلم والدين ويسمى ناقص العقل سفيهاً لخفة عقله ومعنى وارزقوهم
فيها أطعموا النساء والأولاد واكسوهم من أموالكم وقولوا لهم قولاً معروفاً أي عدوهم عدة حسنة نحو
أن يقول الرجل سأفعل كذا إن شاء الله عز وجل ويقال معناه علموهم أمر دينكم وذهب بعض المفسرين إلى أن
معنى قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أي لا تعطوهم أموالهم واستدل بقوله عز وجل وارزقوهم فيها

دق ٤

واكسوهم

واكسوهم على ذلك قال وإنما أضاف الله عز وجل أموال السفهاء إلى الأولياء لأنهم هم الذين يقومون فيها وقيل إنهم
خلطوا أموالهم بأموال أنفسهم فأضاف الكل إليهم وهذا كما قال الله عز وجل ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ولم
يكن الرجل منهم يقتل نفسه ولكن كان بعضهم يقتل بعضاً أي تقتلون الجنس الذي هو جنسكم قوله عز
وجل **وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم**
ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل
بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً معناه واختبروا اليتامى في عقولهم و
دياناتهم وتدبيرهم أسباب أنفسهم حتى إذا بلغوا مبلغ النكاح وهو الحلم وفي هذا دليل جواز الإذن للصبي في
التجارة لأن حتى غاية مذكورة بعد الابتلاء ومعنى فإن آنستم منهم علمتم ووجدتم منهم صلاحاً في عقلهم و
وحفظاً لمالهم فادفعوا إليهم أموالهم التي عندكم هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وذهب السدي
رحمه الله إلى أن معنى الرشد الصلاح في العقل والدين والقول الأول هو الأصح لأن قوله رشداً مصدر منكر
ولا خلاف أن الفاسق إذا كان حافظاً لماله لم يحجر ماله عنه وأما الإيناس في اللغة فهو الإحساس فيكون
المراد بالآية الإحساس بما يؤنس الرشد ومنه الإنس خلاف الجن لأنهم يؤنسون وأما قوله عز وجل ولا
تأكلوها إسرافاً وبداراً أي لا تأكلوا أموال اليتامى بغير حق والإسراف مجاوزة الحد في الزيادة وقوله وبداراً يعني
مبادرة كبرهم أي لا تبادروا إلى أكل أموالهم مخافة أن يكبروا فيأخذوا أموالهم منكم وأما قوله عز وجل ومن
كان غنياً فليستعفف أي ليتورع بعفافه عن مال اليتيم ولا ينقص شيئاً من ماله وقوله عز وجل ومن كان فقيراً
فليأكل بالمعروف قال عمر بن الخطاب وسعيد بن جبير وعبيدة السلماني معناه إن كان فقيراً فليأخذ
من مال اليتيم على جهة القرض مقدار الحاجة فإذا أيسر رده عليه وهكذا روى الطحاوي عن أبي حنيفة رحمه
الله وقال مكحول وعطاء بن أبي رباح وقتادة إن لولي اليتيم أن يأخذ من مال اليتيم قدر ما يستر عورته و
يسد جوعته لا على جهة القرض وعن ابن عباس أن رجلاً جاء إليه فقال إن في حجري أموال اليتامى
أفتأذن لي أن أصيب منها فقال إن كنت تبغي ضالتها وتهنأ جرباها وتلوط حياضها فاشرب غير
مضر بالنسل ولا ناهك في الحلب وعنه في رواية أخرى أن معنى فليأكل بالمعروف في هذه الآية ليأكل من مال
نفسه بالمعروف حتى لا يأكل من مال اليتيم شيئاً وروى محمد في كتاب الآثار عن أبي حنيفة عن رجل عن ابن
مسعود أنه قال لا يأكل من مال اليتيم قرضاً ولا غيره قال هو قول أبي حنيفة وروى بشر بن الوليد عن
أبي يوسف أنه قال لا يأكل من مال اليتيم إذا كان مقيماً فإن خرج إلى تقاضي دين لهم أو ضياع لهم فله أن ينفق
ويكتسي ويركب فإذا رجع رد الثياب والدابة إلى اليتيم وعن أبي يوسف في رواية أخرى أن قوله فليأكل
بالمعروف يجوز أن يكون منسوخاً بقوله عز وجل لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن
تراض منكم فحاصل هذه الروايات أن الأصح على مذهب أصحابنا أنه ليس لوصي اليتيم أن يأكل من ماله
قرضاً ولا غير قرض إلا أن يضطر إلى شيء منه فيأخذه بالضرورة ثم يرد إذا وجد لأن الوصي هو الذي
أدخل نفسه في الوصية وضمن القيام بها على غير بدل فهو كالمستبضع ولو كان ما يأخذه أجرة على عمله
لكان لا يفترق الحال بين أن يكون الوصي غنياً أو فقيراً ولا خلاف بين أهل العلم أنه لا يجوز له أن
يأخذ من ماله إن كان غنياً ولهذا فرقوا بين ما يأخذه ولي اليتيم وبين أرزاق القضاة والمفتين من
أهل العلم لأن أولئك يحل لهم الأخذ مع الغنى وهو شيء جعله الله عز وجل لهم ولكل من قام بشيء من أمور
الإسلام لأنه لو لم يجعل لهم ذلك في بيت مال المسلمين لم يتفرغوا للشيء من أمور أنفسهم وليس ما يأخذونه على
طريق الأجرة لأن ما يفعلونه فرض عليهم ولا يجوز الأخذ للأجرة على شيء من الفروض وقد كان النبي صلى الله

الآية ه
النهك المبالغة في الشيء وناهكه
يعني يتسلف منه قول الشاعر
إلى جذم مال قد نهكنا سوامه
وأعراضنا فيه بواقي صحائح ٥

عليه وسلم سهم من الخمس ولا يجوز ان يقال انه عليه الصلاة والسلام كان ياخذ الاجر على شئ من الدين كيف وقد قال الله عز وجل قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وسئل عبد الله بن مسعود عن قوله عز وجل اكالون للسحت اهو الرشا قال لا ذاك كفر انما هو هدايا العمال واما قوله عز وجل فاذا دفعتم اليهم اموالهم اي بعد بلوغهم وايناس الرشد منهم فاشهدوا عليهم وثيقة لكم وكفى بالله حسيبا شهيدا ومجازيا لكم في الاخرة الآن الاشهاد فيما بين الناس من احكام الدنيا المضروبة للمصلحة والحسيب فعيل من الحساب في العدد والحسيب في الكفاية وانتصاب الحسيب على القطع يريد وكفى بالله الحسيب حسيبا

قوله عز وجل للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا وذلك ان العرب كانت لا تورث الا من طاعن بالرماح وذاد عن المال وحاز الغنيمة فاعلم الله سبحانه ان حق الميراث للرجال والنساء قال عبد الله بن عباس توفي اوس بن ثابت الانصاري وترك ثلث بنات له وترك امراة يقال لها ام كحة فقام رجلان من بني عمه قتادة وعرفطة وكانا وصيين له فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيئا من المال فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوس بن ثابت توفي وترك ثلث بنات وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند قتادة وعرفطة ولم يعطياني ولا بناتي شيئا من المال وهن في حجري لا يطعمن ولا يسقين ولا يرفع لهن راس فقال عليه الصلوة والسلام ارجعي الى بيتك حتى انظر ما يحدث الله عز وجل الي فيهن فرجعت الى بيتها فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها للرجال نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا يعني معلوما مقدرا جعل ذلك فرضا لهم فلما نزلت هذه الاية ارسل عليه السلام الى قتادة وعرفطة ان لا تقربا من مال اوس شيئا فانه قد انزل الله عز وجل لبناته نصيبا ولم يبين كم هو حتى انظر كم يبين الله عز وجل لهن فنزل بعد ذلك قوله عز وجل يوصيكم الله في اولادكم الى قوله وذلك الفوز العظيم فلما نزلت اية المواريث وبيان قسمتها ارسل عليه الصلوة والسلام الى قتادة وعرفطة ان ادفعا الى ام كحة الثمن من جميع المال وادفعا اليها لبناتها الثلثين

قوله عز وجل واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا ٥ معناه والله اعلم واذا حضر قسمة المواريث ذوو قرابة الميت في الرحم واليتامى من ذوي الحاجة والفقرا فاعطوهم شيئا من المال قبل القسمة وقولوا لهم قولا معروفا اي عدوهم عدة حسنة وتقال اعتذروا اليهم عند قلة المال وقولوا لهم كنا نحب ان يكون اكثر من ذلك قال الحسن وابرهيم النخعي كانوا اذا اقتسموا العين اي الذهب والفضة اعطوا من حضر القسمة من الاقربا الذين لا يرثون ومن اليتامى والمساكين واذا بلغوا الى قسمة الدواب والرقيق والارضين قالوا لهم ارجعوا بورك فيكم فهو معنى قوله عز وجل وقولوا لهم قولا معروفا وعن سعيد بن جبير انه قال هذه الاية يتهاون الناس بها قال وهما وليان احدهما وارث وهو الذي امروا ان يرزقوهم ويعطوهم انصباءهم والاخر لا يرث وهو الذي امروا ان يقولوا لهم قولا معروفا قال يقال لهم هذا المال لقوم غيب او لايتام صغار ولسنا نملك ان نعطي منه شيئا واذا حضر الغيب وبلغ الصغار امرناهم ان يعرفوا حقكم ويتبعوا فيه وصية ربهم فهذا هو القول المعروف وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فيه روايتان احداهما ان هذه الاية محكمة غير منسوخة وهو قول عطا ومجاهد والزهري وجماعة حتى روي عن عبيدة السلماني انه ذبح للاقربا شاة من اموال اليتامى واعطاهم وقال لولا هذه الاية لكان من مالي ولولا هذه الاية وقرا عليهم الاية وعن ابن سيرين انه فعل مثل ذلك ايضا والرواية الاخرى عن ابن عباس ان هذه الاية منسوخة باية المواريث وهو قول سعيد بن المسيب

والسدى

والسدى وابن مالك وابي صالح وقيل هذه الاية في انفاذ وصاة الميت في هولاء وقال زيد بن اسلم هذا شئ امر به الموصون يجعل لمن لا يرث من قرابته صلة ولذلك لليتامى والمساكين اذا لم يجحف لذلك بحصة الورثة على الاستحباب في حق الورثة الحضور البالغين لا تعالو كانت واجبة مع كثرة قسمة المواريث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن بعدهم لنقل وجوب ذلك والمحافظة لهولاء كما نقلت المواريث لعموم الحاجة الى ذلك واما الذين قالوا ان هذه الاية منسوخة فالمراد به عندهم نسخ الوجوب باية المواريث وخبر عبيدة السلماني محمول على ان الورثة كانوا بلغوا الحلم فذبح الشاة من جملة المال باذنهم قوله عز وجل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان الناس قبل نزول هذه الاية اذا حضروا ميتا قالوا للمريض اوص لفلان بكذا ولفلان بكذا فلا يزالون كذلك حتى يذهب عامة ماله فيبقى عياله بغير شئ فكره الله تعالى ذلك وانزل هذه الاية وانتهى الناس عن ذلك بعد نزولها وصارت الوصية الى الثلث لا يزاد عليه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على سعد بن عبادة يعوده فقال سعد يا رسول الله اني ذو مال وليس لي ولد الا جارية افاوصي بالثلثين قال لا قال فالثلث قال الثلث والثلث كثير وانك ان تدع ورثتك اغنيا خير من ان تدعهم فقرا يتكففون الناس وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الاية خطاب لمن يتصرف في اموال اليتامى وامرهم ان يعاملوا فيها بالواجب معناه ليخش الذين يخافون الضياع على ذريتهم الضعاف من بعد موتهم فلا يفعلوا في اموال اليتامى الا بما يحبون ان يفعل باولادهم من بعد موتهم والقول السديد هو الذي لا خلل فيه من جهة الفساد وهو ماخوذ من سد الخلة قوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا نزلت هذه الاية في حنظلة بن الشمردل كان ياكل مال اليتيم في حجره ظلما ومعنى الاية الذين ياكلون اموال اليتامى بغير حق انما ياكلون في بطونهم حراما وسمى الحرام نارا لان الحرام يوجب النار فسماه باسمها على معنى ان اجوافهم يمتلي نارا في الاخرة قال السدي من اكل مال اليتيم ظلما يبعث يوم القيمة ولهب النار يخرج من جوفه واذنيه وعينيه وانفه كل من راه عرف انه اكل مال اليتيم ظلما ومعنى وسيصلون سعيرا سيدخلون النار في الاخرة ويلزمونها والصلا ملازمة النار للاحراق والتسخين والانضاج يقال صلي يصلى صلا ومنه قولهم اصطلى بالنار اذا دفي بها ومن قرا وسيصلون بضم اليا فعلى فعل ما لم يسم فاعله والسعير النار المسعورة الموقودة يقال كف خضيب اي مخضوب ولا شبهة في ان الوعيد المذكور في هذه الاية راجع الى كل من اكل شيئا من مال اليتيم ظلما او اتلف عليه شيئا من ماله لان الضرر الذي يرجع الى اليتيم لا يختلف في حقه بين الاكل والاتلاف وانما ذكر الاكل لان الاكل هو المعظم فيما يبتغون من التصرف وفي الاية دليل ان من احد من مال غير اليتيم مما يضر به ضرر مال اليتيم فهو داخل في هذا الوعيد قوله عز وجل يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال كان المال للبنين وكانت الوصية للوالدين والاقربين في قوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية الى ان نزلت هذه الاية فصار ذلك منسوخا بهذه الاية ومعنى الاية يفرض الله تعالى عليكم في اولادكم لان الوصية من الله

الصلا اسم للوقود الذي يصطلى به اذا كسرت الصاد قصرت واذا فتحتها قصرت مد

عز وجل فرض قال الله عز وجل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به وهذا من الفرض المحكم
علينا ومعنى للذكر مثل حظ الانثيين للذكر الواحد من الاولاد مثل نصيب الابنتين في الميراث فاذا خلف الرجل
ابنا وابنتين كان للابن النصف وللابنتين النصف وان خلف ابنا وبنتا فللابن الثلثان وللبنت
الثلث وان كان الاولاد جماعة فلكل ذكر سهمان ولكل انثى سهم واسم الولد يتناول ولد الرجل لصلبه
حقيقة ويتناول من كان من صلب بنيه مجازا فاذا كان للميت ولد لصلبه حمل اللفظ على الحقيقة وان لم
يكن له ولد لصلبه حمل على من كان من صلب بنيه مجازا واما ولد البنات فلا يعد من ولده في النسبة والتعصيب
ولكنهم من ذوي الارحام وانشد القيسي بنونا بنو ابنائنا وبناتنا بنوهن ابنا الرجال الاباعد وعلى
هذا قال اصحابنا فيمن اوصى لولد فلان ان ذلك لولده لصلبه فان لم يكن ولد لصلبه فهو لولد ابنه ولا
يدخل اولاد البنات في هذه الوصية على ظاهر الروايتين فاما قوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فمعناه
ان كانت الاولاد نساء اكثر من اثنتين ليس معهن ذكر فلهن ثلثا ما ترك من المال والباقي للعصبة قال صلى الله
عليه وسلم ما ابقت الفرائض فلاولى عصبة ذكر واما قوله عز وجل وان كانت واحدة من قرا واحدة
بالنصب وهو الاجود فتقديره وان كانت المولودة واحدة ومن قرا واحدة بالرفع فعلى معنى وان
وقعت مولودة واحدة بين اصحاب المواريث فلها نصف ما ترك الميت من المال واما بنات الابن فهن
بهذه المنزلة اذا لم يكن للميت بنات الصلب فان قال قائل لم اعطيتم الابنتين الثلثين وفي الاية
ايجاب الثلثين لاكثر من الابنتين قيل له في فحوى الاية دليل بيان فرض الابنتين لان اول هذه الاية
يقتضي في اول العدد وهو ذكر وانثى ان للابنة الواحدة مع الابن الثلث فاذا كان لها مع الذكر الثلث
كانت باخذ الثلث عند عدم الذكر اولى فاحتجنا الى بيان حكم ما فوق الابنتين فلذلك نص على حكم ما
فوقهما يدل عليه انه اذا كان للابن الثلثان وللابنة الثلث دل ان نصيب الابنتين الثلثان
لان الله تعالى جعل للذكر مثل حظ الانثيين وجواب اخر ان الله عز وجل جعل للاخت من الاب والام
النصف في اخر هذه السورة كما جعل للابنة الواحدة النصف في هذه الاية وجعل للاختين هنالك
الثلثين فاعطينا الابنتين الثلثين قياسا على الاختين في تلك الاية واعطينا جملة الاخوات الثلثين
قياسا على البنات في هذه الاية ولا خلاف بين اهل العلم ان للابنتين الثلثين الا شيئا يروى عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه جعل للابنتين النصف كنصيب الواحدة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
اعطى ابنتي سعد بن الربيع حين قتل شهيدا الثلثين من ماله وامهما الثمن وجعل الباقي لعمهما واما قوله

ولد م

عز وجل لكل واحد منهما السدس مما ترك الميت من المال ان كان له ولد او لابنه وهذا بيان ما يستحقه
الابوان مع الولد بالفرض لا بيان جميع ما يستحقانه بالميراث مع الولد فانه قد بين بدء مبدا نصيبهما على ذلك
الا ترى ان الميت اذا ترك ابنة وابا فللابنة النصف والباقي للاب فاذا ترك ابنة واما فللابنة النصف
وللام السدس ويكون الباقي ردا عليهما على قدر سهمهما واذا ترك ابنة وابوين فللابنة النصف و
للابوين السدسان ويكون الباقي ردا عليهما بالفرض وبقي السدس يستحقه الاب بالتعصيب وان كان
الولد ذكرا فللابوين السدسان بحكم النص والباقي للابن لانه اقرب تعصيبا من الاب وفي هذا بيان انه
اذا كان مع الاولاد ذوو سهام نحو الابوين والزوج والزوجة انهم متى اخذوا سهامهم كان الباقي بعد
السهام بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين وهذا قالوا ان الاناث من اصحاب الفرائض اذا اختلطن
بالذكور صرن عصبة وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول ان الولد يحجبون الام من الثلث الى السدس
وان لم يرثوا نحو ان يكونوا كفارا او مملوكين او قاتلين لان الله عز وجل لم يفرق في هذه الاية بين الولد الكافر

والمسلم

المسلم وقال عمر وعلي وزيد بن ثابت رضي الله عنهم للام الثلث وما بقي فللاب وجعلوا الكافر والرقيق بمنزلة
الميت وحملوا الاية على ولد يحوز الميراث اذ لا خلاف بينهم ان ابن الميت اذا كان كافرا لم يحجب ابا الميت وقال
من يستدل بقول ابن مسعود رضي الله عنه لم يحجب الولد الكافر الام دون الاب وظاهر قوله تعالى لكل واحد منهما
السدس مما ترك ان كان له ولد يقتضي حجب كل واحد منهما عن ما زاد على السدس واما اذا اجتمعت الابنة
وابنة الابن فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى للابنة
بالنصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت من الاب والام ولهذا قالوا ان الاخت
من الاب والام مع البنات عصبة وكذلك الاخت من الاب اذا لم يكن للميت اخت لاب وام اما اذا كان للميت
ابنتان وابنة ابن فلا ميراث لابنة الابن الا ان يكون معها ابن ابن في درجتها او اسفل منها فيكون الثلث
الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين في قول عامة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما يحكى عن
ابن مسعود رضي الله عنه واما قوله فما بقي فلابن الابن خاصة وحكم الاخت من الاب والام مع الاخت
من الاب كحكم الابنة مع ابنة الابن واما قوله تعالى فان لم يكن له ولد فمعناه ان لم يكن للميت ولد ذكر ولا
انثى ولا لابنه ولد وورثه ابواه فلامه الثلث مما ورثاه ويكون الباقي للاب بقوله وورثه ابواه واما
قوله فان كان له اخوة اي للميت فلامه السدس مما ترك الميت وما بقي فللاب لقوله عز وجل وورثه
ابواه ونظير هذا قول الرجل هذه الدار لفلان وفلان منها السدس لفلان فان الباقي يكون للاخر وفي الاية
دليل ان الاخوة يحجبون الام عن الثلث الى السدس واقل الاخوة ثلثة لان الجمع الصحيح لا يكون اقل من ثلثة ولا
خلاف ان الحجب يقع بثلثة من الاخوة والاخوات وان ذلك لا يقع بالواحد ثم قال عامة الصحابة ان حكم الاثنين
في هذا حكم الثلاثة لان العرب تسمي الاخوين اخوة والاثنان في حكم الميراث بمنزلة الثلثة كما في الابنتين
والاختين كذلك في الحجب وعن قتادة رضي الله عنه انه قال انما حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب
لانه يقوم بنكاحهم والنفقة عليهم دون الام وذهب جماعة من الصحابة الى ان الجد ابا الاب يحجب الاخوة
لانه يقوم مقام الاب اذا لم يكن الاب في الاحيا وفي الاية دليل ان الابن وابن الابن يحجبان الاخوة لانهما
اقرب تعصيبا من الاب فكانا اولى بحجب الاخوة والاخوة والاخوات من الاب محجوبون بالاخ للاب والام
وقال ابن عباس حكم الاثنين من الاخوة والاخوات في حجب الام كحكم الواحد فاذا كانوا ثلثة حجبوا
الام من الثلث الى السدس وكان السدس لهم والسدس للام والباقي للاب وفي رواية اخرى عنه انه لا يكون
السدس للاخوة الا ان يكونوا اخوة للام دون الاب وكان من مذهبه انه لا يورث من الجدات الا
واحدة وهي ام الام تقوم مقام الام فترث السدس تارة والثلث اخرى وروي ان جدة جاءت الى ابي
بكر رضي الله عنه وطلبت ميراث حافدها فقال لها ابو بكر لا اجد لك في كتاب الله عز وجل شيئا فقام
المغيرة بن شعبة وشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى الجدة ام الام السدس فقال ابو بكر
معك شاهد اخر فجاء محمد بن مسلمة وشهد مثل شهادته فاعطاها ابو بكر الصديق رضي الله عنه السدس
وبهذا الخبر اخذ اصحابنا رحمهم الله وقالوا ان الجدة والجدتين والثلث مشتركات في السدس اذا كن
مستويات الا الجدة الفاسدة وهي ام اب لام واما قوله عز وجل من بعد وصية يوصي بها او دين
فمعناه ان هذه القسمة بعد فضل المال على الدين وبعد امضاء الوصية من الثلث ان كان الميت
اوصى بها ومن قرا يوصي بكسر الصاد فعلى اضافة الوصية الى الميت فان قيل كيف ذكر الله تعالى الوصية قبل
الدين والدين مقدم على الوصية قيل ان كلمة او لا توجب الترتيب ولكنها توجب تاخير قسمة الميراث في
هذه الاية عن احدهما اذا انفرد وعن كل واحد منهما اذا كان احدهما مضموما الى الاخر فكانه قال من بعد

لاحد هذين فاذا كان كذلك لم يعرف بالاية وجوب البداية باحدهما عند اجتماعهما في التركة ولاحتجنا
في معرفة ذلك الى دليل اخر **وقد روي** عن علي كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى
بالدين قبل الوصية وهذا شي قد اجمعت الامة عليه حتى روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قيل له ما
بالنا نقدم افعال العمرة على افعال الحج وقد قال الله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله فقال رضي الله عنه كما
تقدمون الدين على الوصية وقد قال الله تعالى من بعد وصية يوصي بها او دين **واما** قوله عز وجل اباؤكم
وابناؤكم فمعناه ان المذكورين في الاية اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا في الدنيا و
الاخرة اما في الدنيا فقد يكون الولد اكثر نفعا للوالد وقد يكون الوالد اكثر نفعا لولده واما في الاخرة فان
كان الاب ارفع درجة سال الله عز وجل ان يرفع ابنه اليه فيرفع وان كان الولد ارفع درجة سال الله عز وجل
ان يرفع اباه اليه فيرفع وفي هذا جواب طعن الملحدين عن قول بعضهم هلا كان الرجل اولى بالميراث لكونهم قوامين
على النسا الضعاف وعن قول اخرين منهم لو جاز تفضيل الذكر على الانثى في قسمة الميراث والانثى اولى
بالزيادة لعجزها عن التصرف وقعودها عن الحيلة فبين الله تعالى في اخر هذه الاية انه جل ذكره فرض
الفرايض على ما هو عنده حكمة ومصلحة لهم ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع فوضعتم الاموال
على غير حكمة **وقيل** معنى لا تدرون لا يدري احدكم اهو اقرب وفاة فينتفع ولده بماله ام الوالد اقرب وفاة
فينتفع الولد بماله **واما** قوله عز وجل فريضة من الله نصب على الحال والتوكيد من قوله يوصيكم ومعنى ان الله
كان عليما حكيما اي لم يزل كان عالما بالمواريث وغيرها حكيما حين قسمة المواريث على الحكمة قال سيبويه
كان القوم شاهدوا علما وحكمة فخوطبوا على قدر عقولهم فقيل لهم ان الله كان عليما حكيما اي كان
ذلك لم يزل على ما شاهدتم **وعن** الحسن البصري رضي الله عنه ان معناه كان الله عليما بالاشيا قبل خلقها
حكيما فيما يقدر من تدبيره منها ويقال ان الخبر عن الله عز وجل في هذه الاشيا بالماضي كالخبر بالاستقبال
والحال لان الاشيا عنده تعالى على حال واحدة ما مضى وما يكون وما هو كاين قوله عز وجل **ولكم نصف
ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية
يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم
ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث
كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك
فهم شركا في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم**
معناه والله اعلم ولكم يا معشر الرجال نصف ما ترك نساوكم ان لم يكن لهن ولد ذكرا او انثى منكم او من
غيركم ولا لابنايهن ولد فان كان لهن ولد يحوز الميراث من ذكر او انثى او ولد ابن منكم او من غيركم فلكم
الربع مما تركن من المال من بعد وصية يوصين بها او دين اي من بعد قضا دين عليهن او امضا وصية
اوصين بها من الثلث واما قوله عز وجل مما تركتم فمعناه وللنسا الربع مما تركتم ايها الازواج من المال
ان لم يكن لكم ولد يحوز الميراث من ذكر او انثى او ولد ابن منهن او من غيرهن فلهن الثمن مما تركتم من المال
من بعد قضا دين عليكم او امضا وصية اوصيتم بها من الثلث وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
يقول اذا كان للميت زوجة او زوج وابوان كان للام ثلث المال كاملا وقال لا اجد في كتاب الله عز
وجل ثلث ما بقي واما عامة الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجعلون فرض الباقي من الزوجين بعد موت
الاخر استحقاقا على كله الابوين ويجعلون للام ثلث ما بقي من المال بعد فرض الباقي من الزوجين
واما قوله عز وجل وان كان رجل يورث كلالة او امراة ففيه قراتان من قرا يورث بنصب الرا فقد جعل يورث

والحدم

مكلالة

لم

متكلالة كلالة **قال** ابن عباس الكلالة ان يموت الرجل ولا ولد له ولا والد **وعن** ابي بكر وعمر وجابر وقتادة
والزهري رضي الله عنهم ان الكلالة اسم لما عدا الوالد والولد والظاهر ان هذا الاسم في اللغة من كلاله
النسب اي احاطته وسمي الاكليل اكليلا لاحاطته بالراس فيكون معنى الاية يورث بتكلل النسب والوالد
والولد خارجان من ذلك لانهما طرفان للرجل وهما اصل النسب وعموده الذي ينتهي اليهما فيعرى عن معنى الاحاطة
فيما وراهما وهو ان يتكلله النسب من الجوانب وينقطع اطرافه ومن قرا يورث بكسر الرا جعل الكلالة مفعولا
ومن حق المفعول ان يكون منصوبا والها في الكلالة تانيث الجمع وقوله تعالى او امراة عطف على قوله تعالى وان
كان رجل يورث معناه وان كان رجل او امراة يورث كلالة وقوله تعالى وله اخ او اخت لا خلاف بين
الامة ان المراد بالاخ والاخت في هذه الاية الاخ والاخت من الام دون الاب لكل واحد منهما السدس
مما ترك الميت من المال وفي قراة ابي بن كعب رضي الله عنه وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وله اخ او
اخت لام ولهذا قالوا ان الاخ والاخت للام لا يرثان مع الولد وولد الابن ولا مع الاب والجد ابي الاب
ولو خلينا وظاهر اية الكلالة في اخر هذه السورة لكنا نقول ان الاخت من الاب والام لا ترث
مع ابنة الصلب ولكنا تركنا الظاهر بالخبر المروي عن عبد الله بن مسعود على نحو ما تقدم ذكره في الاية
التي قبل هذه الاية **وذهب بعض المفسرين** الى ان الكلالة اسم للميت وصفة له ودخول الها في ذلك كما يقال
علامة ونسابة قالوا والكلالة مصدر من كل يكل كلالة اذا اعيا فيكون معنى الاية يورث على تعب وكلال
واعيا من النسب ويقال يورث وهو كالمعيي ليس له جانب الصعود ولا جانب الهبوط وقد يقام المصدر
مقام الاسم **وروى** طاوس عن ابن عباس ان الكلالة من عدا الولد وكان يورث الاخوة من الام مع
الاب وانما اخرج الولد من الكلالة لانه بعض الميت واما ابو الميت فليس ببعضه فصار كالاخ من الاب
والام **واما** قوله عز وجل فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركا في الثلث معناه ان كانت الاخوة للام
اكثر من واحد فهم كلهم سواء في مقدار الثلث لا يفضل الذكر على الانثى ولا يزاد الاخوة من الام على الثلث
شيا وان كثروا وقوله عز وجل من بعد وصية يوصى بها او دين اي من بعد قضا دين على الميت
او امضا وصية ان كان اوصى بها **واما** قوله عز وجل غير مضار نصب على الحال معناه يوصي بها الميت
غير مضار في حال وصيته بان يزيد على الثلث ويفضل بعض الورثة على بعض بوصية نفسه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث الا ان يجيزها
الورثة **واما** قوله عز وجل وصية من الله نصب على المصدر والتوكيد ومعنى والله عليم حليم بما دبر من هذه
الفرايض حليم حلم عن من عصاه بان اخره وقبل توبته ولا يغترن احد بامهال الله العاصي فانه سيجازيه في
الاخرة وقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم فيما اذا اجتمعت الفرايض وزادت على المال فروي ان عمر
رضي الله عنه اول من اعال الفرايض وقال ارى ان اقسم المال عليكم بالحصص يعني يضرب كل ذي حق بمقدار حقه
كالديون في التركة اذا كانت التركة لا تفي بديون كلهم وهو قول ابن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهما
وعن علي كرم الله وجهه انه سيل عن ابنتين وابوين وامراة فقال صار ثمنها تسعا **وعن** عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما انه كان ينكر العول ويقول ينظر الى اشد اصحاب الفرايض فريضة تغييرا فيدخل
النقص عليه قال وهم البنات والاخوات يتغير فرضهن بمخالطة البنين والاخوة **قال عطا** سمعت
ابن عباس يقول ترون الذي احصى رمل عالج عددا جعل في مال قسمة نصفا ونصفا وثلثا يعني اذا كان
للميت زوج واخت لاب وام واخ واخت لام قال لهذا النصف ولهذه الاخرى النصف فاين موضع
الثلث قال عطا فقلت له ان هذا لا يغني عنك ولا عني شيا لو مت او مت قسم ميراثنا على ما عليه
القوم من خلاف رايك قال ان شاوا فلندع ابناءنا وابناءهم ونساءنا ونساءهم وانفسنا وانفسهم ثم نبتهل فنجعل

الكلام

عليم

ثاني

لعنة الله على الكاذبين ما جعل الله في اسهام نصفا ونصفا وثلثا واختلف الصحابة رضي الله عنهم
في مسئلة المشتركة وهي ان تخلف الميتة زوجها وامها واخوتها لامها واخوتها لابيها وامها قال علي
وابن عباس وابي بن كعب وابو موسى الاشعري رضي الله عنهم للزوج النصف وللام السدس وللاخوة
من الام الثلث وسقطت الاخوة والاخوات من الاب والام وبهذا اخذ اصحابنا رضي الله عنهم وقالوا
ان العصبة لا يرثون الا ما بقي من اصحاب الفرايض واستدلوا باجماع الصحابة كلهم على ان الميتة لو تركت زوجا
واما واخا لام واخوة واخوات لاب وام ان للزوج النصف وللام السدس وللاخ من الام السدس وما
بقي فللاخوة والاخوات من الاب والام للذكر مثل حظ الانثيين لا يدخلون مع الاخ للام في نصيبه وكان
قول عمر رضي الله عنه مثل ما ذكرنا حتى احتج الاخوة من الاب والام فقالوا له يا امير المؤمنين لنا اب
ليس لهولاء ولنا ام كما لهم فان كنتم حرمتمونا بابينا فورثونا بامنا كما ورثتم هولاء بالام واحسبوا
ان ابانا كان حمارا السنا من اصناف رحم واحد فقال عمر رضي الله عنه صدقتم فاشركهم بينهم وبهذا اخذ
مالك والشافعي رضي الله عنهما والله اعلم قوله عز وجل تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم معناه والله اعلم هذه فرايض
الله تعالى التي امركم بها في المواريث وامر اليتامى والحدود هي الامكنة التي لا ينبغي ان يتجاوز وقيل معناه تفصيل
الله عز وجل بين فروضه والحد هو الذي يفصل بين الشيئين ومنه حد الجدار وقوله عز وجل ومن يطع
الله ورسوله اي من يطع حدود الله عز وجل وحدود رسوله صلى الله عليه وسلم في امر المواريث وغيره يدخله
بساتين تجري من تحت شجرها الانهار ويقرا ندخله بالنون والياء اقرب الى لفظ الاية وقوله عز وجل خالدين
فيها نصب على الحال اي يدخلهم مقدرين الخلود فيها كما يقال مررت برجل معه باز صايدا به غدا اي
مقدرا الصيد به غدا ومعنى وذلك الفوز العظيم تلك النجاة الوافرة فازوا بها في الجنة قوله عز وجل
ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين معناه والله
اعلم ومن يعص الله ورسوله في قسمة المواريث فلم يقسمها وذلك ان المنافقين كانوا لا يعطون النساء
والصبيان الصغار من قسمة المواريث شيئا ندخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين قوله عز وجل
واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن
في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما وجماعة من المفسرين في معنى هذه الاية ان النساء اللاتي يزنين من حرايركم من الثيبات
المحصنات فاطلبوا عليهن اربعة منكم من الشهود من احراركم من المسلمين العدول فان شهدوا عليهن
بالزنا فاحبسوهن في البيوت وهي السجون بيوت معروفة في المدينة حتى يتوفاهن الموت في الحبس او يجعل
الله لهن سبيلا مخرجا من الحبس قبل الموت وفي هذه الاية دليل ان القاضي لا يقضي بعلم نفسه في الحدود
وانما يقضي بالاقرار او بالشهادة لان الله عز وجل اثبت الفاحشة في اول الاية ثم امر باستشهاد اربعة
من الشهود واللاتي جمع على غير لفظ الواحدات واما اللواتي فجمع على القياس كالفاعل والفواعل قوله عز
وجل واللذان ياتيانها منكم فاذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا
رحيما قال ابن عباس رضي الله عنهما الفتى والفتاة اللذان لم يحصنا اذا اتيا بالزنا فاذوهما بالسب
والتعيير لهما يقال لهما زنيتما وفجرتما وانتهكتما حرمات الله تعالى وقيل عني بالذين ياتيانها البكرين
لا يحصنا يحدان واراد بالاذى الضرب بالنعال ومعنى فان تابا من الزنا واصلحا العمل بعد التوبة
ويجوز فاعرضوا عنهما لا تسبوهما ولا تعيروهما ان الله عز وجل لم يزل متجاوزا عن التايبين رحيما
بهم بعد التوبة ويجوز ان يذكر كان في مثل هذا الموضع على وجه الصلة كما قال الشاعر

فكيف

فكيف اذا حللت ديار قوم ۝ واخوان لنا كانوا كرام اراد واخوان كرام والغي كان في الشعر
واما الحد المذكور في هاتين الايتين فكان مشروعا في اول الاسلام حين كان التعيير في الناس بمحل محل
الجلد فكان الزانيان يعيران الا المراة المحصنة فانها كانت تحبس في البيوت بلا زوج ولا تخلية عقوبة
لها الى ان تموت او يجعل الله لها سبيلا ثم نسخ هذا الحكم بما روى عن عبادة ابن الصامت عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة وكان هذا النسخ نسخ القران بالسنة ثم نسخ التغريب في البكر
عندنا بقوله عز وجل الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة لان ظاهر تلك الاية
تقتضي ان الجلد بيان لجميع الحكم المتعلق بالزنا اذ لو لم يجعل ذلك كذلك لكان قصورا في البيان في موضع
الحاجة ونسخ جلد الزاني الثيب المحصن لحديث ماعز ان النبي صلى الله عليه وسلم رجمه ولم يجلده وعن
عمر رضي الله عنه انه قال لولا ان الناس يقولون زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله عز وجل لكتبت
على حاشية المصحف ان الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله عز وجل ويتوب الله على
من تاب وقال الشافعي رحمه الله جلد الثيب المحصن منسوخ وتغريب البكر غير منسوخ وعند
داود ومن تابعه من اصحاب الظاهر ليس شيء منهما منسوخا ومن الفقهاء من يقول ان خبر عبادة ليس
بناسخ للقران لان الله عز وجل اوجب الامساك في البيوت الى غاية وخبر عبادة ورد في بيان تلك
الغاية واما من جعل هذا الخبر ناسخا للاية فعلى معنى ان فيه ازالة حكم الاية بالخبر وهذا هو معنى
النسخ فان قيل لو كان الرجم منقولا من جهة الاستفاضة الموجبة للعلم لما انكرته الخوارج باسرها
قيل ان الخوارج لم يجالسوا فقهاء المسلمين ولا نقلة الاحاديث وانفردوا عنهم وردوا اخبار
من ليس على مقالتهم وهذا لا يوجب قطع التواتر الا ترى ان فرايض صدقات المواشي ثابتة
بالنقل المستفيض ولا يعرفها الا فقيه قد سمعها او صاحب مواشي تكثر بلواه بوجوبها وذهب
بعض المتاخرين من اهل التفسير ان المراد بقوله عز وجل واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم المراة
تزني بالمراة ومخرجهن من الحبس ان يقضي الله تعالى لهن لمن يتزوجهن ويقوم عليهن قال والمراد
بقوله عز وجل واللذان ياتيانها منكم الرجل يزني بالرجل وكان الحسن يقول ان الاية الثانية وان
كانت متاخرة من الاية الاولى في التلاوة وهي امارك قبلها وهي منسوخة بالجلد ها قال كان
حد الزاني في الابتدا الاذى باللسان فصار منسوخا بالحبس في البيوت ثم صار الحبس منسوخا بالجلد
والجلد واللذان ياتيانها منكم كناية عن الفاحشة والتصريح بذكر الفاحشة في الاية الاولى
ولا يجوز ان يسبق ذكر الكناية عن المكنى عنه قوله عز وجل انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما معناه انما
التجاوز من الله تعالى بقبول الله تعالى توبتهم للذين يعملون المعصية بجهالة ثم يتوبون من قبل ان
ينزل بهم سلطان الموت لا في وقت المعاينة فاولئك يقبل الله تعالى توبتهم وكان الله عليما
بمن التوبة حكيما حكم بقبول التوبة واتفق اهل التفسير انه لا يجوز ان يكون معنى الجهالة المذكورة في
الاية قليلا ان لا يكون الرجل عاقلا او لا يعلم ان ذلك سيئة فان ذلك ليس بذنب او لو يكن الرجل مفرطا
ثم اختلفوا في معنى الجهالة قال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل ذنب
اذنب العبد فهو جهالة وجهلا فعلها وقال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ذلك وانما سميت المعصية جهالة وجهلا لفعلها ويقال الجهل فاعلها عما يكون عليه من المضرة في
فعلها وما يكون من قدر العقاب عليها فان الانسان وان كان يعلم استحقاق العقوبة على المعصية

ولا يعلم بكنهها وتفصيلها كما يعلم استحقاق الثواب على الطاعة ولا يعلم تفصيله ويقال معنى الجهالة اختيار اللذة الفانية على الباقية وهذا تشبيه بالجاهل في الذم وقلة التحفظ والتحرز كما قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام والا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ومعلوم أن الأنبياء صلوات الله عليهم يعلمون المعصية وعن هذا قال بعض أهل التفسير إن معنى الجهالة في هذه الآية أن يتعمد المعصية وإنما سمي جهالة لأن المؤمن لا يقصد بالمعصية مخالفة الله تعالى ولكنه يعرض نفسه للعقوبة ويحملها على الخطر وذهب بعضهم إلى أن معنى الجهالة أن يكون عاصيا وإن جهل أن ذلك ذنبا إما بتأويل أو إعراض عن النظر مع التمكن من العلم بذلك والتحرز منه قالوا وإنما دخل المتعمد للذنب في هذه الآية لأن التوبة من العمد أوجب من التوبة عن ذنب المتأول وإنما سمى الله تعالى ما قبل معاينة أسباب الموت قريبا لأن كل ما هو آت قريب لأن المرء لا يأمن من المنية في كل وقت وساعة وكل ما يكون هذا صفته فهو موصوف بالقرب ويروى عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال إن السنة لكثير من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال إن الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه ثم قال إن الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال إن اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال إن الساعة لكثير من تاب قبل أن يغرغر بنفسه تاب الله عليه وعن الحسن رضي الله عنه أنه قال لما أهبط إبليس إلى الأرض قال بعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام الروح في جسده قال الله عز وجل وعزتي لا أحجب التوبة عن عبدي ما لم يغرغر بنفسه قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما معناه وليس قبول التوبة للذين يعملون المعصية مقيمين عليها حتى إذا عاين أحدهم أسباب الموت الشرف والنزع ومعاينة ملك الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون على الكفر أولئك خلقنا وهيأنا لهم عذابا مولما وهي النار التي هي مصيرهم إليها وذهب الربيع إلى أن المراد بالذين يعملون السيئات المنافقون ثم عطف الكفرين المجاهرين بالكفر على المنافقين وأما حالة المعاينة فلا يعلمها الحاضرون للميت وإنما يعلمها من حضرته تلك الحالة وإنما لم تقبل التوبة عند المعاينة لأنه يصير عند ذلك ملجأ إلى فعل الحسنات وترك القبائح ومن يكون بهذه الصفة لا يكون مكلفا لأنه لا يستحق المحمدة على فعله ولا المذمة وإذا زال عنه التكليف لم تقع منه التوبة ولهذا لا يكون أهل الآخرة مكلفين قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا

قال عبد الله بن عباس كانوا في الجاهلية وأول الإسلام إذا مات رجل له امرأة وله ولد من غيرها أو وارث غيره لابن ألقى ثوبه عليها فورث نكاحها بالصداق الأول يقول أنا ولي زوجك [illegible] فإن كانت جميلة أمسكها ودخل بها وإن لم تكن جميلة طول عليها لتفتدي منه فأتت كبشة بنت معن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أبا قيس بن الأسلت توفي وولي نكاحي ابنه حصن بن أبي قيس وقد أضر بي وطول علي فلا هو ينفق علي ولا هو يخلي سبيلي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعدي في بيتك حتى يأتي فيك أمر فأنزل الله عز وجل هذه الآية ومعناها يا أيها الذين آمنوا أقروا وصدقوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء جبرا وأما قوله عز وجل ولا تعضلوهن فمعناه والله تعالى أعلم إذا لم يكن لكم حاجة في صحبتهن فلا تمنعوهن تخلية سبيلهن حتى يفتدين ببعض مالهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة قال الحسن وأبو قلابة والشعبي هو الزنا إذا اطلع الرجل منها على زنية حل له أن يحبسها ولا يطلقها حتى تفتدي

بما أعطاها

بما أعطاها من المهر فيخالعها على ذلك وقال ابن عباس والضحاك وقتادة إن الفاحشة في هذه الآية النشوز وإذا نشزت حل له أن يأخذ منها الفدية ومن قرأ مبينة بكسر الياء فعلى معنى مبينة خبثها وقوله وعاشروهن بالمعروف أمر للأزواج بعشرة نسائهم بالجميل وهو أن يوفيها حقها من المهر والنفقة والمبيت ويترك أذاها بالكلام الغليظ والإعراض عنها والعبوس في وجهها بغير ذنب منها وقوله تعالى فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا فيه بيان الخيرة ربما كانت للعبد في الصبر على ما يكرهه يقول لعلكم أيها الأزواج أن تكرهوا شيئا من صحبتهن إياكم ويجعل الله فيه خيرا كثيرا بأن يرزق لكم منهن ولدا فتظهر بعد ذلك الألفة والموافقة وينقلب لكراهة الألفة والنفور ميلا ويقال أراد بالخير الكثير ما يستفيده الزوج من أمور الآخرة وثوابها وحسن الذكر على تكلف الإنفاق عليهن ويقال معناه عسى أن يقضي الله عز وجل بالفراق على وجه حل وجمل فيستبدل المرأة من هو خير لها منه ويستبدل بها من هي خير له منها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق معنى هذه الآية وهو ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أبغض الحلال إلى الله جل ذكره الطلاق وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا ولا تطلقوا فإن الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات قوله عز وجل وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا معناه والله أعلم إن أردتم تخلية المرأة وأردتم أن تستبدلوا مكانها أخرى ولم تريدوا وآتيتم إحداهن قنطارا أي مالا عظيما وقد تقدم تفسير القنطار في آل عمران فلا تأخذوا منه شيئا أي إذا لم يكن من المرأة فاحشة من نشوز أو زنا فلا تأخذوا منه شيئا مما أعطيتموها أتأخذونه بهتانا أي ظلما وإثما مبينا ذنبا ظاهرا والبهتان هو الباطل الذي يتحير من بطلانه ومن ذلك سمي الكذب العظيم بهتانا لأن من يواجه به يتحير ويتحير المكذوب عليه لعظمه وأصل البهت التحير قال الله عز وجل فبهت الذي كفر أي تحير لانقطاع حجته وإنما سمى الله تعالى أخذ الظلم منها بغير حق بالبهتان لأن الزوج لما استعمل المكر والخداع في أخذ ما أعطاها صار في الوزر بمنزلة من يكذب ويوهم أن الذي قاله حق قوله عز وجل وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا معناه كيف تستحلون أخذ شيء مما آتيتموهن وقد وصل بعضكم إلى بعض قال ابن عباس الإفضاء كناية عن الجماع وقال جماعة من أهل التفسير إذا كان معها في لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها فقد وجب المهر والعدة وعن زرارة بن أوفى أنه قال قضى الخلفاء الراشدون المهديون أنه من أغلق على امرأة بابا وأرخى سترا فقد وجب المهر والعدة وذكر الفراء أن الإفضاء هو الخلوة وإن لم يقع دخول كأنه ذهب إلى أن الإفضاء مأخوذ من الفضاء وهو المكان المتسع الذي ليس فيه بناء ولا حاجز يمنع إدراك ما فيه فسميت الخلوة إفضاء لوصول الزوج بها إلى جميع ما يقصده من الوطء والدخول في موضع لا مانع فيه من ذلك والفراء حجة فيما علمه من اللغة وأما قوله عز وجل وأخذن منكم ميثاقا غليظا معناه أخذن منكم عهدا وثيقا وهو ذكر المهر في النكاح ويقال هو ما اشترط الله تعالى للنساء عليكم على الرجال من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وكان يقال للناكح في صدر الإسلام الله لتمسكن بمعروف أو لتسرحن بإحسان وفي الآية دليل أن الفرقة إذا وقعت بعد الدخول بوجه من الوجوه إما بردة المرأة أو بمعنى من جهة الزوج أنه لا يسقط شيء من المهر قوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا روي أنهم كانوا بعد نزول قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها وإذا رضيت المرأة أمسكها ولي الميت برضاها على حكم النكاح وإذا سخطت تركها فحرم الله تعالى ذلك عليهم بهذه الآية ومعناها لا تتزوجوا ما تزوج آباؤكم من النساء ويقال إلا

نطلوا من وطي اباؤكم واسم النكاح يقع على العقد والوطي جميعا وهو في اصل اللغة للجمع بين الشيئين
تقول العرب انكحنا الفرا فسنرى اي جمعنا بين حمار الوحش والاتان فسنرى ما يحدث منهما و
هذا مثل يضربونه في الامر يتشاورون فيه ويجتمعون عليه ثم ينظرون الى ما يصير ثم كان الشيخ ابو
الحسن الكرخي يقول ان قوله ما نكح اباؤكم مراده الوطي دون العقد لان حقيقة لفظ النكاح للوطي
اذ الجمع يحصل به لا بالعقد لان العقد انما سمي نكاحا مجازا لانه سبب يختص باباحة الوطي ويتوصل
به اليه كما يسمى الشي باسم غيره اذا كان منه بسبب او مجاورا له قال الا انا انما اوجبنا تحريم امراة الاب اذا
لم تكن موطوءة بغير هذه الاية وقد اختلف اهل العلم في ثبوت حرمة المصاهرة في الزنا ولا خلاف بينهم
ان الوطي بالشبهة وبملك اليمين مع عدم النكاح يوجب من الحرمة ما يوجبه عقد النكاح وانه لا يحل
للابن من الجواري ما وطيهن ابوه ولا ما مسهن ابوه بالشهوة في ملك اليمين واما قوله عز وجل الا ما
قد سلف فمعناه سوى ما قد سلف في الجاهلية من نكاح منكوحة الاب كان ذلك معفوا لكم
لا تواخذون به وهذا استثنا منقطع لان الماضي لا نهي اباحته ولا تحريمه وهذا كما يقال لا القى
فلانا الا ما لقيت يراد بذلك لكن ما لقيت لا لوم عليك فيه وتاول بعض اهل التفسير الا ما قد سلف
على ان المراد به الا ما تزوجتموها منهن قبل نزول الاية فامسكوها وهذا خطا لم يروا ان النبي صلى الله
عليه وسلم اقر احدا على نكاح امراة ابيه وان كان في الجاهلية ولو كان اقر احدا على ذلك لنقل و
استفاض واما قوله عز وجل انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ذهب الزجاج الى انه لا يجوز
ان يجعل كان زايدة في هذا الموضع لانها لو كانت زايدة لم تنصب خبرها كما لم تنصب في البيت
الذي تقدم ذكره واخوان لنا كانوا كرام ولكن المعنى ان نكاح امراة الاب كان فاحشة فيما سلف
لانهم كانوا يسمون هذا النكاح في الجاهلية نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي فاعلمهم
الله عز وجل ان هذا الذي حرم عليهم لم يزل منكرا في قلوبهم ممقوتا عندهم والمقت هو البغض
عن امر قبيح يركبه صاحبه والفاحشة اسم لما يقبح ذكره فيما بين الناس وذهب اكثر اهل التفسير الى
ان المراد بالاية انه فاحشة بعد نزول التحريم لان مثل هذا لا يسمى فاحشة الا بعد قيام حجة
السمع عليهم بتحريمه ولم تقم الدلالة على ان حجة السمع كانت قائمة عليهم من جهة الرسل المتقدمين
ولا يمتنع ان يكون لفظ كان عاملا في الخبر وان لم يتم فيه معناه فيكون نصب الخبر للفظ دون المعنى
واما قوله عز وجل وساء سبيلا وهو لتاكيد التحريم وبيان ان نكاح امراة الاب طريق سوء يؤدي
الى جهنم وسبيلا نصب على التمييز وبالله التوفيق قوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن
فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين
الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
حرم الله عز وجل من النساء اربعة عشر صنفا سبعة بالنسب وسبعة بالسبب وتلا هذه
الاية ثم قال والسابعة في قوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف والمراد بالامهات
في هذه الاية تحريم نكاح الامهات ولا خلاف ان الجدات وان بعدن محرمات لان اسم الامهات
يشملهن كما ان اسم الاباء يتناول الاجداد وان بعدوا وانما جاز حمل اللفظ الواحد على الحقيقة و
المجاز جميعا حرم الجميع بالاية وحمل الاية على الحقيقة خاصة حرم الجدات ونساء الاجداد بالاجماع
واما قوله وبناتكم معناه نكاح بناتكم واسم البنات يتناول الاولاد وان سفلن وقوله واخواتكم يشمل

على

على الاخوات من الاب والام ومن الاب ومن الام واما وعماتكم فهن اخوات الاباء وخالاتكم اخوات الامهات
وقد دخل في هذا تحريم عمات الاب والام وخالات الام والاب لان اسم العمات والخالات يتناولهن فاما
بنات العمات وبنات الخالات فلا يسمين عمات ولا خالات فلا يدخلن في التحريم واما بنات الاخ والاخت
فقد افردهن الله عز وجل بالذكر لان اسم الاخوات لا يتناولهن كما يتناول اسم البنات بنات الاولاد فنص الله
عز وجل على تحريمهن وهؤلا السبع من المحرمات من جهة النسب بنص التنزيل ثم ذكر عز وجل تحريم الرضاع
فقال وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وفي هذا بيان ان اسم الامومة والاخوة يثبت بالرضاع لانا لو جعلنا قوله
تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم بمنزلة قول القايل وامهاتكم اللاتي اطعمنكم وكسونكم لبطلت فايدة قوله اللاتي
ارضعنكم لان في ابتدا الاية تحريم الامهات على الاطلاق وامهات الرضاع عطف على ذلك وقد
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال لا رضاع بعد الفطام وقال عليه السلام تحرم الجرعة والجرعتان من اللبن ما تحرم الحولان
الكاملان وعن عايشة رضي الله عنها ان افلح اخا ابي القعيس جا يستاذن عليها بعد نزول اية الحجاب
وكان عمها من الرضاعة قالت فابيت ان اذن له حتى اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ليلج عليك فانه
عمك فقلت انما ارضعتني المراة ولم يرضعني الرجل فقال صلى الله عليه وسلم ليلج عليك فانه عمك وكان ابو قعيس
زوج المراة التي ارضعت عايشة رضي الله عنها وسيل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل له امراتان
ارضعت هذه غلاما وهذه جارية هل يصلح للغلام ان يتزوج الجارية فقال لا اللقاح واحد وفي
هذا اشارة الى ان اللبن حصل من ما الرجل والمراة كما ان الحمل منهما وفي لبن الفحل خلاف بين اهل العلم هل يوجب
التحريم ام لا يوجب والاكثر على انه يوجب التحريم ثم ذكر الله عز وجل تحريم الصهار فقال عز من قايل وامهات
نسائكم قال ابن عباس وعطا وسعيد بن جبير رضي الله عنهم ان ام المراة مبهمة تحرم على زوج ابنتها بنفس
العقد واما قوله عز وجل وربائبكم اللاتي في حجوركم فمعناه وبنات نسائكم من غيركم والربيبة المربوبة
سميت ربيبة لان زوج المراة هو الذي يربيها في العادة كما يقال قتيل بمعنى مقتول وقد يسمى زوج المراة
ربيبا بمعنى الراب كما يقال شهيد بمعنى شاهد وخبير بمعنى خابر ويروى عن علي كرم الله وجهه ان الربيبة
اذا لم تكن في حجر زوج الام وكانت في بلد اخر ثم فارق الزوج الام بعد الدخول انه جايز له ان يتزوجها
الا ان هذه الرواية لم تثبت ولم يقبلها اهل الحديث ولا خلاف اليوم بين اهل العلم ان تربية زوج المراة
ابنتها وكونها في حجره لا يكون شرطا في تحريمها عليه الا ان الله عز وجل ذكر الحجور في هذه الاية على غالب
الناس ان الاعم الاكثر ان زوج الام هو الذي يربي ابنتها فخرج الكلام على وفق العادة دون الشرط وهذا
كقوله عز وجل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد ومعلوم ان المعتكف لا يحل له الجماع وان كان
قد خرج من المسجد لحاجة الا ان الغالب من حال العاكف انه يكون في المسجد فقرنه بذكر المسجد واما
قوله عز وجل من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فمن الناس من رد هذا الشرط على قوله من نسائكم وعلى قوله
وامهات نسائكم فشرط الدخول بالنساء في المسالتين في ثبوت التحريم المذكور في الاية على معنى ان الله عز
وجل عطف حكما على حكم وعقبهما بشرط الدخول بقوله اللاتي دخلتم بهن وهو قول بشر بن غياث وغيره
الا ان هذا لا يصح لان قوله عز وجل وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها وقوله عز وجل وربائبكم عاقبة من
شرط الدخول جملة اخرى مستقلة بنفسها فلم تجز بنا احدى الجملتين على الاخرى ولو جعلنا شرط الدخول
راجعا الى الاول لخصصنا عموم اللفظ الاول بالشك قال اهل النحو ان لفظ نسائكم من قوله وامهات نسائكم
مخفوض بالاضافة وقوله من نسائكم مخفوض بحرف الجر فلا ينصرف الشرط الا الى الثاني فان من قال [illegible]
بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات لا يكون هذا النعت الا للنساء زيد لان كل واحد من لفظي النساء

معمول لعاملين على حدة فلو صرف النعت إليهما لصار معمولا لعاملين وأما قوله عز وجل فإن لم تكونوا دخلتم
بهن فلا جناح عليكم فإن لم تكونوا دخلتم بنسائكم فلا حرج عليكم في تزويج الربائب إذا طلقتم أمهاتهن
قبل الدخول أو ماتت أمهاتهن قبل دخول الزوج بهن روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
أنه كان يقول لا تحرم أم المرأة بنفس العقد فلما قدم المدينة كلمه في ذلك عمر وعلي رضي الله عنهما
فقالا إنها مبهمة فرجع إلى قولهما وأما قوله عز وجل وحلائل أبنائكم فمعناه ونكاح نساء أبنائكم
الذين من أصلابكم وإنما سميت امرأة الابن حليلة لأنها تحل معه في الفراش فيكون هذا الاسم من
الحلول ويقال سميت حليلة لأنها محللة له أي حلال وأما أمة الابن فلا تسمى حليلة له ولا
تحرم على الأب ما لم يطأها الابن وقوله عز وجل من أصلابكم ليس هو على ما ظن بعض الناس أن شرط
الصلب في هذه الآية لإخراج امرأة الابن من الرضاع عن التحريم بل امرأة الابن من الرضاع بمنزلة
امرأة الابن من الصلب في الحرمة وإنما شرط الله تعالى وهو أعلم كون الابن من صلبه لإخراج امرأة
الابن من التبني عن التحريم فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج امرأة زيد بن حارثة بعد ما فارقها
زيد تكلم فيه المشركون وقالوا إن محمدا صلى الله عليه وسلم تبنى هذا ثم تزوج امرأته وكانوا يجعلون
الابن المتبنى بمنزلة الابن من الصلب في الميراث والحرمة فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله تعالى
ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله وأما قوله عز وجل وأن تجمعوا بين الأختين فهو في موضع الرفع
ومعناه وحرم عليكم أن تجمعوا بين الأختين وهذا يقتضي تحريم الجمع بينهما في النكاح وصورة الجمع
أن يتزوج الرجل الواحد أختين معا أو يتزوج أختين في عقدين ثم لا يدري أيتهما كانت هي الأولى
وأما إذا تزوج امرأة ثم تزوج بعد ذلك أختها وهو يعلم الثانية فنكاح الثانية حرام لأن الجمع
حصل بالثانية دون الأولى ومن الجمع أيضا أن يجمع بين وطء الأختين في ملك اليمين وقد كان في
هذا خلاف بين السلف ثم زال وحصل الإجماع على التحريم روي أن رجلا سأل عثمان رضي الله عنه عن الجمع
بين وطء الأختين في ملك اليمين فقال حرمتهما آية يعني هذه الآية وأحلتهما آية يعني قوله إلا ما
ملكت أيمانكم وأما أنا فلا أفعله فخرج الرجل من عنده فلقي عليا كرم الله وجهه فذكر ذلك له فقال
لو أن [illegible] من هذا الأمر شيئا لجعلت على من فعل ذلك نكالا فغلب الفقهاء جهة التحريم على جهة
الإباحة ومن [الجمع بين] الأختين أيضا أن يتزوج إحداهما والأخرى معتدة منه في طلاق بائن أو رجعي لأن
ذلك جمع بينهما في استحقاق [النسب] ووجوب النفقة والسكنى وذلك حكم من أحكام النكاح كما أن الجمع
في الوطء حكم من أحكام النكاح وذهب [بعض] أهل العلم إلى أن المعتدة إذا كانت معتدة من طلاق بائن أو
ثلث حل للرجل أن يتزوج أخت معتدته هذا [والله] أعلم وأما قوله إلا ما قد سلف فمعناه إلا ما مضى في
الجاهلية فإنه معفو لكم إذا تبتم عنه وعن ابن [عباس] رضي الله عنهما قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما
حرم الله تعالى من النساء إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين لأن الله تعالى قال في هذين الفصلين إلا ما قد
سلف وقوله عز وجل إن الله كان غفورا رحيما معناه أن [الله] غفور رحيم لا يؤاخذكم بما كان منكم قبل
التحريم وقد ألحق الفقهاء بالجمع بين الأختين ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تنكح المرأة
على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها إلى [آخر] الخبر إلا أن منهم من عول على هذا الخبر
فقال هو خبر تلقته الأمة بالقبول يجوز الزيادة بمثله على الكتاب ومنهم من قال هو مفهوم من تحريم
الجمع بين الأختين لأنهما شخصان لو قدرنا أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يحل النكاح بينهما من الطرفين
فكانا في معنى الأختين وبالله التوفيق قوله عز وجل والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم
كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم

به

به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة
إن الله كان عليما حكيما أول هذه الآية عطف على الآية المتقدمة المعنى وحرم عليكم
ذوات الأزواج اللاتي أحصن بالأزواج إلا ما ملكت أيمانكم أي إلا ما أفاء الله عليكم من السبايا ما
روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن المسلمين أصابوا يوم أوطاس سبايا لهن أزواج من
المشركين فتأثم المسلمون من وطئهن وقالوا لهن أزواج في دار الحرب فأنزل الله تعالى هذه الآية فنادى
منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا الحيالى حتى يستبرئن بحيضة
ولا يجوز أن يقال سبايا أوطاس كن ثيبات وكن لا يحللن للمسلمين لأن الوثنية إذا عرض عليها
الإسلام فأسلمت حلت للمسلمين إذا وقعت الفرقة بينها وبين زوجها وذهب بعض الصحابة وهو أبي
بن كعب وابن مسعود وجابر وغيرهم إلى أن الأمة إذا خرجت من ملك مولاها إلى ملك رجل آخر حرمت
على زوجها بأي سبب خرجت حتى روي عن عبد الله بن عباس أنه قال طلاق الأمة ست طلاقها
وبيعها وهبتها وميراثها وسبيها وصدقتها وأنكر عمر وعلي وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم
هذا القول وقالوا إنما نزلت هذه الآية في السبايا خاصة بدليل ما روي أن عائشة رضي الله عنها
اشترت بريرة وأعتقتها فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان زوجها عبدا أسود يسمى
مغيثا وعن عبد الله بن مسعود في المشتراة روايتان وروي عن عبد الله بن عباس في رواية أخرى مثل
قول عمر وعلي رضي الله عنهم وقال مالك والشافعي إذا سبيت المرأة بانت من زوجها سواء كان معها
زوج أو لم يكن استدلالا بظاهر قوله عز وجل إلا ما ملكت أيمانكم ولا يخلو مراد الله تعالى في المعنى
الموجب للفرقة في المسبية من أحد وجهين إما اختلاف الدارين أو حدوث الرق في الزوجين أو حدوث
الملك في المرأة بالسبي ولما ذكر الله تعالى آية الهجرة في سورة الممتحنة ورفع الجناح عن نكاح المهاجرات
علم أن المعنى الموجب للفرقة في المسبية تباين الدارين ولو كان قوله عز وجل إلا ما ملكت أيمانكم على ظاهر
العموم لكان يقع الفرقة بحدوث الملك بالشراء ونحوه وقد وافقنا الخصم على نفي وقوع الفرقة بذلك
وأما قوله عز وجل كتاب الله عليكم فمعناه هذا ما حرم الله تعالى عليكم في الكتاب وقوله كتاب الله
منصوب على التوكيد أي كتب الله عليكم في الكتاب هذا ما حرم الله تعالى عليكم في الكتاب وقوله كتاب
كتابا ويجوز أن يكون منصوبا على جهة الأمر أي الزموا كتاب الله وقيل إن العامل فيه عليكم المحذوفة
دون المذكورة تقديره عليكم كتاب الله أي تمسكوا بكتاب الله عليكم وأما قوله وأحل لكم ما وراء ذلكم
فمعناه وحل لكم ما سوى المحرمات من قرأ أحل بالنصب فهو نسق على قوله كتاب الله عليكم ومن قرأ
بضم الهمزة وكسر الحاء فهو معطوف على قوله حرمت عليكم أمهاتكم وقوله تعالى أن تبتغوا بأموالكم معنى
أحل لكم نكاح ما سوى المحرمات أن تطلبوا بأموالكم ناكحين أعفاء عن الزناة وفي هذا دليل أن بدل البضع لا
يجوز إلا أن يكون مالا وما يستحق به تسليم مال ولهذا قال أصحابنا إن تعليم القرآن لا يجوز أن يكون
صداقا لها عند أبي حنيفة ولو جاز ذلك لجاز التزوج على تعليم الإسلام وذلك باطل بالإجماع وكذلك
خدمة الزوج لا يكون صداقا عند أبي حنيفة وأبي يوسف وفي تقدير الصداق خلاف بين أهل
العلم روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال لا مهر أقل من عشرة دراهم وهكذا روي مرفوعا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبه أخذ أصحابنا وقال مالك أقل المهر ربع دينار وقال الشافعي يجوز بقليل المال
وكثيره وأصل الإحصان في اللغة من المنع ومنه سمي الحصن حصنا لأنه يمنع من العدو ومنه الدرع
الحصينة أي المنيعة والحصان بكسر الحاء الفحل من الأفراس لمنعه راكبه من الهلاك والحصان بالفتح
العفيفة من النساء لمنعها فرجها من الفساد قال حسان في عائشة رضي الله عنها

مالا ه

حصان رزان ما تزن بريبة ، وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ، وأما الاحصان في القرآن فهو يقع
على معان مختلفة منها النكاح كما في أول هذه الآية ومنها الحرية كما في قوله عز وجل والمحصنات من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم ومنها الاسلام كما في قوله عز وجل فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن
نصف ما على المحصنات معناه اذا أسلمن ومنها العفة كما في قوله عز وجل والذين يرمون المحصنات
ويتعلق بالاحصان الشرعي حكمان أحدهما ايجاب الحد على قاذف المحصنة ويعتبر في ثبوت احصان
المقذوف العفاف والحرية والاسلام والعقل والبلوغ فلا يجب الحد على قاذف المجنون والصبي والزاني
والكافر والعبد ، والآخر هو الاحصان الذي يتعلق به الرجم اذا زنى ويعتبر في ثبوت ذلك الاحصان
الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والنكاح الصحيح مع الدخول بالمرأة وهما جميعا على هذه الصفة
فان عدم شيء من هذه الخصال في الزاني لم يكن عليه الرجم وأصل السفاح من سفحت الماء اذا صببته
ومنه سفح الدم والدمع ويسمى أسفل الجبل سفحا لأنه موضع مصب الماء وانما سمي الزنا سفاحا
لأنه يسفح الماء بالباطل من غير أن يتعلق بذلك الماء حكم ثبوت النسب ووجوب العدة وسائر
أحكام النكاح وأما قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن روي عن ابن عباس وعطاء وسعيد
بن جبير رضي الله عنهم أن معناه فما استمتعتم بنكاح للذي أبيح لكم منهن فآتوهن أجورهن
فريضة من الله لهن عليكم وللفرض ما يكون في اعلام الايجاب عن الله عز وجل ولهذا لا يجوز اسقاط
المهر في ابتداء العقد وعن ابن عباس في رواية أخرى أن المراد بالاستمتاع الاستمتاع بالنكاح و
بالمتعة الى أجل ويروى عنه أنه سئل عن المتعة أسفاح أم نكاح قال لا سفاح ولا نكاح قيل فما هي قال
المتعة كما قال الله تعالى قيل هل لها من عدة قال نعم عدتها حيضة قيل هل يتوارثان قال لا ثم روي
عن ابن عباس أنه رجع عن القول بالمتعة وقال عند موته اللهم اني أتوب من قولي بالمتعة وقولي في الصرف
في درهم بدرهمين يدا بيد وعن عمر رضي الله عنه أنه خطب حين ولي ثم قال أيها الناس ان الله
أحل لنا المتعة ثلاثا ثم حرمها وأنا أقسم بالله تعالى لا أجد من تمتع الا رجمته الا أن يأتي بأربعة يشهدون
أنه صلى الله عليه وسلم أحلها بعد أن حرمها وعنه أيضا أنه قال لا أوتى برجل تزوج بامرأة الى أجل
الا رجمته بالحجارة وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن المتعة كانت رخصة لأصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم في غزاة شكوا فيها العزبة ثم نسختها آية النكاح وانما سمى الله تعالى المهر أجرا لأنه بدل
عن المنافع كما يسمى بدل منفعة الدار والدابة أجرا وعن هذا استدل أبو حنيفة رحمه الله
أن من استأجر امرأة ليزني بها فزنى بها فلا حد عليه وجعل قول الرجل لها استأجرتك بمنزلة
قوله أمهرتك وقد روي عن عمر رضي الله عنه ما يدل على سقوط حد الزنا في الاجارة وأما
قوله عز وجل ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فمعناه لا اثم عليكم فيما تراضيتم
به من الزيادة والنقصان في المهر بعد الفريضة في ابتداء النكاح وفي هذا دليل جواز الحاق
الزيادة بالعقد خلاف ما قال زفر والشافعي رحمهما الله أن الزيادة تكون هبة مبتدأة لا
تملك الا بالقبض فان قيل لو لحقت الزيادة بالمهر بعد النكاح لتنصف بالطلاق قبل الدخول
قيل ما لا يكون مسمى في نفس العقد يسقط بالطلاق قبل الدخول وان كان لاحقا بالعقد
قبل الطلاق كمهر المثل يجب بعد الدخول أو الموت ويسقط بالطلاق قبل الدخول ومعنى ان
الله كان عليما حكيما ان الله عليم بما يصلح أمر العباد حكيم فيما أمركم به ونهاكم عنه قوله عز وجل
ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم
المؤمنات والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن

بالمعروف

بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فاذا أحصن فان أتين بفاحشة
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم
قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد رضي الله عنهم أن المراد بالطول الغنى والسعة ومعنى
الآية ومن لم يستطع منكم غنى وقدرة أي من لم يجد مالا يتزوج به الحرائر فلينكح مما ملكت أيمانكم أي
ليتزوج بعضكم ولائد بعض من إمائكم وقال جابر بن زيد وربيعة وابراهيم النخعي ان المراد بالطول الهوى
أي من لم يقدر منكم على نكاح الحرائر هوى أي عشقا بأمة من الاماء لا يتسع قلبه لتزوج الحرة فليتزوج
بالأمة التي يهواها من الاماء المؤمنات ومعنى والله أعلم بايمانكم أي هو أعلم بحقيقة الايمان وأنتم تعرفون
الظاهر وليس عليكم أن تبحثوا عن الباطن بعضكم من بعض في الدين ويقال بعضكم من بعض في النسب
أي كلكم ولد آدم عليه السلام وانما قال ذلك لأن العرب كانت تطعن في الأنساب وتفخر بالأحساب
وتعير بالهجنة ويسمي ابن الأمة الهجين فأعلم الله عز وجل أن الأمة في جواز نكاحها كالحرة بذلك
وقوله عز وجل فانكحوهن باذن أهلهن أي انكحوا الولائد باذن مواليهن وأعطوهن مهورهن
يعني باذن أهلهن بالمعروف أي مهرا غير مهر البغي وهو أن يكون عشرة دراهم فما فوقها محصنات
يعني العفائف قرأ الكسائي وحده محصنات بكسر الصاد حيث كان هذا اللفظ في القرآن الا قوله
عز وجل والمحصنات من النساء ، وهكذا روى حفص بن سعد عن ابن كثير وقرأ الباقون كلهم بفتح
الصاد في جميع القرآن وقوله عز وجل غير مسافحات أي غير زانيات معلنات بالزنا ولا متخذات
أخدان أي أخلاء في السر وذلك لأن أهل الجاهلية كان فيهم زوان بالعلانية لهن رايات منصوبة
وبعضهن اتخذن أخدانا في السر حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما كان منهم من يحرم ما ظهر من الزنا
ويستحل ما خفي منه فنهى الله عز وجل من نكاح الفريقين جميعا وقوله عز وجل فاذا أحصن
قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه أي الاماء اذا أسلمن وتزوجن ومن قرأ فاذا أحصن بضم الهمزة
معناه اذا زوجن وأحصن بالأزواج فان أتين بفاحشة يعني الزنا فعليهن نصف حد الحرائر
خمسون جلدة لأن الحرائر من أهل الخطاب اذا لم يكمل احصانهن بالنكاح والدخول فيه والاسلام
كان حدهن في الزنا جلد مائة فاذا كمل فالحد الرجم والمراد هذه الآية تنصيف الجلد لأن الرجم لا
نصف له وكان يقول ان الأمة لا يجب عليها الحد اذا زنت وان أسلمت حتى تتزوج وقال
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ومعنى اذا أحصن بالفتح أسلمن وجعل عليها الحد اذا أسلمت
وزنت وان لم تتزوج وهكذا روي عن عمر رضي الله عنه قال الحسن رضي الله عنه تحصنها الكلام
وتحصينها التزوج وذهب عامة الفقهاء رحمهم الله الى أن الاسلام والتزوج لا يكونان شرطا
في وجوب حد الجلد على الأمة فانها وان لم تكن محصنة بالاسلام والتزويج أقيم عليها نصف
حد الحرة اذا زنت واستدلوا بما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه سئل عن الأمة اذا زنت ولم تحصن فقال صلى الله عليه وسلم ان زنت فاجلدوها
ثم ان زنت فاجلدوها ثم ان زنت فبيعوها ولو بضفير فان قيل فما
فائدة شرط الاحصان في قوله عز وجل فاذا أحصن والأمة تجلد حد الزنا سواء كانت محصنة
بالاسلام والزوج أو لم تكن قيل فائدة ذكر احصان الاماء أن حد الحرة يختلف بالاحصان
وعدم الاحصان وكان يجوز أن يتوهم متوهم أن حد الأمة يختلف أيضا بالاحصان بالاسلام
والزوج كما يختلف حد الحرة بذلك فأوجب الله ذلك الحد بالجلد في الحالة التي يجب فيها
الرجم على الحرة ليعلم أن الاماء لا مدخل لهن في الرجم والله أعلم ومعنى ذلك لمن خشي العنت منكم

الجلد

او تزويج الاما والرضا بنكاحهن عند عدم طول الحرة لمن خشي الزنا منكم ويقال لمن خشي الضرر في الدين
والدنيا منكم وان تصبروا عن نكاح الاما خير لكم وانما قال ذلك لان ولد الامة يكون رقيقا لمولى الامة ولانها
تستخدم في مهاني الحاجات وبين ايدي الرجال والاجانب واما قوله عز وجل والله غفور رحيم فمعناه
غفور لما اصبتم من المحرمات يغفرها لكم بعد التوبة رحيم لا يعجل بالعقوبة على المذنبين والطول في
اللغة ماخوذ من الطول الذي هو خلاف القصر لانه ينال بالغنا معالي الامور كما ينال الطويل ما لا يناله
القصير ومن ذلك التطول وهو الافضال بالغنا ويقال طال فلان فلانا يطول طولا اذا كان له فضل
عليه في القدر واصل الفتى في اللغة الشاب والفتاة الشابة الا ان الامة تسمى فتاة عجوزا
كانت او شابة لان الامة لا توقر توقير الحرة الكبيرة والاخدان جمع الخدن والخدن والخدين الصديق
والعنت في اللغة المشقة الشديدة ويسمى الزنا بهذا الاسم لان الذي عمله يلقى الاثم العظيم في الاخرة
ويقام عليه الحد في الدنيا وقد تعلق اصحاب الشافعي رحمهم الله بظاهر هذه الاية فقالوا اذا كان عند الرجل
من المال مقدار ما يمكنه ان يتزوج به الحرة لا يجوز له ان يتزوج الامة قالوا ولا يجوز للمسلم ان يتزوج بالامة
اليهودية ولا النصرانية ولا يجوز للحر ان يتزوج اكثر من امة واحدة لان خوف العنت يزول بنكاح امة
واحدة قالوا ويجوز ان يتزوج على الحرة لان هذه الاية خطاب للاحرار لان الله تعالى قال من ما ملكت ايمانكم
وليس في هذه الاية عند اصحابنا رحمهم الله على طريق الشرط ولكن معناها من لم يبسط الله تعالى له في الرزق
فليرض بما قسم الله له وليعقد ادون النكاحين ان لم يقدر على اعلاهما كما قال الله تعالى لينفق ذو سعة من
سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله وكما قال عز وجل فان خفتم الا تعدلوا فواحدة وفي
قوله عز وجل من فتياتكم المومنات بيان ان الامة المومنة خير من الحرة الكتابية ولو كان جواز نكاح
الامة للحر مقيدا بحال الضرورة وخوف العنت لكان الحر اذا تزوج حرة على الامة بطل نكاح الامة ولا
خلاف ان نكاح الحرة اذا طرا على نكاح الامة لا يبطل نكاح الامة وعن ابي يوسف رحمه الله انه تاول
هذه الاية على ان وجود الطول هو كون الحرة على ما ورد به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تنكح الامة على الحرة وتنكح الحرة على الامة وهذا تاويل صحيح لان كل من لا يكون عنده حرة فهو غير مستطيع
للطول اليها لان القدرة على المال لا توجب ملك الوطي الا بعد وجود النكاح والله اعلم قوله عز وجل
يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم
معنى الاية والله اعلم يريد الله ان يبين لكم ما تحتاجون الى معرفته من الحلال والحرام وكيفية الطاعة
ويبصركم طريق الذين من قبلكم من اهل التوراة والانجيل يدلكم على طاعة كما دل من قبلكم ويقال يعرفكم طريق
الذين من قبلكم من اهل الصلاح والفساد لتقتدوا بالصالحين ويتوب عليكم اي يتجاوز عنكم ما كان منكم
في الجاهلية والله عليم بما فعلتم ومن يتوب منكم حكيم فيما امركم به ونهاكم عنه وقد اختلف اهل النحو في اللام
التي في قوله عز وجل ليبين لكم قال بعضهم معناها ان يبين لان لام الارادة ولام كي لا يكونان الا للمستقبل وقال
بعضهم اللام مع ما بعده في حكم المصدر لمعنى ارادة الله عز وجل يبين لكم وكذلك وامرنا لنسلم لرب العالمين
اي امرنا بالاسلام لرب العالمين ويقال في معنى الاية يريد الله تعالى ما يريد ليبين لكم وامرنا ما امرنا لنسلم لرب
العالمين وكذلك في قوله عز وجل ردف لكم اي ردفكم ما [illegible] قوله عز وجل والله يريد ان يتوب عليكم
ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما معناه والله يريد ان يدلكم
على ما يكون سببا لتوبتكم ويريد الذين يتبعون الشهوات والمبطلون ان تعدلوا عن القصد والصواب
وتخطئوا خطا عظيما وانما سمي المبطل متبعا للشهوات لان اتباعه للشهوة من غير ان يرجع الى الحق يوقعه
في الباطل وقال السدي اراد بالذين يتبعون الشهوات اليهود والنصارى ويقال اراد به اليهود خاصة

للعبد ه

وقال

وقال مجاهد اراد به الزناة واللفظ عام في الجميع قوله عز وجل يريد الله ان يخفف عنكم
وخلق الانسان ضعيفا معناه يريد الله ان يسهل عليكم فيضع اوزاركم ويحط ذنوبكم و
خلق الانسان ضعيفا لا يستطيع الصبر عما يهواه ويقال يعني ضعيفا اسير الشهوة وفي الاية
بيان ان الله عز وجل انما خفف في تكليف العباد لضعفهم واراد بالضعف ان يضعف الرجل عن احتمال
خلاف هواه لكثرة دواعيه الى الشهوة واللذة لا ان يكون ضعيفا في الخلقة لان الضعيف في الخلقة
والقوة اذا قويت دواعيه الى الطاعة صار في حكم القوي والقوي في الخلقة والالة اذا ضعفت دواعيه
الى الطاعة صار في حكم الضعيف قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما
معناه يا ايها الذين صدقوا بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم لا ياكل بعضكم مال بعض بالظلم وبينة
الزور ويمين الفاجر والربا والقمار وغير ذلك وقوله عز وجل الا ان تكون تجارة استثنا منقطع لان
المستثنى خلاف جنس المستثنى منه لا يدخل الحلال في ذكر الحرام حتى يستثنى منه فيكون معنى الا لكن كانه
قال لكن كلوا ما ملكتم بالمبايعة عن تراض منكم من قرا تجارة بالنصب فمعناه الا ان تكون الاموال تجارة
ومن قرا بالرفع فمعناه الا ان تقع تجارة وقيل ان معنى قراة الرفع اولى لانها ادل على الانقطاع من الاولى
روي انه لما نزلت هذه الاية امتنع الناس عن اكل الاموال بالهبة والهدية والضيافة ونحوها
فانزل الله عز وجل الاية التي في سورة النور ليس على الاعمى حرج الى قوله عز وجل ان تاكلوا من بيوتكم
او بيوت ابائكم واما قوله عز وجل ولا تقتلوا انفسكم فمعناه لا يقتل بعضكم بعضا فانكم اهل دين
واحد ولانكم كنفس واحدة كما ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المومنون كلهم كنفس
واحدة اذا اشتكى عضو تداعى سائر الاعضا بالحمى والسهر وفي بعض الروايات المومنون كالبنيان
يشد بعضه بعضا ونظير هذه الاية قوله عز وجل فسلموا على انفسكم ويقول العرب قتلنا ورب الكعبة
اي قتل بعضنا وقال بعض المفسرين معنى قوله ولا تقتلوا انفسكم لا يقتلن الرجل نفسه عند الضجر والغضب
ويقال معناه ولا تقتلوا انفسكم لطلب المال وهو ان يحمل نفسه على الغرر والمودي الى التلف وربما يتعدى ذلك
الى سبب القتال فيصير هو سببا الى قتل نفسه ومعنى ان الله كان بكم رحيما اي لا يرضى منكم قتل بعضكم بعضا
ولا اكل المال بالباطل فيرجع ضرره عليكم في الدين والدنيا قوله عز وجل ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما
فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا معناه اي من ياكل المال بالباطل ويقتل النفس بغير
عدوانا اي يعني عمدا وجورا بغير حق والعدوان ان يعدو عن ما امر به والظلم ان يضع الشي غير موضعه
يعني اذا فعل ذلك على وجه التعمد فسوف ندخله في الاخرة النار وكان التعذيب على الله سهلا لينا
لا يمنع كثرة رحمته من تعذيب من يستحق العذاب قوله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما معناه ان تتركوا كبائر الذنوب جانبا
نكفر عنكم الصغائر كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس والجمعة الى
الجمعة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وندخلكم مدخلا كريما يعني الجنة والكبائر ما كبر
وعظم من الذنوب قال ابن عباس رضي الله عنهما هي كل شي سماه الله تعالى فيه النار لمن عملها او شي نزل
فيه حد في الدنيا وروي ان رجلا اتى ابن عمر رضي الله عنهما فقال اني اصبت ذنوبا فاحب ان تعد
الكبائر فعد عليه سبعا فقال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واكل الربا واكل مال
اليتيم وقذف المحصن واليمين الفاجرة قال طاوس رحمه الله قيل لابن عباس رضي الله عنهما ما الكبائر
السبع قال هن الى السبعين اقرب منهن الى السبع وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الكبائر

ذكره

لي ه

الا انها الاياس من روح الله والقنوط من رحمة والامن من مكر الله والشرك بالله وقال مقاتل رحمه
الله الكباير ما نهى الله تعالى عنه في اول هذه السورة الى اخر هذه الاية ويقال لا كبيرة مع
الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وليس في الحقيقة هاهنا حد يفصل به بين الصغاير والكباير
ولا تحسين في الحكمة توقيف العباد على الصغاير لانه يكون في ذلك اغرا بالصغاير من حيث ان الانسان
اذا علم ان الصغاير تقع مغفورة ارتكبها ولم ينته عنها وليس المراد بالاخبار الواردة في هذا الباب
قصر الكباير على ما هو مذكور فيها فان قيل اذا لم يكن بين الامرين حد يفصل بينهما فكيف يجوز تعليق
تكفير الصغاير باجتناب الكباير قيل ان الله عرفنا جميع المعاصي ونهانا عنها وحذرنا عن كلها
فلا يحصل التوثق باجتناب الكباير الا بالتحرز عن جميع الذنوب وهذا كالرجل يحذر واحدا عن واحد
من العشرة بغير عينه لا يحصل له التحرز عن ذلك الواحد الا بالتحرز عن جميع العشرة وقوله مدخلا يقرا
بضم الميم وفتحها فمن قرا بضم الميم فهو اسم موضع الادخال من ادخل يدخل وهذه القراة مطابقة اللفظ
لانه يقال ادخل مدخلا ومن قرا بالفتح فهو موضع الدخول قوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به
بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسالوا الله من فضله
ان الله كان بكل شيء عليما قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الاية لا يتمنى الرجل مال اخيه ولا
شيئا مما للغير ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله وهو كذلك في التوراة للرجال حظ من الاجر مما اكتسبوا
من العمل الصالح وللنساء حظ من الاجر مما عملن من العمل الصالح واسالوا الله من رزقه ان الله لم
يزل بكل شيء من اعمال الرجال والنساء عالما قال الكلبي رضي الله عنه وفيها وجه اخر قالت الرجال
ان الله فضلنا على النسا في الدنيا فلنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الاعمال
ولهن اجر واحد كما فضلنا عليهن في الميراث فقالت ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ونسوة
معها ليت الله تعالى كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فانزل الله عز
وجل هذه الاية يقول ان المراة تجزى بحسناتها عشر امثالها كما يجزى الرجل وعن جابر بن عبد الله
رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من اصحابه اذ اقبلت امراة
حتى قامت على راسه صلى الله عليه وسلم ثم قالت يا رسول الله انا وافد النسا اليك ليس من امراة يبلغها
مسيري اليك الا اعجبها ذلك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل رب النساء ورب الرجال
وادم عليه السلام ابو الرجال وابو النسا وحوا عليها السلام ام الرجال وام النسا وبعثك الله عز وجل
الى الرجال والى النسا فالرجال اذا خرجوا في سبيل الله فقتلوا فهم احيا عند ربهم يرزقون وحين
واذا خرجوا فلهم من الاجر مثل ما قد علمت ونحن نحتبس عليهم ونخدمهم فهل لنا من الاجر من شي
فقال صلى الله عليه وسلم اقري النسا مني السلام وقولي لهن ان طاعة الزوج واعترافا بحقه يعدل
ما هنالك وقليل منكن يفعله ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان بدا اكثر المعاصي من القتل
والظلم واخذ مال الغير بغير حق ونحو ذلك انما يكون التمني ولما ذكر الله تعالى من قبل ما يحرم ويحل من
النسا والاموال وغيرها بين ما يكون ثابتا لاهل الدين فيما يتمنون ويسالون فحرم ان يتمنى امرؤ
ما فضل الله به البعض على البعض وهو ان يتمنى ان يزول نعمة غيره اليه وهو الحسد المذموم الذي
الى سخط الله تعالى فيما شاهده من فضل غيره عليه لان هذا التمني لا يقدر على نقل النعيم من غيره الى نفسه
واذا تمنى ذلك فانما يتمنى ان ينقله الله عز وجل اليه والقادر على نقله هو القادر على ابتدا التفضل عليه
بعطاياه وكرمه ولو علم الله عز وجل ان مصلحة هذا المتمني في اعطائه ما اعطى الاخر لاعطاه
لانه لا يمنع من بخل ولا عدم وانما يمنع لحكمة اما لمصلحة له في الحال او لعطية اكثر من ذلك في ثاني الحال او الى

هذا

هذا اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه انه قال لا يسام الرجل على
سوم اخيه ولا يخطب على خطبة اخيه فاطلك من يتمنى ان يحصل له ما قد حصل لغيره وفي ملكه ومن
التمني المذموم ان يتمنى ما يستحيل وقوعه مثل ان تتمنى المراة ان تكون رجلا او تتمنى خلافه او ما يعده او
نحوها من الامور التي لا تكون واما التمني المباح فهو ان يتمنى الرجل ان يكون له مثل ما لغيره من غير ان يريد
زوال النعمة عن غيره كما روى الزهري عن سالم عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا حسد
الا في اثنين رجل اتاه الله مالا فهو ينفق منه اناء الليل والنهار ورجل اتاه الله القران فهو يقوم به
اناء الليل والنهار قوله عز وجل ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين
عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا قال عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما اراد بالموالي العصبة في هذه الاية قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسموا المال بين
اهل الفرايض فما ابقت السهام فلاولى عصبة ذكر ومعنى الاية لكل ميت جعلنا موالي مما ترك وهم
الوالدان والاقربون ويقال معناه لكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا موالي ورثة يرثونه
واقرب العصبات عند الفقها الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم كل من يتصل قرابته بالاباء مثل
الجد والاخوة من الاب والام ثم من الاب ثم الاعمام وابناؤهم وان بعدوا يقدم في ذلك الاقرب فالاقرب
واخر العصبات موالي العتاقة ثم عصبته يكونون عصبة العبد المعتق واولاده ولا خلاف
فيمن لا يتصل نسبه بالميت الا من جهة النسا انه ليس بعصبة وللمولى عدة معان منها المعتق والمعتق
والولي والاولى بالشيء وابن العم والناصر والجار والحليف لان الكل يرجع الى القرب وهو كل من يليك
اما في القرابة او النصرة والحماية او النعمة وكل من والاك في المحبة فهو مولى لك وقد يسمى مالك العبد
مولى لانه يليه بالملك والتصرف واختلفوا اهل العلم في ميراث المولى الاسفل من الاعلى في باب العاقلة
قال عامتهم لا يرث المولى الاسفل من الاعلى وحكى ابو جعفر الطحاوي عن الحسن بن زياد انه قال يرث الاسفل
من الاعلى وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا اعتق عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا المعتق
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه الى غلام المعتق قال ابو جعفر فليس هذا الحديث معارضا
لما وجب اثبات حكمه وتاويل هذا الخبر والله اعلم انه يحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم دفعه اليه لا على وجه
الميراث ولكن لحاجته وفقره لانه كان مالا لا وارث له وكان سبيله الصدقة واما قوله والذين
عاقدت ايمانكم روي عن ابن عباس انه قال كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه ظرف الرجل وجب
في حلفه عاقده وحالفه وقال انت ابني ترثني حرمتي حرمتك ودمي دمك وثاري ثارك فيكون
له بعض ورثته في ماله ترثه مثل نصيب احدهم الا ان ينقص نصيبه عن السدس لكثرة الورثة
فيعطى السدس خاصة لا ينقص منه شي فلما نزلت اية المواريث قام رجل من اهل العقد فقال
كان الرجل منا يا رسول الله يتبع الرجل فيصيب من ماله شيئا معلوما مع ولده وقد انزل الله
تعالى اية المواريث ولم يذكر لنا شيئا فنزلت هذه الاية ثم نسخت بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض ويقال ان المراد بهذه الاية اصحاب الوصايا وما لهم من الحق في ثلث مال الميت لا
يزادون عليه ويقال المراد بها الزوج والمراة والاشبه بظاهر الاية ان يكون نازلة في اثبات
التوارث لان قوله عاقدت ايمانكم يقتضي معاقدة الحلف بين اثنين لان ظاهر الاية تقتضي نصيبا
كان معلوما عندهم وليس معنى قول ابن عباس ان هذه الاية منسوخة نسخ حكمها من الاصل
ولكن معناه تقديم ذوي الارحام على اهل العقد وهو كحدوث ابن لمن له اخ لا يخرج الاخ
من ان يكون من اهل الميراث للحليف وهكذا قال الصحابة الا ان الابن اولى منه كذلك اولو الارحام

اولى من الحليف فاذا لم يكن للميت رحم ولا عصبة فالميراث للحليف ولهذا قال اصحابنا فيمن اسلم
على يدي رجل ووالاه وعاقده ثم مات ولا وارث له غيره ان ميراثه له ولهذا قالوا ان من اوصى
بجميع ماله ولا وارث له صحت الوصية لاهل الوصية وولاء الموالاة يختلفان من وجه وهو ان
ولاء الموالاة لا يتعلق به شي من المال مع العصبة والرحم والوصية يتعلق بها وجوب مقدار ثلث
المال ومعنى ان الله كان على كل شي شهيدا اي لم يزل كان شاهدا على كل شي من اعطا النصيب ومنعه
وقوله عز وجل الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا
من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن
فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان
عليا كبيرا قال ابن عباس نزلت الاية في ابنة محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع وهو احد
النقبا لطمها لطمة فنشزت عنه واستعدت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقتصي منه وكان القصاص بينهم يومئذ في اللطمة والشجة والجراح فنزل
جبريل عليه السلام بهذه الاية ومعناها والله اعلم الرجال مسلطون على ادب النسا بالحق والقيم
والقوام كل من يقوم على الغير فيما يحتاج ويقال هذا قيم المراة وقوامها قال الشاعر
الله بيني وبين قيمها يفر مني بها واتبع وقوله عز وجل بما فضل الله بعضهم على بعض اي جعل الله
عز وجل ذلك للرجال بتفضيلهم على النسا في العقل والراي وبانفاقهم اموالهم في المهور واقوات النسا
فالصالحات قانتات اي المحسنات مطيعات لله في امر ازواجهن وقيل قايمات بحقوق ازواجهن
واصل القنوت مداومة الطاعة ومعنى حافظات للغيب يحفظن فروجهن واموال ازواجهن
في حال غيبة ازواجهن ويدخل في حفظ المراة لغيب الزوج ان تكتم عليه ما لا يحسن اظهاره مما يقف
احد الزوجين على الاخر وقوله عز وجل بما حفظ الله اي بحفظ الله عز وجل اياهن من معاصيه وتوفيقه
لهن ويقال بما حفظهن الله في مهورهن والزام الزوج النفقة عليهن وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير النسا امراة اذا نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك
واذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية واما قوله
عز وجل واللاتي تخافون نشوزهن فمعناه ان النسا اللاتي تعلمون عصيانهن لازواجهن فعظوهن
وقد يجوز ان يوضع الخوف موضع العلم لان خوف الشي انما يكون للعلم بموقعه كما قال ابو محجن الثقفي
فلا تدفنني بالفلاة فانني ۞ اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها ۞ والنشوز الرفع عن الصاحب
ماخوذ من النشز وهو المكان المرتفع والمراد بالوعظ والهجر والضرب في الاية ان يكون ذلك على الترتيب
المذكور فيها لان هذا من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا امكن الاستدراك بالاسهل
والاخف لا يصار الى الاثقل فالاولى ان يبدا الزوج فيقول لها وجدت الناشزة اتقي الله وارجعي الي
واشكي فان اطاعته والا سبها هكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما والهجر الكلام الفاحش يقال
هجر الرجل يهجر اذا هذى واهجر الرجل في منطقه هجرا اهجارا اذا تكلم بقبيح وقال الحسن وقتادة قوله
واهجروهن في المضاجع من الهجر وهو ان لا يقرب فراشها ولا ينام معها لان الله تعالى قرن قوله واهجروهن
بقوله في المضاجع ويقال فلان ثابت اهجره اذا باعدته واذا لم ينفعها الوعظ هجرها زوجها في المضجع فان
كانت تحب زوجها شق عليها الهجران وان كانت تبغضه وافقها ذلك فكان دليلا على ان النشوز
من قبلها فيضربها الزوج حينئذ ضربا غير مبرح ولا شاين كما يودب الرجل ولده ويكون ذلك
موكولا الى رايه واجتهاده على ما يرى من المصلحة فيه ولهذا قيل ان هذا الضرب يتقيد بشرط السلامة

هجرت ه

لان الضرب

الضرب ربما يضر ويزيد في الفساد وربما يكون طريقا الى الصلاح فالاولى ان يضربها بالنعل او اللطم
ضربتين او ثلثا على حسب ما يراه ويقال معنى واهجروهن شدوهن ماخوذ من الهجار وهو ما يشد
به ركب البعير يقال هجر الرجل البعير يهجره هجرا اذا جعل له هجارا ومعنى فان اطعنكم اي فيما تلتمسون منهن
فلا تطلبوا عليهن عللا ولا تكلفوهن الحب لكم فانهن لا يملكن ذلك ان الله كان عليا علا فوق كل شي
كبيرا ولا شي اكبر منه اراد بالعلي العلو في القدرة والقهر لا علو المكان واراد بالكبير الجلال والعظمة
لا كبر الجثة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل في تعليق هذا اللفظ بما سبق كان الله عز
وجل يقول اني مع علوي وكبريائي ارضى من عبادي بالطاعة ولا اخذهم بالحب الذي لا غاية بعده فان
اكثر عبادي من يوثر نفسه علي ولا يخلص حبه لي كل الاخلاص وقد روي في الخبر انه لما شكى الرجال
نساهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم بالضرب اصبح بباب النبي صلى الله عليه وسلم سبعون امراة
يشكون ازواجهن فاقبل على اصحابه بعد الصلوة فقال ان المراة خلقت من ضلع اعوج فان اردتم اقامتها
كسرتموها وان رفقتم استمتعتم بها على عوج ثم قال خيركم خيركم لاهله قوله عز وجل وان خفتم شقاق
بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله
كان عليما خبيرا معناه وان علمتم ايها المومنون بعد العظة والهجران تباعد الزوجين عن الحق وهو ان يكون
كل واحد منهما في شق على حدة في الخلاف الذي بينهما ولم يدر من ايهما جا النشوز فابعثوا عدلا ذا
راي وعقل من اهل الزوج وعدلا من اهل المراة يختار الحاكم حكما من اهله وحكما من اهلها فيخلو الحكم
الزوج به فيقول اخبرني ما في نفسك اتهواها ام لا فانا لا ادري ما اقول وما اعمل حتى ادري ما تريد
فان قال انا اهواها لكنها تسي معاشرتي فعظها وارضها علم ان الزوج ليس بناشز وان قال لا حاجة
لي فيها فرق بيني وبينها وخذ لي منها ما استطعت علم انه ناشز وكذلك يفعل حكم المراة بالمراة ثم
يلتقي الحكمان فيصدق كل واحد لصاحبه فيما سمع فيقبلان على الزوج ان كان ناشزا فيقولان
له يا عدو الله انت العاصي لله الظالم على امراتك ويعظانه ويزجرانه وكذلك يفعلان بالمراة ان كانت
هي الناشزة وذلك قوله ان يريدا اصلاحا اي الحكمين اذا ارادا عدلا ونصيحة الف الله تعالى بين الزوجين
ويقال وفق الله تعالى بين اقوال الحكمين ان الله كان عليما بامر الحكمين خبيرا بنصيحتهما ويقال عليما
بما فيه صلاح الخلق خبيرا بذلك وذهب بعض اهل العلم الى ان الحكمين اذا رايا ان يفرقا بينهما وكذلك اذا
راى الحاكم ان يفرق فعل اذا وقع الاياس عن زوال الشقاق واعتبروا ذلك بالعنة وعلى اصل الشافعي رضي الله
عنه بالتفريق باعسار الزوج عن نفقة المراة فاما عند اصحابنا رضي الله عنهم فليس للحكمين ان يفرقا
الا ان يكونا وكيلين في الخلع من الجانبين وبرضى الزوج يفرقهما لانه لا خلاف ان الزوج لو اقر بالاساءة
اليها لم يجبر على طلاقها قبل تحكيم الحكمين وكذلك لو اقرت المراة بالنشوز لم يجبرها الحاكم على الخلع ولا
على رد المهر وكذلك تحكيم الحكمين واسم الحاكم يتناول كل من نصبه السلطان لامور المسلمين والحكم
كل من يحكم للخصمان فيما بينهما ليجري الصلاح بما يحتاج فيه اليه وليس في هذه الاية دليل جواز
تفريق الحكمين لان ارادة الاصلاح يقتضي ارادة الالفة لا ارادة الفرقة بغير رضى الزوجين وعن عبيدة
السلماني ان رجلا وامراة اتيا عليا كرم الله وجهه مع كل واحد منهما فيام من الناس فقال علي كرم الله
وجهه ما شان هذين قالوا بينهما شقاق قال فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله
بينهما ثم قال للحكمين هل تدريان ما عليكما عليكما ان رايتما ان تجمعا ان تجمعا وان رايتما ان تفرقا
ان تفرقا فقالت المراة رضيت بكتاب الله عز وجل فقال الرجل اما الفرقة فلا فقال علي كرم الله وجهه
كذبت والله لا تنفلت مني حتى ترضى كما رضيت هي وفي اخر هذا الخبر بيان ان فرقة الحكمين لا تكون الا برضى

من اهلها ح

الزوجين والله اعلم قوله عز وجل واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا معناه والله اعلم وحدوا الله واطيعوه ولا تعبدوا معه غيره فان ذلك يفسد عبادته واحسنوا بالوالدين احسانا ويقال معناه استوصوا بالوالدين احسانا وقد يذكر المصدر المنصوب على تقدير فعل محذوف يدل عليه الحال كما يقال عمرا ضربا اي اضربه وصبرا اي اصبر يقول الله عز وجل فضرب الرقاب ومعناه الامر واما قوله وبذي القربى معناه احسنوا بذوي القرابة وباليتامى والمساكين والاحسان المذكور في الاية على وجوه منها المواساة للفقير منهم اذا خاف عليه الضرر الشديد من الجوع او العري ومنها حسن العشرة وكف الاذى عنه والمحاماة دونه ممن يحاول ظلمه وكل ما يكون من مكارم الاخلاق ويدخل في ذلك حسن قيام الاوصيا على اليتامى في اموالهم واما قوله عز وجل والجار ذي القربى معناه ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجيران ثلثة جار له ثلثة حقوق وهو الجار القريب المسلم وجار له حقان وهو الجار المسلم وجار له حق وهو الجار الكافر فعلى هذا يكون معنى الجار الجنب الذي هو من قوم اخرين لا قرابة بينك وبينه ويقال ان الجار ذا القربى هو الذي يقاربك في الجوار تعرفه ويعرفك والجار الجنب هو الجار الغريب المتباعد والجنب في اللغة البعيد واما الصاحب بالجنب فهو الرفيق في السفر والمنقطع اليك رجاء خيرك وبرك ويقال الزوجة ويقال هو جار الرجل في البيت الواحد ومما اوجب الله تعالى من حق الجوار الشفعة لمن بيعت دار الى جنبه وفي ذلك خلاف بين اهل العلم واختلفوا ايضا فيمن اوصى لجيرانه قال ابو حنيفة رحمه الله هو لجيرانه الملاصقين لداره وقال صاحباه هو ولغيرهم من الجيران من اهل المحلة قربوا او بعدوا بعد ان يجمعهم مسجد واحد من بعض مساجد الجماعة واما قوله عز وجل وابن السبيل قال مجاهد والربيع بن انس هو المسافر ومعناه صاحب الطريق كما يقال لطير الما ابن الما وقال قتادة والضحاك هو الضيف ينزل عليك وسمي ابن السبيل لان الضيف كالمجتاز الذي لا يقيم والضيافة ثلثة ايام وما زاد فهو صدقة وقال الشافعي رحمه الله هو الذي يريد السفر ولا نفقة له واما قوله عز وجل وما ملكت ايمانكم فهم الخدم احسنوا اليهم ولا تكلفوهم الا ما يطيقون فانهم لحم ودم وخلق امثالكم وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وما زال يوصيني بالنسا حتى ظننت انه سيحرم طلاقهن وما زال يوصيني بالمملوك حتى ظننت انه سيجعل له مدة اذا انتهى اليها عتق وما زال يوصيني بالسواك حتى ظننت ان احفي فمي وما زال يوصيني بقيام الليل حتى ظننت ان خيار امتي لن يناموا ليلا وكانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم عند وفاته الصلوة وما ملكت ايمانكم قال انس رضي الله عنه جعل صلى الله عليه وسلم يغرغر بهذه الكلمة في صدره وما يفيض بها لسانه ومعنى ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا اي لا يرضى عمل من يختال في مشيته ويفخر على الناس بكبره والفخر من الادمي ضرب من الخيلاء وسميت الخيل خيلا لانها تختال اذا انفردت وهي خالية وقيل انما ذكر المختال في هذه الاية لان المختال يأنف من ذوي قرابته اذا كانوا فقرا ومن جيرانه اذا كانوا كذلك ولا يحسن عشرتهم وفي قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر بيان انه كان مامورا بان يقول هذا القول لانه قال ذلك لا على جهة الفخر الا ترى انه روي في الخبر وفي خبر اخر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى عليه السلام واراد بهذا القول ان يقال على وجه المفاخرة قوله عز وجل الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا يجوز ان يكون اول هذه الاية في موضع النصب بدلا عن قوله مختالا فخورا

ويكون

١٥٠

ويكون نصبا على الذم على معنى اعني الذين يبخلون ويحتمل ان يكون رفعا بالاستيناف وعلى اضمار هم الذين يبخلون قال عبد الله بن عباس وابن مسعود ان المراد بالاية اليهود بخلوا بما كان عندهم من العلم بامر النبي صلى الله عليه وسلم وامروا قومهم بالبخل وهو الكتمان ويقال كانوا لا يعطون من اموالهم شيئا ويأمرون الناس بذلك ويعتادون الاخذ والمنع وقال بعضهم ان الاية عامة في كل من بخل بما اوتي من المال ويكتم ما اعطاه الله من النعم لا يخرج زكوته فعلى هذا يكون المراد بالكافرين اليهود في اخر الاية كافري النعم دون الكفار بالله عز وجل فاما على التاويل الاول فالمراد بالكافرين اليهود والبخل منع الواجب وفيه قرائتان من قرا بضم البا كالجود والشح ومن قرا بالنصب فهو كما يقال عطش يعطش عطشا وحذر حذرا قوله عز وجل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ومن يكن الشيطان له قرينا فسا قرينا نزلت في المنافقين الذين كانوا يراؤن الناس في الانفاق ولا يتصدقون في السر ويقال ان المراد بالاية مشركو مكة انفقوا على الناس وقت خروجهم الى الحرب بدر وفي الاية بيان ان المنفق للريا والسمعة لا يكون خيرا من البخيل واما قوله ومن يكن الشيطان له قرينا فسا قرينا فمعناه من يعمل بما يدعوه اليه الشيطان ويسول له فبئس قرينه الشيطان يغويه في الدنيا ويكون قرينا معه في السلسلة في النار قوله عز وجل وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما معناه اي شي عليهم ويقال ما الذي عليهم لو صدقوا بالله واليوم الاخر وتصدقوا مما رزقهم الله من الاموال وما فرض الله تعالى عليهم من الصدقة وكان الله بهم عليما انهم لا يؤمنون وفي الاية بيان انهم انما كفروا او اساؤا باختيار انفسهم وقلة تاملهم مع قدرتهم على الايمان لانه لا يحسن ان يقال لمن لا يقدر على الشي ماذا عليك لو فعلت كذا كما لا يحسن ان يقال للمريض ماذا عليك لو كنت صحيحا ولا ان يقال للفقير ماذا عليك لو كنت غنيا ولا يقال لاهل النار ماذا عليكم لو خرجتم من النار قوله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما معناه ان الله لا ينقص من جزا الاعمال الذرة نملة حمرا صغيرة وهي اصغر النمل هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما واصل الانتقاص والمثقال مفعال من الثقل وهو ما يوزن به الشي ومن ذلك يسمى ما يوزن به الدينار مثقالا لانه يعادله في الثقل والذرة ماخوذ من قولك ذررت الشي اذا بددته مسحوقا ولذلك قيل ايضا ان الذرة ما يظهر من شعاع الشمس واما قوله عز وجل وان تك حسنة يضاعفها من قرا حسنة بالنصب فعلى تقدير وان تكن الفعلة حسنة ومن قرا بالرفع فعلى معنى وان تقع حسنة قال الضحاك اراد بالحسنة التوبة ومن لم يكن له الا حسنة واحدة مقبولة غفر الله له ويقال معناه اذا زاد على سياته مثقال ذرة من الحسنة يضاعفه الله عز وجل حتى يجعله مثل احد ويوجب له الجنة ويعطيه من عنده الزيادة على ما يستحقه من جزا عمله فذلك الاجر العظيم لا يعلم مقداره الا الله عز وجل وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال خمس ايات في سورة النسا احب الي من الدنيا وما فيها ولقد علمت ان العلما اذا مروا بها عرفوها وهي قوله عز وجل ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وندخلكم مدخلا كريما وقوله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقوله عز وجل ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله وقوله عز وجل ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقوله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك واما وجه اتصال هذه الاية بما قبلها وهو ان المنفق اذا لم يبطل عليه ثواب ذرة من نفقته فما الذي يمنعه من الانفاق اذا نظر وتفكر فيما يوجبه الراي والعقل قوله عز وجل فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلا شهيدا معناه والله اعلم كيف يصنع الكفار وكيف يكون حالهم يوم القيمة اذا جئنا من كل جماعة نبيها عليه السلام شهيدا عليهم وجئنا بك شهيدا يا محمد على كل

الله عليه وسلم على هولاء الذين ارسلت اليهم شهيدا تشهد لمن صدق بالتصديق وعلى كل من كذب بالتكذيب
واما حذف الجواب في الاية لما تقدم ان الحذف في هذا الموضع في كلام العرب ابلغ من الاثبات لانك اذا
حذفت الجواب ذهبت النفس في الجواب الى كل مذهب واذا اثبت الجواب كان الجواب مقصورا على
المذكور ونظير هذا قوله عز وجل ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى ولم يقل
لكان هذا القران لكي تذهب النفس فيه الى كل مذهب والفايدة في ذكر الشهيد يوم القيمة ان الانسان
تصور عنده انه اذا عمل بالمعصية شهد بها الانبيا على روس الاشهاد يوم القيمة كان ذلك اردع له واحجى
من فعلها كما اذا علم ان معه ملكين يكتبان عليه ما يفعل وانه يحتاج الى ان يقرءه يوم القيمة على روس
الاشهاد وانه اذا اوقف بذلك شهدت عليه جوارحه كان ذلك ازجر له واكف من ان يفعل ما
يستحيي في الاخرة من مثل ذلك الفعل **وقد روي** عن ابن مسعود رضي الله عنه انه لما قرا هذه الاية على
النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجمع الناس على ان الانبيا صلوات
الله عليهم يشهدون على اهل عصرهم واختلفوا في شهادتهم على من بعدهم اهل عصرهم قال بعضهم
يشهدون عليهم وعلى من بعدهم وقال بعضهم لا يشهدون الا على اهل عصرهم واستدل بما حكى الله
عز وجل عن عيسى عليه السلام وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم
فاخبر انه انما يكون شهيدا عليهم مدة مقامه فيهم ثم بعد ذلك لم يكن له علم بهم قوله عز وجل
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا معناه يوم وقوع
الشهادة يتمنى الذين كفروا بالله وعصوا الرسول ان الارض سويت بهم يمشي عليها اهل الجمع قال ابن
عباس رضي الله عنهما ويودون انهم لم يكتموا الله حديثا وذلك حين يامر الله اصحاب اليمين واصحاب
الشمال ويقول للبهايم والطيور والوحوش كوني ترابا فيرى ذلك اهل الكفر ويرون ما اكرم الله به
اهل الجنة يقول بعضهم لبعض هلموا نقول والله ربنا ما كنا مشركين فيقولون ذلك
فيختم الله على السنتهم وياذن لجوارحهم بالكلام فتشهد عليهم عند ذلك فيقولون يا ليتنا
كنا ترابا ويتمنون انهم لم يكتموا الله حديثا لانهم كذبوا في قولهم ما كنا مشركين وهذه
الرواية المروية عن ابن عباس محمولة على ان البهايم تصير ترابا يوم القيمة بعد ان توفى اعواضها
و يستوفي بعضها من بعض ولهذا قالوا انه لا يحسن من الله تعالى ان يبيح لنا استعمال البهايم وذبحها
وايلامها لانهم يقولون ان يضمن لها الاعواض لان ايصال الالم الى الغير لا لدفع مضرة ولا لمنفعة بالمعقول
به يكون ظلما **وقد روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقتص للجما من القرنا
وعن الحسن رضي الله عنه انه قال ان اهل الاخرة يكونون في ثلثة مواضع ففي موضع لا يسمع كلامهم
الا همسا كما اخبر الله عز وجل عنهم ما كنا نعمل من سوء والله وفي موضع ينكرون ما فعلوا من المعاصي
والكفر ظنا منهم ان ذلك ينفعهم كما حكى الله تعالى عنهم ما كنا نعمل من سوء والله ربنا ما كنا
مشركين وفي موضع يعترفون بما فعلوا من الكفر والمعاصي **وذهب** بعض اهل التفسير الى ان قوله عز
وجل ولا يكتمون الله حديثا كلام مستانف غير داخل في التمني ومعناه انهم لا يقدرون على
كتمان شي مما عملوه لظهوره في تلك عند الله اي لا يفيد كتمانهم لان ذلك لا ينكتم عند الله قالوا وحمل هذا
على الاستيناف اولى لان الكتمان عن من هو اعلم بالامر من الكاتم محال وانه لا فايدة لهم في الكتمان لان
الكاتم انما يكتم الشي لئلا يطلع عليه وهذا لا يتصور في الاخرة انهم لم يكفروا ويخبرون على ما
توهموا لا انهم يقصدون الكتمان وذلك لا يخرجهم من ان يكونوا كذبوا كما قال الله عز وجل انظر
كيف كذبوا على انفسهم لان من اخبر عن شي توهمه فقطع القول في خبره ولم يكن المخبر به على ما توهمه

كان

كان ذلك كذبا مثل ان يقول زيد في الدار وهو يتوهم ان زيدا في الدار وقال بعضهم ان الكفار
يقولون ما كنا مشركين على جهة الذهل فانهم يذهلون فيقولون هذا القول عند ذلك لا على
جهة الاخبار عن انفسهم بذلك وقوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي كيف اوجبوا العقاب على انفسهم
فانه تعالى الكذب اي اوجب فاما تفرقت هذه الاقاويل عن مسئلة وهي ان الاخرة هل يجوز عليهم فعل
القبيح ام لا قال بعضهم يجوز واستدل بهذه الايات وقال بعضهم لا يجوز لان اهل الاخرة اذا راوا
اهوال الاخرة وما ادى بهم فعل القبيح في الدنيا الى العقاب في الاخرة صاروا ملجئين الى ترك
القبايح بانفسهم ولان التمكين من فعل القبيح في غير دار التكليف يودي الى اباحة فعل القبيح وذلك لا يجوز
من الله عز وجل والله اعلم **يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**
ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جا احد منكم من
الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
ان الله كان عفوا غفورا روي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الاية في جماعة
من اكابر الصحابة كانوا يشربون الخمر قبل التحريم ثم ياتون الصلوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيصلون معه فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وتاول الاية على هذا الطريق لا تقربوا موضع الصلوة
وهو المسجد وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وما تقرا امامكم في الصلوة وهو خطاب لمن لم يبلغ به
السكر الى حد لا يفهم الكلام كله لان الذي لا يفهم شيا من الكلام لا يصح ان يخاطب وقد حمل ابو
يوسف ومحمد وجماعة من اهل العلم حد السكران يختلط بكلامه ولا يعلم ما يقول وانما منعوا من
المساجد اذا دخلوا السكر لان من يكون على هذه الصفة لا يحترم المسجد ولا يامن ان يكون منه ما
يكون يلوث به المسجد فيجنب المسجد كما يجنب الصبي والمجنون وقوله عز وجل ولا جنبا الا عابري
سبيل اي لا تقربوا مواضع الصلوة وانتم جنب حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مجتازين وذلك ان من الصحابة
من كانت بيوتهم في المسجد وكان لا يمكنهم الخروج من بيوتهم من حيث الا بمرور في المسجد ثم امرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوجهوا بيوتهم الى غير المساجد فقال وجهوا هذه البيوت الشارعة
الى غير المسجد فاني لا احل المسجد لحايض ولا جنب ويقال رخص لهم ان يتيمموا في بيوتهم ثم يمروا في
المسجد ثم اخذوا الماء وخرج واغتسل **وذهب** الشافعي رحمه الله الى ان الجنب يجوز له العبور في المسجد
بغير التيمم ولا يجوز له اللبث والاقامة فيه وقال مقاتل نزلت هذه الاية في جماعة من الصحابة كانوا يشربون
الخمر في دار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قبل التحريم فحضرت الصلوة المغرب فتقدم واحد منهم فقرا قل
يا ايها الكافرون وقال اعبد ما تعبدون وحذف لا في جميع السورة فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعنى
الاية على هذا القول لا تقربوا نفس الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقرؤون اي لا تتعرضوا للسكر عند الصلوة
ولا يكن منكم شرب تصيرون منه الى حال السكر عند الصلوة لا عن فعل الصلوة لان كون الانسان جنبا او
محدثا لا يوجب سقوط فرض الصلوة عنه **وقد روي** عن ابن عباس في رواية اخرى انه قال كانوا
لا يشربونها بعد نزول هذه الاية عند الصلوة فاذا صلوا العشا شربوها **وعن** عمر رضي الله عنه انه
قال بعد نزول هذه الاية اللهم ان الخمر تضر بالعقول والاموال فانزل فيها امرك فنزل الوحي باية
المايدة واما قوله عز وجل ولا جنبا الا عابري سبيل فمعناه لا تصلوا وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين
لا تجدون الما فتيممون وتصلون هكذا روي عن علي كرم الله وجهه والتيمم وان كان يبيح الصلوة
فانه لا يرفع الجنابة لانه بمروره على الما بعد التيمم يعود الى ما كان عليه من قبل من حدث او جنابة وقال
بعضهم معنى الا عابري سبيل الا ان يكون مسافرا لا يجد ما ولا ترابا نظيفا يصلي في الوقت ثم يعيد بعد

ذلك وهو قول ابي يوسف في المحبوس في المصر اذا لم يجد ماء ولا ترابا نظيفا وقيل ان حمل الاية على نفس
الصلوة اولى من حملها على موضع الصلوة لان حملها على المسجد عدول له عن حقيقة اللفظ الى المجاز وفي نسق
الاية ما يدل على ان المراد به حقيقة الصلوة وهو قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون وليس للمسجد قول مشروط
يمنع من دخوله للقدرة عليه عند السكر وفي الصلوة قراءة يحتاج الى شرط فدل ان المراد بالاية حقيقة
الصلوة ويحتمل ان يكون فايدة النهي عن الصلوة مع السكر وجوب اعادتها في حال الصحو اذا فعلوها في حال
السكر واستدل ابو حنيفة من الاية على ان حد السكر الموجب للحد ان لا يعرف السما من الارض والرجل
من المراة لان السكران الذي لا يدري ما يقول يبلغ به السكر الى هذا المبلغ ولهذا يسقط عنه خطاب
اداء الصلوة كما يسقط عن الصبي الذي لا يعقل والمجنون والنايم فاما الذي يدري ما يقول فلا يتناوله
النهي عن فعل الصلوة وقال الضحاك المراد بالاية سكر النوم خاصة وفي هذا حمل اللفظ على المجاز لان
الذي يغلبه النوم لا يسمى سكرانا على الحقيقة والسكر ماخوذ من السكر وهو سد البثق يقال
سكرت النهر اسكره اذا سددت بثقه وسمي السكر سكرا لانه يسد مواضع المعرفة فاما
قوله عز وجل وان كنتم مرضى او على سفر فمعناه ان كنتم مرضى تخافون الضرر من استعمال الماء وهو ان يكون الرجل
كسيرا او جريحا او صاحب قروح او جدري يخاف برد الماء واذاه او كنتم على سفر مسافرين او جاء احد منكم
من الغايط معناه وجاء احد منكم من الغايط لان الغايط ليس من جنس السفر والمرض فان المرض والسفر سبب لاباحة
التيمم والرخصة والمجي من الغايط سبب لايجاب الطهارة فعلم ان المراد به و[illegible] احد منكم من الغايط والغايط
واصل اللغة هو المكان المطمين من الارض يقال تغوط الرجل اذا دخل المكان المطمين لقضا الحاجة وجعل هذا
اللفظ كناية عن ذلك يقال جاء من الغايط اذا رجع عنه وقوله او لامستم النسا قال امير المومنين
علي وابن عباس رضي الله عنهم معناه او جامعتم النسا وقال عمر وابن مسعود رضي الله عنهما اراد به اللمس
باليد وكانا لا يبيحان للجنب التيمم وكانا يقولان انه لا يصلي وان لم يجد الماء شهرا ويحتمل ان يكون المراد الملامسة
الفاحشة وهو ان يضاجع المراة ولا ثوب بينهما وقوله عز وجل فلم تجدوا ماء فمعناه لم تقدروا على استعمال
الماء وقد يذكر الوجود ويراد القدرة على استعمال الماء فان كان بينه وبين الماء سبع او عدو لم يكن واجدا للماء
في الحكم ويحتمل ان يكون قوله فلم تجدوا راجعا الى قوله او على سفر دون قوله وان كنتم مرضى لان حالة المرض
ليس الاغلب فيها عدم الماء لكن يغلب فيها الضرر وحالة السفر يغلب فيها عدم الماء وهكذا روي
عن ابن عباس وابن مسعود وقال الحسن رضي الله عنه قوله فلم تجدوا ماء راجع الى المريض والمسافر جميعا
اما المريض فلا يجد الماء اذا لم يجد من يناوله اياه واما المسافر فقد لا يجد الماء بعينه وقوله فتيمموا صعيدا
طيبا الحالة المريض فلا يجد الماء اذا لم يجد معناه فتعمدوا واقصدوا ترابا طاهرا ويقال ان الصعيد
ما يتصاعد على وجه الارض وهو فعيل بمعنى فاعل لان ما يكون صاعدا على وجه الارض يكون
اقرب الى الطهارة من المكان المنخفض وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او صخرة
لا تراب عليها لان الله تعالى قال فتصبح صعيدا زلقا واذا كان على الصخرة تراب لا تكون زلقا ولهذا
جوز ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله التيمم من صخرة لا غبار عليها ويقال انما سمي وجه الارض صعيدا
لانه نهاية ما يصعد اليه من باطن الارض وقوله عز وجل فامسحوا بوجوهكم وايديكم معناه فامسحوا
وجوهكم وايديكم بعد ضرب الايدي على الصعيد الطيب وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وذهب داود ومن تابعه من اهل الظاهر
ان التيمم ان يمسح اليدين الى الزندين اذ لو كان ذلك الى المرفقين لذكره في الاية كما ذكر في اية الوضوء
وفي الاية دليل على ان المراد بقوله او لمستم النسا الجماع دون اللمس باليد لان الله تعالى قال في اول الاية

ولا جنبا

ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا فبين حكم الجنب عند وجود الماء ثم بين عند عدم الماء حكم الطهارة
من الحدث وهو التيمم فلا يجوز ان يدع بيان حكم الجنب عند عدم الماء ويبين حكم المحدث مع ان المقصود
باول الاية بيان حكم الجنب عند وجود الماء فعلم ان المراد بقوله او لمستم النسا الجماع ليكون ذلك بيانا لحكم
الجنب عند عدم الماء ومعنى ان الله كان عفوا غفورا متفضلا عليكم بتسهيل الاوامر
وتخفيفها لانه نقلكم من الوضوء الى التيمم عفوا متجاوزا عنكم يغفر لكم بعد الطاعات المسهلة ذنوبكم
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اصابته الجنابة على عهده فسال اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا لا نجد لك رخصة التيمم وانت واجد للماء فاغتسل فمات فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم الله هلا سالوا اذ لم يعلموا فان شفا العي السوال قوله عز وجل الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم
باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا قال عبد الله بن عباس هم اليهود كانوا يستبدلون الضلالة
بكتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ياخذون الرشا على كتمانهم ذلك بعد ما اوتوا
العلم به ومعنى الم تر الم تعلم ويقال الم تخبر والاصل ان الروية اذا كانت مقرونة بالى كان معناها
المشاهدة والمعاينة كما يقال الم تر الى فلان ما اكرمه ويراد بذلك التعجب من روية مثله في الكرم
وقوله ويريدون ان تضلوا السبيل معناه ويريدون ان تضلوا انتم طريق الهدى كما ضلوا هم
بانفسهم وذلك ان اليسع ورافعا وغيرهم من احبار اليهود كانوا ياتون عبد الله بن ابي ومالك
بن الدخشم يامرونهم بترك الاسلام ومعنى والله اعلم باعدائكم اي هو اعرف بهم يعلمكم ما هم عليه
وفي قوله تعالى وكفى بالله وليا اعلام من الله ان عداوة اليهود لا تضر المسلمين اذ ضمن النصرة والولاية
ومعنى التاكيد اي اكتفوا بولاية الله ونصرته قوله عز وجل من الذين هادوا يحرفون الكلم عن
مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين
ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يومنون
الا قليلا قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الامر
فيخبرهم ويرى انهم ياخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولون له سمعنا قولك ويقولون في انفسهم وعصينا امرك وقوله عز وجل من الذين هادوا راجع
الى قوله والله اعلم باعدائكم على جهة التبيين للاعداء كما يقال هذا الثوب من القطن او من الكتان
على جهة تبيين اصله ويجوز ان يكون هذا استيناف كلام معناه من الذين هادوا قوم يحرفون كلام
الله عز وجل وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مواضعه واستغنى بذكر الصفة عن الموصوف
كما قال الشاعر وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح يعني تارة
منهما اموت فيها واما قوله عز وجل واسمع غير مسمع فمعناه انهم كانوا اذا كلموا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشيء قالوا له اسمع وقالوا في انفسهم لا اسمعت ولا سمعت ويقال معنى غير مسمع غير مجاب
الى شيء مما تدعو اليه وكانوا يقولون راعنا يوهمون انهم يريدون بهذا القول انظرنا حتى نكلمك بما نريد
وكانوا يريدون بذلك اللفظ السب بالرعونة بلغتهم ويقال كانوا يقولون هذه الكلمة على وجه التكبر
والتجبر كما يقول المتكبر لغيره افهم كلامي واسمع قولي وكانوا يقولون ارعنا سمعك وتامل كلامنا ومثل
هذا مما لا يخاطب به الانبيا صلوات الله عليهم انما يخاطبون بالاجلال والاعظام وقوله عز وجل
ليا بالسنتهم اي كانوا يلوون السنتهم بالسب والتعيير والطعن في الدين واللي في اللغة الفتل
يقال لويت العود اذا فتلته ولويت الغريم اذا ماطلته لان ذلك يفتله وقوله عز وجل ولو انهم قالوا

سمعنا واطعنا معناه لو انهم قالوا سمعنا قولك واطعنا امرك لكان مكان قولهم سمعنا وعصينا وقالوا
واسمع وانظرنا اسمع قولك وتفهم كلامك مكان قولهم واسمع غير مسمع لكان خيرا لهم في الدين واصوب
مما يقولون ولكن لعنهم الله بكفرهم وابعدهم من رحمته مجازاة لكفرهم فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا لا يحق
ان يسموا به مؤمنين وقيل لا يؤمنون الا قليلا منهم وهم عبد الله بن سلام ومن تابعه قوله عز وجل
يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها
على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا
معناه يا ايها الذين اعطوا علم التوراة صدقوا بهذا القرآن الذي انزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم
موافقا لما معكم من التوراة من قبل ان نمحو آثار الوجوه عنها اي بخسف العين والانف وغير ذلك من آثار
الوجوه فنحولها الى الاقفية فيمشون القهقرى وروي انه لما نزلت هذه الآية قدم عبد الله ابن سلام من
الشام فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنت
ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي ويقال معنى فنردها على ادبارها نجعل وجوههم على هيئة اقفيتهم
او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي نجعلهم قردة كما مسخنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا
قضاؤه كائنا لا شك فيه فان قيل كيف قال الله عز وجل من قبل ان نطمس وجوها واوعدهم بطمس
الوجوه ان لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يقع الطمس قيل يحتمل ان يكون هذا وعيدا لهم على ترك جميعهم
الاسلام وقد آمن منهم جماعة بعد هذه الآية كعبد الله بن سلام وعبد الله بن ثعلبة واسيد بن ثعلبة
واسيد بن عبيد وغيرهم ويحتمل ان يكون المراد بالآية الطمس في الآخرة وسيفعل الله ذلك بهم في
الآخرة ويقال قبل الشيء لا يقتضي وجود ذلك الشيء لا محالة كما في قوله تعالى فتحرير رقبة من قبل ان
يتماسا ولهذا قالوا ان من قال لامرأته انت طالق قبل قدوم زيد انها تطلق في الحال قدم زيد او لم يقدم
وذهب الحسن وجماعة ان معنى من قبل ان نطمس وجوها نصرف وجوه القلوب عن الهدى ونردها
الى الضلالة الدائمة مجازاة لما هم عليه من المعاندة فيضلون ضلالا لا يؤمنون معه ابدا قوله عز وجل
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى
اثما عظيما قال عبد الله بن عباس لقي الناس يوم احد وقد جعل لوحشي ان هو قتل حمزة ان يعتق
فلم يوف له فلما قدم مكة ندم على صنعه الذي صنعه هو واصحابه معه فكتبوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا من الدخول معك الا انا سمعناك تقول
اذ كنت عندنا بمكة والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله عز وجل ويخلد فيه مهانا وقد دعونا
مع الله الها آخر وزنينا وقتلنا النفس فلولا هذه الآية لاتبعناك فنزل الا من تاب وآمن وعمل عملا
صالحا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية الى وحشي واصحابه فلما قرؤوا كتبوا
اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فلا نكون من اهل هذه الآية فنزلت ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فقالوا نخاف ان لا نكون من
اهل مشيئته فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فبعث بها
اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوها اوسع مما كان قبلها فدخل هو واصحابه في الاسلام
فقال عليه السلام لوحشي كيف قتلت حمزة فاخبره فقال غيب وجهك عني فاني لا اقدر على النظر اليك
فلحق بالشام وفي بطنه الخمر ويروى عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما انه قال كان اذا مات الرجل
منا على كبيرة شهدنا له انه من اهل النار حتى نزل قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن هذه الشهادات ويقال ان هذه الآية مستثناة على جميع ما في

القرآن

القرآن من الوعيد ومعنى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يغفر ما دون الشرك من الذنوب كلها لمن سبقت
له المشيئة بالمغفرة من الله تعالى فيغفرها له بفضله ويعذب من يشاء من المذنبين بعدله وفي
هذا ابطال قول من يقول ان في الوعد بغفران المعاصي اغراء بها لانه انما يكون الاغراء بالقطع على غفرانها
واما اذا علق غفرانها بالمشيئة لم يكن في ذلك اغراء بها ولكنه يوقف العبد بين الخوف والرجاء وهكذا
يجب ان يكون صفة المؤمن وفيه ابطال قول من يقول انه لا يصح ان الله تعالى يغفر المعصية لبعضهم دون
بعض لان فيه محاباة وليس بين الله تعالى وبين احد ما يوجب المحاباة وذلك ان الله عز وجل متفضل
بالغفران وللمتفضل ان يتفضل على الانسان ولا يتفضل على غيره بمثل ذلك ومعنى ومن يشرك بالله فقد
افترى اثما عظيما اي من يشرك بالله سواه فقد اختلق على الله كذبا عظيما غير مغفور له والافتراء والاختلاق
متقاربان في المعنى الا ان معنى افترى قطع كذبا وهو الافتعال من الفرية وهي القول الزور واصلها
من قولهم فريت الاديم اذا قطعته ومعنى اختلق اي قدر كذبا من الخلق الذي هو التقدير قوله عز وجل
الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا قال ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت هذه الآية في بحري بن عمرو ومرحب بن زيد اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهما طائفة
من اليهود باطفالهم فقالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم هل على اولادنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا و
الذي نحلف به ما نحن الا مثلهم ما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل وما من ذنب نعمله بالليل
الا كفر عنا بالنهار فهؤلاء الذين زكوا انفسهم برؤوها من الذنوب وزعموا انهم ازكياء يقول الله عز
وجل بل الله يزكي من يشاء وفي الآية بيان ان الله عز وجل لا يزكي احدا من غير استحقاق وانما يزكي بما
توجب الحكمة التزكية له لا ان يختار واحدا من دون استحقاق التزكية ومعنى ولا يظلمون فتيلا
اي لا ينقصون من جزاء ما يستحقونه قدر الفتيل والفتيل ما تفتله بين اصبعيك من الوسخ اذا
مسحت احديهما بالاخرى وقال الحسن رحمه الله الفتيل ما في بطن النواة وهي شقها من لحائها والنقير
النقرة التي تكون في ظهر النواة والقطمير ما التف عليها من لحائها قوله عز وجل انظر كيف يفترون
على الله الكذب وكفى به اثما مبينا معناه انظر يا محمد صلى الله عليه وسلم كيف يختلق
اليهود على الله الكذب وكفى بما يفعلونه ذنبا بينا اي كفى هو في الآثام وهذا اللفظ انما يستعمل على
جهة المبالغة كما يقال كفى بفلان لك صديقا وكفى بفلان لك عدوا قوله عز وجل الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
ركب كعب بن الاشرف في سبعين راكبا من اليهود فيهم حيي بن اخطب وجدي بن اخطب ومالك ابن
الصيف وغيرهم فاتوا مكة ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اجله ففعلوا فقال ابو سفيان ويحكم يا معشر اهل الكتاب
انشدكم بالله انحن اقرب الى الهدى والحق ام محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فانا نعمر هذا المسجد
ونسقي الحاج ونفادي الاسير ونحجب الكعبة ونصل الرحم ومحمد صلى الله عليه وسلم قطع ارحامنا واتبعه
شرار الحجيج بنو غفار فنحن اهدى ام هم فقالت اليهود لا بل انتم اهدى منهم فانزل الله عز وجل هذه
الآية ومعناها الم تخبر يا محمد صلى الله عليه وسلم ويقال الم ينته علمك الى الذين اعطوا نصيبا من الكتاب
اي علما بالتوراة وما فيها من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته يصدقون بالجبت والطاغوت
قال ابن عباس الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف ويقال الجبت الكهنة والطاغوت
الشياطين ويقال الجبت الصنم والطاغوت مترجم الصنم لهم عن الصنم على لسانه ويقال الجبت بلغة

الحبشة والطاغوت بلغة العربية وهذا لا يصح لان يكون لغة العرب موافقة للغة الحبشة في ذلك
وقال اهل اللغة كل معبود سوى الله تعالى فهو جبت وطاغوت وهذا غير خارج عن اقاويل اهل التفسير
ومعنى ويقولون للذين كفروا اي اليهود يقولون للمشركين انتم يا هولاء اصوب دينا وطريقا من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذا بيان شدة عناد اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان المسلمين
كانوا يصدقون بكثير مما كانوا عليه اليهود والمشركون كانوا لا يصدقون باصل دين اليهود ثم زعم اليهود
ان الذين لم يصدقوا بشيء من الكتب وعبدوا الاصنام اهدى طريقا من الذين يصدقون بهم في كتبهم المنزلة من الله
عز وجل قوله عز وجل اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا معناه
اولئك الذين خذلهم الله وابعدهم من رحمته ومن يبعده الله من رحمته فلن تجد له مانعا يدفع عذاب
الله تعالى عنه ويقال معنى فلن تجد له نصيرا اي لا تجده بنصره غير الله مع خذلان الله عز وجل
والا فقد كان اولياؤهم ينصرونهم قوله عز وجل ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا وذلك ان اليهود كانوا اصحاب بساتين واموال وكانوا على غاية البخل فقال
الله عز وجل ام لهم نصيب من الملك وهذا ثلثة معان احدها ان ام تكون معادلة فترجع الى الالف
في الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب والثاني ان تكون معادلة لالف مقدرة كانه قال
الهم نصيب من النبوة ام لهم نصيب من الملك والثالث ان تكون منقطعة ومعناها بل لهم
نصيب من الملك كما في قوله عز وجل الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه
ومعنى فاذا لا يؤتون الناس نقيرا لو كان لهم نصيب من الملك ما اعطوا الناس مقدار النقير
وهذا على طريق التمثيل اي انهم يضنون بالقليل الذي لا شيء اقل منه وقوله عز وجل لا يؤتون في
موضع نصب كما يقول الرجل لاخر انا اكرمك فيجيبه اذا اكرمك بنصب الميم تقديره اذا اكرمتني
فعلي ان اكرمك وقال بعضهم النقير ما نقرته باصبعك من درهم او غيره ماخوذ من النقر وهو النكت
ومنه سمي المنقار منقارا لانه ينكت في الارض ويسمى الصوت نقرا لانه ينكت فيه بالصوت قوله عز
وجل ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب
والحكمة واتيناهم ملكا عظيما معناه بل يحسدون الناس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم على ما
اعطاه الله تعالى من النبوة ويقال حسده اليهود على ما احل الله تعالى له من النساء وقالوا لو كان نبيا
لشغلته النبوة عن النساء وقال قتادة اراد بالناس العرب بان جعل الله تعالى النبوة فيهم ومعنى
فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة فقد كانت النبوة والكتاب في آله وهم ال ابرهيم عليه
السلام وقوله عليه السلام وقوله عز وجل واتيناهم ملكا عظيما قال ابن عباس رضي الله عنهما
هو سليمن بن داود عليهما السلام وكان لسليمن سبعمائة امراة مهيرة وثلثمائة سرية وكان لداود عليه
السلام مائة امراة والحكمة في كثرة تزويج الانبيا صلوات الله عليهم والله اعلم ان الذي لا يستغرق
بالنظر الى ما لا يحل له كانت شهوته اغلب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم العينان يزنيان واليدان
يزنيان والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه قوله عز وجل فمنهم من امن به ومنهم من صد
عنه وكفى بجهنم سعيرا معناه من اليهود من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من اعرض
عن الايمان به ويقال معناه منهم من امن بهذا الخبر عن داود وسليمن عليهما السلام فيما اعطيا من الله
عز وجل ومنهم من كذب وكفى بجهنم سعيرا وقودا لمن كفر به اي ان صرف الله عز وجل عن اليهود بعض
العذاب في الدنيا مثل طمس الوجوه بسبب ايمان بعضهم فقد اعد لهم عذاب جهنم في الاخرة
قوله عز وجل ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم

بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما معناه ان الذين كفروا
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران سوف ندخلهم نارا ويقال معنى سوف نصليهم نشويهم من قولهم
شاة مصلية اي مشوية ومعنى كلما نضجت جلودهم كلما احترقت جلودهم جددنا لهم جلودا
غيرها بيضا كالقراطيس وذلك انهم كلما احترقوا خبت عنهم النار ساعة ثم يزيدت سعيرا وبدلوا
خلقا جديدا فيهم الروح ثم عادت النار عليهم هذا دابهم فيها ابدا قال الحسن رضي الله عنه
بلغني انها تنضج كل يوم سبعين الف مرة وفي قوله عز وجل ليذوقوا العذاب بيان ان العذاب يكون
كالمبتدا عليهم في كل حال الا كمن يستمر به الشي فان الذي يستمر به الشي ان كان ذلك لا غم لم يجد في الحالة
الثانية مثل ما وجد في الاولى وان كان لما فاته بالغه ولا يكون حاله كحال من يحل به ذلك في الابتدا
ومعنى ان الله كان عزيزا حكيما عالما في امره لا يملك احد منعه من انزال وعيده ذا حكمة فيما حكم
للكفار من النار وقد طعنت الزنادقة في تبديل جلود المذنبين وقالوا في هذا تبديل الجلد الذي اذنب
وعصى بالجلد الذي لم يكن اذنب وهذا خطا منهم وغلط لان الجلد الثاني هو الاول يجدده الله عز وجل
ويعيده الى الحالة الاولى فيكون الجلود جلدا واحدا والاحوال عليها متغايرة كما يقول الرجل صنعت من
خاتمي خاتما اخر فهو وان غير الصوغ فاصل الفضة واحدة وكما ان الانسان اذا اتخذ من القميص قباء
قد يقول له غيره حتى تغير لباسك الاول وليس انشا الجلد بعد النضج الا كانشا الجلد الذي بلي بالبعث
وذهب بعض المتكلمين الى ان الانسان هو الروح اللابس لهذا البدن وليس الجلد بالم وانما بالم الانسان
الذي كان في الشخص بسبب الجلد الثاني والثالث كما بالم الجلد الاول وقال بعضهم اراد بالجلود السرابيل
وهذا لا يصح لان القميص لا يسمى جلودا ولان النضج انما يستعمل في الجلد واللحم دون الثياب والاصح هو
الجواب الاول ثم بين الله عز وجل مصير المومنين فقال عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها
ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا معناه والذين صدقوا وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم
سندخلهم بساتين تجري من تحت شجرها وغرفها مياه الانهار مقيمين فيها ابدا لهم فيها ازواج
مطهرة في الخلق وندخلهم ظلا دائما وهو ظل الاشجار والقصور ظل لا حر معه ولا برد وليس
كل ظل يكون ظليلا واسم الظل يقع اولا ما وقعت عليه الشمس وما لا يقع عليه الشمس ولا يكون
الفي الا ما يقع عليه الشمس وفي الخبر المرفوع الى رسول صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجنة شجرة
يسير الراكب في ظلها مائة عام فلا يقطعه وهي شجرة الخلد قوله عز وجل ان الله يامركم
ان تودوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا روى عن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكة اتى البيت ليدخله فسال
عن المفتاح فقيل هو مع عثمان بن طلحة فارسل اليه فاتاه فقال له هات المفتاح فقال عمه العباس بن عبد
المطلب بابي انت وامي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل لي السدانة مع السقاية فقبض عثمان
يده مخافة ان ياخذه منه فيدفعه الى عمه العباس فقال عليه السلام هات المفتاح يا عثمان فهم
ان يعطيه فاعاد العباس مقالته فقبض عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تومن
بالله واليوم الاخر فهات المفتاح فلم يجد من دفعه بدا عند ذلك فقال هاك امانة الله يا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بامانة الله عز وجل فاخذ عليه السلام المفتاح ففتح الباب فلما اراد ان يدخل البيت اذ هو بصورة
ابرهيم واسمعيل عليهما السلام والكبش في الحائط واذا الازلام في ايديهما فقال قاتل الله المشركين ما لابرهيم

والقداح فامر بالصور فمحيت بالماء ومكث في البيت ما شاء الله ان يمكث فلما خرج وطاف بالبيت ثلثة
اشواط او اربعة اشواط نزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الاية ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى
اهلها فدعى عثمن بن طلحة ودفع اليه المفتاح وقرا عليه الاية فصارت الاية عامة للناس كلهم ولما هاجر عثمن
الى المدينة دفع المفتاح الى اخيه شيبة فهو في عثمن وصار المفتاح في ولد شيبة الى اليوم فان قيل اليس ذلك
المفتاح كان امره بعد فتح مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له نقله من يد عثمن الى غيره فكيف
يعد ذلك فيما يلزم رده من الامانات قيل اذا كان في يد من يوتمن بامانته وامانته وكان اهلا
لذلك لم يمتنع ان يلزم اقراره بعد الفتح كما يلزم اقرار المرء على نفسه وماله اذا اسلم على ذلك فيدخل هذا
في جملة الاية واما قوله عز وجل واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل فهو خطاب للائمة ومعناه
ويامركم اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اى بالحق وقوله عز وجل ان الله نعما يعظكم به اى
نعم الذى يامركم الله لمن وجل به من اداء الامانة والحكم بالحق ان الله كان سميعا لمقالة العباد بصيرا
بامانة عثمن قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر
ذلك خير واحسن تاويلا معناه يا ايها الذين صدقوا بتوحيد الله تعالى اطيعوا الله فيما امر
واطيعوا الرسول فيما بين ويقال اطيعوا الله في الفرايض والرسول في السنة واما قوله واولى الامر منكم
روى عن ابن عباس وجابر وجماعة من التابعين انهم الفقهاء والعلماء في الدين وعن ابن عباس في رواية
اخرى وهو قول ابي هريرة ان اولى الامر ولاة المسلمين وقال الكلبي ومقاتل هم امراء السرايا كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية امر عليهم وامرهم ان يطيعوه ولا يخالفوه ولا تنافي بين القولين
لجواز انهما مرادان بالاية لان الامراء يلون امر تدبير الجيوش وقتال العدو والعلماء يلون حفظ الشريعة
وما لا يجوز وما لا يجوز فامر الله تعالى الناس بطاعتهم والقبول منهم ما داموا عدولا مرضيين وعن
امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال حق الامام ان يحكم بالعدل ويودي الامانة فاذا
فعل ذلك وجب على المسلمين ان يطيعوه لان الله عز وجل امرهم باداء الامانة والعدل ثم امر الناس بطاعتهم
وبهذا استدل بعض المفسرين على ان الاظهر من الاية ان المراد بها العلماء لان امراء السرايا انما تجب طاعتهم
من حيث امر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك وامرهم لا امر يرجع اليهم واما العلماء اذا استدلوا من
الكتاب والسنة واجمعوا في حادثة من الحوادث على شيء فان ذلك يضاف اليهم وصار واقعه بمنزلة
الكتاب والسنة وفي قوله عز وجل فان تنازعتم في شيء دليل على ان معناه ان اختلفتم في شيء من الحلال والحرام
والشرايع والاحكام فردوا الى ادلة الله تعالى والى ادلة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الرد لا يكون الا
بالاستدلال والاستخراج من القياس لان الموجود في نص الكتاب اذا علم وعمل به لا يوصف بانه رد الى الكتاب
وانما يقال هو اتباع للنص وغير العلماء لا يعلمون كيفية الرد الى الكتاب والسنة ودلايل احكام الحوادث وفي
قوله عز وجل ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر بيان ان القصد للخلاف كفر وان الايمان اتباع الكتاب
والسنة والاجماع وهذه الاية جامعة لبيان اصول الفقه ومعنى ذلك خير واحسن تاويلا رد الاختلاف
الى الله عز وجل والرسول خير من الاصرار على الاختلاف واحسن عاقبة لكم ويقال احسن تاويلا من تاويلكم
الذي تتاولونه من غير رد الى الكتاب والسنة وعن عمر رضي الله عنه انه قال الرجوع الى الحق خير من التمادي
بالباطل قوله عز وجل الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
معناه الم تخبر يا محمد عن الذين يزعمون انهم صدقوا بالقران الذي انزل اليك وما انزل من قبلك من الكتب وهم

المنافقون

المنافقون يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت الى كعب بن الاشرف وكان يسمى الطاغوت وقد امروا في كتاب
الله عز وجل ان يكفروا بالطاغوت ويريد الشيطان ان يضلهم عن الهدى ضلالا بعيدا عن الحق وذلك انه
كان بين رجل من المنافقين وبين يهودي خصومة وكانت تلك الخصومة في حكم الاسلام على المنافق وفي حكم
اليهود على اليهودي فقال اليهودي للمنافق انطلق بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم لخاصمك وقال المنافق
بل ناتي كعب بن الاشرف فابى اليهودي ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى المنافق ذلك جاء
معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختصما اليه فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق
وقال لا ارضى بيني وبينك ابو بكر فحكم ابو بكر رضي الله عنه لليهودي فقال بيني وبينك عمر رضي الله عنه فصارا
الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي اني اختصمت انا وهذا الى محمد صلى الله عليه وسلم فقضى لي عليه فلم يرض
بقضائه وزعم انه يخاصمني اليك فجئت معه فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اكذلك قال نعم قال لهما رويدا
حتى اخرج اليكما فدخل البيت واخرج السيف ثم خرج اليهما وضرب به المنافق حتى برد وذهب اليهودي
هاربا فشكى اهل المنافق عمر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية
فقال صلى الله عليه وسلم لعمر انت الفاروق قوله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى
الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا قال ابن عباس رضي الله عنهما اختصم الزبير
بن العوام وثعلبة بن حاطب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر بينهما فقضى للزبير ثم جاءا عنده
ومرا على المقداد بن الاسود وهو جالس فقال لمن كان القضاء يا ثعلبة فقال قضى لابن عمته الزبير ولوى
شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هولاء يشهدون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويظنون تهمة ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا في حياة موسى بن عمران فقال
لنا اقتلوا انفسكم فقتلنا فبلغ قتلانا في طاعة الله عز وجل سبعين الفا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس
وكان معهم اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد صلى الله عليه وسلم ان اقتل نفسي لفعلت فانزل
الله عز وجل في شان ثعلبة ولية شدقه واذا قيل لهم تعالوا اي قيل لهما فقيل هلموا الى التحاكم الى ما امر الله عز
وجل في كتابه والى الرسول صلى الله عليه وسلم ليحكم بينكم رايت المنافقين يعرضون عن حكمك
اعراضا والصدود في اللغة هو الاعراض يقال صد يصد صدودا اذا اعرض بنفسه وصد يصد صدا
اذا صرف غيره عن الشيء والله اعلم قوله عز وجل فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت
ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا معناه والله اعلم فكيف
صنعهم من ندم او خزاية ويقال كيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة بقتل صاحبهم وظهور نفاقهم
بما فعلوه من رد حكم النبي صلى الله عليه وسلم ولي الشدق ثم جاءوك معتذرين يحلفون بالله ان اردنا الا
احسانا تسهيلا عليك كيلا تشغلك خصومتنا وتوفيقا بين الخصوم بالتماس ما يقرب التوسط دون
الحمل على مر الحكم ويقال معناه ما اردنا بالمحاكمة الى كعب بن الاشرف الا احسانا الا احسانا الى من هو اهل الاحسان
وبالنفاق بين المسلمين والكفار يقول الله عز وجل اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض
عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا اي هم الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق والله عز
وجل يعلم ما في قلوب الناس انهم منافقون وانهم لا ينفعهم كتمانهم مع علم الله تعالى ذلك منهم وقوله عز
وجل فاعرض عنهم اي اعرض عن عقوبتهم في الدنيا ويقال اعرض عن قبول عذرهم وعظهم مع ذلك بلسانك و
اعلمهم انهم ان عادوا الى رد حكمك نحو نحوهم العقوبة والقتل ومعنى القول البليغ ان يبلغ صاحبه بعبارة
كنه ما في قلبه يقال بلغ الرجل يبلغ بلاغة فهو بليغ وبلغ القول فهو بليغ اذا بلغ اقصى المبالغ قوله عز وجل
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك

فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا معناه وما ارسلنا رسولا
الى الناس الا ليطاع ذلك الرسول باذن الله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بمطالبة الحكم الى الطاغوت
جاوك ايها الرسول فاستغفروا الله وتابوا اليه واستغفر لهم الرسول عند ذلك لوجدوا الله قابلا
للتوبة رحيما بهم بعد التوبة قوله عز وجل فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا
يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا معناه ليس الامر كما يزعم المنافقون ثم اقسم جل ذكره
بنفسه فقال عز من قائل فلا وربك لا يؤمنون لا يستحقون اسم الايمان ولا يكونون مومنين عند الله تعالى
حتى يحكموك فيما وقع بينهم من الاختلاف بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا اي لا يضيق صدورهم من قضيتك
ويقال لا يجدوا في انفسهم شكا في حكمك ويسلموا تسليما بانقياد للحكم وقضايك انقيادا وفي الاية
دلالة ان من لم يرض بحكم واحد من احكام الله عز وجل او شك في اية من اياته كان ذلك كفرا منه ولذلك
حكمت الصحابة بارتداد من امتنع من اداء الزكوة وقتلهم وسبي ذراريهم وقال بعضهم معنى تكرار لا في اول
هذه الاية تاكيدا للنفي ومثله يستعمل في كلام الناس والمشاجرة في اللغة المخاصمة اخذت من الشجر
تشبيها للخصومة في دخول بعض الكلام في بعض بالاشجار في التفاف بعضها الى بعض قوله
عز وجل وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ
مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا نزل في قول ثابت
بن قيس اما والله ان الله تعالى ليعلم مني الصدق ان محمدا صلى الله عليه وسلم لو امرني بقتل نفسي لفعلت وكان
ثابت من القليل الذين استثناهم الله عز وجل في الاية ومعنى الاية لو انا فرضنا عليهم كما فرضنا على بني اسرائيل
ان اقتلوا انفسكم وامرناهم ان يخرجوا من ديارهم لشق ذلك عليهم ولم يفعله الا قليل منهم مع علمه بوجوب
ذلك عليهم ورفع القليل على البدل من الواو والمعنى ما فعله الا قليل منهم ومن قرا قليلا بالنصب كان نصبا
على الاستثنا على معنى استثني قليلا منهم قالوا وانما يجوز هذا في النفي واما في الاثبات فلا يجوز فعلوه الا
قليل منهم بالرفع لان الفعل لا يكون مضافا الى القليل ولا يكون القليل بدلا من الواو قال الله عز وجل فشربوا
منه الا قليلا منهم واما حرف لو في اول هذه الاية فهو موضوع في اللغة ليمتنع به الشي لامتناع غيره
تقول لو جاني زيد لجيته تريد بذلك ان مجيي امتنع لامتناع مجي زيد وحق لو ان يليها الفعل الا ان ان
الشديدة يقع بعدها لان ان في اللغة تنوب عن الاسم والخبر تقول ظننت انك عالم اي ظننتك عالما
وظننت علمك وكذلك تنوب عن الاسم والفعل كما نابت عن الاسم والخبر فالمعنى في لو انا كتبنا
عليهم كالمعنى في لو كتبنا عليهم واما قوله عز وجل ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا ففيه اربعة اوجه
احدها ضم النون في ان والواو في او لانهما اذا حركا الى الكسر وقع خروجا من الكسر الى الضم وليس في كلامهم
فعل فاستثقلوا ذلك فضموها والثاني كسرهما جميعا لالتقاء الساكنين والثالث كسر الاولى وضم الثانية
لان الكسرة في الواو مستثقلة والرابع بضم الاولى وكسر الثانية وهو ضعيف لان في الواو ثقلا وفي الضمة
ثقلا اخر فعدل عن الضمة الى الكسرة واما قوله عز وجل ولو انهم فعلوا ما يوعظون به فمعناه لو فعل
المنافقون ما يومرون به من الرضى بحكمك لكان خيرا لهم من المحاكمة الى غيرك واشد تثبيتا لقلوبهم
على الصواب لان الحق يبقى والباطل يذهب ويتلاشا ويقال معنى التثبيت البصيرة تودي الى سكون النفس
واعتقاد الجهل يودي الى الحيرة والشك قوله عز وجل وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا
اي اذا لو فعلوا ما امروا به لاعطيناهم من عندنا ثوابا جزيلا في الجنة يصغر عنده كل ما سواه قوله عز وجل
وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا قال بعضهم ولفعلنا بهم من اللطف ومن الطاعات ما يلزمون به
الصراط المستقيم كما قال الله عز وجل والذين اهتدوا زادهم هدى وقال بعضهم ولهديناهم في الاخرة

الى الطريق

الى طريق الجنة قوله عز وجل وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا معناه من يطع الله والرسول فيما
يدعو اليه ويامر به فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين روي عن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما انه قال نزلت هذه الاية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير وجهه ولونه ونحل جسمه فقال عليه
السلام ما غير لونك فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي من مرض ولا وجع غير اني لم ارك فاشتقت
اليك واستوحشت فهذا الذي نزل بي من اجل ذلك واذكر الاخرة واخاف ان لا اراك هنالك فانك
ترفع مع النبيين فانزل الله تعالى هذه الاية فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لا يومن عبد حتى اكون
احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين واما قوله والصديقين فهم اصحاب الصدق
والصديق افضل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويسمى المداوم على التصديق بما يوجبه الحق صديقا
ويقال في معنى الصديق المتصدق في اعمال البر واما الشهدا فهم الذين استشهدوا في سبيل الله ويقال
سموا شهدا لقيامهم بشهادة الحق وهذا هو معنى دعا المومنين اللهم ارزقنا الشهادة وانما يقال
للمقتولين والغريق شهدا على التشبيه بالشهيد لشدة ما نالهم ويصبرون عليه واما الصالحون فهم
الذين استقامت احوالهم بحسن عملهم والمصلح هو المقوم لحسن عمله ولهذا يجوز في صفات الله تعالى
المصلح ولا يجوز الصالح لانه يقوم بتدبير عباده فان قيل كيف يكون المطيعون لله سبحانه والرسول
صلى الله عليه وسلم مع النبيين ودرجة الانبيا في الجنة في اعلى عليين قيل ان الانبيا عليهم السلام وان
كانوا في الجنة في اعلى عليين فان غيرهم من المومنين يرونهم ويزورونهم ويستمتعون برويتهم
فيصلح في اللفظ ان يقال انهم معهم واما قوله وحسن اولئك رفيقا فمعناه حسن الانبيا ومن معهم
رفقا في الجنة اي ما احسن مرافقتهم فيها فذكر الرفيق بذكر التوحيد لانه نصب على التمييز كما في قوله عز
وجل فان طبن لكم عن شي منه نفسا وكما يقال فلان احسن الظن في ويجوز ان يكون معنى حسن
اولئك حسن كل واحد من اولئك رفيقا كما قال الله عز وجل ثم يخرجكم طفلا ولم يقل اطفالا وفي
اصل الرفيق في اللغة ان يرافق صاحبه في المنزل او السفر ماخوذ من الرفق في الامر قوله عز وجل
ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا معناه ذلك المن من الله على المطيعين وكفى بالله عليما بهم وباعمالهم
ومجازاتهم بما يستحقونه من ثواب وكرامة والفضل اصل في اللغة هو الزيادة على المقدار لا انه كثر
استعماله في النفع وافعال الله عز وجل كلها فضل وتفضل وافضال لانه لا يقتصر بالعبد على مقدار
ما يستحق من عمله كما يفعل الناس بل يزيده زيادة كثيرة قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا معناه يا ايها الذين اقروا وصدقوا الله ورسله خذوا حذركم من
عدوكم بالاسلحة والدواب والرجال ولا تخرجوا متفرقين ولكن انفروا جماعات جماعات سرية
سرية كما يامركم النبي صلى الله عليه وسلم في جهاد عدوكم او اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم
ان اراد الخروج ويجوز ان يكون معنى الحذر السلاح مما يطلب به الحذر والتقوى وفي اللغة النفر
يقال نفر ينفر نفورا ونفر الى الله عز وجل اذا فزع اليه والنفر الجماعة التي تفزع الى مثلها وواحد الثبات
ثبة وقد يجمع ثبة ثبون وانما جمعت بالواو والنون لان الواو والنون جعلتا عوضا من حذف الحرف
وتصغير ثبة ثبية وكذلك عزة وعضة كما قال الله عز وجل عضين وعزين وثبة الحوض وسطه
حيث يثوب الما واشتقاق الثبة من قولهم ثبيت على فلان اذا جمعت ذكر محاسنه قوله عز وجل
وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا معناه وان منكم

اظهروا الايمان ليتثاقلن على الجهاد ويتخلفن وهم عبد الله بن ابي وجد بن قيس واصحابهما من المنافقين الذين
كانوا يشاركون المسلمين في ظاهر الاسلام كانوا ينتظرون هلاك المسلمين وهزيمتهم ويتثاقلون عن الجهاد
يقال ابطأ الرجل اذا تاخر عن العمل باطالة المدة وبطا الرجل اذا ثقل واللام التي في لمن لام ان واللام التي
في ليبطئن لام القسم كانه قال وان منكم لمن حلف والله ليبطئن ومعنى فان اصابتكم مصيبة اي ان اصابكم
نكبة او قتل او هزيمة قال هذا المبطئ قد من الله علي اذ لم اكن معهم حاضرا فيصيبني ما اصابهم
قوله عز وجل ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما معناه ولئن اصابكم معشر المومنين ظفر ودولة وغنيمة ليقولن هذا المبطئ
يا ليتني كنت معهم في الغزو فاصيب حظا وافرا وغنايم كثيرة واما قوله عز وجل كان لم يكن بينكم وبينه مودة
قال بعضهم هو معترض بين التمني وما قبله وتقديره ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما كان لم يكن بينكم وبينه مودة اي يتمنى ان ينال المال من غير ان يريد الجهاد والقتال
ويقول قول الممنوع عن النبي صلى الله عليه وسلم وان كان ممتنعا بنفسه ويجوز على هذا التاويل
حمل الاية على النظم الذي ورد الكتاب به وقال بعضهم موضع قوله كان لم يكن بينكم وبينه سابق
على هذه الاية وهو متصل بقوله تعالى قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا كان لم يكن بينكم وبينه
مودة اي صلة في الدين ومعرفة في الصحبة كانه لم يعاقدكم قبل ان يجاهد معكم ثم امر الله عز وجل كل
من عقد عقد الايمان بالقتال فقال عز وجل فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا
بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما معناه ليقاتل في سبيل
الله ورضاه الذين يبيعون الحيوة الدنيا بنعيم الاخرة وهم المومنون ويقال قوله عز وجل فليقاتل
خطاب للمبطئين ومعناه يشرون الحيوة الدنيا يختارون الحيوة الدنيا على الاخرة وهذا اللفظ من
الاضداد يقال شريت بمعنى بعت وشريت بمعنى اشتريت ثم ذكر الله تعالى المجاهدين في الاخرة
فقال عز من قايل ومن يقاتل في سبيل الله اي في الجهاد الذي هو طاعة الله فيقتل هو او يغلب ويظفر
على العدو فسوف نعطيه في كلا الوجهين ثوابا وافرا في الجنة وسمى الله الثواب عظيما لانه جل كرمه
ثمن العبد باعلى الايمان وقد يكون ثمن الشي مثله ويكون وسطا من الايمان وفي الاية بيان ان المومن
اذا غلب لعدو لا ينقص ثوابه عند غلبته على ما اصاب من الظفر والغنيمة ونظير هذه الاية
قوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يعني الظفر في الدنيا والشهادة في الاخرة قوله عز
وجل وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا
معناه اي شي لكم ايها المومنون في ترك الجهاد واجتماع الاسباب الموجبة للحرص عليه وقوله لا تقاتلون
في موضع النصب على الحال كانه ما لكم تاركين القتال كما قال الله عز وجل في اية اخرى فما لهم عن
التذكرة معرضين وقوله تعالى والمستضعفين في موضع الخفض باضمار في ومعناه وفي شان
المستضعفين اي في نصرة المستضعفين ويجوز ان يكون معناه وعن المستضعفين اي الذب عن
عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين هم بمكة ويلقون فيها اذى كثيرا من المشركين
وهم سلمة بن هشام والوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وغيرهم كانوا اسلموا بمكة فاراد عشايرهم
من اهل مكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ان يفتنوهم عن الاسلام يقول الله عز وجل
ما لكم لا تقاتلون المشركين في خلاص هولاء الضعفاء الذين يسالون الله عز وجل ويقولون ربنا اخرجنا
اي خلصنا من هذه القرية يعنون مكة الظالم اهلها الكافر اهلها واجعل لنا من عندك حافظا

يحفظنا

يحفظنا من اذاهم وجعل لنا من عندك مانعا يمنعنا منهم فاستجاب الله تعالى دعاهم وجعل لهم
النبي صلى الله عليه وسلم حافظا وناصرا فتح مكة على يديه واستعمل هو عليهم عتاب بن اسيد
فكان عتاب بن اسيد ينصف الضعيف من الشديد وذهب الزجاج الى ان الظالم وهذه الاية
نعت للقرية قال وانما وحد الظالم لانه صفة تقع موقع الفعل تقول مررت بالقرية الصالح
اهلها تريد بذلك التي صلح اهلها وقال الفراء هو نعت للاهل فلما عاد الاهل على القرية كان فعل ما
اضيف اليها بمنزلة فعلها كما تقول مررت بالرجل الواسع داره والحسن شانه ونحو ذلك
قوله عز وجل الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا في الاية بيان ان المومنين يقاتلون عن بصيرة
والكفار يقاتلون عن شبهة ومن يقاتل عن بصيرة يكون اقوى قلبا واشد واقرب الى النصرة ممن
يقاتل عن شبهة لان شدة الحرص على القتال بقوة البصيرة ومعنى الاية الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقران يقاتلون في طاعة الله بامر الله والذين كفروا ابو سفيان واصحابه يقاتلون في
طاعة الشيطان فقاتلوا ايها المومنون قرناء الشيطان ان مكر الشيطان وصنعه بالوسوسة
الى اوليائه ان الظفر يكون لهم كيد ضعيف وانما دخل على هذا اللفظ كان لتبيين ان صفة
الضعف لازمة له وانه قد كان ضعيفا فخذل اولياءه كما خذلهم يوم بدر حيث قال لهم اني
بري منكم اني ارى ما لا ترون قوله عز وجل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا
ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا
قال ابن عباس والحسن وقتادة رضي الله عنهم نزلت هذه الاية في قوم من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم وهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله والمقداد
بن الاسود وغيرهم استاذنوا من النبي صلى الله عليه وسلم في قتال المشركين كانوا بمكة فامرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكف وقال اني لم اومر بقتالهم بعد وفي رواية الروايات كانوا
يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لو اذنت لنا ان نحمل معاول نقاتل بها المشركين فقال صلى
الله عليه وسلم كفوا ايديكم عن المشركين عن ضربهم وقتالهم واقيموا الصلوة اتموا الصلوات
الخمس بشرايطها واعطوا زكوة اموالكم يقول الله عز وجل فلما فرض الله عليهم بالمدينة الجهاد اذا
فريق منهم طايفة منهم وجماعة يخشون الناس يخافون قتال اهل مكة كخوفهم من عذاب الله بل
اكثر خوفا منهم من خوفهم من الله وكلمة او في هذا الموضع لابهام الامر على المخاطب لا للشك اذ ا
الشك لا يجوز على الله سبحانه وهذا كما في قوله تعالى وارسلناه الى ماية الف او يزيدون ويجوز
ان يكون او في هذا للتخيير والاباحة كقولك جالس الحسن او ابن سيرين اي ان شبهت خشيتهم من الناس
بخشيتهم من الله كنت مصيبا فان شبهتها باشد من ذلك كنت مصيبا لان خشيتهم من الناس قد
بلغت مبلغ خشيتهم من الله وزيادة واما قوله عز وجل وقالوا ربنا اي قالوا يا ربنا لم اوجبت علينا
الجهاد لولا اخرتنا الى اجل قريب يعنون الموت قال الحسن رضي الله عنه لم يقولوا هذا كراهة امر الله
ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك كما يدخل الجبن على الرجل وقال بعضهم انما قالوا هذا لانهم ركنوا الى
الدنيا واثروا نعيمها على القتال واما قوله عز وجل قل متاع الدنيا قليل معناه قل لهم يا محمد صلى الله عليه
وسلم منفعة الدنيا يسير ينقطع وتفنى اذ الجديد منها الى البلاء والشباب منها الى الهرم والى انقضاء
قالوا واقل نعمة منها من يطلبها ويفرح بها ويرغب اليها وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حين قبل الهجرة

انما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها واما قوله عز وجل والآخرة خير لمن اتقى فمعناه
وثواب الآخرة خير وافضل لمن اتقى المعاصي ولا ينقصون من اعمالهم من الجزاء الذي يستحقونه مقدار الفتيل و
نقيرا ولا يظلمون ها هنا على المخاطبة وقد تقدم تفسير الفتيل وبالله التوفيق قوله عز وجل اينما تكونوا
يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
معنى الآية والله اعلم اينما تكونوا معشر المؤمنين المخلصين والمنافقين في بر او بحر او حضر او سفر يلحقكم
الموت وان كنتم في حصون حصينة محكمة من الحديد وغيره مرتفعة الى عنان السماء اي انكم وان سوفتم وامرتم
بترك القتال فان اجلكم اذا جاء الموت لا تنجون منه وذهب بعضهم الى ان البروج قصور باعيانها في السماء وقيل
هي الابنية على رؤوس السور وهي في الجملة ماخوذة من الظهور يقال تبرجت المراة اذا اظهرت زينتها ومنه
البرج سعة العين ورجل ابرج اذا كان واسع العين واما المشيدة فيجوز ان يكون معناها من الشيد وهو
الجص ويجوز ان يكون معناها المطولة المرتفعة شاد الرجل بناءه تشييدا شيدا وشادا اذا رفعه و
طلاه بالشيد فاما في الذكر فيقال اشدت بذكر فلان لا غير اذا رفعت من ذكره واما قوله عز وجل
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من الله فهو حكاية قول المنافقين واليهود كانوا يقولون ما زلنا
نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل علينا يعنون النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه
المدينة فذلك قوله عز وجل وان تصبهم حسنة اي يصبهم خصب ورخص سعر وتتابع امطار
يقولوا هذه من فضل الله علينا وان يصبهم قحط وجدوبة وشدة وغلاء سعر يقولوا هذه من شؤم محمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم كما قال الله عز وجل في شان موسى عليه السلام وان تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه يقول الله عز وجل قل كل من عند الله اي قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم الحسنة
والسيئة كلها بقضاء الله وتقديره فما لهؤلاء المنافقين واليهود لا يقربون من فهم حديث عن الله تعالى و
الفقه في اصل الفهم ثم اختص من جهة العرف بعلم الفتوى واستدل بعض المفسرين على ان المراد بقوله عز وجل
من قبل اذا فريق منهم يخشون الناس المنافقون دون المخلصين وقال الحسن رضي الله عنه اراد بالحسنة في هذه
الآية الظفر والغنيمة وبالسيئة القتل والهزيمة كانوا اذا غلبوا قالوا هذه رضي الله من عند الله واذا غلبهم العدو
قالوا هذه خطاؤك وتدبيرك قوله عز وجل ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا اختلف المفسرون في المخاطب بهذه
الآية قال اكثرهم خطاب للنبي صلى الله عليه والمراد بها عامة الناس كما قال عز من قائل يا ايها النبي
اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وقال ابن قتادة المخاطب باول هذه الآية الانسان كانه قيل
ما اصابك ايها الانسان من حسنة اي خصب ورخص سعر وغنيمة فالله عز وجل هداك لها واعانك
ووفقك عليه وما اصابك من قحط وجدوبة ونكبة وهزيمة وكل امر تكرهه فمن نفسك اي اصابك
ذلك بما كسبت نقصا اي عليك كما قال جل ذكره في اية اخرى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفوا عن كثير وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من خدشة عود ولا اختلاج عرق
ولا عثرة قدم الا بذنب وما يعفو الله عز وجل اكثر وقال بعض المفسرين بين هذه الآية وبين التي قبلها
اضمار تقديره بردك فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك من حسنة فمن
الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك لانه يستحيل ان يامر الله عز وجل باضافة الحسنة والسيئة الى
امره وقضائه وفي اية لم يتلوها بانه يفرق بينهما بعد ان ذم قوما على التفرقة في الاولى فكيف يجوز ان
يقدم على الجمع في الآية الثانية ومثل هذا الاضمار كثير وقرئ في الشواذ فمن نفسك اي الكل من الله ثم قرأت

ونفسك

ونفسك حتى يضاف اليك شيء غير ان القراءة سنة متبعة فلا يقرأ الا بما صح به الرواية واما قوله
عز وجل وارسلناك للناس رسولا فمعناه من نعمة الله تعالى عليك الرسالة اي ارسلناك رسولا اليهم وكفى بالله
شهيدا اي يشهد لك بالرسالة والصدق ويقال يشهد على مقالة القوم ان الحسنة من الله والسيئة
من عندك قوله عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك
عليهم حفيظا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الآية في المنافقين كانوا
يقولون يا رسول الله صلى الله عليك وسلم امرك طاعة فمرنا بما شئت نفعله فاذا امرهم بالامر او نهاهم
عن الشيء خالفوه وغيروا ما قالوا لهم فانزل الله تعالى هذه الآية وما بعدها فيهم ومعنى الآية من يطع
الرسول فيما يامره وينهاه فقد اطاع الله لان الرسول صلى الله عليه وسلم انما يامر به من عند الله ومن
تولى اعرض عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا اي ليس عليك الا البلاغ وما ارسلناك عليهم مسلطا
تجبرهم على الايمان والطاعة وتمنعهم عن الكفر والمعصية فانك مبلغ وانا العالم باسرارهم وهذه الكلمة
من اخر هذه الآية منسوخة نسختها اية السيف قوله عز وجل ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك
بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلا معناه ان المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم امرك طاعة وقولك متبع
فاذا خرجوا من عندك يا محمد صلى الله عليه وسلم غير جماعة من المنافقين الامر الذي تامرهم به على وجه التكذيب
والتدبير بخلاف ما يقول يقال لكل امر قضي بالليل بيت باسكان التاء وادغامها في الطاء لقرب مخرجهما
وهذا مما يستقبح به وانما لم يقل بيتت لان كل تانيث غير حقيقي يجوز تغييره بلفظ التذكير وقرأ بعضهم
بيت طائفة منهم باسكان التاء وادغامها في الطاء لقرب مخرجهما وهذا مما يستقبح في الفعل لان الفعل
الماضي مبني على الفتح ومعناه والله يكتب ما يبيتون يحفظ عليهم ما يغيرون من امرك ويقال ينزل
اليك في كتابه فاعرض عنهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ولا تعاقبهم ويقال لا تسم المنافقين باعيانهم
اي استر عليهم الى ان يستقيم امر الاسلام وثق بالله وفوض امرك اليه وكفى بالله وكيلا ثقة وحافظا
والوكيل هو العالم بما يفوض اليه من التدبير قوله عز وجل افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير
الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا معناه افلا يتفكرون في القرآن يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه
بعضا وان احدا من الخلائق لا يقدر على مثله فيعلمون انه حق وانه من عند الله والتدبر في اللغة هو النظر
في دبر الشيء وعاقبته يقال دبر القوم اذا هلكوا ودبر واذ ولى ادبرهم ويسمون النحل دبرا لانه يعقب ما
ينتفع به ويسمى المال الكثير دبرا لانه يبقى للاعقاب وقوله عز وجل ولو كان من عند غير الله معناه لو
كان هذا القرآن من عند النبي صلى الله عليه وسلم او كان يعلمه بشر على ما قاله الكفار لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا والاختلاف على ثلاثة اوجه اختلاف تناقض وهو ان يدعو احد الشيئين الى فساد
الاخر واختلاف تفاوت وهو ان يكون بعضه بليغا وبعضه مرذولا ساقطا وهذان الضربان من
الاختلاف منفيان عن القرآن وهو احدى دلالات اعجاز القرآن لان كلام البلغاء والفصحاء اذا طال مثل
السور الطوال من القرآن لا يخلو من ان يختلف اختلاف التفاوت والثالث اختلاف تلاؤم وهو
ان يكون الجميع متلائما في الحسن كاختلاف وجوه القراءات ومقادير الآيات والاختلاف بين الناسخ و
المنسوخ وهذا الاختلاف غير منفي عن القرآن وفي الآية دليل على بطلان قول من يقول انه لا يجوز تفسير
القرآن الا بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم لانه لو كان الامر على ما قالوا لم يمكن التدبر في القرآن اصلا
اذ لا يمكن التدبر فيه الا بمعرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم الا بمعرفة صحة القرآن وانتفاء الاختلاف
عنه وهذا يوجب ان لا يعلم واحد منهما وفي الآية دليل بطلان التقليد في اصول الدين اذ لو جاز التقليد فيها

لم يكن للامر بالتدبر للقران معنى قوله عز وجل وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا قال بعض المفسرين اراد باول الاية المنافقين كانوا اذا اتاهم خبر من امر السرايا الذين بعثهم الرسول صلى الله عليه وسلم من ظفر ودولة وغنيمة او اتاهم عنهم خبر نكبة وهزيمة افشوا ذلك الخبر واظهروه ليحذر بخبر الظفر من ينبغي ان يحذر من الكفار وتقوى بخبر الهزيمة قلب من كان يبتغي نكبة المسلمين منهم وقال بعضهم اراد به صفة المسلمين في الراي كانوا اذا بلغهم خبر افشوه يقول الله عز وجل ولو ردوه الى الرسول اي تركوا امر العسكر والسرايا الى النبي صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر من المومنين وهم ابو بكر وعمر وعثمن وعلي واكابر الصحابة رضي الله عنهم حتى يكونوا هم الذين يفشون لعلمه الذين يطلبون الخبر ويستخرجونه من النبي صلى الله عليه وسلم واكابر الصحابة ان ذلك صحيح ام فاسد وعلموا تدبير مكايد العدو والخروج الى الجهاد من الاقدام في حالة والاحجام في اخرى وعلموا ان ذلك هل ينبغي ان يذاع ذلك الخبر او لا يذاع وقد تقدم تفسير اولي الامر انهم امرا السرايا او العلما ولا تنافي بين القولين لان الامرا هم الذين يملكون الامر والنهي والعلما هم الذين يجب الناس الرجوع اليهم في الحوادث وان كانوا لا يملكون الالزام ٥ والاستنباط في اللغة الاستخراج واصل ذلك النبط وهو الما الذي يخرج من البير في اول ما يحفر يقال انبط الحافر اذا بلغ الما ومنه تسمية الانباط بذلك لانهم كانوا اصحاب معرفة باستخراج المياه واما قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته فمعناه لولا ما انزل الله تعالى عليكم من القران وبين لكم من الايات على لسان نبيه عليه السلام لاتبعتم الشيطان الا قليلا اي كان اقلكم ينجوا من الكفر مثل زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة والمراد بالفضل في هذا الفضل الرسول صلى الله عليه وسلم والقران لا عموم الفضل والرحمة لان الذين يومنون بغير الكتاب والرسول لا يخلوا ايمانه من فضل الله ورحمته وقال بعضهم في الاية تقديم وتاخير والمعنى اذاعوا به الا قليلا من الخبر لم يذيعوه او الا قليلا من المنافقين لم يذيعوه وقال بعضهم المعنى لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا قال وليس هذا استنباط نظر وتفكر فلا يعرف الا القليل من الناس انما هو استنباط خبر والاكثر يعرف الخبر اذا اخبر به وانما القليل المبالغ في التلاوة لا يعلم ما يخبر به ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالخروج الى بدر الصغرى حين كان اكثر الصحابة يكرهون ذلك كراهة شديدة فخرج في سبعين راكبا حتى اتى موسم بدر الصغرى فكف الله عنه باس العدو ولم يكن قتال وانصرف هو واصحابه فذلك قوله عز وجل فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا اختلفوا في الفا في اول هذه الاية قال بعضهم هو جواب قوله عز وجل ومن يقاتل في سبيل الله وقال بعضهم هو جواب قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله اي اي شي لكم في ترك القتال فقاتل في طاعة الله بالجهاد لا تواخذ الا بفعل نفسك وليس عليك ذنب غيرك وحرض المومنين على القتال ايضا لعل الله ان يمنع عنك قتال الكفار وعسى من الله تعالى واجب لانه في اللغة الاطماع واطماع الكريم لا يكون الا انجازا وقوله عز وجل والله اشد باسا معناه هو اشد قوة واشد عقوبة من اهل مكة وانما سميت العقوبة تنكيلا لانها فعل ما يوجب النكول الذي هو الامتناع من الشي ومنه النكول عن اليمين والنكول عن الامر قوله عز وجل مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في معنى الاية من يصلح بين اثنين يكن له اجر وثواب من ذلك الاصلاح ومن يمشي بالغيبة والنميمة يكن له حظ من وزرها وعقوبتها ويقال معناه من يوحد ويامر بالتوحيد يكن له اجر من ذلك ومن يشرك ويامر بالشرك يكن له وزر من ذلك ويقال الشفاعة الحسنة هي

الدعا

الدعا للمومنين والشفاعة السيئة هي الدعا عليهم فان اليهود كانوا يدعون على المومنين فتوعدهم الله عز وجل بذلك واصل الشفاعة في اللغة ضم الشي الى مثله وهو ان يصير الانسان شفع صاحبه في معنى من المعاني في جهاد او مسئلة خير شي مما يفعل او قول وان كان استعمال هذا اللفظ في العرف وطلب الخير اكثر في العرف والعادة واما الكفل فهو النصيب ماخوذ من قولهم اكتفلت البعير اذا ادرت على سنامه او موضع من ظهره كسا وسمي ذلك كفلا لانه يستوعب الظهر كله وانما ذكر النصيب بلفظ الكفل على مقابلة الاول ليكون ابلغ في الحسن والجودة واحطا في البلاغة واما قوله عز وجل وكان الله على كل شي مقيتا فمعناه مقتدرا مجازيا بالحسنة والسيئة وانشدوا للزبير بن عبد المطلب ٥ وذي ضغن كففت النفس عنه ٥ وكنت على مساته مقيتا ٥ اي مقتدرا وقال الزجاج المقيت الحفيظ الذي يعطي الشي قدر الحاجة من الحفظ لانه مشتق من القوت يقال قت الرجل اقوته قوتا اذا حفظت نفسه بما يقوته ويقال اسم ذلك الشي الذي يحفظ نفسه والافضل فيه على هذا اتصال هذه الاية بما قبلها ان الاية التي قبلها تحريض على القتال وفي هذه الاية بيان ان للمحرض بفعله وقوله نصيبا من الاجر والثواب قوله عز وجل وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا قال ابن عباس اراد بالتحية السلام ومعنى الاية على هذا القول واذا سلم عليكم احد فاجيبوا بتحية احسن منها وهو ان يزيد في التحية فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يحيي بذلك المسلم عليه والملكين الحافظين معه بابلغ التحية وقوله عز وجل او ردوها معناه او اجيبوا بمثل الذي سلم عليكم وقد روي ان رجلا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام ورحمة الله ودخل اخر فقال السلام عليكم ورحمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقام الداخل الاول فقال سلمت عليك فلم ترد لي علي وعليكم ورددت هذين فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لم تترك من السلام شيا فرددته عليك وهذان تركا منه شيا فرددتها عليهما وفي هذا الخبر بيان ان منتهى السلام وبركاته وفي الاية دليل ان السلام سنة ورد السلام واجب فقد قال اصحابنا رحمهم الله ان رد السلام فرض على الكفاية اذا سلم الرجل على جماعة فرد واحد منهم اجزا عنهم الا في رواية ابي يوسف ان الرد واجب على كل واحد منهم واما قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم وقول النبي صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير فالمراد بذلك والله اعلم الاستحباب في افشا السلام ليكون الحظ من الثواب اكثر وهذه الاية محمولة على ما اذا كان المحيي مسلما فاما اذا كان المحيي كافرا فلا يزيد المسلم عليه في جوابه على قوله وعليك كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تبدوا اليهود بالسلام فان بدوكم فقولوا وعليكم وتاويل هذا الخبر ان ينوي عليه المسلم عليه بقوله ما يحل ان يدعى به للكفار من البقا والنعمة في الدنيا دون نعيم الاخرة ولهذا يقال لهم ورحمة الله لان رحمة الله عز وجل لا تليق بالكفار وقال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى قوله واذا حييتم بتحية اذا اهدي اليكم هدية فكافيوا بافضل منها او مثلها وانما حملوا الاية على هذا التفسير لان معنى التحية في اللغة الملك على ما قيل في التحيات لله ان معناها الملك لله وكانوا يقولون قبل الاسلام حياك الله اي ملكك الله ثم ابدلوا هذا اللفظ بالسلام بعد الاسلام واقيم السلام مقام قولهم حياك الله وعن هذا التفسير استدل فقهاونا رحمهم الله على التحية قولهم فيمن وهب لغير ذي رحم محرم منه ان له الرجوع فيها ما لم يعوض عنها كما رواه ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الواهب احق بهبته ما لم يثب منها قالوا وحمل الاية على الهبات اولى لان عين السلام لا يتصور رده واما قوله عز وجل ان الله كان على كل شي حسيبا فمعناه مجازيا يعطي كل شي من العلم والحفظ والجزا مقداره ما يحسبه اي يكفيه يقال حسبك هذا اي اكتف بهذا وقوله عز وجل عطا حسابا اي كافيا وانما سمي

اوقصده

ورحمة الله وبركاته

ودخل آخر

الحساب في المعاملات حسابا لانه يعلم به ما فيه كفاية ولعل فيه زيادة على المقدار ولا نقصان عنه ثم وحد
الله تعالى نفسه لبيان انه لا اله غيره يجازي على الاعمال فقال عز وجل الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى
يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا معناه هو الله لا اله في الارض ولا في السماء
غيره واللام في ليجمعنكم لام القسم كانه قال الله ليجمعنكم هو في الحيوة والموت وفي قبوركم الى يوم القيمة ويقال معناه
ليجمعنكم ايها المخاطبون الى جمع يوم القيمة وسمي هذا اليوم بهذا الاسم لان الناس يقومون للحساب يومئذ
ويقال لانهم يقومون من قبورهم ومعنى لا ريب فيه لا شك فيه انه كاين لوضوح الحجة في كونه وقوله عز وجل
ومن اصدق من الله حديثا استفهام بمعنى النفي اي ليس احد او في من الله وعدا ولا اصدق منه قولا اذ لا
صادق الا ويوجد خبره بخلاف مخبره وفي بعض الاوقات الا الله عز وجل فمن اصدق منه حديثا وانما
كان الله سبحانه اصدق حديثا لعلمه بقبح الكذب وغناه عن فعله ولا يكون الكذب الا لتحمل نفعه او لجلب
منفعة او لدفع مضرة والله سبحانه غني عن العالمين قوله عز وجل فما لكم في المنافقين فئتين والله
اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا قال ابن عباس رضي
الله عنهما هاجر اناس من قريش فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلموا ثم ندموا فقالوا
للمسلمين انا قد اجتوينا المدينة فنخرج ونتنزه فخرجوا فجعلوا يتحولون منقلة ثم منقلة حتى تباعدوا
من المدينة ثم ادلجوا فاصبحوا وقد قطعوا ارضا بعيدة من الارض فلحقوا بمكة وكتبوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا على ما فارقناكم عليه من التصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنا اشتقنا الى ارضنا
واجتوينا المدينة ثم انهم ارادوا ان يخرجوا في تجارتهم الى الشام فاستبضعهم اهل مكة وقالوا انتم على دين
محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فان لقوكم فلا باس عليكم منهم فخرجوا من مكة متوجهين الى الشام فبلغ ذلك
المسلمين فقالت طايفة منهم نقاتلهم فليسوا على ديننا وقالت طايفة سبحان الله كيف نقاتل قوما على ديننا
فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها اي شيء لكم من الاختلاف في هؤلاء المنافقين حتى صرتم في امرهم فرقتين
من محلل لاموالهم ومحرم لاموالهم والله تعالى ردهم الى كفرهم وضلالتهم بما كسبوا من اعمالهم السيئة ونفاقهم وخبث
نياتهم واما انتصاب قوله فئتين فعلى الحال يقول ما لك قايما اي ما لك انتصبت قايما اي لم قمت في هذه
الحالة قايما ومعنى اتريدون ان تهدوا من اضل الله اتريدون معشر المخلصين ان ترشدوا من خذله الله عن
دينه وحجته ومن يضلل الله اي يخذله الله عن دينه الاسلام فلن تجد له طريقا الى الحجة ويقال معنى
اتريدون ان تهدوا اتريدون ان تقولوا ان من اضلهم الله هم مهتدون ومن نسبه الله سبحانه
الى الضلالة فلن تجد له هاديا باسمه مومنا وهذا كما يقال من جرحه الحاكم فلا ينفعه تعديل غيره
قوله عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا
في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا
معناه والله اعلم تمنى المنافقون والكفار ان تكفروا انتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران كما كفروا فتكونون
انتم معهم في الكفر سواء ولا تتخذوا منهم احبابا حتى يهاجروا في طاعة الله سبحانه فان اعرضوا عن الايمان
والهجرة فاسروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم احدا حبيبا في العون والنصرة
ولا مانعا وهذه الاية محمولة على حال ما كانت الهجرة فرضا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا بريء
من كل مسلم اقام بين اظهر المشركين وانا بريء من كل مسلم مع مشرك قيل لم يا رسول الله قال لا تراءى ناراهما
ثم نسخ ذلك يوم فتح مكة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوم فتح مكة
لا هجرة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله عز وجل قوله عز وجل الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق

هي المرحلة ... السفر

او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
اول هذه الاية استثناء لمن اتصل من الكفار بقوم بينهم وبين المسلمين ميثاق قال ابن عباس رضي الله عنهما
اراد بالقوم الاسلميين وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بردة هلال بن عويمر الاسلمي واصحابه على ان
لا يعينوه ولا يعينوا عليه لمن وصل اليهم والتجأ اليهم بالانساب او بالاقبال من الجوار مثل ما لهم ويقال
اراد بالوصول ان يدخل احد من ساير الكفار في عهد الاسلميين على حسب ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين قريش من الموادعة فدخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو كنانة في عهد قريش
واما قوله عز وجل او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم فمعناه او يصلون الى قوم جاؤكم ضاقت صدورهم
ان يقاتلوكم مع قومهم او يقاتلوا قومهم معكم وهم بنو مدلج ولو شاء الله لسلط قوم هلال بن عويمر
وبني مدلج عليكم فلقاتلوكم اذا قاتلتموهم طالبين لهم فان اعتزلوكم يقول ان تركوكم فلم يقاتلوكم مع قومهم
ان استسلموا وخضعوا بالصلح والوفاء فما جعل الله لكم عليهم سبيلا حجة في القتال والحصر في اللغة الضيق
ومنه الحصر في القراءة لانه ضاق عليه المذاهب فلم يتوجه لقراءته ومنه المحصور في حبس ونحوه قال اهل النحو
معنى او جاؤكم حصرت صدورهم او جاؤكم قد حصرت صدورهم لان حصرت لا يكون حالا الا بقد قالوا
ويجوز ان يكون حصرت صدورهم خبرا بعد خبر كانه قال او جاؤكم ثم اخبر بعد فقال حصرت صدورهم
ان يقاتلوكم وفي الشواذ او جاؤكم حصرة صدورهم واما اللام التي في قوله لسلطهم فهي جواب لو واللام
الثانية التي في فلقاتلوكم تكرار والفاء عطف بمنزلة الواو وقد روي عن عطاء عن ابن عباس رضي الله
عنهما منسوخة نسخها اول سورة التوبة واراد بها ان معاهدة المشركين وموادعتهم منسوخة بقوله
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم لان الله عز وجل اعز الاسلام واهله فلا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او
السيف بهذه الاية وقد امر الله تعالى في اهل الكتاب بقتالهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية بقوله تعالى قاتلوا
الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الى قوله وهم صاغرون فلا يجوز مهادنة الكفار وترك احد منهم على الكفر
من غير جزية اذا كان بالمسلمين قوة القتال واما اذا عجزوا عن مقاتلتهم وخافوا على انفسهم وذراريهم
جاز لهم مهادنة العدو من غير جزية يودونها اليهم لان حظر الموادعة كان بسبب فاذا زال السبب
زال الحظر قوله عز وجل ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الى
الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا معناه ستجدون قوما اخرين يظهرون لكم الصلح
يريدون ان يامنوا منكم بكلمة التوحيد يظهرونها لكم ويامنوا من قومهم بالكفر في السر كلما دعوا الى الشرك رجعوا
فيه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هم اسد وغطفان كانا حاضري المدينة وكانا تكلما بالاسلام
واقرا بالتوحيد وكانا غير مسلمين كان الرجل منهم يقول له قومه لم اسلمت وبم امنت فيقول امنت بهذا
العود وبهذا العقرب وهذه الخنفساء يريدون به الاستهزاء فاذا لقوا محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه
قالوا انا على دينكم واظهروا الاسلام فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين على ذلك بهذه الاية
وقوله عز وجل فان لم يعتزلوكم اي ان لم يتركوا قتالكم ولم يستسلموا لكم في الصلح ولم يمنعوا ايديهم عن قتالكم
فخذوهم واسروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم واولئكم اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم حجة ظاهرة
في القتال معهم ومن الناس من يقول ان هذه الايات منسوخة ويجوز للمسلمين ترك قتال من لا يقاتلهم من الكفار
وممن قال بهذا القول سفيان الثوري وابن شبرمة وهو قول الشافعي لان هذه الايات تقتضي حظر قتال من
كف عن قتالنا من الكفار ولا نعلم احدا من الفقهاء يحظر قتال من اعتزل عن قتال المشركين وانما الخلاف

صح

ان هذه الاية

ويلقوا اليكم السلم

في جواز تركه قبالهم فقد حصل الاتفاق منهم جميعًا على نسخ حظر القتال. قوله عز وجل وما كان
لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان
يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة
من الله وكان الله عليما حكيما معنى الاية والله اعلم ما كان لمؤمن في حكم الله تعالى وامره ان يقتل مؤمنا
بغير حق ويقال معناه ما كان له فيما سلف كما ليس له الان وقال بعضهم ان اللام مقدمة على موضعها
تقدير الاية ما كان مؤمن ليقتل مؤمنا وهذا كما قال الله عز وجل ما كان لله ان يتخذ من ولد تقديره
ما كان الله ليتخذ من ولد وكقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها تقديره ما كنتم لتنبتوا شجرها واما
قوله عز وجل الا خطأ يجوز ان يكون استثناء صحيحا على معنى الا ان يكون وقوع القتل منه على وجه الخطا
وهو ان لا يكون قاصدا قتله فيكون مرفوع الاثم والعقاب وقال بعضهم هذا استثناء صحيح يفيد اباحة
قتل المؤمن خطأ في بعض الاحوال وهو ان يجد المسلم مسلما عليه سيما المشركين ويجده في حريمهم فيظنه مشركا
فيجوز له قتله وهو خطأ وقيل ان هذا لا يصح لان الاباحة لا يتصور في قتل الخطا كما لا يتصور فيه النهي لان
الحالة التي لا يعلمها الانسان لا يجوز ان يتعلق بها حكم الحظر والاباحة وقال بعضهم هذا الاستثناء ليس من الاول
معناه الا ان يخطئ المؤمن فيكون خطؤه ما ذكره الله عز وجل في هذه الاية ونظير هذا الاستثناء قول الله
تعالى الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وقول الشاعر: وقفت فيها اصيلا كي اسايلها ... اعيت جوابا وما بالربع
من احد ... الا اواري لايا ما ابينها ... والنوي كالحوض بالمظلومة الجلد ... واختلف المفسرون فيمن نزلت
هذه الاية فيه فقال ابن عباس نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي حين اسلم بمكة وخاف اظهار الاسلام
فخرج هاربا الى المدينة فخرجوا في طلبه واحتالوا عليه فردوه الى اهله وكان فيمن رده الحرث بن يزيد فحلف
عياش ان لا يلقاه خاليا الا قتله ثم ان الحرث اسلم بعد اسلام عياش فبينما عياش يسير بظهر قبا اذ لقي
الحارث فقتله ولم يكن يشعر باسلامه فقيل له انه قد اسلم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص عليه
القصة فانزل الله تعالى هذه الاية وقال بعضهم نزلت في ابي الدرداء حين قتل راعيا خطأ واما قوله عز وجل
ومن قتل مؤمنا خطأ معناه ومن قتل من غير قصد بان قصد غيره فاصابه او قتله على ظن انه مباح الدم
فعليه عتق رقبة في ماله وعليه وعلى عاقلته تسليم دية كاملة الى اولياء المقتول ولم يذكر في الاية من عليه
الدية من القاتل او العاقلة وقد اتفق الفقهاء على وجوب دية الخطا على العاقلة بالاخبار الواردة في هذا الباب
وهذه الدية الحقيقية تلزم القاتل عند اصحابنا رحمهم الله وهو احد من يحمل العقل كاحد العاقلة الا ان
العاقلة امرت بالدخول معه فيها على جهة المواساة من غير ان يلزمهم ذنب بجنايته كما امرت الاقارب
بصلة الارحام بكل وجه امكنهم لاصلاح ذات البين وكما اوجب الله تعالى الصدقة في مال الاغنياء للفقراء
على وجه المواساة وكذلك امرت العاقلة بتحمل الدية عن قاتل الخطا من غير اجحاف بهم وبه لانه يلزم كل واحد
ثلثة دراهم او اربعة ويجعل في اعطياتهم اذا كانوا من اهل الديوان موجلة في ثلث سنين واذا لم يكن القاتل
من اهل الديوان فعلى قبيلته تضم الى قبيلته اقرب القبائل اليها حتى لا يؤدي الى الاجحاف بالعاقلة واذا لم يكن للقاتل
عشيرة جعلت الدية في بيت مال المسلمين في ثلث سنين حتى لا يؤدي الى هدر الدم واما قوله عز وجل
الا ان يصدقوا فمعناه الا ان يتصدق اولياء المقتول فيتركوا الدية واما قوله عز وجل فان كان من
قوم عدو لكم فمعناه وان كان المقتول خطأ من قوم حرب لكم فقتل في دار الحرب وهو مؤمن اسلم في
دار الحرب ولم يهاجر حتى قتل فعلى قاتله عتق رقبة مؤمنة ولم يذكر الدية لان دم المقتول لا قيمة له اذا لم
يحرز نفسه بدار الاسلام وليس هو في صلح المسلمين ويقال انما لم يذكر الدية لكيلا تسلم الى اهل الحرب

دية

دية فيقوون بها علينا وهذا القول يفضي الى ان الدية واجبة الا انها لا تعطى اليهم وفي وجوب هذه
الدية خلاف بين اهل العلم واما قوله عز وجل وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فمعناه وان
المقتول خطأ من قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد او صلح فعلى القاتل وعاقلته تسليم دية كاملة الى اولياء
المقتول وعلى القاتل عتق رقبة مؤمنة بالله وبرسوله والفائدة في اعادة ذكر المؤمنة لانه لو لم يعده
لكان يتوهم متوهم انه لما وجب في قتل المؤمن رقبة في مثل صفته يجب ايضا في قتل الكافر رقبة في مثل
صفة المقتول. وقوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين معناه فمن لم يجد رقبة مؤمنة فعليه
صيام شهرين متواليين لا يفرق بين صيامهما وقوله عز وجل توبة من الله اي اعلموا انما امركم الله به
للتوبة ليتوب الله تعالى به عليكم وهذا نصب على ما يقال فعلت كذا حذار الشر اي للحذر
من الشر ويجوز رفع توبة على اضمار ذلك وانما سميت الكفارة توبة لان قاتل الخطا كان عاصيا في سبب
القتل من حيث انه لم يتحرز وان لم يكن عاصيا في نفس القتل ويقال معنى التوبة التوسعة والتخفيف
من الله تعالى حيث لم يقتصر في الكفارة على الرقبة كما في قوله عز وجل علم ان لن تحصوه فتاب عليكم اي
خفف عليكم ومعنى وكان الله عليما حكيما بكل شيء حكيما فيما امركم به من الدية والكفارة
قوله عز وجل ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا
عظيما قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما
قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل عليه السلام معه رجلا من بني فهر
قال له ائت بني النجار فاقرئهم مني السلام وقل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان علمتم
قاتل هشام ان تدفعوه الى مقيس بن ضبابة فيقتص منه فان لم تعلموا له قاتلا ان تدفعوا اليه ديته
فابلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله والله لا نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي
ديته فاعطوه مائة من الابل وانصرفا راجعين نحو المدينة وبينهما وبين المدينة قريب فوسوس الشيطان
مقيسا وقال له اي شيء صنعت تقبل دية اخيك فيكون عليك سبة اقتل الذي معك تكون نفس
مكان نفس وفضل الدية فرمى الفهري بصخرة فشدخ راسه وقتله وركب بعيرا منها وساق بقيتها
راجعا الى مكة كافرا وجعل يقول في شعره: قتلت به فهرا وحملت عقله ... سراة بني النجار ارباب فارع
فادركت ثاري واضطجعت موسدا ... وكنت الى الاوثان اول راجع ... فنزلت الاية وقتل مقيس يوم فتح مكة
ومعنى الاية ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي قتله مستحلا له ويقال متعمدا قتله لايمانه فجزاؤه جهنم خالدا فيها
باستحلاله وكفره وغضب الله بقتله غير قاتل اخيه ولعنه باعده من رحمته واعد له اي هيأ له عذابا عظيما
لجرأته على الله عز وجل بقتل النفس بغير حق وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في رواية اخرى ان هذه الاية
عامة في كل قاتل عمد وكان يقول جميع الذنوب يمحوها الله تعالى بالتوبة الا تعمد قتل المؤمن فانه لا توبة
له وعامة الفقهاء على خلاف هذا القول يقولون بالتوبة في جميع الذنوب ثم ان لم يتب ايضا فيه قولان اما
اصحاب الوعيد يقولون بخلوده في النار لا محالة واهل السنة يقولون جزاؤه الخلود لو جازاه الله به ولكنا
لا نقطع بمجازاته بالخلود في النار لانا لا وقد ثبت بالدلائل الاخر ان الله تعالى يعامل عباده بالفضل فان شاء
عفى عن القاتل بقوله عز وجل ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان شاء عاقب القاتل الا على الخلود لانه جل ذكره سمى
القاتل مؤمنا بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وليس في هذه الاية ان الله تعالى يعاقب
القاتل المؤمن بالتخليد بالنار اذ هذا كما يقول الامير من فعل كذا فعقوبته كذا فاذا لم يعاقب لا يكون منه خلف
ولا كذب وفي ذكر الغضب في الاية وجهان احدهما يريد الله تعالى ان ينتقم من القاتل والثاني ان معناه معنى
الذم فيكون ذمه تعالى اياه غضبا منه عليه والغضب نقيض المحبة والرضا واللعن الطرد والابعاد

علم

عليما

مؤمنا

من الخبر على جهة العقوبة ولهذا لا يجوز لمن لا يستحق كالاطفال والبهائم واما وصف عذاب الآخرة بالعذاب
العظيم فانه لا عذاب اعظم منه وقد يكون في المستحقين للعذاب من يريد الله تعالى الانتقام بالعذاب
منه ولا يطرده وقد يكون من يطرده ولا يعد له عذابا عظيما واما قاتل العمد فيستحق هذه العقوبات
الثلاث واختلف اهل العلم في تفسير القتل العمد الذي يتعلق به وجوب القصاص قال ابو حنيفة
رحمه الله هو ما تعمدت القتل بسلاح او ما يجري مجرى السلاح في تفريق الاجزاء وقال ابو يوسف ومحمد وجماعة
غيرهما ان الاعتبار في هذا بالقصد الى القتل بكل شيء يقتل في الغالب سواء كانت الاله سلاحا او لم تكن
واذا اقتص من القاتل فذلك جزاؤه في الدنيا وفيما بين المقتول وبين القاتل باقية في الآخرة لان الولي وان قتله
فانما اخذ حق نفسه للتشفي ودرك الغيظ فاما المقتول فلم يكن له في القصاص منفعة وبالله التوفيق

قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم
لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله
كان بما تعملون خبيرا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في مرداس بن نهيك كان مسلما
لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم فهربوا كلهم واقام الرجل في
غنمه في عاقول من الجبل فلما سمعهم يكبرون نزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغشاه اسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا من ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية فقال اسامة استغفر لي يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف بلا اله الا الله قال ذلك ثلاثا ثم استغفر له بعد ثلاث مرات وامره ان يعتق رقبة ومعنى
الاية يا ايها الذين آمنوا اقروا وصدقوا بالله ورسوله اذا خرجتم مسافرين في طاعة الله فميزوا الكافر من المؤمن
بالدلائل والعلامات ولا تعجلوا بالقتل حتى يتبين لكم ومن قرا فتثبتوا بالثاء فمعناه تثبتوا في امر من يظهر لكم
الاسلام ولا تعجلوا بقتله ولا تقولوا لمن القى اليكم الانقياد والمتابعة واسمعكم كلمة الاسلام لست مؤمنا فتقتلوه
تطلبون بترك اسلامه اغتنام ما معه من المال فعند الله مغانم كثيرة يظهركم الله تعالى في الدنيا عليها ويرزقكم
اخذها ومن قرا الاسلام بالالف معناه لا تقولوا لمن سلم عليكم وحياكم لست مؤمنا والتسليم من علامات الاسلام
ويجوز ان يكون معنى الاسلام السلم قوله عز وجل كذلك كنتم من قبل اي كنتم تامنون من قبل الهجرة بمجرد تكلمكم بكلمة
الاسلام فكيف تقتلون بعد سماع كلمة الاسلام ويقال معناه كنتم تقتلون وتوخذ اموالكم قبل الهجرة فمن الله عليكم بتوفيق
الايمان والهجرة فتبينوا ولا تقتلوا احدا بامر كنتم تامنون بمثله والفائدة في اعادة لفظ التبيين بيان ان المجازي عليم
بما يفعله العباد ولذلك عقبه عز وجل بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا اي كان عليما بما تعملون من القتل وغير
ذلك وقد روي عن جندب بن سفيان انه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين جاءه بشير من سرية بعثها فاخبره
بالفتح وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا نحن نطلب القوم وقد هزمهم الله تعالى اذ لحقت رجلا بالسيف فلما احس
ان السيف واقعه قال اني مسلم اني مسلم فقتلته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت مسلما قال يا نبي الله انه قال
ذلك تعوذا افلا شققت عن قلبه فنظرت اصادقا هو ام كاذبا قال لو شققت عن قلبه ما كان يعلمني هل قلبه
الا بضعة من لحم قال فانت قتلته لا ما في قلبه علمت ولا لسانه صدقت فقال يا رسول الله استغفر لي فقال لا
استغفر لك قال ثم مات الرجل فدفنوه فاصبح على الارض ثم دفنوه فاصبح على وجه الارض ثلث مرات فلما
راى ذلك قومه استحيوا وخزوا وحملوه فالقوه في شعب من الشعاب فقال صلى الله عليه وسلم ان الارض لتطابق
على من هو اعظم منه ولكن اراد الله عز وجل ان يبين لكم حرمة الدم قوله عز وجل لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين

في الاية بيان ثواب المجاهدين ومعناها لا يستوي في الفضل والثواب القاعدون عن الجهاد من المؤمنين
الاصحاء الذين لا مرض بهم ولا زمانة ولا عذر يمنع من الجهاد والمجاهدون في طاعة الله عز وجل بالانفاق من
اموالهم والخروج بانفسهم روي انه نزل اولا لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله فجاء ابن
ام مكتوم الاعمى فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله عز وجل بالجهاد وحالنا على ما ترى فهل لنا من رخصة

الضرر

والله لو استطيع الجهاد لجاهدت فنزل قوله غير اولي ومن قرا غير بالنصب فهو كالنصب على الاستثناء كانه
قال الا اولي الضرر كما يقال جاني بنو تميم غير زيد ويجوز ان يكون نصبا على الحال اي لا يستوي القاعدون في حال
صحتهم والمجاهدون وهذا كما يقال جاني زيد غير مريض اي صحيحا ومن قرا بالرفع فهو بالرفع في استثناء الاثبات
من النفي ويجوز ان غير صفة للقاعدين وان كان اصل غير ان يكون صفة للنكرة المعنى لا يستوي القاعدون و
الذين هم غير اولي الضرر والمجاهدون في الفضل والثواب وان كانوا كلهم مومنين ونظير الصفة قولك جاني
رجل غير قبيح او غير طويل واختار بعض القراء قراءة الرفع لان معنى الصفة على لفظ غير اغلب من معنى الاستثناء
واختار بعضهم قراءة النصب لان قوله غير اولي الضرر انما نزل بعد نزول قوله لا يستوي القاعدون
من المومنين والمجاهدون في سبيل الله على حسب ما تقدم ذكره فيكون معنى الاستثناء به اليق وقوله تعالى
فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم معناه فضلهم الله تعالى بالجهاد في طاعته على القاعدين عن الجهاد
فضيلة ومنزلة وكلا الفريقين المجاهد والقاعد وعدهم الله الحسنى يعني الجنة بالايمان وقيل في هذا دليل ان
الجهاد فرض على الكفاية لانه لو كان فرضا على الاعيان لم يجز ان يكون القاعد غير موعود بالحسنى وقوله تعالى
وفضل الله المجاهدين اي فضلهم على القاعدين عن الجهاد بغير عذر ثوابا حسنا في الجنة وقوله اجرا نصب
على التفسير وقال الاخفش هو نصب على المصدر بتقدير اجرهم الله تعالى اجرا والفائدة في تكرار لفظ التفضيل
ان في الاول بيان تفضيل من جاهد بالمال والنفس جميعا وفي اخر الاية بيان تفضيل المجاهد مطلقا فيدخل
فيه المجاهد بالمال والنفس والمجاهد بالمال دون النفس وبالنفس دون المال قوله عز وجل درجات
منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما معناه فضايل من الله تعالى في الدرجات في الجنة
وهذا بدل من قوله اجرا او صفة له وهو في موضع النصب ويجوز رفع درجات على اضمار ذلك وعن ابن محيريز
انه قال فضل الله المجاهدين على القاعدين سبعين بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفا للجواد المضمر واما قوله
تعالى وكان الله غفورا رحيما فمعناه كان الله غفورا لذنوب من جاهد رحيما اذ سوى في وعد الحسنى من له
العذر مع من جاهد وقال الحسن كان الله غفورا رحيما قبل ان خلق العباد واراد بهذا انه كان من شانه الرحمة
كما يقال من صفات الله عز وجل باعث ووارث لان من شانه ان يبعث الخلق وان يرثهم ويقال انما دخل لفظ
كان ليبين انه اخبر في المغفرة والرحمة لانه لو قال والله غفور رحيم دل ذلك على ان هذا من صفاته ولم
يدل على وقوع المغفرة فان قيل كيف ذكر التفضيل بدرجات وذكر التفضيل في الاية التي قبلها بدرجة قلنا
قال بعضهم الدرجة في الاية الاولى التفضيل والكرامة في الدنيا وذكر الدرجات في الاية الثانية درجات
الجنة وهي منازل في النعيم بعضها اعلى من بعض وذكر المغفرة لبيان خلوص نعيمهم عن الكدر كما روي في الخبر
ان الله تعالى يثيبهم في الجنة ما كان منهم من الذنوب في الدنيا حتى لا يلحقهم الحيا وذكر الرحمة لبيان ان
الله تعالى اعطاهم ذلك النعيم العظيم على جهة النعمة مع ما يستضاف اليه من الفضل بالزيادة في النعمة وقال
بعضهم اراد بالتفضيل في الدرجة في الاية الاولى تفضيل المجاهدين على القاعدين من اصحاب العذر واراد بالاية

الدرجة

الثانية تفضيل المجاهدين على القاعدين بلا عذر لهم قوله عز وجل ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم
قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

انه قال نزلت هذه الآية في قوم من المنافقين من أهل الأوثان خرجوا مع المشركين إلى بدر فلما رأوا قلة المؤمنين
قالوا وهم مع المشركين غرّ هؤلاء دينهم فقتلوا يومئذ وعامتهم فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم
وقالت لهم لم خرجتم مع المشركين وتركتم الهجرة قالوا كنا مستضعفين في الأرض ومعنى الآية أن الذين توفاهم الملائكة
أي تقبض أرواحهم عند الموت ويقال تقبض أنفسهم وتدوّاهم عند خروجهم من القبور لتحشرهم إلى النار وإنما حذف
التاء الثانية من توفاهم لاجتماع التاءين ويجوز أن يكون معنى توفاهم تقبض أرواحهم على المعاصي وذكّر الفعل لأن
تأنيث اللفظ ليس بتأنيث حقيقي وقوله عز وجل ظالمي أنفسهم نصب على الحال والمعنى توفاهم في حال ظلمهم لأنفسهم
بالشرك والنفاق والأصل ظالمين إلا أن النون حذفت استخفافا فهي ثابتة في المعنى فيكون هذا في معنى النكرة وإن
أضيف إلى المعرفة كما في قوله عز وجل هديا بالغ الكعبة أي بالغا الكعبة وقوله عز وجل قالوا فيم كنتم أي قالت الملائكة
على جهة التوبيخ لهم على التخلف عن الهجرة في أي الفريقين كنتم فيم ذا كنتم وأين كنتم عن الهجرة قالوا كنا مقهورين في أرض
مكة في أيدي الكفار قالت لهم الملائكة ألم تكن أرض الله واسعة إلى المدينة كانت آمنة ساكنة فهلا هاجرتم
إليها وهذا دليل أنه لا عذر لأحد في المقام على المعصية في بلده فأخرجوا منها إلى غيرها وقوله عز وجل فأولئك
مأواهم جهنم أي أهل هذه الصفة مصيرهم ومنزلهم جهنم وساءت مصيرا المصير إليها واختلفوا في خبر الذين توفاهم
قال بعضهم خبره فيم كنتم أي قالوا لهم فيم كنتم وهو مضمر إلا أنه حذف لدلالة الكلام عليه وقال بعضهم خبره قوله فأولئك
مأواهم جهنم وقوله عز وجل **إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا
يهتدون سبيلا** استثناء من قوله فأولئك مأواهم جهنم ويقال من قوله قالوا فيم كنتم قال ابن عباس رضي الله
عنهما أنا ممن استثنى الله يومئذ وكنت غلاما صغيرا ومعنى هذه الآية والله أعلم إلا من صدق في أنه مستضعف
من الشيوخ والولدان والنساء لا يجدون نفقة الخروج إلى المدينة ولا يمكنهم الخروج إليها ولا يعرفون من طريق حتى
يهاجروا قوله عز وجل **فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا** أي أهل هذه الصفة من
المستضعفين لعل الله يتجاوز عنهم وعسى من الله تعالى كلمة إيجاب لأنه للترجي في الإطماع وما أطمع الله تعالى أن يرجى
من رحمته فهو بمنزلة الواقع وكذلك الظن بأرحم الراحمين والفائدة في ذكر هذا اللفظ أن يكون العبد بين الخوف والرجا
وأما قوله عز وجل وكان الله عفوا غفورا فمعناه كان الله لم يزل عفوا عن عباده غفورا لهم قبل أن يخلقهم
هكذا روي عن الحسن قوله عز وجل **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من
بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما** معناه
ومن يخرج في سبيل الله الذي أمر الله تعالى بالهجرة فيه وهو سبيل المدينة يجد في الأرض متحولا كثيرا وأصل المراغم مأخوذ
من الرغم وهو الذل يقال على رغم فلان أي على ذلة وكرهه وأرغم الله أنف فلان أي ألصقه بالتراب ويسمى التراب
رغاما لأنه ذليل ميسر لمن رامه مع احتقاره فيكون المراغم المدخل المنبع السهل كما قال الله تعالى هو الذي جعل لكم
الأرض ذلولا والذلول والمراغم متقاربان في المعنى ويجوز أن يكون المراغم ما يرغم من منعه عن الهجرة يقال راغمت فلانا
أي إذا هجرته وعاديته ولم أبال رغم أنفه وعن هذا قال بعضهم في معنى مراغما كثيرا مهاجرا كثيرا والمهاجر المقادم
وهو الموضع الذي يهاجر الرجل إليه من غيره وقوله عز وجل وسعة قال السدي معناه مطلبا للرزق وحقيقته
أنه يجد في المواضع التي يمكنه إظهار الدين فيها سعة وقال قتادة سعة في إظهار الدين وإنما قال ذلك لما كان
يلحقهم من التضييق من جهة الكفار في إظهار دينهم وقوله تعالى ومن يخرج روي عن ابن عباس أنه قال لما نزلت قوله تعالى
ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير يقال له جندع بن ضمرة فقال
والله ما أنا ممن استثنى الله عز وجل فإني لأجد حيلة والله لا أبيت ليلة بمكة فخرجوا به يحملونه على سرير فأتوا به
التنعيم فأدركه الموت بها فصفق يمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات حميدا فبلغ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يقولون لو بلغ إلينا لتم أجره فأنزل

تعالى قوله ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت أي من يخرج من منزله مهاجرا من قومه
وأهله وولده إلى طاعة الله وطاعة رسوله ثم يدركه الموت في الطريق فقد وجب ثوابه على الله تعالى الملي الوفي
بوعده وكان الله غفورا لما كان منه في الشرك رحيما به في الإسلام روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال من فر بدينه من أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء قوله عز وجل **وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا
من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا**
وذلك أن الله تعالى لما بين أمر الجهاد والهجرة أتبعه حكم المجاهد فيما يأتيه من الصلاة فقال عز من قائل وإذا ضربتم
في الأرض أي سافرتم فيها لأن الخروج إلى الصحراء والقصد إلى القرية القريبة لا يسمى ضربا في الأرض وقوله فليس عليكم
جناح أي ليس عليكم حرج ومأثم في أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الكفار في أنفسكم وفي دينكم إن
الكافرين كانوا لكم ظاهري العداوة معكم يتبينون عداوتهم لكم وفي هذه الآية ذكر القصر من الصلاة بين شرطين
وأجمعت الأمة أن أصل القصر لا يتعلق بهما وأن كل واحد منهما يؤثر في القصر نوع تأثير فتأثير السفر في القصر
في العدد في الصلوات الرباعية يردها السفر إلى الشطر وهو عام في السفر غير قصير على لسان النبي صلى الله عليه وسلم
وتأثير الخوف في القصر في أركان الصلاة إذا خاف إن قام في الصلاة أن يراه العدو أو خاف إن نزل عن الدابة
أن يدركه العدو كان له ترك القيام وأن يومي على الدابة يخفض رأسه للركوع والسجود فيحتمل أن حرف العطف
مضمر في قوله إن خفتم كأنه قال وإن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة وقال
الحسن رحمه الله صلاة السفر ركعتان فإذا قام الحرب فركعة وهذا اللفظ يقتضي القصر الذي هو غاية في القصر يتعلق
بشرطين على مذهبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على أن المراد بالآية قصر العدد والأركان جميعا في حالة واحدة
وروي أن رجلا سأل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية فقال أيقصر الناس وقد أمنوا فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما
عجبت منه حتى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفي
صدقة الله علينا يقتضي إسقاط الفرض عنا وفي قوله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا صدقته دليل أن القصر عزيمة لأن
ظاهر الأمر على الوجوب ولهذا قال أصحابنا رحمهم الله إن المسافر إذا صلى الظهر أربعا ولم يقعد في الثانية قدر
التشهد فسدت صلاته كمصلي الفجر إذا صلاها أربعا قوله عز وجل **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة
فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة
أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن
أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى
أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا** روي عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد
الله رضي الله عنهم أنهما قالا لما رأى المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا إلى صلاة الظهر وهم
ثم إنهم ندموا على تركهم الإقدام على قتالهم فقال بعضهم دعوهم فإن بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأولادهم
يريدون صلاة العصر فإذا رأيتموهم قاموا إليها فشدوا عليهم فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بهذه الآية وأطلعه على قصدهم ومكرهم وعن هذا كان إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه حين عرف أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم اطلع على ما كان بين المشركين من قصدهم في السر فيما بينهم ومعنى الآية والله أعلم وإذا كنت يا محمد
صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين في الغزو فابتدأت في تأدية الصلاة صلاة الخوف فلتقم طائفة منهم معك
في الصلاة ولتكن أسلحتهم معهم في صلاتهم لأن ذلك أرهب للعدو وإذا سجدت الطائفة التي معك وصليت
بهم ركعة واحدة فلينصرفوا إلى المصاف وليقفوا بإزاء العدو ولتأت طائفة أخرى وهم الفريق الذين كانوا بإزاء
العدو ولم يصلوا معك الركعة الأولى فليصلوا معك الركعة الأخرى ولتكن أسلحتهم معهم في الصلاة ولم يذكر

في الآية لكل طائفة إلا ركعة واحدة وفي صلوة الخوف خلاف بين أهل العلم ذهب بعضهم إلى أنها غير
مشروعة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رواية عن أبي يوسف وهو قول الحسن بن زياد لأن في هذه
الآية ما يدل على كون النبي صلى الله عليه وسلم شرطا في إقامة صلوة الخوف ولأنها إنما جازت للنبي صلى الله عليه
وسلم ليستدرك الناس فضيلة الصلوة خلفه لأن إمامة غيره ما كانت تقوم مقام إمامته وذهب أكثر
أهل العلم إلى أن صلوة الخوف مشروعة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأن الخطاب في الآية وإن كان للنبي صلى الله
عليه وسلم فالأئمة بعده يقومون مقامه كما في قوله عز وجل خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ونحو ذلك من
الآيات ثم اختلف هؤلاء في كيفية صلوة الخوف فقال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله يجعل الإمام الناس طائفتين
فتقف طائفة بإزاء العدو وتقوم طائفة مع الإمام مستقبلي القبلة فيصلي بالطائفة التي معه ركعة وسجدتين
ثم تنصرف هذه الطائفة إلى وجه العدو وتجيء الطائفة الأخرى فيصلي بهم الإمام ركعة وسجدتين ويتشهد
ويسلم ثم ترجع هذه الطائفة إلى وجه العدو بغير سلام ولا كلام وتأتي الطائفة الأولى فتقضي الركعة الثانية
وحدانا بغير قراءة فإذا سلمت وقفت بإزاء العدو وجاءت الطائفة التي صلت مع الإمام الركعة الثانية فيقضوا
الركعة الأولى وحدانا بقراءة ولا يصلون وهم يقاتلون لأن النبي صلى الله عليه وسلم فاتته ثلث صلوات يوم الخندق
وحكى أبو سليمان الجوزجاني عن أبي يوسف أنه إذا كان العدو في وجه القبلة وقف الإمام وجعل الناس خلفه صفين
فافتتح بهم الصلوة معا فصلى بهم ركعة فإذا سجد سجد معه الصف الأول ووقف الثاني يحرسهم فإذا رفعوا
رؤوسهم من السجود سجد الصف الثاني وتأخر الأول وتقدم الصف الثاني فيركع بهم جميعا ثم يرفعون رؤوسهم ويسجد
الصف المقدم سجدتين والصف المؤخر يحرسهم ثم يسجد الصف المؤخر سجدتين لأنفسهم ثم يتشهد الإمام ويسلم
بهم جميعا وهكذا قاله ابن أبي ليلى وقال مالك يجعل الإمام الناس طائفتين فيصلي بطائفة ركعة وسجدتين ثم
ينتظر الإمام حتى يصلوا بقية صلاتهم ويسلموا وينصرفوا إلى وجه العدو وتأتي الطائفة الأخرى فيصلي بهم
ركعة وسجدتين ويسلم ويقومون فيتمون صلاتهم ويسلمون قال الشافعي مثل ذلك إلا أنه قال في الطائفة
الأولى ينبغي لهم إذا صلى الإمام بهم ركعة وسجدتين أن ينووا الخروج من صلوة الإمام وقال في الطائفة الأخرى
لا يسلم بهم الإمام ولكن ينتظر حتى يقوموا فيتموا صلاتهم ثم يسلم بهم وإنما وقع هذا الاختلاف لاختلاف الأخبار
الواردة في هذا الباب روى علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم أن النبي
صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بالطائفة الأولى ركعة وبالطائفة الأخرى ركعة كما ذكر الله عز وجل في الآية
ثم جاءت الطائفة الأولى وذهبت الطائفة الثانية إلى موضع العدو حتى قضت الطائفة الأولى الركعة الثانية و
سلمت ثم رجعت إلى وجه العدو وجاءت الطائفة الثانية فقضت الركعة الأولى وسلمت فكانت لكل طائفة ركعتان
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها كما قال أبو يوسف وروى صالح بن ذكوان عن
سهل بن أبي حثمة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها كما قال الشافعي رضي الله عنه فدلت هذه الأخبار على جواز
الجميع وإنما يقع الكلام في الأولى والأقرب إلى ظاهر القرآن وظاهره يشهد للرواية التي رواها علي كرم الله وجهه
وغيره من الصحابة رضي الله عنهم الذين رووا معه لأن في قوله عز وجل فلتقم طائفة منهم معك دليل على
أن الإمام لا يصلي بالطائفتين جميعا معا وفي قوله فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم دليل أن الطائفة الأولى
تنصرف عقيب السجود وعند مالك والشافعي رحمهما الله لا تنصرف الطائفة الأولى إلا بعد تمام الصلوة وفي
قوله تعالى ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا دليل أن الطائفة الثانية تأتي وهي غير مصلية وعند أبي يوسف
تقف معه في الابتداء وتصلي بعض الصلوة مع الإمام ثم تتقدم إلى موضع الصف الأول وهذا كله إذا أمكنهم إقامة
الصلوة بالجماعة فإذا لم يمكنهم إقامتها بالجماعة لقيام القتال وكثرة العدو صلى كل واحد منهم صلوة نفسه
على حسب ما أمكنه إما إلى القبلة أو إلى غير القبلة إذا لم يمكنه التوجه إلى القبلة وإن كان راكبا أومى إيماء كما قال الله

عز وجل

عز وجل فإن خفتم فرجالا أو ركبانا وأما قوله عز وجل ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فمعناه تمنى
الكفار أن تضعوا أسلحتكم وأمتعة الحرب فيحملون عليكم حملة واحدة قال ابن عباس رضي الله عنهما غزا رسول الله صلى الله
عليه وسلم محاربا وبني أنمار فهزمهم الله عز وجل فنزل صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولا يرون من العدو واحدا فوضعوا
أسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي إلى الوادي حتى قطعه فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فانحدر
من الجبل ومعه السيف وقال لأصحابه قتلني الله إن لم أقتل محمدا صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا وهو قائم على رأسه وبيده السيف فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم
اكفني غورث بن الحارث بما شئت فأهوى بالسيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فانكب لوجهه وندر
سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف وقال من يمنعك مني يا غورث قال لا أحد قال أتشهد
أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأعطيك سيفك قال لا ولكني لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا فأعطاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيفه فرجع إلى أصحابه فقالوا رأيناك إذ أهويت بالسيف على رأسه ما منعك منه فقال الله
أهويت ولكن لا أدري من زلخني بين كتفي فخررت فسبق إلى سيفي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي
[الزلخة وجع الظهر]
إلى أصحابه وأخبرهم بالقصة وأنزل الله تعالى عليه هذه الآية ومعنى قوله عز وجل ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى
من مطر لا حرج عليكم معشر الغزاة إن كان بكم أذى مطر شديد من مطر أو كنتم مرضى من جراح أو غيره ذلك أن تضعوا
أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله خلق وهيأ للكافرين عذابا مهينا يهانون فيه وهو القتل في الدنيا والنار
في الآخرة قوله عز وجل **فإذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم**
فأقيموا الصلوة إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا معنى الآية والله أعلم فإذا فرغتم من صلوة الخوف
فاذكروا الله بالتعظيم والتحميد في الأحوال كلها قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعذر الله أحدا في ترك ذكره
إلا المغلوب على عقله وقوله عز وجل فإذا اطمأننتم فإذا رجعتم من سفركم وزال عنكم الخوف والمرض فأقيموا الصلوة
أتموها بإتمام ركوعها وسجودها وسائر شروطها إن الصلوة كانت على المؤمنين فرضا موقتا أو فائتة ويقال منجما إذا
انقضى نجم أتى نجم آخر ويقال معلوما فرضه للمسافر ركعتان وللمقيم أربع ركعات ثم حث جل ذكره المؤمنين على طلب
الكفار وقتالهم فقال عز وجل **ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون و**
ترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما معناه لا تضعفوا في طلب الكفار وقتالهم لما أصابكم من
الجراحات يوم أحد إن تكونوا تألمون أي إن كان لكم صارف عن الحرب وهو ألمكم تألمون من الجراح فلهم مثل ذلك
من الصارف عن الحرب ولكم أسباب داعية إلى الحرب ليست لهم وهو أنكم ترجون من الثواب والنصر من الله عز وجل
ما لا يرجون الكفار وكان الله عليما بمصالحكم حكيما فيما أمركم به قوله عز وجل **إنا أنزلنا إليك الكتاب**
بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال نزلت
هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان فكان الدرع في
جراب فيه دقيق وفي الجراب خرق فانتثر الدقيق من المكان الذي سرقه إلى باب منزله فقطن به أنه هو السارق
[الدرع]
فمضى بالدرع إلى زيد بن السمين اليهودي وأودعه إياه ثم سار إلى قومه فأعلمهم أنه لما اتهم بالدرع اتبع أثرها فإذا هي
عند اليهودي وأن اليهودي سارق فجاء قوم طعمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل لسان وبيان فسألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعذره عند الناس فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعذره ويضرب اليهودي
فأنزل الله تعالى الآية ومعناها إنا أنزلنا إليك الكتاب يا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن أمرا بالحق ويقال أنزلناه بالحق
الذي فيه لتحكم بين الناس بما علمك الله ولا تكن يا محمد لطعمة وقومه معينا قوله عز وجل **واستغفر الله إن الله**
كان غفورا رحيما معناه تب إلى الله من همك باليهودي أن تضربه إن الله كان غفورا لمن يستغفره رحيما
بالتائبين قوله عز وجل **ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما**

معناه ولا تخاصم عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة ورمي اليهودي بها ان الله لا يحب من كان مكتسبا للاثم فاجرا بالكذب
ورمي البري والجدال والمجادلة في اللغة شدة الخصومة وهي محاولة لكل واحد من الاثنين ان يغير صاحبه
الى رايه ومذهبه والجدل شدة الفتل ويسمى الصقر اجدل لانه من اشد الطيور قوة والاختيان افتعال من الخيانة
وانما قال يختانون انفسهم وان كانوا خانوا غيرهم لان مضرة خيانتهم راجعة اليهم كما يقال فيمن ظلم غيره ما ظلم
الا نفسه وانما قال خوانا ولم يقل خائنا لعظم امر الخيانة ويقال لئلا يتوهم متوهم ان الخيانة اليسيرة توجب زوال
المحبة واما الاثيم فهو منقول من الاثم وهو ابلغ من اسم الفاعل كالسميع والعليم قوله عز وجل يستخفون من الناس
ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون
محيطا معناه يستخفي قوم طعمة اي يستترون من الناس وهم يعلمون انه سارق ولا يستترون من الله اي لا يمكنهم
الاستخفاء منه فان سرهم وعلانيتهم عند الله ظاهر قال الضحاك وذلك انه لما سرق طعمة الدرع فاتخذ حفيرة في بيته
فجعل الدرع تحت التراب ويقال معنى ولا يستخفون من الله ولا يتركون الخيانة حياء من الله عز وجل والاخفاء
من العباد ان يفعلوا الشيء سرا والاخفاء من الله ان لا يفعله البتة وقوله عز وجل وهو معهم اي شاهد لافعالهم
وانما عبر عن ذلك بهذا اللفظ لان من يكون مع الانسان يكون شاهدا لافعاله وقوله عز وجل اذ يبيتون ما لا
يرضى من القول اي يدبرون ويقولون بالليل قولا لا يرضاه الله عز وجل وهو اتفاق قوم طعمة على ان يبرى طعمة
اليهودي بالسرقة ويحلفا انه لو يسرقها فتقبل يمين طعمة لانه على دين الاسلام ولا تقبل يمين اليهودي وقوله في مقابلة
قول طعمة واما قوله عز وجل وكان الله بما يعملون محيطا فمعناه وكان الله بما يعملون من اعمالهم محيطا عالما لا
يفوته شيء من افعال عباده كما لا يفوت المحيط بالشيء وبالله التوفيق قوله عز وجل ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في
الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا قال الضحاك وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم اراد ان يقطع طعمة في السرقة بعد هذه الايات فجا قومه شاكين في السلاح فجادلوا عنه وهربوا
به فانزل الله عز وجل هذه الاية ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم ومعنى هذه الاية انتم يا قوم طعمة خاصمتم النبي صلى
الله عليه وسلم عن طعمة وعن خيانته في دار الدنيا وفي حرف ابي جادلتم عنه وقوله فمن يجادل الله اي من يخاصم الله
عالم الغيب والشهادة يوم يوخذ فيه بالحقايق ام من يكون عليهم وكيلا يتوكل لهم ويصلح امرهم ويحفظهم من عذاب
الله يوميذ ولما دخلت ها التنبيه في اول هذه الاية مرتين فعلى طريق التوكيد اذ من شان العرب ان يدخل الاسم
المبهم بين التنبيه وبين الاسم للمبالغة في الخطاب يقال ها انت الذي فعلت كذا وانما كنت انت الذي فعلت فذكر
انت والذي للتاكيد ويقال معنى ها انتم هؤلاء على نحو ما تقدم ذكره من قبل ثم ندب الله عز وجل المذنب الى التوبة
فقال عز وجل ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
معناه ومن يفعل فعلا يسوء به غيره نحو السرقة والقتل والسب والقذف ويظلم نفسه نحو الكذب واليمين
الفاجرة وشرب الخمر وترك الفرائض ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا للمستغفرين التائبين رحيما بهم
بعد التوبة وانما شرطت التوبة لان الاستغفار باللسان لا يكون توبة بالاجماع ما لم يقل تبت واسات ولا
اعود اليه ابدا فاغفر لي يا رب وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالسوء الكبيرة وبظلم النفس الصغيرة وفايدته
بيان ان الكبيرة تغفر بالاستغفار والصغيرة لا تحتاج الى الاستغفار وعن علي كرم الله وجهه انه قال
كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفعني الله به ما شا واذا سمعته من غيره حلفته عليه
وحدثني ابو بكر رضي الله عنه وصدق ابو بكر قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضى ويصلي ركعتين ويستغفر الله تعالى
الا غفر الله له وتلا هذه الاية ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الاية قوله عز وجل ومن يكسب اثما فانما يكسبه
على نفسه وكان الله عليما حكيما معناه من يعمل معصية فانما عقوبة معصيته على نفسه وكان الله لم
يزل عليما بكل ما يكون حكيما فيما حكم من القطع على السارق والكسب في اللغة هو الفعل الذي يجر به صاحبه الى

معم

قوم

نفسه منفعة او يدفع عن نفسه مضرة ولهذا لا يجوز في صفات الله عز وجل كاسب لانه لا يجوز المنافع و
المضار عليه وقد روي انه لما نزلت هذه الاية عرف قوم طعمة كلهم انه هو الظالم فاقبلوا عليه وقالوا اتق الله وائت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبوء بالذنب فقال لا والذي يحلف به ما سرقها الا اليهودي فنزل قوله عز وجل
ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا معناه والله اعلم من يعمل
معصية بغير عمد او يعملها متعمدا ثم يرم بما فعل بريا فقد استوجب عقوبة البهتان برميه غيره بشيء لم
يفعله واثما مبينا اي ذنبا بينا ظاهرا وقيل انما قال خطيئة او اثما لان الله عز وجل سمى بعض المعاصي خطايا
وبعضها اثاما فاعلم الله عز وجل ان كسب معصية يقع عليها اسم الخطيئة او الاثم ثم يرم به من لم يعمله فقد
احتمل بهتانا واثما مبينا قوله عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك
وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما معناه ولولا فضل الله عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة و
الاسلام ورحمته بارسال جبريل عليه السلام اليك بالقران الذي فيه خبر ما غاب عنك لقصدت جماعة
من قوم طعمة ان يخطئوك ويحملوك على ان تحكم بما هو غير واجب في الباطن وان تبرئ الخائن من غير
حقيقة وقوله تعالى وما يضلون الا انفسهم اي وما يكون اضلالهم الا على انفسهم ولا ينقصونك
شيا مع عصمة الله تعالى اياك وانزل الله تعالى عليك القران ومعرفة الحلال والحرام وعلمك بالوحي ما لم تكن
قبله وكان من الله عليك عظيما بالنبوة والاسلام وفي هذه الايات دلالة انه لا يجوز لاحد ان يخاصم عن
غيره في اثبات حق او نفيه وهو غير عالم بحقيقة امره وانه لا يجوز للحاكم الميل الى احد الخصمين وان كان
احدهما مسلما والاخر كافرا وان وجود السرقة في يدي انسان لا يوجب الحكم بها عليه قوله عز وجل لا خير
في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغا
مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما معناه والله اعلم لا خير في كثير من اسرار قوم طعمة فيما
يدبرون فيما بينهم الا نجوى من امر بصدقة فيتصدق بها ويجوز ان يكون الا من امر استثناء ليس من الاول
على معنى لكن فيكون موضع من امر نصبا على الاضمار والاول موضع خفض وذهب الزجاج الى ان النجوى
في اللغة ما ينفرد به الجماعة او الاثنان سرا كان او ظاهرا قال ومعنى نجوت الشيء اذا خلصته والقيته
يقال نجوت الجلد عن البعير اذا القيته ونجوت الوتر واستنجيته اذا خلصته واصل ذلك من النجوة وهي
المكان المرتفع من الارض واما قوله او معروف فمعناه او امر بمعروف ويسمى البر كله معروفا لان
العقول تعرف به وتقبله ويروى ان رجلا من اهل البادية جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام
عليك يا رسول الله فقال عليه السلام وعليك السلام فقال الرجل انا معشر اهل البادية فينا الجفا فعلمني
كلمات ينفعني الله بهن فقال ادن ثلثا فدنا فقال اعد علي فاعاد فقال اتق الله ولا تحقرن من المعروف
شيا ولو ان تلقا اخاك بوجه منبسط ولو ان تفرغ من فضل دلوك في انا المستسقي وان امرؤ سبك بما يعلم
فيك فلا تسبه بما تعلم فيه فان الله تعالى جاعل لك اجرا وعليه وزرا ولا تسبن شيا مما خولك الله تعالى قال
الرجل فما سببت بعد شيا لا شاة ولا بعيرا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل معروف صدقة واول اهل
الجنة دخولا اهل المعروف وصنايع المعروف تقي مصارع السوء واما قوله عز وجل او اصلاح بين الناس فالمراد
به الاصلاح بين المتخاصمين واصلاح ذات البين وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الا اخبركم بافضل درجة من الصلوة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وفساد ذات
البين هي الحالقة فلا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين واما قوله عز وجل ومن يفعل ذلك فمعناه
البر والاصلاح والصدقة لطلب رضاء الله تعالى لا للرياء والسمعة فسوف نؤتيه في الاخرة ثوابا وافرا

نجو
الوتر ه
وقع الغابر والصواب الوتر ه

في الجنة ثم انزل الله عز وجل في طعمة وهرب الى مكة خوفا من القطع او الفضيحة قوله عز وجل ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا
معناه ومن يخالف الرسول في التوحيد والحدود معاندا من بعد ما تبين له حكم الله عز وجل ويتبع دينا غير
دين المؤمنين وهو دين اهل ملة نوله في الاخرة جزاء ما تولى في الدنيا ويقال نتركه الى ما اختار لنفسه في الدنيا اي
لا يتولى الله نصره ومعونته ونلزمه دخول جهنم في الاخرة وساءت جهنم مصيرا الموضع الذي يصار اليه وروي في الخبر ان
طعمة اقام على الكفر بمكة فنقب بيت رجل فسقط عليه حجر من البيت فنشب فيه فلم يستطع ان يدخل ولا يخرج حتى اصبح
فاخذوه فقال بعضهم لبعض انه قد لجا اليكم وتحرم بكم فاتركوه فخرج مع قوم من التجار نحو الشام فسرق بعض
متاعهم وهرب فطلبوه واخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه فصار قبره تلك الحجارة قوله عز وجل ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا قال عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في وحشي قاتل حمزة على ما تقدم ذكره ومعنى الاية والله اعلم ان الله تعالى
لا يغفر شرك المشرك به ان مات بغير توبة لان التائب عن الشرك لا يكون مشركا وقوله عز وجل ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء اي يغفر ما دون الشرك لمن يشاء من اهل الاسلام بغير توبة لان الله تعالى قابل ذلك بقوله ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويقال لم يقيد الشرك بالتوبة في هذه الاية لانه قد ذكر التوبة في اية اخرى وهو قوله عز
وجل ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن بالله فان قال قائل ان الكافر الذي لا يشرك
مع الله شيئا خارج عن قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به او داخل فيه قلنا ان كل كافر مشرك بالله
لان اليهود تقول عزير بن الله والنصارى تقول المسيح بن الله ويقال ان من كفر نبيا من الانبياء فقد زعم
ان الايات التي اتى بها النبي ليست من عند الله فجعل ما لا يكون الا لله لغير الله فيصير مشركا وذهبت المعتزلة
الى ان المراد بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مغفرة الصغائر لاهل الاسلام بغير توبة منهم اذا اجتنبوا الكبائر
وزعموا ان قوله لمن يشاء مبهم فيرد الى سائر الايات الواردة في الصغائر والكبائر وقوله عز وجل ومن يشرك
بالله اي من يشرك مع الله شيئا فقد ذهب عن الهدى والصواب ذهابا بعيدا والفائدة في قوله بعيدا ان
الذهاب عن نعيم الجنة على مراتب ابعدها الشرك بالله عز وجل ان يدعون من دونه الا اناثا وان
يدعون الا شيطانا مريدا معناه ما يعبد اهل مكة من دون الله الا الاصنام والاوثان وسماها باسم الاناث لانهم
سموها باسماء الاناث اللات والعزى ومناة فعبدوها مع اعتقادهم نقصان مراتب الاناث عن الذكور لان
الاناث من كل جنس اراذله ويقال اناثا امواتا لان الموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن الاناث يقال هذه الاحجار
تعجبني ويقال ان الموات من الحيوانات كالاناث من الذكور في نقصان المرتبة وقال الضحاك المراد بالاناث الملائكة
فانهم كانوا يسمون الملائكة بنات الله وقوله عز وجل وان يدعون الا شيطانا مريدا معناه ما يريدون
بتوجيههم العبادة الى الاناث الا عبادة الشيطان وهذا اصح الجواب عن قول من يقول ان في هذه الاية
نفي العبادة الا للاصنام وقد اخبر بعدها اثبات عبادتهم لغير الاصنام ومعنى المريد العاتي الخارج عن الطاعة وسمي
مريدا لتعريه من الخير يقال شجرة مرداء اي لا ورق عليها وغلام امرد اذا لم يكن على خده شعر قوله عز وجل لعنه
الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا اراد به الشيطان ابعده الله من رحمته
الى عقابه بالحكم له بالخلود في جهنم ويسقط بهذا قول من قال كيف يصح قول من قال لعنه الله وهو في الدنيا
لا يخلو من نعمة تصل اليه من الله تعالى في كل حال لانه لا يعتد له بتلك النعمة مع الحكم له بالخلود في النار وقوله وقال
لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا معناه وقال ابليس لاتخذن من عبادك حظا معلوما والفرض في اللغة القطع
ومنه الفرضة وهي الثلمة تكون في النهر والفرض في القوس ما يشد فيه الوتر والفريضة في العبادات لازم الحكم
القطع ويجوز ان يكون معنى مفروضا افترضه على نفسه ويقال للفرض الكريم يقال لمن لا سهم له في الغنيمة برم

له

قوله عز وجل [illegible]

له ومن له سهم في الغنيمة مفروض له وكلما اطيع فيه ابليس مفروض له قوله عز وجل ولاضلنهم ولامنينهم ولا
مرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون
الله فقد خسر خسرانا مبينا حكاية عن قول ابليس ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم طول الحياة في الدنيا وان
لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ويقال ولامنينهم الاهواء الباطلة الداعية الى العصيان ولامرنهم فليشقن
اذان الانعام وهي البحيرة التي كانوا يفعلونها نسكا وعبادة للاوثان والبتك والتبتيك القطع واما قوله
ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس ومجاهد وقتادة بتغيير دين الله تعالى وكان عكرمة يقول
المراد بتغيير خلق الله الخصاء قال مجاهد كذب عكرمة انما هو دين الله فان الله عز وجل خلق الانعام للركوب
والاكل وقد حرموها على وخلق الشمس والقمر تجري للناس فعبدهما المشركون فغيروا خلق الله واستشهدوا
على هذا القول بقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وعلى هذا قالوا كل من
كفر فقد غير خلق الله وعن عبد الله بن مسعود انه قال المراد بتغيير خلق الوشم ومن يتخذ الشيطان وليا من
دون الله اي من يتخذه ناصرا من دون الله فقد غبن غبنا ظاهرا لانه خسر الجنة والنعيم الذي فيها قوله عز وجل
يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا معناه يعدهم ان لا جنة ولا نار ويمنيهم طول
البقاء في الدنيا ودوام نعيمها ليؤثروها على الاخرة وما يعدهم الشيطان الا باطلا والغرور ايهام النفع فيما
فيه ضرر قوله عز وجل اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معناه اهل هذه الصفة
مستقرهم جهنم ولا يجدون عنها معدلا ولا مخلصا يقال حاص يحيص حيصا وحاض يحيض حيضا
بالضاد المعجمة اذا عدل عن الشيء عدولا قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا معناه والذين
صدقوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم سندخلهم بساتين تجري من تحت شجرها
وغرفها انهار الماء والخمر والعسل واللبن مقيمين في الجنة الى الابد وانما جمع بين الايمان والطاعة ليبين بطلان
توهم من توهم انه لا تضر المعصية والاخلال بالطاعة مع الايمان كما لا ينفع الطاعة مع الكفر وليبين
استحقاق الثواب على كل واحد من الامرين وقوله وعد الله نصب على المصدر معناه وعد الله
وعدا لهم حقا كائنا ومن اصدق من الله قيلا اي ليس احد اصدق قولا ووعدا وانما كان بلفظ الاستفهام
لانه لا يحسن جوابه الا بالنفي قوله عز وجل ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به
ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا معناه ليس ثواب الله تعالى باماناكم فان ليس تقتضي اسما وقد تقدم
ما يدل على اضمار الثواب وهو قوله عز وجل سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار واختلفوا في المخاطبين
بهذه الاية قال بعضهم ان المخاطبين بها عبدة الاوثان اي ليس الثواب باماني عبدة الاوثان ولا اماني
اهل الكتاب والمراد بالسوء الكفر وذلك ان قريشا قالت لن نبعث ولن نعذب واهل الكتاب قالوا
لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقال بعضهم ان المخاطب بها المسلمون اي ليس باماناكم معشر المسلمين
الا توحدوا واسئتم بعد الايمان ولا اماني اهل الكتاب ان لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
من يعمل معصية يجز بها ولا ينفعه تمنيه ان يتجاوز عنه ولا يجد له من دون الله قريبا ينفعه ولا مانعا
يمنع العذاب روي انه لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
الفلاح بعد هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست تنصب
الست تصيبك اللأواء قال بلى قال فهو ما تجزون به وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه
الاية شق ذلك على المسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قاربوا وسددوا فكل ما يصيب
المؤمن كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها وروي عن ابي بن كعب وعائشة رضي الله عنهما انهما

والاحداث في الصغاير فان الصغاير يستحق عليها مضرة منقطعة يمحص بكفرها بالامراض والاحزان ومصايب
الدنيا قوله عز وجل ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مومن فاولئك يدخلون الجنة ولا
يظلمون نقيرا ه معناه ومن يعمل من رجل او امراة وهو مصدق بالثواب والعقاب فاوليك يدخلون
الجنة في الاخرة ولا ينقصون مما استحقوه من جزاء اعمالهم مقدار النقير فان قيل كيف قال ولا يظلمون نقيرا
وكان معلوما للناس ان الله عز وجل لا يظلم احدا قيل فايدة اللفظ بيان انه لو نقص من جزا اعمالهم مقدار
نقير لكان ذلك ظلما ولا يظلم الله تعالى احدا قوله عز وجل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو
محسن واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا ه معناه اي احد احكم واصوب طريقة
وسيرة ممن اخلص عمله وطاعته لله عز وجل وهو محسن في الاعتقاد والعمل فيما بينه وبين ربه واتبع دين ابرهيم
مايلا عن كل دين سوى دين الاسلام ويقال معنى الحنيف المستقيم في سلوك الطريق الذي امر بسلوكه وسمي
الاعرج حنيفا تفاولا ومعنى المحسن ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل ما الايمان فاجاب فقيل
ما الاسلام فاجاب فقيل ما الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك واما قوله واتخذ
الله ابرهيم خليلا ففيه وجهان احدهما الاصطفا بالمحبة والاختصاص بالاسرار دون من ليس له تلك المنزلة
والثاني من الخلة وهي الحاجة فخليل الله المحتاج اليه المنقطع بحوايجه الى الله دون غيره وقد سمي الفقير خليلا كما
قال زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم ه فاذا اريد به الوجه الاول جاز ان يقال
ابرهيم خليل الله والله خليل ابرهيم واذا اريد به الوجه الثاني لم يجز ان يوصف الله عز وجل بانه خليل ابرهيم
وجاز وصفه بانه خليل الله وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتخذ الله ابرهيم خليلا
لاطعامه الطعام وافشايه السلام وصلاته بالليل والناس نيام وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال كان
ابرهيم ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق وكان يضيف من مر به فاصاب الناس سنة فبعث غلمانه
الى خليل له بمصر يساله الميرة فقال خليله لو كان ابرهيم انما يريد لنفسه لاحتملنا ذلك ولكنه يريدها للناس وقد
دخل علينا ما دخل على الناس فرجع رسل ابرهيم صلوات الله عليه وقالوا فيما بينهم نستحيي ان نمر بالناس وابلنا
فارغة فملوا الاحمال سهلة فاتوا ابرهيم وسارة نايمة فاعلموه بذلك فاهتم ابرهيم عليه السلام لمكان الناس
ببابه فغلبت عيناه فنام فاستيقظت سارة فقامت الى الغراير ففتحتها فاذا هي اجود حواري فاختبزوا
فانتبه ابرهيم عليه السلام فشم رايحة الطعام فقال لها من اين هذا الطعام فقالت من عند خليلك المصري
فقال عليه السلام لا بل من عند خليلي السماوي فيومئذ اتخذه الله خليلا فان قال قايل لم كان دينا احسن
الاديان قيل لان احسن اعمال العباد طاعة الله تعالى على حدود الاخلاص لما فيهما من استحقاق الجزا على
من يوثق بجزايه من حيث لا يضيق ملكه من المجازاة ولا يخاف عليه الفوت وديننا احق الاديان في طاعة
الله تعالى على حد الاخلاص فان قيل لم كان اتباع ملة ابرهيم اولى من اتباع ملة غيره من الانبيا مثل موسى وعيسى
وغيرهما صلوات الله عليهم قيل لان الفرق كلهم متفقون على تعظيمه ووجوب اتباع ملته وهو كان يدعو
الى الحنيفية دون اليهودية والنصرانية فان قيل ملتنا هي ملة ابرهيم بعينها او غيرها قيل اصل الملة واحد
وهو ملة ابرهيم عليه السلام وفي ملتنا اشيا لم يكن في ملته يومئذ قوله عز وجل ولله ما في السموات
وما في الارض وكان الله بكل شي محيطا ه معناه ولله ما في السموات وما في الارض ملكا وانما قال
هذا ليبين ان ابرهيم مع كونه خليل الله تعالى عبد له وانه لم يتخذه خليلا لحاجة اليه ولكن اتخذه خليلا جزاء
على عمله فان الحكمة تقتضي مجازاة المحسن على احسانه وقال بعضهم انما قال ذلك لانه لما امر الناس بطاعته حثهم
على الطاعة بما يوجب الرغبة فيها وهو كونه مالكا السموات والارض واما قوله عز وجل وكان الله بكل شي
محيطا فمعناه وكان الله لم يزل قادرا على كل شي عالما بكل شي من كل وجه فلا يخرج شي عن معلومه ومقدوره

قوله عز وجل ويستفتونك في النسآء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النسآء
اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى
بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في ام
كجة امراة اوس بن ثابت وبناتها منه لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوريثهن من اوس اقبل عيينة بن
حصين الفزاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انك قد ورثت البنات و
النسا والصغار ولم نكن نورث الا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة فانزل الله تعالى هذه الاية ويقال
انها نزلت بعد نزول قوله يوصيكم الله في اولادكم الى قوله ان الله كان عليما حكيما قبل نزول فرض الزوجات فجاوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتونه في ميراث ام كجة امرات المتوفى فانزل الله هذه الاية ووعدهم ان
يفتيهم في ميراث الزوجات فافتاهم في ذلك بقوله عز وجل ولكم نصف ما ترك ازواجكم الى اخر الاية ومعنى الاية
والله اعلم يسالونك يا محمد صلى الله عليه وسلم الفتيا في امر النسا وما يجب لهن من الميراث قل الله يبين لكم ما لهن
والذي يقرا عليكم في كتاب الله عز وجل من اول هذه السورة يفتيكم ويبين لكم ما سالتم عنه في بنات ام كجة اللاتي
لا تعطونهن ما فرض لهن من الميراث وهو قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم واما قوله عز وجل وترغبون ان تنكحوهن
قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد رضي الله عنهم معناه وترغبون عن نكاحهن لدمامتهن
فلا تعضلوهن نصيبهن من الميراث ليرغب فيهن غيركم وذلك ان بني اعمام تلك البنات كانوا اولياهن وكانوا
لا يعطونهن حقهن من الميراث ويرغبون ان يتزوجوهن وعن عايشة والحسن رضي الله عنهما انهما قالا معناه
وترغبون ان تتزوجوهن لجمالهن ولا تعطونهن ما اوجب الله تعالى لهن من الصداق وفي كلا القولين دليل على جواز
نكاح الاوليا اليتامى واما قوله عز وجل والمستضعفين من الولدان فمعناه وفي المستضعفين من الولدان اي
في ميراث اليتامى وقوله تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط معناه وفي ان تقوموا لليتامى في اموالهم وحقوقهم
بالعدل وما تفعلوا من خير في امر اليتامى والصغار والضعاف فان الله كان به عليما يجزيكم على ذلك كله وقد
اختلف اهل الاعراب في موضع قوله وما يتلى عليكم فذهب اكثرهم الى انه في موضع الرفع وتقديره وما يتلى عليكم
في الكتاب يفتيكم وقال بعضهم هو في موضع الخفض تقديره وفي ما يتلى عليكم في الكتاب الا ان هذا الوجه
اضعف من الاول لانه لا يصح عطف الظاهر على المضمر المجرور من دون اعادة حرف الجر لا يقال مررت به
وزيد الا باعادة حرف الجر في زيد قوله عز وجل وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح
عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا
فان الله كان بما تعملون خبيرا روي ان هذه الاية نزلت في ابنة محمد بن مسلمة وقيل وزوجها سعد بن
الربيع وهي شابة فلما علاها الكبر جفاها وتزوج عليها شابة اثرها عليها فشكت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت معناها وان علمت امراة من زوجها تقاعسا لبغضه اياها او اعراضا بوجهه عنها لايثاره غيرها
عليها فلا حرج على الزوج والمراة ان يصطلحا بينهما صلحا معلوما يتراضيا به وهو ان يقول لها الزوج انك امراة
قد دخلت في السن وانا اريد ان اتزوج عليك امراة شابة واوثرها عليك في القسمة لها لشبابها واريد ان
نصيبها من القسم فان رضيت والا سرحتك بالاحسان وتزوجت اخرى فان رضيت حل للزوج ذلك
كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه طلق امراته سودة فسالته لوجه الله عز وجل ان يراجعها
ويجعل ايامها لعايشة رضي الله عنها ففعل ومثل هذا الصلح لا يقع لازما لان المراة الكبيرة اذا ابت بعد ذلك
الا المقاسمة على التسوية فذلك لها الى ان يرضيها الزوج بعد ذلك اما تخييرا او بوجه اخر على ما تقدم ذكره
وذهب بعض المفسرين الى ان الزوج والمراة لو اصطلحا على ان اعطاها الزوج مالا معلوما حتى تركت له بعض
ايامها او نقص من نصيبها للصاحبة جاز وهذا لا يصح لان اسقاط الحق والاعتياض عن الاسقاط مع وجوده

الدمامة قبح الوجه ه

كانوا لا يورثون الايتام ه

السبب الموجب للتسليم وهو العقد باطل فان المراة اذا ابت زوجها عن تسليم العبد المهر او ابى المشتري البايع
عن تسليم المبيع او اخذ عوضا عن الامتناع من التسليم فذلك باطل لا يجوز تراضيهما عليه وقرا بعضهم ان يُصلحا
بينهما صلحا من الاصلاح وقوله عز وجل والصلح خير معناه والصلح خير من الاقامة على النشوز ويقال الصلح
خير من الفرقة وانما اقيم الخوف في اول هذه الاية مقام العلم لان خوف النشوز لا يكون الا وقد بدا منه شي
وانما دخول حرف الشرط على الاسم فانه على احد المقدرين اما التقدير فعل مضمر يليه المظهر الذي بعده كانه
قال وان خافت امراة خافت من بعلها نشوزا وحذف الفعل الاول لتفسير الثاني اياه ونظيره في المنصوب
زيدا ضربته تقديره ضربت زيدا ضربته واما على التقديم والتاخير كانه قال وان خافت امراة من بعلها
نشوزا وعلى هذا قوله عز وجل ان امرؤ هلك وقوله عز وجل وان احد من المشركين استجارك وهذا لا يكون
الا في الفعل الماضي كما يقال ان الله عز وجل مكنني فعلت كذا وكذا فاما في الفعل المستقبل فيقبح ان يفرق
بين ان التي للجزا وبين لفظ الاستقبال فيقال ان امراة تخف لان ان تجزم المستقبل فلا تفصل بين العامل والمعمول
واما قوله عز وجل واحضرت الانفس الشح فمعناه جبلت الانفس على الشح فتشح المراة الكبيرة بمنعها من الرضا
بدون حقها وترك بعض نصيبها من الرجل لغيرها وشح الرجل بنصيبه من الشابة بمنعه من توفير نصيب الكبيرة
من القسم عليها وقوله عز وجل وان تحسنوا وتتقوا معناه وان تحسنوا العشرة وتتقوا الظلم عن النسا فان الله
كان بما تعملون من الاحسان والجور عالما لا يغيب عليكم الحسن والسيئ فيجزيكم على ذلك قوله عز وجل ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان
تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما معناه ولن تقدروا ان تسووا بين
النسا ولو اجتهدتم في العدل كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم
ان هذا قسمي فيما املك فلا تواخذني بما لا املك واراد به التسوية في المحبة وقوله تعالى فلا تميلوا كل الميل
معناه لا تميلوا الى الشابة بالفعل كل الميل فتتركوا العجوز بغير القسمة كالمحبوسة لا ايم ولا ذات بعل وفي قراءة ابي
بن كعب كانها محبوسة وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كانت له امراتان فمال الى
احديهما جا يوم القيمة واحد شقيه مايل وقوله عز وجل وان تصلحوا وتتقوا معناه وان تصلحوا ما افسدتموه
بافراط الميل وتتقوا العقوبة فيه فان الله كان غفورا لما سلف من الظلم منكم عليهن رحيما لكم بعد التوبة
قوله عز وجل وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما
معناه والله اعلم ان الزوج والمراة اذا افترقا خوفا من ترك حقوق الله سبحانه التي اوجبها عليهما اغنى الله كلا
من سعته من رزقه الزوج بامراة اخرى والمراة بزوج اخر وكان الله واسعا لهما في النكاح حكيما حكم على الزوج
الامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان ويقال معناه وكان الله واسع الملك جواد لا يعجزه شي ذا حكمة فيما
يحكم من الفرقة يجعل لكل واحد منهما من يسكن اليه فيتسلى به عن الاول وفي هذه الاية بيان ان رزق العباد
على الله تعالى وان ما يجريه منه على ايدي عباده فهو المسبب له والمستحق عليه الحمد قوله عز وجل ولله ما في
السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا معناه ان لله
ملك السموات والارض وما فيهما كلهم عبيده واماؤه يبسط الرزق لمن يشا ويقدر على من يشا لا ان الذي يحصن
به من الرزق يسير بالاضافة الى ما خلقه وقوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
اي امرنا اهل التورية في التورية واهل الانجيل في الانجيل واهل كل كتاب في كتابهم واياكم اي وصيناكم يا امة
محمد صلى الله عليه وسلم في كتابكم ان اتقوا الله واطيعوه في امر النسا واليتامى واحكامهم وفي هذه بيان ان
الزام الله تعالى عباده التقوى عموم لا خصوص فيه اي الزمكم ما الزم ساير الامم قبلكم مصلحة لكم وان تكفروا اي

تجحدوا

تجحدوا وصية الله سبحانه فلم تعملوا بها فان لله ما في السموات من الملائكة وما في الارض من الجن والانس وساير
الخلق وكان الله غنيا عن عبادتكم لا يضره كفر من كفر منكم ولا ينفعه طاعة من اطاع منكم حميدا محمودا في ذاته وفي
خواص مملكته وعباده حمدوه ام لم يحمدوه ويقال حامدا للمطيع وحده واطاعه قوله عز وجل ولله ما في
السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا تنبيه بعد تنبيه كانه عز وجل نبههم عن غفلتهم بانه حفيظ
على اعمالهم كي يحفظوا ولا ينسوها ويتوبوا بما امروا به من امر الله عز وجل وليس في شي من هذه الالفاظ تكرار في كتاب
الله عز وجل ولكن كل واحد منها معروف بفايدة جديدة والفايدة في اعادة قوله عز وجل ولله ما في
السموات وما في الارض ابتدا الامر بالاتكال على الله عز وجل والثقة به وتفويض الامر اليه ولذلك عقبه
بقوله وكفى بالله وكيلا اي حافظا لاعمالكم كفيلا بارزاقكم قوله عز وجل ان يشا يذهبكم ايها الناس
ويات باخرين وكان الله على ذلك قديرا معناه ان الله سبحانه كما يملك الموجود من السموات والارض يملك
ايضا الاستبدال فافنا الخلق وانشا الاخرين ويقال هو خطاب للكفار لانه تعالى قال من قبل وان تكفروا
فكانه قال ان يشا يهلككم ايها الكفار ويات بقوم اخرين اطوع منكم وكان الله على اهلاككم وخلق
غيركم مكانكم قادرا وذكر لفظ كان لبيان انه لم يزل كان قادرا على كل شي لا انه حدثت له قوة لم تكن وفي الاية
تخويف لكل من كانت له ولاية او رياسة فلا يعدل فيمن كان تحت يده او كان عالما فلا يعمل بعلمه ولا ينصح الناس
ان يذهبه الله تعالى ويهلكه ويات بغيره خيرا منه قوله عز وجل من كان يريد ثواب الدنيا فعند
الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا وذلك ان الله عز وجل لما ذكر عظم سلطانه وسعة
ملكه وقدرته اراد ان يرغبهم فيما عنده من ثواب الاخرة ويخوفهم من عقابها كي ينقطعوا اليه بالكلية
فقال من كان يريد ثواب الدنيا اي من كان يريد بعمله منفعة الدنيا فليعمل لله ولا يقتصر على طلب
الدنيا فان ثواب الدنيا واصل الى البر والفاجر والمومن والكافر ولكن ليتكلف طلب الاخرة التي لا تنال الا بالعمل
وكان الله سميعا لكلام عباده بصيرا بما في قلوبهم وفي الاية تهديد للمنافقين المرايين من الناس وجا
في الحديث ان في جهنم واديا تتعوذ منه جهنم في كل يوم اربعمائة مرة اعد للقرا المرائين وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال نية المومن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وكل يعمل على نيته وليس من مومن
يعمل عملا الا سار في قلبه سورتان فان كانت الاولى لله سبحانه فلا تهدنكه الاخرى ويقال ان المراد بهذه الاية
مشركوا العرب كانوا يقرون بالله سبحانه خالقهم ويزعمون ان تقربهم الى الاصنام ليقربوهم الى الله سبحانه
زلفى ويعطيهم الله عز وجل من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها فاعلم الله عز وجل ان خير الدنيا والاخرة عنده قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهدا لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان
بما تعملون خبيرا ابتدا فصل ذكره عز وجل في هذا الموضع لاشتماله على اتمام الوصايا وانفاذ الشهادات والاحكام
معناه يا ايها الذين اقروا وصدقوا بالله ورسله قوموا بالعدل وقولوا الحق ويجوز ان يكون معنى القوام بالقسط
استعماله العدل على حسب ما يجب من انصاف الانسان من نفسه وانصاف كل مظلوم من ظالمه ومنع كل ظالم
من ظلمه يقال فلان يقوم بهذا الكتاب اي يحفظه ويقوم بهذا الامر اي يمكنه التصرف فيه ولفظ القوام لا
يكون الا للمبالغة والقسط والاقساط العدل ويقال اقسط الرجل اقساطا اذا عدل واتى بالقسط وقسط
الرجل يقسط قسوطا اذا جار قال الله تعالى واقسطوا ان الله يحب المقسطين اي اعدلوا وقال واما
القاسطون فكانوا لجهنم حطبا اي الجايرون وقوله عز وجل شهدا لله انتصب لاحد اوجه ثلثة
احدها انه خبر ثان كما يقال هذا حلو حامض والثاني على الحال كما يقال هذا زيد راكبا والثالث على انه صفة
لقوامين فان قوامين نكرة وشهدا نكرة والنكرة ينعت بالنكرة ومعنى شهدا لله اي اشهدوا بالحق لله

على ما كان من قريب وبعيد وكل ما كان الوصول الى القسط فيه من طريق الشهادة كاقيموا الشهادة لله
على الظالم بحق واما قوله ولو على انفسكم فمعناه قولوا الحق ولو على انفسكم والشهادة على النفس اقرار والاقرار
والشهادة يجتمعان في المعنى وقوله او الوالدين والاقربين معناه او على والديكم او على قراباتكم وفي هذا بيان ان
شهادة الابن على الوالد لا يكون عقوقا ولا يحل للابن الامتناع من الشهادة على ابويه لان في الشهادة عليهما بالحق
منعا لهما عن الظلم وقوله ان يكن غنيا او فقيرا معناه ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا فالله احق بالغني والفقير
من عباده من احدهم بوالديه وقراباته وارحم وارأف فاقيموا الشهادة لله لا تميلوا في الشهادة رحمة للفقير ولا
تقصدوا اقامتها لاحتمال غنى الغني عندكم اي لاجل غنى المشهود له حرمة ونظير هذا قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ومن هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما فقال ان ترده عن ظلمه لان ذلك نصره مثل ذلك
قوله عز وجل فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا معناه لا تتبعوا الهوى لتعدلوا وهذا كما يقال لا تتبع الهوى لترضي ربك
ويقال معناه لا تتبعوا الهوى ان لا تعدلوا معناه لا تتبعوا الهوى لتعدلوا وهذا ويقال كراهة ان تعدلوا او
هذا كما قالوا في قوله عز وجل يبين الله لكم ان تضلوا ويقال معنى تعدلوا تميلوا عن الحق الى الهوى وقوله
وان تلووا او تعرضوا من قرا تلووا بواوين فمعناه ان تماطلوا في اقامة الشهادة وتعلكوا اللسان لتفسدوا
الشهادة او تعرضوا عن اقامة الشهادة ماخوذ من لوى فلان في دينه يلوي ليا اي دافع ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته ومن قرا تلوا بواو واحدة فهو من الولاية معناه
ان اقمتم الشهادة او اعرضتم قال الفرا اصل تلوا تلووا بالهمزة من لاى لايا اذا ابطأ فطرحت الهمزة
ونقلت حركتها الى اللام وقوله فان الله كان بما تعملون خبيرا اي لا يخفى عليه شيء مما تعملون من كتمان
الشهادة واقامتها ويروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالاية القاضي يتقدم اليه
الخصمان فيعرض عن احدهما او يدافع في امضاء الحق او لا يسوي بينهما في المجلس والنظر والاشارة ولا يمتنع
ان يكون المراد بالاية القاضي والشاهد وعامة الناس لاحتمال اللفظ الجميع وقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقم شهادته على من كانت ومن كان
يومن بالله واليوم الاخر فلا يجحد الحق هو عليه وليؤده عفوا ولا يلجئه الى السلطان والخصومة ليقطع
بذلك حقه وايما رجل خاصم الي فقضيت له على اخيه بحق ليس هو له عليه فلا ياخذنه فانما اقطع له
قطعة من نار جهنم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على
رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا في المخاطبين بهذه الاية ثلاثة اقوال احدها انهم المومنون امروا
بالاقامة على الايمان والثبات عليه كما في تفسير قوله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم اي ثبتنا عليه والثاني
ان المراد بها اليهود والنصارى كانه قيل يا ايها الذين امنوا من قبل محمد صلى الله عليه وسلم من الانبياء صلوات الله
عليهم امنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما اتى به من عند الله لانكم امنتم بالمتقدمين من الانبياء صلوات الله
عليهم للايات التي كانت معهم فعليكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم من حيث امنتم بهم فعليكم الايمان
بنبوته قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا معه
اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله نومن بك وبكتابك وبموسى وعزير والتورية ونكفر
بما سواه من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل امنوا بالله وبرسوله محمد وبالرسل كلهم صلوات
الله عليهم اجمعين وبكل كتاب كان من قبل فقالوا لا نفعل فانزل الله تعالى هذه الاية والثالث ان المراد بهذه الاية
المنافقون كانه قيل يا ايها الذين اقروا بالسنتهم بالايمان في الظاهر صدقوا بقلوبكم في الباطن وقوله عز وجل

ومن يكفر بالله وملائكته معناه من يجحد بوحدانية الله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت
فقد اخطا خطا بعيدا عن الحق والصواب وهذا تحذير عن الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم فان
من كفر بهذه الاشياء الخمسة كلها قوله عز وجل ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا
كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اختلف المفسرون في هذه الاية على قولين احدهما ان المراد
بها اليهود قال الكلبي امنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا بعد موته ثم امنوا بعزير عليه السلام ثم كفروا
بعد عزير بالمسيح عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وقال مقاتل امنوا
بموسى عليه السلام ثم كفروا بعد موته ثم امنوا بعيسى عليه السلام ثم كفروا بعد ما رفع عيسى عليه
السلام الى السما ثم اقاموا على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران ويقال امنوا بموسى عليه السلام
ثم كفروا بعده بعيسى عليه السلام ثم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث ثم كفروا به بعد
ما بعث ثم اقاموا على كفرهم وقال قتادة اي اليهود بموسى عليه السلام ثم كفروا به بعبادة العجل
ثم امنوا بالتورية ثم كفروا بعيسى عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم و
يقال ان يهود المدينة لما بلغهم بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو بمكة اقروا انه نبي مبعوث ثم كفروا
به بعد مقدمه المدينة ثم اقروا وطائفة منهم حين ظفر يوم بدر ثم جحدوا يوم احد وكانت يهود
المدينة تفعل مثل هذا تشكيكا للمسلمين كما قال الله عز وجل وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون والثاني ان المراد بهذه
الاية المنافقون قال الضحاك نزلت هذه الاية في شان ابي عامر الراهب الذي بنى مسجد الضرار امن
بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر ثم امن ثم كفر ثم مات على كفره وقيل يجوز ان يكون محاربا امن ثم كفر
ثم امن ثم كفر او منافقا اظهر الايمان وابطن الكفر ثم امن ثم كفر ثم ازداد كفرا وقوله عز وجل لم يكن الله
ليغفر لهم معناه ما داموا على كفرهم وقوله ولا ليهديهم سبيلا معناه ولا ليوفقهم طريقا الى الاسلام
ولكن يخذلهم مجازاة لهم على كفرهم وقال الزجاج معناه فلا يجعلهم بكفرهم مهتدين بل يضلهم لان الله
عز وجل يضل الظالم وفي الاية دليل ان المرتد متى تاب قبلت توبته لان الله عز وجل حكم بايمانه متى اظهر
الايمان مرة بعد اخرى ولم يواخذنا باعتبار حقيقة ما في القلوب لانا لا نتوصل الى ذلك ولهذا قال ابو
حنيفة رحمه الله اني استتيب الزنديق كما استتيب المرتد فان تاب خليت سبيله وان ابى
قتلته وبه قال ابو يوسف زمانا فلما راى ما يصنع الزنادقة يتوبون ويعودون قال ارى ان اتي
بزنديق ان امر بضرب عنقه ثم ولا استتيبه وان تاب قبل ان اقتله خليته وفي رواية عن ابي يوسف انه
قال اذا زعم انه قد تاب حبسته حتى اعلم توبته وذكر الشيخ ابو الحسن الكرخي ان المرتد اذا عاد الى الردة
المرة الثانية استتيب فان ابى قتل وان تاب ضرب ضربا وجيعا دون الحد وحبس حتى يعرف صدق
توبته ويرى عليه اثر الخشوع وعن ابي حنيفة رحمه الله انه قال اقتل الزنديق سرا فان توبته لا تعرف
وهذه رواية اخرى رواها ابو يوسف عنه في اماليه فانه قيل ان الله عز وجل لا يغفر كفر مرة واحدة
فما الفايدة في قوله امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا قيل ان الكافر اذا امن غفر له كفره فاذا كفر بعد
ايمانه لم يغفر له كفره الاول وهو مطالب بجميع كفره قوله عز وجل بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما
معناه خوف المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه ومن يكون على سبيلهم اليوم القيمة بان لهم عذابا
وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم وانما قال في هذا الموضع عذابا اليما وقال في موضع اخر بعذاب
اليم لاشتباه الفواصل وان كان كل واحد من اللفظين في معنى الاخر لان اواخر الايات في هذا
الموضع على سبيلا ونصيرا فقال اليما ولما كانت في الموضع الاخر على حريق وبعيد قال بعذاب اليم

ونظير هذا قوله في موضع رب هرون وموسى لكون اواخر الايات على الياء وفي موضع اخر رب موسى
وهرون لكونها على الواو والنون وكذلك قوله والليل اذا يسرى وقوله الكبير المتعال بغير يا في اخرهما
على موافقة ما قبله لان اتفاق الفواصل ينبغي في الايات كاتفاق القوافي في الابيات الا ان الاهم
في الابيات القوافي والمعاني تابعة لها والاهم في كلام الله تعالى المعاني والفواصل تابعة للمعاني وانما
ذكر البشارة في موضع العذاب فعلى معنى اجعل لهم في موضع البشارة العذاب تقول العرب تحيتك
الضرب وعتابك السيف ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال عز وجل الذين يتخذون الكفرين اوليا
من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا معناه هم الذين يتخذون اليهود
احبا في العون والنصرة من دون المومنين المخلصين الموحدين وهذا دليل انه لا يجوز للمومنين الاستنصار
بالكفار على غيرهم من الكفار اذا كانوا متى غلبوا كانت الغلبة للكفار وكان حكم الكفر هو الغالب لان الله
عز وجل اذا ذم قوما على فعل كان ذلك الفعل قبيحا لا يجوز لاحد من الناس فعله الا ان تقوم الدلالة
عليه وقوله عز وجل ايبتغون عندهم استفهام بمعنى الانكار اي كيف يطلبون عند الكفار العزة وهم
اذلا في حكم الله عز وجل وقوله فان العزة لله جميعا معناه فان القوة والمنعة لله جميعا فمن اراد ان يطلب
العز فليطلبه من الله عز وجل لانه المقتدر لجميع من له العزة من خلقه فجميع العزة له ولانه لا يعتد بعزة احد
مع عزة الله سبحانه لصغرها واحتقارها في صفة عزته فلا يجوز اطلاق العزة الا لله عز وجل واصل العزة
من الشدة ثم نقلت عنها الى القوة ومنه قيل للارض الصلبة الشديدة عزاز وعز الشي اذا قل لانه يشتد مطلبه
ويعز على ان افعل كذا اي يشتد علي وعازة في الامر اذا شادة واستعز على المريض اذا اشتد وجعه وشاة
عزوز اذا كانت تحلب بشدة لضيق احاليلها والعزيز القوي المنيع قوله عز وجل وقد نزل عليكم في
الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكفرين في جهنم جميعا معناه وقد نزل عليكم
في القران في سورة الانعام بمكة ان اذا سمعتم ايات القران يجحد بها ويستهزا بها فلا تجلسوا معهم حتى يكون
خوضهم في كلامهم في حديث غير القران اراد بقوله وقد نزل عليكم قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون
في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقوله عز وجل انكم اذا مثلهم معناه ان من جالسهم راضيا
بما هم عليه من الكفر والاستهزا بايات الله فهو مثلهم في الكفر لان الرضا بالكفر والاستهزا بايات الله عز
وجل كفر ومن جلس معهم ساخطا لتلك الحال منهم لم يكفر ولكنه يكون عاصيا بالقعود معهم فيكون معنى
قوله عز وجل انكم اذا مثلهم اي في اصل العصيان وان لم تبلغ معصية المومنين معصية الكفار وهذا اذا
لم يكن جلوس المومن معهم لاقامة فرض او سنة فاما اذا كان جلوسه هناك لاقامة عبادة وهو ساخط
لتلك الحال لا يقدر على تغييرها فلا باس بالجلوس كما روي عن الحسن رضي الله عنه انه حضر هو وابن سيرين
جنازة وهناك نوح فانصرف ابن سيرين فذكر ذلك للحسن رضي الله عنه فقال ان كنا متى راينا باطلا تركنا
حقا اسرع ذلك في ديننا ولم يرجع وقال ابو حنيفة رحمه الله في الرجل يكون في الوليمة فيحضر هناك اللهو واللعب
انه لا ينبغي له الخروج وقال قد ابتليت بهذا مرة وقوله عز وجل ان الله جامع المنافقين والكفرين في جهنم
جميعا اي يجمعهم في جهنم مجازاة لاجتماعهم في الدنيا للاستهزاء فمن شان ان لا يكون معهم في جهنم فلا يكون
معهم في الدنيا ثم زاد في نعت المنافقين فقال عز وجل الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من
الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكفرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من
المومنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكفرين على المومنين سبيلا معناه هم الذين
ينتظرون بكم الدوائر ويراعون احوالكم والمتربص للشي هو المتوقع لاسبابه ويسمى المحتكر متربصا لتوقعه غلاه

الحق
العزة

السعر وقوله عز وجل فان كان لكم فتح من الله معناه ان كان لكم ظفر ودولة وغنيمة قال
المنافقون الم نكن معكم على دينكم فاعطونا من الغنيمة وان للكفرين نصيب ظهور على المسلمين قال
المنافقون الم نغلب على امركم بالموالاة لكم الم نطلعكم على سرهم ونكتب اليكم ونخبركم عنهم بما كنا نعلمكم
من اخبارهم ونجبنهم عنكم فالله يقضي بين المومنين والمنافقين والكفار يوم القيمة ولن يجعل الله
للكفرين على المومنين سبيلا قال بعضهم لن يجعل الله لليهود على المومنين ظهورا ويقال ان المراد بالسبيل
الدولة الحجة ولن يجعل الله للكفرين من اليهود وغيرهم حجة على المسلمين في الدنيا ولا في الاخرة ويقال
معنى السبيل الدولة الدايمة ويقال معناه لا يدخل الكفرون الجنة فيقولون للمومنين ما اغنى عنكم نفعكم في
الدنيا وصرنا كفرنا بعد ان تساوينا في الجنة فيكون لهم على المومنين بذلك السبيل والاستحواذ في
اللغة هو الاستيلا يقال حاذ الحمار اتنه اذا استولى عليها وجمعها وكذلك حازها قال الشاعر
يحوذهن وله حوذي وروي يحوزهن وله حوزي من قال حاذ يحوذ لم يقل الا استحاذ
يستحيذ ومن قال احوذ كما يقال احوذت واطيبت بمعنى اجدت واطبت قال على الاصل استحوذ
وهذا مثل استنوق الجمل واستصوبت رايه قوله عز وجل ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا معناه ان المنافقين
يخادعون اوليا الله باظهارهم الايمان وابطانهم الكفر ليحقنوا بذلك دماهم ويشاركوا المسلمين
في غنايمهم وجعل الله مخادعة اوليايه مخادعة له كما قال الله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله وقوله عز وجل وهو خادعهم اي مجازيهم جزا اعمالهم كما قال جل ذكره يوم يقول المنافقون
والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم الى اخر الاية ووجه اخر ان المنافقين يعملون
عمل المخادع لمالكه بما يظهرون من الايمان ويبطنون خلافه وهو يعمل بهم عمل المخادع بما امر به
من قبول ايمانهم مع علمه بابطان كفرهم وقوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة معناه واذا قام المنافقون
الى الصلوة قاموا متثاقلين لا يريدون بها وجه الله سبحانه ولا ياتون الصلوة الا دبرا ولا دواعي
لهم اليها الا مراياة الناس خوفا منهم ولا يصلون لله الا قليلا ريا وسمعة ولو كانوا يريدون
بذلك القليل وجه الله عز وجل لكان كثيرا ولكنهم لم يريدوا بذلك وجه الله عز وجل فلم
يتقبل منهم قوله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هولا ولا الى هولا ومن يضلل الله فلن
تجد له سبيلا اول الاية نصب على الذم معناه مترددين بين كفر السر والايمان العلانية ليسوا
من المومنين فيجب لهم ما يجب للمومنين وليسوا من الكفار فيجب عليهم ما يجب على الكفار
ومن يخذله الله عز وجل عن الهدى فلن تجد له يا محمد صلى الله عليه وسلم مخرجا وطريقا الى الهدى
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكفرين اوليا من دون المومنين اتريدون ان تجعلوا
لله عليكم سلطانا مبينا معنى الاية والله اعلم لا تفعلوا ايها المومنون كما يفعله المنافقون
ويقال معناها يا ايها الذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون لا تتخذوا اليهود احبا في العون والنصرة
من دون المخلصين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم حجة ظاهرة بوجوب العقوبة عليكم في الدنيا
والاخرة والسلطان في اللغة عبارة عن الحجة يقال للامير سلطان يراد به انه ذو الحجة وتقول العرب
قضت عليك السلطان تريد بذلك حجة الوالي وقد يقال قضى عليك السلطان ويراد به البرهان و
الاحتجاج قال الله عز وجل لولا ياتون عليهم بسلطان بين وقال حكاية عن سليمن عليه السلام او لياتيني
بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال اراد بالسلطان المبين
في هذه الاية العذاب المبين ويقال معناه اتريدون ان تسلطوا عليكم عذابا بموالاة الكفار قوله عز وجل

هذا م
القليل

إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا اخبار عن منازل المنافقين في الاخرة
انهم يكونون في الطبق الاسفل من النار وهي الهاوية لكفرهم وخيانتهم النبي صلى الله عليه وسلم مع ابطان الكفر
قال ابو عبيدة جهنم ادراك اي منازل كل منزلة منها درك ومن قرا الدرك بتسكين الرا فهو لغة واكثر
القرا على فتح الرا والدركات في النار مثل الدرجات في الجنة كل ما كان من درجات الجنة اعلى فثواب من فيه اعظم
وما كان من دركات النار اسفل فعقاب من فيه اشد وسيل ابن مسعود رضي الله عنه عن الدرك الاسفل
فقال توابيت من حديد مبهمة عليهم لا ابواب لها وقوله عز وجل ولن تجد لهم نصيرا اي لن تجد لهم مانعا
يمنع العذاب عنهم والمنافق في اللغة ماخوذ من النفق وهو السرب اي يستتر بالاسلام كما يستتر
الرجل بالسرب ويقال هو من قولهم نافق اليربوع ونفق اذا دخل نافقاءه فاذا طلب من النافقاء خرج من القاصعا
واذا طلب من القاصعا خرج من النافقا والنافقاء والقاصعاء والراهطا والداماء جحرة اليربوع فان قال
قايل ما وجه التوفيق بين هذه الاية وبين قوله ادخلوا ال فرعون اشد العذاب قيل لا يمتنع ان يجتمع القوم
في موضع واحد ويكون عذاب بعضهم اشد من عذاب بعض الا ترى ان البيت الداخل في الحمام يجتمع
فيه اناس ويكون بعضهم اشد اذا بالنار لكونه ادنى الى موضع الوقود وبعضهم اخف اذى لكونه ابعد
منه وكذلك قد يجتمع القوم في القعود في الشمس ويتاذى الصفراوي منها اشد واكثر من تاذي السوداوي
قوله عز وجل الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين
وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما معناه الا الذين تابوا من النفاق واخلصوا العمل فيما بينهم وبين ربهم
وتمسكوا بتوحيد الله ودينه ويقال امتنعوا بالطاعة من الضرر في العاجل والاجل واخلصوا دينهم
لله اي توحيدهم وعملهم لله جعلوا ذلك خالصا من شوب الريا وطلب عوض من الدنيا على ما هو سبيل
القرب فلا تفعل الا لوجه الله تعالى فاولئك مع المؤمنين في الجنة والثواب لا يضرهم النفاق السابق
اذا تابوا من ذلك واخلصوا وقوله وسوف يؤت الله المؤمنين في الجنة كلمة ترجية واطماع وهي
من الله سبحانه ايجاب لانه جل ذكره اكرم الاكرمين ووعد الكريم ايجاب ويحتمل ان يكون قوله وسوف
يؤتي الله المؤمنين كناية عن جميع المؤمنين يعطيهم الله الثواب الوافر في الجنة من تقدم منه الكفر
ومن لم يتقدم ويحتمل ان يكون المراد به بيان زيادة الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق واما
حذف اليا من قوله يؤت الله في الكتابة فعلى اتباع اللفظ لسكونها وسكون اللام بعدها وكذلك
الواو من قوله سندع الزبانية وقوله عز وجل يوم يدع الداع قوله عز وجل ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما وذلك ان الله عز وجل لما ذكر الدرك
الاسفل من النار اعلم ان المنافقين هم الذين اوقعوا انفسهم فيها واستحقوها بعظم ذنبهم لجمعهم
بين كفر السر وخديعة المؤمنين وانه ليس في حكمة الله سبحانه تعذيب من شكر وامن واما في
حكمته ان يجزي كل عامل ما عمل فذلك قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم اي ما حاجته الى تعذيبكم
ايها المنافقون ان وحدتم في السر وصدقتم في ايمانكم ويقال معناه ان شكرتم نعم الله وامنتم بكتبه
وبرسله وكان الله عند ذلك شاكرا اي مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بالثواب يضعف لمن
يشا واحدا الى عشرة الى سبع مائة الى ما شا الله من الاضعاف والشكر من العبد هو الاعتراف بالنعمة
الواصلة اليه مع ضروب من التعظيم والشكر من الله عز وجل شكرا تشبيها بشكرنا الذي هو في
مقابلة ابتداء انعامه وتفضله علينا وتوفيقه ايانا على طاعته ونظير هذه الاية قوله تعالى قل ما
يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم اي ما يصنع بعذابكم ان دعوتموه قوله عز وجل لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما روي عن عبد الله بن عباس وقتادة ان معناه لا يحب

الله الجهر بالدعا الشر على احد الا ان يظلم فيدعوا على ظالمه فلا يعاتب على ذلك وهو ماذون له في ان يشكوا
ظالمه ويدعوا عليه ويقال قوله الا من ظلم استثنا منقطع معناه لكن المظلوم يجهر بظلامته تشكيا
وفي تفسير الحسن رضي الله عنه لا يحب الله الشتم والانتصار الا من ظلم فلا باس له ان ينتصر ممن ظلمه بما يجوز
له الانتصار به في الدين ونظيره قوله عز وجل وانتصروا من بعد ما ظلموا قال الحسن رضي الله عنه لا يجوز للرجل
اذا قيل يا زاني ان يقابل بمثل ذلك او بنحوه من انواع الشتم وقال مجاهد نزلت هذه الاية في الضيف اذا لم
يضف ومنع حقه فقد اذن له ان يشكوا والضيافة ثلاثة ايام وقيل ان هذا التاويل محمول على وقت كانت
الضيافة ثلثة ايام واجبة في ذلك الوقت ومن قرا الا من ظلم بنصب الظا فمعناه لكن الظالم يجهر بذلك ظلما
واعتدا وقيل لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول وقوله عز وجل وكان الله سميعا عليما معناه سميعا لدعا
المظلوم عليما بعقوبة الظالم ويقال سميعا لجميع المسموعات عليما بجميع المعلومات ووجه اتصال هذه الاية
بما قبلها ان الله عز وجل لما اباح للمؤمنين الجهر على المنافقين بالسوء بعد العلم بنفاقهم لا ظهار فضيحتهم حرم
على المؤمنين فيما سوى ذلك الا ان يكون استغاثة من مظلوم يشكوا ظالمه قوله عز وجل ان تبدوا خيرا
او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا معناه ان تظهروا خيرا او تسروه او تعفوا
عن مظلمة ظلمتم بها فان الله كان عفوا قديرا والعفو كثير العفو عن حصر والقدير والقادر بمعنى واحد
اي الله عز وجل اقدر على العقوبة بل يعفو عن عباده مع قدرته على الانتقام فالاولى ان تحملوا طريقة لكم
وقيل في معنى هذه الاية ان تردوا جوابا حسنا او تسكتوا عن الظالم ولا تحقدوا او تجاوزوا عن ظلمه فان الله
عز وجل يعفوا عن المظلوم ذنوبه فان عفو الله عز وجل عنكم معاصيكم اكثر من عفوكم عمن ظلمكم وفي تفسير
الكلبي ان من عمل حسنة كتبت له عشر ومن هم بها ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة قوله عز وجل ان الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا قال الحسن رضي الله عنه نزلت هذه الاية في اهل الكتابين من اليهود
والنصارى امنت اليهود بموسى عليه السلام والتورية وكفرت بعيسى عليه السلام والانجيل وامنت النصارى
بعيسى عليه السلام والانجيل وكفرت بموسى عليه السلام والتورية وكلهم كفروا بمحمد صلى الله عليه
وسلم وعلى جميع الانبياء والقران فاعلم الله عز وجل انه ليس بين الايمان بالبعض والكفر بالبعض دين
يتخذ ذلك طريقا قوله عز وجل اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا معناه اهل هذه الصفة هم الكافرون حقا البتة وقوله جل ذكره حقا نصب على
المصدر المؤكد كما تقول زيد اخوك حقا اي يحق ذلك حقا والفائدة في قوله حقا بيان ان
ايمانهم بالبعض لا ينفعهم ولا يسلب اسم الكفر عنهم ويقال ان اهل الشرك داخلون في هاتين
الايتين لانهم يفرقوا بين الله ورسله اذ يقرون بان الله عز وجل خالقهم ورازقهم وينكرون الرسل وقوله
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ظاهر المعنى قوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين احد منهم اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما وذلك ان الله عز وجل
لما ذكر في الاية التي قبل هذه الاية حكم الذين امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا بالبعض واوعدهم على
ذلك العذاب المهين بين بهذه الاية حكم المؤمنين الذين امنوا بالله وجميع رسله ولم يفرقوا بين احد
منهم في الايمان والتصديق ووعدهم الاجر العظيم والمغفرة والرحمة وفي تسمية الله عز وجل الثواب
اجرا دليل انه مستحق لان ذلك حكم الاجر قوله عز وجل يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم
كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم
الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا

عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبيناه معناه يسألك يا محمد صلى الله عليه وسلم
كعب بن الأشرف وجماعة اليهود أن تنزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة كما أنزلت التورية على موسى عليه
السلام وهو حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقوله تعالى فقد سألوا
موسى عليه السلام بعدما رأوا الآيات أعظم من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة أي معاينة منكشفة ظاهرة وهم
السبعون الذين كانوا معه عند الجبل حين كلمه الله سبحانه سألوه أن يريهم رؤية يدركونها بأبصارهم
في الدنيا وقال أبو عبيدة معنى الآية قالوا جهرة أرنا الله فجعل جهرة صفة لقولهم قال لأن الرؤية لا تكون إلا جهرة
وقوله عز وجل فأخذتهم الصاعقة بظلمهم معناه أخذتهم النار عقوبة لهم بسؤالهم موسى عليه السلام
ما لم يستحقوه وقوله ثم اتخذوا العجل يعني الذين خلفهم موسى عليه السلام بمصر واستخلف عليهم هرون
عبدوا العجل من بعد ما جاءتهم الآيات البينات الدالة على توحيد الله عز وجل وفي هذا بيان جهل اليهود
وتعنتهم وعنادهم وأي جهل أعظم من اتخاذ العجل إلها بعد ظهور المعجزات وثبوت الآيات البينات وقوله
عز وجل فعفونا عن ذلك أي تجاوزنا عنهم بعد توبتهم مع عظم جنايتهم وجريمتهم ولو استأصلهم ذلك
الله بذلك على سعة رحمته ومغفرته وتمام نعمته ومنته وبين ذلك أنه لا جريمة تضيق عنها مغفرة الله
عز وجل وفي هذا منع من القنوط واستدعا إلى التوبة وقوله عز وجل وآتينا موسى سلطانا مبينا معناه
أعطيناه حجة على من خالفه بينة ظاهرة وهي اليد والعصا قوله عز وجل ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا
غليظا معناه ورفعنا فوقهم الجبل بإقرارهم بالله عز وجل ونبوة موسى عليه السلام وذلك
حين أبوا قبول التورية فرفع الله عز وجل فوقهم الطور فقبلوها وخروا سجدا فرفع الله تعالى الطور
عنهم وقوله عز وجل وقلنا لهم ادخلوا الباب أي قلنا لهم مع هذا أيضا ادخلوا باب أريحا إذا دخلتموها
خاشعين لله متحنية أصلابكم فدخلوا زحفا وبدلوا ما قيل لهم ويقال أراد بالباب الذي عبد فيه العجل
أمرهم الله تعالى أن يدخلوه بعد توبتهم عن عبادة العجل ساجدين لله عز وجل فيصير ذلك كفارة لعبادة العجل
حقا موضوعا في موضع الباطل الممحو برفعه وقوله عز وجل وقلنا لهم لا تعدوا في السبت معناه وقلنا
لهم لا تعدوا في السبت معناه وقلنا لهم مع هذا أيضا لا تستحلوا أخذ السمك في يوم السبت ومن قرأ لا تعدوا
بتشديد الدال فأصله لا تعتدوا وأدغمت التاء في الدال وأقيم التشديد مقامه والقراءة بالتخفيف من عدا
يعدو عدوانا وقوله عز وجل وأخذنا منهم ميثاقا غليظا أي إقرارا وثيقا شديدا فأبوا إلا مضيا
على المعصية وخروجا من الطاعة واستخفافا بأمر الله تعالى وهذا كله مما يعزي الله به محمدا صلى
الله عليه على مخالفة اليهود وتكذيبهم إياه يقول هؤلاء بنية أولئك الذين عددت عليك بعض أعمالهم
الخبيثة يقترحون على الأنبياء الآيات بعد قيام الحجة عليهم ثم لا يؤمنون إلا قليلا قوله عز وجل
فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف
بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا معناه فبنقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم في التورية
وبجحدهم بالقرآن والإنجيل وعما في التورية من نعت الإسلام وصفة النبي صلى الله عليه وسلم وبقتلهم الأنبياء
صلوات الله عليهم بلا جرم وقولهم قلوبنا غلف أي في أوعية النبي صلى الله عليه لا تعي شيئا يقول الله تعالى بل
طبع الله عليها بكفرهم معناه ليس كما قالوا ولكن ختم الله على قلوبهم مجازاة لهم على كفرهم فلا يؤمنون
إلا إيمانا قليلا لا يجب أن يسموا به مؤمنين وذلك أنهم آمنوا ببعض الرسل والكتب دون البعض وقال الحسن
رضي الله عنه في هذا تقديم وتأخير معناه بل طبع الله عليها بكفرهم إلا قليلا فلا يؤمنون المراد بالقليل عبد
الله بن سلام ومن تابعه وأما دخول ما في قوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وهذا الآن فمعناه التأكيد كأنه

قال

قال فبنقضهم العهد حقا وجواب قوله فبما نقضهم مضمر في الآية تقديره فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم
وهذا الآن أول هذه الآية ذم على الكفر ومن ذمه الله عز وجل على الكفر فقد لعنه ويقال الحال
للباء في قوله فبما نقضهم قوله عز وجل من بعد فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله عز وجل
فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم وجوابهما جميعا قوله حرمنا عليهم طيبات والطبع والختم
نظيران في اللغة ومن قرأ بل طبع بإدغام اللام في الطاء وكذلك بل تؤثرون في قوله بل تؤثرون فلقرب مخرج الحرفين
والأولى أن لا تدغم لأنهما من كلمتين وقد تقدم تفسير الختم في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم قال الحسن
رضي الله عنه أن الكافر إذا بلغ في الكفر والعناد حدا معلوما طبع الله تعالى على قلبه عقوبة على عناده من
غير أن يمنعه الطبع عن الإيمان أو أن يسلب قدرته عليه وقال بعضهم الطبع علامة يجعلها الله عز وجل
في القلب الكافر الذي يعلم الله تعالى أنه لا يؤمن لتدل به الملائكة على كفره فيتركوا موالاته والاستغفار له
ومنهم من أن يحول بين صاحبه وبين الإيمان واستدلوا عليه بأنهم لو كانوا ممنوعين عن الإيمان غير قادرين
عليه لكانوا صادقين في قولهم قلوبنا غلف فيستحقون المدح على صدقهم والتقرير دون الذم والنكير
واستدلوا عليه بقوله عز وجل فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقوله قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه
وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقال بعضهم إنما ذكر الله الطبع على جهة الذم تشبيها لقلوبهم
بالمطبوع عليها بمنزلة قوله صم بكم عمي فهم لا يرجعون واستدلوا عليه بقوله عز وجل فلا يؤمنون إلا قليلا
ولو كانوا ممنوعين عن الإيمان لم يؤمن منهم القليل ولا الكثير قوله عز وجل وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا
عظيما عطف على ما تقدم ومعناه وبجحدهم بعيسى عليه السلام وبالإنجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم
ورميهم مريم بالبهتان وهو الزنا العظيم وذلك أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فقال بعضهم
لبعض قد جا الساحر بن الساحرة والفاعل بن الفاعلة فقذفوه وأمه فسمع ذلك عيسى عليه السلام فقال
اللهم أنت ربي خلقتني فلم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب والدتي فاستجاب الله لعيسى
عليه السلام ومسخ ذلك الرهط خنازير وكانوا رموا أمه بيوسف بن يعقوب بن ماثان قوله عز وجل
وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن
الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا روي عن عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما أنه قال وذلك أنه لما مسخ الرهط الذين سبوا عيسى عليه السلام خنازير فزعت
اليهود لذلك وخافت دعوته فاجتمعت كلمتهم على قتله فثاروا إليه ليقتلوه فهرب منهم ودخل بيتا في سقفه
روزنة فرفعه جبريل عليه السلام إلى السما وأمر يهوذا ملك اليهود رجلا يقال له طططيانوس أن يدخل البيت
فيقتله فدخل البيت فلم يجده فألقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه السلام فلما خرج إلى أصحابه قتلوه وهم
يظنون أنه عيسى عليه السلام ثم صلبوه فقال بعضهم قتلناه وقال بعضهم إن وجهه لوجه عيسى وجسده
جسد صاحبنا فقالوا إن كان هذا عيسى عليه السلام فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى عليه
السلام فاشتبه عليهم واختلفوا فيه ثم بعث الله عليهم ططوس بن اسفسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة
عظيمة فذلك قوله عز وجل وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم معناه واعترافهم بقتلهم إياه وقوله
تعالى رسول الله قول الله تعالى خاصة لا قول اليهود كانت اليهود تقول قتلنا عيسى بن مريم قال الله تعالى
رسول الله أي نعوت الذي هو رسول الله وهذا رد على الفريقين من اليهود والنصارى إذ اليهود تقول هو زنا
والنصارى تقول هو الله وتقول هو ابن الله فرد الله تعالى على الفريقين وقوله عز وجل وما قتلوه وما صلبوه
معناه ما قتلوا عيسى عليه السلام ولا صلبوه ولكن ألقى الله على طططيانوس شبه عيسى عليه السلام فقتلوه
ورفع عيسى عليه السلام إلى السما فذلك قوله ولكن شبه لهم وذكر الحسن رضي الله عنه أن عيسى عليه السلام

كان قال للحواريين ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل فيدخل الجنة فقام رجل من الحواريين فقال انا يا رسول
الله فالقى الله عليه شبه عيسى عليه السلم فقتل وصلب ورفع الله عيسى عليه السلام الى السماء قالت اليهود انا قتلنا
المسيح عيسى بن مريم وقال بعضهم • وذلك ان يهوديا قال لليهود انا ادلكم على عيسى عليه السلام وكان رجلا
منافقا فجا بهم الى البيت الذي كان فيه عيسى عليه السلام فلما لم يجدوا عيسى عليه السلام في البيت اخذ ملكهم
ذلك اليهودي وطرد العامة عن نفسه فقتل اليهودي ثم ضمخ وجهه بالدم ثم صلبه فكان الناس يرونه
من بعيد مصلوبا مضمخا بالدم وكان الناس قد فقدوا عيسى عليه السلم فكان بمنزلة اليقين في انه
عيسى عليه السلم واما قوله عز وجل وان الذين اختلفوا فيه لفي شك من قتله فقال هم النصارى اختلفوا في
قتل عيسى عليه السلام قال بعضهم قتل الاب وقال بعضهم قتل الابن وقال بعضهم قتل الناسوت وذهب
اللاهوت وقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن معناه لم يكن بذلك علم حقيقة لكن يتبعون الظن
فيظنون انهم قتلوا عيسى عليه السلم وهذا استثنا منقطع ليس من الاول لانه مخالف للعلم وقوله عز وجل
وما قتلوه يقينا معناه لم يقتلوه حقا ولا يقينا وهذا كما يقال خرج فلان من البلد يقينا ولم يخرج فلان
يقينا ويقال معناه ما قتلوه يقينا لم يستيقنوا قتله بل اشتبه الامر عليهم فيه وان قال قايل كيف يجوز ان
يكونوا كلهم كذبة مع كثرتهم ومشاهدتهم ولين جاز مثل هذا ليجوزن في ساير الاخبار المتواترة فيبطل
الثقة بالاخبار قيل ان المتواتر هو الذي يقع العلم بصحته ولا فرق بين ان يقع العلم بالشي وبين ان يعلم بخبر الله
انه على خلاف ما قالوه واذا صح ذلك فلا بد ان يحمل الامر على ان القوم كلهم قد قلدوا جمعا يسيرا كان
يجوز عليهم الكذب فتوهم ذلك الجمع اليسير على ما تبتهم مع علمهم انهم لم يقتلوا عيسى عليه السلام وكذلك
اختلفوا بعد ذلك في تهمة في قتله على نحو ما تقدم ذكره قوله عز وجل **بل رفعه الله اليه وكان الله
عزيزا حكيما** معناه بل رفعه الله الى السما وانما سمي ذلك رفعا اليه لانه رفع الى موضع لا يملك فيه احد شيا الا الله
تعالى وهذا كما يسمى رجوع الناس الى المحشر يوم القيمة رجوعا اليه وقد قال الله عز وجل ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله واراد بذلك الهجرة الى المدينة وقال في قصة ابرهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي سيهدين واراد
بذلك الذهاب الى الشام بامر الله وعن الحسن رضي الله عنه انه قال انما سمي رفع عيسى عليه السلام رفعا اليه لانه
موضع عرشه وسرير ملكه ومتعبد ملايكته يطوفون به كما سميت الكعبة بيت الله تعالى لانها متعبد
الناس يطوفون بها وقوله عز وجل وكان الله عزيزا حكيما قد ذكرنا معناه غير مرة وفايدة ذكره ههنا بيان
قدرة الله سبحانه على نجاة من شا وبيان حكمته فيما فعل ويفعل ويحكم ويحكم وبالله التوفيق قوله عز وجل
وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا وذلك ان الله عز
وجل لما ذكر اختلاف اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام بين بعده ان هذا الشك سيزول عن كل
كتابي فقال وان من اهل الكتاب معناه ما من احد من اهل الكتاب الا ان يؤمن بعيسى عليه السلم قبل ان يموت
الكتابي يعني اذا عاين اليهودي امر الاخرة وحضرته الوفاة ضربت الملايكة وجهه ودبره وقالت اتاك عيسى
بن مريم عليه السلام نبيا فكذبت به فيومن به حين لا ينفعه ايمانه ويقول للنصارى اتاك عيسى عليه السلام
عبد الله ورسوله فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن بانه عبد الله حين لا ينفعه ايمانه ويقال معنى قوله قبل
موته قبل موت عيسى عليه السلام وذلك حين ينزل من السما ليقتل الدجال حتى لا يبقى احد من اهل الكتاب وقت
نزوله الا يؤمن به وقد روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المسيح جاي فمن لقيه فليقريه مني
السلام وروي انه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في امته ينزل على ثنية جبال بيت المقدس وفي
يده عصا من حديد فيمكث في الارض اربعين سنة اماما مهديا يدق الصليب ويريق الخمر ويقتل الخنزير
ويذهب السحرة والملكة ويكون السجدة واحدة ثم يموت ويصلي عليه هذه الامة ويدفن في الارض و

ذكر

ويذكر الحسن رضي الله ان عيسى عليه السلم اذا نزل في اخر الزمان فقالوا له تقدم يا رسول الله في صلوة الصبح
فيقول لا ينبغي لاحد ان يتقدم على هذه الامة فاقيم فيصلي خلف رجل منهم ويقال ان المراد بقوله ليؤمنن به
محمد صلى الله عليه وسلم يؤمن به اهل الكتاب في وقت المشاهدة ولكن لا ينفعهم والقول الاول اصح لان
الاية في قصة عيسى عليه السلام وقوله عز وجل ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا اي يشهد عيسى عليه
السلام على نفسه يوم القيمة بالعبودية وعلى النصارى بانهم عبدوه بغير حق وعلى اليهود بانهم كذبوه
ويقال معناه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالبلوغ ولامته بالتصديق قوله عز وجل **فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا** معناه بظلم
اليهود وبجرمهم حرمنا عليهم اشيا كانت طيبة لهم في التورية منها لحوم الابل والبانها والثروب من الشحوم
وكانوا اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله تعالى عليهم طعاما طيبا فلم يكونوا يتعلمون من هذا تحريم الله لحوم الابل
والبانها والثروب وذلك بعد نزول التورية كما قال الله عز وجل في اية اخرى ذلك جزيناهم ببغيهم وقوله
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا معناه وبسبب منعهم الناس عن دين الله وهو الاسلام قوله عز وجل
واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما
معناه وبسبب اخذهم الربا وقد نهوا عن ذلك في التورية وبسبب اكلهم اموال الناس بالباطل
واخذ الرشا في الحكم وخلقنا وهيانا للكافرين منهم عذابا وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم وانما خص
الكافرين بالذكر ليبين ان من يؤمن من الذين هادوا اخرج في هذا الوعيد وقد روي انه لما نزلت هذه الاية
قالت اليهود والله ما حرم الله تعالى علينا شيا كان حلالا في الاصل وهذا الذي حرم علينا كان حراما على ادم
عليه السلام ومن بعده وانت يا محمد صلى الله عليه وسلم تحل ذلك فانزل الله عز وجل قوله عز وجل
**لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين
الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر اولئك سنؤتيهم اجرا
عظيما** معناه لكن الثابتون المبالغون من اهل الكتاب وهم عبد الله بن سلام واصحابه وسموا
بهذا الاسم لثباتهم في العلم وتقدمهم فيه لا يضطربون ولا تميل بهم الشبه بمنزلة الشجرة الراسخة بعروقها
في الارض وغير الراسخ يضطرب وينتقل من اعتقاد الى اعتقاد ومن مذهب الى مذهب بقليل من الشبه
تعرض له بمنزلة الشجرة التي لم ترسخ عروقها في الارض تحركها الريح الضعيفة من الرياح وتميلها من جانب
الى جانب وتكسرها مرة وتقلعها مرة اخرى وقوله عز وجل والمؤمنون يؤمنون معناه والمؤمنون من غير
اهل الكتاب من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون بما انزل اليك من القران وما فيه من تحريم
هذه الاشيا عليهم بظلمهم ويصدقون بما انزل من قبلك على ساير الانبيا من الكتب وقوله عز وجل
والمقيمين الصلوة يجوز ان يكون معناه يؤمنون بالنبيين المقيمين الصلوة فيكون قوله والمقيمين
نسقا على قوله بما انزل اليك ويجوز ان يكون نصبا على المدح على معنى اعني المقيمين الصلوة وهم
المؤتون الزكوة كما يقال الرجال قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدايد ويقال مررت بزيد الكريم
وبزيد الكريم بنصب الكريم ورفعه قال الشاعر • وهي خرنق بنت هفان القيسية •
لا يبعدن قومي الذين هم • سم العداة وافة الجزر • النازلين بكل معترك • والطيبون معاقد
الازر • ومن عادة العرب الانتقال في اثنا الخطاب من الرفع الى الخفض ومن الخفض الى الرفع •
كما ينتقل من المخاطبة الى المغايبة ومن المغايبة الى المخاطبة كما قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبة واشباه ذلك وذهب بعض اهل النحو الى ان قوله والمقيمين نسق على
الها والميم من قوله منهم معناه ومن المقيمين الصلوة يؤمنون وقيل ان هذا روي خطا لان الظاهر

لا ينسق على المضمر المجرور الا في ضرورة الشعر ولان المقيمين الصلوة داخلون في قوله تعالى والمؤمنون
وذهب بعض الجهال الى ان هذا غلط من الكاتب حين كتب مصحف الامام عثمن رضي الله عنه ورووا
ان عثمن رضي الله عنه لما نظر في المصحف قال ارى فيه لحنا وستقيمه العرب بالسنتها وعن عايشة رضي
الله عنها انها قالت ثلثة احرف في المصحف غلط الكاتب قوله عز وجل والمقيمين وقوله تعالى والصابيون
والنصارى وقوله عز وجل ان هذان لساحران وهذا بعيد عند اهل العلم لا يجوز ان تترك اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيئا في القران يصلحه غيرهم لانهم حماة الدين والقدوة في الشرايع والاحكام وقوله
عز وجل والمؤمنون بالله واليوم الاخر معناه والمصدقون بالله وبالبعث بعد الموت اوليك سنعطيهم
ثوابا وافرا في الجنة قوله عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون
وسليمن واتينا داود زبورا في الاية بيان ان حال محمد صلى الله عليه وسلم فيما اوتي من الايات الدالة
على صدقه ونبوته كحال من مضى من الرسل والمعنى الذي اوجب الايمان بهم وبما انزل عليهم يوجب الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية انا انزلنا جبريل عليك بهذا القران كما اوحينا الى نوح فامرناه بالاستقامة
على التوحيد ودعوة الخلق اليه وكما اوحينا الى النبيين من بعد نوح واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وهم بنو يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر رجلا والى عيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن
واعطينا داود زبورا والزبور هو الكتاب مأخوذ من الزبر وهو الكتابة ومن قرا بضم الزاي معناه الكتب
على الجمع فان قيل كيف قدم الله عز وجل في هذه الاية ذكر عيسى عليه السلام على ذكر ايوب ويونس وهرون
وسليمن وداود عليهم السلام وقد كان بعدهم قيل ان الواو للجمع دون الترتيب فتقدم ذكره عليه السلم في
الذكر لا يوجب تقدمه في الخلق والارسال ثم الفايدة في تقديمه في الذكر الرد على اليهود لغلوهم في الطعن فيه وفي
نسبه وقدمه الله تعالى في الذكر لان ذلك ابلغ في كبت اليهود وفي تبرئته مما رمي به ونسب اليه فان قيل فكيف
قال واتينا داود زبورا ولم يقل واتينا عيسى الانجيل قلنا اخباره تعالى بانه اعطى داود الزبور لا ينفي اعطا
غيره كتابا اخر والغرض من الاية بيان ان داود عليه السلام كان مخصوصا بفضيلة اعطا الزبور كما خص
عيسى عليه السلم باعطاء الانجيل في اية اخرى قوله عز وجل ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل
ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما يجوز ان يكون اول هذه الاية عطفا
على انا اوحينا اليك كانه قال انا ارسلناك موحين اليك وارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك ويجوز
ان يكون قوله ورسلا منصوبا بالفعل الذي بعده كانه قال وقد قصصنا رسلا عليك تقول رايت زيدا
وعمرا اكرمته ومعنى قصصناهم سميناهم لك في القران وعرفناك قصتهم وارسلنا رسلا لم نسمهم لك
امرناهم بالاستقامة على التوحيد ودعوة الخلق اليه وروي عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال قلت يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم كم كانت الانبيا صلوات الله عليهم وكم كان المرسلون قال كانت الانبيا صلوات
الله عليهم مايه الف واربعة وعشرين الفا وكان المرسلون ثلثمايه وثلثه عشر وعن انس رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال بعث على اثر ثمانية الاف من الانبيا صلوات الله عليهم منهم اربعة الاف في بني اسرايل
وعن كعب الاحبار انه قال الانبيا صلوات الله عليهم الفا الف ومايتا الف وخمسة وعشرون الفا والمرسلون
ثلثمايه وثلثه عشر وفي تفسير الكلبي ان الله تعالى لما انزل هذه الاية وقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الناس قالت اليهود فيما بينهم ما نرى محمدا صلى الله عليه وسلم يقرنه انزل الله عز وجل على موسى عليه السلم
ولقد اوحي اليه كما اوحي الى النبيين من قبله فانزل الله تعالى هذه الاية فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد ذكر فيمن ذكره وفضله بالكلام عليهم وفايدة تخصيص موسى عليه

السلام

السلام بالكلام مع انه تعالى كلم غيره من الانبيا انه عز وجل ذكر كلمه من غير واسطة وكلم غيره من
الانبيا صلوات الله عليهم بالوحي على لسان بعض الملايكة وقوله عز وجل تكليما يدل على التاكيد كيلا
يحمل كلام الله عز وجل اياه على معنى الوحي اليه على سبيل التوسع في الكلام كما في قوله عز وجل ام انزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم وكما قال جل ذكره هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق لان ما كان طريقه طريق التوسع والمجاز
لا يتاكد بالمصادر وفي الاية ما يدل على غاية من الجودة والفصاحة لان الله تعالى اجمل ذكر جماعة من الانبيا
صلوات الله عليهم في الاية التي قبل هذه ثم خص داود عليه السلام بالزبور ثم اجمل ذكر جماعة من الرسل ثم خص
موسى عليه السلام بالكلام ولما اخره في الذكر قرن ذكره بفضيلة اختص هو بها ليشتهر داود عليه السلم
بالزبور ويشتهر موسى عليه السلم انه كليم الله تعالى قوله عز وجل رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما معناه ارسلنا هولاء رسلا مبشرين بالجنة
لمن اطاع الله ومخوفين بالنار لمن عصى الله لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيمة بعد ارسال الرسل
اليهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وقوله عز وجل وكان
الله عزيزا حكيما ظاهر المعنى وفايدة ذكرها بيان قدرة الله عز وجل على ان يقص على النبي صلى الله عليه
وسلم اخبار من قبله من الرسل كلهم ولكنه قص بعضهم دون بعض على ما اوجبته الحكمة وعلم من المصلحة
ويقال معناه انه قادر على انجاز الموعود على السنة الرسل حكيم في ارسال الرسل فان قيل قوله عز وجل لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل هل يدل على انه لولا الرسل لم يجب على احد شي ولم يستحق احد ثوابا
ولا عقابا قيل لا يدل على ذلك لان الله عز وجل لو لم يرسل الرسل واعطى كل خلقه من العقل ما يعرفون
الله تعالى به كان ذلك عدلا منه لكن ارسل الرسل فضلا وزيادة في الحجة عليهم وبيانا لما يختص وجوب
معرفته بالرسل من الشرايع والسمعيات دون ما يجب معرفته بادلة العقول قوله عز وجل لكن الله
يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملايكة يشهدون وكفى بالله شهيدا قال عبد الله
بن عباس وذلك ان روسا مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سالنا اليهود عن نعتك
وصفتك فزعموا انهم لا يعرفونك في كتابهم فاتنا بمن يشهد لك ان الله عز وجل بعثك الينا
رسولا فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها لكن الله يشهد بما انزل اليك انه لم يشهد غيره
وانزل قوله قل اي شي اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم فشهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم
تبيين امره بالمعجزات التي اعطاه ويجوز ان يكون القران المنزل شهادة منه جل ذكره من حيث كان
القران معجزا يدل بنفسه على النبوة وفي قوله عز وجل انزله بعلمه ثلثة اوجه احدها انزله على علم منه
بانك اهل لانزاله عليك وعلم من يقبل ومن لا يقبل كما قال جل ذكره الله اعلم حيث يجعل رسالته والثاني
انزله بمعلومه اي علم ما فيه من الاحكام وما يحتاج اليه العباد من امر دينهم ودنياهم ثم انزله والثالث
انه هو الذي انزل عليك من عنده لم يبدل ولم يغير بل وصل اليك كما كان في اللوح المحفوظ وقوله والملايكة
يشهدون على شهادة الله وعلى شهادتك بان الذي شهدت به حق ويجوز ان تكون شهادة الملايكة
بحمل المعجزة وقوله عز وجل وكفى بالله شهيدا معناه اكتفوا بالله شهيدا في شهادته ان لم تشهد اليهود
بما في كتابهم قوله عز وجل ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا
بعيدا معناه ان الذين جحدوا وحدانية الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم والقران وصرفوا الناس
عن دين الله وطاعته فقد اخطا واخطا بعيدا عن الهدى والصواب بين الله تعالى في هذه الاية
ضلالتهم في الدنيا ثم بين في الاية التي بعدها عقوبتهم في الاخرة فقال عز وجل ان الذين كفروا وظلموا
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على

اللہ يسيرا معناه ان الذين كفروا بما يجب الايمان به وظلموا انفسهم بكفرهم لم يكن الله ليتجاوز عنهم ما داموا
على كفرهم ولا ليوفقهم الى طريق الاسلام لكن يتركهم الى طريق جهنم وهو الكفر ويقال معنى ولا ليهديهم
طريقا ولا ليرشدهم في الاخرة الى طريق غير طريق جهنم كما في قوله عز وجل فاهدوهم الى صراط الجحيم
وقوله عز وجل خالدين فيها ابدا اي مقيمين دائمين فيها الى الابد وكان ذلك التخليد والتعذيب على الله يسيرا
هينا قوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا
فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما خطاب لعامة الخلائق قد جاءكم الرسول
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد والقرآن من عند ربكم فصدقوا بالله ورسله وما جاء به
من عنده يكن خيرا لكم من الكذب قال الفراء انتصب قوله خيرا لانه متصل بالامر وهو من صفته
تقديره هو خير لكم فلما سقط هو اتصل بما قبله وهو معرفة انتصب وعلى هذا قوله عز وجل انتهوا خيرا
لكم وقال الخليل والبصريون انما انتصب قوله خيرا لانك اذا امرت بفعل دخل في معناه ائت خيرا لك واذا
نهيت عن فعل دخل في معناه ائت بدله خيرا لك قال الكسائي انتصب لخروجه من الكلام قال وهذا انما
تقوله العرب في الكلام التام نحو قولك لتقومن خيرا لك واذا كان الكلام ناقصا رفعوا فقالوا ان تنتهوا
خير لكم وقوله عز وجل وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض فيه وجهان احدهما ان تكفروا بما اتاكم
الله فان لله ما في السموات والارض والثاني وان تكفروا فان الله غني عنكم لكونه مالك السموات والارض وقوله
عز وجل وكان الله عليما حكيما اي لم يزل كان عليما بخليقته لمن يؤمن ولمن لا يؤمن حكيما في امره حكم
بالاسلام على عباده قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله
الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا
بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له
ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في نصارى اهل
نجران وهم النسطورية الذين يقولون ان عيسى ابن الله والمار يعقوبية الذين يقولون عيسى هو الله والمرقوسية
الذين يقولون ثالث ثلاثة ويقال هم الملكانية ومعنى الاية يا اهل الكتاب لا تجاوزوا الحق في الدين
فتفرطوا فيه والغلو في الدين مجاوزة الحد فيه وقد غلت النصارى في امر عيسى عليه السلام حتى جاوزوا به
منزلة الانبياء فجعلوه الها ويقال ان الاية خطاب لليهود والنصارى لان اليهود ايضا غلوا في امر عيسى عليه
السلام حتى جاوزوا منزلته من ولد على الطهارة فجعلوه لغير رشده وقوله تعالى ولا تقولوا على الله الا الحق معناه
لا تصفوا الله عز وجل الا بالحق والحق ان يقال له واحد لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد وان يوصف بجميع
صفاته العليا وينزه عن القبائح والنقائص وعن جميع صفات المحدثين وقوله تعالى انما المسيح عيسى بن مريم
رسول الله معناه ليس المسيح الا رسول الله لان انما يقتضي تحقيق المذكور ونفي ما سواه كقوله تعالى انما الله
اله واحد وكان قوله انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله ردا على اليهود والنصارى وفي قوله عيسى بن مريم بيان انه
لا يجوز ان يكون الها اي كيف يكون الها وهو ابن مريم امة الله وكيف يكون الها وامه قبله والله عز وجل هو
القديم الذي لم يزل وفي قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم ثلاثة اوجه احدها ما روي عن الحسن وقتادة
رضي الله عنهما انه كان بكلمة عز وجل وهو قوله كن فيكون فكان لا على سبيل ما اجرى العادة به من حدوث
الولد من الذكر والانثى جميعا والثاني انه يهتدى به كما يهتدى بكلمة الله والثالث ما تقدم من البشارة
به في الكتب المتقدمة التي انزلها الله تعالى على انبيائه وفي قوله عز وجل وروح منه اربعة اقوال احدها ما
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناها امر من الله عز وجل جاءها جبريل عليه السلام والنفخ في اللغة بامر الله
تعالى فنفخ في جيب درعها ودخلت تلك النفخة بطنها فخلق الله تعالى عيسى عليه السلام بنفخة جبريل عليه

تاما من هم

اما هم

[illegible]

السلام والنفخ في اللغة يسمى روحا كما قال ذو الرمة فقلت له ارفعها اليك واحيها بروحك واقتته لها
قيتة قدرا اي بنفخك والثاني سماه الله تعالى روحا لانه كان يحيي به الناس والدين كما يحيون
بالارواح والثالث انه روح من الارواح اضافها الله عز وجل الى نفسه تشريفا له كما يقال بيت الله والرابع
انه كالروحانيين وهم الملائكة في الطهر والرفعة وقوله عز وجل فآمنوا بالله ورسله معناه
صدقوا بوحدانية الله عز وجل وبما جاءكم به الرسل من الله ولا تقولوا الهتنا ثلاثة اب وابن وروح قدس
انتهوا عن هذه المقالة وتوبوا الى الله عز وجل هو خير لكم من الاصرار على الكفر وقوله عز وجل انما الله اله واحد
معناه ما الله الا اله واحد سبحانه ان يكون له ولد كلمة تنزيه عن السوء اي تنزيها له عن ان يكون له ولد له
ما في السموات وما في الارض كلهم عبيده واماؤه وفي قبضته ويستحيل ان يكون المملوك ابنا للمالك
اي لا يجتمع الملك مع الولادة ونظير هذه الاية قوله عز وجل وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات
والارض الا آتي الرحمن عبدا ويجوز ان يكون قوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض بيانا ان اجازة
الولد تشبيه الفاعل بفعله وذلك لا يجوز وقوله عز وجل وكفى بالله وكيلا معناه اكتفوا بربوبيته
وكفايته ووكالته فلا ولد ولا شريك سبحانه عما يقول الظالمون علوا كبيرا قوله عز وجل لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم اليه جميعا قال عبد الله بن عباس نزلت هذه الاية في وفد نجران اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فناظروه في عيسى عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله فقالوا لا تقل
هكذا فان عيسى عليه يانف من هذا القول فنزل تكذيبا لقولهم لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله اي
لن يانف ولن يتعظم عن الاقرار بعبودية الله تعالى واصل الاستنكاف في اللغة ماخوذ من قولك نكفت
الدمع اذا نحيته باصبعك من خديك ويقال درهم منكوف اذا كان زيفا يرد فعلى هذا يكون معنى
يستنكف لن يمتنع ولن ينقبض من عبودية الله تعالى وقوله عز وجل ولا الملائكة المقربون معناه ولن يستنكف
الملائكة المقربون من عبوديته وانما خص الملائكة المقربين بعد عيسى لان النصارى كانت تقول في عيسى
انه ابن الله وبنو مليح كانوا يقولون الملائكة بنات الله فرد الله عز وجل على الفريقين جميعا وقال الحسن معنى
الاية لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الذين هم افضل من المسيح عبد الله وكان
يستدل على ان الملائكة افضل من الادميين بهذه الاية وبقوله عز وجل لا يعصون الله ما امرهم وبقوله
عز وجل لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم اليه جميعا من يانف ويمتنع من توحيده وطاعته ويتعظم عن الايمان به ولا ايمان بامره
ويستكبر فسيجمعهم اليه جميعا المستنكف والمستكبر والمقر والمطيع الى مجازاة الله عز وجل لان الحشر
لا يكون الا للخلائق كلهم ثم فصل الله جل ذكره فقال عز وجل فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا
اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا معناه اما الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقرآن وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم فيوفيهم جزاء اعمالهم في الجنة ويزيدهم
من عطاياه ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين ابوا وامتنعوا وتعظموا
وامتنعوا عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فيعذبهم عذابا اليما وجيعا ولا يجدون لانفسهم
سوى الله قريبا ينفعهم ولا مانعا يمنعهم من النار قوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم برهان
من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا خطاب للناس كلهم بان قد جاءكم برهان من ربكم وهو
الرسول صلى الله عليه وسلم سماه الله برهانا لظهور معجزاته وقوله عز وجل وانزلنا اليكم نورا

الذين م

مبينا معناه انزلنا اليكم القران وسماه نورا مبينا لان النور هو الذي يبين الاشيا حتى ترى والقران
يبين الاشيا كلها يعرفون من يوالون ومن يعادون وما يحلون وما يحرمون وما ياخذون وما يعطون
قوله عز وجل **فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم**
اليه صراطا مستقيما معناه فاما الذين صدقوا بوحدانية الله عز وجل وتمسكوا بدينه وكتابه
وسالوا العصمة منه عن معاصيه فسيدخلهم ربهم في الاخرة في جنته والكرامات التي اعد الله
فيها لاوليايه ويعرفهم في الدنيا سبيل الهدى وهو الاسلام ويثبتهم على ذلك تقدير الاية يهديهم في الدنيا
ويرحمهم في الاخرة ولم يذكر اضداد المعتصمين بالله لدلالة الحال قوله عز وجل **يستفتونك قل الله يفتيكم**
في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم
يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء
فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شي عليم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
نزلت هذه الاية في جابر بن عبد الله حين جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي اختا فالى
منها بعد موتها فانزل الله هذه الاية ومعناها ويسالونك يا محمد صلى الله عليه وسلم عن حكم الله عز
وجل في الكلالة قل الله يفتيكم يبين لكم حكم الكلالة وقد تقدم تفسير الكلالة في اول هذه السورة
وقوله عز وجل ان امرؤ هلك معناه ان هلك مرؤ وكما قلنا وان امراة خافت من بعلها وقوله عز وجل وله
اخت اراد به الاخت من الاب والام او من الاب لانه جل ذكره ذكر حكم الاخت من الام في قوله عز وجل وان
كان رجل يورث كلالة على ما سبق ذكره وقوله عز وجل فلها نصف ما ترك معناه للاخت من الاب والام
نصف ما ترك الميت من المال وما بقي فللعصبة وان لم يكن للميت اخت لاب وام وله اخت لاب فالاخت
من الاب تقوم مقام الاخت من الاب والام وان كان للميت اخت لاب وام واخت لاب فللاخت
من الاب والام النصف وللاخت من الاب السدس تكملة الثلثين وما بقي فللعصبة وظاهر هذه الاية
يقتضي ان الاخت لا ترث مع الابنة وهو قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الا ان ساير الصحابة جعلوا
الاخت من الاب والام ثم من الاب عصبة مع البنات وتاولوا الاية على قولهم ان في الاية بيان حكم ميراث
الاخت ان لم يكن للميت ولد وليس فيها نفي ميراثها ان كان له ذلك الا ترى ان الاخ يرث مع الابنة وقد قال
الله عز وجل وهو يرثها ان لم يكن لها ولد وقوله عز وجل وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الميت
وحكم الثلث من الاخوات حكم الثنتين كما في البنات وقوله عز وجل وان كانوا اخوة رجالا ونسا معناه
ان كانت الورثة اخوة من اب وام او من اب ذكورا واناثا فللذكر مثل نصيب الانثيين لكل اخ سهمان ولكل
اخت سهم يبين الله قسمة المواريث لئلا تخطئوا في قسمتها وقد يحذف لا في الكلام ويراد ثباتها كما
في قوله عز وجل والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وتقال في القسم والله ابرح قاعدا اي لا ابرح ويذكر لا ويراد
طرحه كما في قوله لا اقسم وقوله عز وجل ما منعك الا تسجد وذهب البصريون الى ان معنى قوله ان تضلوا
كراهة ان تضلوا فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما في قوله عز وجل واسال القرية وقال الفرا
موضعه نصب بنزع الخافض وقوله تعالى والله بكل شي عليم ظاهر المعنى وفايدة ذكره هاهنا بيان
كونه عالما بما يحتاج اليه عباده من امر معاشهم ومعادهم ودينهم ودنياهم يبين لهم كلما يحتاجون اليه
على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من قرا سورة النسا اعطي من الاجر كمن اشترى ذا رحم فاعتقه وبرى من الشرك وكان في مشية
الله عز وجل من الذين يتجاوز عنهم وبالله التوفيق **سورة المائدة مدنية** الا قوله عز وجل
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم وقوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم فان هاتين الايتين نزلتا بمكة بعد الفتح

بالله

سورة المائدة ٥

وحكيما

سورة المائدة

وحكمها حكم المدنية لنزولهما بعد الهجرة وعدد ايات هذه السورة مائة وعشرون اية عند
الكوفيين واثنان وعشرون عند الحجازيين وثلث وعشرون عند البصريين بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد
وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في معنى هذه الاية
يا ايها الذين صدقوا بالله ورسله اوفوا بالعقود التي عقدها الله تعالى عليكم مما احله لكم او حرم عليكم وعنه
في رواية اخرى ان معناها اتموا العهود التي بينكم وبين المشركين لا تنقضوها حتى يكون النقض من قبلهم و
هكذا روي عن الضحاك وقتادة وابن جريج وجماعة من المفسرين وعن الحسن رضي الله عنه ان معناها اوفوا
بعقود الدين يعني اوامر الله عز وجل ونواهيه قال وكل امر وكل نهي عقد ويقال معناها اوفوا بالعقود
التي تعقدونها على انفسكم من نذر او يمين ويقال بالعقود التي يعقدها بعضكم على بعض على ما يوجبه
الدين نحو عقد البيع والاجارة والنكاح والشركات ولا تنافي بين هذه الاقوال اذ كل هذه العقود مما
يجب الوفا بها وحقيقة العقد الجمع بين الشيين بما يعسر حل احدهما عن الاخر ومنه العقدة يقال
عقدت الحبل اذا شددت بعضه الى بعض والعقد اوكد من العهد يقال عهدت الى فلان كذا
اي الزمته ذلك واذا قلت عاقدته او عقدت عليه فتاويله الزمته ذلك باستيثاق والوفا والايفا
القيام بما يوجبه العقد على شروطه واما قوله احلت لكم بهيمة الانعام فمعناه رخصت لكم الانعام
نفسها واضاف البهيمة الى الانعام كما يقال مسجد الجامع وباب الحديد ونفس الانسان والانعام في اللغة
تشتمل على الابل والبقر والغنم كما قال الله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا الى ان قال ثمانية ازواج
من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى ان قال ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ويدل على ذلك قوله تعالى
والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ثم ذكر بعد الانعام الخيل والبغال والحمير
فقال عز من قايل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فدل على ان اسم الانعام لا يتناول الا الاشيا الثلثة
واسم البهيمة في اللغة يتناول كل حي لا عقل له اشتبه عليهم اي استغلق ويقال دخلت في هذه الاية اباحة الظبا
وبقر الوحش وحمار الوحش لانها ابهمت في التمييز من الاهلية وهذا ما استثنى الله الصيد في حالة الاحرام في اخر
هذه الاية حيث قال غير محلي الصيد وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد فمعناه الا ما يقرا عليكم تحريمه في
هذه السورة من الميتة والدم والموقوذة والمتردية وغيرها وموضع ما يتلى عليكم نصب بالاستثنا ويجوز ان يكون
موضعه رفعا كما في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا معناه غير الله وقوله عز وجل غير محلي الصيد نصب
على الحال من الكاف التي في قوله احل لكم بهيمة الانعام غير محلي الصيد اي من غير ان تستحلوا كما يقال جا زيد
راكبا وجا غير راكب ويقال هو نصب من قوله اوفوا كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام غير محلي الصيد اي من غير ان
تستحلوا قتل الصيد وانتم محرمون اوفوا بالعقود التي عقدها الله تعالى عليكم مما احله لكم وحرمه عليكم غير
محلي الصيد وانتم محرمون وقوله عز وجل ان الله يحكم ما يريد معناه يقضي على عباده بما شا من التحريم والتحليل
على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة وهو اعرف بصلاح خلقه وما يصلحهم قوله عز وجل **يا ايها الذين**
امنوا لا تحلوا شعاير الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلايد ولا امين البيت
الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنان
قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى واتقوا الله ان الله شديد العقاب
اختلف المفسرون في الشعاير قال عبد الله بن عباس اراد به المناسك كلها لا تستحلوا مخالفة شي منها
ولا تجاوزوا مواقيت الحرم غير محرمين حقوقها قال وذلك ان الانصار كانوا لا يسعون بين الصفا والمروة
وكان اهل مكة لا يخرجون الى عرفة فامر الله تعالى ان لا يتركوا شيئا من امور المناسك وقال الحسن رضي الله

سورة المائدة

الجواب م

عنه شعائر الله دين الله اي لا تحلوا في دين الله تعالى ما لا يحله الله عز وجل ويقال هي حدود الله في فرائض
الشرع والشعائر في اللغة المعالم والشعيرة هي كل ما جعل علما لطاعة الله عز وجل والاشعار الاعلام
ومنه اشعار البدن ومنه المشعر الحرام وقوله تعالى ولا الشهر الحرام واراد بالشهر الحرام الاشهر الحرم كلها
وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم الا انه ذكر باسم الجنس كما في قوله تعالى والعصر ان الانسان
لفي خسر اراد به جنس الانسان ولذلك استثنى المطيع بقوله تعالى الا الذين امنوا وكان الواجب في
ابتداء الاسلام ان لا يحاربوا في الاشهر الحرم كما قال الله عز وجل قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله
وعلى هذا كانت العرب ثم نسخ حرمة القتال في الشهر الحرام بقوله عز وجل اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم واما قوله سبحانه ولا الهدي فمعناه لا تحلوا الهدي لان تنحروه قبل
محله ولا تنتفعوا به بعد ان جعلتموه لله ولا تمنعوه ان يبلغ البيت والهدي اسم لما يهدى الى مكة كما قال الله تعالى
يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة وواحد الهدي هدية مثل جدي وجدية وقوله عز
وجل ولا القلائد معناه لا تحلوا القلائد التي يكون في اعناق الهدايا اي تقطعوها قبل الذبح كما قال عليه السلام
صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه تصدق بجلالها وخطامها ولا تعط الجزار منها شيئا ويقال عنى

وتصدقوا بها بعد الذبح

بالقلائد ذوات القلائد كانه عز وجل بين ان الهدايا المقلدة وغير المقلدة حرام وذلك انهم كانوا
يقلدون البدن وهي الابل والبقر والغنم ولا يقلدون الغنم وقوله عز وجل ولا امين البيت الحرام معناه
ولا تستحلوا القتل والغارة على القاصدين المتوجهين نحو البيت الحرام وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
الاية وردت في شريح بن ضبيعة اليمامي دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال انت محمد النبي صلى الله
عليه وسلم قال نعم قال الى ما تدعو اليه قال الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان لي امرا ارجع اليهم واستامرهم فان قبلوا قبلت ثم انصرف من عند النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرج
قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر فمر شريح بسرح لاهل المدينة
فاستاقها واتى بها الى اليمامة ثم خرج بعد ذلك نحو مكة معه تجارة عظيمة في حجاج بكر بن وائل من اهل
اليمامة وهم مشركون وكانت العرب تغير في الجاهلية بعضهم على بعض فاذا كانت في اشهر الحج امن الناس
بعضهم بعضا فاذا ساق احدهم في غير الاشهر الحرم نحو مكة قلد هديه بالشعر والوبر ومن لم يكن معه هدي
قلد راحلته ومن لم تكن معه راحلة جعل في عنقه قلادة وكانوا يامنون بذلك فاذا رجعوا من مكة جعلوا اشيا
من لحا شجر الحرم في عنق الراحلة فيامنوا بذلك فلما سمع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بخروج شريح و
اصحابه من اهل اليمامة الى مكة اراد اهل السرح من اهل المدينة ان يغيروا على شريح واصحابه فاستامروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله يبتغون فضلا في موضع نصب على الحال
معناه قاصدين طالبين رزقا بالتجارة ورضوانا اي رضى من الله تعالى قال الحسن رضي الله عنه معنى رضوانا
اي يرضى الله عنهم فيصلح لهم معيشتهم ويصرف عنهم العقوبات في الدنيا اذ كانوا لا يقرون بالبعث
ويجوز ان الله عز وجل انما ذكر قوله ورضوانا لانه قال امين البيت الحرام على الاطلاق ولم يتعرض لذكر
الكفرين ثم بين في مواضع ان الله لا يرضى عن القوم الكفرين ثم نسخ الله بعد ذلك حرمة تعرض المشركين
بقوله قاتلوا المشركين كافة وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد
عامهم هذا وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا معناه اذا حللتم من احرامكم فاصطادوا في الحل ان شئتم
وهذا اللفظ امر ومعناه الاباحة لان الامر اذا اعقب النهي كان معناه رفع الحظر كما في قوله فاذا قضيت
الصلوة فانتشروا في الارض وقد مضت السنة ان من رمى جمرة العقبة يوم النحر فقد حل له الصيد و
الطيب وكل شيء الا النساء فاذا طاف بالبيت طواف الزيارة حلت له النساء وقوله عز وجل ولا يجرمنكم

شنآن

شنآن قوم معناه لا يحملنكم ويقال لا يكسبنكم يقال فلان جريمة قومه اي كاسبهم من قرا شنآن
بتحريك النون فهو مصدر مثل الغليان والطيران ونحو ذلك يقال شنئته شنآنا اي ابغضته فيكون المعنى
لا يحملنكم بغض قوم بان صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام على ان تظلموهم وتجاوزوا الحد للمكافاة
وموضع ان تعتدوا نصب لانه مفعول وان صدوكم مفعول له كانه قال لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء عليهم
لصدهم اياكم ومن قرا شنآن بتسكين النون جعله ايضا مثل العطشان والسكران فيكون المعنى
لا يحملنكم بغض قوم وعداوة قوم ومن قرا ان صدوكم بالكسر جعله شرطا والنصب اجود لان الصد
كان وقع من الكفار قبل نزول هذه السورة واما قوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى معناه تحاثوا

حثوا

وتعانوا على الطاعة وترك المعصية قال ابو العالية والبر ما امرت به والتقوى ما نهيت عنه فظاهره
يقتضي وجوب المعاونة على الطاعة والتعاون تفاعل من المعونة وظاهر الامر على الوجوب وقوله تعالى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان معناه لا يعن بعضكم بعضا على شيء من المعاصي والظلم وقوله تعالى واتقوا
الله معناه اخشوا الله واطيعوه فيما امركم به ونهاكم عنه ان الله شديد العقاب اذا عاقب فعقابه
شديد وانما ذكر الله سبحانه العظة في اول هذه السورة لانه جل ذكره اراد ان يذكر في هذه السورة
فرايض من الاوامر والنواهي فابتدأ بالعظة ليكون الخطاب ابلغ والامر انجع والتكليف انفع كما
ابتدأ في اول سورة النساء بالعظة قوله عز وجل حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا
أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ
وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا
فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ معنى الاية والله اعلم حرم الله تعالى عليكم الميتة اذ لا يحل ولا
يحرم سواه والميتة اسم لكل ذي روح فارقه الروح حتف انفه والمراد بالدم الدم المسفوح كانوا
يجعلون الدم في المباعر ويشوونها وياكلونها ودخول الالف واللام في الدم دليل ان المراد به الدم
المسفوح الذي حرمه الله تعالى باية اخرى وهي قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى قوله او دما مسفوحا
لان الالف واللام للمعهود وقوله عز وجل ولحم الخنزير معناه وحرم عليكم لحم الخنزير لعينه لا لكونه
ميتة حتى انه لا يحل تناوله مع وجود الذكاة فيه بخلاف ما يوكل لحمه من الحيوانات وفائدة تخصيص لحم
الخنزير بالذكر دون لحم الكلب وساير لحوم السباع ان كثيرا من الكفار الفوا لحم الخنزير واعتادوا
اكله واولعوا به ما لم يعتادوا اكل غيره وقيل فائدته ان مطلق لفظ التحريم يدل على نجاسة عينه مع حرمة
اكله ولحم الخنزير مختص بهذا الحكم وذلك ان ساير الحيوانات المحرم اكلها اذا ذبح كان لحمها طاهرا لا يفسد
الماء اذا وقع فيه وان لم يحل اكله بخلاف لحم الخنزير وقوله عز وجل وما اهل لغير الله به معناه وحرم عليكم
ما ذكر عليه عند الذبح اسم غير الله عز وجل وذلك انهم كانوا يذبحون الذبايح لاصنامهم يتقربون بذبحها
اليها فحرم الله عز وجل كل ذبيحة يتقرب بذبحها الى غير الله ولذلك قال الفقهاء ان الذابح لو سمى النبي صلى
الله عليه وسلم مع الله عز وجل فقال بسم الله ومحمد حرمت الذبيحة ولا فرق بين ان يذكر مع اسم الله
غيره كائنا من كان وبين ان يسمى عليها غير اسم الله تعالى ان ذلك يحرم الذبيحة لانه قد اهل عليها لغير
الله وذكر القاضي الامام ابو عاصم العامري محمد بن احمد رحمة الله عن اصحابنا ان سلطانا لو دخل بلدا
فذبح الناس الذبايح تقربا اليه بذبحها واراقة دمها لم يحل تناول شيء منها لانه قد اهل بها لغير الله وتقرب
بذبحها الى غير الله وكان يفرق بين هذا وبين ما يذبحه الرجل للضيف بمعنى ان صاحب الضيف انما يتقرب
الى ضيفه باللحم دون اراقة الدم الا ترى انه لو ذبح الشاة باسمه وبسببه ولكن يقربها اليه لم يكن

لم

مُتقرّباً بها اليه فعلم ان التقرب الى الصنم انما يحصل بتقديم اللحم دون اراقة الدم فاما ما يذبح لاجل الامرا عند دخولهم البلاد انما يتقربون اليهم بالذبح واراقة الدم دون اللحم فان اللحم لا يحمل الى الامرا ولا يرجع اليهم شي من منافعه فلذلك افترق الامران وكان يحكي عن بعض المشايخ ان هذه المسالة وقعت ببعض بلاد ما وراء النهر فاختلف فيها فقهاوها فكتبوا الى ايمة بخارى فافتوا بتحريمها واما قوله عز وجل والمنخنقة فمعناه حرم عليكم اكل لحم المنخنقة وهي التي تختنق بحبل او بشبكة او يخنق بعضها بعضاً فتموت من غير ذكاة وقوله عز وجل والموقوذة معناه المضروبة بالخشب حتى تموت يقال وقذت واوقذت اذا ضربت حتى تشرف على الهلاك ولفظ التحريم مضمر في كل شي من المحرمات المذكورات في هذه الاية ويتضمن من ذلك تحريم ما يعتاد من افعال المكلفين في هذه الاشيا لان لفظ التحريم اذا اضيف الى الاعيان اريد تحريم ما يعتاد فيها من التصرفات فدخل في ذلك تحريم الاكل والبيع والتمليك والانتفاع بها من جميع الوجوه الا ما خصه الدليل ولذلك حمل قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم على تحريم النكاح دون تحريم غيره اذ النكاح هو التصرف المعتاد في النسا فانصرف اللفظ اليه واما قوله والمتردية فهي التي تتردى من جبل او سطح او في بير فتموت قبل الذكاة والتردي هو السقوط ماخوذ من الردى وهو الهلاك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم اذا رميت رميتك من جبل فلا تاكل فانك لا تدري اسهمك قتلها ام التردي واذا وقعت في ماء فلا تاكل فانك لا تدري اسهمك قتلها ام الما فصار هذا الكلام اصلاً في كل موضع اجتمع فيه معنيان احدهما حاظر والاخر مبيح انه يغلب جهة الحظر على جهة الاباحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما امور مشتبهة فدع ما يريبك الى ما لا يريبك الا وان لكل ملك حمى وان حمى الله تعالى محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وعن عمر رضي الله عنه انه قال كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة الربوا وقوله عز وجل والنطيحة معناه التي تنطح حتى تموت فان لفظ الفعيل قد يكون بمعنى الفاعل وقد يكون بمعنى المفعول واذا تناطحت الحيوانات فقتل بعضها بعضاً في النطاح فهي حرام الا ما ... وقوله عز وجل وما اكل السبع معناه ما اكل منه السبع وهو فريسته اذا افترس السبع صيداً فاكل منه لم يوكل الباقي وقوله الا ما ذكيتم معناه الا ما ادركتم ذكاته مما اكل منه السبع فذكيتم فان ذلك يحل لكم واما ما ابين من الصيد قبل الذكاة فهو ميت ويحتمل ان يكون قوله الا ما ذكيتم استثنا راجعاً الى المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة واكيلة السبع فانها كلها في الحكم بمعنى واحد وعن الحسن رضي الله عنه انه كان يقول في هذه الجملة اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او حركت ذنبها فذكها وكل وشرط اكثر اهل العلم في اباحة اكلها بالذكاة ان تكون حياً بها وقت الذكاة اكثر من حيوة المذبوح فان كانت بهذه الصفة اثرت الذكاة في اباحتها والا فلا والذكاة في اللغة تمام الشي يقال ذكيت النار اذا اتممت اشتعالها والذكا في السن تمام السن وهو النهاية في الشباب ومنه قولهم جري المذكيات غلاب والذكا في الفهم هو ان يكون فهماً تاماً سريع القبول واما قوله عز وجل وما ذبح على النصب فمعناه وحرم عليكم ما ذبح على النصب وهي جمع النصب وهي الحجارة كانوا ينصبونها فيعبدونها من دون الله ويقربون لها الذبايح والفرق بين النصب والاصنام ان الصنم اسم لما كان على صورة الانسان والنصب ما لا نقش له ولا صورة ولكنه يعبد والوثن ما كان منقشاً في الحائط لا شخص له وقوله وان تستقسموا بالازلام معناه وحرم عليكم الاستقسام هو طلب القسم بالازلام وهي القداح التي كانوا يجيلونها عند العزم على الميسر يقتسمون بها لحم الجزور على ما تقدم ذكره في قوله عز وجل يسالونك عن الخمر والميسر وقال الحسن رضي الله عنه كانوا يتخذون السهام فاذا اراد الرجل ان يخرج الى سفر اجال السهم

يدع وكان مكتوباً على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فان خرج الذي عليه امرني ربي قال قد امرت بالخروج ولا بد لي من ذلك فيخرج فان كره الخروج خرج غير بعيد ثم رجع ولا يدخل من باب بيته ولكن ينقب ظهر بيته منه يدخل ومنه يخرج الى ان يتفق له الخروج وان خرج الذي نهاني ربي قال قد نهيت عن الخروج ولا يسعني مع نهي الله عز وجل عن ذلك وعلى هذا يجوز ان يكون معنى الاستقسام طلبهم في الخروج والجلوس في قسم الرزق والحوايج ويجوز ان يكون معناه طلب القسم وهو اليمين كانوا يلزمون انفسهم هذه الازلام ما يلزمونها بالقسم واليمين لا يخالفونها كما لا يخالفون القسم وظاهر هذه الاية تقتضي ان العمل على قول المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا او اخرج من اجل نجم كذا فسق لان ذلك دخول في علم الغيب الا الله عز وجل ومعنى الفسق الخروج من الطاعة وقوله ذلكم اشارة الى ما تقدم ذكره من المعاصي والحرام واما قوله عز وجل اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ومعه المسلمون وهو يوم الفتح يئس الكفار يومئذ من رجوع المسلمين الى دينهم بما ظهر من علو الاسلام والمسلمين على ساير الاديان وقال بعضهم اراد به يوم حجة الوداع وقال الحسن اراد باليوم جميع زمان النبي صلى الله عليه وسلم وعصره كما يقال كانت حادثة كذا في يوم فلان ويراد به عصره وزمان مملكته ويقال في المثل الساير يوم لنا ويوم علينا ويراد به الزمان ويقال كان الناس فيما مضى من الزمان على امر كذا فاما اليوم فعلى خلافه ويقول الرجل قد تبين لي اليوم من حال فلان خلاف ما علمت ويريد به الحال واما قوله عز وجل فلا تخشوهم واخشون فمعناه لتكن خوفكم لله وحده بعد ما ايسهم وحول الله عز وجل الخوف الذي كان يلحقكم اليهم باظهار الاسلام ويقال معناه لا تخشوهم باظهار تحريم ما كانوا يستحلونه واسرعوا في ترك اظهار المحرمات واما قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم فقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفات يوم عرفة والناس وقوف رافعوا ايديهم بالدعا وبركت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم من ثقل هذه الاية قال ولم ينزل بعد هذه الاية حلال ولا حرام وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وثمانين يوماً ثم قبضه الله عز وجل الى رحمته فقالت اليهود لو نزلت علينا هذه الاية لاتخذنا ذلك اليوم عيداً فقال ابن عباس نزلت في يوم عيدين يوم جمعة ويوم عرفة ومعنى الاية والله اعلم اليوم اكملت لكم شرايع دينكم من بيان الحلال والحرام وبينت لكم جميع ما كنت اريد ان ابينه لكم في الازل فاما دين الله عز وجل فلم يزل كاملاً لا نقص فيه ويحتمل ان يكون المراد باكمال الدين اظهاره على ساير الاديان بالنصرة والغلبة وقوله اليوم نصب على الظرف كما يقال الان وفي هذا الزمان وقوله عز وجل واتممت عليكم نعمتي معناه اتممت عليكم نعمتي باظهار الدين حيث لم يحج معكم مشرك ويقال معناه اخترت لكم الاسلام من الاديان كلها نعمة بيان الفرايض ويقال هي ايجاب الجنة وقوله عز وجل ورضيت لكم الاسلام ديناً معناه اخترت لكم الاسلام من الاديان كلها ديناً فمن دان بالاسلام فقد استحق ثوابي ورضاي والدين اسم لجميع ما يعبد الله تعالى به خلقه وامرهم بالاقامة عليه وهو الذي امرهم ان يكون ذلك عادتهم والذي به يجزون فان الدين في اللغة العادة والدين الجزا وقوله عز وجل فمن اضطر في مخمصة غير متجانف معناه من دعته الضرورة الى اكل شي مما حرم الله تعالى عليه في مجاعة غير مايل الى اثم اي زايد على ما يسد رمقه ان الله غفور رحيم اباح ذلك رحمة منه وتسهيلاً على خلقه والمخمصة ماخوذ من الخمص وهو شدة ضمور البطن والمتجانف من الجنف وهو الميل فان قيل ما معنى قوله عز وجل في اخر هذه الاية غفور رحيم ولا خلاف ان المضطر الى اكل الميتة لا يلحقه الاثم بذلك الاكل قيل معناه اذا بلغت رافته من عباده ان يغفر لهم معاصيهم وينعم عليهم فكيف لا يرخص لهم في هذا الاكل وقد

اليوم اكملت لكم دينكم

اضطر والى احيا نفوسهم بذلك قوله عز وجل يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم
الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما
امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب روى عن بن عباس انه قال لما نزل
قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة جا عدي بن حاتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لنا
كلابا نتصيد بها فتاخذ الظبا والبقر فمنها ما ندرك ذكاته ومنها ما لا ندرك وقد حرم الله
عز وجل الميتة فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها يسألونك يا محمد صلى الله عليه وسلم اي شي
رخص لهم من الصيد وغيره قل رخص لكم المباحات يقال هذا المال يطيب لفلان ولا يطيب
لفلان اي يحل ولا يحل قال الله عز وجل فانكحوا ما طاب لكم من النسا معناه ما حل لكم من
النسا وكل شي لم يات تحريمه في كتاب او سنة فهو من الطيبات وقال بعضهم اراد بالطيبات
المستلذات والمشتهيات وهو عام اريد به غير ما تضمنه الاية المتقدمة تحريمها وقوله وما
علمتم من الجوارح مكلبين معناه واحل لكم صيد ما علمتم فحذف ذكر الصيد لان في الكلام
دليلا عليه والجوارح الكواسب مثل الكلب والفهد والصقر والبازي وساير ما يصطاد به الصيد
قال الله عز وجل ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم ويقال معنى الجوارح الجارحات بناب او مخلب
وقوله عز وجل مكلبين معناه اصحاب تعليم الكلاب للاصطياد كما يقال مؤدب اي صاحب
التاديب وقال الحسن معناه مضرين على الصيد والكلب المضرية يقال كلب كلث اذا ضري بالناس
ومن قرا مكلبين بنصب اللام فمعناه من الكواسب المعلمين وقوله عز وجل فكلوا مما امسكن
عليكم معناه كلوا مما حفظن لكم بعد قتلهن اياه وهو ان لا ياكل الكلب من الصيد فاذا اكل منه حرم
الصيد على صاحبه قال عبد الله بن عباس تعليم الكلب ان يضربه حتى يترك الاكل وتعليم البازي ان
يدعوه فيجيبك ويقال معنى وما علمتم لاباحة الانتفاع بالكلاب وقوله عز وجل فكلوا مما امسكن
عليكم اباحة صيدها وقوله واذكروا اسم الله عليه معناه على الارسال كما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لعدي بن حاتم اذا ارسلت كلبك المعلم وسميت الله عز وجل فكل وان اكل منه فلا تاكل
فانه انما امسك على نفسه وفي بعض الروايات وان شارك كلبك كلب اخر فلا تاكل انما سميت على
كلبك ولم تسم على كلب غيرك وذهب بعض اهل العلم الى ان معنى الامساك في هذه الاية ان يحفظ
الكلب الصيد حتى يجي صاحبه فان تركه حتى غاب عن صاحبه ثم وجده صاحبه بعد ذلك ميتا
لم يحل اكله كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل ما اصميت ودع ما انميت
قيل ان الاصما ما رايت والانما توارى عنك واختلف اهل العلم في حد التعليم قال ابو حنيفة رحمه الله
ليس فيه حد موقت وانما يرجع في ذلك الى اهل الصنعة فان حكموا بتعليمه حل صيده بعد ذلك والا
فلا لان الاصطياد للكلاب بمنزلة الحرف والصناعات للناس وليس في معرفة كون الانسان بصنعته
متقنا ما حذقه حد يوقف عليه ولكن يرجع في كل صنعة الى اهلها وقال ابو يوسف ومحمد وكثير من الفقها
اذا دعي الكلب ثلاث مرات على الولا فاجاب وارسل فاسترسل واخذ الصيد ولم ياكل حكمنا بكونه معلما
لان التعليم لا يحصل بالمرة الواحدة ويحصل بالمرات الكثيرة فجعل الحد الفاصل بين القليل والكثير الثلث التي هي
اقل الجمع الصحيح وما زاد لا غاية له فوجب قصر الحكم على الثلث والله اعلم وذهب بعض المفسرين في معنى
قوله فاذكروا اسم الله عليه ان المراد به التسمية عند الاكل وقوله عز وجل واتقوا الله معناه اخشوا الله
في تناول المحرمات ان الله سريع الحساب لحسابه سريع وحقيقة الحساب في اللغة اخذ ما لك واعطا
ما عليك قوله عز وجل اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم

حلٌ

حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن
محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين
معناه والله اعلم الان تمم الله لكم بيان الحلالات وهو كل ما لم يجر ذكره في المحرمات وسمى
الحلال طيبا لان الحلال لا يكون الا بهذه الصفة كما ان الحرام لا يكون الا خبيثا ويقال اراد بالطيبات في الاية
المتقدمة ثمار الاشجار التي لا يكون مالك لها وكل ما يملك بالاخذ بدليل انه عطف عليها الصيد في تلك
الاية واراد بالطيبات في هذه الاية الذبايح وكل ما يستباح بملك اليمين بدليل انه عطف عليه قوله وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم اي ذبايح اليهود والنصارى حلال لكم والدليل على ان المراد بالطعام هاهنا الذبايح
ان ما سوى الذبايح من الاطعمة والاشربة حلال للمسلمين سوا كانت لاهل الكتاب ولغيرهم فبان ان المراد به
الذبايح لان ذبايح غير اهل الكتاب من الكفار لا يحل للمسلمين كما روي عن عبد الرحمن بن عوف عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسايهم ولا اكلي ذبايحهم وقوله
عز وجل وطعامكم حل لهم معناه وذبايحكم حل لهم اي رخص لكم ان تطعموهم ذلك لان الحلال والحرام
والفرايض يعتقد على اهل الشريعة وانما قال هذا للاعلام ليتبين ان حكم الطعام في هذه الباب يخالف حكم النكاح
وذلك ان حكم الذبايح بخلاف حكم المناكحة وقوله عز وجل والمحصنات من المومنات قال الحسن رضي الله عنه
اراد به الحراير والعفايف منهن وتقدير الاية واحل لكم نكاح المحصنات من المومنات والكتابيات وقد
استدل بعض الفقها بظاهر هذه الاية على انه لا يجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية والصحيح انه يجوز له نكاحهن
بظاهر قوله عز وجل فانكحوهن باذن اهلهن وبدليل حل ذبايحهن وانما خص الله عز وجل المحصنات باباحة
نكاحهن مع جواز نكاح غيرهن لان الاية خرجت مخرج الامتنان والمنة في نكاح الحراير العفايف اعظم
والنعمة فيهن اتم يدل ذلك انه لا خلاف في جواز النكاح بين المسلم والامة المومنة وان كان في الاية تخصيص
المحصنات من المومنات والافضل لمن اراد النكاح ان لا يعدل عن نكاح الحراير العفايف المومنات مع
القدرة عليهن وان عجز عن نكاحهن فالمختار له ان لا يعدل عن نكاح الحراير الكتابيات مع القدرة عليهن
وذلك ان نكاح الامة يودي الى ارقاق الولد لان الولد يتبع الام في الرق والحرية ولا ينبغي لاحد ان يختار
رق ولده كما لا ينبغي له ان يختار رق نفسه وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال ايما عبد تزوج حرة فقد
اعتق نصفه يعني ولده وايما حر تزوج امة فقد ارق نصفه يعني ولده ومن الدليل على ان المراد بالاية
بيان الاحبا قوله اذا اتيتموهن اجورهن ولا خلاف بين الامة ان اعطا مهورهن ليس بشرط في جواز
نكاحهن ولكنه امر مستحب مندوب اليه مبعوث عليه وقوله عز وجل محصنين غير مسافحين معناه
ناكحين غير زانين معلنين بالزنا ولا متخذي صديقات للزنا سرا قال الحسن كان بعض اهل الجاهلية يزني
بكل من وجد من النسا وبعضهم يتخذ خليلة يزني بها سرا ويعيب الزنا علانية فبين الله عز وجل
بهذه الاية حرمة الزنا في السر والعلانية وقوله عز وجل ومن يكفر بالايمان روي عن بن عباس رضي
الله عنهما ان الله عز وجل لما رخص للمسلمين في نكاح الكتابيات قال اهل الكتاب لولا ان الله رضي اعمالنا
لم يحل للمسلمين تزوج نسائنا وقال المسلمون كيف يتزوج الرجل منا المراة من اهل الكتاب وهي كافرة
لا على ديننا فانزل الله عز وجل قوله ومن يكفر بالايمان معناه من يجحد شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال من يجحد بالايمان بهذه الاحكام المذكورة في هذه
الايات فقد بطل ثواب عمله فهو في الاخرة من المغبونين غبن منزلته ونفسه وصار الى النار اي لا يغني
عن الامة الكتابية اسلام زوجها ولا ينفعها ذلك ولا يضر المسلم كفر زوجته الكتابية كما قال عز وجل
ذكره في اية اخرى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط الى اخر الاية واصل الحبوط في اللغة

ماخوذ من الحبط وهو الذي يصيب الابل من كلا يستوخمه ويستوبله ولا يوافقه فينتفخ عند ذلك بطنها من غير شبع ولا ري ولا سمن كذلك الكافر يظن ان له عملا يستحق به الثواب ولكن كفره يبطل عليه ثواب عمله فلا يكون له شي من الثواب قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ٥ روي عن عبد الله بن عباس وزيد بن اسلم وجماعة من اهل التفسير ان معنى الاية اذا اردتم القيام الى الصلوة وانما اضمر ارادة القيام لان صحة قيام الصلوة بالطهارة فلا يصح جزء من القيام قبل تقدم الطهارة ونظيره قوله عز وجل فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم معناه اذا اردت قراءة القران ويقال اذا سافرت فاركب و اذا دخلت على الامير فتاهب يراد به اذا اردت ذلك وظاهر الاية يقتضي ان القيام الى الصلوة يكون سببا لوجوب الطهارة ولا خلاف بين السلف والخلف ان الطهارة لا تجب بسبب القيام الى الصلوة الا انه روي عن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما كانا يتوضان عند كل صلاة ويقران هذه الاية ويحتمل انهما كانا يفعلان ذلك ندبا واستحبابا فان تجديد الطهارة لكل صلاة مستحب وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من توضا فهو على وضوئه ما لم يحدث وقال لا وضوء الا من حدث فثبت ان في الاية اضمارا اخر وصار تقدير الاية اذا اردتم القيام الى الصلوة وانتم محدثون فاغسلوا وجوهكم و هو نظير قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر وقوله عز وجل فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية معناه فحلق فعليه فدية وقال بعضهم معنى قوله واذا قمتم الى الصلوة قمتم من نومكم الى الصلوة وقال على هذا ان النوم والاضطجاع حدث يوجب الوضوء ويقال معناه اذا قمتم من نومكم عند الصباح وقوله عز وجل فاغسلوا وجوهكم يشتمل على احكام منها ان الغسل اجراء الماء على المحل وتسييله سواء وجد معه الدلك ام لم يوجد والوجه ما يواجهك من الانسان وحده من قصاص الشعر الى اسفل الذقن ومن شحمة الاذن الى شحمة الاذن وان امر الماء على ظاهر وجهه جاز وان لم يصل الى اصل شعره ولا يلزمه ايصال الماء الى ما استرسل من شعر اللحية وخرج من حد الوجه لانه لا يحاذي موضعا لا يجب غسله في الوضوء فلا يجب غسل الشعر الذي يحاذيه كالذوائبين وظاهر الاية يقتضي ان المضمضة والاستنشاق غير واجبين في الوضوء لان اسم الوجه يتناول الظاهر دون الباطن ولا يتعلق بداخل العين بالاجماع واختلف اهل العلم في تخليل اللحية في الوضوء منهم من لا يامر به ولا يراه سنة ومنهم من يجعله سنة لما روي عن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا توضا خلل اصابعه في لحيته كانها اسنان المشط وقوله عز وجل وايديكم الى المرافق معناه واغسلوا ايديكم مع المرافق هكذا قاله علماؤنا رحمهم الله الا زفر فانه ذهب الى ظاهر الاية وقال ان حرف الى للغاية والغاية لا تدخل في الحكم كما في قوله عز وجل ثم اتموا الصيام الى الليل وكما يقال بعت منك من هذا الجدار الى هذا الجدار فان الحائطين لا يدخلان في البيع واما عامة اهل العلم قالوا ان الى تذكر بمعنى مع كما في قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم معناه مع اموالكم ويقال الذود الى الذود ابل اي مع الذود فاذا احتمل اللفظ الغاية واحتمل معنى المقارنة حل محل المجمل فكان موقوفا على بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه عليه السلام كان اذا توضا ادار الماء على مرفقيه فصار فعله بيانا للمجمل فحمل على الوجوب وقوله عز وجل وامسحوا برءوسكم اختلف اهل العلم في مقدار وجوب المسح ذهب مالك الى ان مسح جميع الراس واجب وقال ان ظاهر الاية يقتضي الجميع دون البعض لانك اذا قلت مررت بزيد

جملته لا بعضه وقال اصحابنا رحمهم الله ان الباء قد تذكر ويراد به التبعيض كما يقال اخذت بزمام الناقة ومسحت براس اليتيم فاذا احتمل اللفظ التبعيض واحتمل الصاق الفعل بالمفعول به كان مجملا وجب الرجوع فيه الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه توضا ومسح على ناصيته والناصية هي الربع المقدم من الراس ومعلوم بانه كان لا يترك بعض الواجب فثبت ان الفرض مقصور على هذا المقدار الا ان الافضل ان يمسح جميع الراس ليخرج عن الفرض بيقين وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه توضا ومسح جميع راسه واحسن الاقوال اقربها الى الاحتياط واوفقها للكتاب والسنة واجماع الامة قال الله عز وجل فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وكان الاحسن والاحوط ان يحترز المكلف في كل طاعة يفعلها على اختلاف العلماء فيقيم الطاعة على وجه لا يختلف فيه احد من العلماء والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وهذا النوع من الاحتياط لا يختص بمسح الراس بل يجري في جميع الفرائض والطاعات وذهب الشافعي رحمه الله الى ان الواجب في مسح الراس مقدار ما يتناوله الاسم ومن اصحابه من يقدر الفرض بثلاث شعرات وهذا بعيد لان فعله متعسر وفاعله لا يسمى ماسحا راسه ولا براسه واختلف اهل العلم في عدد المسح قال علماؤنا رحمهم الله الافضل ان يمسح جميع راسه بماء واحد وروي عن الحسن عن ابي حنيفة رحمه الله ان مسح راسه ثلاث مرات بماء واحد كان سنة وقال الشافعي رحمه الله الافضل ان يمسح ثلاثا بثلث مياه واقرب هذه الاقوال الى موافقة الاخبار ما ذكرنا اولا فانه روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مسح راسه مرة واحدة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الوضوء ثلثا ثلثا الا المسح فاما مسح الاذنين فهو سنة لا خلاف في ذلك بين اهل العلم وانما اختلفوا في كيفية مسحهما قال اصحابنا يمسح ظاهرهما وباطنهما مع الراس بماء واحد كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مسح براسه واذنيه بماء واحد وفي بعض الروايات ومسح براسه وامسك بسبابتيه لاذنيه ثم قال الاذنان من الراس وقال الشافعي رحمه الله هما عضوان منفردان يمسحا ثلثا ثلثا بثلث مياه وقال بعض الفقهاء يغسل ظاهرهما وهو ما يلي الوجه مع الوجه ويمسح باطنهما وهو ما يلي الراس مع الراس واما مسح الرقبة لم يذكر في شيء من الكتب المشهورة ويحتمل انه لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يمسح مقدم راسه ومؤخره وكذلك يفعله الناس وقال بعض القوم ان المقصود من مسح مؤخر الراس الرقبة وقد ورد في الشواذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من مسح رقبته في الوضوء امن من الغل يوم القيمة واما قوله عز وجل وارجلكم ففيه قراءتان من قرا بفتح اللام كانت الارجل على هذه القراءة معطوفة على الوجه واليدين فيجب غسلهما ومن قرا بخفض اللام كانت الارجل معطوفة على الراس والظاهر يقتضي مسحهما الا انه يحتمل ان المراد بذلك المسح على الخفين فان الماسح على الخفين يسمى ماسحا على الرجلين كما يقال قبل فلان رجل الامير وضرب فلان على رجل فلان ويراد بذلك الخف ويحتمل ان يكون الارجل معطوفة على الراس في الاعراب مفصولة عنها في الحكم فيكون خفضها على طريق المجاورة والاتباع كما يقال جحر ضب خرب بخفض الخرب وان كان نعتا للجحر وكما في قوله عز وجل وحور عين نعناه وهو حور عين وقد وردت اشعار العرب كذلك في كثير من المواضع فاذا احتملت قراءة الخفض المسح على الخفين واحتملت مسح الرجلين واحتملت غسلهما وجب الرجوع الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه داوم على غسل رجليه واتفقت الامة على فعله ولم ينقل عنه المسح الا شاذا من جهات ضعيفة وروي عنه عليه السلام انه قال خللوا اصابعكم قبل ان تخللها نار قليل بقياها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ويل للاعقاب من النار وروي عن عمر وجماعة

ان يمسح

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه توضا مرة مرة وغسل رجليه وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة
الا به ثم توضا مرتين مرتين وقال هذا وضوء من يضاعف الله له الاجر مرتين ثم توضا ثلثا ثلثا
قال هذا وضوئي ووضوء خليلي ابراهيم ووضوء الانبيا قبلي فمن زاد وازداد فقد تعدى وظلم
وذهبت الروافض الى ان الواجب في الرجلين المسح ورووا في المسح حديثا شاذا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن علي كرم الله وجهه وحملوا قراة النصب في قوله تعالى وارجلكم على ان معناها
المسح ايضا كما قال الشاعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا ويقال مررت بزيد وعمرا ويراد به
وبعمرو ومنهم من خير بين المسح والغسل لاختلاف القراتين ومعلوم بان الطهارة مما تعم
البلوى به ويحتاج الناس كلهم الى معرفته فلا يجوز الرجوع في ايجابها ونفيها الى اخبار الاحاد
وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه قال في الاية تقديم وتاخير معناها اغسلوا وجوهكم وايديكم
وارجلكم وامسحوا برؤسكم رواه واصل عنه وفي تفسير الحسن رضي الله وفي الاية دليل على ان المراد بطهارة
الرجلين غسلهما لانه تعالى حد في الرجلين الى الكعبين كما حد اليدين الى المرفقين والخلاف بين علمائنا
في الكعبين كالخلاف في المرفقين والكعبان هما العظمان الناتيان في جانبي الرجلين ماخوذ من الكعب
وهو النتو يقال جارية كاعب اذا خرج ثديها وكذلك كعوب الرمح وروى هشام عن محمد ان الكعب
معقد الشراك من القدم والصحيح ان محمدا انما قال ذلك في المحرم انه قال يقطع خفيه اسفل من الكعبين قال
والكعب هاهنا معقد الشراك من الرجل فنقل ابن هشام ذلك الى الطهارة ولا خلاف في الكعب في الوضوء
بين علمائنا الثلثة انه داخل في غسل الرجلين وقوله عز وجل وان كنتم جنبا فاطهروا معناه وان كنتم جنبا
واردتم القيام الى الصلوة فاغتسلوا والجنب يوضع موضع الجمع يقال رجل جنب ورجلان جنب وقوم
جنب كما يقال رجل رضى وامراة رضى وقوم رضى وقوله فاطهروا بمعنى التطهر الا ان التاء ادغم
في الطا لقرب مخرجيهما من طرف اللسان واصول الثنايا العليا اذا ادغمت التاء في الطا سكن اول
الكلمة من تطهروا فزيدت لها الف الوصل للابتدا ولفظ الاطهار يقتضي تطهير جميع البدن في
الاغتسال من الجنابة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تحت كل شعرة جنابة فبلوا الشعر وانقوا
البشر ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله ان المضمضة والاستنشاق واجبان في غسل الجنابة وقوله عز وجل وان
كنتم مرضى من جدري او غيره فلم تطيقوا غسل هذه الاشيا او كنتم مسافرين وقوله تعالى او جا احد منكم من الغائط
معناه او جا احد منكم من قضا الحاجة لانه لا خلاف ان المريض والمسافر اذا لم يكونا محدثين لا يلزمهما الوضوء
ولا التيمم وقد يذكر حرف او بمعنى الواو كما في قوله عز وجل وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقوله عز وجل
او لامستم النسا او جامعتم النسا فلم تقدروا على ما تطهرون به من الجنابة والحدث فاقصدوا ترابا
نظيفا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه كما روينا في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال التيمم ضربتان ضربة للوجه
وضربة لليدين الى المرافق واختلف اهل العلم في قوله منه قال ابو يوسف معناه التبعيض كانه قال امسحوا
بوجوهكم وايديكم من بعض الصعيد وهو التراب وقال ابو حنيفة ومحمد معنى من هاهنا ابتدا الغاية اي فانقلوا
اليد بوضعها على الصعيد الى الوجوه والايدي من غير ان تخللهما ما يوجب الفصل وقوله عز وجل ما يريد
الله ليجعل عليكم من حرج معناه ما يريد الله ان يجعل عليكم بتكليف العبادات ضيقا في الدين وانما يريد بذلك
تطهيركم من الذنوب والاحداث والجنابة كما روي عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ايما رجل قام الى وضوئه يريد الصلوة ثم غسل كفيه نزلت خطيئة كفيه مع اول
قطرة فاذا تمضمض واستنشق نزلت خطيئة لسانه وشفتيه مع اول قطرة فاذا غسل وجهه ويديه
الى المرفقين ورجليه الى الكعبين سلم من كل ذنب هو عليه وكان كيوم ولدته امه وان قام الى الصلوة

او على سفر معناه وان كنتم مرضى

معناه

رفعه تعالى بها درجة وان قعد قعد سالما وقوله وليتم نعمته عليكم قال الحسن رضي الله عنه بادخال
الجنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه بجواز التيمم لكم بالتراب في حال عدم الما لكي تشكروا
نعمة الله عليكم في رخصته لكم وتخفيفه في التكليف عليكم فان قال قائل واذا قريت الاية بقرائتين فالله تعالى
قال بهما او باحداهما قيل ان كان لكل قراة معنى غير معنى القراة الاخرى صارت القراتان بمنزلة الايتين وكان
المنزل كلاهما فان القراتان بمعنى واحد فالله عز وجل قال باحدهما ولكن رخص ان يقرا بالقراتين جميعا والله اعلم
قوله عز وجل واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا
الله ان الله عليم بذات الصدور معناه واحفظوا نعم الله عليكم وانما ذكر النعم بلفظ النعمة لانه ذهب به
مذهب الجنس يقال الجملة من الما ماء والجملة من قطع الارض ارض ومثله في اللغة كثير وقوله عز وجل وميثاقه الذي
واثقكم به معناه عهدكم الذي عاهدكم به قال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما اراد به الميثاق الذي اخذه
الله عز وجل على ذرية ادم عليه السلام حين اخرجهم من صلبه وقال الست بربكم قالوا بلى وقال السدي رحمه
الله اراد بالميثاق هاهنا مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في كل ما امر به او نهى عنه في
حالتي العسر واليسر والرضا والكره وهذا التاويل اقرب الى ظاهر الاية لان الله عز وجل ذكرهم الميثاق وهم
لا يحفظون الميثاق الذي واثقهم به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام كالذر ويقال اراد بالميثاق
العهد الوثيق الذي اخذه الله عز وجل على جميع عباده في اوامره ونواهيه بسمعهم وقلوبهم وامنوا به على ما
شرع الله عز وجل بقوله اذ قلتم سمعنا واطعنا وقوله عز وجل واتقوا الله معناه واخشوا عقاب الله في نقض
الميثاق ان الله عليم بذات الصدور اي بما في القلوب من الوفا والنقض وذات الصدور ما تضمنته
الصدور وهي القلوب ويقال يعني ذات الصدور عليم بمعاني الصدور وانما لم يقل بذوات الصدور ليبين
ان علمه محيط بكل واحد من المعاني على جهة التفصيل قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
لله شهدا بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا
الله ان الله خبير بما تعملون معناه والله اعلم كونوا قوامين بامر الله قائلين له مبينين عن دين الله بالحق
والعدل والقوام فعال من القيام وقوله ولا يجرمنكم شنان قوم معناه لا يحملنكم بغض الكفار على ترك
العدل فيه مكافاة لما سلف منهم ويقال معناه لا يحملنكم عداوة المشهود له على كتمان ما له عندكم
من الشهادة ولا عداوة المشهود عليه على اقامة الشهادة عليه بغير حق وقوله اعدلوا معناه اعدلوا في
جميع افعالكم واقوالكم وتصرفاتكم واحوالكم وفيما لكم وفيما عليكم فان العدل اقرب الى التقوى اي هو اقرب
الى ان تصيروا به متقين ويقال ان المراد بالتقوى هاهنا الرضا من رحمة الله عز وجل ويقال معناه هو
اقرب الى التقوى عذاب الله عز وجل وقوله تعالى واتقوا الله معناه اجتنبوا عذاب الله تعالى ان الله عليم
بما تعملون من الخير والشر والعدل والجور ثم بين الله تعالى ثواب من عمل بطاعته وعقاب من كفر به فقال
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم معناه وعد الله الذين صدقوا محمدا
صلى الله عليه وسلم والقران وعملوا الطاعات فيما بينهم وبين ربهم هذا تمام الكلام يقال وعدت
الرجل يراد بذلك وعدته خيرا واوعدت الرجل يراد بذلك اوعدته شرا فكان قوله وعد الله دليلا على
عدة الخير ثم فسر ذلك الخير فقال لهم مغفرة اي تكفير وتغطية لذنوبهم في الدنيا وثواب حسن في الاخرة
ويجوز ان يكون قوله عز وجل لهم مغفرة في محل النصب وان كان مرفوعا في اللفظ فيكون تقدير الاية وعد
الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم مغفرة واجرا عظيما ويجوز ان يكون ذلك في موضع الرفع على
تقدير لهم مغفرة فيما وعدهم واجر عظيم قوله عز وجل والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم معناه الذين جحدوا بتكذيب انه من اياتنا اولئك اصحاب النار الموقدة والجحيم من

كانت ه

اسماء جهنم فانما سماهم اصحاب الجحيم لانها تصحبهم ويصحبونها ولفظ المصاحبة يقتضي اللزوم كما
يقال اصحاب العلم واصحاب السلطان وبالله التوفيق قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
روي عن عبد الله بن عباس انه قال وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث تسعة وعشرين
رجلا سرية الى بني عامر بن صعصعة وامر عليهم المنذر بن عمرو الانصاري وكان طريقهم على بني
سليم فنزلوا عليهم فبعث بنو وكانوا يومئذ صلحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فامر السرية ان ينزلوا على
بني سليم فنزلوا عليهم فبعث بنو سليم الى بني عامر واخبروهم بامر القوم وقتلهم فارتحل المسلمون من عند بني
سليم الى عند بني عامر فاضل اربعة منهم بعيرا لهم فاستاذنوا اميرهم ان يطلبوا بعيرهم ثم يلحقون بهم فاذن
لهم فتخلفوا وسار المنذر ومن بقي معه حتى اتاهم وقد جمعوا لهم واستعدوا بالسلاح فالتقوا ببئر
معونة فاقتتلوا قتالا شديدا ثم قتل المنذر ومن معه جميعا فاصبح الاربعة وطلبوا بعيرهم فاصابوه
واتبعوا اصحابهم فلقيتهم امة من بني عامر فقالت من القوم امن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
انتم قالوا نعم رجا ان تسلم قالت فان اخوانكم قد قتلوا جميعا على الما فقال احد الاربعة ما ترون
قالوا نرى ان نرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بالامر قال لكني والله لا تعذرني من عدا
اصحابي رجعوا فاقروا النبي صلى الله عليه وسلم مني السلام قالوا فامهلنا حتى نتغيب عنك فكف حتى
اذا تغيبوا صعد الجبل واشرف على اصحابه فاذا هم مقتولون واذا المشركون قعود يتغدون فاعدى
بسيفه فقاتل حتى قتل ومضى الثلاثة المدينة حين امسوا فلقوا رجلين من بني سليم خارجين من
المدينة فقالوا لهما من اين انتما فقالا من بني عامر قالوا هذان من الذين قتلوا اخواننا فاقبلوا عليهما
فقتلوهما واخذوا اسلابهما ثم دخلوا المدينة فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه
السلام بئسما صنعتم قتلتم رجلين من اهل الميثاق وجاء اولياء القتيلين يطلبون القود فقال صلى
الله عليه وسلم ليس لكم ذلك لان صاحبيكم اعتزيا الى عدونا من بني عامر ولم يعتزيا الى بني سليم
ولكنا نؤدي اليكم الدية فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعلي رضي الله
الله عنهم اجمعين حتى اتى بني قريظة فقال لهم انكم جيراننا وحلفاؤنا وقد تعلمون ما اصابنا من دم
الرجلين من بني سليم وهما من اهل ميثاق ونحن نريد ان نؤدي ديتهما فاعينونا بها ايدا نجزيكم
بها بعد اليوم فان الايام دول فقالوا مرحبا واهلا يا ابا القسم ولكن خوالنا بنو النظير لا نقضي امرا دونهم
نعلمهم ذلك ثم ناتيك يوم كذا وقد جمعنا لك الذي تريد فلما كان رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فلما كان يوم الميعاد اتاهم ومعه ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فاجلسوهم في صفة ثم خرجوا
يجمعون السلاح وهموا بقتله وقتل اصحابه وكانوا ينتظرون كعب بن الاشرف ان يقدم عليهم من المدينة
فيهجموا على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فنزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بما يريدون من الكيد فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤذن احدا من اصحابه وخرج فقام على
الباب فلما ابطا على اصحابه خرج علي كرم الله وجهه في طلبه فاذا هو قائم بالباب فقال يا رسول الله لقد
ابطات علينا حتى تخوفنا ان يكون قد اغتالك احد قال عليه السلام قد ارادوا ذلك اللهم العنهم
وقال لعلي قم مكانك فاذا خرج اليك بعض اصحابك فاخبره بالامر واقمه مكانك حتى يخرج اليه اصحابه
فقام علي على الباب فلما ابطا على اصحابه خرج ابو بكر رضي الله عنه فاذا هو بعلي كرم الله وجهه على الباب
فقال له ابطات علينا فاخبره علي كرم الله وجهه بما اخبره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقامه مقامه
حتى خرج اليه عمر رضي الله عنه ثم لحقوا جميعا برسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت اليهود الى رسول الله

عليه السلام

صلى الله عليه وسلم

١٨٢

صلى الله عليه وسلم فقالوا ان قدورنا تغلي . وقد جئت بغير علمنا فاخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما هموا به وعزموا عليه فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها يا ايها الذين صدقوا بالله وبكتابه ورسله
احفظوا منة الله عليكم اذ قصد قوم وهو بنو قريظة ان يمدوا اليكم ايديهم بالقتل فكف ايديهم عنكم بالمنع
من قتلكم واخشوا الله وبالله فليثق المؤمنون في جميع امورهم واحوالهم ومعنى التوكل ان يتمسك المرء
بعبادة الله ويصبر عليها ولا يطلب شيئا الا من وجهه ولا يخرج اذا لم يظفر بما طلبه بل يوطن نفسه على
ان ذلك اصلح له في التدبير ولهذا قيل ان التوكل طرح البدن في العبودية مع تعلق القلب بالربوبية قوله
عز وجل ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم
الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم
ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل
روي عن عبد الله بن عباس انه قال في معنى الاية اخذ الله العهد على بني اسرائيل ان يؤمنوا به وبجميع كتبه
ورسله ولا يشركوا به شيئا وبعث منهم اثني عشر ملكا من كل سبط منهم رجلا لياخذ على قومه ما يامرهم
الله به من طاعته وروي عنه رضي الله عنه في رواية اخرى ان معنى النقيب الرسول والامين وهم الذين ارسلهم
موسى عليه السلام الى قرية الجبارين عيونا فوجدوهم يدخل في كم الواحد اربعة منهم ولا يحمل عنقود عنبهم
الا عشرة منهم او اكثر ويدخل في شق رمانة اذا نزع حبه خمسة انفس واربعة فرجع النقباء كلهم
ونهى كل نقيب سبطه عن القتال الا يوشع بن نون وكالوب بن يوفنا امرا قومهما بالقتال وعن الحسن
رضي الله عنه ان معنى النقيب الضمين وانما اراد بهذا ان يضمن مراعاة احوالهم ويتم امورهم وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جعل على الانصار ليلة العقبة اثني عشر نقيبا وفائدة النقباء
القوم اذا علموا ان عليهم نقيبا كانوا اقرب الى الاستقامة وقد كان في القوم من يحتشم مخاطبة النبي
صلى الله عليه وسلم فيما ينوبه ويعرض له من حوائجه فكان النقيب هو الذي يخاطب النبي صلى الله عليه
وسلم في امره ولا يجوز ان يكون معنى النقيب ان يضمن على القوم الوفاء بالميثاق لان مثل هذا الضمان
لا يصح ولا يقدر النقيب على القيام بذلك والنقيب والعريف نظيران ويقال النقيب فوق العريف و
سمي نقيبا لانه يعرف دخله امر القوم ومخرجهم يقال نقبت الحائط اذا بلغت في النقب الى اخره ورجل
نقاب اذا كان ذكيا فطنا ونصيب فطنة ومنه قولهم يضع الهناء مواضع النقب واما قوله عز
وجل اني معكم قال ابن عباس رضي الله عنهما هو خطاب للنقباء ومعناه اني حفيظ عليكم في النصر
لكم والدفع عنكم ويقال هو خطاب لجميع بني اسرائيل ضمن الله عز وجل لهم النصر على عدوهم بالشرائط التي
شرطها عليهم بقوله عز وجل لئن اقمتم الصلوة اي ادمتم الصلوة التي افترضتها عليكم واعطيتم زكوة اموالكم
وصدقتم برسلي وعظمتموهم ونصرتموهم بالسيف على الاعداء وتصدقتم من اموالكم مالم يوجبه الله عليكم
صدقة حسنة وهي ان يكون من حلال المال وخياره برغبة واخلاص ولا يشوبها رياء ولا سمعة
ولا يتكدرها من ولا اذى لامحون عنكم ذنوبكم ولادخلنكم بساتين تجري من تحت شجرها
ومساكنها الانهار الاربعة فمن كفر بعد العهد والميثاق منكم فقد اخطا قصد الطريق
وهو طريق الجنة ومن اضله وقع في طريق النار اذ لا طريق سواهما ولا سبيل الا احدهما واصل التعزير
في اللغة المنع يقال عزرت فلانا اذا ادبته وفعلت به ما يردعه عن القبيح والنصر يمنع الاعداء
والتعظيم يمنع الذل والهوان فيسمى كل واحد من الامرين تعزيرا واما ذكر الصدقة بلفظ القرض
فعلى وجه التلطف في الحث على الصدقة وذلك ان القرض مضمون بالمثل لا بد للمستقرض من رد المثل
حال المطالبة المقرض والله عز وجل يجازي المتصدق على صدقته مجازاة المستقرض على قرضه

المقرض

وشبه بعضهم استقراض الله عز وجل بالاب يعطي بعض ولده عطية ثم يستقرض او يستوهب
بعضها فاذا اجابه الى ذلك شكره عليه ومدحه واجابه بسببه ثم يستقرض منه قليلا من كثير
بهذا النوع من اللطف لينفعه به في العاجل والاجل فما في العاجل فيبارك في ماله وينميه كما قال
جل ذكره يمحق الله الربوا ويربي الصدقات ويدفع عنه وعن اهله وماله بسبب تلك الصدقة انواعا
من البلايا واما في الاجل فيعطيه ثوابا اضعافا مضاعفة من غير ان يكون لله جل ذكره في اعطاء
المتصدق صدقة منفعة ولا في منعه اياها مضرة فسبحانه ما الطفه واكرمه وهو اكرم
الاكرمين وارحم الراحمين قوله عز وجل **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية
يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا
منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين.** معنى الاية والله اعلم فبنقض اليهود ميثاقهم الذي
اخذ عليهم في التورية باعدناهم من الرحمة ويقال عذبناهم بالجزية ويقال مسخناهم قردة وخنازير
ودخول ما في الاية صلة زايدة معناها التوكيد وقوله عز وجل وجعلنا قلوبهم قاسية معناه صيرنا
قلوبهم يابسة خالية عن حلاوة الايمان مجازاة لهم على معصيتهم ويقال للرجل الرحيم لين القلب
ولغير الرحيم قاسي القلب والقاسي والقاسح شديد الصلابة وقال بعضهم معنى جعلنا قلوبهم
قاسية حكمنا بانها قاسية لنقضهم الميثاق كما يقال جعل القاضي هذا المال لفلان اي حكم
بذلك له لا انه جعل ما لم يكن له اذ ليس للقاضي ذلك واما قوله عز وجل يحرفون الكلم عن مواضعه
فتاويله على وجهين احدهما يغيرون تاويله وهذا مما يجوز ان يجتمع الخلق الكثير عليه كما يفعله المشبهة
واهل البدع في تاويل الايات المتشابهة من القران والثاني يغيرون الفاظه ولا يقرون على ما هو
عليه في التورية كما اخبر الله عز وجل عنهم من لي السنتهم بالكتاب وهذا مما لا يجوز اجتماع
الخلق الكثير عليه كما لا يجوز تحريف شي من القران ويجوز من جماعة قليلة ثم يقلدهم الخلق الكثير اذا لم
يبحثوا عن ذلك وقوله عز وجل ونسوا حظا مما ذكروا به معناه وتركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم
من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ومن رجم المحصن الزاني وغير ذلك واصل النسيان الترك
ويقول الرجل نسيت الشي اذا تركت حفظه وذكره ويقال لما تركوا نصيبا من الكتاب تسوء على
مر الايام فسمى ذلك نسيانا كانهم فعلوا فعل الناسي وقوله عز وجل ولا تزال تطلع على خائنة
معناه لا تزال يا محمد صلى الله عليه وسلم تطلع على خيانة ومعصية منهم وفاعلة من اسماء المصادر
مثل عافية وكاذبة وطاغية وخاطية ويقال قمت قائما اي قياما وقد يكون الخائنة من اسماء
الجماعة كما يقال رافض ورافضة فيكون المعنى ولا تزال تطلع على فرقة خائنة منهم مثل كعب و
اصحابه من بني قريظة حين نقضوا العهد وركبوا الى ابي سفين بمكة نحو القوم وعاقدوه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ما سبق ذكره وقوله عز وجل الا قليلا معناه الا قليلا لم ينقضوا العهد
وهم عبد الله بن سلام واصحابه وقوله عز وجل فاعف عنهم واصفح اي اعرض عنهم ولا تعاقبهم ان الله يحب
العافين المتجاوزين ثم نسخ ذلك بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وسائر ايات
القتال قوله عز وجل **ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون.** وذلك ان الله عز وجل
لما ذكر ميثاق المومنين وميثاق اليهود عقبه بذكر ميثاق النصارى في توحيد الله عز وجل والتبري من
الشرك وبين ان النصارى لم يكونوا بعد اخذ الميثاق احسن معاملة من اليهود فقال عز من قائل
ومن الذين قالوا قال الحسن رضي الله عنه وانما لم يقل ومن النصارى ليدل على انهم هم الذين ابتدعوا

النصرانية

النصرانية وتسموا بها واما معنى اخذ الميثاق فهو ما اخذ الله عز وجل عليهم في الانجيل من العهد المؤكد
باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته كما قال جل ذكره في اية اخرى مصدقا لما بين يدي من التورية
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فنسوا حظا مما ذكروا معناه تركوا بعضا مما ذكروا به فاغرينا اي
هيجنا بين فرق النصارى النسطورية واليعقوبية والملكانية القينا بينهم العداوة في الدين وذلك
ان الله عز وجل رفع الالفة عن ذات بينهم واخطر ببال كل طايفة منهم ما يوجب النفرة والوحشة
ويبعث الضغينة فهم يفترقون ويتقاتلون الى يوم القيمة واصل الاغراء الالصاق ماخوذ من الغراء وهو
الذي يلصق به يقال غري به يغرى غرا وغراء بالمد والقصر اذا لصق والعداوة تباعد القلوب
والنيات والبغضاء البغض ثم اوعدهم الله بقوله وسوف ينبئهم الله اي يخبرهم في الاخرة بما كانوا
يصنعون من الخيانة والمخالفة وكتمان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ثم خاطب جل ذكره الفريقين
من اليهود والنصارى فقال عز وجل **يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** قيل ان اضافة اليهود و
النصارى الى الكتاب تعيير لهم كما يقال يا عاقل لم تفعل كذا وكذا فتذكر العقل على معنى التعيير اي انك
لا تعمل عمل العقلا وقوله عز وجل قد جاءكم من الله نور يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا
مما كنتم تكتمون من نعت الاسلام والنبوة واية الرجم وتحريم الربوا وغير ذلك ويعفوا عن كثير يتجاوز
عن كثير مما كتمتم فلا يخبركم به ولا يعاقبكم عليه يعني فيما لم يؤمر ببيانه ويقال معناه ويعفوا عن كثير
مما خفيتم اذا تبتم وامنتم وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور قيل ان المراد بالنور الرسول صلى الله عليه وسلم
سماه الله نورا لان النور هو الذي يكشف الظلمات ويبين الاشيا ويري الابصار حقيقة كل شي
والمراد بالكتاب المبين القران يبين الحلال والحرام والامر والنهي قوله عز وجل **يهدي به الله من
اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم**
معناه يرشد الله عز وجل بالقران من قبل الحق ورغب فيه الاسلام وقوله سبل السلام معناه طرق
السلامة وهي طرق دين الاسلام والسلام والسلامة كالرضاع والرضاعة ويقال السلام هو الله عز وجل
وسبل السلام طريق الله عز وجل التي دعا اليها وقوله عز وجل ويخرجهم من الظلمات الى النور معناه يخرجهم
من ظلمات الكفر بالتعريف لهم الى نور الايمان بالله عز وجل ومشيته وسمي الايمان نورا لان الانسان
اذا امن ابصر طريق نجاته فطلبه وطريق هلاكه فحذره وقوله عز وجل ويهديهم الى صراط مستقيم
معناه ويرشدهم الى دين الحق الذي باخذ صلحه حتى يوديه الى الجنة قوله عز وجل **لقد كفر الذين قالوا ان
الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في
الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شي قدير**
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في نصارى اهل نجران وهم المار يعقوبية قالوا ان الله
هو المسيح بن مريم قال الله عز وجل قل فمن يملك من الله شيا اي قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم من يقدر ان يدفع
شيا من عذاب الله ان اراد الله تعالى ان يهلك عيسى بن مريم وامه ومن في الارض جميعا وهذا احتجاج
من الله عز وجل على النصارى بانهما لا يملكون دفعه لو كان المسيح وامه بشرين ياكلان الطعام ويحتاجان الى ما
يحتاج اليه الناس وقد علمنا ضرورة انهما كانا يقدران لم يكونا وشاهد كثيرهم ميلاد عيسى وحاله من
الطفولة والشباب والكهولة وقد اهلك الله بعد ما شاهدوا اولئك القوم خلقا كثيرا فلو اراد عز وجل ان
يهلك عيسى وامه المسيح لما عجزه عن ذلك شي ولا كان هناك دافع وكيف يكون الها من لا يقدر عن دفع الهلاك
عن نفسه ولا عن غيره وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما معناه ومن كان مالك السموات

ولا يجوز ان يوصف بالولادة وقيل من كان له ملك السموات والارض يقدر على خلق ولد بلا والد كما قال جل
ذكره يخلق ما يشاء اي كما يشاء باب وبغير اب ولو كان خلق المسيح من غير اب موجبا لكونه الها او ابنه لكان
خلق ادم من غير اب ولا ام اولى بذلك لانه اعجب فاعجب وقوله عز وجل والله على كل شي قدير معناه ان الله على
كل شي من خلق عيسى وغيره قادر ويقال ان هذا على وجه التهديد اي هو القادر على ان يعاقبكم على هذا
القول ولا تصلح الربوبية الا للقادر على كل شي ولا يحق العبادة لاحد دونه فان قيل كيف يكون معنى هذه
الاية والنصارى ينكرون هذه المقالة قيل قد ذكرنا ان طايفة منهم وهم المار يعقوبية يختصون بهذه
المقالة ويقولون كان الله الها قديما فصار انسانا محدثا يعني عيسى عليه السلم وجواب اخر ان الذين يقولون
منهم المسيح بن الله يجعلون الله من جنس المسيح او قالوا ان الله عز وجل اتخذ المسيح ابنا كما اتخذ ابرهيم
خليلا فقد جعلوه الها لزعمهم انه يخلق الاجسام والحيوة وغيرها مما يستحق به العبادة والذين
يقولون ان الله ثالث ثلثة يقولون اصل واحد واقانيم ثلثة اب وابن وروح قدس وليس كل واحد من
هذه الاقانيم غير الجوهر بل هو هو وهذا يكون قولا بان المسيح هو الله اذا كان المسيح احد الاقانيم وان كان
هولاء ينكرون اطلاق اللفظ بان المسيح هو الله فحكى الله عز وجل عنهم معنى مذهبهم لان المخبر
عن مذهب غيره انما يخبر عن معنى مذهبه وعلى هذا قالت العلما ان النصارى يقولون بالتثليث لا
بالتوحيد قوله عز وجل وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباوه قل فلم يعذبكم بذنوبكم
بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما
بينهما واليه المصير روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جماعة من احبار اليهود دخلوا على النبي
صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى الايمان واعذرهم وانذرهم فقالوا نحن ابنا الله واحباوه فلا يعذبنا
الله عز وجل وكذلك قالت نصارى نجران حين حذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاب الله عز
وجل واراد بقولهم نحن ابناء الله واحباوه نحن من الله بمنزلة الابنا من الابا وقربنا من الله تعالى كقرب الولد
لوالده ويحب الله لولده ويغضب الله عز وجل علينا كما يغضب الوالد على ولده والوالد اذا سخط على
ولده في وقت يرضى عنه في وقت اخر ويقال ارادوا بهذا القول انهم ابنا انبيا الله تعالى واحباوه
ويقال معناه منا ابنا الله لان اليهود يقولون عزير ابن الله والنصارى يقولون المسيح بن الله وهذا
كما يقال عند بل شعرا يراد به ان جنسهم شعرا لان اكثرهم لا يكونون شعرا ويقال انما ادعوا النبوة لان
اليهود يزعمون ان الله عز وجل اوحى الى يعقوب عليه السلم ان ولدك بكوري ولدي والنصارى يحكون
قول المسيح اني ذاهب الى ابي وابيكم قال الله عز وجل قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي لم عذب الذين من قبلكم
من اليهود والنصارى الذين كانوا امثالكم في الدين فمسخهم الله عز وجل في الدنيا ويقال معناه ان القوم
كانوا يقرون بانهم يعذبون اربعين يوما عدد الايام التي عبدوا فيها العجل اربعين يوما بزعمهم وهل
رايتم والدا يحرق ولده بالنار او يحرق حبيبه وقوله عز وجل بل انتم بشر ممن خلق معناه لستم بابنا
الله ولا باحبايه ولكنكم خلق كساير الخلق لا فضل لكم على غيركم يغفر لمن يشا ويعذب من يشا اي يغفر
لمن هداه الله عز وجل للاسلام ويعذب من مات على الكفر والمشية المذكورة في هذه الاية
مشية قدرة على معنى ان الله عز وجل قادر على ذلك كله كما في قوله تعالى ويعذب المنافقين ان
شا او يتوب عليهم وقد ثبت بساير الايات ان من مات على كفره او نفاقه فهو خارج عن المشية
وكذلك من مات مطيعا لا معصية له او تاب توبة بشرايطها فهم خارجون عن المشية وانما اهل
المشية اهل التوحيد الذين يموتون وعليهم معصية لم يتوبوا عنها فهم موقوفون بين فضل الله عز
وجل وعدله كما تقدم ذكره في قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقوله عز

وجل

وجل ولله ملك السموات والارض معناه له القدرة على اهل السموات واهل الارض وله ما بينهما
من الخلق والعجايب وهذه اشارة الى نفي البنوة اذ الابن لا يكون مملوكا لابيه وقوله عز وجل واليه
المصير معناه اليه مرجع من امن ومرجع من لم يومن قوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا
يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير فقد جاكم بشير ونذير والله على كل شي قدير
معناه يا اهل التورية والانجيل قد جاكم محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم الحلال والحرام على
انقطاع من الرسل ودروس من العلم قال الكلبي رضي الله عنه كان بين ميلاد عيسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم خمسماية وتسعة وتسعون سنة وبعد عيسى عليه السلام اربعة من الرسل
في مايه واربعة وثلثين سنة كما قال الله عز وجل اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث
قال ولا ادري الرسول الرابع من هو قال وكان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستماية سنة وقوله
تعالى ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير فقد جاكم بشير ونذير معناه كيلا تقولوا يوم القيمة
ما جانا من بشير يبشرنا بالجنة ولا مخوف يخوفنا بالنار فقد جاكم بشير يبشركم بالجنة ان اطعتموه
ونذير ينذركم بالنار ان عصيتموه والله على كل شي من ارسال الرسل والثواب والعقاب قدير
اي قادر ويقال معنى ان تقولوا كراهة ان تقولوا والاختلاف في هذا مثل الاختلاف في قوله
عز وجل يبين الله لكم ان تضلوا وقد سبق ذكره وبالله التوفيق قوله عز وجل واذ قال موسى
لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يوت
احدا من العالمين معناه واذكروا يا اهل الكتاب ما قال موسى لبني اسرايل احفظوا منة الله عز
وجل عليكم اذ اكرم بعضكم بالنبوة وهم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام وانطلقوا معه
الى الجبل واتما من الله عز وجل بذلك عليهم لان كثرة الاشراف والافاضل في القوم شرف و
فضل لهم ولا شرف اعظم من النبوة وقوله جعلكم ملوكا قال الحسن رضي الله عنه احرارا يملكون
امر انفسهم ولا يغلبهم عليه غالب بعد ما كان يغلبكم القبط في مملكة فرعون وقال [illegible]
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اراد بقوله عز وجل ملوكا ذوي خدم واهل ومنازل لا يدخل عليكم
فيها الا باذن وقيل ان الملك من يستغني عن تكلف الاعمال وتحمل المشاق للمعاش ويقال اكثر
الملوك فيهم فكان في كثرتهم زيادة شرف لهم وانعام عليهم وقوله عز وجل واتاكم ما لم يوت
احدا من العالمين معناه اعطاكم ما لم يعط احدا من عالمي زمانكم ويقال اراد بذلك جميع العالمين
فانه عز وجل انزل عليهم المن والسلوى وظلل عليهم الغمام وانزل عليهم في التيه ثيابا وخفافا لا
تدنس ولا تخرق وتشب مع الصغير ولا تتغير على الكبير ولم يوت جل ذكره من هذه النعم احدا قبلهم ولا
يدخل المستقبل في اللفظ لان اللفظ خبر عما مضى ولا يدل ذلك على انه جل ذكره لم يوت امة محمد
صلى الله عليه وسلم من الفضيلة مثل ما اتاهم او اكثر والغرض من هذه الاية والله اعلم ان الله سبحانه
لما اراد ان يكلفهم دخول الارض المقدسة وكان يشق عليهم ذلك قدم جل ذكره تفضيل نعمه
عليهم ليكون ذلك باعثا لهم على امتثال امر الله عز وجل قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين روي عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما ان الاثني عشر نقيبا الذين ارسلهم موسى عليه السلم الى قرية الجبارين جواسيس
لما انتهوا الى مدينتهم اخذوا فاتى بهما الملك ويقال اخذهم عوج بن عنق واحتملهم في ثوبه
حتى القاهم بين يدي الملك فقيل للملك ان هولاء يزعمون انهم يفتحون مدينتك ويظهرون
عليك قال فطوفوا بهم في المدينة فاروهم اياها فطيف بهم وكانوا يلعبون بهم حتى ان كان

الرجل منهم لياتي القدح والسكرجة والقصعة فيدخل واحد منهم تحتها ثم ردوهم الى
الملك فاراد قتلهم فقالت له امراته ايش تصنع بقتل هولاء وبكفيهم ما راوا من القوم ردوهم
الى اصحابهم يحدثونهم بما راوا فارسلهم الملك وزودوا بعض عنقود العنب وبعض الرمانة
فلما خرجوا قال بعضهم لبعض قد علمتم خلاف بني اسرايل لموسى عليه السلم وقد وعد الله موسى
عليه السلم ان يفتح لهم هذه الارض ولن يخلف الله عز وجل وعده فهلموا ناخذ بعضنا على بعض
المواثيق ان لا يخبر احد بشي مما راينا غير موسى عليه السلم فان شا اخبر به بني اسرايل وان شا كف
عن ذلك فلما رجعوا قالت العشرة منهم هذا عسكر القوم والرجل الواحد منهم يدخل الجماعة منا
في كمه ولا يدان لنا بهم وقال يوشع وكالوب نحن اعلم من هولاء بالقوم ليس للقوم حديث غير
حديثكم وقد ملئوا رعبا منكم وفي بعض الروايات ان الاثني عشر نقيبا لم يخبروا ذلك اليوم
بحديثهم الا موسى عليه السلام فلما دخلوا بنسايهم جعلت المراة تسال زوجها عن ما راى فياخذ
عليها المواثيق الا تخبر احدا ثم تخبرها وجعلت المراة بابنها وابوها واخوتها فتاخذ عليهم المواثيق
ثم تخبرهم فما ارتفع النهار حتى فشا الخبر في العسكر ولم يخبر يوشع ولا كالوب احدا بشي من امرهم
فجمع موسى عليه السلم بني اسرايل وخطبهم ثم قال يا بني اسرايل اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا الى
قوله فتنقلبوا خاسرين واما قوله عز وجل ادخلوا الارض المقدسة قال عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما هي ارض بيت المقدس ويقال هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وسميت المقدسة لانها
طهرت من الشرك وجعلت مسكنا وقرارا للانبيا صلوات الله عليهم والمومنين وقوله عز وجل
التي كتب الله لكم اي امركم بدخولها ويقال وهب الله عز وجل لابيكم ابرهيم وجعلها ميراثا لكم وذلك
ان ابرهيم عليه السلام حين ارتقى على الجبل قيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وهو ميراث لولدك
من بعدك هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقوله عز وجل ولا ترتدوا على ادباركم اي لا ترجعوا
وراكم وتجبنوا عن عدوكم منهزمين منهم فتنصرفوا مغبونين بفوت الظفر في الدنيا والعقوبة في
الاخرة قوله عز وجل قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا
منها فانا داخلون ○ معناه قالت بنو اسرايل يا موسى ان فيها قوما جبارين عظاما قتالين و
الجبار من الادميين العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد ماخوذ من الاجبار على الامر وهو الاكراه عليه
وجبر العظم اكراهه على الصلاح والجبار هذا الاسم لان فيه معنى الكره والجبار من النخل ما فات
اليد طولا لانه كالممتنع مثل الجبار من الناس والجبار صفة مدح الله عز وجل وهو ذم في صفة
غيره لان غيره يتعظم بما ليس له والعظمة لله وحده وقوله عز وجل انا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها معناه انهم قالوا انا لن ندخل هذه الارض حتى يخرج الجبارون منها اولا من الجانب الاخر
فان يخرجوا منها فانا داخلون حينئذ قوله عز وجل قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما
ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين
معناه والله اعلم قال يوشع وكالوب من الاثني عشر الذين ارسلهم موسى عليه السلام الى قرية الجبارين
وكانوا يخافون الجبارين انعم الله عليهما اي هداهما الله تعالى للقول او امر الله عز وجل ومعرفة صدق
وعده ادخلوا عليهم الباب قالا ادخلوا عليهم باب قريتهم اريحا فاذا دخلتم ذلك الباب فانكم
غالبون عليهم انهم اذا راوا اكثركم انكسرت قلوبهم وانقطعت ظهورهم فتغلبونهم وعلى الله فتوكلوا
اي بالله فثقوا وفوضوا اموركم اليه ان كنتم مصدقين بوعد الله في الاية ثنا على الرجلين اذ لم يمنعهما الخوف
من العدو عن قول الحق وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يمنعن احدكم مخافة

الناس

الناس ان يقول الحق اذا راه او علمه فانه لا يبعد من رزق ولا يدني من اجل وذهب بعض المفسرين رحمهم
الله الى ان معنى قوله عز وجل من الذين يخافون اي كانا من الذين يخافون عذاب الله عز وجل ولذلك قال الله عز
وجل انعم الله عليهما ويقال كان الرجلان من جملة الجبارين الذين كانوا بنو اسرايل يخافونهم ولكنهما كانا على دين
موسى عليه السلام وقرا بعضهم يخافون بضم اليا على فعل ما لم يسم فاعله قوله عز وجل قالوا يا موسى انا لن
ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون وذلك ان موسى عليه
السلام لما امرهم من بعد قول الرجلين ان يدخلوا قرية الجبارين قالت له بنو اسرايل اتكذب العشرة
وتصدق الاثنين انا لن ندخلها ابدا ما دام الجبارون فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون منتظرون وقولهم اذهب انت وربك يحتمل معنيين احدهما انهم قالوا على وجه المجاز
يعني وربك معين لك ويقال على وجه المجاز قابله الله اي جعل الله عداوته لك كعداوة المقاتل
المستعلي عليه بالاقتدار وعظم السلطان وكان هذا القول فسقا منهم بامتناعهم من المضي على
امر الله عز وجل والثاني يحتمل انهم عنوا بالذهاب ذهاب النقلة وهذا اشبه وكفر من قائله وهو قريب
الى معنى كلامهم لان كلام الله عز وجل خرج مخرج الانكار عليهم والتعجب من جهلهم وبيان انهم قوم
[illegible] قابلين من الانبيا عليهم السلام قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويقال ان معنى قولهم وربك اي
وسيدك هرون لان هرون كان اكبر سنا منه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما اراد الخروج الى
بعض الغزوات استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في ذلك فقالا انا لا نقول لك مثل ما قال القوم موسى
لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب فقاتل عدوك فانا معك مقاتلون
وفي بعض الروايات فلا اقعدنا انت فانا بامرك مقاتلون قوله عز وجل قال رب اني لا املك الا نفسي واخي
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ان موسى عليه السلام
غضب من مقالة قومه وكان رجلا حديدا فقال رب اني لا املك الا نفسي ولا املك الا اخي يعني لانه لا
يطيعني من هولاء غير هرون فافرق اي فافصل واقض بيننا وبين القوم الفاسقين والفرق والفصل والحكم
والقضا نظاير في اللغة وانما سمى نفسه مالكا لاخيه لطاعة اخيه له لا لان اخاه كان مملوكا
له وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما احد امن علي بنفسه وذات يده من ابي بكر فبكى
ابو بكر رضي الله وقال انا ومالي الا لك يا رسول الله يعني ان امرك جاير علي وفي مالي ويقال ان قول موسى
عليه السلام فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين كان سوالا منه الفرق في الحقيقة دون القضا وكان دعا
منصرفا الى الاخرة اي ادخلنا الجنة اذا ادخلتهم النار ولو عنى بذلك في الدنيا اذ لو عنى ذلك لاجاب الله
دعاه واهلكهم جميعا لان دعا الانبيا لا ترد من قبل انهم يدعون بامر الله عز وجل ويقال كان هذا راجعا
الى الدنيا وقد اجاب الله دعاه لانه عاقب قومه في التيه ولم يكن موسى وهرون عليهما السلام محبوسين
في التيه لان الانبيا صلوات الله عليهم لا يعذبون قال الحسن رضي الله عنه لا يجوز في موسى عليه السلام
ان يكون معهم فيها لا حيا ولا ميتا ولا يجوز اذا عذب الله عز وجل قوم نبي الا ان يخرج ذلك النبي ومن امن
معه ويقال ان هذا الدعا كان من موسى عند الغضب الا انه عني به الحقيقة الا ترى انه ندم على دعايه
وجزع من تحريم قرية الجبارين عليهم جزعا شديدا حتى قيل له لا تاس على القوم الفاسقين قوله عز
وجل قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين معناه قال
الله عز وجل فان الارض المقدسة محرمة عليهم اي هم ممنوعون من دخولها اربعين سنة واصل التحريم
المنع قال الله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل واراد به المنع ومنه قول الشاعر يصف فرسا
جاءت لتصرعني فقلت لها اقصري ○ اني امرو صرعي عليك حرام ○ اي اني فارس لا يمكنك صرعي

وقال بعضهم اراد بقوله فانها محرمة عليهم تحريم التعبد والتكليف كما في قوله عز وجل حرمت
عليكم الميتة والقول الاول اقرب الى ظاهر الاية لانه عز وجل وصفهم بقوله يتيهون في الارض ومعنى
يتيهون يتحيرون قال عبد الله بن عباس تحيروا في ستة فراسخ كانوا يسيرون اول النهار فيمسون في
مكانهم ويسيرون من اول الليل فتدور بهم الارض فيصبحون في مكانهم وقال الحسن عمي عليهم
السبيل واخفي عليهم الاعلام التي يهتدون بها الى الطريق فلم يستطيعوا الخروج منها وذهب بعضهم
الى ان قوله اربعين سنة منصوب بيتيهون قالوا وكانت الارض المقدسة حراما على اولئك القوم
الذين عصوا الله ابدا ولم يبق منهم احد بعد اربعين سنة انما بقي يوشع بن نون ونشا الصغار ومات
موسى واخوه هرون عليهما السلام حتى انقضى التيه على ما روي انه هرون كان يغدو الى موسى عليه
السلام ويروح اربعين سنة حتى اذا كان اليوم الذي قبض الله فيه هرون غدا موسى الى هرون عليهما
السلام فقالت بنو اسرائيل ذهب سلطان موسى والحمد لله على ذلك وانطلق موسى عليه السلام وهرون
والعزير بن هرون الى الجبل فكانوا يخرجون من التيه فلما انطلقوا الى الجبل راوا هناك سريرا موضوعا
فقال هرون ما احسن النوم على هذا السرير فقال موسى عليه السلام نم عليه فنام هرون فقبض وهبط
موسى عليه السلام والعزير الى بني اسرائيل وليس معهما هرون عليه السلام فقالت لهما بنو اسرائيل قتلتما
هرون وقالوا لموسى عليه السلام حين ذهب سلطانك كان يختلف اليك اربعين سنة يغدوا
ويروح فلما غدوت اليه يوما واحدا حسدته وقتلته لنقتلنك والعزير او لتاتينا به ودعا
موسى عليه السلام وقال يا رب ان بني اسرائيل اتهموني في براءتي فارهم اياه فنزلت به الملائكة على سريره حتى
راوه ميتا ثم رفع ومات موسى عليه السلام بعد ذلك واستخلف يوشع بن نون فسار بالناس حتى
انتهوا الى مدينة الجبارين وحاصروهم فلما كان يوم الجمعة وكادت الشمس تغرب توضا يوشع بن نون و
صلى ودعا ربه وساله ان ينجز له ما وعد وذكر ان الشمس تغرب وليلة السبت لا يقاتل فيها فرد الله عز وجل
الشمس حتى كانت من السما مقدار صلاة الظهر فجمع يوشع عليه السلام بني اسرائيل وجعل في كل سبط منهم
شبورا وامرهم اذا فرغ من دعائه وصاح شبوره ان يصيحوا بشبابيرهم ويقولوا باجمعهم امين فقالوا
يدعون ويؤمنون حتى ثارت المدينة حجرا حجرا فساروا الى عدائهم فقتلوهم حتى ان الثمانين رجلا من اصحاب
يوشع كانوا يقعدون على الرجل ويحزون راسه فما يطيقونه من عظمه وكان موسى عليه السلام قتل عوج
بن عنق قبل ذلك وكان طوله ثمانمائة ذراع وكان طول موسى عليه السلام عشرة اذرع وعصاه عشرة اذرع
ووثبته عشرة فوثب عليه فاصاب بعصاه عقبه فخر ميتا وكان طول كل واحد من الجبارين ثمانين
ذراعا وما روي عن مقاتل ان طول كل واحد منهم ستة اذرع ونصف يحتمل انه اراد بذلك
ستة اذرع ونصفا بذراعهم وما سواه الملحدة وطعنهم في القران بقوله كيف يجوز ان يتيه عسكر
عظيم في مقدار ستة فراسخ او اكثر ويكون قصدهم الخروج منها مع وفور عقولهم وصحة
حواسهم ثم لا يجدون الى الخروج سبيلا وان صور ذلك مصور فكيف يتصور ان لا يجتهد اهل
البلاد الذين كانوا حواليهم في تخليصهم او تعريفهم وجه الخروج منها والجواب عنها ظاهر وهو ان
الله سبحانه اذا تولى محو العلامات والقى على بعضها شبه بعض وغير رسوم بعضها وشغل الذين
كانوا حواليها عن امرهم فليس ذلك بعجيب في قدرة الله عز وجل لا سيما في انتقاض العادات في زمن الانبيا
صلوات الله عليهم بكون معجزة لهم مثل ما كان من فلق البحر وتفجير الحجر وانزال المن والسلوى وغير
ذلك ومن نكر مثل هذا كان منكرا اصل قدرة الله عز وجل فيكون الكلام معه في اثبات وحدانية
الله سبحانه وقدرته وبالله التوفيق قوله عز وجل واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل
من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين معنى الاية

والله اعلم واقرا يا محمد صلى الله عليه وسلم على قومك خبر ابني ادم لصلبه بالصدق اذ وضعا على الجبل
قربانا والقربان ما يطلب به التقرب الى الله تعالى وهو فعلان من القربة كالغفران من الغفر وكالكفران
من الكفر ويقال معناه واقرا على اولاد هؤلاء الذين تقدم ذكرهم من اهل الكتاب حتى يقروا برسالتك
وقوله عز وجل فتقبل من احدهما اي قبل القربان من احدهما ولم يتقبل من الاخر ومعنى القبول ايجاب الثواب
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان حوا كانت تلد في كل بطن اثنين غلاما وجارية فولدت
اول بطن قابيل بن ادم واخته اقليما ثم مكثت سنتين ثم ولدت البطن الثاني هابيل واخته لبوذا فلما
ادركوا امر الله عز وجل ادم عليه السلام ان ينكح قابيل اخت هابيل وهابيل اخت قابيل فذكر ادم
ذلك لامراته فذكرت ذلك لابنيها فرضي هابيل بالذي امر وسخط قابيل لان اخته كانت احسنهما فقال
ما امر الله تعالى ادم عليه السلام بهذا قط ولا ازوج هابيل اختي التي ولدت معي فاخبرت حوا ادم
عليه السلام فقال قربا قربانا فمن يتقبل منه تزوجها وكان هابيل صاحب غنم وقابيل صاحب
حرث فقرب هابيل حملا سمينا من خير غنمه ولبنا وزبدا وقرب قابيل سنبلة من شر زرعه فانطلق
ادم عليه السلام الى الجبل فاضمر قابيل في نفسه ما ابالي اتقبل الله مني ام لا لا ينكح اختي ابدا واضمر
هابيل في نفسه الرضا لله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السما فاكلت شيئا من
السنبل بعدما دنت منه ثم اكلت الحمل واللبن والزبد فذلك قوله عز وجل فتقبل من احدهما
ولم يتقبل من الاخر فنزلوا من الجبل وتفرقوا وذهب هابيل الى غنمه وذهب قابيل الى زرعه ثم اتى قابيل هابيل
فقال له لاقتلنك قال هابيل ولم تقتلني قال لان الله عز وجل تقبل منك قربانك ورد علي قرباني وتنكح
اختي الحسنة وانكح اختك القبيحة فيتحدث الناس انك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي قال هابيل ما ذنبي
في ذلك انما يتقبل الله من المتقين اي من الزاكية قلوبهم الذين يخافون على حسناتهم ان لا تقبل ولم تكن
انت زاكي القلب فرد الله عليك قربانك بخبث نيتك ويقال اراد بالمتقين الذين يتقون الشرك ويروى
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان قابيل كان كافرا وفي اكثر الروايات انه كان رجل سوء قال الحسن
رضي الله عنه كان الرجل اذا اراد ان يقرب القربان تعبد وتاب وتطهر من الذنوب ولبس الثياب البيض
ثم قرب وقام يدعو الله عز وجل فان قبل الله تعالى قربانه جاءت نار فاكلته وذلك علامة القبول
وان لم تجي نار فذلك علامة الرد ويروى عن الحسن رضي الله عنه ان الاية نزلت في رجلين من بني اسرائيل اذ لم
يكن القربان مشروعا قبل بني اسرائيل قال وفي اخر هذه الايات دليل على ذلك وهو قوله عز وجل من اجل ذلك كتبنا
على بني اسرائيل والقول الاول اظهر واشهر عند عامة المفسرين قوله عز وجل لئن بسطت الي يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين معناه قال هابيل مجيبا للقاتل
لئن مددت يدك الى القتل ظلما ما انا بالذي مد يدي اليك لاقتلك ظلما قال القاتل ولم ذلك قال هابيل
لاني اخاف الله رب العالمين بقتلك ظلما وروي عن الحسن ومجاهد رضي الله عنهما انهما قالا لم يكن القتال
مشروعا ولا كان دفع القاتل عن النفس مباحا وانما ورد الشرع بذلك بعد الا ترى ان الله تعالى امر في عبادة
العجل ان يقتل بعضهم بعضا وجعل ذلك سبب توبتهم واخذ عليهم ان لا يدفعوا القتل عن انفسهم وقال
عبد الله بن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ان معنى الاية لئن بدات بقتلي لم ابدا بقتلك قالا ولم يقتل
قابيل هابيل مجاهرة ولكن قتله غيلة بان القى عليه صخرة وهو نائم فشدخه بها قال الضحاك رضي الله
عنه كان قابيل لا يدري كيف يقتله حتى جاء ابليس لعنه الله وبيده حية فوضعها بين حجرين فرض راسها بالحجر
وقابيل ينظر فلما نظر ذلك جاء الى هابيل فلم يزل يضرب بالحجارة على راسه حتى قتله وليس في هذه الاية دلالة
على جواز ترك الدفع عن النفس بقتل من اراد قتله لان دافع القتل عن نفسه لا يسمى باسطا ولا مريدا للقتل لان غرضه

التخلص من شر الذي يقصد قتله وان اتت المدافعة على نفس الذي يريد قتله وهذا بمنزلة رجل يعدو على
صدر رجل اخر يريد قتله ان ذلك يرميه عن نفسه قاصدا قتله ولهذا قلنا ان الكفار اذا تترسوا باطفال
المسلمين لا يجب على المسلمين الامتناع من قتالهم ورميهم ولكن لا يقصدون بالرمي قتل الاطفال قوله عز وجل
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين معناه قال هابيل لقابيل ان
كنت تريد قتلي فلا ترجع عني فاني اريد ان ترجع الى الله تعالى باثم دمي واثم ذنبك الذي من اجله لم يتقبل قربانك
والمراد بهذا القول اني اريد ان تبوء بعقاب اثمي واثمك لان المكلف كما لا يجوز ان يريد معصية نفسه لا يجوز
ان يريد معصية غيره فثبت ان المراد بهذا عقوبة القتل وقوله عز وجل فتكون من اصحاب النار بذنبك
وهكذا عقوبة من لم يرض بحكم الله سبحانه قوله عز وجل فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح
من الخاسرين معناه تابعته نفسه على قتل اخيه فقتله بارض الهند فصار من المغبونين بالعذاب و
العقوبة قال الكلبي رحمه الله كان قابيل اول من عصى الله تعالى في الارض من ولد ادم عليه السلم وهو
اول من يساق الى النار وقال مقاتل كان قبل ذلك تستانس السباع والوحوش والطيور فلما قتل قابيل
هابيل اخاه نفروا فلحقت الطيور بالهوى والوحوش بالبرية والسباع بالغياض قال وتزوج شيث
باقليما وذكر الضحاك في تفسيره انه قال لما قتل قابيل هابيل حمله على ظهره ولم يدر كيف يصنع
به فمكث ثلثة ايام يحمله على ظهره لا يدري ماذا يصنع به فبعث الله عز وجل غرابين يقتتلان فقتل
احدهما صاحبه ثم اخذ حفيرا في الارض واخذ برجل الغراب المقتول فالقاه في الحفرة وجعل
يبحث عليه التراب فذلك قوله عز وجل فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
سوأة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاصبح من النادمين
معناه ارسل الله غرابا ويقال بعث الله غرابا يثير التراب على غراب اخر ميت بمنقاره وبرجله
روي عن عبد الله بن عباس انه لما قتل قابيل هابيل رجع الى اهله قبل ان يدفنه فلما ابطا هابيل
على ادم عليه السلام قال يا قابيل هل رايت هابيل قال ما رايته وكاني به ارسل غنمه في زرع فافسدته
فهو يكره ان يجيء من اجل ذلك قال ووحشت نفس ادم عليه السلام فبات ليلته تلك حزينا
فلما اصبح قابيل ندم على قتله فغدا الى ذلك الموضع فاذا هو بغراب يبحث التراب على غراب
ميت ليواريه ويقال بعث الله عز وجل الغراب اليه اخا هابيل وكان الغراب يحثي التراب على هابيل
ليري قابيل كيف يواري سوأة اخيه اي كيف يغطي عورته وروي في الخبر انه لما قتله سلبه ثيابه
وتركه عريانا بالارض القفار ويقال اراد بالسوأة جسد المقتول وسماه سوأة لانه لما بقي على وجه
الارض تغير وانتن والسوأة في اللغة عبارة عن كل شيء مستكره وهذه الاية تضعف قول الحسن
رحمه الله في القاتل والمقتول انهما كانا رجلين من بني اسرائيل لانه لو كان كما قال لكان القاتل يعرف كيفية
دفن المقتول فلا يحتاج الى ان يتعلم ذلك من الغراب اذ دفن القتلى والموتى كان معلوما في بني اسرائيل
واما قوله عز وجل قال يا ويلتا فمعناه ان قابيل لما ابصر الغراب يبحث في الارض دعا بالويل على
نفسه كانه قال يا ايها الويل احضر اوقتك وعلى هذا يا ويلتا وقوله يا حسرتا ويا عجبا والويل كلمة
تستعمل عند الوقوع في الشدة والهلكة وقوله عز وجل اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب معناه
اضعفت في الحيلة ان افعل مثل ما فعل هذا الغراب فاغطي عورة اخي بالتراب فحفر حفيرا فالقاه
فيه وواراه فاصبح من النادمين يحتمل ان يكون المراد بندامته ندامة توبة عن جميع ما قال وفعل
من معصيته ويحتمل انه انما ندم على ترك مواراة عورة اخيه فان كانت الاولى فالله عز وجل تواب
رحيم وان كانت الثانية فاثم القتل في عنقه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لو كانت ندامته

على قتله

على قتله لكانت توبة منه وقيل انه انما ندم لانه لم ينتفع بقتله ولم يحصل له مراده واستوحش منه ابواه
وكان ندمه لاجل ذلك لا لقبح فعله ولو كان ندمه تقربا الى الله تعالى لقبلت توبته وعن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما انه قال قال الله تعالى لقابيل كن خائفا ابدا لا يرى احدا الا وخاف منه ان يقتله قال وكان كل
من راى قابيل رماه بالحجر فانصرم بعض ولده وولد ولده فرماه بالحجارة حتى قتله ويقال كان على جبل فنطحه ثور فوقع الى
سفح الجبل فتفرقت اوصاله وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ضرب الله عز وجل ابني ادم مثلا لكم فخذوا
خيرهما ودعوا شرهما وفي تفسير الحسن ان رجلا من بني اسرائيل العبدة ما ثم قرب قربانا فاجتمع الناس وقام يدعو ربه
فلم ياكل النار القربان فلما ذهب وقف تحي الناس عرف انه رد الله عليه قربانه فشق قميصه ووضع التراب على
راسه فاوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم ان قل لعبدي ما اصبح يشق قميصك جهلا سخطا عن
قلبك وبالله التوفيق قوله عز وجل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او
فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا
بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون معنى الاية والله اعلم من اجل ذلك القتل الذي عرفه بنو اسرائيل
واشتهر عندهم فرضنا واوجبنا عليهم في التورية ان من قتل نفسا بغير نفس ويقال معناه من جناية ذلك
حصلت هذه الكتابة بالامرين جميعا في اللوح المحفوظ ان من قتل نفسا من غير ان وجب عليه القود او
بغير فساد في الارض نحو الشرك وقطع الطريق والزنا بعد الاحصان فكانما قتل الناس جميعا اي يستوجب النار
بقتل النفس الواحدة كما يستوجبها من قتل الناس جميعا قال الحسن رضي الله عنه ومن قتل الناس جميعا
كان اعظم ذنبا واشد عذابا والقول الثاني ان عليه ماثم كل قاتل من الناس روي عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها
لانه اول من سن القتل والقول الثالث ان على الناس كلهم معونة ولي القتيل حتى يقيدوه ويكون كلهم خصماء
القاتل حتى يقاد وفيه قول اخر ان المراد استحقاق القود بقتل النفس الواحدة وقوله عز وجل ومن احياها
فكانما احيا الناس جميعا اي من استنقذ نفسا من غرق وحرق وما شبهه لا محالة او استنقذها من كفر او ضلالة
فاحياها بالنعيم الدائم في الجنة او عفا عن دمها بعدما وجب عليها القود استوجب الجنة كما يستوجبها من
احيا الناس جميعا قال الحسن رضي الله عنه ومن احيا الناس جميعا كان اعظم منزلة في الجنة ويقال يثيبه الله
عز وجل على احياء النفس الواحدة مثل الذي على احياء الناس جميعا لو فاه اجره ويعاقب الله تعالى القاتل ظلما بما لو عوقب
هو به على قتل جميع الناس لكفى ذلك عقوبة له ووجه اتصال هذه القصة بما قبلها ان اهل الكتاب
كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم في كتمان نعته من صفته في كتابهم فاعلمه الله عز وجل ان الحسد
حمل على جحود الحق الا ترى ان ابن ادم كيف قتل اخاه حسدا فاصبر على حسد اهل الكتاب وعنادهم وعداوتهم
ولهذا المعنى اعلم جل ذكره الى هذه القصة ذكر اهل الكتاب فقال عز وجل ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات اي
جاءت بني اسرائيل رسلنا بالاوامر والنواهي والعلامات الواضحات ثم ان كثيرا منهم بعد ان جاءتهم الدلائل والمعجزات
في الارض لمسرفون مشركون تاركون اوامر الله قوله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في
الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك
لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وادع ابا بردة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين
فهو امن ومن اتى المسلمين منهم فهو امن فمر اناس من بني كنانة يريدون الاسلام باناس من اسلم من قوم هلال
ولم يكن هلال شاهدا يومئذ فخرج اصحابه اليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبريل عليه السلام فيهم
بهذه الاية ومعناها انما عقاب الذين يحاربون اولياء الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ويسعون في

الارض الفساد نحو القتل والنهب والتخريب وقطع الطريق ان يقتلوا ان قتلوا احدا ولم ياخذوا المال او يصلبوا مقتولين ان قتلوا واخذوا المال او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اليد اليمنى من الرسغ والرجل اليسرى من الكعب ان اخذوا المال ولم يقتلوا احدا او ينفوا من الارض ان اخافوا الطريق ولم يفعلوا فعلا سوى ذلك واختلف المفسرون في النفي فقال بعضهم اراد به الحبس وقال بعضهم اراد به الطلب الدائم حتى لا يستقر بهم مكان ووجه التوفيق بين القولين انهم ان اخذوا بعد ما اخافوا الطريق اودعهم الامام السجن حتى يموتوا او يتوبوا وان لم يوجدوا فامر بطلبهم وامر ان ينادى في الناس ان من قبلهم لا سبيل عليه وانما سمي الحبس نفيا لانه يمنع المحبوس من التردد والتصرف في الارض ويكون ذلك بمنزلة النفي من الارض واختلفوا في كيفية الصلب مع القتل قال ابو حنيفة يصلب حيا ليرى الناس ويروه فيكون ذلك زيادة عقوبة له ثم ينخع بطنه برمح يطعن في خاصرته او يطعن في لبته حتى يموت وقال ابو يوسف والشافعي رحمهما الله يقتل ثم يصلب وقوله عز وجل ذلك لهم خزي في الدنيا اي ذلك العقاب فيهم فضيحة لهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم اعظم مما كانوا فيه في الدنيا وهذا التاويل الذي ذكرنا في هذه الاية قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في ترتيب حد قطاع الطريق وبه اخذ ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال ابو حنيفة رحمه الله ان اخذ قطاع الطريق المال وقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف ثم قتلوا وتاويل الاية على قوله جزاؤهم ان يقتلوا ان قتلوا او يصلبوا ان قتلوا واخذوا المال او يقطع الطريق بفعلهم او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال ولم يقتلوا وقال مقاتل في هذه الاية قدم قوم من بني عرينة المدينة فاجتووها وعظمت بطونهم واصفرت وجوههم فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا الى ابل الصدقة فيشربوا من ابوالها والبانها ففعلوا ذلك وصحوا ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه في طلبهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم وتركهم بالحرة حتى ماتوا فانزل الله عز وجل هذه الاية فصارت عامة في قطاع الطريق ناسخة لسمل العين وفي تفسير الحسن رضي الله عنه ان الاية نزلت في المشركين اذا ظهر عليهم الامام قبل ان تضع الحرب اوزارها فاخذهم او طايفة منهم كان بالخيار فيهم ان شاء ضرب اعناقهم وان شا صلبهم وان شا قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وتركهم حتى ماتوا وكان الحسن رضي الله عنه يستدل بظاهر الاية ان حرف او تقتضي التخيير كما في كفارة اليمين وخالفه عامة المفسرين في هذا وقالوا ان هذه عقوبات علقت بجنايات لها اثر في ايجاب مثل تلك العقوبة قوله عز وجل الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم استثنا من قوله عز وجل ان يقتلوا او يصلبوا معناه الا الذين تابوا من قطع الطريق من قبل ان يقدر السلطان عليهم فاعلموا ان الله تعالى كثير الستر على عباده رحيم بهم بعد التوبة وفي هذه الاية دليل ان المراد باول الاية الاولى قطاع الطريق دون المشركين لان الله تعالى لم يقبل التوبة منهم قبل ان يقدر عليهم ومعلوم ان توبة الكفار قبل القدرة عليهم وبعد القدرة عليهم سوا في زوال العذاب عنهم كما قال جل ذكره قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويدل على صحة هذا القول ان الله تعالى قال في اول الاية التي تلي هذه ويسعون في الارض فسادا ومعلوم ان قتل الكافر لا يتعلق بسعيه في الارض بالفساد وانما يستحق القتل بنفس الكفر وانما توبة قطاع الطريق قبل القدرة عليهم في الحدود التي هي حق الله عز وجل لا تقام عليهم اذا جيء بهم بعد التوبة واما حقوق الادميين نحو رد الاموال والقصاص في النفس والاطراف فاصحاب الحقوق ان شاوا اخذوا حقوقهم وان شاوا عفوا ولو عفوا عنهم قبل توبتهم لم يسقط عنهم حد قطاع الطريق وبالله التوفيق قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون معنى الاية والله اعلم يا ايها الذين امنوا اخشوا عذاب الله واحذروا معاصيه واطلبوا اليه القربة بالاعمال الصالحة وجاهدوا اعداء الله عز وجل في طاعته لكي تظفروا بعدوكم

في الدنيا

في الدنيا وتنجوا من النار في العقبى قوله عز وجل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب عظيم في الاية ازالة طمع الكفار عن التخلص من عقاب الاخرة يقول لو ماتوا على الكفر وكان لهم ما في الارض جميعا من الاموال باسرها وضعفه معه ليشتروا به انفسهم من عذاب الله عز وجل ما تقبل ذلك الفدا منهم لو فادوا ولهم عذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم قوله عز وجل يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قال عبد الله بن عباس في معنى الاية اراد به الكفار اذا اعياهم وجهدهم طلب الرجال ان يزول من مكانه الى مكان اخر اهون عليه مما هو فيه ويتعالكما رفعتهم النار بلهبها تمنوا ان يخرجوا منها يقول الله عز وجل وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم اي دايم لا ينقطع قوله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في طعمة بن ابيرق سارق الدرع وقد سبق ذكره ثم صارت عامة في جميع الناس ومعنى الاية والسارق من الرجال والسارقة من النساء فاقطعوا ايديهما يعني ايمانهما هكذا تاوله بن عباس رضي الله عنهما وفي قراة بن مسعود رضي الله عنه فاقطعوا ايمانهما وقرا بعضهم والسارق والسارقة بالنصب على معنى اقطعوا السارق والسارقة ايديهما كما تقول زيدا اضربه فتنصب زيدا لوقوع الفعل عليه والقراة المختارة الرفع لان القطع يقع على الايدي لا على السارق قال المبرد ليس القصد من الاية الى واحد بعينه وانما معنى الاية من سرق فاقطعوا يده بخلاف قولك زيدا اضربه وعلى هذا وجه الرفع في قوله تعالى الزانية والزاني وقوله تعالى واللذان ياتيانها منكم فاذوهما وتقدير الاية ان فيما يتلى عليكم ويشرع لكم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وانما ذكر الايدي بلفظ الجمع الصحيح واراد بذلك ايمانهما وهما يمينان وكذلك في قوله فقد صغت قلوبكما لان ما كان في الشي منه واحد ثم ثني لفظ به على الجمع والاضافة الى الاثنين تبين ان المراد التثنية دون الجمع لانك اذا قلت شبعت بطونهما علم ان للاثنين بطنين فقط يدل عليه ان اصل التثنية الجمع لانك اذا ثنيت الواحد فقد جمعت واحدا الى واحد الا ان التثنية لا يجمع في ساير المواضع لحاجة المعرفة الى الفصل بين الجماعة والاثنين ولا حاجة الى التمييز في اضافة الشيين الى الاثنين وان ثني ما كان في الشي منه واحد فذلك جايز قال الشاعر ظهراهما مثل ظهور الترسين فجا بالتثنية والجمع في بيت واحد فان قيل لاي معنى قدم الله جل ذكره السارق على السارقة وقد قدم ذكر الزانية على الزاني قيل لان السرقة في الرجال اكثر والنساء المفتنات للرجال بالتعريض لهم اكثر ولو لزمت المراة بيتها كما امر الله تعالى وراقبت الله تعالى لم تقع هي ولا الرجال في الزنا واما قوله عز وجل في هذه الاية جزاء بما كسبا فمعناه عقوبة لهما على ما عملا وانما انتصب جزاء لانه مفعول له كانه قال فاقطعوهما الجزاء فعلهما وقوله تعالى نكالا من الله معناه عقوبة وفضيحة من الله تعالى والنكال هو ان ينكل به ليعتبر به غيره فينكل ان يفعل مثل ما فعله وقوله تعالى والله عزيز حكيم اي منيع بالنقمة من السارق ذو احكمة فيما حكم من القطع عليه لما في ذلك من زجر السراق وردعهم صيانة لاموال الناس وظاهر الاية يقتضي وجوب القطع على السارق بسرقة الشي اليسير والكثير وهو قول الخوارج الا ان الاثار قد وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا قطع في اقل من عشرة وبه اخذ اصحابنا رحمهم الله واتفقت الصحابة رضي الله عنهم على اعتبار اصل النصاب في وجوب القطع بالسرقة وانما اختلفت في المقدار روي عن علي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما مثل قولنا وعن عمر رضي الله عنه انه قال لا يقطع الخمس الا في خمس وهي رواية اخرى عن علي رضي الله عنه معناه لا تقطع خمس اصابع الا في خمسة دراهم وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت لا تقطع الا في ربع دينار وهو قول الشافعي رحمة الله وقال

صدر البيت
ومهمهين قذفين مرتين

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ثلثة دراهم وفي قوله تعالى جزاء بما كسبا دليل ان القطع لا يثبت في الشي اليسير
قال عائشة رضي الله عنها كانت اليد لا تقطع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشي التافه وعن عبد الرحمن
بن عوف رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا قطع في الطعام ولا خلاف بين الصحابة ومن
بعدهم من العلماء ان الحرز معتبر في وجوب القطع على السارق حتى لو سرق مالا غير محرز لا قطع عليه وكذلك
من سرق من حرز هو مأذون بالدخول او سرق مالا للسارق فيه شبهة لم يجب عليه القطع ولهذا
اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال ادرؤا الحدود بالشبهات وقال صلى الله عليه وسلم لان يخطي الامام في
العفو خير من ان يخطي في العقوبة ولا خلاف بين العلماء ان السارق اذا سرق اول مرة نصابا كاملا من حرز من غير
شبهة قطعت يده اليمنى وانه اذا سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى وانما اختلفوا في المرة الثالثة والرابعة
قال اصحابنا يحبس حتى يموت او يتوب وقال الشافعي رحمه الله يقطع في المرة الثالثة يده اليسرى وفي المرة
الرابعة رجله اليمنى وفي المسئلة خلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم قوله عز وجل فمن تاب من بعد ظلمه
واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم معنى الاية والله اعلم من تاب من السرقة من بعد
سرقته واصلح العمل فيما بينه وبين ربه فان الله يتجاوز عنه اي لا يواخذه به في الاخرة ولا تقطع يده اذا رد المال
قبل المرافعة الى الحاكم ان الله غفور اي متجاوز عن التائب رحيم لمن مات على التوبة وليس في الاية دليل على السارق
اذا تاب بعد المرافعة الى الحاكم ان الحد يسقط عنه بالتوبة لان التوبة من الله تعالى على عبده اسقاط الاثم عنه
الا انا حملناها في اية قطاع الطريق على اسقاط الحد بدلالة ان الله تعالى خص التوبة في تلك الاية بما قبل القدرة
عليهم والمعنى في ذلك كله انه اذا تاب وهو تحت يد الامام وقهره احتمل انه قصد باظهار التوبة اسقاط
الحد عن نفسه واحتمل ان توبته توبة حقيقة فلا يصدق في احكام الدنيا بالشك بل يقام عليه ما كان واجبا
عليه فان كان توبته حقيقة كان ذلك زيادة درجة له كما ان الله تعالى ابتلى الانبيا والصالحين بالبلايا والمحن
والامراض زيادة لهم في درجاتهم وان لم تكن توبته حقيقة كان الحد عقوبة له على ذنبه وهو مواخذ في الاخرة
ان لم يتب قوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر
لمن يشاء والله على كل شيء قدير معناه الم تعلم يا محمد ان الله تعالى له المقدرة على
اهل السموات واهل الارض يعذب من يشاء على الذنب الصغير وهو عدل منه ويغفر لمن يشاء الذنب العظيم
وهو فضل منه اي يعذب من توجب الحكمة تعذيبه ويغفر لمن توجب الحكمة مغفرته ومشيته تطابق
حكمته وحكمته تطابق مشيته ويقال ان المراد بالاية بيان تمام اقتداره على ما يشاء من عشائر وعده وتحذيرا
من وعيده ليقف العبد بين الخوف والرجاء يرجو رحمته ويخاف عذابه ولهذا عقب ذكر التعذيب والمغفرة
بالقدرة فقال والله على كل شيء قدير قال مجاهد في معنى الاية يعذب من يشاء من المسلمين وان اظهروا
التوبة ويغفر لمن يشاء من المشركين اذا انتهوا واسلموا من حيث كان اخر الامرين على هذا التدبير اصلح للفريقين
لانه لو بقي الحد على الكافر بعد ما اسلم كان ذلك ابعد من اسلامه وتوبته ولو بقاه على المسلم كان ازجر له
عن المعاودة قوله عز وجل يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم
ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا
ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم معناه يا محمد صلى الله عليه وسلم لا يحزنك
فعل الذين يحض بعضهم بعضا في الاقامة على الكفر والحث عليه فان الله ناصرك لا يحزنك بضم الياء يقال حزنه يحزنه واحزنه
يحزنه ومعناهما واحد قوله تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم معناه من الذين يقولون

بافواههم

ارق

بافواههم صدقنا ولم تصدق قلوبهم في السر وهم المنافقون ومن الذين هادوا يقول ومن يهود المدينة الذين
هم اهل الصلح للنبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت لفواده بوعد النصر
والظفر واعلام ان المنافقين واليهود لا يضرونه روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه
الاية في ابي لبابة بن عبد المنذر لما استشاره بنو قريظة وهم في حصونهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرهم
انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار اليهم بيده لا انه الذبح واشار الى حلقه فانزل الله تعالى هذه الاية
قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في قوله
تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب معناه قوالون للكذب واحب الحديث اليهم الكذب وقوله
تعالى سماعون لقوم اخرين اي يقولون لك حديث اهل خيبر الذين لم ياتوك ولا صلح بينك وبينهم يسالك يهود
المدينة عما حدث في اهل خيبر يحرفون اي يغيرون كلام الله تعالى من بعد ان وضعه الله في التورية مواضعه
بان فرض فيها فرضه واحل حلاله وحرم حرامه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي يقول يهود اليهود لسفلتهم
ان امركم محمد صلى الله عليه وسلم بجلد الزاني المحصن فاقبلوا منه واعملوا به وان لم يامركم بالجلد وامركم بالرجم فاحذروا
عن الرجم ولا تقبلوا قوله قال وذلك ان رجلا وامراة من اهل خيبر وهم حرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فجرا وكانا في شرف وكانا قد احصنا فكرهت اليهود رجمهما وفي كتابهم الرجم وكتبوا الى اناس من اليهود
فارسلوهما اليهم فقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل الذي بيثرب واهل بلده وقد فجر فينا فلان وفلانة فاسالوه
عن قضائه فيهما فان افتاكم بالجلد فاجلدوهما وان افتاكم بالرجم فقد تركنا ذلك في التورية وهي احق ان تطاع
فسال يهود المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترضون
بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الرجم وقال له ان ابوا
ان ياخذوا به فاسالهم عن رجل يقال له ابن صوريا وصفه لهم فاجعله بينك وبينهم فقال لهم عليه السلام
لم اجد فيما انزل الله تعالى علي ان الزانية والزاني اذا فجرا وقد احصنا وجب عليهما الرجم فابوا واعرضوا عن
ذلك قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعرفون شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا فقالوا
نعم قال فاي رجل فيكم قالوا هو اعلم يهودي بقي على ظهر الارض قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم ابن
صوريا فقال له عليه السلام انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون فقال عليه السلام اتجعلونه بيني وبينكم
قالوا نعم قد رضينا فقال له عليه السلام فاني انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي انزل التورية على موسى عليه
السلام وفلق لكم البحر ورفع فوقكم الطور وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى هل تجدون في كتابكم
الذي اتاكم به موسى عليه السلام الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به لولا خشية التورية ان تحرقني
او تهلكني ان كذبت وغيرت ما اعترفت لك ولكن كيف انزل عليك يا محمد قال اذا شهد اربعة انه ادخل فيها كما يدخل
الميل في المكحلة وجب الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التورية هكذا انزل على موسى عليه السلام فقال له قومه ما اسرع
ما صدقته ما كنت لما اثنينا عليك باهل وما انت باعلمنا ووثب على سفلتهم فقال خفت ان كذبته ان ينزل
بنا عذاب شديد وانشدني بالتورية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم اليهوديين الزانيين وقال انا اول
من احيا سنة اذ اماتوها وذهب بعض المفسرين في قوله سماعون للكذب معناه يسمعون منك ليكذبوا
عليك وذلك انهم اذا جالسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلوا لهم ان يقولوا سمعنا منه كذا وكذا ويقال
معناه مستمعون منك لاهل خيبر اي هولاء عيون اولئك الغيب ويقال معنى سماعون للكذب قابلون
للكذب كما يقال لا تسمع من فلان قوله اي لا تقبل منه ومنه قولهم سمع الله لمن حمده اي قبل الله تعالى حمده
وفي لفظ السماعين مبالغة ودلالة على ان ذلك عادة وطريقة لهم واما قوله تعالى ومن يرد الله فتنته معناه
من يرد الله بليته ويقال عقوبته وفضيحته فلن تقدر يا محمد صلى الله عليه وسلم ان تدفع عنه شيئا مما

يا موكم

اراد الله تعالى به واصل الفتنة من قولهم فتنت الذهب اذا ادخلته في النار واستخلصته واستصفيته و
احرق ما كان فيه من الخبث فاذا اضيفت الفتنة الى المومن اريد بذلك محنته وابتلاوه بالمصايب والمكاره
ليستخلص من الذنوب ويكون ذلك كفارة له كما ان الصايغ لا يريد بادخال الذهب في النار ازالة الذهب و
اهانته وانما يريد استخلاصه واستصفاه واذا اضيفت الفتنة الى الكافر اريد بها الهلاك والاحراق لان
الكفار خبث كلهم والخبث لا بد ان يحترق بمنزلة خبث الذهب والفضة وقوله تعالى اولئك الذين لم يرد
الله ان يطهر قلوبهم من عقوبات الكفر مثل الختم والطبع والضيق كما شرح صدور المومنين وطهر قلوبهم
بكتابة الايمان فيها وقال الحسن رضي الله عنه لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي لا يبرئ قلوبهم من الكفر وهم
مقيمون على دينهم واعتقادهم وقوله تعالى لهم في الدنيا خزي اي فضيحة بما اظهر الله تعالى من كذبهم و
قيل المراد بالخزي القتل والسبي والجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم اعظم مما يكون في الدنيا قوله عز وجل
سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين اول هذه الاية راجع
الى صفة اليهود والمنافقين الذين سبق ذكرهم والفايدة في اعادة وصفهم بسماعين للكذب بيان
انهم استحقوا الخزي والعذاب لاصرارهم على الكذب واستماعه وضمهم الى ذلك اكل السحت و
اختلفوا في المراد بالسحت فقال بن مسعود والحسن رضي الله عنهما اراد به الرشوة على الحكم وقال علي وابو
هريرة رضي الله عنهما هو الرشوة على الحكم ومهر البغي وعسب التيس وحلوان الكاهن وثمن الخمر والاستعجال
على المعصية كانهما جعلا السحت اسما لمال لا يحل اخذه واصل السحت من الهلاك يقال سحته
واسحته اذا استاصله ومنه قوله تعالى فيسحتكم بعذاب اي يهلككم وسمي الحرام سحتا لانه يودي
الى الهلاك والاستيصال وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل لحم نبت من السحت فالنار
اولى به قيل ما السحت يا رسول الله قال الرشوة في الحكم وعن مسروق عن بن مسعود رضي الله عنهما
انه قال الرشوة سحت فقلت له اي الحكم قال لا ذاك الكفر ثم قرا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون واراد بهذا استحلال الرشوة وجحود الحق والرشوة تنقسم على وجوه منها الرشوة في الحكم
وذلك حرام على الراشي والمرتشي لانه لا يخلو اما ان يرشو ليحكم له الحاكم بحقه فيكون المرتشي اخذا
للاجرة على اداء ما هو فرض عليه ويكون الراشي محاكما الى من لا يصلح للحكم ولا ينفذ حكمه واما ان يرشو
ليقضي بما ليس بحق له فيكون الاثم اعظم ويفسق الحاكم من وجهين وكذلك الراشي وقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله الراشي والمرتشي والرايش واراد بالرايش الذي يمشي بينهما ومنها
الرشوة في غير الحكم وهي على وجهين كما روي عن وهب بن منبه انه قيل له الرشوة حرام في كل شي قال لا انما يكره
ان ترشو لتعطى ما ليس لك او لتدفع حقا لزمك فاما ان ترشو لتدفع عن دينك ودمك ومالك فليس
بحرام وانما الاثم على القابض واما الهدايا للامرا والقضاة فانها مكروهة وان لم يكن للمهدي خصم ولا حكومة
عند الحاكم روي عن ابي حميد الساعدي رضي الله ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل بن اللتبية على الصدقة
فلما رجع قال هذا لكم وهذا اهدي لي فقال صلى الله عليه وسلم ما بال قوم نستعملهم على ما ولانا الله
تعالى فيقول هذا لكم وهذا اهدي لي هلا جلس في بيت امه فينظر ايهدى له ام لا قال محمد بن الحسن
رحمه الله في هذا الخبر دليل ان القاضي اذا اهدي اليه رجل ممن كان يهدي اليه قبل القضا وعلم انه لم يهده
اليه لاجل القضا انه يحل له اخذه كما كان ياخذه من قبل فاما قوله فان جاوك فاحكم بينهم فقد روي ان
اليهود لما ارادوا ان ينهضوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد قصة الزنا تعلقت بنو قريظة
بني النضير فقالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد

ونبينا

ونبينا واحد وكتابنا واحد واذا قتلوا منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم
قتيلا اخذوا منا اربعين ومائة وسق وجراحاتنا على النصف من جراحاتهم فقال عليه السلام دم القرظي
وفا بدم النضيري فانزل الله عز وجل هذه الاية اي ان جاك الفريقان كلهم راضين بحكمك فاحكم
بينهم بما انزل الله وان شئت فاعرض عنهم ويقال معنى الاية ان جاك اهل خيبر في حكم الزنا فاقض بينهم
بالرجم في هذه الحادثة التي وقعت لهم وفي نظيرها من الحوادث التي تقع من بعد او اعرض عنهم ولا تحكم فيما بينهم
خيره الله تعالى في ان يحكم فيهم وبين ان يعرض عنهم هذا التخيير منسوخ بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله
الاية وقوله تعالى وان تعرض عنهم معناه وان تعرض عن الحكم والقضا بينهم لا يضرك غضبهم عليك لاعراضك
عنهم وقوله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط معناه اذا قضيت بين اليهود لا يسوغ لك الا ان تحكم بينهم
بالعدل ان الله يحب العادلين في الحكم قوله عز وجل وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم
الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين معناه كيف يرضون بحكمك وعندهم التوراة فيها
حكم الرجم والقصاص وغير ذلك ثم يعرضون عن العمل بها من بعد البيان الذي في كتابهم وليسوا بمصدقين
بما عندهم يزعمون انهم يومنون بالتوراة وهم كاذبون وفي الاية بيان ان هولاء اليهود كانوا لا يحكمون
النبي صلى الله عليه وسلم بحكم رضى وانقياد ولولا طلبهم الرخص واتباع ما لا يقتضيه كتابهم ولا اماجاوه
قوله عز وجل انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون
والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون
ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون معنى الاية انا انزلنا التوراة
على موسى عليه السلام فيها بيان من الضلالة وضيا لمن امره يقتضي به النبيون الذين خلصوا وهذه صفة
الانبيا عليهم السلام لان فيهم من لم يخلص كما يقال صلى الله على محمد النبي وعلى اصحابه الطيبين لا يراد بذلك
ان من اصحابه من هو خبيث ومن هو طيب والمراد بالنبيين موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
وغيرهم من الانبياء الذين كانوا من وقت موسى عليه السلام الى وقت نبينا صلى الله عليه وسلم ويقال المراد
بالنبيين نبينا صلى الله عليه وسلم فانه كان كالنايب عن انبياء بني اسرايل في ان يحكم في الزنا بينهم بحكم
التوراة وقيل معنى اسلموا صاروا الى السلامة من قتل اليهود كما يقال اصبح وامسى اي دخل في الصباح
والمسا وقوله تعالى للذين هادوا فيه ثلثة اقوال احدها ان معناه لليهود والثاني للذين تابوا من
الكفر كما في قوله تعالى انا هدنا اليك والثالث ان في الاية تقديما وتاخيرا تقديرها ونور للذين
هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون وهم العلما والعاملون يربون العلم اي يقومون به
والاحبار سائر العلما دون الانبيا والربانيين وانما سمي العالم حبرا لكثرة ما يكتب بالحبر ويقال هو
من التحبير وهو تحسين العلم وتقبيح الجهل وقوله تعالى بما استحفظوا من كتاب الله من الرجم وساير
الاحكام وكانوا عليه شهداء وقوله تعالى فلا تخشوا الناس خطاب لعلما اليهود اي لا تخشوا السفلة والجهال
في اظهار نعت النبي صلى الله عليه وسلم واية الرجم واخشوا عقابي في كتمانها ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا
اي لا تختاروا عوضا يسيرا من الدنيا ويقال هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وجماعة المومنين اي لا
تخشوا الناس في اقامة الحدود وامضايها على اهلها كاينا من كان واخشون في ترك اقامتها ولا تختاروا
على الحق شيا من الدنيا فان الدنيا وما فيها قليل وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله ذهبت الخوارج الى ان
معنى الاية ومن لم يحكم بما انزل الله وحكم بخلافه كان كافرا بفعله ذلك اعتقاد ذلك كان او غير ذلك وكفروا
بذلك كل من عصى الله بكبيرة او صغيرة فاداهم ذلك الى الضلال والكفر بتكفيرهم الانبياء صلوات الله عليهم
اجمعين بصغاير ذنوبهم واما عامة اهل الاسلام فقالوا ان المراد بهذه الاية ان من جحد شيا مما انزل الله

عز وجل مثل ما فعله اليهود من التحريف والتبديل وانكار بعض ايات كتاب الله فاولئك هم الكفرون
اي اهل هذه الصفة بمنزلة الكافر بالكتب والرسل كلها يدل على هذا انه لا خلاف ان من لم يقض بينهم بما انزل
لا يكفر بان لم يحكم لان اكثر الناس بهذه الصفة والحاكم بين الناس في كثير حالاته لا يحكم فاذا اصلح للخوارج
ان يريدوا الى ظاهر اللفظ فيقولوا معناه من لم يحكم بما انزل الله وحكم بخلافه صلح لغيرهم ان يقولوا معناه
من لم يحكم بصحة ما انزل الله فاولئك هم الكافرون وهذا عام في اليهود وغيرهم ويقال ان لفظ من في هذا
الموضع ليس للجزاء ولكنها بمعنى الذي كانه قال والذين لم يحكموا وهم الذين ذكرهم بقوله وكيف يحكمونك هم
الكفرون قوله عز وجل وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف
بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة
له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت
هذه في الجراحات التي كانت بين بني قريظة والنضير كان لبني النضير فضل على بني قريظة في العقل والدم
ضعف ما كان لبني قريظة فانزل الله تعالى قوله وكتبنا عليهم اي فرضنا على بني اسرائيل في التورية ان
النفس قود بالنفس والعين فقا بالعين وكذلك الانف بالانف والاذن والسن وقوله تعالى
والجروح قصاص اي يجري فيها القصاص والقصاص عبارة عن المساواة وقوله تعالى فمن تصدق
به اي من عفى عن مظلمته في الدنيا فهو كفارة للجارح لا يوخذ بها في الاخرة قال ابن عباس فلما نزل
هذا قال صلى الله عليه وسلم ليس لبني النضير على بني قريظة فضل في عقل ولا دم فقالت بنو النضير
والله لا نرضى بقضائك ولا نطيعك ولناخذن بالامر الاول فانزل الله تعالى قوله ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الظالمون اي من لم يقر ولم يقض ولم يعمل بما انزل الله فاولئك هم الضارون لانفسهم
بالوزر والعقوبة قال الحسن رضي الله عنه من لم يحكم بما انزل الله جاحدا له فهو ظالم ظلم الشرك ومن
لم يحكم به لا على وجه الجحد فهو ظالم ظلم الفسق وفي الاية ما يدل على ان هذه الامة متعبدون باحكام
هذه الاية وجميع احكام التورية الا ما قام الدليل على نسخه لان الله تعالى اخبر بهذا الحكم في التورية ولم يبين
لنا حكما خاصا بخلافه وقال فمن تصدق به فهو كفارة له والظاهر ان قوله فهو كفارة له راجع الى الذي حل
تحت الشرط وهو ولي القتيل اذا عفى كان عفوه كفارة لذنوبه ويقال عفو المجروح عن الجارح كفارة للمجروح
يكفر الله تعالى عنه بعفوه ما سلف من ذنوبه وهذا لا يكون الا صفة المسلم فاما الكافر اذا عفى عن قصاص
وجب له لا يكون عفوه كفارة له مع اقامته على الكفر وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من اصيب بشيء من جسده فتركه لله كان كفارة له وقال بعض المفسرين معنى الكفارة انه يزول
بعفو المجروح عقاب مثل هذه الذنوب منه ومما يدل على ان هذه الامة متعبدون بهذه الاية
ما روي ان الربيع بنت النضر لطمت وجه جارية فكسرت سنها فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فامر
بالقصاص فقال اخوها انس بن النضر اوتكسر سن الربيع بسنها والذي بعثك بالحق نبيا فقال صلى الله
عليه وسلم كتاب الله القصاص وليس في القران ذكر القصاص في السن صريحا الا في هذه الاية
واتفق القرا ان قوله النفس بالنفس منصوب واختلفوا فيما بعده قرا عاصم وحمزة ومدني كل
ذلك بالنصب على معنى البنا وقرا الكسائي كل ذلك بالرفع على معنى الابتدا ويجوز ان يكون رفعه
على معنى انه عطف على موضع النفس اي قلنا لهم النفس بالنفس وقلنا والنفس ماخوذة بالنفس وكذلك
العين والانف وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر كل ذلك بالنصب غير قوله والجروح فانهم قراوه
بالرفع وقد سبق ذكر احكام القصاص في النفس في قوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى
فاما القصاص في الاطراف فانما يجب القصاص في العين اذا ضربها رجل فذهب ضوها وهي قائمة فانها

تشد

[margin:] [illegible]

تشد العين الاخرى ويحمى المراة وتقرب الى العين التي يجب فيها القصاص من الضارب بثوب او قطن مبلول ويحمى مراة
وتقرب الى العين التي يجب فيها القصاص حتى يذهب ضوؤها فاما اذا قلع رجل عين رجل اخر فلا قصاص
في ذلك لتعذر استيفائه على وجه المساواة فانا لو قلعنا عين القالع لم يكن للقلع حد معلوم ينتهي اليه
فيقلع على ذلك القدر الذي قلعه القالع وهذا كمن قطع قطعة لحم من فخذ رجل او ذراعه فانه لا يجب
فيه القصاص واما الانف بالانف فمعناه اذا قطع المارن وهو ما لان من الانف وجب فيه القصاص
فاما اذا قطع الانف من اصله فلا قصاص فيه لانه عظم لا يمكن استيفاؤه على وجه المساواة كمن قطع يد
اخر من نصف الساعد ويروى عن ابي يوسف ان الانف اذا استوعب ففيه القصاص وكذلك الذكر
واللسان واما الاذن فمعناه اذا استوعبت بالقطع واما قطع بعض الاذن فلا قصاص فيه فاما السن
بالسن فمعناه القلع وكسر البعض اما القلع فيمكن استيفاؤه على وجه المساواة كاليد باليد من المفصل واما
الكسر فانه يبرد بمقداره بالمبرد فيستوفى القصاص واما ساير العظام فلا يمكن استيفاؤها على وجه المساواة
ولا يجوز استيفا اليمنى باليسرى ولا اليسرى باليمنى وان تراضيا على ذلك اذ لا مساواة بينهما ولا يستوفى
عينان بعين واحدة ولا يدان بيد واحدة عند اصحابنا رحمهم الله وفرقوا بين الاطراف والنفس
بمعنى التساوي في الاطراف في البدل شرط في وجوب القصاص الا ترى ان اليد الكاملة السليمة
لا تستوفى باليد الشلا ولا بناقصة الاصابع لاختلاف اليدين في البدل وهذا المعنى غير معتبر
في النفس الكاملة الاعضا والجوارح بل يستوفى بناقصها ويقتل الرجل بالمراة فعلم ان التساوي في
الانفس غير معتبر ولهذا لا يجري القصاص عندنا بين الرجل والمراة في الاطراف ولا بين الحر والعبد لعدم
التساوي بين الطرفين في البدل وكذلك بين العبد والعبد ولا يمكن معرفة التساوي بين اطرافهما
في البدل واما قوله تعالى والجروح قصاص فمعناه والجروح التي لها حد معلوم مثل الموضحة ونحوها
واما ما ليس له حد معلوم لا يمكن معرفة التساوي فيه ففيه الارش دون القصاص قوله عز وجل
وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه الانجيل فيه
هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين معنى الاية والله اعلم
اتبعنا النبيين الذين ذكرناهم عيسى ابن مريم وجعلناه بمن يقفوهم يقال قفوت اثر فلان اذا اتبعته
وحقيقة التقفية الاتيان بالشيء في قفا غيره وقوله مصدقا لما بين يديه نصب على الحال من
عيسى ابن مريم عليه السلام كان مصدقا بالكتاب الذي انزل قبله وهو التورية وقوله تعالى
واتيناه الانجيل معناه واعطيناه اي اعطيناه ذلك كتابا الانجيل فيه هدى من الضلالة وبيان
للاحكام وقوله الثاني ومصدقا لما بين يديه من التورية نعت الانجيل اي اعطيناه ذلك
كتابا فيه هدى ونور ومصدقا اي وموافقا لما تقدمه من التورية وهدى اي بيانا لبعث
النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وموعظة نهيا للذين يتقون الفواحش والكباير قوله عز
وجل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الفاسقون معناه وليقض اهل الانجيل وهذا جزم بالامر اي قلنا لهم احكموا بما انزل الله تعالى
في الانجيل قال الكلبي بين الله تعالى حكم الرجم على الزاني المحصن وحكم القصاص في النفس والاطراف
وحكم القطع على السارق في التورية والانجيل وفيما انزل على نبينا صلى الله عليه وسلم وجميع هذه
الكتب يصدق بعضها بعضا كانه ذهب الى ان الله تعالى امر اهل الانجيل في ذلك الزمان ان يحكموا
بما انزل الله فيه لموافقة احكامه احكام القران ويقال ان الغرض من هذه الاية بيان ان اهل
كل كتاب لو رجعوا الى كتابهم لحكموا بما فيه للزمهم اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم لما في كتابهم

من بيان نعته وصفته ووجوب الايمان به وبكتابه والاصل في قوله تعالى بكسر اللام الان
الكسرة حذفت استثقالا لها وقرا حمزة وليحكم بكسر اللام ونصب الميم اي اتيناه الانجيل لكي يحكم اهل
الانجيل بما انزل الله فيه وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله معناه من لم يقض بما انزل الله في كتبه
على رسله فاولئك هم الخارجون عن امر الله تعالى وقد تقدم في ترك حكم الله ان من تركه جاحدا فهو
فاسق فسق الكفر ومن تركه لميله الى احد الخصمين مع اقراره بانه حكم الله وتصديقه فهو
فاسق فسق معصية قوله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب
ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم في ما اتاكم فاستبقوا الخيرات الى
الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون معناه وانزلنا اليك يا محمد صلى الله عليه وسلم القران
بالصدق موافقا لما تقدمه من الكتب في التوحيد وبيان الحق من الباطل ومهيمنا عليه اي امينا
ومؤتمنا على ما قبله من الكتب ويقال شاهدا على الكتب كلها وهذا وصف خاص للقران دون ما سواه
ومهيمن مؤتمن على وزن مفيعل من الامانة الا ان الهاء ابدلت من الهمزة كما قالوا ارقت الما وهرقت
واياك وهياك وهيهات وايهات ونظير المهيمن مصيطر وقوله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله معناه
فاحكم في الزاني والزانية بالرجم ويقال الحكم بين قريظة وبين النضير في الجراحات التي بينهم في التسوية
بين الفريقين ولا تتبع اهواءهم اي لا تعدل باهوائهم ومرادهم عما جاءك من الحق وقوله لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا معناه لكل نبي منكم معشر الانبياء صلوات الله عليهم بينا فرايض وسننا واصل الشريعة من
قوله شرع يشرع شروعا اذا دخل في الامر دخولا والشرعة والشريعة هو التخلص الى الجنة والدرجات كشريعة
الانهار والحياض في الدنيا هو التخلص الى الشرب والاستقاء منها وانما سميت الامور التي يعبد الله بها من
جهة امره شرعة وشريعة لانه يصل بها العاملين بها الى الحيوة الدائمة في النعيم الباقي كما ان شريعة الما
في الدنيا هي التي يتوصل بها الى الما الذي فيه الحيوة والمنهاج ماخوذ من نهج ينهج اذا استبان اي امرنا كل امة
بما علمنا ان صلاحهم فيه ويقال ان الشرعة والمنهاج كلاهما الطريق والطريق هاهنا الدين وقد يعبر
عن الشي الواحد بلفظين مختلفين تاكيدا للكلام وقال المبرد الشرعة ابتدا الطريق والمنهاج الطريق
المستمر ويقال معنى المنهاج الدلايل الواضحة التي بها يستدل على الفرايض من كتاب وسنة ونحو
وقوله تعالى ولو شا الله لجعلكم امة واحدة معناه لو شا لجعلكم على امر واحد في دعوة
جميع الانبيا صلوات الله عليهم ولكن ليبلوكم فيما اتاكم معناه ولكن ليختبركم فيما اعطاكم من الكتب
وفيما امركم به من السنن والشرايع المختلفة فيتبين من يطيع الله ممن يعصيه وقال الحسن رضي الله عنه
اراد بقوله ولو شا الله مشية القدرة على اجبارهم على القول بالحق كما في قوله تعالى ان نشا ننزل عليهم
من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين وقوله عز وجل فاستبقوا الخيرات اي بادروا يا امة محمد
صلى الله عليه وسلم الخيرات والطاعات والاعمال الصالحة قبل الفوت بالموت كما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل
شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك وهذا الخبر يتضمن موعظة بليغة يستغني بها
العاقل عن كثير من وعظ الواعظين واما قوله تعالى الى الله مرجعكم معناه اليه مرجع من امن ومن كفر من
فيخبركم يوم القيمة بما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والشريعة قوله عز وجل وان احكم
بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان
تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون معناه انزلنا اليك الكتاب

بالحق

بالحق وبان احكم بين اليهود بما انزل الله من رجم المحصن واقتصاص الشريف بالوضيع ولا تعمل
باهوائهم في الجلد وترك الرجم واحذرهم ان يستزلوك عن بعض ما بين الله تعالى في كتابه قال ابن عباس
رضي الله عنهما وذلك ان يهود بني النضير قالوا فيما بينهم اذهبوا بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم لعلنا
نفتنه عن دينه فانما هو بشر فاتوه فقالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم انك قد عرفت انا احبار اليهود
واشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعك اليهود كلهم ولن يخالفونا وان بيننا وبين قومنا
خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونومن بك فابى النبي صلى الله عليه وسلم وكان حريصا
على اسلامهم فنزل قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك وقوله فان تولوا
معناه ان اعرضوا عن حكمك فاعلم انما يريد الله ان يعاقبهم بالقتل من بني قريظة والجلا الى الشام في
بني النضير ببعض ذنوبهم اي بما سلف من ذنوبهم وهو جحودهم لرسالتك ونعتك في التورية والانجيل
وان كثيرا من الناس لفاسقون اي خارجون من الطاعة ناقضون العهد قوله عز وجل افحكم الجاهلية
يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون معناه ايطلبون من حكم الزنا والقصاص
وهم اهل الكتاب شيئا لم ينزله الله عليكم كما يفعل اهل الجاهلية واي احد اعدل في الحكم من الله
تعالى وقوله تعالى لقوم يوقنون معناه ان من ايقن يتبين له عدل الله في حكمه قوله عز وجل فترى الذين
في قلوبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه
منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وذلك انه لما كانت وقعة احد خاف اناس من المسلمين ان يظهر عليهم
الكفار فاراد من كان بينه وبين اليهود والنصارى صحبة ان يتولوهم ويعاقدوهم فنهاهم الله تعالى عن
ذلك ويقال نزلت هذه الاية في المنافقين في معنى الاية يا ايها الذين تكلموا بكلمة الاسلام لا تتخذوا
اليهود والنصارى احبابا في العون والنصرة بعضهم على دين بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم اي اذا
تولاه لاجل اليهود والنصارى كفرهم صار كافرا مثله فاما اذا تولاه لا لكفره فهو من جملة المستحقين لعذاب
الله لمخالفته امر الله بموالاة من اوجب الله تعالى عليه ان يعاديه وعن عبد الله بن عباس والحسن رضي
الله عنهما انهما استدلا بهذه الاية على اباحة ذبايح النصارى نصارى بني تغلب مثل نصارى بني اسرايل
وقالا لو لم يكن من نصارى بني تغلب الا تولي النصارى لكانوا منهم لقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه
منهم وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشد اليهود والنصارى الى دينه وحجته
ما داموا على كفرهم ويقال معناه لا يهديهم بالمدح لهم والثنا عليهم ولا يلطف بهم كما يلطف
للمومنين ومن الناس من استدل بهذه الاية على من اعتقد من اهل ملتنا اعتقادا يجب اكفاره
بذلك الاعتقاد انه يحل لسائر المومنين ذبيحته كما تحل ذبيحة ساير اليهود قوله عز وجل فترى
الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دايرة فعسى الله ان ياتي بالفتح
او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين وذلك ان المنافقين كانوا يوادون يهود قريظة
ونصارى اهل نجران لانهم كانوا اهل ريف وكانوا يميرونهم ويقرضونهم فقال المنافقون كيف نقطع
مودة قوم ان اصابتنا سنة واحتجنا اليهم وسعوا علينا في المنازل وعرضوا علينا الثمار الى القابل
فنزل قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم اي ترى يا محمد صلى الله عليه وسلم الذين
في قلوبهم شك ونفاق يبادرون الى ولاية الكفار ومعاقدتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دايرة
اي شدة وجدوبة ويقال اراد بهذا القول انهم يخشون ان لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم بان
يدور الامر على هذه الحالة التي هم عليها فيحتاجون الى الكفار يقول الله عز وجل فعسى الله ان ياتي
بالفتح اي عسى ان يظهر المسلمين وعسى من الله واجب وسمى النصر فتحا لان فيه فتح الامر المغلق وقوله

تعالى او امر من عنده معناه او يقضي بالخصب لمحمد صلى الله عليه وسلم باظهار امر المنافقين ...
فيصبح المنافقون على ما اضمروا في انفسهم من ولاية اليهود والنصارى ... اليهود والنصارى
اليهم نادمين فلا ينفعهم الندامة حينئذ قوله عز وجل ويقول الذين امنوا اهولاء الذين اقسموا
بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين معناه يقول المومنون
المخلصون عندما يظهر الله تعالى المنافقين اهولاء الذين اقسموا بالله يعنون المنافقين الذين حلفوا
بالله انهم لمعكم على دينكم حبطت اعمالهم بطل ما اظهروه من الايمان والاعمال الصالحة فصاروا
مغبونين في الوزر والعقوبة وقوله تعالى جهد ايمانهم تفسير القسم بالله تعالى فان من يحلف بالله
تعالى فقد بذل جهد يمينه اذ لا يمين اعظم من اليمين بالله تعالى ولا حرمة اعظم من حرمة الله تعالى
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فجا الله بالفتح ونصر الرسول صلى الله عليه وسلم وجا امر الله تعالى
من عنده باجلاء بني النضير وقتل بني قريظة وسبي ذراريهم فندم المنافقون حين ظهر نفاقهم و
قال المومنون اهولاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم وفي قوله تعالى ويقول الذين امنوا ثلاث
قرات احدها بالواو وضم اللام وهي قراة عاصم وحمزة والكسائي عطفا على قوله فيصبحوا كانه قال
نادمين ويقول لهم الذين امنوا والثانية بالواو وفتح اللام وهي قراة ابن كثير ونافع وابن عامر وهكذا كتب
في مصاحف اهل الشام والحجاز بغير واو واما في مصاحف اهل العراق فمكتوب بالواو قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين
اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لايم ذلك فضل الله يوتيه من يشا
والله واسع عليم في هذه الاية تهديد لمن لا يثبت على الايمان قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اسد و
غطفان وناس من كندة ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في عهد ابي بكر رضي الله عنه وبقيت ثلثة
مساجد لم يرتد اهلها مكة والمدينة والبحرين فاتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اعز الله تعالى بهم الدين وهم الغان
من النخع وخمسة الاف من بجيلة وكندة فذلك سبعة الاف من اهل اليمن وثلثة الاف من افنا الناس فقاتلوا
الذين ارتدوا عن الاسلام وهم الذين اثنى الله عليهم بقوله تعالى اذلة على المومنين اي يلينون لهم جانبهم ليس هذا
من الهوان انما هو من اللين والرفق كما في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقوله تعالى اعزة على الكافرين
اشدا اقويا يعادون الكفار ويغالبونهم ونظير هذه الاية قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشدا
على الكفار رحما بينهم وقوله تعالى يجاهدون في سبيل الله معناه يقاتلون العدو في طاعة الله ولا يخافون
لومة اللايمين ذلك التمكين والتوفيق فضل من الله تعالى يكرم به من يشا من كان اهلا لذلك والله واسع الفضل
والرحمة عليم بمن يصلح للهدى والاصل في قوله تعالى من يرتد من يرتدد وهو قراة نافع وابن عامر وموضعه جزم
بالشرط الا ان اكثر القرا ادغموا الدال الاولى في الثانية فاسكنوا الاولى ثم حركوا الثانية الى الفتح لالتقاء
الساكنين وفي الاية دليل على صحة امامة ابي بكر وعمر وعثمن وعلي رضي الله عنهم وقد اخبر الله لان الذين
ارتدوا من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم انما قاتلهم ابو بكر وعمر وعثمن وعلي رضي الله عنهم وقد
اخبر الله تعالى انه يحبهم ويحبونه وانهم يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لايم ومعلوم ان من كانت
هذه صفته فهو ولي الله ولم يقاتل المرتدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الا هولاء المذكورون و
اتباعهم قوله عز وجل انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويوتون
الزكوة وهم راكعون روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في مسلمي اهل
الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوتنا قاصية لا نجد متحدثا
دون هذا المسجد وان قومنا لما راونا صدقنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم رفضونا ونابذونا واظهروا لنا

العداوة

العداوة وحلفوا ان لا يناكحونا ولا يواكلونا ولا يخالطونا ولا نستطيع ان نجالس اصحابك لبعد المنزل
فبينما هم يشكون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس في المسجد يصلون من قايم في الصلوة وساجد
وراكع واذا بمسكين يطوف يسال الناس فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه فقال هل اعطاك احد
شيا قال نعم قال ماذا قال خاتم فضة قال من اعطاكه قال ذاك الرجل فاذا هو علي بن ابي طالب كرم
الله وجهه قال على اي حال اعطاكه قال اعطانيه وهو راكع فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الاية على عبد الله بن سلام واصحابه وانشهم بما بدلهم الله به من ولايته وولاية رسوله صلى الله
عليه وسلم وولاية المومنين ومعنى الاية انما حافظكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والمومنون
الذين يقيمون الصلوات الخمس بحقوقها ويعطون الصدقة في حال ركوعهم وفي الاية دليل اباحة العمل
اليسير في الصلوة لان قوله وهم راكعون اخبار عن الحالة التي تقع فيها الصدقة كما يقال تكلم فلان وهو
قايم واعطى فلان وهو قاعد ولو كان المراد بقوله تعالى وهم راكعون وهم يصلون النوافل لكان
تكرارا لما تقدم ذكره في اول الخطاب بقوله الذين يقيمون الصلوة فثبت ان المراد بالاية مدح الصدقة
في حالة الركوع قوله عز وجل ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون
معناه من يختر طاعة الله وطاعة رسوله ومحبة المومنين فان حزب الله هم الغالبون على جند الشيطان
اي العاقبة للمومنين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اوليا واتقوا الله ان كنتم مومنين وذلك ان اليهود
كانوا اذا اقام بلال الى الاذان يضحكون ويستهزءون ويقولون قام الغراب لا قام واذا قام المومنون
الى الصلوة قالوا قد قاموا لا قاموا واذا راوهم ركعا وسجدا استهزءوا بهم وتغامزوا فيما بينهم ينفرون
الناس عن الصلوة وعن الداعي اليها وذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم
هزوا ولا تتخذوا اليهود والنصارى الذين يتخذون دينكم استهزاء وسخرية يسخرون منكم
اذا اذن موذنكم ويضحكون من صلاتكم اذا صليتم ويعدون ذلك باطلا وفي قوله تعالى والكفار
قراتان النصب والخفض فمن قرا بالنصب فمعناه ولا تتخذوا الكفار اوليا واراد بالكفار مشركي العرب
ومن قرا بالخفض فمعناه من الذين اوتوا الكتاب ومن الكفار وقوله تعالى واتقوا الله معناه واخشوا
الله في ولاية الكافرين ان كنتم مومنين مصدقين بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وفي الهزو ثلث
لغات ضم الزاي مع تحقيق الهمزة واسكان الزاي مع تحقيق الهمزة وضم الزاي مع ابدال الواو من الهمزة
لانضمام ما قبلها وهذه اللغات كلها معروفة ويجوز في اللغة هزا مثل هدى ولكن لا يقرا الا بما صحت
به الرواية قوله عز وجل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون
معناه اذا ناديتم الناس الى الصلوة بالاذان والاقامة اتخذوها سخرية واستهزاء وضحكة وباطلا وذلك
الاستهزاء واللعب بانهم قوم لا يعقلون ثواب الله تعالى في اقامة الصلوة ولا عقابه في اضاعتها ويقال
لا يستعملون عقولهم فيما ينفعهم فكانه لا عقل لهم وروي ان رجلا من اليهود كان اذا سمع الموذن قال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه البيت
بنار فوقعت شرارة منها في البيت فالتهب البيت واحترق هو واهله واستجيب دعاوه على نفسه وفي
الاية دليل ان للصلوة اذانا يدعى به الناس اليها ونظير هذه الاية قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم يا اهل الكتاب
هل تطعنون علينا الا لايماننا بالله والقران ولان اكثركم فاسقون اي لما كرهتم ايماننا وانتم تعلمون

انا على حق لانكم فسقتم بان اقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة وكسبكم بها الاموال فهل يدرون شيئا نعاب علينا الا هذا انما ذا انطعنون ويجوز في اللغة تنقمون بفتح القاف يقال نقمت على الرجل انقم ونقمت انقم اذا بالغت في كراهة الشي والاجود نقمت بالفتح قال الله تعالى وما نقموا منهم واما قوله وان اكثركم فاسقون قال بعضهم اراد بالاكثر كلهم واكثر الشي يقوم مقام الكل ويقال انما ذكر لفظ الاكثر لان الاية خرجت مخرج التلطف للدعا الى الايمان فكان في سابق علم الله تعالى ان فيهم من يسلم وكان في القوم من لا يطعن بنفسه في دين الاسلام وان كان يسكت عن طعن الطاعنين فان قال قايل كيف يجوز ان يعلم احد ان دينا من الاديان حق ثم يوثر الباطل على الحق فالجواب عنه ان اكثر ما نشاهده كذلك الا ترى ان الانسان يعلم ان القتل يورث النار ثم يقتل ما لمتشفي غيظ او لاخذ مال وكان ابليس يعلم ان الله تعالى يدخله النار بمعصيته فاثر هذه وعمل على دخول النار وهو يابى قوله عز وجل قل هل انبيكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل وذلك ان اليهود قالوا للمسلمين ما نعلم اهل دين اهون اقل حظا منكم في الدنيا ونرجوا ان تكونوا في الاخرة كذلك فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لهولاء اليهود هل اخبركم باسوا الذين قلتم جزاءه عند الله وقوله تعالى من لعنه الله في موضع رفع على معنى هو من ابعده الله تعالى من رحمته وسخط عليه وهم اليهود ويجوز ان يكون في موضع خفض بدلا من شر على معنى هل انبيكم بمن لعنه الله وقوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير معناه مسخ بعضهم قردة في زمن داود عليه السلام بدعائه عليهم حين اعتدوا في السبت واستحلوه ومسخ بعضهم خنازير في زمن عيسى عليه السلام بعد اكلهم من المايدة حين كفروا بعدما راوا من الايات البينات وروي انه لما نزلت هذه الاية قال المسلمون لليهود يا اخوة القردة والخنازير فنكسوا روسهم وفضحهم الله واما قوله تعالى وعبد الطاغوت فمعناه ومن عبد الطاغوت اي بالغ في طاعة الشيطان والكهان وروسا المعصية وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وعبدوا الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرا وعبد الطاغوت بالتشديد وخفض الطاغوت وهو جمع عابد كما يقال راكع وركع وساجد وسجد وبعد وعباد على وزن فعال وكفار وبعض قرا وعبد الطاغوت بجزم البا على لفعل ومن جعله الله تعالى عبد الطاغوت وقرا بعضهم وعبد الطاغوت بضم العين والبا وهو جمع العبيد كما يقال رغيف ورغف وسرير وسرر وقرا حمزة وعبد الطاغوت بنصب العين والدال وضم البا وكسر التا قال ابو عبيدة لم يصح في اللغة ان يقال للجماعة الا عبد عبد وقيل يحتمل ان يكون معناه الواحد كما يقال عضد وعضد وكبد وكبد وقوله تعالى اولئك شر مكانا معناه اهل هذه الصفة شر مكانا من الذين امنوا واضل عن قصد الطريق فان قيل كيف يكون معنى قوله للمشركين اولئك شر مكانا وليس في الايمان شر وضلال قيل تسمية المشركين شر مكانا لا يوجب ان يكون في الاسلام شر ونظيره قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ومعلوم انه لا خير في مستقر الكفار ولا في مقيلهم قوله عز وجل واذا جاوكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون واذا جاكم المنافقون من اهل الكتاب قالوا امنا بك ونحن نعرف نعتك وصفتك يقول الله عز وجل وقد دخلوا بالكفر اي دخلوا عليكم وخرجوا من عندكم كافرين في السر كما دخلوا خرجوا وقوله تعالى وهم للصلة والتاكيد ويحتمل ان يكون معناه وقد دخلوا عليكم بالكفر وهم الذين قد خرجوا به من عندكم فيكون الخروج بالكفر معتمدا على الدخول عليه في المرة الثانية وقوله تعالى والله اعلم بما كانوا يكتمون اي هو اعلم بما يضمرون في قلوبهم من الكفر والنفاق فاعلمكم به واطلعكم عليه قوله عز وجل وترى كثيرا منهم يسارعون

في

في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبيس ما كانوا يعملون معناه وترى يا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا من اليهود والمنافقين يبادرون في المعصية والاعتداء والظلم واكلهم الرشوة والحرام في تغيير احكام الله تعالى لبيس شيا يعملون من المعصية ومجاوزة الحد قوله عز وجل لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبيس ما كانوا يصنعون معناه هلا ينهاهم العاملون بالعلم والعلما الذين هم دونهم عن قول الشرك والكذب على الله تعالى واكل الحرام والرشوة في الحكم قال الحسن رضي الله عنه الربانيون علما النصارى والاحبار علما اليهود ويقال هو كله في اليهود وقوله تعالى لبيس ما كانوا يصنعون معناه بيس ما يصنع علماوهم من كتمانهم الحق وتركهم النهي عن المعصية واما قوله لولا فقد يدخل في الكلام الماضي ومعناه التوبيخ كما في قوله تعالى لولا جاوا عليه باربعة شهدا وقد يدخل للمستقبل بمعنى الامر كما يقول الرجل هلا تفعل كذا اي لم لا تفعل فيكون ذلك بمعنى الامر وهي في الاية للاستقبال ومعناها الامر بالنهي وفي الاية بيان ان علما اليهود علما سو ليس فيهم رباني ولا حبر الا بالتسمية يخالطون اهل الظلم والمعصية فيداهنون ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما والضحاك رحمه الله ان هذه الاية من اشد الايات وتخويف من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضا الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في فنحاص بن عازورا اليهودي واصحابه كان الله تعالى بسط عليهم الرزق فكانوا من اخصب الناس واكثرهم خيرا فلما عصوا الله تعالى في محمد صلى الله عليه وسلم والقوافي تكذيبه كف الله عنهم بعض الذي كان بسط عليهم فعند ذلك قالت اليهود يد الله مغلولة قالوا على سبيل المجاز ان اله محمد صلى الله عليه وسلم الذي ارسله ممسكة يده عنا في الرزق لا يبسط علينا في الرزق كما كان يبسط وهذا اللفظ في كلام العرب عبارة عن البخل كما قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك اي لا تمسكها عن الانفاق في الخير وجعلوا بخلا ويقال هذا اللفظ يتضمن اباحة الدعا عليهم بالبخل ليكونوا بخلا كقوله تعالى قاتلهم الله واليهود ابخل الناس ولا امة من الامم ابخل منهم ويقال معنى غلت ايديهم غلت الى اعناقهم في نار جهنم ويقال لا يخرج يهودي من دار الدنيا الا ونصير يده مغلولة الى عنقه وقوله تعالى ولعنوا بما قالوا اي عذبوا بالجزية وطردوا من رحمة الله تعالى بقولهم يد الله مغلولة وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان عبارة عن الجود وكثرة العطية لمن يشا كما يقال فلان بسط اليدين وباسط اليدين اذا كان جوادا يعطي يمنة ويسرة وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان معنى قوله بل يداه مبسوطتان بل نعماه واراد بذلك نعمة الدين والدنيا ويقال اراد به نعمته الظاهرة ونعمته الباطنة ويقال نعمة ليكون بالصرا حتى اذا ظهرت المضرة حمدت العاقبة ومنها ما يكون بالسرا والتوسعة فلا يمنعوا ان نظن اليهود انا اذا ضيقنا فذلك خارج عن النعمة كما اذا وسعنا وقيل ان التثنية في هذا الباب للمبالغة في صفة النعمة كما تقول العرب لبيك وسعديك قال الاعشى ٭ يداك يدا مجد فكف مفيدة ٭ وكف اذا ما ضن بالمال تنفق ٭ وهذا كله لان اليهود قصدوا البخل الله تعالى فاجيبوا على قدر كلامهم وفي قوله تعالى ينفق كيف يشا دليل ان المراد جواب اليهود بيان بسط النعمة وان الله تعالى يقتر وكيف يشا بحسب المصالح فربما كان الصلاح في ان يقتر وربما كان الصلاح في ان يوسع فلا تخلوا حكمه عن الحكمة وفي الاية ما يدل على بطلان قول من حمل

وقوله تعالى غلت ايديهم ... [illegible]

الاية على اليد التي هي الجارحة لان اليهود لو كانوا ارادوا بقولهم يد الله مغلولة الجارحة لم يكن
قوله ينفق كيف يشاء جوابا لهم وكيف يجوز ان يعتقد احد في حق الله تعالى انه يغل نفسه او يغله
غيره فثبت ان المراد بالاية بيان الجود والسعة وكرم العطية على ما تقتضيه المصلحة وذهب بعض المفسرين
الى ان اليهود عنوا بقولهم يد الله مغلولة الفقر كما اخبر الله تعالى عنهم جل ذكره لقد سمع الله قول الذين قالوا ان
الله فقير وقال الحسن رضي الله عنه في معنى الاية ان اليهود قالوا يد الله مقبوضة عن عذابنا فلا يعذبنا
الا قدر ما عبدنا العجل فقيل لهم غلت ايديهم اي في النار وقيل بل يداه مبسوطتان اي قدرته بالثواب و
العقاب والغفران والعذاب مبسوطة مطلقة يفعل ما يشاء من المغفرة والرحمة وغيرهما واعلم ان
اليد في اللغة تنصرف الى وجوه منها الجارحة وهي معروفة ومنها النعمة كقولك لفلان علي يد اشكره عليها
اي نعمة ومنها القوة كما في قوله تعالى اولي الايدي والابصار وقوله تعالى والسماء بنيناها بايد ومنها الملك
كقوله تعالى بيده عقدة النكاح اي يملكه وقوله تعالى الذي بيده الملك اي بقدرته ومنها الاختصاص
بالفعل كما في قوله تعالى خلقت بيدي اي توليت خلقه وفائدته التشريف ومنها التصرف كقولك الدار
في يد فلان اي يتصرف فيها بالسكنى والاسكان ويقال فلان اسلم على يدي فلان اي كان سببا في اسلامه ويقول
الرجل في شكوى الحال يدي مقبوضة فلا تنبسط ويقال فلان شديد اليد اي في منعه وجحوده فاذا كانت
اليد في اللغة تنصرف على هذه الوجوه فلا بد من حملها على الوجه الذي هو اقرب الى ظاهر الاية وموافق لاقاويل
المفسرين ولو جازت الجارحة على الله تعالى لبطل كونه الها قديما لان الجارحة لا تخلو من حجم وتركيب وما لم يخل من
المحدث لا يكون قديما ولو جاز في الجوارح المركبة ان تكون قديمة لم يأمن في كثير من الاجسام ان تكون قديمة ولو
جاز ان يستغني الجوارح المركبة عن مؤلف ومركب لجاز ذلك فينا فكيف يمكن اثبات الصانع مع هذا القول
واما قوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك فمعناه ليزيدن القران الذي انزل اليك وما فيه من حكم
الدنيا ونعت الاسلام وحكم الرجم كثيرا من اليهود طغيانا وكفرا اي كلما انزل عليك شيء من القران كفروا به فيزيد
كفرهم ونسب الطغيان الى ما انزله لان ذلك سبب لزيادة كفرهم وهذا كالرجل يقول لولده او عبده ما زادك وعظي
الا شرا ونصحي الا فسادا ومعلوم انه ليس يعظه لزيادة الشر وقوله والقينا بينهم العداوة والبغضاء اي جعلناهم
مختلفين في دينهم متباغضين كما قال جل ذكره تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وقوله تعالى كلما اوقدوا نارا
للحرب معناه كلما اجمعوا على قتالكم واعدوا للحرب فرق الله جمعهم واطفأ نار مكرهم وخالف بين كلمتهم
والاصل في عبارة ايقاد النار عن الاستعداد للحرب ان القبيلة الكبيرة من العرب كانت اذا ارادت حرب
اخرى منها اوقدت النيران على رؤوس الجبال والمواضع المرتفعة التي تعم القبيلة رؤيتها فيعلمون انهم قد ندبوا
الى الاستعداد للحرب واما قوله تعالى ويسعون في الارض فسادا فمعناه يجتهدون في دفع الاسلام وقوله
تعالى والله لا يحب المفسدين اي لا يرضى عمل اهل الفساد وبالله التوفيق ۝ قوله عز وجل ولو ان اهل الكتاب
امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ۝ معنى الاية ولو ان اليهود
والنصارى صدقوا بالله وبالقران وتابوا من دين اليهودية والنصرانية لعفونا عنهم وسترنا عليهم ذنوبهم
التي كانت في اليهودية والنصرانية ولادخلناهم في الاخرة بساتين ينعمون فيها قوله عز وجل ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة
مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ۝ معناه ولو انهم عملوا بما في التورية والانجيل ولم
يكتموا ما علموا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيهما وعملوا بالقران الذي انزل على كافة الناس لوسعنا عليهم
الرزق بانزال المطر من السماء واخراج النبات والثمار من الارض والنجم وهذا كما يقال فلان في نعيم من قرنه
الى قدمه ويراد بذلك كثرة الخير وفي الاية بيان ان التقى سبب لتوسعة الرزق واستقامة الامر في الدنيا

والاخرة

والاخرة لان المكلف لا يخلو اما ان يكون له همة الدنيا او همة الاخرة فكيف ما كان فمراده ومقصوده
ووصوله الى نعم الله تعالى متعلق بالتقوى والتوفيق من عند الله تعالى ونظير هذه الاية قوله تعالى ولو ان
اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا و
يرزقه من حيث لا يحتسب واما قوله تعالى منهم امة مقتصدة قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه
من اهل الكتاب جماعة عادلة في القول وهم الذين اسلموا منهم وهم ثمانية واربعون رجلا النجاشي واصحابه من
النصارى وبحيرا الراهب واصحابه وسلمان الفارسي واصحابه وجبر مولى قريش وعبد الله بن سلام واصحابه
وقال بعضهم اراد بالمقتصدة الطائفة التي لم تناصب النبي صلى الله عليه وسلم مناصبة اكثرهم و
الاقرب هو القول الاول لان الظاهر ان الله لا يسمي من كان على شيء من الكفر مقتصدا وقوله تعالى
وكثير منهم ساء ما يعملون معناه كثير من اهل الكتاب بئس الذي عملهم في كتمان نعت النبي
صلى الله عليه وسلم وتكذيبه وهم كعب بن الاشرف واصحابه تسوء اعمالهم يوم القيمة قوله
عز وجل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله
يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم وامر له ان يبلغ الناس جميع ما انزل اليه من ربه من القران وقوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت
رسالته قال عبد الله بن عباس معناه ان لم تبلغ اية مما انزل اليك او حكما امرت بتبليغه اليهم فكانك
لم تبلغ شيئا من الرسالة اي لا يحصل لك ثواب الموعود على تبليغ الرسالة من قبل ان كتمان اية واحدة
تحبط ثواب ما بلغ من الرسالة ويقال ان في هذه الاية دليلا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان امر بشيء فتحاشى
تانى قليلا عن تبليغه حذرا او خوفا ان يبتليه الله تعالى بما ابتلى به قبله ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه
بالنار واسمعيل بالذبح وزكريا ويحيى عليهما السلام بالقتل وكان صلى الله عليه وسلم عازما على فعل ما امر به
مع خوفه فقيل له ان لم تفعل ما امرت به من دعوتهم الى الاسلام وعيب دينهم فقد ابطلت جميع ما فعلته
قبل من التبليغ كانك لم تبلغ شيئا من الرسالة ولهذا قرا بعض القراء رسالاته بلفظ الجمع وقد يذكر الوحدان
ويراد به الجماعة وقوله تعالى والله يعصمك من الناس امان من الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم كيلا
يخاف ولا يحذر وهو دلالة على نبوته كما روي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قالت
اليهود يا محمد صلى الله عليه وسلم انا ذوو عدد وباس فاحذر ان نقتلك وان لم ترجع قتلناك وان
رجعت زوجناك واكرمناك فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسه مائة من المهاجرين والانصار
يبيتون عنده ويخرجون معه خوفا من اليهود فلما نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس علم ان الله تعالى
يحفظه من كيد اليهود وغيرهم فقال للمهاجرين والانصار انصرفوا الى رحالكم فان الله تعالى قد عصمني
من اليهود فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يخرج وحده في اول الليل وعند السحر الى اودية المدينة
وحيث ما شاء تعصمه الله عز وجل مع كثرة اعدائه وقلة اعوانه فعاش حميدا ومات شهيدا صلى الله
على روحه في الارواح وجسده في الاجساد والذي يدل على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذه الاية ان العاقل المدعي لصدقه لا يخبر بشيء لا يؤمن وقوع المخالفة فيه فلما اخبر صلى الله عليه وسلم
على الاطلاق ان الله يعصمه من الناس ويحفظه وكان كما اخبر ثبت بذلك انه انما علم ذلك بالوحي لان
ما يكون من الامور المستقبلة من علم الغيب والله تعالى لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
وعن عائشة رضي الله عنها انه قالت ازال الله تعالى بهذه الاية تهمة الكتمان عن النبي صلى الله عليه وسلم
كيلا يتوهم متوهم انه كتم شيئا من الوحي للتقية والخوف واما قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين
معناه لا يرشد الى دينه وحجته ولا يوفق من كان مقيما على كفره ويقال لا يهديهم الى طريق الجنة في الاخرة ويقال